

مَجْمُوعُ مَقَالَاتِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلِ

رحمه الله تعالى

مُعَوِّذٌ وَتَرْتِيبٌ عَنَّا

سُبْحَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَوْضٍ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَصْرِيِّ



دارُ السُّنَنِ الرَّشِيدَةِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْضِيعِ

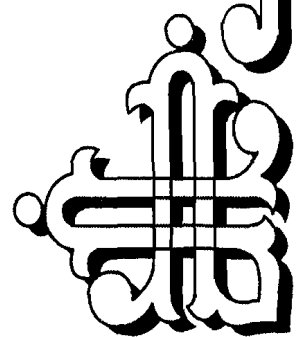
دارُ السُّنَنِ الرَّشِيدَةِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْضِيعِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

مجموع مقالات
فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن الوكيل
رَحِمَهُ اللهُ
الجزء الأول



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٤٧٩ / ٢٠١٠ م

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩

البريد الإلكتروني: Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com

موقعنا على الإنترنت: www.darsabilelmomnen.com

دار سبيل الرشاد
للنشر والتوزيع

(١٢) زنقة (٣٨٦) حي الخيام (٢) - أغادير - المملكة المغربية

جوال: ٠٠٢١٢/٦٧١٩١٦٣١٤ - ٦٦١٣٨٧٧٧٢

E.mail: Sabil_Rachad@hotmail.com

مجموع مقالات
فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن الوكيل

رَحِمَهُ اللهُ

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر
وأستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى
بمكة المكرمة

الجزء الأول

جمعها ورتبها واعتنى بنشرها

محمد عوض عبد الغني المصري

شعبان عبد المجيد عباس

قال تعالى

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾

[النساء: ١١٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة مجموع مقالات العلامة عبد الرحمن الوكيل

«الحمد لله الذي جعل في كل زمان ومكان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى».

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم؛ يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين»^(١).

أما بعد:

«فإن الله تقدست أسماؤه اختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب فتفضل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة وفقهم في الدين، وعلمهم التأويل، وفضلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان ومكان وأوان».

(١) الرد على الزنادقة ص (٦) للإمام أحمد.

رفعهم بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يُعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح، فضلهم عظيم، وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء^(١).

وإن للعلماء علينا من الحقوق ما بتركه يتم العقوق، ومن رعايتها: ضبط أحوالهم الشريفة، وتدوين مناقبهم المنيفة، وتخليد محاسنهم في بطون الأوراق، والمحافظة على نتائج أفكارهم^(٢) التي هي من أنفس الأعلام، ومن ذلك: تعظيمهم باللسان، والجنان، والأركان، وعدم التعرض لما يؤذيهم بالدخول في أعراضهم الجميلة، والاستهانة بمناقبهم الجزيلة الجليلة، والتعبد لهم بمراصد الاستخفاف، والتنصب لهم بمنصة الخلاف.

وقد ورد في الآيات الفرقانية، والأحاديث النبوية، والآثار المصطفوية، ما يقتضي النهي عن ذلك، وتتخطى بمن عمل به أيمن المسالك^(٣). والعلماء هم أهل الأثر، الذين تعلموا العلم الشرعي على الهدي النبوي، وعلموا الناس كما أمرهم بذلك النبي ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من

(١) أخلاق العلماء ص (٩) للأجري.

(٢) المراد بهذا نتاجهم العلمي الذي أتعبوا فيه أنفسهم، وكدوا فيه أذهانهم، وأكثروا فيه أفكارهم، وأتعبوها حتى أنتجوه، ولنا أخرجوه، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

(٣) من مقدمة «حدائق الزهر» للعلامة الحسن بن أحمد عاكش، نقلاً عن مقدمة «المورد العذب».

خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» أخرجه أحمد والشيخان.

والعلماء هم أهل الجهاد والعتاد، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«والجهاد نوعان: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو

جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين، لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه»^(١).

وإن من بين هؤلاء العلماء المجاهدين، العلامة السلفي عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ،

صاحب القلم الجامع، الذي يحق فيه وصف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فقال:

«القلم الجامع: هو قلم الرد على المبطلين، ورفع سنة المحقين، وكشف أباطيل

المبطلين، على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم وتهافتهم، وخروجهم

عن الحق، ودخولهم في الباطل، وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام،

وأصحابه أهل الحجة، الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم، وهم

الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع

الجدال، وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل، وعدو لكل مخالف للرسل، فهم

في شأن، وغيرهم من أصحاب الاتهام في شأن»^(٢).

عاش رَحِمَهُ اللهُ مجاهداً بقلمه مناضلاً في سبيل دينه، فبذل ماله ووقته وجهده لله عَزَّوَجَلَّ،

فلم يبحث عن دنيا ولا شهرة ولا شهوة، ولم يخش في الله لومة لائم.

فنحسبه رَحِمَهُ اللهُ - والله حسبه - ممن قال فيهم النبي ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص (١٣٢).

كُلَّ خَلْفِ عُدُولِهِ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ». [رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

نشأ في بيئة علا فيها صوت الجهل، وفشت فيها مظاهر البدع، وارتفعت فيها أعلام الشرك، أبصر رَحِمَهُ اللهُ طريق النور فمضى نحو الحق يلتمس خطاه، ويتبصر معالمه، فأشرقت على يديه شمس حقيقة هؤلاء القوم المفسدين.

فكان رَحِمَهُ اللهُ ممن صدق فيهم وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فسادُه أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»^(١).

فكان رَحِمَهُ اللهُ مجاهدًا في سبيل دين رب العالمين يرد على شبهات المغرضين، ويكشف ألاعيب المتلونين، ويظهر عوار المفسدين، يواصل الليل بالنهار لهتك أستار المجرمين، فدحض حججهم، ورد كيدهم في نحورهم.

فكتب رَحِمَهُ اللهُ هاتكًا لأستار الشيوعية التي بثت سمومها بين أبناء المسلمين في ذلك الوقت، وكشف رَحِمَهُ اللهُ حقيقة البهائية وجذورها التاريخية الشيعية، وبين عوار القاديانية، ومخالفتها للملة الحنيفية، بل وقد كان رَحِمَهُ اللهُ عاقدًا العزم على الكتابة عن الطائفة التيجانية، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

وأما قضيته الكبرى فكانت هدم طواغيت الصوفية، وإظهار مخازيها ومساوئها المزرية، فكانت كتاباته في هذا المضمار كالجواد الجامح الذي أطلق لنفسه

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣١).

العنان، فصار هو فارس الميدان بلا منازع.

لقد قرأ الكثيرون وسمع الكثيرون بكتاب: «هذه هي الصوفية»، فانتشر خبره في الآفاق، وعم بنفعه البلاد والعباد، وما هذا الكتاب إلا قطرات مما كتب العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ عن الصوفية.

أعلن رَحِمَهُ اللهُ وجهته وبيّن غايته في دعوته في الرد على أهل الأهواء والبدع، فقال في رده على شيخ مشايخ الطرق الصوفية، بعد أن شكاه إلى النيابة فبرأته، فكتب قائلاً رَحِمَهُ اللهُ:

وإني لأحسن الظن بالشيخ، فأقول: لعله لم يقرأ كتب أولئك القوم الذين تربع هو على كرسيهم، ولذا أقدم للشيخ هذه الصور المفجعة مما رسمه زعماء الصوفية بظنونهم وأوهامهم من صور لربهم - تعالى جدّ ربنا - ولرسولهم - وبراً الله رسولنا - ولأوليائهم - حاشا أولياء الرحمن الذين أثنى عليهم في كتابه من المؤمنين المتقين - مطالباً الشيخ - هداًنا الله وإياه - أن يصرح بما يراه، فإن أنكر بالعزم الشجاع على القائلين بهذه الزندقات، كنّا أول من يهلل له، ويهتف باسمه الكريم، وإن سكت عن ذلك، أو لم ينكر عليهم، فسنظلّ يا سيدي نضرب بمعول الحق معبد الطاغوت وهيكل الصنم حتى يخرّ على سدنته وعبّاده، ولن يخيفنا في سبيل الله تهديد، ولن يروّعنا وعيد، دمّرنا - إذا استطعت - يا عواصف الشر الباغية، وتلهبي - لتُحرقينا - أيتها الأحقاد العاتية، لن نهلك، فإن حسبنا من الله رحمته الراعية: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

لقد حق لنا القول بأن الله عزّ وجلّ قيض برحمته وفضله هذا الرجل لفضح أهل

الأهواء المفسدين، فصارت حياته وكتابه حجة عليهم، لا يستطيعون منها فكاً. ورغم هذا كله لم يشغل رَحْمَةُ اللهِ عَنْ قَضَايَا أُمَّتِهِ، فكما كان رَحْمَةُ اللهِ دَاعِيًا إِلَى التَّوْحِيدِ، نَاشِرًا لِلسُّنَّةِ، كَانَ أَيْضًا رَحْمَةُ اللهِ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ. فكتب عن السياسة، وعن الأسرة والمجتمع، والسير والتراجم، لقد كان رَحْمَةُ اللهِ موسوعة علمية، بل وقد كان أَيْضًا شَاعِرًا وَأَدِيبًا.

بل كان رَحْمَةُ اللهِ مَرْجِعًا فَرِيدًا فِي بَابِهِ، وَحِيدًا فِي مَحْرَابِهِ، فِي مَعْرِفَةِ الْفَرْقِ الضَّالَّةِ، وَالْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَحْوَالِهَا.

إِنَّا لَا نَغَالِي فِي الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللهِ وَلَا نَتَعْصَبُ لَهُ، فَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ يَخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَكِنْ إِنَّمَا هَذِهِ مُحَاوَلَةٌ مِنَّا لِلْفَوَاءِ بِجُزْءٍ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْنَا رَحْمَةُ اللهِ. قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْاَجْرِيُّ رَحْمَةُ اللهِ - وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَمَكَانَتِهِمْ -: فَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ، رَفَعَهُمْ بِالْعِلْمِ، وَزَيَّنَهُمْ بِالْحِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّارُّ مِنَ النَّافِعِ، وَالْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَضَّلَهُمْ عَظِيمٌ، وَخَطَرُهُمْ جَزِيلٌ، وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُرَّةُ عَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ، الْحَيَاتَانُ فِي الْبَحْرِ لَهُمْ تَسْتَغْفِرُ، وَالْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا لَهُمْ تَخَضَعُ، وَالْعُلَمَاءُ فِي الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُمْ تُفِيدُ الْحِكْمَةَ، وَبِأَعْمَالِهِمْ يَنْزَجِرُ أَهْلُ الْعَقْلَةِ، هُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادِ، وَأَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الزُّهَادِ، حَيَاتُهُمْ غَنِيمَةٌ، وَمَوْتُهُمْ مُصِيبَةٌ، يُذَكِّرُونَ الْغَافِلَ، وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ، لَا يُتَوَقَّعُ لَهُمْ بَاقِيَةٌ، وَلَا يُخَافُ مِنْهُمْ غَائِلَةٌ... إِلَى أَنْ قَالَ رَحْمَةُ اللهِ:

فَهُمْ سِرَاجُ الْعِبَادِ وَمَنَارُ الْبِلَادِ، وَقَوَامُ الْأُمَّةِ وَيَتَابِعُ الْحِكْمَةِ، هُمْ غِيْضُ

الشَّيْطَانِ، بِهِمْ نَحْيَا قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَتَمُوتُ قُلُوبُ أَهْلِ الزَّيْغِ، مَثَلُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِذَا انْطَمَسَتْ النُّجُومُ تَحَيَّرُوا، وَإِذَا أَسْفَرَ عَنْهُمْ الظَّلَامُ أَبْصَرُوا. اهـ.

لقد كان - رَحِمَهُ اللَّهُ - منهجه في الدعوة إلى الله بالدليل والبرهان، حريصاً على نشرها بمختلف الوسائل من خطب ودروس ومحاضرات وكتب ومقالات ومناظرات. ولقد اتسمت مقالاته - رَحِمَهُ اللَّهُ - بالدقة العلمية والرجوع إلى المصادر الأصلية للكتابات المتقدمة، فجعلهم شاهدين على أنفسهم بكتبهم، فلم يفتّر عليهم كذباً ولا زوراً.

وقد يرى البعض أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدث في كتاباته في الدفاع عن معتقد أهل السنة والجماعة، والرد على أهل البدع والأهواء، ولكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يبين منهجه في ذلك فيقول:

«إنني أسمى الأشياء بأسمائها، وأعبر عن المعنى بالكلمة الدقيقة التي تدل عليه، فهل علينا من معتبة إذا قلنا عن الباطل: إنه باطل؟ أو يا ترى يُراد مني أن أدهن في القول، وأداري فيما أكتب عن خطر يلم بديني وعروبتني ووطني، فأقول عن الشر: إنه ابتسامة الخير، وعن غيب الليل المركوم: إنه وضاعة الصبح الجميل، أو أقول كما اعتاد المخادعون: إنه ليل، ومن الليل ما هو جميل؟! كلا، فمثل هذه المداهنات نفاق يغتال القلب، نفاق يحتاج العقيدة، نفاق يجرد الدعوة من كل سلاح وقوة، وهي أيضاً ازدراء، واستخفاف بالعقول وبالقيم، وعدوان منكر على الحق، والتواء بالبحث عن منهج الصدق والصواب والاستقامة، وببساطة قد يرتضيها من مُرنوا عليها، أو اعتادوا أن يقولوا القول،

وهم يتخيلون أن يدًا خفية ستمتد إليهم بشيء ما! ولكن هذه الجبانة لا يرتضيها الحق الذي يوجب الله علينا أن نتعصب له عن بصيرة، وأن نجرد أنفسنا من الرغبة في رضا الناس الذين يودون طمس معالم الحق»^(١).

لقد عاش رَحِمَهُ اللهُ متجرّدًا للحق غير مDAHنٍ للباطل، شعاره في ذلك ما قاله الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته:

ولأجعلن قتالهم ديداني	لأجاهدن عداك ما أبقيتني
ولأفرين أديمهم بلساني	ولأفضحنهم على روس الملا
ضعفاء خلقك منهم بيان	ولأكشفن سرائرًا خفيت على
حتى يقال أبعد عبادان	ولأتبعنهم إلى حيث انتهوا
رجم المريد بثاقب الشهبان	ولأرجمنهم بأعلام الهدى
ولأحصرنهم بكل مكان	ولأقعدن لهم مراصد كيدهم
في يوم نصرك أعظم القربان	ولأجعلن لحومهم ودماءهم
ليست تفر إذا التقى الزحفان	ولأحملن عليهم بعساكر
ممعقول والمنقول بالإحسان	بعساكر الوحيين والفطرات والـ
أولّى بحكم العقل والبرهان	حتى يبين لمن له عقل من الـ
وكتابه وشرائع الإيمان	ولأنصحن الله ثم رسوله
أو لم يشأ فالأمر للرحمن	إن شاء ربي ذا يكون بحوله

(١) كتابه: البهائية، ص (٣٩).

لقد آن لجيل اليوم أن يعرف تاريخ أجداده من العلماء الربانيين الذين ذبوا عن هذا الدين بأقلامهم وأموالهم وأنفسهم، وتعرضوا في ذلك للمحن والصعاب من أهل البدع والأهواء فما ضعفوا وما استكانوا.

ذلكم العلماء الذين قامت على أيديهم دعوة أهل السنة والجماعة، ليس في مصر فحسب، بل في العالم كله، أولئك الأعلام: محمد حامد الفقي، وأحمد شاكِر، ومحمد عبد الحليم الرمالي، ومحمد محمد مخيمر، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد الظاهر أبو السمح، ومحمد عبد الرزاق حمزة، وعبد المهيمن أبو السمح، وأبو الوفا درويش، وعبد الرحمن الوكيل، ومحمد خليل هراس، ومحمد صادق عرنوس، ومحمد علي عبد الرحيم، ومحمد عبد الوهاب البنا... وغيرهم - رحمهم الله، وغفر الله لهم، وجزاهم عنا خير الجزاء -.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريـر المـجامع

وإننا اليوم إذ نقدم هذا المجموع من مقالاته رَحِمَهُ اللهُ التي كتبها بمجلة الهدى النبوي، والتي كانت تصدر عن أنصار السنة المحمدية بمصر، فإنما نقدم للأمة ما تركه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من ميراثه - علم ينتفع به -، نشره في وقت أحوج ما تكون فيه الأمة إليه الآن، خاصة بعد عودة ارتفاع ألوية الباطل من جديد، وظهور لأصوات من البدع كانت قد خفتت منذ زمن بعيد، فما أشبه الليلة بالبارحة.

نشرها اليوم بعد أن ظلت زمناً طويلاً حبيسة الأدراج، حتى قام الشيخ فتحي عثمان بجمع أعداد مجلة الهدى النبوي من أنحاء مصر وربوعها، ثم هياً الله لها ابناً باراً وتلميذاً من تلامذة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وهو والدنا الشيخ شعبان عبد المجيد

فجمعها، فجزاهما الله خيرًا.

وفي الختام لا نجد سوى أن نقول:

«فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله بنقل العلماء الذين هم في هذه الأمة كأنبيا بني إسرائيل^(١)، وهدانا إلى ذلك، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة فيا لها من نعمة ما أجلها، في حق من تلقى الحق بالقبول وعرف ورضي به.

نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه مثنين بها عليه، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه وفوق ما أثنى عليه خلقه»^(٢).

هذا وقد كان عملنا في الكتاب كما يلي:

أولاً: قمنا بجمع مقالات الشيخ عبد الرحمن الوكيل من أعداد مجلة الهدى النبوي التي كانت تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية في ذلك الوقت، ثم رتبناها على حسب ما جاء في الكتاب.

ثانياً: وضعنا ترجمة وافية - إن شاء الله تعالى - للشيخ العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ.

ثالثاً: وضعنا معاني بعض الكلمات الغريبة، وأتبعنا ذلك بحرف (ض).

رابعاً: ترجمنا لجلّ الأعلام المذكورة في الكتاب، وأتبعنا ذلك أيضاً بحرف (ض).

خامساً: علقنا على بعض المواضع التي تحتاج لذلك، كما وضعنا تعريفات

(١) حديث: «علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل» قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٦٦): لا أصل له.

(٢) الرد على الجهمي ص (٢١٩).

لبعض المصطلحات والفرق الواردة بالكتاب، وأتبعنا ذلك أيضًا بحرف (ض).
سادسًا: قمنا بتخريج الأحاديث وإثبات أحكام العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَلَى
أحاديث غير الصحيحين.

سابعًا: قمنا بعمل فهرس للأعلام، وآخر للأحاديث والآثار بالإضافة إلى
فهرس الموضوعات.

نسأله سبحانه وتعالى أن يغفر للعلامة الشيخ عبد الرحمن الوكيل، وأن يرحمه،
وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأن
يجعل ذلك العمل في ميزان حسناته، وأن يتقبل منا عملنا هذا، وأن يجعله خالصًا
لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شكروا جب:

عملاً بقوله ﷺ: «من لم يشكر الناس لا يشكر الله».

فجزى الله الإخوة بمكتب عباد الرحمن للصف خير الجزاء على ما قاموا به
من جهد في إخراج هذا السفر المبارك، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

محمد بن عوض بن محمد بن عبد الغني المصري

غفر الله ولوالديه ولجميع المسلمين

نصر الإسكندرية

الثالث والعشرين من ذي القعدة عام ١٤٣١ هـ

ترجمة

الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ

* اسمه ومولده:

هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل، ولد في قرية زاوية البقلي، مركز الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر سنة ١٣٣٢هـ، الموافق الثالث والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩١٣م.

* نشأته وتعليمه:

نشأ الشيخ عبد الرحمن الوكيل نشأة علمية، فقد كان أهل القرى في ذاك الزمان مهتمين بتعليم أبنائهم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فحفظ القرآن في كُتَّاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا؛ فدرس فيه تسع سنوات حتى حصل على الثانوية الأزهرية.

كان والده رَحِمَهُ اللهُ من حملة كتاب الله، وشيخ البلد في زاوية البقلي، وقد حفظ ابنه الصبي عبد الرحمن (الموطأ) بجانب القرآن، وكان هذا من شروط الالتحاق بالمعهد الأحدي التابع للأزهر بطنطا.

تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر حاصلاً على الإجازة العالية بتفوق، ثم حصل على إجازة التدريس.

* وظائفه:

عمل الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول تخرجه مع وزارة المعارف المصرية؛ فعين مدرساً للدين بالمدارس الثانوية (التربية والتعليم).

انتدب للتدريس بالمملكة العربية السعودية في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

وفي الستينات انتقل إلى كلية أصول الدين مدرّسًا بها. شغل منصب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية فرع مصر القديمة، ثم اختير وكيلًا أولًا للجماعة بمصر، وقد كان أول اتصاله بجماعة أنصار السنة من خلال الأستاذة نعمت صدقي رحمها الله، صاحبة كتاب التبرج وغيره من الكتب النافعة والتي التقى عندها بالشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ وكانت بداية تعارفهما.

وفي ٢٣ صفر ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩/٨/٢٧ تم انتخابه نائبًا لرئيس الجماعة الثاني الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ فكان له خير معين.

وترأس تحرير مجلة الهدى النبوي، وكان يكتب التفسير بها حتى توقفت^(١). انتخب رئيسًا عامًا للجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بعد سفر رئيسها الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ إلى المملكة العربية السعودية، وذلك في ١٥ محرم ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠/٧/٩؛ فكان بذلك ثالث رئيس للجماعة بمصر. وانتخب نائبًا له الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ.

واستمر على رأس إدارة الجماعة إلى أن أدمجت في الجمعية الشرعية، بعدها انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وعمل أستاذًا للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى وفاته بمكة المكرمة رَحِمَهُ اللهُ.

(١) توقف رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير الآية (٥٤) من سورة مريم.

* مؤلفاته وتحقيقاته:

من أشهر مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الوكيل:

- ١- هذه هي الصوفية.
- ٢- البهائية: تاريخها، عقيدتها، وصلتها بالباطنية والصهيونية.
- ٣- دعوة الحق.
- ٤- الصفات الإلهية.
- ٥- صوفيات.
- ٦- زندقة الجيلي.
- ٧- الجيلي وكتابه الإنسان الكامل.
- ٨- من ضلالات الصوفية.
- ٩- سيد الخلق ﷺ بشر.
- ١٠- وسائل التوحيد.
- ١١- أثر التصوف في العقيدة - ينشر لأول مرة -.
- ١٢- نظرات في التصوف - ينشر لأول مرة -.
- ١٣- طواغيت.
- ١٤- الغزالي عند أهل السنة والجماعة - ينشر لأول مرة -.
- ١٥- مفتريات.
- ١٦- حول القاديانية - طبع من قبل وتبقى منه مقالات تنشر لأول مرة -.
- ١٧- تفسير القرآن: الكهف، مريم، الإسراء - ينشر لأول مرة -.
- ١٨- مجموع المقالات - ينشر لأول مرة -.
- ١٩- الصوفية وأثرها في العقيدة - ينشر لأول مرة -.
- ٢٠- تحذير المسلمين من اتباع سنن السابقين - ينشر لأول مرة -.
- ٢١- عبر وذكريات - ينشر لأول مرة -.

٢٢- لمحات عن جهاد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - ينشر لأول مرة -.

٢٣- ديوان أشعاره - ينشر لأول مرة -.

٢٤- الصفات الإلهية بين السلف والخلف.

٢٥- الشريعة الخالدة لا القوانين البائدة.

أما تحقيقاته وتعليقاته فهي على الكتب الآتية:

١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية.

٣- مصرع التصوف، لبرهان الدين البقاعي.

٤- ولاية الله والطريق إليها، لإبراهيم إبراهيم هلال (تقديم).

٥- التبرج للأستاذة نعمت صدقي رحمها الله (تقديم).

٦- صراع بين الحق والباطل، سعد صادق.

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان شاعرًا كثير الإنتاج في الشعر، وكان خطيبًا مفوهًا؛ فمن

أشعاره رَحِمَهُ اللهُ:

نحن الأئمة ديننا حق، ونحن به	أسمى الخلائق - مذ كان الوري' - دينا
سدنا به قبل ما في الأرض من أمم	بالحق والعدل نبنيه، فيبنينا
لم نبغ بالفتح تيجانًا، ولا نشبًا	ولا ممالك بالغلات تأتينا
ولا أناسي نبغيهم لنا ذلًا	لكن أردنا لدين الله تمكينًا
حتى رفعنا لواء الحق منتصرًا	على رفيع الذرى والله حامينا

دكت جحافلنا الطغيان، ما خشيت
 سل قيصر الروم، سل كسرى وعصيته
 وسل شعوبا لهم كانت مُسَخَّرَةٌ
 سلهم عن الفاتحين الغر ما صنعوا
 كانوا مشارق إيمان ومعرفة
 بما دعاهم إليه الله قد عملوا
 فأرسل النصر يحدهم بقدرته
 ساروا على كل أرض رحمة وهدي

زلازل البغي، أو منه براكيننا
 وسل جابرة كانوا شياطينا
 للجور يلطمهم بالبغي عاثينا
 للعدل كانوا على حب موازيننا
 ورحمة لم تذر للبؤس مسكينا
 مجاهدين على شوق، مصلينا
 فأصبحوا السادة الصيد الميامينا
 وفي سباق العلا كانوا المجلينا

* ثناء العلماء عليه:

قال العلامة محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة تحقيقه لكتاب نقض المنطق:

ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق عبد الرحمن الوكيل - وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية - عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة، وله بصر نافذ فيها، وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

قال الشيخ محمد علي عبد الرحيم رَحِمَهُ اللهُ الرئيس العام السابق لجماعة أنصار

السنة المحمدية في مقدمة كتاب دعوة الحق:

كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة، وجمال البلاغة، ووضوح المعنى، وسعة الاطلاع، وشرف الغاية، كما جمع علماً مصفىً من شوائب البدع والخرافات، وكان حسن اللغة، قليل اللحن، فصيح العبارة، له اجتهاداته

الواعية، وكان في ذلك نمطاً فريداً.

قال الشيخ محمد صادق عرنوس رَحِمَهُ اللهُ:

إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل، المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائياً في تشريح التصوف، والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليُمرَّض، ويكون سبباً في الشفاء.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه دروس في شرح نواقض الإسلام^(١):

«وغلاة الصوفية - وما أكثرهم اليوم - في كتبهم من الخرافات والأكاذيب الشيء الكثير، وقد رد عليهم أهل العلم وأبطلوا ترهاتهم وشبهاتهم، ومن أقوى مَنْ رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ورد عليهم جماعة من العلماء المعاصرين كعبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ، فله كتاب اسمه: «مصرع التصوف».

قال العلامة أحمد بن يحيى النجمي مفتي جنوب المملكة العربية السعودية سابقاً رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال: «وللشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقاً كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، اقتنيته قبل سنوات، ولما قرأته كتبت عليه هذه العبارة، وإني لأعدها من صالح عملي، وهذه هي العبارة: «رحمك الله يا عبد الرحمن، لقد سجلت حقاً في هذا الكتاب، وكشفت الستر المفتعل على

تلك الأصنام الجوفاء، التي كانت وما زالت بقاياها تقذف أخبث الكفر وأقذره وتزعم أنه عين التوحيد، وتضفي هالة من القداسة على قائله الضلال، معتقدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد، حتى بين الله أمرهم على يدك». اهـ.

وإني لأحث جميع طلاب العلم على اقتناء هذا الكتاب وقراءته واسم هذا الكتاب: (هذه هي الصوفية).

* وفاته:

قضى الشيخ عبد الرحمن الوكيل حياته - ولم تكن طويلة - الحافلة بالجهاد في سبيل دعوة التوحيد والتي ختمها إلى جوار البلد الأمين أستاذًا في كلية الشريعة بمكة المكرمة، ومدرسًا في المسجد الحرام إلى أن توفاه الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٩٧٠م، ودفن بمقابر المعلاة (الحجون) رحمه الله رحمة واسعة.

وقد ترك ثلاثة أبناء، ابتان وابن^(١).



(١) وهو الأخ ياسر الوكيل رَحِمَهُ اللهُ كان من دعاة أنصار السنة بآرك الله في ذريته.

الباب الأول

أثر التصوف في العقيدة

أثر التصوف في العقيدة^(١)

طلبت الرابطة الإسلامية إلى الأستاذ المحقق الشيخ عبد الرحمن الوكيل أن يلقي بدارها محاضرة بالعنوان السابق، فلبى الدعوة وألقى هذه المحاضرة مساء الأحد ٣٠ / ١٠ / ١٩٤٩، وكان لها أجمل الأثر في نفوس المستمعين الذين غضت بهم دارها، كما كان لها عين الأثر في نفوس أصحاب الدعوة، حيث جلا الأستاذ نواحي غامضة من هذا الأخطبوط الذي جثم على صدر الأمة الإسلامية من زمن طويل. نسأل الله أن يحسن خلاصها منه فتعود إلى دينها وعقلها، وما ذلك على الله بعزيز.

قال الأستاذ:

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

أيها السادة: محاضرتنا الليلة هي: (أثر التصوف في العقيدة) وفي عنوانها تسامح أو إطلاق، لو أردنا تقييده لقلنا: من أثر التصوف في العقيدة. هذا لأننا لن نستطيع في محاضرة واحدة استيعاب كل أثر للتصوف في العقيدة، فحسبنا أن نشعل في غياهب الليل ثقاباً ينير بعض معالم الطريق فيعين المدلج على الهداية والساري على بلوغ الغاية. ولعل فيما ساقوله أيها السادة ما يغضب فريقاً من أولئك الذين يتعشقون الصوفية تحت نقابها الزائف الساحر من الروحانية، ويفهمون أنها الحقيقة القدسية الإشرافية، تنهل من غيوبها الأزلية الروحية العليا للدين، وترف من معبدها الحالم

(١) مجلة الهدي النبوي (٢-٤/ ١٣٦٩هـ).

عطور الروح الأعظم، إذا النفوس نشاوى، وإذا الأرواح ترتل الأغاريد في محاريب الخلود، وإذا الحقيقة الكونية في وجوداتها المتباينة تصبح في ذاتيتها الحقيقة الإلهية.

فالصوفية عند عشاقها تجريد وتقويم، تجريد للبشرية من ماديتها حتى تصبح أغرودة الملائكة في رحاب العرض، وتقويم لكل معنى وجودي كائن بقيم الذات الإلهية. نعم سيغضب من يفهم هذا في الصوفية، ولكن من أجل معاني الغضب أيها السادة أن يكون متجردًا للحق، والله هو الحق، وكتابه حق، ورسوله حق، فواجب إذن أن نصطنع الجميل من الصبر، والخالص الدقيق من التفهم، والبصير النير من الوعي، والشاعر الملهم من الإدراك، لنعرف الحقيقة في قدسياتها ونقائها وإشعاعها الأسمى.

ونحن - والذي نفسي بيده - ما نهدف إلا لبيان حق رسم بأنه باطل، وتجليه إيمان موحد زعموه نزوة شرك، وزندقة ملحد.

نهدف إلى تجلية الحقيقة التي تستلهم هدى الله الحق، ونقتبس النور المشرق من كتابه الحق، وتشهد على صدقها سنة نبيه الحق.

فلندع التعصب الأسود الأرعن، ولنتجرد لحظات من أهواء النفس، ونزوات الحس، ولننظف عقولنا من عناكب التقليد الأحق، ولندع القلب لحب الله وحب رسوله، ولندع العقل والفكر يسمعان من سموات العلى بيان الله في كتابه.

لنفهم ونؤمن بالحق، فندافع عنه - لا بأضعف الإيمان - بل بأعزه وأقواه شكيمة، وشدة صبر، وقوة جلال.

وسأتجرد - والله ما وسعني - من هواي الذي قد ينزع بي إلى إغماضة العين عن النور، إن كان ثمت في غير دين الله الحق شعاع من النور.

سأتجرد من مشبوب الثورة، وعاصف الهوى، لأعرض عليكم أيها السادة

تلك الحقائق صافية إلا من الحق، نقية إلا من الصدق، ولنكن مع الله يكن الله معنا.

الكيد للإسلام:

من أجل نعم الله سبحانه - وكل شيء له نعمة - أنه أرسل إلى البشرية جمعاء خاتم الرسل^(١) والنبين محمدًا ﷺ بدين الإسلام ليظهره على الدين كله، فهو دين تتمثل فيه كل القيم الوجودية السامية لما تسمو به النفس من عقيدة وإيمان، ولما تشرق به الإنسانية المهذبة من نبل وأخلاق، ولما تزكو به النفوس من طهر وإشراق، ولما تحيى به القلوب من عواطف البر والرحمة والإيثار، ولما تتألق به العقول من معرفة وأفكار.

إنه دين يسلك البشرية في وحدة سامية القيم تؤكد وحدتان: وحدة العبودية، ووحدة الجنس في بدئه وغايته؛ فهو يفرض على البشر أن يتوجهوا بخالص العبودية وأصدق الحب إلى الله رب العالمين وحده، فيتوحد العالم كله في نطاق العبودية الحقة الخالصة لله الواحد، مستشعرًا في صبحه ومساءه سمو العز في ذل العبودية، وجمال القرب وصفائه في روحية السجود، وبوحي الدين إلى البشر جميعًا: راعيهم ورعيتهم، قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، عظيمهم وحقيرهم لأنهم لأدم، وآدم من تراب، فيتوحد العالم مرة أخرى في نطاق البشرية، ويستشعرون

(١) قصدنا من ذكر خاتم الرسل ردًا على البهائية الضالة، أو المجوسية المقنعة، أو بمعنى أدق الصوفية في اسمها الجديد، فهي تذكر أن الختم في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَزَالُ تَزِيدُ الْكَافِرِينَ﴾ منصب على النبوة فحسب لا على الرسالة، وهذه سفسطة تكون أمام الحق كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

حقيقة المساواة في الجنس والعبودية، في سجود الحياة يستلهم البشر معنى التوحيد وروح المساواة، على التراب الذي منه خلقوا، والله الخالق خرت هذه، فماذا يعون ويدركون من جليل المعاني، وأرفع القيم، وهذا هو التراب أصل الجنس البشري يسجد عليه السيد، وبجواره عبده الرقيق وفوقهم رب العالمين يبصر السيد ساجدًا، والعبد ساجدًا، وما للسيد عند الله غير ما لعبده، فالتقوى هي الفیصل، والإيمان هو المميز، أما القيم الوضعية في الحياة فلا تقوم الشخصية عند الله، فالله شرع الصلاة ليزكي حقيقة التوحيد في النفوس، ويوصل معناه في أعماق القلوب، فالصلاة يشرق منها على النفس دائمًا أن الله واحد، وأن الناس كلهم واحد في البشرية والعبودية، ويحدد للصلاة مواقيتها فرضًا واجبًا، ويعين لها قبلة واحدة، فهل نستطيع أن نفهم أن ذلك إحياء لنا بتوحيد الزمانية والمكانية؟!

فيكون رب واحد، وعالم واحد، وزمان واحد، ومكان واحد، وفي الزكاة والصوم حقيقة التوحيد والمساواة، وفي الحج هنالك في عرفات، ويا للمعنى القدسي الرفيع في عرفات!

نعم، هنالك حيث يتراءى الكون في بساطته الرائعة، وفي فطرته الأولى حيث لا زبرجة، ولا زيف فتون، ولا رقص حضارات زيفاء المعاني، وقد تجرد المسلمون من مفاتن الدنيا زينة وألقابًا، فيتعارف المسلمون معرفة المسلم للمسلم لا الوزير للخبير، ويعرف المسلمون ربهم كما يجب أن يعرف ويوصف ويعبد.

هنالك والكون في فطرته الأولى والبشرية في صبغتها الحققة النابعة من بشرية متساوية وعبودية واحدة: يدرك المسلم ويوقن بعظمة التوحيد، وحقيقة المساواة.

وقفوا على عرفات؛ لأنه يوحى بالمعرفة الحقة، التي يجب أن يعرفها المسلم، الله واحد، والبشرية واحدة، والكون: هذا الرب الفسيح النائي الآفاق، إنه للإنسان ليعبد الله فيه، وليزرع للخير، وليشيع في جوانبه الرحمة والسلام، لأنه أسلم وجهه لله. وهنالك حول بيت الله، تخنس كبرياء البشرية التي نزعتها من حقيقتها أو ضار التقاليد، وتتسامى الفضائل التي أراد الله أن تكون للبشرية سراجها في الوجود. ها هم بشياهم التي تجردت من شاراتها، ومما يدل على مقامات أصحابها، يطوفون حول البيت، ذلك البيت الذي قد من حجر، قد من الأرض نفسها التي ذرى منها الخلق.

ذلك البيت الصغير في بنائه، فلا مصاعد، ولا درج من الرخام، ولا حجاب تمنع الزحام، ولا طبق عن طبق فوق أطباق متعالية، فماذا يفهم المسلم؟ هذا هو بيت الله - والله أكبر - في صغره، وفي حجارته غير المزينة المزركشة، وكلهم حوله طائفون في ذلة وخشوع، فيعلو الفقير بنفسه لأنه عَبْدُ رَبِّ هذا البيت، ويخنس المتكبر المتعجرف حتى يعود إلى حقيقة إنسانيته الأولى التي تتساوى في جنسها مع عبده الرقيق، ويخنس وتنهار كبرياؤه إذ يرى بيت الله في هذه الصورة الجليلة، فيؤمن أن قصوره الشاخنة التي تناطح السحاب لم تعطه عند بيت الله إلا مثل ما أعطى الكوخ الحقير صاحبه الفقير.

بل هنا قد يفضله صاحب الكوخ، فإذا العبد وسيده مَنَكِبَ بجوار مَنَكِبَ، وَجَبْهَةً حِيَالِ جَبْهَةٍ، وحال تساوي حالًا، عبودية لله وحده، وبشرية كلها من تراب تعبد الله وحده.

وهكذا كل شيء في شريعة الإسلام إنما يفيض روح التوحيد، وتوثيق معنى

المساواة، وهكذا أيضًا كلما اعتصم البشر بالله الواحد؛ كانوا جماعة واحدة يسودها الحب ويرفرف عليها السلام؛ كانوا جماعة موحدة العقائد والمشاعر والأهداف، وكلما لاذوا بأرباب متفرقين تنازوا واختلفوا وتمزقوا مزقًا، وتفرقوا شيعًا كل شيعة تلعن الأخرى.

ولنبعث رائد الذكرى إلى الجماعة الإسلامية حيث كان ربها المعبود واحدًا هو الله رب العالمين، وحيث كان مصدرها في التشريع واحدًا هو كتاب الله والسنة النبوية المطهرة، ظلت هذه الجماعة في وحدتها وقوتها وظفرها، تثل عروش الطغاة، وتفتح بلاد الظلمة البغاة، حتى لم يمض قرن، إلا وقد رفرفت الراية الإسلامية على جبال البرنية غربًا، ووراء جدار الصين شرقًا في منعة وعزة وهداية وسماحة، وقد خضع لهم أكاسرة الفرس وقياصرة الروم، ولم يكن المسلمون إلا جماعة قليلة العدد لا تملك من الثروة إلا الإيوان بالله والثقة بوعده.

فانظر كيف تبدل الحال غير الحال، وكيف صار الإسلام الذي يزعمونه اليوم عقيدة الجماعة الإسلامية التي يزعمونها أيضًا.

أَبْقِيَتْ عقيدة المسلمين في ربهم ونبیهم كما يحب الله، وكما بين كتابه ورسوله؟
أَبْقِيَتْ الجماعة الإسلامية والدول الإسلامية كما كانت في عهد نبیه وعهد أصحابه؟

إخال أيها السادة: أننا لسنا بحاجة إلى هذا السؤال، فكل يعلم الجواب، وكل يجب أن ينفطر منه القلب، وتذهب نفسه حسرات.

لم يبق من المسلمين إلا جماعة تعتصم بالكتاب والسنة، أولئك الذين صدق فيهم قول رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم

من خالفهم حتى تقوم الساعة»^(١).

أما البقايا! أما الأدعياء الذين ينتسبون إلى الإسلام بشهادة الميلاد! فهم مَنْ صدق فيهم قول رب العالمين: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢).

ما للمسلمين صاروا اليوم في هوان ومذلة؟! وهم الذين من قبل ذل لهم الملوك؟ إنهم نسوا ربهم فَنَسِيَهُمْ، و﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

إن المسلمين تمجسوا وتهودوا وتنصروا، وما نحب أن يسلم غير المسلمين أكثر مما نحب أن يؤمن المسلمون.

إن المسلمين كاد لهم عدوهم حتى مكنوا الخنجر من إصابتهم في الصميم.

إنهم شربوا سُمًّا وهم يحسبونه عسلًا فيه شفاء لهم.

وإليكم أيها السادة قصة رهيبة من الكيد للإسلام:

قصة الكيد للإسلام:

لقد كان النصر الذي لقيه الإسلام منذ بدء الدعوة يؤرث الأحقاد في نفوس أعداء هذه الرسالة العالمية، فحوربت الدعوة، وحورب رسولها، من مشركي مكة، وكان الإفك المفترى أحد أسلحة هذه الحرب الشعواء، فلما قويت شوكته بالمدينة كان النفاق أمضى سلاح حورب به الإسلام ورسوله، ثم مات الرسول - ولكن الإسلام لم يمت - فنكص من نكص، وارتد من ارتد، غير أن أبا بكر أعلن

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، من حديث المغيرة بن

شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الإمارة، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقوع كثير من المسلمين في شرك القبور والطواف بالأضرحة.

كلمة الله وجعلها هي العليا بقدرة الله وسابق وعده، فسلم أو أسلم المرتدون طوعاً أو كرهاً، وأيقن من يكيدون للدين أن في العرين أسوداً، وأن في السويداء رجالاً، وأن دين الإسلام ليس دين شخص حتى يفنى بفنائه، أو يموت بموته، لم يكن الإسلام ديناً اخترعه محمد ﷺ، وإنما دين رب محمد ﷺ.

وجاء عمر؛ فثل عروش الأكاسرة، وأدال من ملك القياصرة، وأسلم من الفرس من أسلم، وادعى الإسلام منهم من ادعاه، وهنا تلتهب القلوب للدين أحقاداً، وتتلظى نقمة وبغضاء، ولم لا؟ فعمر العربي البدوي ما كان ملكاً ولا ابن ملك، ولا هو من سلالة الملوك، ولكنه - أي عمر بن الخطاب - بإيمانه بالله يطيح بعرش كسرى، ويفل غارب ملك الروم، فهل يشكن الفرس عباد الملوك أبناء الآلهة - كما يزعمون - على هذا البدوي ودينه؟

إن الإسلام في يسره وسماحته، وسمو شئائله لم ينزع من كل فارسي أمشاج مجوسيته، ولم يهدد من حمية العصبية الفارسية النزاعة إلى العبودية لكل ما هو فارسي، وما كانت عصبية الفرس قبلية كالعرب قبل محمد ﷺ، بل كانت عصبيتهم للأمة، إذا كان الفرس أمة، ودولة تحمي هذه الأمة، وظلوا هذه الدولة خانعين في ولاء ومحبة أحقاباً مترامية، وكلما كانت الأمة كذلك كانت عصبيتها للأمة أقوى وأشد من العصبية للقبيلة، وقد عز على هؤلاء الفرس أن يطيح أولئك البدو - الذين كان بعضهم يدين لهم بالطاعة - بمجد دولتهم، وأن يكونوا لهم سادة، بعد أن كانوا لهم تبعاً، فراحوا يعملون ما سنحت لهم الفرصة، وأمكنتهم الغرة على أن يعود لهم تاج الملك وصولجانه، وأن يزاولوا طقوس دينهم متأججة نيرانه، وكما يقول شوقي: «إن المصائب يجمعن المصائبنا» والأحقاد يجمعها

الغرض المشترك.

فقد تجمع أعداء الدين من كل صقع وملة، ويؤرث الفرس والسهود فيهم الحق والغيط، فكادوا لهذه الملة كثيرًا.

كانت نتيجة مقتل عمر عن مؤامرة دبرها الهرمزان الفارسي، وخب فيها كعب الأحبار اليهودي^(١) ووضع... وقتل عمر، ولكن ما قتل الإسلام بل بقي عزيز

(١) هو كعب بن ماع الحميري، أبو إسحاق، من آل ذي رعين، ويقال: من ذي الكلاع، ثم من بني مَيم اليمني، من مسلمة أهل الكتاب، فقد كان على الديانة اليهودية، وأدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم بعد وفاته.

واختلف في زمن إسلامه: فقال الحافظ جمال الدين المزي في تهذيب الكمال: (أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ويقال: في خلافة عمر بن الخطاب)، وذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: أنه قدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية، وعجائبها، ويأخذ السنن عن الصحابة، ورجّح الحافظ ابن حجر في الإصابة أن إسلامه كان في خلافة عمر.

حدّث عن: عمر، وصهيب، وغير واحد، وحدّث عنه من الصحابة: أبو هريرة، ومعاوية، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وخريم بن فاتك، ومعاذ بن أنس، وهذا من قبيل رواية الصحابي عن التابعي، والذي وصفه الذهبي بأنه نادر عزيز.

وسأل العباس بن عبد المطلب كعبًا: ما منعك أن تُسلم على عهد النبي ﷺ، وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إنَّ أبي كتب لي كتابًا من التوراة ودفعه إليّ، وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد على ولده ألا أفض

الجانب، صعب المراس، مستقيم النهج، وإن كان قد فُتِحَ للشيطان باب يقذف منه بالفتن الشعواء في الجماعة الإسلامية.

وَبُلَّ غليل الفرس قليلاً، ونهه من سورتهم مقتل عمر، وما نتج عنه من فتن،

الخاتم، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأساً، قالت لي نفسي: لعل أباك غَيَّبَ عنك علماً كتمك فلو قرأته. ففضضت الخاتم، فقرأته، فوجدت فيه صفة محمد ﷺ وأمته، فجئت الآن مسلماً.

وسمي بـ (كعب الأخبار)، أو (كعب الخبر) لكثرة علمه.

وفي تاريخ دمشق أن ابن سيرين كره أن يقول: (كعب الأخبار)، ولكن (كعب المسلم)، وذلك باعتبار أن لفظة (الأخبار) وصف ينصرف إلى علماء اليهود، ك (الرهبان) وصف ينصرف لعلماء النصارى، فلذا كره ذلك.

وسكن بالشام بأخرة، وكان يغزو مع الصحابة، كمعاوية بن أبي سفيان وأبي الدرداء، وشداد بن أوس، والمقداد بن الأسود لدى غزوهم قبرص.

وتوفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٣٢ للهجرة، أو ٣٣، أو ٣٤، وعلى الأول الأكثر كما قال السخاوي. وقد بلغ مئة سنة وأربع سنين.

[حلية الأولياء) لأبي نعيم (٣٦٤ / ٥)، (تهذيب الأسماء واللغات) للنووي (٢ / ٦٨، ٦٩)، (تاريخ دمشق) لابن عساكر (١٥١ - ١٧٦)، (تهذيب الكمال) للمزي (٢٤ / ١٨٩ - ١٩٣)، (سير أعلام النبلاء) (٣ / ٤٨٩ - ٤٩٤)، (تذكرة الحفاظ) للذهبي (١ / ٤٩)، الطبعة الهندية، ولمزيد فائدة راجع رسالة مسلمو أهل الكتاب من اليهود في صدر الإسلام الأول والطعون التي وجهت إليهم: (عبد الله بن سلام، وكعب الأخبار نموذجان) د/ محمد بن علي بن صالح الغامدي]. (ض).

وصاروا يتحينون الفرصة المواتية، ولكنهم وجدوا الجماعة الإسلامية ما تزال قوية الشوكة، كلما تصدعت رأب القرآن صدعها فاندسوا إذن وسط هذه الجماعة، يصدعونها، ويوسعون الخرق في سفيتها على اليم الثائر، فتشيع كثير منهم زورًا وبهتانًا لآل البيت، لأن للحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيهم رحمًا، ووجدوا من اليهودي الحاقد الموتور عبد الله بن سبإ، الملقب بابن السوداء شيطانًا يقودهم بالتدبير الماكر، والحيلة الخلوب، وما كان الدفاع عن النبي ﷺ أو علي أو بنيه لهم غاية، وإنما كان هدم الدولة الإسلامية، وتمزيق أوصالها، هو غايتهم المقصودة، وأمنيتهم المبتغاة.

فلما قامت الدولة الأموية، وكانت عربية في كل مقوماتها وغاياتها، أفرطت في تعصبها للعرب، وعبرت عن غير العرب بكلمة «الموالي»، وكان لهذه الدولة يقظة الأسد يخشى من الذئاب على عرينه، فبطشت بكل من بدرت منه أية بادرة للتنكر لهذه الدولة أو النيل منها، وخادع الفرس الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فخدع بهم، فقتل، وإني لأقولها: ما قتله غير الفرس، الذين وجدوها فرصة، وأقاموا مآتمًا على مر السنين استثاروا به العواطف، ووقعوا على أوتار القلوب الوهلى لحناً دامي الشجون، غير أن الأمويين صمدوا لهذه العواطف المتأججة، وهذه المشاعر الفائرة، فخنس الفرس في خفاء وتكتم، وهبوا يكيدون للدولة الأموية تحت دعوى التشيع، ودعوى الأخذ بثأر الحسين، وساعدهم على ذلك استكانة الخلفاء من بني أمية في أواخر أيامهم، واستنامتهم.

فوهى سلطان الأمويين، وتضرمت النار، وزادها الفرس ضرامًا، فإذا الفارسي أبو مسلم الخراساني يطيح بعرش الأمويين، وإذا به يقيم على أسنة

الرماح، وغوارب السيوف هذه الدولة العباسية.

غير أن قيام هذه الدولة لم ينقع لهم غلة، ولم يبل أوامًا، إذ كان الفرس يريدونها حكومة فارسية الجنان واللسان والسلطان، فراحوا مرة أخرى يأتمرون بالدولة التي أقاموها، بل بدأ ذلك التآمر ولم يستقر الملك - إلا قليلًا - للعباسيين، وتنبه كثير من خلفاء العباسيين لهم فنكلوا بهم.

فقتل منهم أبو عبد الله السفاح من قتل، وقتل منهم المهدي من قتل، وفكك هارون بالبرامكة الذين يقول عنهم أحد الشعراء:

إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمك

ولما لم يغنهم فتيلًا كيدهم المستمر للدولة، وعجزوا عن مقاومتها بالسيف، تجمعت قواهم للكيد للإسلام، وليس معنى ذلك أنهم لم يكيدوا للدين قبل ذلك، بل معناه إنهم ركزوا جهودهم في هذه الناحية، بعد أن كانت موزعة على الكيد للدولة وللإسلام.

تجمعوا إذن للكيد للإسلام، إذ هو الأس المتين، والركن الركين، والعماد القوي الذي ترتكز عليه الدولة، والجماعة الإسلامية.

وفي تاريخ الثورات الدينية أو السياسية لا يستطيع المؤرخ أن يحكم متى بدأت، فلكل ثورة عناصر تتجمع في القلوب، ثم تكون خطة يحكيها اللسان، ثم يعقب ذلك التنفيذ، غير أن المؤرخ يستطيع أن يحكم متى ظهرت سافرة.

ونحن لهذا نقول: إن الكيد للإسلام اشتد أواره في العصر العباسي، وإن كان في القلوب له مكان قبل ذلك.

ذهب الفرس ومن شايهم من الذين وترهم الإسلام يثون في الأفكار

تعاليمهم الدينية الفاسدة في ختل ودهاء، ويشككون في الدين بما يثرونه من جدل وسفسطة حول المتشابه من آي القرآن، وروائع السنة، ويصورون معاني الآيات بما ورثوه من مجوسية وسواها، فيقولون مثلاً عن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: إن الوجود له إله اسمه إله النور.

وهذا كما كان في المانوية، ويقولون عن الشيطان: إنه إله الظلمة، لأنه مصدر الشر. كما في المانوية تماماً.

فقد وصف القرآن الله بأنه النور، ومصدر الخير والبركة، ووصف الشيطان بأنه مصدر الشر كله، وهكذا يصورون، وهكذا يكيدون.

وكل مسلم لم يخلص إسلامه من ميراث العقيدة التي يعتنقها، وكل إنسان ادعى الإسلام ولم يظهر من الريب قلبه، فإنها يصور الدين الجديد حسب ما كان يفهم ويتعبد به من قبل، ولهذا افتتن بالفرس من افتتن، وهوى إلى حضيضهم من هوى، وقد ساعدهم على ذلك أسباب منها:

فتور في حرارة الإيمان، عجمة في الفكر واللسان، بعد عن السنن والقرآن. فالؤمن إذا فترت حرارة إيمانه استعبدته وسوسة شيطانه، وقَبِلَ الشك على أنه طمأنينة اليقين، وأمسى من السهل على كل مؤثر خارجي، سواء أكان مادياً أو معنوياً أن ينتزعه من حقيقة إيمانه الأول، ويضع له على المحراب صورة الهيكل أو البيعة، وعلى المسجد صور الكنيسة أو المعبد، فيرد على أعقابها كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، وإذا استعجم المسلم في فكره ولسانه لم يفهم القرآن العربي المبين، ولم يَعرِ مقاصده، ولم يتبين غاياته، بل تصوره له عجمة التفكير واللسان في صور شتى، ومعان متباينة فيها كل شيء إلا حقيقة القرآن وبيان السنة، وإذا انحرف

المسلم عن كتاب ربه وسنة نبه قيد أنملة اجتالته الشياطين فكان من الغاوين. وشاعت في الدولة الزندقة والريب والبدع، ويصور لنا أحمد بك أمين^(١) هذا بقوله: «وكان من الطبيعي أن يكون في هذا العصر زنادقة دعاهم إلى الزندقة دواع مختلفة: فقوم دعاهم إليها دين ألفوه قديماً، وهو دين المجوسية، وكان لهم عادات وتقاليد أخذها الخلف من السلف، ولكنهم رأوا جاهاً عريضاً، ومناصب عزيزة لا يستطيعون الوصول إليها إلا أن يسلموا، فأسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، واتخذوا الإسلام ثياباً ظاهرية، يخلعونها إذا دخلوا إلى أهلهم، وهم إذا أمكنتهم الفرصة كادوا للإسلام والعرب والمذاهب الدينية»^(٢). وكان من ألد أعداء الإسلام حينئذ مكرراً وخديعة ونفاقاً هم الفرس المانويون^(٣)،

(١) ولد أحمد أمين سنة ١٨٨٦ بالقاهرة، والتحق بالمدرسة الابتدائية ثم الأزهر، ثم بمدرسة القضاء الشرعي التي تخرج منها، ثم عين مدرساً أستاذاً بكلية الآداب بالجامعة المصرية، ثم عميداً لها.

كما عين بعد ذلك مستشاراً للثقافة، فمستشاراً لوزارة التربية والتعليم، وساهم في إنشاء مجلتي: «الرسالة»، و«الثقافة».

له العديد من المؤلفات، منها: «فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام»، و«ظهر الإسلام». توفي سنة ١٩٥٤. (ض).

(٢) ضحى الإسلام ط (٤)، (ح ١ / ص ١٦١).

(٣) نسبة إلى ماني بن ماني ولد ببابل سنة ٢١٥، أو سنة ٢١٦ م وقد ظهر في زمان سابور بن آدشير، ثم ألف ديناً ادعاه فآمن به هرمرز فكان سبباً في اتباع الكثير له، ولما جاء بهرام لم يطب نفساً بتعاليم ماني، وخشي إن هي أصبحت عقيدة الفرس عامة أن تقوض أركان

ولهذا يذكر الطبري (١٠ / ٤٢) أن الخليفة المهدي وصى ابنه الهادي هذه الوصية: «يا

دولته بل العالم كله لما في تعاليم ماني من ضعف ويأس وتشاؤم ودعوة إلى إبادة النوع الإنساني كله، وتلك تعاليم بالغة الخطورة على دولة قوية عزيزة الجانب قوية الشوكة؛ فدبر بهرام مؤامرة لقتله فدعاه إليه وأوحى إليه الموبدان - قاضي القضاة - بمناظرته، ف قيل له: أنت القائل بتحريم النكاح حتى يبيد النسل ويبيد العالم فيعود إلى علته الأولى؟ فأجاب: نعم، إذ يجب أن يعان النور على خلاصه من امتزاجه بغيره، ولن يكون هذا إلا بقطع النسل. فقال الموبدان: أرى أن يعجل لك الخلاص، لأننا من أنصارك ونحب أن تكون قدوتنا. فبده ماني ثم أمر بهرام فقتل هو وجماعة من أصحابه، ولكن توارث آخرون الإمامة من بعده وجعلوا بابل ومن بعدها سمرقند مستقرًا للإمامة، وظلوا يغالبون حتى قوي النفوذ الفارسي في الأمة الإسلامية فاستعلنوا بدعوتهم في الدولة العباسية؛ فانتشرت في أوروبا حتى فرنسا الجنوبية على يد الرومان الذين نزحوا من فارس إلى أوروبا حتى عمت أجزاء الإمبراطورية الرومانية، ويقال: إن سانت أوغسطين كان مانويًا قبل اعتناقه للنصرانية، وديانة ماني ديانة ثنوية مادية، تزعم أن العالم له إلهان: إله النور، وإله الظلمة، وللنور أبدان هي: النار والنور والريح والماء، وله روح واحدة هي: النسيم، والأرواح الإنسانية أجزاء من روح إله النور. أما إله الظلمة فله أبدان أربعة: الحريق والظلمة والضباب والسموم، وله روح واحدة هي: الدخان. غير أن ماني أضاف صفة الخلق إلى النور، ولكنه ليس كالخلق المفهوم، بل هو امتزاج، وكان عنده صلوات أربع في اليوم أو اثنتا عشرة سجدة، وصيام قدره: سبعة أيام من كل شهر، ونهى عن الزواج لبيد العالم فيتخلص النور من الظلام. هذا ملخص بسيط لماني ومانويته التي كان لها أثر كبير في عقائد الكثير من الصوفية.

بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة - يريد المانويين - فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، ثم تخرجها من هذا إلى عبادة اثنين: أحدهما النور، والآخر الظلمة، ثم تتيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم إلى هداية النور، فارقع فيها الخشب، وجرّد فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له».

فتأملوا أيها السادة كيف كان الكيد، وكيف كانت الخديعة المقنعة بالفضائل في ذلك الكيد، وما زال الصوفية من الدراويش يأبون قتل الهوام أيضًا يعتبرونها حملة إلهية جردها لتأكل رزقها من لحوم الدراويش - وتعالى الله رب العالمين -، وكان الفاجر العفيف التلمساني يبيح نكاح الأخوات والأمهات والبنات، فهل يتأمل المؤمن الرشيد فيفر إلى الله من هذه العقائد الزائفة الزائغة؟

وهل يغفل المسلمون عن تلك الثورة الدامية التي أضرمها المقتنع الخراساني^(١)

(١) قال ابن خلكان: المقتنع الخراساني قيل: اسمه عطاء. وقيل: حكيم. والأول أشهر، وكان أولاً قصاراً، ثم ادعى الربوبية، مع أنه كان أعور قبيح المنظر، وكان يتخذ له وجهًا من ذهب، واتبعه على جهالته خلق كثير من الجهلة، وكان يري الناس قمراً يرى من مسيرة شهرين، ثم يغيب، فعظم اعتقادهم فيه، ومنعوه بالسلاح، وكان يزعم - لعنه الله، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - أن الله ظهر في صورة آدم، ولهذا سجدت له الملائكة، ثم في نوح، ثم في الأنبياء واحداً واحداً، ثم تحول إلى أبي مسلم الخراساني، ثم تحول إليه، ولما حاصره المسلمون في قلعة التي كان جردها بناحية كش مما وراء النهر، ويقال لها: سنام. سقى نساءه وأهله سمّاً، وتحسّى هو أيضاً منه، فماتوا كلهم - لعنهم الله =

- وهو من قرية مرو - في عهد المهدي، مدعيًا أنه يحيي الموتى ويعلم الغيب، وأنه أحد التجسّدات التي تتجسدها الروح القدس على أدوار متكررة، وأنه صورة من الصور التي تجلت فيها الروح القدس في آدم وجميع الأنبياء، أو كما يقول البغدادي: كان يزعم أنه الإله تصور في كل زمان بصورة مخصوصة^(١).

كذلك يقول المناوي في كتابه الكواكب الدرية: إن من كرامات الأولياء إحياء الميت. وكذلك يقول ابن عربي في كتابه الفصوص: إن الله يظهر في صور متعاقبة فهو: أبو السعود الجارحي، وهو عجل بني إسرائيل. وكذلك تقول البهائية! ولا ننسى أنهم فرس!

وهل ينسى المسلمون تلك الثورة الرهيبة التي أثارها حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح في أيام المأمون.

وهم واضعو المذهب الباطني أو بمعنّى آخر: الإسماعيلية في الهند، الفاطمية في مصر، وقد انتشر هذا المذهب في زمن المعتصم وقويت شوكتهم جدًّا، ومن هؤلاء سعيد الجنابي الذي دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا وكان يقول:

أنا الله، وبالله أنا يخلق الخلق، وأفنيهم أنا

أجمعين - واستحوذ المسلمون على حواصله وأمواله كلها سنة ١٦٣ هـ [البداية والنهاية: (١٣ / ٥١٩، ٥٢٠)]. (ض).

(١) انظر كتاب مختصر الفرق بين الفرق، ص (١٣٦)، وكتاب تاريخ الحاكم بأمر الله، للأستاذ عنان ص (٧٥)، وكتاب التراث اليوناني للدكتور عبد الرحمن بدوي ص (٢٣٦).

وينسب عبد القاهر البغدادي هذا العمل إلى سليمان بن الحسن فيقول عنه: (وتعرض للحجاج وأسرف في القتل منهم، ثم دخل مكة وقتل من كان في الطواف، وأغار على أستار الكعبة وطرح الجيف في بئر زمزم. وضرب واحد منهم الحجر الأسود، وقال: كم تعبد في الأرض وآل محمد لا يظهرون؟

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل مكة أيضًا وقتل الطائفين حول البيت، وقيل: إنه قتل ثلاثة آلاف، وأخذ منها سبعمئة بكر، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى البحرين^(١).

ولئن كان الحنادي والبغدادي اختلفا في اسم من فعل ذلك إلا أنها اتفقا على الوقائع وتحديد تاريخها، بل وكيفيتها، ونحن في بحثنا لا يهمنا غير ذلك.

ومنهم عبيد الله بن الحسين القيرواني جد ملوك الدولة العبيدية بمصر، وقد كتب رسالة إلى سليمان بن الحسن القرمطي الذي اقتلع الحجر الأسود سنة ٣١٧ هـ، يقول له فيها: أوصيك بتشكيك الناس في التوراة والإنجيل والقرآن، فإنه أعظم عون لك على القول بقدوم العالم، وأوصيت لك بأن تعرف مخاريق الأنبياء والأمور التي ناقضوا فيها، كما قال عيسى لليهود: أنا لا أرفع شيئاً من شريعتكم، ولا أنسخ، ثم رفع السبت ووضع بدله الأحد، وغير قبلة موسى، فلما عثر اليهود منه على هذه المناقضة قتلوه، وينبغي أن لا تكون كصاحب الأمة المنكوسة لما سألوه عن الروح لم يدر ما يقول فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

(١) ص (١٧٦) من كتاب مختصر الفرق بين الفرق، بتحقيق فيليب حتي.

رَبِّ ﴿وَهُمْ قَبِلُوا مِنْهُ ذَلِكَ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ كَمُوسَىٰ ادْعَىٰ مَا ادْعَاهُ، وَلَمْ يَكُن لَهُ بَرَهَانٌ سِوَىٰ الْمَخْرَقَةِ وَحِيلِ الشَّعْبَةِ، وَذَلِكَ الْمُحِقُّ فِي زَمَانِهِ قَالَ: ﴿فَحَسَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ ثُمَّ قَالَ: (وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا فِي دِينِهِمْ: أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ تَكُونُ لَهُ ابْنَةٌ حَسَنَاءٌ يَحْرِمُهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَيَبِيحُهَا لِلْأَجْنَبِيِّ، وَلَوْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ لَعَلِمَ أَنَّهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنَ الرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ خَدَعَهُمْ رَجُلٌ بِشَيْءٍ لَا يَكُونُ أَبَدًا، خَوْفُهُمْ بِالْقِيَامَةِ وَالنَّارِ، وَمَنَاهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَاسْتَعْبَدَهُمْ لِهَذَا السَّبَبِ، فَكَيْفَ لَمْ يَخَفْ فِي نَفْسِهِ مِمَّا خَوْفُهُمْ بِهِ حِينَ اسْتَعْبَدَهُمْ فِي الْعَاجِلِ وَلَمْ يِيَّالْ بِهِ»^(١).

أَرَأَيْتَ، أَنْ يَقُولَ عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ مُحَقٌّ فِي قَوْلِهِ، وَعَنْ مُوسَىٰ أَنَّهُ مَخْرُوقٌ وَمَشْعُودٌ؟ كَذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ عَرَبِيٍّ فِي الْفُصُوصِ عَنْ فِرْعَوْنَ! ثُمَّ اسْتَمَعَ إِلَىٰ أَيِّ حَدٍّ وَصَلَتْ الْإِبَاحِيَّةُ حَيْثُ يَقُولُ أَحَدُ شُعَرَاءِ الْبَاطِنِيَّةِ:

خَذِي الدِّفْ يَا هَذِهِ وَاضْرِبِي	وَعَنِي هَزَارِيكَ ثُمَّ اطْرِبِي
تَوَلَّى نَبِيَّ بَنِي هَاشِمٍ	وَهَذَا نَبِيَّ بَنِي يَعْرَبٍ
لِكُلِّ نَبِيٍّ مَضَىٰ شَرْعَةٌ	وَهَذِي شَرَائِعُ هَذَا النَّبِيِّ
فَقَدْ حَطَّ عَنْهُ فَرُوضُ الصَّلَاةِ	وَحَطَّ الصِّيَامُ وَلَمْ يَتَعَبْ
إِذَا النَّاسُ صَلُّوا فَلَا تَنْهَضِي	وَإِنْ صَامُوا فَكُلِّي وَاشْرِبِي
وَلَا تَطْلُبِي السَّعْيَ عِنْدَ الصَّفَا	وَلَا زُورَةَ الْقَبْرِ فِي يَثْرِبِ

(١) ص (٨٥) من كتاب التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني نشر عزت العطار، ص (١٧٩) من كتاب مختصر الفرق بين الفرق، نشر وتحقيق فيليب حتي.

ولا تمنعي نفسك المعرسين من أقربي ومن أجنبي
فكيف أبحت لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن حاطه ورواه في الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء حلاًلاً فقدست من مذهب^(١)

أرأيت العريضة الصارخة الشهوات، والفجور العارم النزوات؟ وهل ترى شيئاً قوياً بين هذا وبين ما يقوله الصوفية من رفع التكاليف؟
ويقول البغدادي عن هذه الطائفة: «ثم إن الباطنية احتالت لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة وإلى مثل أحكام المجوس، فأباحوا لأتباعهم نكاح الأمهات والأخوات وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات، حتى إن الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين سن لأتباعه اللواط»^(٢).

ثم ألا ترى شيئاً قوياً بين تأويل الباطنية وتأويل الصوفية؟
أترى إلى إباحة ما يفعل قوم لوط أنه يشبه ما يفعله كثير من الصوفية، حتى لقد عد الشعراfi تلك الجريمة الشنعاء من كرامات سيده أبي جودة؟! فكيف كان يتحايل هؤلاء الباطنية على تأويل الشرائع، وعلى خداع البسطاء من الجماعة الإسلامية وأحياناً ذوي السلطان؟

اسمع إلى أبي المظفر الإسفرايني يقول في كتابه التبصير ص (٨٦): «واعلم أن أول ما يحتال به هؤلاء على السلاطين والعوام الذين لا خبرة لهم في العلوم

(١) ص (٣١) من كتاب كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادي.

(٢) المرجع السابق ص (١٧٥).

تقبيحهم العلماء في أعين العوام يقولون للواحد منهم: إن علماءكم لا يعرفون شيئاً، ولو شئتم تجربتموهم وعرفتم من حالهم ما يقولون، سلوهم لم وجب الغسل للوجه في الوضوء، والحدث خرج من موضع آخر؟

وأي حكمة وأي عاقل يستحسن هذا؟ ولم وجب غسل جميع البدن من قطرة مني خرجت منه ولم يجب على كثير من الحدث والبول يخرج منه إلا غسل أعضاء من البدن؟ قالوا: وهذا بالعكس أولى.

واسألوهم لِمَ كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة الصبح ركعتين كل واحد منهما في طرف من طرفي النهار؟ ولم كان الركوع واحداً والسجود اثنين؟

ولم لم يقطع فرج الزاني وتقطع يد السارق؟ وهما جميعاً آلة خيانة؟

واسألوهم لم كان اللسان واحداً، والأذن اثنين؟ والذكر واحداً والخصية اثنين، ولم كانت الأهداب ثابتة على جفن الإنسان؟ وإذا ظفروا بواحد من السلاطين والمحاسبين قالوا له: وضعت هذه الشريعة للحمير والعوام وأنتم من جملة الخواص، ينبغي أن يكون لدينك خاصية تخالف دينهم.

ويقولون: إن النبي لم يكن نبياً ولا رسولاً، ولكنه كان حكيماً أراد أن يستعبد العوام فكلفهم هذه التكاليف، ولا بد للخواص أن يتميزوا عنهم ولا ينقادوا لشيء لا أصل له.

أرأيت أيها المسلم إلى هؤلاء الذين بنوا الأزهر، وحكموا مصر باسم فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي منهم بريئة وسموا أنفسهم مسلمين؟

ويقول عنهم بعض المؤرخين - بل بعض الذين ما يزال في قلوبهم حب المجوسية والعبودية لغير الله -: إنهم كانوا أجل من حكم مصر ونشر فيها روحية

الإسلام، وحققوا للدولة الإسلامية عظمتها الذاتية في عهدهم!. وما يزال يدرس عهدهم في الأزهر ومدارس الحكومة وبعض المجالات الإسلامية على أنه يمثل الحقبة الزاهرة من الإسلام.

ها نحن نقلنا الأدلة القطعية على مجوسية هؤلاء الفاطميين وسواهم ممن مهدوا لهم من القرامطة، وها نحن ننقل مرة أخرى عن رجل دخل فيهم وعاش معهم مدة من الزمن ليعرف حقائقهم، ثم خرج يذكر ما خفي من أمرهم ذلك الرجل هو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي.

يقول ذلك الملك المحقق عن بيعة وثقة وعلم مبيناً مكائدهم وخداعهم للمسلمين: «فأول ما أشهد به وأشرحه وأبينه للمسلمين وأوضحه أن له^(١) نواباً يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم المكليين تشبيهاً لهم بكلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل وينقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل بكلمة حق يراد بها باطل، يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه، فيقيم أكثر من سنة يمنعون به وينظرون صبره ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والإقبال والإعجاب بجميع ما يعلمونه والانقياد بما يأمرونه، قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظاهر، وتابّر القرآن ورموزه واعرف مثله ومثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة،

(١) يقصد رجلاً من الباطنية اسمه (الصليحي).

وما روي عن النبي ﷺ بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك بالعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها وقف على باطنها ومعانيها فإن العمل بغير علم لا يتنفع به صاحبه. فيقول: عم أسأل؟

فيقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لهما باطن؛ لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن، يدل على ذلك: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، و﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم.

والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على ولاية محمد وعليٍّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنهما سبعة أحرف، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعليٍّ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة، فيوهمون على من لا يعرفه لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبي ﷺ، فيضع هذا من المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة؛ لأنه مذهب الراحة والإباحة، يريحهم مما تلزمهم الشرائع به من طاعة الله، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا، قالوا له: قرب قرباناً» هذا نص الحمادي، ثم يزعم له الداعي كما ذكر الحمادي.

ولنلخصه نحن بتفسير الصوم بكتمان الأئمة، لأن الله يقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] فالصوم معناه الكتمان.
 فمعنى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] هو: من شهد منكم الإمام فليكنتم أمره!

ومعنى الطهارة من الحدث هي طهارة القلب فحسب، ويفسرون الجنة بأنها في الدنيا بمعنى تناول كل زينة، وتناول كل امرأة، وهتك كل ممنة العرض^(١).
 وسنذكر بعضاً من تأويلات الصوفية - أو الباطنية إن شئت، أو البهائية إن أردت، فهي تظهر في كل عصر باسم خاص - ما تراه قريباً جداً مما نقلناه، بل هو هو لأن المستنقع المتن الذي يستمدون منه واحد، وما هذه الفرق التي نشأت في الدولة الإسلامية إلا معاول كانت غايتها هدم الإسلام ودولته.

ومن عجب أن نرى أكثر هذه الفرق يتزعمها فرس، ومن عجب نرى كل فرقة تزعم أن زعيمها حلت فيه روح الله، حتى أصحاب أبي مسلم الخراساني، وانظر في ذلك كتب الفرق، مثل: الملل والنحل، والفرق بين الفرق، وكتاب التبصير، ففيها ما يروع كل مسلم، وفيها ما يثبت أن الصوفية امتداد لهذه الفرق التي نشأت في الجماعة الإسلامية متحالفة على الكيد له.

وإني لأنادي بالصوت مدوياً عالياً غير هباب ولا وجل أن الصوفية هي الباطنية التي نشأت لتكيد للإسلام في سماحته ويسره، ونبل سجاياه وحسن إكرامه لهؤلاء المجرمين.

(١) ص (١٣، ١٤، ١٥) من كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادي.

إن الإسلام ألقى ظلال رعايته الوريقة على أولئك الباطنية، فاستغلوا كرم أهله، أو استغلوا نوم أهله عنه، وراحوا يثيرون الفتن دامية ملتعبة الأحقاد فوارة الضغن لهذا الدين وأهله، فإذا بهم يضمون إليهم أهل هذا الدين ممن ولدوا من آباء مسلمين يكيدون معهم للدين، بل يقودون ثورة هؤلاء على الدين فنجد أسماء إسلامية، وقلوبًا مجوسية، وأفكارًا مانوية، وعقائد وثنية.

ولقد خدع بهذه الأسماء الإسلامية الطنانة كثير ممن يرون هؤلاء حجاج الإسلام أو المحيين للإسلام.

بل لقد أسفر هذا الكيد عن وجهه الكالـح إلى درجة أن يقول المتوكلي: وكان من ندماء المتوكل مفتخرًا بفارسيته متوعدًا العرب بسلب الملك منهم:

أنا ابن الأكارم من نسل جم ^(١)	وحائز إرث ملوك العجم
ومحي الذي باد من عزهم	وعفى عليه طوال القسـم
وطالب أوتارهم جهرة	فمن نام عن حقهم لم أنم
معي علم الكايبان ^(٢) الذي	به أرتجي أن أسود الأمم
فقل لبني هاشم أجمعين	هلموا إلى الخلع قبل الندم
ملكناكم عنوة بالرماح	طعنا وضربًا، بسيف خذم
وأولاكم الملك آبائنا	فما إن وفيتم بشكر النعم
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز	لأكل الضباب، ورعي الغنـم

(١) يريد بجم جمشيد ملك الفرس. (٢) نسبة إلى كابة وهو حداد فارسي رفع علم الثورة.

فإني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام، وحرف القلم^(١)

بل إن البرامكة وهم سادة الدولة العباسية في عهد الرشيد - يذكر عنهم ابن النديم أنهم كانوا زنادقة وبالتالي يكونون ممن يكيد للإسلام، فيقول في الفهرست ص (٤٧٣): «قيل إن البرامكة بأسرها كانت زنادقة إلا محمد بن خالد بن برمك». وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقاً، واعترف بذلك فقتله المهدي، ولقد ذكر الأصمعي عن البرامكة:

إذ ذكر الشرك في مجلس أعضاء وجوه بني برمك
وإن تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدك

وغير بعيد عن الأذهان فتك الرشيد بهم. والأفشين قائد قواد جيوش المعتصم كان مانوياً زنديقاً.

ويقول عنه بشار:

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري

بل كان من العرب الهاشميين ممن ترندق تأثراً بمبدا الفرس.

وما بعجيب ذلك فتلك سنة واقعة دائماً، فالآن ترى البهائي يزعم أنه مسلم. ويصلي ويسلم على رسول الله، وفي طوايا نفسه ما يبغض إنساناً كما يبغض محمداً ﷺ.

فهذا المسلم الذي زندقته البهائية ومالت به عن دينه القويم يكون أشد خطراً على الدين من غيره، كذلك كان الفرس يسمعون بالمسلمين من عرب وغيرهم،

(١) نقل هذه الآيات أحمد أمين بك عن معجم الأدباء ص (٦٧) في كتابه ضحى الإسلام ح (١)

وبهذا أفلح الفرس فمزقوا المسلمين شر ممزق، ذلكم عرض سريع لقصة الكيد للإسلام الذي قدم الخير فجوزي بالشر وأرادها سلمًا، فاصطلاها حربًا، وبث القوة والعزة في أهله فأبوا إلا أن يكونوا ضعفاء أذلة، إن الإسلام في سمو عقيدته وصفاء روحانيته، وتألق معانيه بالحق والهدى والرحمة صارعته الوثنيات، ومن عجب أن يستنصر الإسلام بأهله فيأبى أغلبهم إلا أن يخذلوه، ليس هذا فحسب، بل تراهم ضالعين مع عدوه ويزعمون أنهم هم المسلمون!!

من هذه القصة، بل هذه المأساة المحزنة يدرك الرجل الرشيد من أين جاءت البدع، وفي أي منسج حبكت، ويعرف كيف تقنعت الزندقة ثم زفت عروسًا إسلامية، والشرك كيف استخفى، ثم استعلن على يد قوم سموه الحقيقة الروحية العليا للتوحيد في الإسلام.

وإننا لنلخص هذه القصة في أن الفرس ومعهم عدو الدين من كل ملة - كانوا يكيّدون هذا لغرض سياسي وآخر ديني، فالسياسي هو هدم الدولة الإسلامية وعلى أطلالها يبنون ملكًا فارسيًا تؤله على عروش الملوك، فما عرفوا قبل الإسلام خليفة أو ملكًا تنظر إليه الأمة على أنه راعيها ما أحسن الرعاية، بل كانوا يعرفون ملوكًا تزعم أنها من أبناء الآلهة.

والغرض الديني هو هدم الإسلام وبعث المجوسية، ترى هل يستطيع أن نسأل هذا السؤال قليل الألفاظ كبير الدلالة، هل أفلح الفرس في محاولاتهم؟! كل امرئ يدرك الجواب بمجرد إبداء السؤال، وإلا فأين الدولة؟ وأين الإسلام وأين هم المسلمون؟

وإنه ليجميل إتمامًا للبحث أن نعرض لآراء بعض المؤرخين والمفكرين في قصة

الكيد للإسلام:

يقول ابن حزم في كتابه الفصل - تعليلاً لفتنة الفرس وكيدهم للإسلام - : «لما امتحنوا - يقصد الفرس طبعاً - بزوال الدولة منهم على أيدي العرب تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام ورأوا أن كيده بالخيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت الرسول، ثم سلكوا بهم مسالك شتى - حتى أخرجوهم عن الإسلام - مثل القول بالحلول، ونبوة من ادعوا له النبوة والمهدي وسقوط الشرائع».

هذا رأي ابن حزم المجتهد البعيد النظر، الرحيب الأفق، لو تأملنا فيه قليلاً لرأيناه ينجح إلى الصوفية - وإن لم يصرح باسمها هنا - بأنها وحل من أقدار الباطنية فالقول بالحلول هو قول الصوفية وسقوط الشرائع هو قول الصوفية. وما دام هؤلاء هم كذلك، وأولئك هم الذين علمهم هذا فالصوفية امتداد للباطنة!!

ويقول المقرئ في الخطط^(١): (واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام، وأن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها، بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسايد، وكانوا يقدرون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة على أيدي العرب، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً تعاضمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق، وكان من

قائميهم شنغاد واشنيس والمقفع وبابك وغيرهم، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خدائشاً وأبو مسلم السروح فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، واستبشاع ظلم علي بن أبي طالب، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى).

هذا نص كلام المقرئ وهو يتفق وما قرره ابن حزم، بل يكاد يتفق وإياه في لفظه، كلاهما قرر خروج كثير من الطوائف عن الإسلام بسبب كيد الفرس دينياً وسياسياً لهدم الإسلام ودولته.

ويقول ابن النديم في كتاب الفهرست^(١): «قد كان قبل بني القداح قريب ممن يتعصبون للمجوسية ودولتها، ويجتهد لردّها في أوقات منها بالمجاهدة ومنها بالحيلة سرّاً، فأحدثوا لذلك في الإسلام حوادث منكّرة، وقد قيل إن أبا مسلم^(٢) صاحب الدعوى رام ذلك وعمل عليه فاخترم دون ذلك، وممن تجدد وأظهر وكاشف بابك الخرصي^(٣)، وكان ممن واطأ عبد الله على أمره رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بزيدان من ناحية الكرخ في كتاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وكان هذا الرجل متفلسفاً حاذقاً بعلم النجوم شعوبياً^(٤)، شديد الغيظ من دولة الإسلام،

(١) الفهرست ص (٢٦٧) ط المكتبة التجارية.

(٢) يقصد أبا مسلم الخراساني الذي أقام الدولة العباسية بالمجوسية الكامنة في نفسه مما دعا الخليفة إلى قتله.

(٣) بابك هذا أبوه من المدائن وكان يقول: إنه إله. وانظر أخباره في كتاب الفهرست لابن النديم ص (٤٨١).

(٤) قال في اللسان: والشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم،

وكان يدين بإثبات النفس والعقل والزمان والمكان والهيولي، ويرى أن للكواكب تدبيراً وروحانية، فخبّرني عنه الثقة أنه كان يزعم أنه وجد في الحكم النجومى انتقال دولة الإسلام إلى دولة الفرس ودينهم الذي هو دين المجوسية في القرن الثامن».

ويقول صاحب المواقف عن طائفة الغيارية: (وهم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجود تعود إلى قواعد أسلافهم).

ويعلق شارحه على هذا بقوله: «وذلك أنهم اجتمعوا فتذكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، لكننا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم» أنرى بُعد النظر ودقة الفهم لحقيقة هؤلاء؟

ويقول أبو المظفر الإسفراييني: «ذكر أهل التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين، فوضعوا قواعد على موافقة أساس وضعوه حتى تغتر بهم الأغمار^(١)».

ويقول الأستاذ الكبير الدكتور أحمد بك أمين: من أسباب الزنادقة وسبب ثان هو أن بعض الفرس رأوا أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يحقق مطالبهم، فقد انتقلوا من يد عربية وهي اليد الأموية إلى يد أخرى هي يد العباسيين،

ويقول في الصحاح: «الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم».

(١) ص (٨٤) من كتاب التبصير بأبي المظفر الإسفراييني.

ومطمح نفوسهم أن تكون الحكومة فارسية في مظهرها وحقيقتها في سلطتها ولغتها ودينها، ورأوا أن ذلك لا يتحقق والإسلام في سلطانه، فأخذوا يعملون لنشر المانوية والزرادشتية والمزدكية ظاهرًا إن أمكن وخفية إذا لم يمكن.

ويقول: «كان في ذلك العصر طائفة لم تؤمن بالإسلام ولكن آمنت بسلطانه، ورأت أن لا سبيل لنيل الجاه والسلطان والمال إلا بالإسلام فاعتنقته ظاهرًا وظلت تخلص لدينها القديم.

وقوم من هؤلاء كان لهم غرض أعمق من هذا، إذ رأوا أنهم لا يستطيعون إفساد العقيدة الإسلامية إلا بالانتساب إليها أولاً حتى يؤمن جانبهم، وحتى يسهل على النفوس الأخذ بقولهم، ثم هم بعد ينفثون تعاليمهم على أشكال مختلفة، طورًا في العلم والدين... ومن حين لآخر كان يعثر على بعضهم فينكل بهم، ولكنهم لا يبيدون، أحيانًا يعملون أفرادًا، وأحيانًا يعملون جماعات».

ويقول عن العصر العباسي: «وكان من الطبيعي أن يكون في هذا العصر زنادقة دعاهم إليها دواع مختلفة، فقوم دعاهم إليها دين العزة قديمًا وهو دين المجوسية، وكان لهم فيه آباء عديدون وكانت لهم عادات وتقاليد أخذها الخلف من السلف، ولكنهم رأوا جاهًا عريضًا، ومناصب عزيزة لا يستطيعون الوصول إليها إلا أن يسلموا فأسلموا ولما يدخل الإيوان في قلوبهم، واتخذوا الإسلام ثيابًا ظاهرية يخلعونها إذا خلوا إلى أهلهم، وهم إذا - أمكتهم الفرصة - كادوا للإسلام والعرب ودعوا للشعبوية والمذاهب الدينية»^(١).

(١) هذه النصوص نقلناها عن كتاب ضحى الإسلام ج (١) ط (٤) ص (١٤٥، ١٥٦، ١٦٢).

ويقول أمين بك أيضًا: «والحق أن التشيع كان مأوىً يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم»^(١).

ويقول المستشرق كارل هنيرسن في مقال له عنوانه: (تراث الأوائل في الشرق والغرب)^(٢): في اللحظة التي تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول، بدأ الصراع والتصادم، وكان الاعتقاد السائد من قبل أن هذا الصراع قد ظهر في صورة مناظرات جدلية مع المسيحية، أما اليوم فيستطيع المرء أن يدرك أن المانوية والزرادشتية كانتا له عدوتين خطيرتين كالمسيحية على أقل تقدير، وأن غنوص المانوية والمذاهب الشبيهة بها كانت خطرة على الإسلام خطرًا مباشرًا.

«فالغنوص إذن كان يحارب الإسلام دينيًا وسياسيًا» والزرادشتية ديانة فارسية ثنوية عليها طابع التفاؤل، أما الغنوص فمذهب ينزع إلى الثنائية بين المادة والإله وإلى تأليه^(٣) وسطاء بينهما. وهكذا أفلح الكائدون للإسلام والمسلمين.

(١) فجر الإسلام ص (٢٤٣) ط (٥).

(٢) من كتاب التراث اليوناني للدكتور عبد الرحمن بدوي ص (٨ - ١١).

(٣) «زرادشت شخص فارسي ادعى له قومه النبوة، وكان ثنويًا يقول بأورمزد إلهًا للخير وأهرمن إلهًا للشر، ولكنه جعل الغلبة في النهاية لإله الخير، أما ماني فكان ثنويًا يقول بإله النور وإله للظلمة، ولكنه جعل النور ممتزجًا بالظلام ولا خلاص إلا بفناء العالم، لهذا كان زرادشت داعية تفاؤل وعمل ولذة، وكان ماني داعية زهد وقطع للنسل. أما الغنوص فكلمة يونانية معناها في الأصل المعرفة، ولكن معناها الاصطلاحي هو النزعة =

فإذا بعقائد الأكثرية الغالبة من المسلمين فيها كل شيء إلا عقيدة الإسلام الحق، وإذا بالدولة الإسلامية كما ترونها مزقًا وأشباحًا على جباهها طابع الذلة، وعلى أفواهها أنات الاحتضار، يهوى عليها الغاصب الظلوم الغشوم، وهي تستدفع ظلمه وتتوسل إليه بالرمم أن يرعاها ويرحمها!

إلى إدراك كنه الأسرار الربانية بواسطة هذا النوع السامي من المعرفة الذي يقابل ما يسمى عند الصوفية المسلمين باسم الكشف أو هو هذا نفسه، والذي أعطاهم هذا المعنى هم طائفة من المفكرين إن صح أن نسميهم بهذا الاسم - عاشوا في القرون الأربعة الأولى من ميلاد المسيح، ومنهم من كانوا مسيحيين ومنهم من كانوا يهودًا أو وثنيين، فالمسيحيون منهم مثل القديس كليمانس الأسكندري والقديس أوريجانوس كانوا يرمون من وراء هذا إلى تأييد المسيحية فحسب. أما أنصار هذا المذهب الحقيقيون أمثال بزيلدس وفلنتينوس ومرقيون فهم الذين خلطوا الإيوان بأشكال مختلفة من التفكير الشرقي القديم، وخصوصًا الفارسي والسريري، وباللاهوت اليهودي، وبعض المذاهب اليونانية الفلسفية وهي الأفلاطونية والفيثاغورية والرواقية، وكونوا من هذا كله نوعًا من الصوفية، وأهم آراء هذه الصوفية القول بالثنائية بين المادة والذات الإلهية، ثم محاولة اجتياز الهوة التي تفصل بينهما عن طريق سلسلة الوسطاء، فالذات الإلهية أو القوة الكبرى يصدر عنها العقل، ثم النوس، ثم اللاغوس، ثم الأمثروبوس، ويتلوها مقدار كبير من الكائنات الروحية أو الأيونات في تدرج تنازلي حتى تصل إلى المادة وهي أصل الشر، والسبب الذي من أجله انحطت طبيعة الإنسان، ولكن الإنسان يستطيع عن طريق الخلاص أن يعود إلى الذات الإلهية، والأصل الأول، على شكل تصاعدي يبدأ من المادة ويمر بالأيونات حتى يصل الذات الإلهية» نقلًا عن كتاب التراث اليوناني ص (٨) للدكتور بدوي.

وحق ما يقول دي بور: «أخذ^(١) تدهور الإمبراطورية يتجلى شيئاً فشيئاً، وكان سلطان الجنود الترك وثورات العامة في المدن، وثورات الفلاحين في القرى، ودسائس الشيعة والإسماعيلية من كل جانب، ثم نزوع الولايات النائية إلى الاستقلال، كل ذلك كان من أسباب سقوط الإمبراطورية أو من علاماته... ونزلت مكانة الخلفاء فلم تبق لهم إلا مكانة دينية، وأخذت تتكون شيئاً فشيئاً دول صغيرة مستقلة في أطراف الإمبراطورية يدهش الناظر لكثرتها... ثم توالى في القرن السابع الهجري هجمات التتار، تجتاح البلاد الشرقية من الإمبراطورية الإسلامية».

ويحدثنا بروكلمان عن ثورة المقنع فيقول: «كان^(٢) بنو العباس يستهدفون بين الفينة والفينة للخطر يأتيهم من الثورات المذهبية المضطربة في خراسان، الواقعة في أقصى الطرف الشرقي من الإمبراطورية حيث احتك الإسلام بالعقائد البوذية والآراء الشامانية^(٣)، وحيث كان الدين الإيراني القومي على الخصوص لا يزال

(١) ص (٧، ٨، ٩) من كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة الأستاذ عبد الهادي أبو ريذة ط ١٩٣٨ م.

(٢) ص (١٣) من كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية جـ (٢) في موضوع الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها لكارل برد كلمان نقله إلى العربية الدكتور بلية أمين فارسي، ومدير البعلبكي نشر دار العلم للملايين سنة ١٩٤٩.

(٣) نسبة إلى كلمة شامان وتعود في النهاية إلى أصل سنسكريتي بمعنى كاهن أو ساحر يزعمون أنه كان في مقدوره الاتصال بالأرواح الصالحة والشريرة، وقد عمت هذه الديانات الشعوب النازلة في منطقة جبال أورال من مغول وأتراك العربان.

يؤثر في عقول الناس تأثيرًا قويًا، فليس من شك في أن المنصور نفسه قد تخلص من أبي مسلم، وأنه أمر سنة ٧٥٨م بالفتك ببعض المتعصبين له من أهل خراسان «الأوندية»، عندما ظهرُوا أمام مقره في الهاشمية ليمجدوه «يقصد أبا مسلم» بوصفه تجسدًا للذات الإلهية، وكان قد سعى إلى تهدئتهم بالكلام الرقيق فأبوا.

ولكن رجلًا فارسيًا من مرو ومن رجال أبي مسلم المقربين إليه - واسمه حكيم - ما لبث أن ظهر سنة ٧٧٨ في أتباعه، وادعى أنه التجسد للذات الإلهية بعد موت مولاه، وإذا كان يبرز دائمًا للجماهير وعلى وجهه نقاب موشى بالذهب، يزعمون منه أن الغرض منه أن يحجب - كنقاب موسى - بهاء الذات الإلهية عن العيون الدنسة غير الجديرة بالنظر فقد عرف في التاريخ بلقبه: «المقنع».

ومن قلعة سنام قرب كسن في ما وراء النهر استطاع هذا الثائر أن يخضع الإقليم كله، في حين كانت ثورة أخرى من ثورات الخوارج تندلع نيرانها في خراسان... وكانت العقائد الشيوعية التي بشر بها مزدك، في العهد الساساني، قد بعثت قبل عام واحد في مقاطعة جرجان، لتنفجر من جديد في شكل ثورة خطيرة على عهد الرشيد».

ويقول بروكلمان في ص (١٥) من الكتاب نفسه عن محاربة المهدي للزنادقة: «إن الثورات المذهبية التي سبق أن أشرنا إلى اشتعالها في الولايات الفارسية حملت الخليفة على أن يراقب بشدة بالغه حياة رعاياه العقلية في قلب الإمبراطورية أيضًا، والواقع أن المانوية لا الزرادشتية الخالصة، كانت لا تزال تفرض سلطانها الكبير على أولئك الذين دخلوا حديثًا في الإسلام، ثم لم يرتاحوا ارتياحًا كليًا لشعائره، بل لقد كادت تكون المانوية دين الطبقات المثقفة».

ويقول دي بور في كتابه تاريخ الفلسفة الإسلامية ص (٩٦) عن القرامطة: «كان رئيس القرامطة مؤسسًا لحركة من هذا الطراز، وتدرّب على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين، واستطاع أن يؤلف بين أهل الإيثار وأهل الزندقة وأن يجعل منهم حزبًا يعمل على قلب الدولة العباسية، وكان يحتال في اجتذاب البعض بإظهار الشعوذة والسحر والتخريق، وفي اجتذاب البعض الآخر بإظهار الزهد والعبادة والعلم».

ها نحن نقلنا آراء كثير من مفكري الإسلام ومؤرخيه ممن يتسمون بالحيدة في التفكير، والدقة في التاريخ، والمعرفة بحقائق الأمور في الدولة الإسلامية وما اعترأها، وكثير من مفكري الغرب ممن اتسموا بالبحث الحر الخالص.

وما استعرضنا ذلك عبثًا، وإنما أردنا توجيه الفكر والقلب والروح إلى الإسلام لندافع عنه بالفكر وبالقلب وبالروح، وندفع عنه كيد أعدائه الذين تقنعوا بالأسماء الإسلامية وبالوطن الإسلامي، وبالا احترام الزائف للرسول ومحبه، وما نريد اليوم أن ندافع عن الإسلام بالمدافع أو الدبابة، بل يجب قبل كل شيء تطهير عقائد المسلمين من أدرانها وأوشابها، وحينئذ تكون الجماعة جماعة إسلامية حقة، وحينئذ تكون القلوب قلوبًا مسلمة والعزائم عزائم مسلمة.

وحينئذ يكون السيف سيفًا مسلمًا والمدفع مدفعًا مسلمًا، يصنعان ما صنع الفاروق وسيوفه وأبطاله، أما أن يظل المسلمون بالاسم على ما ورثوا من عقائد ليس فيها قبس من نور القرآن ولا أثارة من حقيقة السنة، فلن تقوم لهم قائمة.

أوجد قلوبًا مسلمة يعطك الله دولة مسلمة تركز أعلامها كما كانت على صياصي الدنيا الشائحات ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وغاية أخرى نهدف إليها من تقرير ما قررناه من أساليب الكيد للإسلام، هي

القول بأن التصوف نشأ أول ما نشأ في أرض فارسية على يد مجوسي من الفرس، بأفكار فارسية وديانة فارسية بأهداف فارسية، الغرض منها هدم الإسلام والإطاحة بدولته. ولقد ثبت ما قررناه أيضًا أن هذه الآراء المجوسية التي نفتتها هذه الفرق التي قامت لتقويض الإسلام وطي بساطه هي نفس الحميم أو الغسلين الذي تجرعه الصوفية يريدون به ما كان يريده الفرس. فثبت أن هذا التصوف الذي نشأ هذه النشأة ليس هو الإسلام الذي أشرق نوره في الجزيرة العربية ليكون منارًا هاديًا للإنسانية كلها في كل مكان وزمن حتى تقوم الساعة.

ونختم هذا الفصل بقول الله رب العالمين، عبرة وتبصرة وذكرى لقوم يؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٥].

ونذكر أيضًا بقول رب العالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيبٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ

فَمَا كَانُوا لِلْيَوْمِ نُوَامًا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ [الأعراف: ٩٤-١٠٢].

ترى أيا ذكر المسلمون؟ ترى استيقظ أحلاس الصوفية وسدنة هياكلها؟
بيئة التصوف:

البيئة التي نشأ فيها التصوف:

للبيئة بمعانيها المختلفة أثر كبير في تكييف ما يعتنقه الإنسان من عقائد، أو يتمثل فيه من أخلاق، أو يخفق به قلبه من عواطف، أو يدين به من أفكار ويسبح فيه من خيالات، ويختلج في نفسه من مشاعر، ويكون تأثير البيئة إيجابياً فينشأ الإنسان وهو مسرح تظهر عليه رواية البيئة فصولاً ومناظر، ينشأ وفيه ما في البيئة من خير أو شر، ونبل أو سفالة، إلا أن تتدخل الوراثة فتجعل تأثير البيئة سلبياً في النفس، فإذا بهذه النفس وقد اعتملت فيها الثورة على أوضاع البيئة وعاداتها وقوانينها ونظمها السائدة، ومن هؤلاء العباقرة المصلحون، ومنهم أيضاً الشواذ المجرمون.

فالعبقري المصلح يحاول بعزيمته الوثابة وبفكره المتقدم تغيير نظام البيئة، وتبديل قيمتها التي تؤمن بها وغاياتها التي تسعى حثيثة إليها، وتصحيح نظرتها إلى الأشياء وحقائق الفكر والفضيلة والوجود، والمجرم الشاذ يثور على بيئة يحاول اعتذاب كل شيء فيها لنفسه، وتحويل مجراها الدفاق ليصب في مجراه وحده.

وذلك العبقري في البيئة الفاسدة يعمل، وهذا المجرم في كل بيئة يعمل، ولما كان للبيئة تأثيرها القوي الدفاع أحياناً أن نعرض طرفاً من سيرة البيئة التي ظهر

فيها التصوف، ثم أمدته بما عرّبه به من وثنية وما طفح به من مجوسية، وما هدف إليه من غايات عنون باسم الخير والحق وهي في ذاتها شر وباطل، وما عرضنا هذا إلا لتفهم كيف اعتنق الصوفية عقائد فيها برهمية بوذية وزرادشتية مانوية ويونانية أفلوطينية فيلونية^(١)، ومسيحية نفثت فيها الفلسفة الحلولية سمها الناقع، ويهودية

(١) برهمية نسبة إلى براهما إله الهنود قديماً، والبرهمية تطور للديانة الغيدية الهندية، أما بوذا فهو زاهد برهمي كان اسمه سكياموني أي: زاهد قبيلة سيكا وكان ابن شيخها ثم اعتزل حياة الرفاهية، وأعلن بعد ذلك أنه بوذا أي حكيم أو ملهم مستنير، أما زرادشت فكان موضع شك عند المؤرخين ثم تحقق أنه كان من قبيلة ميديا في الجزء الغربي الشمالي من فارس، وقد ظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ومات نحو سنة ٥٨٣ قبل الميلاد بعد أن عمر ٧٧ سنة، وهو شخص يزعم الفرس أنه نبيهم أما المانوية فسبق ذكرها وسندها من قبل، أما الأفلوطينية فنسبة إلى أفلوطين ويلقبه الشهرستهماني بالشيخ اليوناني، وجد ما بين سنة ٢٠٣، ٢٦٩ م وهو الذي حول تعاليم الأفلاطونية الحديثة إلى مذهب، وسنذكر إن شاء الله شيئاً عن فلسفته بعد.

أما الفيلونونية فنسبة إلى فيلون وهو يهودي لم يحدد تاريخ ميلاده بالضبط، وهو يذكر ما بين سنة ٤٠ قبل الميلاد، ٤٠ بعده، وقد كتب شرحاً كبيراً على التوراة يريد من وراء ذلك أن يظهر لليونان أن في التوراة فلسفة، وأن فيها أسمى مما في فلسفة اليونان، غير أنه في شرحه للتوراة استعان بالفلسفة اليونانية رغم ذلك من أفلاطونية وأرسطوطالية ورواقية وفيثاغورية، وسنذكر قليلاً عن فلسفته الدينية المضطربة. (انظر الجانب الإلهي ج (١) للدكتور البهي بك، كتاب الفلسفة في الشرق لبون ماسون أورسيل، وخريف الفكر اليوناني للدكتور بدوي، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم).

مجرمة طقوسها تبعد عن الحق بعض الأرض عن السماء.

كانت البيئة الإسلامية في أول أمرها بيئة نقية خالصة يهديها القرآن إلى الخير والحق والمحبة، وتبين لنا السنة ما دق عليها فهمه، أو اشتبه عليها علمه.

فالحياة كانت في تلك البيئة تسير على نمط إسلامي لحمته الهدى وسداه السلام والفضيلة، والتفكير على أسلوب عربي يمتاز باليسر والبساطة، وعدم التعمق الجدلي في أسرار الحياة وكنه حقيقة الوجود، أو السير وراء الخيالات والتهاويل السحرية من صور التفلسف.

فالقرآن بين لهم عن الله ما تهدأ به النفوس، وتطمئن به القلوب، وتقر الأرواح التي أضناها الاضطراب وعذبتها الحيرة، بين لهم من صفاته المقدسة ما يجب ومحجب أن يوصف بها، بين لهم أن ليس بينه وبين عباده من وسائط، فكل امرئ بما كسب رهين، بين لهم ما يجب على عباده له وما هي حقيقة صلتهم بالله، والسبيل القويم الذي يهديهم إلى الله، فلا حاجة بالمسلمين إذن إلى البحوث الفلسفية في حقيقة الله: من هو؟ وكيف هو؟ وكيف صدر الكثير عن الواحد؟ وهل الإله هو الوجود أو غيره؟ وهل صفاته عين ذاته أو هي غيره؟ إلى غيره من تلك البحوث التي لا طائل تحتها.

بل هي التي ليس فيها سوى الحيرة والشك والريبة والقلق المضني، والزندقة الفاجرة، وكانت الثقافة في كل ألوانها عربية إسلامية نقية، ثم امتزج العرب المسلمون بغيرهم من الأمم امتزاجاً قوياً، حيث فتح العرب المسلمون كثيراً من الممالك التي كان لكل منها دين خاص، وثقافة خاصة، ومناخ في التفكير تباين التفكير العربي الإسلامي في صدره وورده.

فتح العرب المسلمون العراق وفيه من ربيعة ومضر قبائل، وفيه من الفرس جماعات غير سكان البلاد الأصليين، وكان من أولئك وهؤلاء نصارى ومزدية وزرادشتية.

وفتحوا فارس وكان يسكنها الفرس ومن اليهود والروم قلة، أولئك الروم الذين أسروا في الحروب الفارسية الرومانية.

وفتحوا الشام وكان من قبل محط رحال أمم مختلفة ومدنيات متباينة من فينيقيين وآشوريين وكنعانيين وفراعنة ويونان ورومان وعرب غسان، وأخيراً كان إقليمًا رومانيًا ثقافته رومانية وديانته نصرانية، وكان يسكن الشام عند فتحه سوريون، وأرمن ويهود وروم وقبائل عربية كغسان ولخم وجذام.

وفتحوا مصر أهل المدن القديمة ووارثة الحضارات المصرية واليونانية والرومانية، وناهيك بالإسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف المليية وملتقى الآراء الشرقية والغربية، وكان من سكان مصر يهود ورومان غير سكانها الأصليين، وفتحوا بلاد البربر من برقة إلى مضيق جبل طارق، وكانت كلها في يد الرومان.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك فتحوا السند وبخارى وخوارزم وسمرقند إلى كاشغر.

فماذا ينتج عن هذه الفتوحات؟ وهل يرضى المغلوب عن الغالب؟
نتج عن هذه الفتوحات امتزاج قوي شمل كل العناصر المقومة للحقيقة الوجودية والإنسانية، بين الفاتحين الظافرين وبين غيرهم من الأمم التي دانت لحكمهم، امتزاج في الدم بالزواج والرق، امتزاج في التقاليد واللغة بالجوار

والسكنى' والمجادلة، امتزاج في العقائد الدينية لما بيناه في فصل الكيد للإسلام. وهؤلاء المغلوبون دخلوا الإسلام طوعاً أو كرهاً ليكيدوا للإسلام بعد أن يلبسوا مسوحه.

وكان هؤلاء المغلوبين أديان سابقة، وثقافات قديمة متباينة، أتراهم في إسلامهم أو أدائهم إياه يكونون كما شاء الله من الإسلام؟ اسمع لأمين بك يقول في كتابه: «أتظن أن الفارسي أو السوري النصراني أو الروماني أو القبطي إذا دخل الإسلام انمحت منه كل العقائد التي ورثها عن آبائه وأجداده قرونًا، وفهم الإسلام كما يريد الإسلام من تعاليمه؟ كلا. لا يمكن أن يكون ذلك. وعلم النفس يأباه كل الإباء، فللفارسي صورة للإله غير صورة النصراني الروماني وهما غير صورة النصراني المصري.

فلا تظن أن هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام من الأمم الأخرى فهموه بحذافيره كما فهمه العرب، إنما فهمه كل قوم مشوبًا بكثير من تقاليدهم الدينية القديمة، وفهموه بمعان قريبة من الألفاظ التي كانت تستعمل في ديانتهم» ثم يختم بحثه بقوله: «فلم تعد الأمة الإسلامية أمة عربية لغتها واحدة ودينها واحد، وخيالها واحد كما كان في عهد الرسول ﷺ، بل كانت الأمة الإسلامية جملة أمم وجملة نزعات وجملة لغات تتحارب، وكانت الحرب سجالًا، فقد ينتصر الفرس وقد ينتصر العرب وقد ينتصر الروم»^(١).

وحق ما يقول ذلك الأستاذ، فلقد صور الإله عند الصوفية بما صور به عند

(١) فجر الإسلام ص (٩٤-٩٦).

الغنوصية، وصور عند فلاسفة المسلمين وعند بعض المتكلمين بمثل ما كان صورته به اليونانيون مشوبًا بهندية وفارسية ونصرانية.

ويقول أيضًا أمين بك: «وأيًا ما كان فقد انتشر في العصر العباسي آراء وملل ونحل لا عداد لها. وكانت الحرب فيها حربًا عوانًا بين كل ديانة والديانات الأخرى وبين كل فرقة في مذهب والفرق الأخرى، وأصبحت المملكة الإسلامية ميدانًا لكل هذه الحروب»^(١).

ثم يزيدنا أمين بك بيانًا عن البيئة الدينية والثقافية في العصر العباسي بقوله: «حياة فيها لهُو ومجون، ونعيم ورخاء، وحياة في جد وزهد، وبؤس وشقاء، ونرى صراعًا بين الشك والزندقة والإلحاد، وبين الإيمان الخالص والاعتقاد الصادق، ويخيل إلينا ونحن نقرأ تاريخ هاتين الحركتين أنا في موقف مستمر تستخدم فيه كل وسائل الحروب، فخدع ومكايد ووسائل سرية أحيانًا ولجوء إلى السيف وسفك للدماء أحيانًا، وعقد مجالس ومقارعة بالحجج أحيانًا، ثم الحرب سجال يوم ينتصر فيه الملحدون بما يثيرون من شكوك وأوهام، ويما يضلون من ناشئة وشبان، فإن عجزوا ظاهرًا استعملوا طريق الغواية سرًا تحت مظهر التشيع، أو الغيرة على الإسلام، أو نحو ذلك».

تلك هي البيئة التي نشأت فيها عقائد المتصوفة وغذتها بتعاليمها، وهي بيئة كان فيها من يظهر الغيرة على الإسلام وهو من ألد عدوه، بيئة كان فيها مجوسية مقنعة أحيانًا سافرة عن كلوحتها أحيانًا، فيها فلسفة هندية مشربة بطقوس هندية

(١) ضحى الإسلام (ص ٣٥ / ح ٣)، ط (٣).

أو نصرانية أو يهودية.

بيئة اختلط فيها الشرك بالتوحيد والكفر بالإيمان والباطل بالحق، فكان من ذلك كله أمشاج يلمع منها جانب وتظلم منها جوانب أخرى، وتلوح فيها أثارة من حق وتتدجى منها ركامات طخياء من الشرك والباطل، وزافت هذه الأمشاج على المسلمين ممن بعدوا عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، فكانت فلسفة وكان تصوف وكان علم كلام.

وما بعد المسلمون عن كتاب ربهم إلا هانوا وذلوا واستكانوا للغاصب المستعبد.

وتلك حقيقة طردية الاتجاه واقعية مشهودة المعالم، ماذا كان المسلمون لما اعتصموا بالله وكتابه ورسوله؟ ثم إلى أين هبوا حين فروا عن ربهم وكتابه وسنة رسوله؟

هل المسلمون اليوم ودولهم هم المسلمون في عهد أجدادهم من صحابة الرسول وتابعيهم؟

أو أن المسلمين اليوم أطياف باهتة، وأشباح هزيلة، على فم الذؤبان من دمهم خضاب، وتحت نعال الغاصب منهم الأحلام والآمال؟

يا من تتشدقون بأنكم مسلمون، من أنتم؟ وما دينكم؟ من حالكم نعرف وكل إنسان يدرك الجواب.

الصوفية نسبة وتاريخاً:

اشتقاق كلمة الصوفي: اختلف الباحثون - حتى الصوفية أنفسهم - حول الأصل الذي ترد إليه كلمة صوفي، فبعض يقول: إنها نسبة إلى الصفاء. ولكن هذا

الرأي خاطئ من ناحية اللغة، فالنسبة إلى الصفاء صفوي لا صوفي، وبعض يقول: إنها نسبة إلى الصفو، غير أن النسبة لغويًا إليها صفوي لا صوفي.

وقيل: إنها نسبة إلى الصف. إشارة إلى أن الصوفية هم في الصف الأول بين يدي الله، غير أن النسبة أيضًا هي صفي لا صوفي. وقيل: بل هي نسبة إلى الصفة^(١)، التي أوى إليها قوم من فقراء الصحابة بالمسجد النبوي بالمدينة. غير أن النسبة لغويًا هي صفي لا صوفي.

وقيل: إنها نسبة إلى صوفانة. وهو نبات قليل الغناء في الغداء إشارة إلى أن

(١) الصفة التي ينسب إليها أهل الصفة من أصحاب الرسول ﷺ كانت في مؤخرة مسجد النبي ﷺ في شمال المسجد بالمدينة المنورة، وكان يأوي إليها من فقراء المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوي إليه، ولم يكن أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد، بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له، ويجيء ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون، فتارة يكونون عشرة أو أقل، وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر، وتارة يكونون ستين وسبعين، وكان أهل الصفة ضيف الإسلام يبعث إليهم النبي ﷺ بما يكون عنده، فقد كانت الحاجة هي الغالب عليهم لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق، ولم يكن في الصحابة لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس والإلحاف في المسألة صناعة وحرفة. [مجموعة الرسائل والمسائل (ح ١/ ص ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٣٠ - ٣٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية].

يثبت من هذا أن أهل الصفة لم يأووا إليها إلا لحاجة ماسة وفقر مدقع، لا كما يزعم الصوفية حين يحاولون التشبه بهؤلاء بالسجن في الخلوة، ألا بثست خلوة تمنعك عن اكتساب الرزق والجهاد في سبيل الله.

الصوفية لا يطعمون إلا طعاماً أدنى شَبَّهاً بالصوفانة في قلة غنائه، غير أن النسبة هي صوفاني لا صوفي.

وقال آخرون: بل هو منسوب إلى صوفة القفا. وهي شعرات تنبت في مؤخرة إشارة إلى أن الصوفية عطف بهم إلى الحق وانصرفوا عن الخلق.

وقيل: بل هي نسبة إلى رجل كان متحشاً في الجاهلية اسمه صوفة. وقيل: بل هي نسبة إلى الصوف^(١) لما ارتضته الصوفية من لبس الصوف. وقد ارتضى هذا الرأي السراج الطوسي^(٢) وابن خلدون وزكريا الأنصاري^(٣) ووافقهم في هذا شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه، والنسبة هنا من ناحية اللغة صحيحة، ولكن القشيري^(٤) الصوفي صاحب الرسالة المشهورة في التصوف يقول: (ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف) يعني من هذا أن لبس الصوف لم يكن مميزاً لهم وحدهم بل كان غيرهم يلبسون الصوف، فتسميتهم بالصوفية نسبة

(١) واليوم وقبل اليوم كان وما زال الصوفية يرفلون في الملابس الحريرية، فما بقي لهم حتى المظهر الذي كانوا يظهرهون به ادعاء للزهد والرغبة عن الدنيا!!.

(٢) هو أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى أبو نصر السراج الطوسي مصنف كتاب اللمع في التصوف، توفي في سنة: ٣٧٨هـ، شذرات الذهب، (٣/ ٩١). حاجي خليفة، كشف الظنون (١٥٦٢). الزركلي، الأعلام (٤/ ١٠٤). (ض).

(٣) هو زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، فقيه مفسر ولد سنة (٨٢٦هـ) بشرقية مصر، توفي سنة (٩٢٦هـ). [انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)، و«معجم المؤلفين» (٤/ ١٨٢)]. (ض).

(٤) هو عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي الصوفي، له «التفسير الكبير» «لطائف الإشارات» و«الرسالة». [انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٢٧)]. (ض).

إلى لبسهم الصوف يكون اسمًا مشتركًا بينهم وبين غيرهم، وبالتالي يكون غير خاص بهم ولا يميز لهم عن سواهم.

ويقول أيضًا حسن رضوان في منظومته الكبرى التي تكاد تبلغ عشرة آلاف بيت من الرجز في قواعد الصوفية ما يأتي:

وقد جرى من حيث الاشتقاق	في لفظة التصوف الشقاق
وكل ذي قول له توجيه	لقوله في نفسه وجيه
ولكن القياس والقواعد	في جملة الأقوال لا تساعد
والبعض منهم قد يقوي قوله	بالأخذ من صوف بلبسهم له
فقوله هذا وإن يكن وجد	له قياس في كلامهم عهد
لكن أهل الحق لم يختصوا	بلبسه ولا عليه نصوا ^(١)

وهكذا يعترف صوفيان أحدهما قديم زمانه والثاني لا يزال يوجد من كان يعرفه ويعاشره بأن النسبة إلى الصوف نسبة غير صحيحة، بقي رأي للمحقق البيروني ذكره في كتابه: «تحقيق ما للهند من مقولة» ص (١٦) فقد ذكر البيروني في معرض الكلام عن مذاهب الحكماء من اليونان والهند واشتراك أولئك وهؤلاء في مقالة واحدة أن منهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه، وحاجة غيرها إليها وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره، فوجوده كالخيال غير حق، والحق هو الواحد الأول فقط.

(١) ص (٤٨٠) من كتاب روض القلوب المستطاب ط ١٣٢٢ لحسن رضوان المتوفى سنة

وقد عقب على ذلك بقوله: (وهذا رأي السوفية وهم الحكماء فإن سوف باليونانية الحكمة، وبها سمي الفيلسوف بيلاسوبا أي محب الحكمة. ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمو باسمهم)^(١).

ورأي البيروني قريب جدًا من الواقع، خصوصًا والقشيري يقول: «وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق» فهو اسم أجنبي إذًا عن العربية، ويؤيد رأي البيروني التقارب اللافت للنظر. والمنكرين عقائد المتصوفة ونظرتهم إلى ما يسمونه الوجود المطلق والفيض الإلهي، وبين ما ذهب إليه بعض محترفي الفلسفة الحيوانية، أولئك الذين جعلوها هي الغاية العليا للمعرفة.

وقد أخذ بهذا الرأي من المستشرقين جوزيف فون هامر، إذ ذكر في كتابه تاريخ البلاغة عند: الفرس أن الصوفية ينسبون إلى الهنود القدماء المعروفين باسم الحكماء العراة^(٢)، وأن الكلمتين العربيتين صوفي وصافي مشتقتان من نفس الأصل الذي اشتق منه الكلمتان اليونانيتان سوفوس وسافيس.

وقد انتصر لهذا الرأي في العهد الأخير أولبير ميركس وإن كان المستشرق نولدك لا يرتضي هذا^(٣)، أما أبو الفتح البستي فيقول:

(١) من كتاب الحياة الروحية في الإسلام. تأليف الدكتور محمد مصطفى حلمي ص (٦٣) ط ١٩٤٥.

(٢) هو اسم أطلقه اليونان على بعض الهنود الذين كانوا يهيمون على وجوههم عراة أو لابسين قليلًا من الثياب، ويقضون أوقاتهم في التأمل والتفكير في الله.

(٣) ص (٦٧) من كتاب في التصوف الإسلامي وتاريخه للمستشرق نيكولون ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي.

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدماً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى لقب الصوفي
غير أن دعواه أن اسم صوفي مأخوذ من صوفي التي ذكرها فهي دعوى باطلة؛
لأن صوفي في شعره هو فعل مبني للمجهول، أما الصوفي هو اسم وشتان ما هما!!
أما وقد استجدت الآراء وتضادت الأقوال حول هذا الاسم الذي اختلفت
اشتقاقاته فكثرت آفاته، فلم لا يعود الصوفية إلى ذلك الاسم الكريم الذي يدل
لفظه على معناه، والذي سمى به الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام من قبل هذه الأمة،
وذكره الله في القرآن وهو لقب المسلمين، فإن هذا الاسم الكريم هو الآية المميزة
لهذه الأمة الكريمة، وارتضاه رب العالمين، وسماها به خليل رب العالمين؟

يا ترى هل استشعر الصوفية من قديم أنهم غير مسلمين؟ إن من هتف بهذا
الاسم أراد أن يصدع المسلمين فيجعلهم مزقاً وفرقاً؟ أيتقر الصوفية اسماً ارتضاه الله
لهذه الأمة ويختلقون لأنفسهم اسماً ما أنزل الله به من سلطان؟

متى ظهرت الصوفية؟

فمتى ظهر هذا الاسم وطل وجهه البغيض؟
إنه ظهر في منتصف القرن الثاني للهجرة، وشاعت التسمية به في أواخره،
والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الدرجة العليا من الإسلام، فلو كان كذلك
لسمي به رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، لسمي به الخليفة الأول، لسمي
به عمر، لسمي به عثمان، لسمي به علي، ومن إليهم من جلة الصحابة والتابعين!
ولكن لم يسم به أحد ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وإن حقيقة الدين
الكبرى لتستهل فيضاً قدسياً أو إشراقاً علوياً، وروحانية سامية من هذا الحديث

النبي الكريم الذي ختمه بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

تلك هي الذروة العليا للروح الإنساني في عبوديته، والقمة التي تعج من تحتها الحياة وتصخب الدنيا وهي قائمة لا تتزلزل، سأل جبريل النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، من هذه الحقائق كلها يتكون الدين الإسلامي، وما سأل فيما سألته عن شيء اسمه التصوف، فلو أن الصوفية - حين شاءوا أن يبرأوا من لقب المسلمين - تسموا باسم من هذه الأسماء ذات الدلالة المشرقة الواضحة، لكان لها في القلوب أثر أي أثر، في حين أن المسلم لا يكفيه أن يكون مسلمًا فحسب، بل كذلك مؤمنًا محسنًا.

فليس التفضيل في الحديث تفضيل مراتب أو حقائق ينفصل بعضها عن بعضها، بل هو تفصيل الحقيقة واحدة لا بد أن تكون كلها في قلب المسلم وعمله وقوله وشعوره وإدراكه، ليس معنى الحديث أن هناك في الدين مرتبة هي الإسلام الذي عرفه الحديث تكفيك في عبوديتك، تسمو من بعدها إلى مرتبة أسمى هي الإيمان، إلى أسمى هي الإحسان، بل الذي يفهم من الحديث أن يكون قولك وعملك إسلامًا، وأن يكون اعتقاد إيمانًا، وأن تكون نيتك إحسانًا.

أقول هذا؛ لأن بعض من خدعوا بغش الصوفية يقولون إنهم في المرتبة الثالثة من الإسلام وهي الإحسان، فهم يعبدون الله كأنهم يرونه.

وإني لأسأل هؤلاء المخدوعين بالصوفية ما هذه العبادة التي يعبد بها الصوفية ربهم كأنه يرونه؟ أهى عبادة الإسلام واعتقاده، أم هي أمر آخر؟

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

إن كانوا كما أمر الله فلم شاءوا أن يتميزوا عن إخوانهم المسلمين بلقب الصوفية؟ وهذا سؤال وجواب على طريقة التنزل معهم، أما الحقيقة فالصوفية لا يعبدون الله بما أمر وبين رسوله، وسنبرهن بالقواطع من الحجج الدامغة على هذا. ومن الله نستمد العون والتوفيق ولوجه الله ما نبين ونقول ونعمل.

قسما التصوف وطقوسه العملية:

قسما التصوف:

للتصوف عند أربابه قسمان أحدهما نظري والآخر عملي، أما العملي فهو قائم عند الصوفية على التقشف والزهد المتطرف، وعلى طقوس عنيفة مما يسمونه المجاهدات وضروب أسطورية من الرياضيات للحس والنفس، فهو إذاً عمل وسلوك. أما النظري فهو قائم على التأمل في الكون، ونشدان المعرفة بأسراره وهويته، وبحقيقة صلته بالعلة الأولى عن طريق الكشف أو الشهود.

وهل تكثر المظاهر يعني كثرة الظاهر؟ أو أن الكثرة تكمن فيها الوحدة وهل الوجود المطلق عين الوجود المقيد؟

وهل العلة الأولى في إطلاقها وتوحيدها هي بعينها في تقيدها وتكثرها؟ فالتصوف النظري إذاً لون من ألوان المعرفة القائمة لا على الحس وواقعية الكائنات، ولا على العقل وقضايا التفكير بل على الذوق، والنظرية غالباً وليد التطبيق، والعلم غالباً نتيجة العمل، فهذا تأخر ظهور التصوف النظري عن التصوف العملي.

طقوس التصوف العملي:

الزهد: قد يسمع الجاهول من كتاب الله آيات في ذم الدنيا وزينتها، فيفهم

لجهله وغبائه أن نجاة المرء لا تكون إلا في تركها والانحياز إلى خلوة أو قمة جبل شاهقة، أو شعاب نائية خفية في الصحراء هرباً منها، غير مدرك لمعنى ذم الدنيا، غير فاهم لما ذمه الله من الدنيا أو ما هي الدنيا المذمومة، فيقضي الحياة نائياً عن الدنيا، بعيداً عن الجماعة والجمعة، ولو تبين هذا الغبي الجهول لعلم أن الدنيا من نعم الله الجليلة الفياضة الرحمة والخير.

والله لا يذم نعمه، الله لا يذم صنيعاً جعل منه قوام الحياة بمعانيها المختلفة، جعل منه سبباً في بقاء الإنسان وقدرته على القيام بفرائض ربه من عبادة وجهاد وتعاون مع الجماعة الإنسانية في سبيل الخير، وتحصيل للعلم والمعرفة، ليست الدنيا مذمومة إلا حين تكون علاقتك بها هي المذمومة، كأخذك منها ما حرمه الله عليك، أو تناولك منها لذائذها برعونة وتبذير وإسراف، ومحاولتك جمع ما فيها لنفسك من غير الطرق التي أذن لك الله فيها، فليست الدنيا مذمومة لذاتها.

بل إنما المذموم ما فيك من غرائز الحيوانية المنهومة الضارية تدفعك إلى قصف الشهوات وهصر الرغبات الفاسقة الرعناء من الدنيا، وما كان الرسول ولا أصحابه يفعلون ذلك.

فما انقطعوا في الخلوات والفلوات، وما كان أحدهم يجوع إلا إذا لم يجد طعاماً، وهذه سيرة الرسول^(١) فاقروها وسيرة أصحابه.

(١) قد يقال تحنت الرسول في غار حراء، نعم ولكن فعل ذلك حين لم يجد الجماعة التي يستطيع أن يعبد الله بينها، أضف إلى ذلك أن كل أيامه لم تكن كذلك، بل كان يرحل للتجارة في مال خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وجل الصحابة من ذوي الفضل الكبير جمعوا المال - لا للمال - ولكن ليؤدوا منه حق الله وحق النفس وحق الزوج وحق العيال كما أمر الله، فقد خلف طلحة ثلاثمائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف، وخلف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تسعين ألفاً، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد^(١)، وقد طلب سليمان النبي الحكيم ملكاً وطلب إبراهيم المال والزرع، وطلب شعيب، وقد روى أبو داود في سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب، فقال: يا رسول الله، أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فخذفه بها، فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته.

فقال رسول الله ﷺ: «يأتي أحدكم بما يملك، فيقول: هذه صدقة. ثم يقعد يتكفف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»^(٢)، وفي رواية أخرى: «خذ مالك، لا حاجة لنا به»، ثم إن الرسول يقول: «اليد العليا خير من اليد السفلى»^(٣). واليد العليا هي المعطية، هي ذات المال، ولكن الصوفية يذمون المال والدنيا.

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي.

(٢) روى البخاري شطره الأخير (١٤٢٦)، وكذا مسلم (١٠٣٤)، ورواه بتمامه أبو داود (١٦٧٣)، وضعف الألباني رواية أبي داود كما في الإرواء (٨٩٨).

(٣) رواه البخاري (١٤٢٨)، ومسلم (١٠٣٣).

ويدعون إلى الفقر والجوع والمرض. أبالفقر يقام للدين بناء؟ أبالجوع تستطيع عبادة الله؟

لقد قال لهم الغزالي في إحيائه: صلاتك قاعدًا من الجوع خير من صلاتك قائمًا مع الشعب، فآمنوا بالغزالي وكفروا بقول رب العالمين... أي زهد الذي تتحدثون عنه؟! إن كلمة واحدة في القرآن هي الفِصل وهي التقوى فاجع الدنيا بتقوى الله، وأنفق منها المال بتقوى الله، وتناول طبياتها بتقوى الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ [الحديد: ١١].

ما ذم الله المال يا قوم، وإنما جعله لك لتستعين به على عبوديته وتقواه، وحدد لك علاقتك به، فإن تعديت حدود الله كنت أنت المذموم لا الدنيا ولا المال. وما الزهد إلا هندية برهمية كان أساسها تحقير الدنيا ليصلوا إلى مقام «النرفانا»^(١)، وهو ما يشبه الاتحاد عند الصوفية، أما الإسلام ففيه القوة، وفيه الطبيات، وفيه التقوى^(٢).

(١) من كتاب الحياة الروحية في الإسلام تأليف الدكتور محمد مصطفى حلمي ص (٦٣) ط ١٩٤٥.

(٢) أما اليوم بل وقبل اليوم فما عند الصوفية زهادة إلا على أطراف الألسنة، أما قلب زاهد، أما نفس زاهدة، أما يد زاهدة، أما الحقيقة البشعة الشنعاء فسلوا صناديق الأضرحة =

الانقطاع في الخلوة: وننقل النقد القيم الحق لهذا من كتاب تلبس إبليس^(١) لابن الجوزي إذ يقول: «أما بناء الأربط فإن قومًا من المتعبدین الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه، أحدها: أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنیان أهل الإسلام المساجد. والثاني: أنهم جعلوا للمساجد نظيرًا يقلل جمعها. والثالث: أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطأ إلى المساجد. والرابع: أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة. والخامس: أنهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح. والسادس: أنهم جعلوا لأنفسهم علمًا ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم. وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم ندبوا دكاكين للكوبة^(٢) ومناخًا للبطالة وأعلامًا لإظهار الزهد، وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص، يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس، وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع. فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد، وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيادة أبناء الدنيا، فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه زرمانقته فغليت عليه

والتكالب عليها، سلوا القرويين والإتاوات المفروضة عليهم، سلوا لم يدعوا الصوفية إلى نحر الذبائح للأئصب؟ وسلوا كل شيء، فكل شيء يشعر تمام الشعور بأن دعوة الصوفية إلى الزهد لم يكن مبعثها إلا الرغبة في أن يترك الآخرون من غير الصوفية أمواهم للصوفية، وليخلوا الجو للصوفية، وإلا فانظروا اليوم عند من توجد الأموال.

(١) ص (١٧٤). (٢) الكوبة: الطُّبْلُ. (لسان العرب). (ض).

السوداء فيقول: حدثني قلبي عن ربي.

ولقد بلغني أن رجلاً قرأ القرآن في رباط فمنعوه، وأن قومًا قرأوا الحديث في رباط، فقالوا لهم: ليس هذا موضعه.

هذا نقد ابن الجوزي للأربطة، فما بالك بالخلوة التي يقبع الصوفي وحده داخلها كما اشترط الغزالي بشرط أن لا يشتغل بشيء حتى بقراءة القرآن.

وإليك قول الغزالي، يقص به ما أمره به شيخ صوفي، حين أراد الغزالي سلوك طريق القوم: «شاورت متبوعاً مقدماً من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعني! وقال: السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية بحيث لا يتلفت قلبك إلى أهل وولد ومال ووطن وعلم وولاية، بل تصير إلى حالة يستوي عندك وجودها وعدمها، ثم تخلو بنفسك في زاوية تقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب، وتجلس فارغ القلب مجموع الهم مقبلاً بذكرك على الله تعالى».

وذلك في أول الأمر بأن تواظب باللسان على ذكر الله تعالى فلا تزال تقول: (الله الله) مع حضور القلب وإدراكه إلى أن تنتهي إلى حالة لو تركت تحريك اللسان، لرأيت كأن الكلمة جارية على لسانك لكثرة اعتياده^(١)، إلخ ما يهرف به حجة إسلامهم، المواظبة على قراءة القرآن ممنوعة بل شرط من شروط الخلوة عند الصوفية الذين بهم اقتدى الغزالي، وترك الأهل والولد والوطن!!

فأية خلوة هذه التي تدعو إلى إطراح كتاب الله؟! وإلى هجران أهله، وولده وعقوق وطنه؟! عجيب من الغزالي الطموح إلى قمة المجد الشاهقة في دنياه أن يطلب من غيره

(١) ص (٤٤) من كتاب ميزان العمل ط ١٣٢٨.

حبس نفسه في ظلمة الليل بين جدر صماء لا يناسمه فيها روح من كتاب الله!.

وجميل ما يقول الدكتور زكي مبارك^(١) في هذه الناحية عن الخلوة عند الصوفية:

(١) ولد زكي عبد السلام مبارك في قرية سنتريس بمحافظة المنوفية في عام ١٨٩٢م، حصل على شهادة الأهلية من الجامع الأزهر عام ١٩١٦، وليسانس الآداب من الجامعة المصرية عام ١٩٢١، الدكتوراة في الآداب من الجامعة ذاتها عام ١٩٢٤، ثم دبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة اللغات الشرقية، في باريس عام ١٩٣١، ثم الدكتوراة في الآداب من جامعة السوربون عام ١٩٣٧، وربما لذلك استحق لقب الدكاترة زكي مبارك كما أطلقها عليه الشاعر محمد الأسمر.

ألف أكثر من أربعين كتابًا، وقد أتيح له أن يعمل في الجامعة المصرية، وعمل في الجامعة الأمريكية وعين مفتشًا للمدارس الأجنبية في مصر، ولكنه لم يستقر في هذه الوظيفة، وأخرج منها بعد أن جاء النقراشي وزيرًا للمعارف والدكتور السنهوري وكيلًا للوزارة. وعمل في الصحافة أعوامًا طويلة، ويحدثنا أنه كتب لجريدة البلاغ وغيرها من الصحف نحو ألف مقال في موضوعات متنوعة، وانتدب في عام ١٩٣٧م للعراق للعمل في دار المعلمين العالية، وقد سعد في العراق بمعرفة وصداقة كثير من أعلامه، وعلى الرغم مما لقي في العراق من تكريم إلا أنه ظل يحس بالظلم في مصر وهو يعبر عن ظلمه أصدق تعبير بقوله: «إن راتبي في وزارة المعارف ضئيل، وأنا أكمله بالمكافأة التي أخذها من البلاغ أجرًا على مقالات لا يكتب مثلها كاتب ولو غمس يديه في الحبر الأسود... إن بني آدم خائنون تؤلف خمسة وأربعين كتابًا منها اثنان بالفرنسية وتنشر ألف مقالة في البلاغ وتصير دكاترة ومع هذا تبقى مفتشًا بوزارة المعارف».

في مساء اليوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ توفي. (ض).

«وكان الظن بالصوفية وهم من أهل البصائر والقلوب كذا أن يعرفوا قيمة هذه الدنيا، هذا الملك الذي ضيعه أهله، كان الظن بهم أن يجاهدوا ما فيه من شهوات وأباطيل، ولكنهم آثروا الهروب والانزواء، وصاروا يعرفون من أنهار الجنة ما لا يعرفون من أنهار هذا العالم، ويعلمون من أبواب جهنم ما لا يعلمون من أسباب انحطاط الأمم وضعف الشعوب، ويدركون من نعيم الآخرة ما لا يدركون من معنى الملك والقوة في هذا الوجود.

إن الاعتصام بشواهد الجبال فرارًا من ظلم الناس فيه ملامح شعرية ولكنه دليل على حب السلامة، وذلك من أخلاق الضعفاء، وأشرف منه أن تدخل المعركة، وأن يخضب الدم وجهك وصدرك ويديك، وأن تلقى الله بوجه شريف لم يعرف صاحبه الجبن ولا الرياء ولا الخداع»^(١).

حق هتف به الدكاترة زكي مبارك، ونحن نؤيد كلمة الحق، ونعني بها مجردة من عوارضها الشخصية أو الزمانية أو المكانية.



(١) ص (١٢٩) الجزء الثاني من كتاب التصوف الإسلامي للدكتور زكي مبارك.

الباب الثاني

طواغيت

طاغوت الإسكندرية (١)
ضريح أبي العباس المرسي
بمناسبة تأليف شيخ مسجده كتاباً عنه^(١)

شكروااجب:

في صيف العام الماضي سعدت النفس - لا بمتع الحس - بنعيم روحي غمرني نوره، وحلق بي في جو من السعادة بشره وسروره، سعدت بلقاء إخوة أعزة طالما تمنيت أن تناسمني من أرواحهم نفحة، وأن تستهل على الروح من أنوارهم لمحة، أولئك هم إخواننا أنصار السنة في الإسكندرية، ما شعرت بينهم بغربة؛ ذلك لأن النفس كانت في وطنها الروحي وأفقها الإيماني التي تتطلع إلى السماء من ذراه السامية.

قلت لهم: فديتكم يا إخوة الروح. كنت من بيتي في غرفته فانتقلت إلى روضته، فحيا الله أنصار السنة في الإسكندرية، أولئك الآساد والأشبال الذين نصبوا نفوسهم للدفاع الحق عن دين الله وإعلاء كلمته، حجتهم كتاب الله وسنة رسول الله في منطق آخذ بالعقول بيانه، وبيان تتطامن الأبواب لبرهانه، وجلد كريم صبور، وسمو مع نبل في النقاش والمحاجة، ورحابة صدر ودقة إدراك للدعوة الصحيحة وتфан فيها، لا عن تعصب أحق وإنما عن إيمان قوي راسخ مكين.

أيها الإخوة: لست أملك من الشكر لكم إلا أن أدعو الله أن يجعلكم ما حييت - وأطال الله في أعماركم - من أعز جنده المخلصين، وأحمل إليكم تحيات إخوانكم أنصار السنة بالقاهرة، وأتوجه بالشكر إلى الرجل المؤمن الموحد الطيب القلب الكريم الشعور المربي الفاضل محمود بك المحجري ناظر مدرسة رأس التين، فلقد كان طول مقامي بينهم قلبًا محبًا، ونفسًا سامية الشعور، وكذلك أشكر الإخوة الأبرار أنصار السنة في محرم بك والمكس والحضرة، وبخاصة الأستاذ الكبير عبد الحليم حمودة^(١) والأخ الحبيب رشاد غانم^(٢)، وجميع إخواننا أعزهم الله وزادهم الله علمًا وإيمانًا، وأشكر ذلك الأخ الكريم النبيل القلب الذي أهدى إلي هذا الكتاب الذي أمرني بنقده، وحال المرض - وما زال يحول عافاني الله منه - بيني وبين تلبية أمره، فهل أجد من مرضي عذرًا يسعه العفو من الأخ الكريم؟

كتاب حياة أبي العباس المرسى:

ما كنت - شهد الله - قبل تلاوة هذا الكتاب الذي سجل فيه الشيطان كفره وشركه، أتخيل أن يوجد من بين السادة العلماء أئمة المساجد من لا يزال بمثل هذه العقلية التي تؤله الجيف، وتجعل من قبورها كعبة قدسية، وحرماً آمناً يفزع إليه الوحش، بل ما كنت أتخيل أن يوجد رجل به مسكة من العقل وقبس من نور

(١) أحد رجالات الجماعة الأفذاذ، وأحد كتاب مجلة الهدى النبوي رَحِمَهُ اللهُ. (ض).

(٢) محمد رشاد غانم من الرعيل الأول لأنصار السنة بالإسكندرية، وكان من كتاب مجلة

الهدى النبوي، التي كانت تصدر عن أنصار السنة المحمدية في ذلك الوقت، ولد سنة

(١٩١٢م) وتوفي سنة (١٩٩٢م) رَحِمَهُ اللهُ. (ض).

المعرفة يتوغل في الشرك حتى هذه الحمأة الدنسة، فما بالك ومؤلف الكتاب رجل أشيب كان عالماً مدرساً، ثم إماماً ليخت المحروسة، ثم قاضياً لمدة ٢٠ سنة، ثم شيخاً للمسجد الأكبر في الإسكندرية مسجد أبي العباس المرسى؟!!

فهل يلومنا لائم إذا نحن لبثنا صباح مساء نحمل المعاول لهدم الصوفية وهدم المؤمنين بقداستها. أولئك الناقمون علينا بين أمرين، إما عن التوحيد يذودون، والذباد عن التوحيد لا يرعى خواطر ولا يرحم عنيداً مشرّكاً، ولا يخشى مقاماً تعالت صياصيه، ولا يهاب «عباسياً مرسياً أو فارضياً أو شعرانياً»، وإنما يهاب مقام الله وحده الذي عنت الجباه لعزته، وخشع الوجود بمعنييه لقدرته... وإما عن الشرك يذودون... فليختاروا لأنفسهم ما شاءوا فقد تبين الرشد من الغي، وليس هنالك وسط بين الأمرين، فليس هناك توحيد مشرك، ولا مشرك موحد وإنما هما طرفان، فمن شاء فليوحد ومن شاء فليشرك، وإذا شئت أن تضحك ساخرًا، أو إذا شئت أن تبكي مستعبرًا فاقرأ إهداء هذا الكتاب إذ يقول صاحبه: (إلى الذين أخلصوا دينهم لله من عقائد أهل الزيغ والإلحاد، وإلى الذين صفت أرواحهم وطهرت طباعهم من أدران التقليد الزائف) أرأيت لمن يهدي الكتاب؟ إن الشيخ - عفا الله عنه وستر حاله - يفهم فيمن لا يجعل لغير الله سلطاناً عليه أنه أهل زيغ وإلحاد، يفهم فيمن لا يعتقد بالوهمية الجيف وقداسة الرمم البالية أنهم ملحدون، يفهم فيمن لا يقتدي إلا بكتاب الله وسنة رسوله أنهم مقلدون...

يريد الشيخ أن يقول: إن عبادة القبور إيمان وتوحيد، وإن خضوع الفكر لضلالات الطواغيت حرية وسيادة عقلية، فمسكين أنت يا فضيلة رئيس الجماعة.

لماذا لا تكون كما يريد الشيخ حتى تكون ممن يهدي إليهم الكتاب؟؟ ولقد كنا نود أن يكون مؤلف الكتاب من أولئك الذين صفت قلوبهم ونفوسهم من الزيغ والإلحاد ولكن!!! وآه دائماً مما بعد هذه «اللاكن»، ولكن اسمع ما ينقله الشيخ عن البوصيري^(١) في مدح أبي العباس المرسى:

عين الوجود لسان سر الموجد	قطب الزمان وغوثه وإمامه
نطق بروح القدس أي مؤيد	فتلق ما يلقي إليك فنطقه
وشممت ريح الند من ترب ندي	أما مررت على مكان ضريحه
حشرت إلى حرم بأول مسجد ^(٢)	والوحش آمنة لديه كأنها

من المعلوم أن ناقل الكفر مصدقاً له كافر، وأن مؤيد الشرك مشرك.

(١) البوصيري: هو خُشد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي المشهور بالبوصيري الشاذلي، نسبة إلى بلدته (بوصير) بين الفيوم وبني سويف بمصر لأن أمه منها. أما أصله فمن المغرب.

ولد في بهتيم يوم الثلاثاء أول شوال سنة ٦٠٨ هـ، اشتغل بالتصوف وتلقى ذلك عن أبي العباس المرسى الذي خلف أبا الحسن الشاذلي في طريقته.

لم يعرف عنه طلب العلم أو تحصيله، توفي بالإسكندرية سنة ٦٩٥ هـ، وقيل: قبلها بسنة. وقيل: بعدها بسنة. وله ديوان شعر وهو المشهور بقصيدته.

للمزيد من ترجمته: فوات الوفيات (٣/ ٣٦٢)، والوافي بالوفيات (٣/ ١٠٥)، وشذرات الذهب (٥/ ٤٣٢)، وحسن المحاضرة (١/ ٥٧٠)، والأعلام (٦/ ١٣٩). (ض).

(٢) ص (٧٦) من الكتاب.

وهنا في هذه الأبيات حقائق يجب تبiana لتبين عقيدة الناظم والناقل، عقيدة البوصيري وعقيدة المؤلف، يصف الناظم أبا العباس بأنه قطب الزمان، والقطب عند الصوفية هو: (عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل)^(١) ويسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه. فالبوصيري والمؤلف إذن يعتقدان في أبي العباس المرسى أنه كذلك، وإني أحتكم إلى كل ذي عقل: أيعتقد مثل هذه العقيدة في بشر ميت رجل يزعم أنه مؤمن بالله؟ ويا ليت البوصيري والمؤلف اقتصرا على وصفه بأنه قطب الزمان، بل راحا يخلعان عليه نعوتاً تجعله أعظم من إله، إنه (عين الوجود)، ولعل القراء على ذكر من نظرية وحدة الوجود^(٢) التي تفهم في الله أنه عين الوجود؟

من يزعم أن المرسى هو الله عندهم؟ فالله عندهم عين الوجود والمرسى عين الوجود، والمتساويان في الوصف مساواة تامة لا يكونان اثنين بل واحداً فقط، المرسى عين الوجود، وعين الوجود الله، فالمرسى إذن والله عندهم شيء واحد، بل المرسى أعظم؛ لأن الله عندهم عين الوجود، أما المرسى فعين الوجود وأشياء أخرى (قطب الزمان، إمام الزمان، لسان سر الموجود، مؤيد بروح القدس في منطقة تأوي الوحوش آمنة إلى ضريحه) فهو إذاً إله أعظم لأنه عين الوجود؛ وهو

(١) كتاب التعريفات للجرجاني مادة: «قطب».

(٢) اقرأ العدد الرابع من المجلد (١١) من مجلة الهدى النبوي ص (٢٦).

نبي كمحمد أو عيسى' لأنه مؤيد بروح القدس، وعلى فرض وجود إله غير أبي العباس فأبو العباس لسان ذلك الإله، فلا يعرف كيف يتكلم إلا إذا تحرك أبو العباس الذي هو لسان ذلك الموجد...!!!

بربك قل لي يا من تشفق على الصوفية، أترضى أن يكون إلهك في مثل هذا الفهم؟ بربك قل لي يا من تدافع عن الصوفية: أهم أعز لديك أم ربك الذي خلقهم فكفروا به وآمنت أنت بهم؟!... ألا نفحة من الفكر تهديك؟

ألا لمحة من نور العقل تقودك في تيه أنت به ضال شريد؟! من شاء أن يدافع فليدل بحجته، أما أن يسب بلا حجة ويفحش في القول بلا برهان، فذلك موقفني معه ﴿لَيْنَ بَسَطَ إِلَٰهُ يَدَكَ لِنَقُتْلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ [المائدة: ٢٩].

سبب تأليف الشيخ للكتاب:

يذكر الشيخ أن سبب تأليفه الكتاب هو تبادل الحب بينه وبين شيخه أبي العباس، وأنه رآه في المنام ٣ مرات قبل افتتاح المسجد، وفي كل مرة يكون المسجد غاصاً بجمهرة العلماء، فرآه في المرة الأولى خارجاً من ضريحه وقدمه إماماً، وفي الثانية صعد به إلى المنبر، وفي الثالثة جعله يلقي محاضرة، فحقق الله رؤياه فأصبح إماماً وخطيباً وشيخاً للمسجد!!!

لا نود أن نناقش عقلية الشيخ الكريم هذه، وإنما نسأله سؤالاً: يقول الشيخ إن سبب تأليفه الكتاب هو حبه للمرسي، وحب المرسي له منذ نعومة أظفاره، فلماذا لم يؤلف الكتاب قبل ذلك، وقد كان مدرساً ثم إماماً ليخت المحروسة ثم

قاضيًا ٢٠ سنة؟؟ لماذا لماذا وقد كان لديه فسح من الوقت فسيحة لتأليف كتاب عن شيخه الذي يموت فيه حبًّا؟

ولعلي لا أكون قد أبعدت النجعة، كما يعبر الأستاذ عرنوس^(١) - إذا قلت إني أعرف جواب السؤال وإن لم ينطق الشيخ به... وكثيرون غيري سيعرفون السر في تأليف الشيخ الكتاب بعد أن أصبح شيخًا للمسجد ولم يؤلفه قبل ذلك، فالكتاب كله دعاية واسعة لزيارة ضريح أبي العباس، وأن زيارته ترياق مجرب، فالشيخ يقول في ص (٦١) من كتابه: (قال بعض العارفين: قبر سيدي أبي العباس المرسى عندنا ترياق مجرب، ما قصد الله عنده أحد إلا استجاب له، ولهذا يقول:

يا غوث يا مرسي أنت الملتجا	لجنابه إذ أنت سلطان البلد
من أم بابك تنقضي حاجاته	ويحفه اللطف الخفي من الصمد
أنت الذي من زاره زال العنا	عنه ونال مداده من غير رد
إني أتيتك قاصدًا أرجو الرضا	عني وأطلب سيدي منك المدد

إن من يقرأ هذه الأبيات من عباد القبور، ويقرأ أن زيارة قبر المرسى ترياق مجرب سيسرع ولا شك إلى زيارة القبر، فتكون النتيجة كثرة زوار القبر، وبالتالي عمران صندوقه بالندور، وإذا علمت أن لشيخ المسجد جزءًا كبيرًا مما بداخل هذا الصندوق، وإذا وعيت ما سبق علمت لماذا ألف الشيخ كتابه بعد أن صار شيخًا

(١) الشيخ محمد الصادق عرنوس وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية الأسبق، ومدير تحرير مجلة الهدى النبوي فترة من الزمن، وأحد كتاب افتتاحيتها سنوات توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٣٧١ هـ. (ض).

للمسجد ولم يؤلفه قبل ذلك...!! ثم أرأيت هذا الشرك الصريح السافر في هذه الأبيات...

إن بعض دعاة التوسل في مصر من إمعات^(١) الإنسانية يقولون: إن نداء الميت لطلب الحاجة منه شرك، أما أن يقول: (اللهم بفلان افعل لي كذا فليس بشرك) فما رأي هؤلاء في تلك الأبيات التي يرتلها شيخ لهم وهي نداء صريح؟ وما رأي هؤلاء أن توسلهم كله هو هذا؟ ولكنهم يقرون فقط إذا لزمتهم الحجة الدامغة.. إن مؤلف الكتاب إذن يعتقد أن المرسى في قبره هو الغوث وهو الملتجأ، وأن قضاء الحاجات يكون بتلمس أعتابه و و... من كل هذه الواوات الشركية... ولست أرد على الشيخ - هداانا الله وإياه - إلا بقوله في ص (٦٣): (إن من شروط زيارة القبور ألا يمسها الإنسان، ولا يمسح القبر، ولا يطيل المكث، ولا يكثّر من الكلام، ولا يرتكب المكروه ولا المحرم) تلك هي شروط زيارة القبور عند الشيخ، فلماذا لا يقول للناس ذلك عن قبر شيخه أبي العباس؟

هل قبر أبي العباس من عجّين وقبور غيره أوليائه وطواغيته من طين؟... وهنا يبدو لك غرض مرة أخرى سافراً، فهو يقول لعباد القبور: إن لمس قبور الآخرين والتمسح بهم حرام، أما قبر شيخنا فهو ترياق مجرب، من أمّه نال المنى والسؤدد. وسيزيد تبعاً لهذه الدعوى دخل الصندوق!!

ولهذا يؤيد الشيخ دعواه أن زيارة قبر أبي العباس ترياق مجرب، فيقول في ص (٦٧): (إن زين العابدين القطان يئست منه الأطباء، فذهب إلى الضريح،

(١) إمعات: جمع إمعة، وهو الذي يقلد غيره في قوله أو فعله. (ض).

وكان يأخذ شيئاً من تراب الضريح ويحك به موضع الألم وتساقط الشعر فشفي)،
بربك أيها القارئ المنصف الغيور على عقله ودينه، بماذا تحكم على عقلية ودين من
يعتق مثل هذا؟



طاغوت الإسكندرية (٢)

ضريح أبي العباس المرسى^(١)

للقرآن ظاهر وباطن:

كان البعض يحاول إقناعنا من غير حجة أن الصوفية اليوم غير الصوفية بالأمس، وأنه لا يوجد من يقول اليوم بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، فاسمع إذا أيها المحسن الظن بأهلك من الصوفية، هذا هو مؤلف الكتاب يقول في ص (٣٨-٣٩) مثبتًا أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، ويدعي أن لأولياء الله الواصلين مكاشفات روحانية وأسرارًا إلهية في تفسير آيات من كتاب الله، يذهبون فيها إلى ما يخالف الظاهر! واعجب معي إذ يقول الشيخ: إن من ينكر ذلك فهو «أفاك أثيم».

تأمل بالله تأمل!! إن رسول الله ﷺ أعظم نبي وأعظم هاد لم يقل لنا ذلك، فهل يطلق الوصف أيها الشيخ عليه؟

ولقد حاولت أن أجد للشيخ طيف حجة فلم أجد، أستغفر الله، بل وجدت حجة دامغة يدل بها على أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، فاصغ إلى حجته القاطعة وبرهانه الساطع، إذا يقول في ص (٤٢) عن أبي العباس المرسى أنه قال: (قرأت مرة ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ إلخ، ففكرت في معنى الآية - اصغ وانتبه للمعجزة الكبرى من أبي العباس - فكشف لي اللوح المحفوظ، فإذا مكتوب فيه: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحًا وعقلًا، ثم رددناه أسفل سافلين نفسًا وهوى) الله

أكبر يا شيخ!!

تلك حجة تخر أمامها كل حجة، تلك حجة لا تليق إلا بمثل هذه العقلية التي تتجراً على كتاب الله بالزور والبهتان، فتزعم أن له ظاهراً وباطناً، وتزعم أن اللوح المحفوظ كشف لرجل لا ندري ما حاله اليوم، لرجل كان يقول عن نفسه: (أنا معنى الوجود أصلاً وفصلاً)، (وأن من رآه يجب عليه السجود له)^(١) رجل هذا دينه وتلك عقيدته، تستدل بكفره وتجعل من شركه حجتك، ومن إلحاده برهانك على أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وعلى أن اللوح المحفوظ يكشف للأولياء!!

ألا بالله احترم عقلك أيها الشيخ ولكن!! لعن الله الصندوق ونذوره!!
وأحب أن أذكر هنا رأي أستاذي الكبير الدكتور محمد البهي^(٢) في تأويلات الصوفية للقرآن إذ يقول: (أما المذهب الصوفي فأساسه يبعد بعداً شديداً عن

(١) ص (٥٥) من الكتاب.

(٢) هو محمد محمد البهي، ولد بقرية أسمانية محافظة البحيرة سنة (١٣٢٣هـ)، (١٩٠٥م)، تخرج من الأزهر، وحصل على درجة التخصص - ماجستير -، وكانت بعنوان: «أثر الفكر الإغريقي في الأدب العربي نثراً ونظماً»، ثم حصل على الدكتوراة من ألمانيا جامعة هامبورج، وكانت بعنوان: «الشيخ محمد عبده والتربية القومية في مصر».

عمل مدرساً للفلسفة في كلية أصول الدين، وعين أول مدير لجامعة الأزهر بعد صدور قانون تطوير الأزهر سنة (١٩٦١م)، ثم عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر في سبتمبر (١٩٦٢م)، توفي سنة (١٤٠٢هـ)، (١٩٨٢م).

له العديد من المؤلفات أبرزها: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، وقد كان شيخاً للعلامتين عبد الرحمن الوكيل، ومحمد خليل هراس، رحم الله الجميع. (ض).

أساس الإسلام، يقول جولدزيهر في كتابه محاضرات في اتجاهات المسلمين في تفسير القرآن: ليس من السهل لدى صوفية الإسلام أن يعثروا في القرآن على فكر المذهب الصوفي، وأن يستشهدوا بالكتاب المقدس على نظرتهم في الدين وفي العالم، إذ من الصعب تصور فكرة دينية يضاد بعضها بعضًا وراء الإسلام والمذهب الصوفي، فهناك في الإسلام الفهم المعقول لانفصال الله التام عن العالم، وهنا في المذهب الصوفي اعتقاد حلول الله في العالم^(١). فمحاولة التوفيق إذن بين التصوف والإسلام لا بد أن تعتمد على جذب عنيف بين الطرفين، أو بالأحرى جذب عنيف لنصوص القرآن نحو التصوف، وليس من اليسير إذن أن يوجد في عبارات الدين - عن طريق ما يسمى بالدلالة الوضعية، وهي الدلالة المتبادرة، أو ما يعرف بالدلالة الثانوية، وهي دلالة المجاز - ما يعطي أساس التصوف، ولا شك بعد هذا إذا حملت العبارات الدينية المعاني التصوفية، وفسرت تلك بهذه، تكون دلالة تلك العبارات على هذه المعاني أشبه بدلالة الرموز على ما جعلت رمزًا له، وبعبارة أخرى على غير العرف العام للغة، وعلى غير النمط الجاري في إطلاق ألفاظها على معانيها وفهم هذه من تلك، ولكنهم في سبيل غايتهم ربما لا يحفلون برعاية هذا العرف العام للغة، وربما على العكس يتجاوزونه قصدًا ولنا أن نسائل الشيخ وأضرابه من الصوفية الذين يؤمنون بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا

(١) إلى هنا انتهى رأي جولدزيهر، وما بعده تنمة حديث أستاذنا الكبير الدكتور البهي في كتابه الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي الإسلامي. الجزء الثاني ص(٤٠)، وليتأمل القراء في رأي جولدزيهر. ففيه الحق وفيه الصدق وفيه الفكر السليم.

ابتغاء الفرار من الشريعة الغراء، وابتغاء تلمس الأسباب للهوي في أغوار الدنس والشرك والخطيئة، أسائل الشيخ ومن هو مثل الشيخ في عقليته وعقيدته، هذا الباطن الذين يزعمونه للقرآن إما أن يكون من الدين أو ليس منه، فإن كان من الدين ثبت أن محمداً ﷺ خان الرسالة - غفرانك يا رب -؛ لأن الله أمره بالتبليغ، وهو لم يبلغنا ذلك الباطن الذي تزعمونه للقرآن، يزعم بعضهم أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه كتم ذلك الباطن عن أمته، كيف ذلك أيها المضللون وكتاب الله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، قال الرازي في مفاتيح الغيب: (هذه الآية تدل على أن ما يتصل بالدين ويحتاج إليه المكلف لا يجوز أن يكتم، ومن كتمه فقد عظمت خطيئته) وقريب من هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فكيف إذن يكتم النبي ﷺ وهو غير طائع لربه ما أنزل الله عليه من دين لأمته؟

روى ابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كتم علماً مما ينفع الله تعالى به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»^(١)، وروى أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي ورواه الحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب: المقدمة، برقم: (٢٦٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،

وقال الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٦): ضعيف.

القيامة بلجام من نار»^(١)، وفي رواية لابن ماجه قال: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»^(٢).

هذه براهين الحق ساطعة، ومن مشكاة النبوة تثبت أن الرسول ﷺ ما كتم عنا شيئاً، بل بين لنا كل شيء؛ فما يجوز أن يأمر أمته ببيان العلم ويكتمه هو وهو سيد أهل البيان.

وأخرج البخاري والترمذي وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو زينب للنبي ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك. فنزلت: ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] قال أنس رضي الله عنه: فلو كان النبي كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية، فتزوجها النبي»^(٣) إلخ.

قال الألوسي: (والتحقيق عندي أن جميع ما عند النبي ﷺ من الأسرار الإلهية، وغيرها من الأحكام الشرعية قد اشتمل عليه القرآن المنزل، فقد قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال ﷺ فيما أخرجه الترمذي وغيره: «ستكون

(١) أخرجه أبو داود وغيره، كتاب: العلم، برقم: (٣٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب: المقدمة، برقم: (٢٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، برقم: (٧٤٢٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

فتن» قيل: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله تعالى، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم»^(١).

مما قدمناه يثبت زندقة القائلين بأن للقرآن ظاهراً وباطناً، وكفر القائلين بأن محمداً ﷺ كتم عنا ذلك، فبربك أيها الشيخ قل لي: أحجة أبي العباس عندك أقوى من حجة الله؟ أحجة هذا المجهول حاله أقطع عندك من حجة رسول الله ﷺ؟ إنك لأشد جراً على رسول الله من سواك حتى تؤكد لنا أن من لا يصدق بأن للقرآن ظاهراً وباطناً فهو أفاك أثيم!!

تب إلى الله يا شيخ واستغفر ربك، أو اتتنا بوجه حجة وظن برهان يثبت لنا تلك الدعوى الخاطئة، المخطئة وهي أن للقرآن ظاهراً وباطناً: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فأجب داعي الله يا شيخ، وارفع القرآن فوق شيخك المرسي وساداته وأهله، الشاذلي وغيرهم من الشياطين، ورزقك بيد الله: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

أبو العباس يجعل من نفسه الإله:

كثير من الصوفية الناقمين مني قوله الحق يثيرونها شعواء علي كلما مس الحق مني لهم جانباً، وإلى هؤلاء الناقمين أوجه الحديث لعل نفحات من روحانية الحق ترف على أرواحهم الشريدة الضالة في المعجزات لشيخه وقيم حلقات الأذكار،

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، برقم: (٢٩٠٦)، من حديث علي رضي الله عنه، وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣).

وليت الأمر اقتصر عند ذلك الحد، ولكن هنا تذبح الذبائح لغير الله، هنا من يشفي المرضى! هنا من يمرض المعارضين! هنا من يكاد يمسح الناقمين على مفسده ومهازله ومقاذره، هنا من يتكلم بلغة لا عربية ولا هي شرقية ولا غربية! هنا من يلبس المسوح من الثياب ويحمل جريدة أو فرقلة أو عصا تنساب منها البركة على من يدنو منها أو يلامسها، هنا من يمشي حافيًا لأنه محكوم عليه بذلك ولا أدري من حكم عليه؟ ومع ذلك فهم آلهة عند الناس أو أنصاف آلهة! إليهم يلجأ القليل، وعلى أيديهم وبركاتهم تحمل العقيم، هنا من يُنجد في الضراء، هنا من يرفع البلاء، هنا من يحرس البلاد وهم المشايخ الأموات، هنا من يستعان به من الأحياء والأموات، أوجدت مشايخ الطرق العداوة والبغضاء بين أبناء البلدة الواحدة والأسرة الواحدة والبيت الواحد وإن شئت فقل بين الأخ وأخيه.

يا للأسف؛ هذا الدين الحنيف الذي كان أول هدفه التوحيد وإزالة العداوة والبغضاء، وأن يصبح الناس بنعمته إخوانًا ترتكب كل هذه المهازل باسمه؟ أين الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف التي ساوت وساوى الدين فيها بين المصري والشامي واليمني والرومي إلخ؟ يتنازع فيها الآن تلك الفئة التي ضلت وأضلت، ما لهم جانبوا الحق واتبعوا الباطل، ما لهم عميت بصائرهم وبصيرتهم فلم يفرقوا. هل تستوي الظلمات والنور؟ هل يستوي الظل والحرور؟ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

الله تعالى يقول على لسان رسوله الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولكن البدع سادت فأوجدت ما ذهب بديننا واستقلالنا، وما جعلنا عبيدًا

بعد أن كنا سادة وما أذلنا ولنا العزة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فأين هي العزة؟ أضعناها لأننا لسنا بمؤمنين، وإني لأتساءل، أحلقات الأذكار التي يختلط فيها الحابل بالنابل، وهي إلى الرقص أقرب منها إلى الذكر هي التي تدخل الجنة؟!

أحلقات أذكار يحرف فيها اسم الله بل يبدل، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] تدخل الناس في رحمة ربهم؟، وإذا استغثنا بغير الله أجبننا به لا يجاب لنا طلب؟ أسمع وتأخذ عن أمثال هؤلاء الضالين المضلين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا؟ فكيف يملكون لنا النفع والضرر كذبا ذلك والله (لأن فاقد الشيء لا يعطيه)، أترك ذلك الينبوع الصافي كتاب الله وسنة رسوله وتتبع أولئك الضالين؟ ولكن يا سيدي هذا هو الحاصل عندنا، ونحن وزملائي نجاهد ونرجو منكم أن تنظموا كتائب جهاد، فقد استهوت هذه الخرافات عقول العامة فأصبحت عقيدة ثابتة راسخة يدافعون عنها، ويؤذون المعارضين لهم بأيديهم وألسنتهم وترهاتهم ودعاياتهم المسمومة التي ينظمها ويروجها لهم مشايخهم، وليت الأمر اقتصر على العامة، إذًا هان الخطب، ولكن العدوى سرت إلى الخاصة، فهم بهديهم يهتدون وعنهم وعن أعمالهم يدافعون ويثرون.

وكلمة صريحة أقولها لجميع الحكومات المتعاقبة: حاربوا أمثال هؤلاء فأنتم على حربهم أقدر، سنوا القوانين الزاجرة تريحوا وتستريحوا، وتوفروا أموالا طائلة تعود بالخير على الوطن وبنيه.



طاغوت الإسكندرية (٣)

ضريح أبي العباس المرسى^(١)

الأولياء يطلعون على الغيب:

أيها القارئ العاقل: يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [١٦] إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٧﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، ويقول جل شأنه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ويقول عزَّ مِنْ قَائِلٍ آمراً نبيه أخا عاد أن يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَنْكِىَ أَرْكَبُ قَوْمًا بِجَهْلُوهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٣]، ويقول - ومن أصدق من الله قيلاً -: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

هذا بعض ما يقول الله، ومنه نعلم ونؤمن بأن الغيب لا يعلمه غير الله... ولكن يا أخي القارئ يقول الشيخ مؤلف الكتاب في ص (٢٩) قولاً غير قول الله، ويدعوك إلى الإيمان بما يقول هو من الباطل لا بما يقول الله الحق، يقول الشيخ هدايا الله وإياه: (شاع وكثر في اللغة العربية أن الإذن للمتبوع إذن للتابع، فإذا قيل مثلاً إن الملك لم يأذن لأحد في دخول القصر إلا للوزير، فإنه لا مانع من دخول تابع الوزير، فكذلك الولي إن أخبر بغيب من الغيوب فإنما ذلك لدخوله بصدق المتابعة وانطوائه في النبوة، فأولياء الله من مظاهر نور النبوة... فأخبار الولي ببعض الغيوب لا يحيله العقل).

يريد الشيخ أن يقول: إن معنى آية: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَطْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦-٢٧] أي: من رسول وولي!!

أرأيت هذا التخريج والتفكير الدقيق العميق...

أيها الشيخ: إن الغيب هنا في هذه الآية الذي يطلع الله عليه رسله هو الرسالة، إن كنت تفهم أي القرآن، فهل كان الولي رسولاً؟

لذلك يقول لك في آية أخرى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]..

ثم من أين جئت بهذا التخريج الذي يمجّه العقل وتحيله اللغة التي نزل بها القرآن، أعن الله أم عن رسول الله؟ كلا.

اسمعوا أيها القراء، إن الشيخ جاء بهذه الحجة عن إمامه الغزالي^(١)، ثم جحد

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد سنة (٤٥٠هـ) في الطابران بطوس، ورحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، ثم عاد إلى بلده، ففي نيسابور لازم إمام الحرمين الجويني فبرع في الفقه في مدة يسيرة، كما أخذ عن أبي علي الفارمادي مبادئ الطريقة الصوفية.

مر الغزالي بمرحلة شك وقلق عقدي، ثم عزلة طويلة بالشام، درس بالنظامية، ثم عاد إلى نيسابور سنة (٤٩٩هـ) ثم إلى طوس (٥٠٣هـ).

وفي الأيام الأخيرة من حياته اعتكف على دراسة الحديث النبوي، توفي سنة (٥٠٥هـ) في بلدة الطابران. ترك الغزالي الكثير من المؤلفات.

[انظر: السير (١٩/٣٢٣-٣٢٥)، الأعلام (٧/٢٢)]

والحديث عنه يطول ولعلامتنا الوكيل رَحِمَهُ اللهُ حديث طويل سيأتي فيما بعد... (ض).

هذا الفضل فنسبه لنفسه، وإليكم ما يقوله الغزالي ملخصاً في ص (٤٥) من كتاب الإملاء بآخر كتابه إحياء علوم الدين: يزعم الغزالي أن الولي يسمع الوحي من الله حين يكون الله يوحى إلى غيره. ويشبه الغزالي هذا بمن يكون حاضراً مع ملك وهو يولي أحد الناس ولاية، فإن الحاضر يسمع قول الملك لصاحب الولاية!! ويقول في ص (٤٧) من الكتاب المذكور: (فإن قيل ألم يقل الله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦]. فكيف يطلع على الغيب من ليس برسول؟

قلنا في الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الصورية أن يكون معناه: (إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بإخلاص)!!
يا شيخ مسجد أبي العباس: حتى الذي تعتز به ليس من علمك، وإنما هو سرقة بينة من إمامك الغزالي، فأنت وإمامك إذن تهتمان قول الله، إذ تقولان إن الأولياء يعلمون الغيب الذي يقول عنه الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ لأنهم حاضرون في ذات الرب عندما يوحى إلى رسوله؛ لأن رب الصوفية حال، أو جزء موزع في كل مخلوق، يتجلى ذلك للعارف من أوليائهم فيكون حاضراً عند الإيحاء لرسول الله... الغزالي وحجة الإسلام وناصر السنة و... عند الجمهور الغبي الجاهل، هذا الرجل الذي سيطر سلطانه الروحي على المقلدين الغافلين من الأمة الإسلامية ثمانية قرون، هذا الرجل الذي يفهم كثيراً من اللابسين ثوب العلماء كتاب الله على ضوء كتابه الإحياء، بل يجعلون الإحياء هو القاعدة. هذا الرجل الجراءة على الشرع يزعم أن في الشرع ما يدل على صحة تقدير: (إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بإخلاص) رأيتم أيها المؤهلون لهذا الرجل قحته وسلطة قلمه وجراءته على كتاب الله، فيحرف الكلم عن مواضعه؟!!

بودي لو يتعرض واحد من المقدسين لكتاب الإحياء للرد على ما نقول!! ولكنهم كالنعام يخفي رأسه في الرمال، يزعم أن أحدًا لا يراه!!.

أيها القارئ: الله ورسوله يقولان إن الله وحده هو عالم الغيب، والغزالي وتلميذه شيخ مسجد المرسي يقولان إن كثيرًا من الناس يسمعون الوحي ويعلمون الغيب، فأيهما أيها العاقل تصدق؟!

ويزداد الشيخ جراءة على ربه الأعظم، فيقول - وابتك حسرة على ما يقول - في ص (١٠) من كتابه المذكور: وقد وقع بينه - أي: بين أبي العباس - وبين الشيخ العارف ماضي بن سلطان نقاش، فلما سمع به شيخه أبو الحسن^(١) قال: يا ماضي الزم الأدب مع أبي العباس، فوالله إنه لأعرف بأزقة السماء أكثر مما تعرفه أنت من أزقة الإسكندرية)...

إذن فأبو العباس عرج به إلى السماء وطاف بكل شارع وحارة وزقاق وعطفة فيها!! ما كنا يا شيخ نعرف هذه عن إلهك الأعظم!! ولكنني أحب أن أقول لك أن هذا الزعم، أي كون المرسي يعرف أزقة السماء يزعمه الرافضة لعلي^(عليه السلام)... واسمع: قال ابن تيمية^(رحمته الله) في كتابه: منهاج السنة: (قال الرافضي: وقال: - أي: علي^(عليه السلام) -: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء، فإني أعلم بها من

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الضرير المغربي الزاهد، شيخ الطريقة الشاذلية، سكن بالإسكندرية، تشعبت من طريقته طرق كثيرة، له مصنفات في التصوف، وفروع الفقه المالكي. لمزيد من ترجمته انظر: طبقات الأولياء ص (٤٥٨)، ومعجم المؤلفين (١٣٧/٧). (ض).

طرق الأرض^(١).

من هذا النص يثبت أن شيخك أبا الحسن سرق ذلك الوصف الرافضي وخلعه على سيدك المرسى، ولن أرد عليك بل سأترك الرد لمن هو خير مني، هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يرد على الرافضي، ويرد أيضًا على الشيخ وعلى من هو في مثل عقيدة الشيخ: (وقوله أنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض كلام باطل لا يقوله عاقل، ولم يصعد أحد ببدنه إلى السماء من الصحابة والتابعين، ولا من الأنبياء السابقين، وقد تكلم الناس في معراج النبي صلى الله عليه وسلم هل هو ببدنه أو بروحه. وإن كان الأكثرون على أنه ببدنه فلم ينازع السلف في غير النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يعرج ببدنه ومن اعتقد هذا من الغلاة في أحد من المشايخ وأهل البيت فهو في الضلال من جنس من اعتقد من الغلاة في أحد من هؤلاء النبوة أو ما هو أفضل من النبوة، وهذه المقالات كلها كفر بين لا يستريب في ذلك أحد من علماء الإسلام)^(٢) ألا فليبيئ الشيخ بما حكم به ابن تيمية عليه وعلى من هو مثله، أو فليتب الشيخ إلى الله، ولينظر إلى من هو في السماء مستويًا على عرشه خير من نظره دائمًا إلى صندوق الذنور... فالله عنده خزائن السموات والأرض، وما عند الله خير وأبقى، ولعل قرشًا طيبًا يبارك لك الله فيه خير من كنوز قارون من السحت بله صندوق أبي العباس... والله إني لمشفق عليك يا شيخ وهذه شيتك، أفلا تستحي من الله فتسارع بالفرار

(١) الجزء الرابع من كتاب منهاج السنة النبوية ص (١٥٩) طبعة أولى بالمطبعة الأميرية سنة

١٣٢٢ هـ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) (ص ١٦٠ / ج ٤) من منهاج السنة المذكور.

إليه تسأله كنز الآخرة، لا صندوق أبي العباس!!.

أبو العباس أعظم ولي في الأرض!:

ولا يسأم الشيخ في كتابه من ترداد عظمة أبي العباس، وأنه سيد أوليائهم، وهكذا كل سادن طاغوت من هذه الطواغيت يزعم أن طاغوته أعظم من كل هؤلاء، فسادن البدوي يزعم أن سيده أفضل من الحسين - خسي هؤلاء أجمعون -، وسادن الشعراني يزعم مثل هذا، فالمسألة ليست مسألة حب هؤلاء، وإنما هي.. ولعن الله عبادة الدرهم والدينار تلك الصناديق التي يجمع فيها السحت ليأكله بعض من يلبسون زورًا لباس العلماء من أئمة المساجد، أستغفر الله بل معابد الطواغيت... واسمع ما يقول الشيخ عن سيده المرسى في ص (١٠): (قال زكي الدين الأسواني: قال لي سيدي أبو الحسن الشاذلي: يا زكي، عليك بأبي العباس، فوالله ما من ولي كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه فهو الرجل الكامل).

أدركوا أدركوا يا سدنة البدوي والشعراني الوحي الوحي، إن الشيخ يجعل أبا العباس أعظم من سادتكم. ويروج بذلك الإفك والبهتان لتجارته لتبور تجارتكم، دعوة جلية سافرة تهتك القناع عن الغرض المادي الشرير من تأليف ذلك الكتاب، وإن قول أبي الحسن: إن أبا العباس خير من كل ولي كان أو هو كائن مشاركة لله في علمه، فمن ذا الذي قال لأبي الحسن إنه لن يوجد في المستقبل من هو خير من أبي العباس؟ أليس في هذا جراءة أيما جراءة على الله؟ وأنت أيها القارئ - يرحمني الله وإياك - قد فهمت مما قرأت عقيدة أبي العباس، فكأن أبا الحسن يجعل من هذا الرجل المارق الوثنى أعظم ولي لله في الأرض، فبعدًا لقوم لا يؤمنون.

فماذا تحكم على هؤلاء بعد ذلك؟ ولعنة الله على الكاذبين.... يتبع

طاغوت الإسكندرية (٤) ضريح أبي العباس المرسي^(١)

معجزات المرسي والشاذلي:

في ص (١٦) يذكر الشيخ أن أبا الحسن الشاذلي أشار إلى أصحابه أنه يموت في الطريق، ولكن الله جل جلاله يقول: ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، فأيهما تصدق يا شيخ المسجد؟ وقد خشي الشيخ أن يبحث الناس عن الشاذلي لزيارته فيقل رواد أبي العباس، فأثبت نفس المعجزة للمرسي في ص (١٨) أن أبا العباس أمر خادمه بحمل فأس وقفة وحنوط، فقال الخادم: ولماذا؟ فقال له: في حميثرا^(٢) سوف ترى. ولما بلغ حميثرا اغتسل الشاذلي وصلى ركعتين ومات...

إذن فالمرسي أوحى إليه أن الشاذلي سيموت!!

وفي ص (١٧) يقول الشيخ: إن ماء الموضع الذي دفن فيه أبو الحسن كان ملحًا فصار عذبًا!!

وهكذا يثبت للشاذلي معجزة إبراهيم عليه السلام ولكن بصورة أخرى.

ويقص في ص (١٤): أن أبا الحسن أمره النبي بالسفر إلى مصر ليربي فيها ٤٠ صديقًا فقال له: الحر... (تأمل! يأمره الرسول بأمر فيخشى على نفسه الحر!!
﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١])، فقال له النبي: الغمام يظللکم. فقال أبو

(١) (٥ / ١٣٦٧ هـ).

(٢) حميثرا بصعيد مصر بالقرب من أسوان وبها قبر الشاذلي. (ض).

الحسن: والماء غير ميسور في الطريق. فقال: إن السماء تمطر كم...

ويقص في ص (٣٢): أن أبا العباس أمر مريديه بعمل عصيدة في يوم حار، فسئل في ذلك، فقال: هذه عصيدة ولدنا ياقوت العرشي^(١)، فقد ولد في هذا اليوم في أرض الحبشة وكان كما قال...

وفي ص (٥٢) يقول: قال أبو العباس: لقد صحبت أقوامًا يمر أحدهم على الشجرة فيشير إليها فتثمر لوقتها. ويقول: لو حجب عني سيدي رسول الله ما عدت نفسي من المسلمين..

وفي ص (٣٣-٣٤): أن ياقوتًا العرش وجد قرشًا، فاشترى به زبيبا، فلم يأكله رغم جوعه وأبقاه لأبي العباس، فلما وصل جاءه أبو العباس بخروف مشوي وقال له: كل كما آثرتني على نفسك، وتصدق بالزبيب على الفقراء فنحن لا تباح لنا اللقطة».

وفي ص (٣٤) كان أبو العباس يقول: ما دخل بطني حرام. فامتحنه بعض الحاسدين فقدم له طعامًا فيه شبهة فامتنع ﷺ من أكله.

وقال لمضيفه: كان للشيخ المحاسبي^(٢) عرق في أصبعه يضرب إذا مد يده إلى

(١) ياقوت العرش ولد بالحبشة ثم جاء إلى مصر، كان من تلاميذ أبي العباس المرسى مات ودفن بالإسكندرية سنة (٧٠٧هـ) انظر الطبقات الكبرى (٢/ ٢٠). (ض).

(٢) هو الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، شيخ الصوفية، صاحب التصانيف الزهدية، حذر منه الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ، وحذر من مجالسته وقراءة كتبه. توفي سنة ٢٤٣هـ.

[انظر: صفة الصفوة (١/ ٥٥٤)، البداية والنهاية (٧/ ٣١٠)]. (ض).

طعام فيه شبهة، وأنا في يدي ستون عرقاً تضرب عند ذلك..

وهكذا يمضي الشيخ في تسجيل كثير من هذه المعجزات، ويبرهن على ذلك بقوله في ص (٢٧) كرامات الأولياء حسية هي المشي على الماء وطي الأرض، وتكثير الطعام والشراب، والطيران في الهواء، والاطلاع على المغيبات!!.

ذلك والله مما تخزى به العقلية الإنسانية أن يوجد اليوم على ظهر الأرض من يزعم مثل هذه المزاعم الخاطئة بل الفاجرة...

أسألك أيها الشيخ لماذا لم تطو الأرض لرسول الله وهو مهاجر إلى المدينة حتى كاد يعثر عليه عدوه؟ لماذا لم يطر في الهواء هو ورفيقه؟

ثم أليس الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة^(١) خيراً ملايين المرات من أبي الحسن الشاذلي؟

هذا القديس الشاب عليه السلام ظمئ وكاد يقتله الظمأ هو وولده الطفل، وهو في حربه مع بني أمية، فلماذا لم تمطر له السماء كما أمطرت لسيدك الشاذلي، وكانت جرعة ماء واحدة كفيلة بإنقاذ الحسين عليه السلام من مصرعه؟! وأبو بكر الصديق يا شيخ، المبشر بالجنة أكل ذات مرة مالا حراماً، ولم يعلم به إلا بعد أن أخبره خادمه فوضع أصبعه في فمه وتقايأه.

لماذا لم يضرب عرق واحد في يده مثل أبي العباس أو حتى مثل المحاسبي، العباس يضرب ستون عرقاً في يده لو امتدت إلى حرام، أما أبو بكر فيأكله ولا يعلم به إلا عن طريق خادمه!!..

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، برقم: (٣٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في المشكاة (٦١٥٤).

ولماذا لم يطلع الحسين على الغيب فيعلم أن في ذهابه إلى بني أمية مصرعه؟
ألست تقول إن الاطلاع على الغيب من خصائص الولاية؟ وأليس الحسين
يا شيخ ولياً؟

آه يا شيخ من الصندوق!! قياساً على قولك يكون العباس خيراً من أبي بكر
وأفضل من الحسين...!!!

وما أريد أن أقول لك شيئاً، وأن الأولياء أنبياء بل هم آلهة، وما أنا بحاجة إلى
نقاشك.

أبو العباس قطب الوقت في زمانه:

في ص (٣٦ - ٣٧): يزعم الشيخ أن رجلاً سأل الله أن يريه قطب الوقت في
زمانه، فرأى رجلاً في منامه، فلما أصبح قص رؤياه على صديق له، فذهب يطوف
به على أولياء المدينة، فلما دخل على أبي العباس قال له أبو العباس: أنا من تطلب.
قال الرجل: فإذا هو الذي رأيته في المنام.. وأنت قد عرفت من هو قطب الوقت
عند الصوفية، هو قوة هائلة لها التصرف في السموات والأرض.. فأبو العباس
إذن عند الشيخ كان كذلك، وأبو العباس إذن كان يعلم بما في النفس، وهذا من
خصائص علم الله وحده، يقول جل شأنه على لسان نبيه عيسى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ويقول: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [الحديد: ١٩].
[غافر: ١٩]. ويقول: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦].

وكذلك أبو العباس عند الشيخ أليس هو قطب الوقت الذي يتصرف في
السموات والأرض؟
اللهم لا حول ولا قوة إلا بك..

تثبت لنفسك العلم بالسرائر فيتناول عليك بعض عبادك ويثبتون ذلك
لألهتهم التي يعبدون من دونك!!
معجزات العرشي:

ولأن العرشي^(١) من تلامذة أبي العباس أراد الشيخ أن يثبت له بعض المعجزات،
فيقول في ص (٧٥): إن العرشي كان مقبول الشفاعة حتى في الحيوان.
ويذكر أنه كان جالساً في حلقة الدرس، فجاءت يمامة وقفت على كتفه وأسرت
له شيئاً في أذنه، فقام وركب بغلته من الإسكندرية وتوجه إلى مصر العتيقة حتى دخل
جامع عمرو، وقال: أين مؤذن المسجد؛ فحضر بين يديه، وقال: إن يمامة أخبرتني أنك
تذبح فراخها كلما أفرخت. فقال المؤذن: صدقت. فقال له: لا تعد وتب إلى الله..
وكان ياقوت يقول: أنا أعلم الخلق بلا إله إلا الله ص (٧٥). فياقوت إذن كان
أعلم من رسول الله صلوات الله عليه وسلامه؛ لأن كلمة «الخلق» يدخل تحتها
كل مخلوق، وياقوت إذن كان كسليمان عليه السلام يفهم منطق الطير.. وإذن أوتي ياقوت
بعض ملك سليمان؟!

يا شيخ هل الدنيا هكذا تنسيك حتى أوضح الحقائق التي لا تخفى على غبي؟
أتسوي رجلاً ما تدري حاله اليوم بسليمان؟
أتجعله أعظم من رسول الله علماً بالتوحيد؟ ثم ما هذا التواضع يا ياقوت؟ لماذا لم
تقل إنك أعلم حتى من الله ذاته بلا إله إلا الله؟!

(١) في ص (٧٦) يقول الشيخ العاقل مؤلف الكتاب: إن العرشي سمي كذلك لأنه كان
يسمع أذان العرش!! فتأمل تأمل.

في أي عصر نعيش يا قوم؟. ولماذا تنقمون منا حربنا التي نثيرها على الصوفية؟
بعضكم يقول لقد انقضى عصر من يقولون بمثل هذه الأساطير، ولكن ها
هو كتاب يطبع في مصر وفي سنة ١٩٤٧، ويؤلفه عالم قاض شيخ لأكبر مسجد في
الإسكندرية يقول هذه الأساطير ويعتنقها ويدعو الناس إلى الإيمان بها!! فماذا أنتم
قائلون؟

غرام الشيخ وعقيدته:

أحسب أن بعض قرائنا الأعزاء سئموا من كثرة ما نقلناه عن هذا الرجل من
ضلالات، ولكن يبدو عذرنا واضحًا إذا فكروا في هذه الألقاب التي يوصف بها
الشيخ وتأثيرها الشديد على العامة بل وبعض أصحاب الشهادات الكبرى..
فتالله لقد شاهدت وأنا عائد من الإسكندرية واعظًا كبيرًا في القطار ممسكًا بكتاب
الشيخ يقرأه في خضوع وخشوع يعبر عنهما بهزات رأسه أحيانًا، وإغماض عينيه
«روحنة» أحيانًا ويبيدي إعجابه لمن حوله بالكتاب وصاحبه.. واعظ وكل إليه
الدعوة إلى الله يدعو إلى اعتناق ما في الكتاب من عقيدة!! ولسنا نرد على الشيخ
وحده، وإنما على كل مؤله للطواغيت مثله...

ونحب أن نختم هذا البحث بما يأتي: يقول الشيخ ص (٧٦) إنه ألقى في روعه
«تأمل فالشيخ يوحى إليه» أن يختم الكتاب بثلاثة قصائد الأولى والثانية غزلًا في
الذات المحمدية «الله الله يا شيخ»، والثالثة محادثة أدبية أخلاقية ختامها حب آل
البيت. وإليك بعض أبيات الشيخ العاشق في ص (٨٤):

من كان مثلي مؤمنًا بصباية هيهات يصغي لمفسد نمام

قسمت قلبي للظباء وللمها
وجأذر تسطو بغير حسام
ويقول في القصيدة إنه مغرم بدعجاء جميلة لا يشبهها إلا محمد؛ ويتابع قوله في
أنه لا يشبه معشوقته أحد:

إلا الذي لولاه ما خلق امرؤ
طه الشفيع لأمة الإسلام
البيت الأول مكسور يا شيخ إذا قرأناه مصححًا.

وإذا أردنا قراءته موزونًا جزمنا يصغى بلا أداة، فحتى هذه المبادئ الأولية من
اللغة يخطئ فيها الشيخ؟ والثاني يثبت أن الشيخ عاشق مدله جدًا بغانيات
كثيرات، يختص واحدة منهن بالعشق والإكبار وليس لها من شبهه إلا محمد.. ولا
أقول ﷺ لأن محمد الشيخ ليس هو النبي الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه
عليه محمد بن عبد الله الذي مدحه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]..
الشيخ - تاب الله علينا وعليه - يشبه رسوله العظيم عنده بغانية دعجاء!!
ويجعل الغانية هي المشبه بها. والمشبه به يكون أكثر ما يكون أعظم من المشبه ثم
يقول الشيخ عن محمد هذا إنه لولاه ما خلق امرؤ!!

من محمد هذا أيها الشيخ؟ إنه ليس رسول الله الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ؛
لأن رسولنا الكريم يأمره الله بأن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] لم
يكتف بلفظ بشر بل أكدها تأكيدًا جازمًا بالمثلية، فهل تفهم هذه المثلية يا شيخ؟
وهل بشر مثلنا يفهم فيه أنه لولاه ما خلق امرؤ.. ثم إن الله سبحانه وتعالى جعل
الغاية من الخلق هي عبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]،
فلم يقل إن الخلق لأجل محمد ﷺ، والنبي يقول: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله

ورسوله^(١). اقرأ القرآن يا شيخ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

[محمد: ٢٤]

وفي ص (٨٦) يقول أيضًا:

يا جيرة الجرعاء لي في الحي ظبي يعظم
قسماً به وأنا بغير جماله لا أقسم

تصور الشيخ العالم القاضي يقسم بجمال ظبي ثم يثني بأنه لا يقسم بسواه.

أين الله يا شيخ؟! أين الله يا من نصبتك وزارة الأوقاف لتدعو الناس إلى الله.

وهل لم تسمع قول رسول الله: «من حلف بغير الله فقد أشرك»^(٢) وهل لم تسمع قول الصحابي الجليل ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذباً خير من أحلف بغيره صادقاً»^(٣). فالحلف كذباً بالله معصية وبغيره شرك، والمعصية ولا شك أهون شراً من الشرك.

وفي ص (٨٩): يرتل الشيخ نشيد الشرك فيقول:

قالوا تلوذ بأي بيت أولاً قلت الحسين له المقام الأكرم
قالوا ومن تأتي إليه ثانياً فأجبت زينب للحسين توأم

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، برقم: (٣٤٤٥)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الأيمان والنذور، برقم: (٣٢٥١)، من حديث ابن عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٢٨١) من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٣).

قالوا ومن أفنى الشباب بحبهم قلت (الفلان)^(١) بآل طه متيم

أين بيت الله يا شيخ؟ وأين الله يا شيخ؟

أتلوذ بمن لا ينفعون ولا يضررون وتنسى الله؟

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

أرأيت غرام الشيخ وعقيدته أيها القارئ؟ أسأل الله لي ولك العافية من هذين.

خاتمة:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]،
«اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا،
وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، ومن فوقني نورًا، ومن تحتي نورًا، ومن أمامي
نورًا، ومن خلفي نورًا، واجعل لي في نفسي نورًا، وأعظم لي نورًا»^(٢)، «اللهم اغفر
لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني.

اللهم اغفر لي خطيئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي.

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت
المؤخر وأنت على كل شيء قدير»^(٣)، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) هنا ذكر الشيخ اسمه، وتركناه إشفافاً عليه.

(٢) متفق عليه عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه عن أبي موسى.

طواغيت (٢) (١)

الولي يرى الملائكة ويخاطبهم:

وإذا كان الغزالي يزعم أن الولي تنكشف له الحقائق كالنبي، وأن بعض الأولياء أتقى من كرام الأنبياء، فما يبعد عليه أن يزعم أن الولي يرى الملائكة ويخاطبهم. وإليك ما يقصه الغزالي في (ص ٤٥ / ج ٨) يقص حاكياً عن بعض المكاشفين: (ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكرى الخفي عن مشاهدي من التوحيد، وقال: ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله. فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالوا بلى. قلت: يكفيكما ذلك).

ملائكة يراها الولي، فتطلب منه أن تكتب له حسنات، فيحكم هو بأمره ألا تكتب. يا للعظمة!! أو ليست تلك مرتبة أدنى إلى الألوهة!! فهل نصدق الغزالي ونكذب القرآن؟

ذرات الوجود يسمع تسبيحها الأولياء:

وتطغى على الغزالي جرأته فيزعم أن الله أنطق كل ذرة من ذرات الملك والملوك في حق الأولياء؛ حتى سمعوا تسبيحها وتقديسها، ولكل ذرة في السموات والأرض مناجاة مع الأولياء، والتناجي يكون بأسرار الملك والملوك... ويريد الغزالي من طرف خفي أن يفهمنا أنه من أولئك الذين يتناجون بأسرار الملك والملوك مع كل ذرة في السماء والأرض، فيقول: إنه لا يستطيع أن يحكي المناجاة

لأمرين: استحالة إفشاء السر، ولخروج كلماتها عن الحصر، ولكنه يضرب مثلاً يقرب به من أذهاننا فهم حقيقة تلك المناجاة، فأسرار الملك والملكوت يعرفها الغزالي وأضرابه. ولكن الله يقول: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، ويقول لمحمد بن عبد الله: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، ويقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسِجُ بِهِمْ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْوِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولكن الغزالي يزعم معرفة الغيب، ويزعم أنه يفهم ويفقه تسبيح كل شيء لا في الأرض وحدها بل في السماء أيضاً. فهل نكذب القرآن لنصدق الغزالي؟!
الغزالي ونظرية الجبر:

تعطينا بعض النصوص عند الغزالي في الإحياء فكرة أنه يعتقد بأن الإنسان مجبور، والاختيار الذي يتراءى أحياناً لنا في الفعل الإنساني هو في ذاته مما جبر الإنسان عليه، فنحن إذاً عند الغزالي مسيرون لا مخيرون.
 وأكد أعتقد أن هذا ما يدين به الغزالي المتصوف؛ ذلك لأن المتصوفة كلهم يؤمنون بهذه النظرية، بأن الإنسان مجبور.

نعم يؤمن الغزالي بهذا وإن كان يحاول في مداورة ومحاوره إسدال ستر شفاف على عقيدته الحققة. يقول الغزالي في (ص ٣ / ج ١٣) بعد حوار طويل: (وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها. ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة؛ فهو مضطر في الجميع، فإن قلت فهذا جبر محض، والجبر يناقض الاختيار، وأنت لا تنكر الاختيار. فكيف يكون مجبوراً مختاراً؟ فأقول: لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور؛ فهو إذاً مجبور على الاختيار).

هذا رأي الغزالي في الجبر والاختيار، وهو رأي يجعله أول الجبريين، فالإنسان

عنده مجبور على الاختيار، وإذا كان الإنسان مجبوراً فكيف يعاقب على إثم لم يرتكبه إلا مضطراً؟ لم يجب الغزالي على هذا ولكن أجاب غيره. وهو الجيلاني إذ قال: إن العاصي والمطيع أمام الحق سواء.

ففي أي ناحية نجد الغزالي يا ترى؟

الزهد:

ودعوة الغزالي إلى الزهد، دعوة هدامة لأمة تريد أن تكون قوية البناء مرفوعة العماد، مرهوبة الجانب، يدعو إلى الزهد في كتابه دعوة مبالغاً فيها حتى يقول في (ص ١٦٢ / ج ٨): ينبغي ألا يبالي الإنسان بالجوع حتى لو صلى قاعداً. ويقول: صلاة الإنسان قاعداً مع ضعفه أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل.

والدين الإسلامي دين عمل وكفاح، لا دين رهبانية وتواكل، دين وسط بين الروحية المتجردة والمادية الغالية، دين يدعو إلى الجماعة أكثر مما يدعو إلى الفرد، فهو في تكاليفه وقوانينه إنما يهدف إلى بناء عالم إنساني يسوده الحب والسلام، إلى إقامة الجماعة البشرية على أسس من الحب والإخاء، والزهد كما يدعو إليه الغزالي هدام لمثل هذه الجماعة، قاض على مثلها العليا.

فإذا شئنا أن نكون غزاليين فلنترك الطعام والشراب، ولننقطع في صومعة عن العالم دون أن نشتغل بقراءة القرآن؛ أو بالتأمل في كتب الحديث والتفسير، وليكن شغلنا الشاغل قولنا: الله الله^(١).

تلك دعوة الغزالي وبغيرها لا يمكن للإنسان أن يكون صالحاً، بل لا يمكنه

(١) (ص ٣٣ / ج ٨).

أن يعرف ربه.

هل يؤمن الغزالي بوحدة الوجود:

لن نتهيب البحث في هذه المشكلة الشائكة ما دامت غايتنا البحث عن الحق لتتبع سبيله، ولن نفتري على الغزالي غير ما يقول في الإحياء، ولن نفتش عن هذا في كل ما كتب؛ لأن غايتنا هي إظهار القيمة الصحيحة لكتاب الإحياء، وهي أنه كتاب لا يؤخذ منه دين، ولا حجة للدين، بل كتاب هو أمشاج من الصدق والكذب، ومن الحق والباطل، ومن الهدى والضلال، ومن الإيمان والكفر.

يقول الغزالي في (ص ١٥٨ / ج ١٣): إن للتوحيد أربع مراتب، وبعد أن يبين الثلاثة يقول ما يأتي نصه: (والرابعة ألا يرى في الوجود إلا واحدًا وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد)، ثم يشرح حال الموحدين فيقول عن حال الموحّد بالمعنى الرابع ما يأتي نصه أيضًا: (والرابع موحّد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير، بل من حيث أنه واحد).

ثم يقول ص (١٦٠): (فإن قلت: كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدًا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة، فكيف يكون الكثير واحدًا؟)، ويجيب الغزالي عن هذا، بمثال يقرب به إلى فهمك هذا المعنى، وهي كيف يكون الكثير واحدًا: (إن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد)، ثم يقول: (وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخرى سواه كثير).

ثم يقول الغزالي - وقد أفصح عما يريد من حيث لا يريد الإفصاح -: (وإلى

هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج؛ حيث رأى الخَوَاص يدور في الأسفار فقال: في ماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل، وقد كان من المتوكلين، فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد. فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع... فهذه مقامات الموحدين) من هذه النصوص مضافاً إليها نصوص آخر في (ص ٢٧/ ج ٨) نفهم أن الغزالي يدور حول إثبات وحدة الوجود، يحذر بالغ عبارات انتقاها بدقة، ولكنه بذكره الحلاج وكونه في المقام الرابع من التوحيد يجعلنا نؤمن بأن الغزالي يعتقد بوحدة الوجود، وإن كان الحلاج حلولياً، وتشبيه الغزالي الله والعالم بالإنسان وأعضائه تشبيه يقطع بأن الغزالي يدين بهذه النظرية الكافرة، فما العالم عند الصوفية إلا تعينات للذات، وكان أول تعين لها هو محمد.

وإذا كان ما نقلناه من النصوص لا يوحي إلينا بهذا، فأني نصوص غيرها توحى بهذه النظرية؟ إن المثال المكون من الإنسان وأجزائه لدليل وحده على أن الغزالي يؤمن بأن الخالق والمخلوق شيء واحد، فهو كثير باعتبار وواحد باعتبار. هو ذات والعالم أجزاء له أو تعينات مختلفة لذاته. وأخيراً نقول إذا لم يكن الغزالي يصرح في هذا بوحدة الوجود، فهو على الأقل يخافت بها، وإن كان في المثال وذكر الحلاج صوت عريض يهتف عالياً بوحدة الوجود.

هذا هو الإحياء في لبه وحقيقته، كتاب يفضل الغناء بالشعر على القرآن، والولي على النبي، وغير هذا من الشطحات والزلات، فهل يجوز لمن به ذرة من عقل؛ أن يفهم بعد اليوم في الإحياء أنه حجة الإسلام؟ إن الإحياء كتاب كبير، ولكنه ليس كتاب دين، فَلَنفَصِل بين القيم المختلفة له، ولنبعده عن أن يكون

مصدرًا لدين أو حجة في الدين.

ها نحن بينا في صدق وحق حقيقة هذا الكتاب، الذي أحله الكثير المكانة التي لا تنبغي أن تكون إلا للقرآن: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨] ومن شاء أن يفهم غير ما ذكرنا؛ فليأت بحجته وليقرر برهانه، فوالله ما نطلب غير الصدق دليلًا والحق سبيلًا، أما من شأنه المراء بلا حجة، والجدال بلا برهان؛ فذلك ليس لنا معه من سبيل، والله الهادي إلى سواء السبيل.



طواغيت (٤)

الوثنية هي الصوفية^(١)

مراتب التوحيد عند الصوفية:

مما قدمناه يتبين لنا أن أحب الذكر عند الصوفية هو الاسم المفرد، وقد بينا أيضاً أن هذا بدعة نفث بها الشيطان في روع أوليائه من الإنس: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ^ط وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وتبين لنا أن زعماءهم ييغضون «لا إله إلا الله»، وأنهم يبدلون بالكلية الكافرة: ليس إلا الله. فلماذا؟

فلنذكر مراتب التوحيد عند الصوفية لنفهم لماذا هم ييغضون «لا إله إلا الله». المرتبة الأولى: مرتبة من يقولون: لا إله إلا الله هي درجة عامة الناس ممن لا يضيفون الألوهية إلا إلى الله، وتلك هي المرتبة التي يستعيز منها العارفون من الصوفية، وأقربهم ابن بشيش إذ يقول: (وانشطني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة)؛ لأن من يكون في هذا المقام لا يعرف الحقيقة، بل يكون في مقام الفرق، وعندهم أسمى ما يوده الصوفي هو مقام الجمع وهو الشهود أو جمع الجمع، وهو الاستهلاك بالكلية في عين الوحدة وهو المرتبة الأحدية، والدردير في منظومته للأسماء الحسنی يقول: (وجد لي بجمع الجمع منك تفضلاً)، فكلهم صغيرهم وكبيرهم سابقهم ولاحقهم يبرأ أن يقف عند مرتبة لا إله إلا الله.

المرتبة الثانية: من يقولون: لا هو إلا هو، وهؤلاء ينفون عن «الهو» الإلهي كل أنواع «الهو»...

أعني أنه لا أحد غيره هو يقدر على أن يسميه «هو» لأن كل «هو» يصدر عنه ويشق منه... ولعل القراء على ذكر من كلمة البكري^(١): (يا هو يا من لا هو إلا هو)، وعندهم هذه المرتبة أعلى من سابقتها، فما من موجود يتصف بالوجود غير «هو» الذي عندهم هو إلههم، غير أن أرباب هذه المرتبة ينظرون إلى الإله من حيث كونه غائبًا، فهم إذاً غير واصلين إلى القمة العظمى من حقيقة المعرفة.

المرتبة الثالثة: مرتبة من يقولون: لا أنت إلا أنت، وتلك مرتبة أسمى من سابقتها؛ لأن أولئك ينظرون إليه من حيث كونه غائبًا تفيض هويته في كل هوية، أما هؤلاء فينظرون إليه من حيث كونه حاضرًا تتجلى ذاتيته في كل ذات هي من دونه عدمية، فلا «أنت» موجودة إلا بهو وهو هو ربهم.

المرتبة الرابعة: في المرتبة السابقة كان ثم مخاطب وخطاب ومخاطب، ففيها مسافة إذاً، فيها فرق، فيها إشعار بالثنائية ونوع من الغيرية، ففيها عند الصوفية شرك، فصاحبها يشعر بأنه غير من يخاطبه، وما دام الإنسان شاعرًا بأنه «غير» فهو مشرك؛ لهذا كانت الصيغة التي يتم بها التوحيد عندهم، أو بمعنى أدق تكون بها حقيقة التوحيد الصوفي هي «لا أنا إلا أنا».

إلا أن هذه الصيغ كلها في الحقيقة تعد حجبًا بين الصوفي وبين الحقيقة الكبرى،

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف البكري الصوفي، ولد بسلا بالمغرب سنة (٥٨١هـ) ونشأ بمراكش، واستوطن الفيوم من مصر، وبها توفي سنة (٦٤١هـ). [انظر: الإبريز (٢٤١)]. (ض).

والسالك الحقيقي هو من يغرق كل هذه الصيغ «هو، أنت، أنا» في بحر الفناء، هنالك تسقط الأوامر والنواهي وتسقط كل إشارة، فما من مشير ولا مشار إليه وإنما هنا حقيقة واحدة.

ومنهم من يبقى بهذه السكره حتى الموت كأحمد البدوي^(١)، ومنهم من يرد إلى الصحو عند قيامه بأمور الخلق كالسدوقي^(٢)، ويقول سيدهم محمد بن وفا: وبعد الفناء في الله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر^(٣)

إخال، بل أوقن أن أخي القارئ في غير حاجة إلى أن أدله على حمأة الشرك وردغة الكفر في هذا التوحيد الذي تنتهي هاويته إلى المساواة المطلقة والوحدة التامة بين الوجودين الوجود الإلهي والوجود الإنساني، بين الخالق وخلقه، بين الرب وعبيده، تنتهي إلى الإيذان بأن هذا الوجود الحسي إنما هو بجزئياته تعيينات للذات الإلهية، تنتهي إلى إنكار بل إلى الكفر بحقيقة كل دين سماوي؛ لأن روحانية الدين قائمة على أساس علاقة قوية بين عابد ومعبود، وعند الصوفية في نهايتهم لا عابد ولا معبود، ولا شاهد ولا مشهود، وإنما الحقيقة الكبرى للمرتبة الأحدية، أو أحدية العين كما يعبرون.

(١) ص (١٢١) شخصيات قلقة في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي.

(٢) شرح منظومة أسماء الله الحسنى ص (١١٣) لأحمد الصاوي الخلوتي.

قلت (محمد): هو أحمد بن علي الحسيني البدوي، صوفي ولد بفاس بالمغرب، وطاف البلاد واستقر في مصر بطنطا ودفن هناك سنة (٦٧٥هـ). معجم المؤلفين (١ / ٣١٤). (ض).

(٣) ص (٢٩) الأسرار الربانية على الصلوات الدرديرية لأحمد الصاوي الخلوتي.

ومن هنا نفهم سر ادعاء طواغيتهم أن التكاليف ساقطة عنهم؛ لأنهم بلغوا مرتبة العرفان، أي جمع الجمع التي تستهلك كل الصفات والأسماء، أو بمعنى أوضح مرتبة صيرورتهم الله، ولن يكلف الله نفسه!!...
التوحيد عند ابن عطاء الله السكندري^(١):

بعض الأغرار من الصوفية ينكر مثل هذا ويزعم أننا نتجني عليهم؛ لهذا الغرير المسكين الذي يضلله أكلة السحت.

أقول: اقرأ أيها المسكين، اقرأ وسير وعك أنك كنت تستلهم الشرك حقيقة التوحيد، وتستوحي الكفر روحية الإيمان، وأنك كنت تتمثل الإله في كل محس ومشهود.

تعال نقرأ معاً ما سطر لك أربابك ممن يزعمون أنهم بالأذواق والمواجيد عرفوا الحقيقة الإلهية فآمنوا أن أول مجلّي لها تعينت فيه هو الحقيقة الإنسانية الكبرى.

لن نذهب إلى «ابن عربي» ولا إلى «الحلاج» وإن كانا هما التصوف والصوفية وهما الإله والألوهية، والرب والربوبية عند زعمائك يا مسكين.

تعال معي إلى رجل منكم تستظهرون حكمه، وتجعلون آياته حكماً بينكم كلما غم أمر على السالكين؟

إنه ابن عطاء الله السكندري، إنه رجل موصوف عندكم بالاعتدال، وقف على البداية يرسل الطرف خفية إلى النهاية، إنه كانت تنقصه الغمرة، أو هو لم يعرف

(١) عطاء الله السكندري: هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، شاذلي الطريقة، صاحب

أبا العباس المرسى، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، له عدة تصانيف منها:

الحكم العطائية، توفي سنة (٧٠٩هـ). [انظر: البداية والنهاية (١٤ / ٤٧)]. (ض).

السكرة، إن له كتاباً اسمه: «القصْدُ المجرد في معرفة الاسم المفرد» وفيه يقول:

(أهل التوحيد أربعة أصناف في ذكر توحيدهم الواحد، الصنف الأول قالوا: لا إله إلا الله بين النفي والإثبات... والصنف الثاني قالوا: الله... والصنف الثالث قالوا: «هو هو» الصنف الرابع خرسوا فلم ينطقوا، وفنوا به عنهم وغابوا على ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد، فكان ذكر توحيدهم عياناً لا لساناً)^(١) وكيف يا ابن عطاء؟ اسمع إليه وهو يقرر رأيه:

(إذا اتسع الصدر بعلم الإيمان وانشرح بنور اليقين صار كرسياً وسع علمه ظاهر عالم الملك وباطن عالم الملكوت)^(٢) في ذاته وفي غيره... وإذا امتلأ القلب بالتوحيد كان عرشياً وتنزهت عن أوصاف البشرية ذاته، وشرفت في الملأ الأعلى صفاته وعلت وسمت في الملأ الأسفل معرفته، وتصير الأسماء الحسنی وصفه وصفته، وصار محققاً مستبصراً فانياً في شهود المذكور عن ذكره.

أرأيت إلى ابن عطاء! أوعيت ضلالتة وجهالته؟

أتفهم كلمة الكرسي والعرش وصيرورة الأسماء الحسنی وصفاً وصفة للعبد؟

ماذا يريد هذا الذي تزعمون أنه معتدل في السلوك الصوفي كل الاعتدال؟

إنه كغيره غير أنه حذر في التعبير، إنه يريد أن يقول: إن نهاية النهايات أن يصير

العبد رباً!

(١) ص (٥٧) طه محمود توفيق.

(٢) عالم الملك عند الصوفية عالم الشهادة من المحسوسات كالعرش والكرسي وعالم الملكوت هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس. «التعريفات للجرجاني».

هل تلوت بإمعان ما نقلته لك من كتابه وما اخترته لك إلا لكونه موصوفاً بعدم الغلو والإيغال في الطريق.

والآن اسمع قول رجل متطرف في المسيحية ماذا يقول عن تأويلات الصوفية للقرآن وعما فهمه في حقيقة الله من القرآن: (ليس من السهل لدى صوفية الإسلام أن يعثروا في القرآن على فكر المذهب الصوفي، وأن يستشهدوا بالكتاب المقدس على نظرتهم في الدين وفي العالم؛ لأنه من الصعب تصور فكرة دينية يضاد بعضها بعضاً وراء الإسلام الأول والمذهب الصوفي، فهناك في الإسلام (الفهم المعقول للانفصال التام لله عن العالم. وهنا في المذهب الصوفي اعتقاد حلول الله في العالم)^(١).

مسيحي^(٢) يقرر الحقيقة التي وجدها عن تدبر في القرآن، وابن عطاء يقرر أن في القرآن ضلالة المسيحية أو خرافة البرهمية^(٣).

إن هذا المسيحي كان يتمنى أن لو وجد في القرآن عن الله ما يشبه عقيدة النصارى والمسيح ليؤيد به دينه، ولكنه رجل يحترم عقله ويسمو به أن يوصف بالبله؛ لأن بساطة العقيدة الإسلامية في القرآن ويسر إدراكها وسهولة فهمها تجعل كل ذي فكر يؤمن بما آمن به هذا المسيحي، وهو أن القرآن فيه «الفهم المعقول للانفصال التام لله عن العالم».

(١) ص (١٨٠) من كتاب «الاتجاهات الإسلامية في تفسير القرآن» لجولدزير نقلاً عن كتاب

الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي لأستاذنا الكبير الدكتور محمد البهي.

(٢) جولدزير المستشرق اليهودي المتعصب، مجرى الأصل، هلك سنة (١٣٤٠م). (ض).

(٣) وهي الديانة الهندوسية، وهي ديانة وثنية تنتشر في الهند. (ض).

ولكن الصوفية أنفسهم يحاربون العقل وأربابه، ويسمونهم المحجويين ويفرون من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة إلى أسطورة «الذوق»، فيقولون: نحن قوم لا نستمد من قرآن ولا فكر وإنما من الذوق (ومن ذاق عرف).



طواغيت (٥)

الوثنية هي الصوفية^(١)

إن هؤلاء الصوفية يحقرون المؤمنين الطائعين العاملين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم، فيسمونهم أهل الرسوم أو أهل الحجاب، بل سباهم بعضهم مجوساً (سأل الواسطي^(٢) أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها...

قال «أي الواسطي»: «أمركم بالمجوسية المحضة!!» لأن العارف عندهم (هو الذي غاب عن الإشارة والمشير والمشار به، فإذا وقعت منه إشارة لا يشهد لها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار إليه هو الله تعالى؛ لأن العارف في مقام الجمع)^(٣).. الشرقاوي وابن عطاء يتظاهران - الأول في مكر وحذر والثاني في صراحة وفخر - على أن نهاية السالك أن يكون هو الله، فإذا تكلم كان الله هو المتكلم على لسانه!! كما يقول يوسف العجمي^(٤): أي إله هذا الذي له ملايين الألسنة؟

(١) (١٣٦٧/١).

(٢) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أحد أصحاب الجنيد والنوري، وأحد المشاركين في وضع الكثير من أصول التصوف. مات سنة (٣٢٠هـ). انظر حلية الأولياء (١٠/٣٤٩). (ض).

(٣) (٤٦، ٣٧) من شرح الشرقاوي لحكم ابن عطاء الله السكندري طبعة ١٩٧٧.

(٤) يوسف العجمي الكوراني، صوفي كثير الأتباع، هاجر من أرض العجم إلى مصر فأحيا طريقة الجنيد في التصوف بعد اندراسها كما يقول الشعراي. مات سنة (٧٦٨هـ). انظر الطبقات الكبرى (٢/٥٩). (ض).

وملايين الأحذية؟ وملايين البطون الجائعة؟ إنه إله الصوفية... أترضى أن يكون إلهك ممن يحسون ذل الجوع وغلة الظمأ وشهوة الدم الفاجر العرييد؟

لقد وصف الصوفية إلههم بهذا (بعث الرسول ليتمم أخلاق الله فكذب وشتم وأوذي وجاع وظمئ ومرض واستقرض، وكل ذلك وارد في حق الله تعالى فانطبق اسم الله على محمد بالكمال والتمام)، (ينسحب على الوجود الإلهي السخرية والظمأ والمرض والجوع والنسيان)^(١) فأنا لم أغال حين ذكرت لك أيها المسكين ما ذكرت. وإنما أشرت لك إشارة عابرة إلى شرك زعمائك بل إلى زندقتهم التي هي الزندقة في أوقح معانيها.

أيجوع الله؟ أيمرض؟ أينسى؟ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨١]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، ألا نخيل إليك أن آيات الذكر الحكيم إنما ترد على أولئك الكفرة الفجرة؟؟

التوحيد عند الدردير^(٢):

وتعالى اقرأ معي ما يقوله الدردير في منظومته لأسماء الله الحسنى، تلك المنظومة

(١) ص (١٦، ٣٣٨) من كتاب النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ط / ١٣١٤، لمحمد بهاء الدين البيطار خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية.

(٢) هو أحمد بن أحمد بن حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوقي، ولد سنة (١١٢٧هـ)، له العديد من المؤلفات في المذهب المالكي، منها: شرح مختصر خليل، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، وله المنظومة الشهيرة المسماة بمنظومة الدردير في أسماء الله الحسنى، كان صوفيًا، توفي سنة (١٧٨٦هـ). [انظر: تاريخ الجبرتي (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٥)]. (ض).

التي جعلها أكثر الناس قرآنهم، وما من عروس تزف في الريف إلا ويستأجر لها بعض الصوفية يرتلون في موكب العرس، وأجرهم على ذلك إتمام البطون.

يقول الدردير: (وجد لي بجمع الجمع) ولن أشرح لك جمع الجمع من عندي بل سأنقل إليك شرحه من أربابك وطواغيتك الصوفية. جمع الجمع هو المرتبة الأحدية كما عرفه الجرجاني، والمرتبة الأحدية هي الذات الإلهية بلا صفات ولا أسماء أو الجمع هو ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة فما بالك بجمع الجمع الذي يسمونه طرف بحر التوحيد^(١)، فالدردير إذاً يطلب الوصول إلى النهاية العظمى إلى أن يكون وجوده الإنساني هو الوجود الإلهي ويطلب أن تكون له المرتبة الأحدية التي يفنى فيها الكون والكائن.

التوحيد عند الهروي^(٢):

وتعال اقرأ معي ما يقوله الهروي في كتابه منازل السائرين عن التوحيد:

(التوحيد على ثلاثة أوجه^(٣)):

(١) ص (٥٠) منازل السائرين للهروي، ط صبيح.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، أبو إسماعيل، كان يدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة في هراة، ويسمى خطيب العجم لتبحر علمه وفصاحته، له تصانيف منها: منازل السائرين، وذم الكلام، توفي سنة (٤٨١هـ). [انظر: طبقات الحنابلة (٢/٢٤٧-٢٤٨)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/٥٠-٦٨)، الأعلام (٤/٢٧٦)]. (ض).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْ وَقُوعِ الْهَرَوِيِّ فِي الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ وَتَأَثُّرِهِ بِأَهْلِ الْبِدْعِ: «وَأَمَّا أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ - صَاحِبُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ -: فَلَيْسَ فِي كَلَامِهِ شَيْءٌ مِنَ الْحُلُولِ الْعَامِ، لَكِنْ فِي كَلَامِهِ شَيْءٌ مِنَ الْحُلُولِ الْخَاصِّ فِي حَقِّ الْعَبْدِ الْعَارِفِ الْوَاصِلِ إِلَى مَا سَمَاهُ هُوَ: مَقَامَ التَّوْحِيدِ» اهـ. [شرح حديث النزول (ص ٢٣٥)].

١- توحيد العامة: وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

٢- توحيد الخاصة: وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد، هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

وأما الثالث: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه وإليه قصد أهل التعظيم وإياه عنى المتكلمون في عين الجمع. وقد قلت فيه:

ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد ^(١)
توحيدي إياه توحيدة	ونعت من ينعت له لا حد ^(٢)

يريد الهروي أن يقول: إن العارف في مرتبة العظمى يجب عليه أن لا يتكلم بالتوحيد؛ لأنه يقتضي حينئذ الثنائية، بينما المتكلم حقيقة هو الله والمتكلم عنه هو

والحلل الخاص، كما حكى الإمام عن قولهم: «أنهم يقولون: إذا أراد الله أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسانه، وقد رأيت من هؤلاء غير واحد ممن خاطبني وتكلم معي في هذا المذهب وبينت له فساد». اهـ (بيان التليس (٥/ ١٧٠). (ض).

(١) هكذا: «عارية أبطلها الواحد» في (ص ٩٨/ ج ٢) من مجموعة الرسائل الكبرى، أما في كتاب منازل السائرين للهروي فهي: «عبارة أبطلها الواحد» ونقل ابن تيمية أصح؛ لأنه هو المتوائم مع نظرة الصوفية وتعبيراتهم.

(٢) (٥٢) منازل السائرين، للهروي.

الله، تلك هي الحقيقة العظمى للتوحيد عندهم: أن تعتقد أنك أنت هو وهو أنت؛ لهذا يعبرون دائماً بهذه الكلمة التي تخفي السم الناقع: (ما وحد الواحد غير الواحد). فلفظ الواحد الأول هو الذات الإلهية المجردة، ولفظ الواحد الثاني هو الذات الإلهية المتعينة إنساناً.

فالإنسان هو الله فإذا وحد فإنما يوحد نفسه «ما وحد الواحد غير الواحد» تسمعا من كثير يتخيلون بها عليك، ويزعمون أنهم بها عارفون واصلون إلى مقام الحقيقة المحمدية التي كانت أول من تعين للذات الإلهية، والتي هي اسم الله الأعظم عندهم^(١).

التوحيد عند الغزالي:

ولعلك الآن قد ضاق صدرك بما يقولون، وتحب أن تعرف أيها المريد الغرير عقيدة الغزالي، فلعله يكون قد هدم هذا الكفر كما قام ليهدم الفلسفة بزعمه، وما هدمها بل أخذ يشنع عليها.

يقول الغزالي: للتوحيد أربع مراتب:

١- من يقول لا إله إلا الله وقلبه غافل أو منكر.

٢- أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه.

٣- أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين،

وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

٤- أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسميه

(١) التعريفات للجرجاني، تحت المادة.

الصوفية «تأمل!!» الفناء في التوحيد؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحدًا فلا يرى نفسه أيضًا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقًا بالتوحيد كان فانيًا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق).

ثم يقول معلقًا على هذه المراتب: (والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير له من حيث أنه واحد).
ثم يقول ما نصه: (فإن قلت: كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدًا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة، فكيف يكون الكثير واحدًا؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر).

ثم يضرب الغزالي مثالًا يبين لنا به كيف يكون الكثير واحدًا، فيقول: (كم من شخص يشاهد إنسانًا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه... فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق - تأمل هذه الجملة - له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد. وباعتبارات آخر سواء كثير، ومثاله الإنسان).

ثم يقول: (وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز، وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج^(١) حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال: فيهاذا أنت؟

(١) منصور الحلاج: هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، كان جده مجوسيًا، نشأ بواسط وقيل بتستر، صحب سهل بن عبد الله التستري، وصحب ببغداد الجنيد ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ

فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل.

فقال الحلاج: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟
فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام
الرابع. فهذه مقامات الموحدين^(١).

ويقول: (ومن أهل المرتبة الرابعة القطب والأوتاد والبدلاء، ومن الثالثة:
النقباء والنجباء والشهداء والصالحون)^(٢).

ويوجب الغزالي على صاحب هذا المقام أنه (يفنى عن الشهود، فإن القلب إذا
التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود)^(٣).

ويقول عن السالك الذي بلغ مرتبة اليقين: (هو محل سماع الوحي على الدوام
وموضع الملائكة، وكفى بها أنها الحضرة الربوبية)^(٤).

وكان يظهر مذهب الشيعة للخلفاء العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، وكان يرى
مذهب الحلولية، له شطحات وتلبيسات على الناس كان يوهمهم بها أنه ربهم.
قتل وصلب لست بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩هـ.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (بل اتفقت الأمة على أنه إما مخطئ، وإما فاسق، وإما كافر، ومن
قال: إنه مصيب في جميع الأقوال المأثورة عنه، فهو ضال، بل كافر بإجماع المسلمين». [الاستقامة (١/١١٦)]، وللمزيد من ترجمته انظر: السير (١٤/٣١٣-٣٥٤)، الفرق بين
الفرق (١٥٧-١٥٩)، الأعلام (٢/٢٨٥-٢٨٦). (ض).

(١) ج (١٣) من كتاب إحياء العلوم، للغزالي، ط/ لجنة نشر الثقافة الإسلامية ص (١٥٨)
إلى ص (١٦٣).

(٢) ص (٣٩) من كتاب الإملاء في آخر كتاب الإحياء. (٣) ج (٦) من الإحياء ص (١٧٥).

(٤) ص (٤٥) من كتاب الإملاء بآخر كتاب الإحياء.

أطلت على القارئ حتى أملتته في ذكر هذه النصوص من كتاب الإحياء، ولكن عذرنا يبدو في أن لهذا الكتاب وصاحبه من الخطر عند نفوس العامة بل والعلماء الكبار ما ليس لكتاب آخر، بل كثيرًا ما أرى البعض يخضع الآية من القرآن بتأويل فاسد حتى يصحح بها معنى ذكر في الإحياء، إذ هو لا يجرؤ على تخطئة كلمة في الإحياء، بل في مرة ذهبت أناقش واحدًا من هؤلاء في كلمة من كتب الغزالي في أنها خطأ، فراح يبذل الجهد الجهد في سبيل إثبات صحتها، فجئته بمختار الصحاح، فقال: المختار مخطئ. وفي النهاية أريته في آخر الكتاب أن الكلمة مصوبة وأنها خطأ مطبعي، فقال: «آي معلش»... لهذا أكثرنا من نقل النصوص وهي صريحة مفصحة جد الإفصاح عن أن الغزالي ممن يؤمنون بوحدة الشهود إن لم يكن بوحدة الوجود.

بل تعطينا النصوص أنه يؤمن بفكرة الاتحاد، ثم ما معنى استشهاده بالحلاج والخواص وأن الحلاج طالبه بالمقام الرابع؟ أليس في هذا الاستشهاد ما يفصح عن طوية الغزالي وهو أنه يدين بعقيدة الحلاج، والحلاج كان يقول: (أنا الحق)^(١).



(١) ومن شعره:

ناديت إياك أم ناجيت إياي	أدعوك بل أنت تدعوني فهل
يا جملتي وتباعضي وأجزائي	يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري

[ديوان الحلاج ص (٨٢)، ت د: كامل الشيبني، ط. دار الآفاق العربية، بغداد ١٤٠٤ هـ]. (ض).

طواغيت (٦)

الوثنية هي الصوفية^(١)

وما معنى أن المقام الرابع لا يمكنه الإفصاح عنه لأنه إفشاء لسر الربوبية وإفشاء سر الربوبية كفر؟

إن الغزالي بين أمرين: إما أن يكون مؤمناً بأن القرآن علمنا حقيقة التوحيد وأن رسول الله ﷺ كان موحدًا، بل هو الموحد الأول، وإما أن لا يكون مؤمناً بهذا. فعلى الأول يكون القرآن - غفرانك يا رب - فيه كفر وأن محمدًا - وعفوك يا مولاي -؟!!

لأن القرآن ذكر حقيقة التوحيد التي ليس وراءها حقيقة أخرى للتوحيد أبدًا، والغزالي يقول: إن المقام الرابع للتوحيد فيه إفشاء لسر الربوبية وإفشاؤه كفر... والغزالي مؤمن بأن القرآن حق ويقين - كما يدعي - فلا ريب أن فيه المقام الرابع من التوحيد كزعمه، فيكون قد أفشى سر الربوبية فيكون...؟

ومحمد ﷺ هو الموحد الأول فإما أن يكون قد بين لنا حقيقة التوحيد الكبرى أو لا، فإن كان قد بينها فقد أفشى سر الربوبية، ومفشي سر الربوبية عند الغزالي كافر، وإن لم يكن قد بينها ثبت أنه خان رسالة ربه أو بدل رسالة ربه، والله يقول في القرآن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ

مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

فربك نبني أي معنى للضلال وراء هذا؟

إن الغزالي عند قومه عظيم، ولكن عندنا الحق أعظم منه، ونحن لا نعبد أصنامًا، ولا نتخذ من الأحبار والرهبان أربابًا، وإنما نعبد الله الحي القيوم.

ومن هو القطب، ومن هم الأوتاد الذين هم في المقام الرابع من التوحيد عند الغزالي؟ ومن هم النجباء والتقباء؟ اصغ إلي بالله يا من تؤمن بالغزالي وعقيدته وتخضع كتاب الله لآرائه وسفسطته.

القطب عند الصوفية والغزالي:

هو الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل... وقد يسمى غوثًا باعتبار التجاء الملهوف إليه... إذن يؤمن الغزالي بأن هناك غير الله يفيض الحياة وهناك من منه وبه الحياة.

ومن يلجأ إليه ويستغيث به الملهوف غير الله؟ هذه واحدة.

والأبدال هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدًا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم إذن يؤمن الغزالي بالتناسخ، وبأن في مقدرة الإنسان الخلق؟! وهذه ثانية.

وأما الأوتاد فأربعة يحفظ الله بهم الجهات الأربع، ويدفع بهم المكاره عن الأرض والبلايا عن الناس، وبهم يرزقون ويمطرون... إذن يؤمن الغزالي بهذا؟! وتلك ثالثة.

والنجباء هم الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهي من حيث الجملة كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله، ولا يتصرفون إلا في حق الغير.

والنقباء هم الذين تحققوا بالاسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلثائة^(١).

والغزالي يؤمن بهذا، وهذه رابعة وخامسة.

وإني إلى المفكر العدل أحتكم، ألا تكفي واحدة منها في أن تطيح بالإيمان والتوحيد؟!

هذا هو التوحيد عند الغزالي وهو رجل زعموا له أنه أقام التصوف على أسس قويمة من الشريعة المطهرة!!

وها أنت رأيت معي أن توحيده في قرار سحيق من الشرك، وشتان ما بين توحيده وتوحيد الإسلام، ولست أدري لم غفل الباحثون عن هذه النصوص؟
فما قرأت لمن كتبوا عن الغزالي أنه من أرباب وحدة الشهود. ما السر؟
إنها مكانة الغزالي في نفوس العامة، ولكن يرحم الله ابن تيمية إنه كان قوياً في الحق وأشد قوة من غيره، فنعت الغزالي في بعض كتبه ببعض صفاته وكان يحذر منه ومن كتبه.

أنبعد عن الحق إذا أكدنا أن الصوفية صغارهم وكبارهم، عامتهم وخاصتهم لا يعرفون حقيقة التوحيد، إن لم نقل: إنهم يعرفونها ويعملون على هدمها، وأنهم أبعد ما يكونون عن التوحيد؟ وأن الغزالي نفسه في كتابه الإحياء خرف وضلل وصدف عن الحق في حقيقة التوحيد؟ هذا ما وعيناه وفهمناه على ضوء من القرآن

(١) كتاب التعريفات للجرجاني، والرسالة الملحقه به عن الاصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية، وكتاب مشتهى الحارث الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني للشنقيطي.

الكريم، فليدافع عن الغزالي من يتخذ الأخبار والرهبان أرباباً من دون الله، فيجعل له القيمة الكبرى في تاريخ التصوف بل في تاريخ الإسلام؛ ليدافع من شاء.

فالإحياء حجة على الغزالي تدمغه، والإحياء برهان على أن الغزالي كان أبعد ما يكون عن حقيقة التوحيد في الإسلام. وهذه نصوصه تؤيدنا فيما نذهب إليه.

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

هذا حديث من يقلد في دينه ويمشي على غير هدى الله ورسوله. اللهم إن الهدى هداك والأمر أمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



طواغيت (٧)

الوثنية هي الصوفية^(١)

كلمة عن حقوق التوحيد:

كل دين سماوي، بل كل علم أشاع فيه الحق نوره، بل كل نفس لم تفسد فطرتها، الكل يقرر ويؤمن أن الله هو وحده المعبود؛ لأنه الخالق الأعظم رب الوجود وفاطره، أرحم الراحمين، وكل إنسان وإن أزاغه الكفر وذهب بهداه الهوى والتقليد أنه يؤمن أن رب الوجود واحد بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

فتش في مجاهل التاريخ، ودع فكرك بإشراقه يتألق في غيوب ماضي الإنسانية السحيق، فستدرك أن البشرية في هداها وضلالها، في إيمانها وكفرها، في توحيدها وشركها؛ كانت تؤمن بربوبية الله، وأنه هو رب الوجود وخالقه ومدبره ورازقه وحده ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وإن أحط عهد في تاريخ الاعتقاد هو تقديس الأوثان، ورغم ذلك كانوا يؤمنون بربوبية الله أكثر من إيمان الكثير من الناس في عصرنا الحاضر، بل إن المشركين من عباد الصنم كانوا يوحدون الله إذا تأملت بهم ضائقة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْآلِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، يعني كما تفيد الآية مخلصين له الدعاء إذا وقعوا في شدة، فإذا كشفها عنهم أشركوا معه في الدعاء أولياءهم، وهذا شرهم.

واليوم يفرع الناس أول ما يفرعون إلى ما هو شر من الأوثان، إلى حجارة شوهاء صماء، وخشب نحتوه بأيديهم، ثم هو يشكو وطأة السوس!!
 ما أضل عقلك أيها المشرك!! تعبد إلهًا لا يرحم السوس ضعفه ولا ذلته!!
 قلنا: إن الإنسانية في جميع مراحلها لم تجهل ربوبية الله يومًا ولا جهلت أنه هو وحده رب الوجود؛ لذلك قيل: إن أعظم دليل على وجود الله هو الشعور الوجداني القوي بأنه تعالى موجود.

ولكن ما هي صفات الله؟ وما هو الواجب لله؟

تجيب روح فتشرق منها حقيقة الإيمان الصافية، وتجب أخرى فترين عليها ظلمة الشرك الساجية.. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]
 جمعت مع الإيمان الشرك؛ لأنهم يدينون بربوبية الله، وهذا هو الإيمان ولكنهم لا يفقهون الواجب الحق لله، ولا يجعلون ما لله الله وهنا الشرك، فالآية تقرر أن الإيمان بربوبية الله فحسب ليس هو حقيقة الدين ولا الإسلام، بل أن توحد الله في العبادة توحيدًا منزهاً خالصاً.

توحيد العبادة:

ملاك الأمر وحقيقة الإسلام، والرسول ما جاءوا ليقولوا إن الله هو رب الموجود، بل ليقولوا إن الله هو المعبود وحده، جاءوا ليقرروا الواجب المقدس لله على الخلق، ولتقرير ما هي الصفات التي يجب أن يوصف بها الله، وكل ذلك في كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»... والتوحيد سهل يسير إدراكه، وسورتان في القرآن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] تغمران روحك بأنوار التوحيد، وما الشرك إلا طارئ على الفطرة

ليس من جبلتها ولا هو من سننها الخلقى.

وإنما أوحى به طواغيت جعلت أنفسها نواباً عن الله ووسطاء بين الله وعباده، لا شيء إلا ليتخموا بالسحت بطونهم التي لن تشبع إلا في الجحيم.

التوحيد أصل والشرك بدعة، التوحيد سبيل سوي، والشرك شعاب ودروب في التيه آخره هاوية، التوحيد حقيقة واحدة لا أجزاء لها، أولها آخرها ومظهرها مخبرها، فلا تفاوت بين النفوس في التوحيد، وإنما في التقوى والعمل.

ليس للتوحيد مراتب كما يقولون، فالتشاغل عنه همسة خاطر أو نبسة شفة شرك. فلا وسط بين الضدين فإما توحيد وإما شرك ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ﴾ [يونس: ٣٢].

وها هو التوحيد: اعتقاد أنه تعالى بائن عن خلقه ليس كمثله شيء، ووصفه بما وصف الله به نفسه في القرآن، وعلى لسان عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام دون تأويل أو تمثيل أو تعطيل، وإخلاص كل عبادة له وحده، وأن لا يعبد الله إلا بما أحب وشرع.

فبالأول: ننفي زيغ الصوفية وضلالهم في اعتقادهم أن الله هو الوجود العيني، أو أن الله حال فيه، أو أن غاية التوحيد الاتحاد بالله.

وبالثاني: ننفي زيغ المجردين والمشبّهين.

وبالثالث: ننفي الشرك في الدعاء والعبادة، ونؤمن بأن الاتجاه بأي نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك بالله، فما هي العبادة الواجبة؟

يقول المشركون: إنها الصلوات الخمس والحج والزكاة والصوم فقط، فما داموا يصلون لله ويحجون لله ويزكون لله فهم موحدون بزعمهم، ونسي هؤلاء بل

تناسوا - تضليلاً - أن روح العبادة هو الدعاء، إن المشركين أنفسهم كانوا يفعلون مثلهم ولا يفهمون أنهم مشركون ﴿ثُمَّ لَازَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ولكن الله دمعهم بالشرك لأنهم كانوا يدعون غير الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣] فالله يقول لهم: هؤلاء عباد مثلكم، فقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.

ومن الجهل بل من العناد أن تسأل فقيراً مثلك، عبداً مثلك لا يملك من أمرك شيئاً.

ويقول لهم: إن دعاء غير الله شرك، ولهذا سوى القرآن بين مفهوم العبادة ومفهوم الدعاء في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٦٦] لماذا لم يقل «تعبدون»؟ ليفيد - والعلم لله - أن الدعاء هو العبادة كما حدثنا رسوله الكريم. يقول المشركون مجادلة بالباطل: إن عباد الأصنام كانوا يعبدونها، أما نحن فندعو أو نتوسل، فهل الدعاء مثل العبادة؟

تلك حجتهم وهي داحضة؛ لأن الدعاء فيه شعور بأن من تدعوه أعظم منك وبيده ما تريده، فهل غفران الذنوب بيد الأولياء؟ هل شفاء المرضى بيد الأولياء؟ هل النجاح في الامتحان بيد الأولياء؟

بل يا قوم، هل من شيء إلا وهو بيد الله وحده؟

لهذا قيل: إن الالتفات إلى الأسباب شرك، هل يجيب المشركون أو سيزيغون

كما زاغ قوم إبراهيم، فقالوا: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]؟

ألا فاقروا يا هؤلاء قول الله عن إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا آعَتْزَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ [مريم: ٤٨-٤٩]. تأملوا بالنظرة الحرة الرشيدة، لماذا عبر أولاً بقوله: ﴿تَدْعُونَ﴾، ثم عبر بقوله: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ [مريم: ٤٩]؟

أليس في هذا الحجة القاطعة على أن الدعاء عبادة بل هو العبادة؟
أرأيتم كيف كافأ الله إبراهيم في الدنيا جزاء تجنبه المشركين وشركهم؟ أفلا تبصرون!

وأقولها باختصار للمتصوفة وغيرهم: إن التوسل إلى الله بغير طاعته وأسمائه وصفاته شرك ويدخل تحت الغير هنا كل بشر مهما علا مقداره، والنذر لغير الله شرك ﴿يَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل: ٥٦]. أليست الجاهلية هي هي بعينها الآن؟ والذبح لغير الله شرك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] والنسك هو الذبح وإطعام الطعام والاجتماعات، وتخصيص الأيام والليالي وغيرها، والقسم بغير الله شرك «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً»^(١) هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، فحلفه كذباً بالله معصية وحلفه بغيره شرك، وشتان ما بينهما!!

قال عليه الصلاة والسلام: «الشرك فيكم أخفى من ديب النمل».
فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله أو ما دعي مع الله؟
قال الرسول ﷺ: ثكلتك أمك، الشرك فيكم أخفى من ديب النمل»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦)، وصححه الألباني في تحقيقه للأدب المفرد.

هذا هو التوحيد ما أيسر إدراكه وما أعظم شأنه، وذلكم هو الشرك، فهل توحيد الصوفية هو التوحيد الإسلامي؟
 كلا. ذلك جوابي أهتف به عاليًا لا أقصد به غير وجه الله. ولا أخشى فيه أحدًا غير الله.

كلمة خاتمة:

أشعر أني قد أطلت على القراء، ولكنني أعذر بأن الصوفية هم السوس الذي ينخر في عظام الأمم الإسلامية من عهد نوح إلى الآن، فإظهارهم على حقيقتهم واجب، وهتك القناع عن مخبرهم فرض لازم حتى لا ينخدع بهم البسطاء ولا يغتر بوثنياتهم الأغرار.

نضرع إلى الله أن يمتتنا موحدين مخلصين له الدين، وأقول مقتديًا برسول الله: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(١).



(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، برقم: (٦٣٠٦)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

طواغيت^(١)

الإحياء... دلائل الخيرات... مجموع الأوراد

في حنو الحب ورقة الرحمة قال لي صاحبي: ويحك يا حامل المعول!! إنما تهدم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ومن حولها عبادها يتلمظ في نفوسهم الحقد الأهوج وتنزو بهم للقتال خصومة رعاء، إنما تثير عليك والله الثائرة التي يؤجج لظاها الشرك ويقذفك بحممها المشركون.

قلت: أعلم ذلك الذي تخشاه، ولكني أعلم قبله أنني مسلم لله ماله ودمه، وفي سبيل العقيدة نضاله وجهاده، ولن يكلفنا ما نحن فيه مالا ولا دمًا أيها الصديق، تعال معي نشهد قرآن الفجر في أي مسجد شئت، ففي هذه اللحظات الخوالد التي تشرق بنور الله وتفيض بالرحمة القدسية، وتعطرها أرواح الجنة، لا يجد المتصوفة غير صلوات الشرك يبتهلون بها إلى الله، وإلا طقوس الوثنية ينيون بها إليه، فقرآن الفجر وتبتل الروح في الفجر، وابتهاال النفس في محراب العبودية، كل هذا يستمدونه من مصحفهم «مجموع الأوراد»^(٢)، وما هذا الكتاب إن تصفحته وتبينت ما فيه بالنظرة المؤمنة إلا وساوس من الشرك وهمزات من الشياطين..

(١) (١/١٣٦٥).

(٢) مجموع الأوراد: يقصد الشيخ رحمه الله كتاب مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات لمحمد عبد المعطي. ط / مكتبة النصر، القاهرة.

وهو جمع للأذكار المبتدعة التي يرددها الصوفية كحزب النصر، وحزب البر، وحزب الرحيم، وغيرهم. (ض).

وتعال معي نشهد صلاة الجمعة، ففي هذه الأوقات الرفافة بالرضى والخير والحكمة والجمال، والتي تسمو فيها قيم الجماعة الإنسانية، يتلمس الناس نشوة الحس وسكينة النفس في مصحفهم الآخر «دلائل الخيرات»^(١).. تراهم وقد رانت عليهم سكرة الموت من خشعات الأرواح يرتلون بالدمع آياته، ويهمسون في أسى اللوعة بدعائه..

وتعال نسأل: أي كتاب هو لدين الله الحجة البالغة والفيصل المبين إذا العقول هامت في متاهة الباطل؟

فسيقولون: كتاب إحياء العلوم، لحجة الإسلام الغزالي^(٢).

حسرة عليهم يا حسرتاه؛ إنما سكرت أبصارهم فاشتروا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، ظنوا في الله غير الحق ظن الجاهلية، أين كتاب الله؟ وأين سنة رسول الله؟

(١) دلائل الخيرات: كتاب مليء أذكار وأدعية وصلوات صوفية مبتدعة، وهو من الكتب المعظمة جدًا عند المتصوفة، وعليه شروح ككتاب «بلوغ المسرات على دلائل الخيرات» لحسن العدوي المصري، وكتاب «الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات» للنبهاني. وصاحب الكتاب هو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي السملالي الحسني المغربي ثم المكي المالكي الشاذلي، من أهل سوسة المراكشية، وله أيضًا حزب الجازولي بالعامية، وحزب الفلاح، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، وله أتباع يسمون الجزولية، يقال: مات مسمومًا سنة ٨٧٠ هـ. الإعلام (٧ / ٢١)، ومعجم المؤلفين (٣٣٣). (ض).

(٢) قال الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ اللهُ: «سمي الغزالي بحجة الإسلام مع أن ثقافته الإسلامية كانت محدودة خاصة في علم الحديث، وكثرة الأحاديث الضعيفة في كتبه عامة وفي الإحياء خاصة، وسجل عليه ذلك أكثر من عالم». ص (٧) مقارنة بين الغزالي وابن تيمية. (ض).

أَوْ ما في الإحياء خير مما في كتاب الله؟ وهل أورد الطوغيت أملاً بالإيمان من صلوات رسول الله؟ وهل دلائل الخيرات أهدى من دلائل النبوة؟
 إن القرآن فيه هدى ونور للنفس الهائمة والروح التائه الشريد، وفيه شفاء لما في الصدور من نوازع النفس ونزوات الحس، فلم لا ينشدون المثل العليا للسعادة والخلود فيما نزل الله؟ يا رحمتا لك يا ابن الخطاب! لم تقرأ ورد السحر، ولا المنفرجة، ولا صلوات ابن مشيش^(١)، فما جزاؤك في الآخرة؟!!

أيها المؤلهون لهذه الطواغيت، هذه دعوتنا نتوجه بها إليكم فتعالوا إلينا وفي حصافة العقل الرشيد ولوامع الفكر البصير، وإشراق الحق الإلهي من القرآن؛ نتبين ما في هذه الكتب، فإن يك الخير سارعنا إليه، وإن يك محض الشر والكفر نجونا بالعقيدة من زيغه وبغيه.

تالله ما ندعوكم إلا إلى الغاية العظمى للروح في حياتها الإنسانية، ولن نتجنى على أهتكم بمين نفترية بل سَنَحْتَكِم في كل ما نقول إلى العقل إن كانت لديكم منه أثارة، وإلى القرآن إن كنتم به مؤمنين.

إن دعوتنا دعوة إلى التحرر من عبودية العقيدة لهذه الأصنام، دعوة إلى النور، دعوة إلى الحق، دعوة إلى الله، وقد يتفهبق دعي علم فيقول: وما لك وهذه الكتب فلن تضرنا وكتاب الله بيننا؟

مثل هذا القائل أقول له: إن لهذه الكتب قداستها وجلالته عند عبادها: فكأن

(١) هو عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر، صوفي مغربي، اشتهر برسالته «الصلاة المشيشية»، توفي سنة (٦٩٢هـ). انظر «الأعلام» (٩/٤)، معجم المؤلفين (٥/٢٣٢). (ض).

آياتها تنزيل من الله، وكأن ما فيها هو الحق المبين.

إن قولة يقولها الغزالي في الإحياء أشد تأثيراً على نفوسهم من آية يهدينا بها القرآن.. هذا ما يدعوننا إلى محاربتها؛ بل إلى تشديد النكير عليها حتى يبرأ الناس من وبائها؛ وحجتنا في الذي نستمسك به، هو ما في هذه الكتب نفسها، هو ما سنضعه أمام النظر البصير، والفكر المتحرر من أغلال التقاليد، فلا تكونوا أيها العابدون لها ممن وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

ضلالات الإحياء^(١):

ألف الغزالي كتابه الإحياء منذ أكثر من ثمانية قرون، فدانَ لسلطانه الفكر الإسلامي، وراحت تفهم في ظلاله العقيدة، فإذا عرضت للمسلمين مشكلة دينية تلمسوا الرأي الهادي في كتاب الإحياء، وإذا شاء أي مناظر ديني الغلبة على مناظره استمد العون من الإحياء، فللإحياء الرأي الأول والآخر في كل أمر ديني، وما زال سلطانه النافذ القوي ينتظم حتى اليوم أكبر جوانب العقلية الإسلامية، وإني - وقد عرضت نفسي لما يخشاه الصديق - لا أبتغي والله غير وجه الحق، فإن ارتأى سواي

(١) قال صاحب كتاب: «نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان» ابن القطان:

«إن كتاب «إحياء علوم الدين» لما وصل إلى قرطبة تكلموا فيه بالسوء وأنكروا عليه أشياء لا سيما قاضيهم ابن حمدين فإنه أبلغ في ذلك حتى كفر مؤلفه وأغرى السلطان به واستشهد بفقهاه، فأجمع هو وهم على حرقه، فأمر علي بن يوسف بذلك بفتياهم فأحرق بقرطبة على الباب الغربي في رجة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتاً بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالى الإحراق على ما اشتهر عنه ببلاد المغرب في ذلك الوقت». (ض).

رأياً يخالف ما نذهب إليه، فليهدنا برأيه فليس أمام الحق كبير، ولا في الصدق - إذا تبين - مرء، ولن أتعرض لما في الإحياء من أحاديث جلها موضوع، فقد كفانا الحافظ العراقي رحمته الله مؤنة ذلك، ولن أبين كل ما فيه من ضلالات وشطحات، فوقتي أقصر من ذلك، بل سأشير وأضرب المثل، والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل.

الغناء بالشعر أعظم من القرآن تصفية للنفس:

سيروع القارئ ما ذكرنا، وربما يتهمنا - قبل أن يطالع الإحياء - بالافتراء على الغزالي، فمن ذا الذي يصدق أن حجة الإسلام - كما لقبوه - يضرب أول ما يضرب بمعوله حجة الإسلام الخالدة: القرآن، فيزعم في جرأة المستهتر ومكر المتصوف أن الغناء بالشعر أعظم تصفية للنفس من القرآن، أعني بلغة العصر الحاضر: صوت أم كلثوم^(١) يصفى النفس حتى ينكشف لها الله أكثر من القرآن، لو أن هذه صدرت اليوم من إنسان لطوّحت بعنقه المقصلة، ولو صدرت من غير الغزالي وهو الملقب بحجة الإسلام لكان.. لكان ماذا؟

والله لا أدري، وقبل أن نبين هذا نذكر تعريف ما يسميه المتصوفة «بالوجد». يقول الغزالي تعريفاً للوجد^(٢): (وارد حق جديد عقيب السماع، يجده المستمع من نفسه، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين، فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم).

ويأخذ الغزالي في شرح الوجد وما يحدثه في النفس ما نلخصه في أن الوجد

(١) يقصد الشيخ رحمه الله المطربة المشهورة في وقته. (ض).

(٢) الجزء السادس، صفحة (١٧٨)، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

يصفى النفس ويكشف لها الغيب ويمثل لها الحق^(١) في صورة مشاهدة؛ هذه مكانة الوجد عند الصوفية.

فاسمع ما يقول الغزالي في صفحة (١٨٨) جزء (٦): (اعلم أن الغناء أشد تهيجًا للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله) ويستشهد الغزالي على هذا الوجه استشهادًا فيه رائحة السخرية إذ يقول: (من استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]). فانظر المكر الساخر في استشهاد الغزالي.

وقد أطلال الغزالي في شرح السبعة أوجه؛ لهذا نكتفي بتلخيصها هنا:

الوجه الثاني: أن القرآن كلما كرر ضعف أثره وتأثيره في القلوب فيكون الغناء بالشعر أحسن. ويستشهد على هذا بكذب يفتره على الصديق؛ فيزعم أن أبا بكر كان يقول إذا رأى الأعراب يكون عند سماع القرآن: «كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا»، ويقول: إن التكرار على قلب أبي بكر بالقرآن جعله قليل التأثير به. وليس لنا تعليق على زعم الغزالي، فليعلق القارئ بما شاء.

الوجه الثالث: أن الشعر موزون والقرآن غير موزون، والصوت الطيب بالأوزان أشد تأثيرًا في النفس من الصوت الطيب بغير الأوزان.

الوجه الرابع: الغناء بالشعر له ألحان مختلفة وبهذه الألحان يقوى تأثير الغناء على النفس أكثر من قراءة القرآن الذي لا يجوز فيه التلحين.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد بأصوات أخرى موزونة، كالضرب

(١) دائمًا يعني الصوفية بالحق: الله تعالى.

بالقضب والدف وغيره، ومن هنا كان تأثير الغناء أشد تهيجاً للوجد من قراءة القرآن.
الوجه السادس: أن المغني قد يغني بيت لا يوافق حال السامع فيطلب غيره أما
في القرآن فلا. وهناك وجه سابع أيضاً لا داعي لذكره.

ويقص الغزالي عن يوسف بن الحسين الرازي^(١): أنه سمع بيتين من الشعر
فبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه، ثم قال لمن غناها: هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في
المصحف لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ هذين البيتين.

يقص هذا من سمّوه: حجة الإسلام، يقص هذا الغزالي مستشهداً بما يقص
لبهتانه؛ أي مسلم ينطق بالشهادتين فحسب لا يستثير غضبه بل لعنته على من يزعم
أن الغناء بالشعر سبيل إلى تصفية القلب، سبيل إلى مشاهدة الله، وأن التغني بالشعر
أنفع وأجدى في تطهير النفس من قراءة القرآن.

أسباب الكشف:

كل صوفي يؤمن بالكشف، بل يزعمون أن الكشف أدنى مراتب الولي،

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي فخر الدين، مفسر، فقيه، أصولي،
يعرف بابن خطيب الري، ولد سنة (٥٤٤هـ)، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب
الأشعري بالفلسفة والاعتزال، له العديد من المؤلفات، من أشهرها (السر المكتوم في
مخاطبة الشمس والقمر والنجوم)، وهو مصنف في جواز عبادة الأصنام.

رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة كتب منها: كتاب نقض التأسيس، ودرء التعارض،
قال الإمام الذهبي عنه: «وقد بدت في تواليه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن
السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة مرضية» قيل: إنه تاب في آخر حياته» توفي
سنة (٦٠٦هـ). [انظر «السير» (٢١/٥٠٠)، معجم المؤلفين (١١/٧٨)]. (ض).

والكشف يحصل بأسباب منها:

(١) التنبيه، وسماع الغناء منبه.

(٢) ومنها صفاء القلب، والسماع يؤثر في تصفية القلب.

(٣) ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع.

إِذَا فَمِيعَ الْغَنَاءِ أَقْوَى الْأَسْبَابِ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ لِلْكَشْفِ، فَأَيُّ كَشْفٍ هَذَا؟ إِنَّهُ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ مِثْلُ كَشْفِ الْأَنْبِيَاءِ، أَمَا عِنْدَ الْحَقِّ فَهِيَ وَسَاسُ الشَّيْطَانِ، أَقَالَ اللَّهُ لَنَا غَنَوًا لَا ظَهَرَ لَكُمْ فِي مَشَاهِدَةٍ، أَمْ قَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

حسب الغزالي هويًّا إلى أعماق الهاوية أن يزعم أن رؤية الله تحصل بسماع الغناء.

مساواة الولي للنبي في انكشاف الحقائق:

من الصوفية من يفضل الولي على النبي، إذ يزعمون أن الولي يوحى إليه بلا واسطة أما النبي فبواسطة، وزعيم هؤلاء ابن عربي، وقد تساعدنا بعض النصوص عند الغزالي في أن نفهم أن الغزالي يحوم حول هذا فهو هنا يزعم أن الولي تنكشف له الحقائق كما تنكشف للنبي ولا فرق بين الاثنين إلا في أن النبي كلف بإصلاح الخلق أما الغزالي فلم يكلف به.

يقول في صفحة (٤٥) ج (٨) - في استدلاله على وقوع الكشف -: (إخبار الرسول عن الغيب وأمور في المستقبل وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا

يسمى نبياً بل ولياً).

من أين استمد الغزالي هذه الضلالة؟ أمن القرآن؟

أم من سنة الرسول الأعظم؟! أي ولي لله أعظم من الصديق؟

فهل انكشفت الحقائق للصديق كما انكشفت للرسول الكريم صلوات الله

وسلامه عليه؟

على الغزالي أن يثبت هذا، إن الغزالي يثبت أكثر مما نطالبه به، يثبت بقصة أن ولياً أتقى من عيسى إذ يزعم في (ص ١٥٣ / ج ٨) أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة، وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى: يا ولي الله، ادع الله تعالى لي، فإني كنت في حالة فخطر ببال الخبز فانقطعت عني. فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببال من عرفتك فلا تغفري.

ألا يريد الغزالي أن يثبت من وراء هذا أن نبياً عظيماً شغلته عن الله دنياه، وأن ولياً مجهول الاسم كان أعظم من عيسى تقوى وتوجهاً إلى الله وفناء في الله؟ ألا يريد أن يقول: إن الولي أتقى من النبي؟ ألا يريد أن يقول: إذا شغل الولي بذكر الله لم يأكل لأنه لا يحس جوعاً أما النبي فقد يشغله الجوع عن ذكر ربه؟! ليحكم العقل الرشيد والإيمان الخالص على هذا فما أريد أن أصدع بالحكم.



الباب الثالث

هدم طاغوت التصوف

القطب عند الصوفية (١)^(١)

مقدمة:

تسمع من الصوفية وضحاياهم من العوام قولهم: شيخنا فلان قطب، وكان السيد البدوي قطب الغوث في زمانه، وكان ابن عربي قطب الأقطاب. ترى ماذا يقصد الصوفية بهذه الكلمة الوثنية المعنى؟ هل اتحدت عندهم مفاهيم هذه الكلمة في هذه الاستعمالات الثلاث؟ أعني: القطب، وقطب الغوث، وقطب الأقطاب؟ أو أن لكل كلمة مفهومًا خاصًا يزيد أو ينقص عن مفهوم الكلمة الأخرى؟ هذه أسئلة نوجه بها هذا البحث إلى الفكر الباحث في أعماق وثنيات الصوفية، وسنجيب عليها - بمشيئة الله - هنا بعد أن نوجه سؤالاً آخر هو: هل يقصد عوام الصوفية من دراويش ومجاذيب وبله عين ما يقصده خواصهم من آلهة وأرباب وطواغيت بهذه الكلمة؟ هل يفهم العوام من القطب عين ما يفهمه خواص الصوفية؟ وهل يضيفون إليه تلك القوى القهارة الجبارة مثل ما يضيفه إليه زعماءهم؟ نبادر إلى الجواب عن هذا: بأن عوام الصوفية كخواصهم يفهمون في القطب فهماً وثنيًا أسطوريًا يجعله في مصاف الآلهة، وفوق الآلهة غالبًا ومكرًا وقهرًا. والدليل على ذلك ما يأتي:

يؤمن العوام بأن من أوليائهم من لهم التصرف في أقضية الوجود وأقداره، فهذا له التصرف في عالم الملك، وذاك له التصرف في عالم الملكوت، وآخر له

التصرف في عالم الجبروت: ألا تسمع هاتفهم المكروب يصرخ في كربته مستغيثاً بقوله: مدد يا أهل التصريف؟!

ألا تسمع منهم أسطورة المحكمة الباطنية، تلك التي يجتمع فيها أقطابهم وأولياؤهم من الأموات ليحكموا على الأحياء بما يريدون؟

ألا تسمع أن الدرويش فلاناً عصى الله في مقام الشيخ فعطبه الشيخ؟
ألا تسمع الجميع ينادون آهتهم أم هاشم^(١) بقولهم: مدد يا رئيسة الديوان^(٢)؟

(١) أما السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهي بريئة من هؤلاء براءة جدها العظيم ﷺ من عابديه وبراعة التوحيد من الشرك، والطهر من الخبث.

(٢) يعطينا الدباغ في كتابه الإبريز (ص ٢/ ج ٢) صورة عن ديوانهم هذا بقوله: (الديوان يكون بغار حراء فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى، وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية، وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه، ويسمى: قاضي الديوان؛ والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، ويحضره بعض الكمل من الأموات؛ ويكونون في الصفوف الأولى مع الأحياء) ثم يقول في (ص ٩/ ج ٢): (وقد يحضر سيد الوجود في غيبة الغوث فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث إنهم يجهلون العاقبة في حضوره ما يخرجهم عن حواسهم، حتى إنه لو طال ذلك أياماً كثيرة لانهدمت العوالم، ويحضر مع سيد الوجود أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين، وأمهما فاطمة الزهراء، وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار، وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن. ويتكلمون في قضاء الله تعالى، ولهم التصرف في العوالم كلها).

وتسأل العوام عن القطب، فيجيبونك: عليه حفظ الكون، وقد يسكر القطب إذا تجلى الله عليه فيميل الكون من سكره، ولا ينجو الكون من ميله إلا إذا تولى أمره قطب آخر لا يسكر من خمرة الله!!

ويقول العوام أيضًا: إن القطب يتغير، ويتشكل، وتطوى له الأرض، فهو هنا، وهو هناك، لا تحده المكانية، ولا الزمانية، ولا تقيده الجسمية عن هتك حجب المادية، فيستشرف ما جن وراءها من أسرار، وما استتر خلفها من غيوب، إنه مع البرق طيار، ومع الريح سيار، إنه قوة روحية منطلقة متجردة من كل علائق البشرية، فلا السماء بل ولا الحجب فوقها بل ولا العرش، بل ما كل ما في الوجود أسفله وأعلاه، إلا ويدين لقدرته، ويعنو لجبروته^(١)، ومن يكابر فليذهب إلى ما حول ما يسمونه المشهد الحسيني^(٢) أو الزينبي.

هذه صورة من ديوان الصوفية لست محتاجًا ولا غيري إلى بيان ما فيها من إيغال في الوثنية الصماء، غير أنني أقول لعباد أم هاشم: أدركوا الدباغ فإنه نزع رئاسة الديوان من أهتكم!!... برأ الله الرسول وأصحابه منكم.

(١) انظر ص (٧) من كتاب: الإبريز ج (٢) للدباغ تراه يحدثك عن نفسه بهذه الخصائص وفي ص (٧٣) أيضًا من هذا الجزء أيضًا إذ يقول: (إني أرى السموات السبع والأرضين السبع والعرش داخلة وسط ذاتي وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابًا؛ وفي كل حجاب سبعون ألف ملك، وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف ملك، وكل ذلك معمور بالملائكة. كل هذه المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء فضلًا عن جوارحهم إلا بإذن رجل رَحِمَهُ اللهُ).

(٢) أما ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين رضي الله عنه فهو بريء ممن يعبدونه، كافر بمن يؤلهونه كما كفر جده وأبوه وعيسى من قبلهم بمن اتخذوهم آلهة من دون الله.

وليسأل هنا أحلاس الأصنام، وسدنة الطواغيت عن القطب، وحوله، وطوله، فسيسمع منهم أنه هو القطب في وقته، أو أنه رأى القطب، وآكله، وشاربه، ولقد كنت أول أمري مفتونًا بالقطب فسألت أحد النقباء في قريتي عن القطب، وهل رآه؟

فقص لي النقيب العظيم أنه رآه يلبس طرطورًا، وفي فمه زمارة، ويلبس «دلقًا». فقلت: يا سلام!!... والآن عرفتك يا صاحب الطرطور!!.

من ذلك نفهم - مع اليقين - أن عوام الصوفية يضيفون إلى القطب نفس الخصائص التي يضيفها إليه خواصهم، ويفهمون فيه تلك القدرة القهارة الجبارة مثل ما يفهم زعمائهم، ودليلنا من الواقع المحس بالسمع والبصر، فلا يقولن لنا قائل بعد ذلك: إن هذا القطب الذي تكتب عنه، هو في فهم خواص الصوفية فحسب، أما العوام فهم برآء من هذا.

نعم، لا يقولن لنا مكابر ذلك، فقد أقمنا الحجة القطعية من البداهة والحس على أن العامي من الصوفية يفهم في القطب مثل ما يفهمه شيخه الأكبر، وكبريته الأحمر! لا فارق إلا في التعبير بالمصطلحات الصوفية عن ذلك التصور الذهني الباطل، فنفس الصورة المرتسمة في ذهن الصوفي العادي ومن لحقته عدوى الوثنية من سواد العامة، هي نفس الصورة المرتسمة في ذهن الصوفي المطمطم، ولكن يختلفان في التعبير الفني عن تلك الصورة فقط...

القطب:

وما هو؟ نحب هنا أن نتكلم عن القطب في مفهومه المطلق، ثم نتكلم بعد عن قطب الغوث، وعن قطب الأقطاب.

يقول الصوفية تعريفاً للقطب: (هو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه! وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرائيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها)^(١).

هذا هو نص ما يعرف به الصوفية قطبهم في مفهومه المطلق، ولكي نستوعب جميع ما يفهم فيه الصوفية من قوى قادرة؛ ننقل أيضاً هذا التعريف:

(هو المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة، وهو مرآة الحق تعالى، ومجلى النعوت المقدسة، ومحل المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت، وعين الزمان، وصاحب علم سر القدر، وله علم دهر الدهور، ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء، لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون، لا تعتريه شبهة في دينه، ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه، كثير النكاح راغب فيه، محب للنساء، يوفي الطبيعة حقها، يضع الموازين، ويتصرف على المقدار المعين الموقت له؛ لا يحكم عليه وقت)^(٢)، وإنه (لا يتمكن القطب أن يقوم في

(١) انظر مادة: «قطب» في كتاب التعريفات للجرجاني، فعنه نقلنا هذا التعريف.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي في الباب السبعين والمائتين.

القطابة إلا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل: ﴿الْمَ﴾، و﴿الْمَصَّ﴾ ونحوهما، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً لها^(١)، فهو المهيمن على كل كائن، وبه يحيا كل موجود، وبما يشاء يسير ناموس الحياة، الكون العلوي بما فيه ومن فيه يستمد من القطب الحياة، والكون الأسفل بما احتواه يحيا لأن القطب بالحياة يمدده، ويفيضها عليه، وهو الذي تنطبق عليه أسماء الإله كلها، لأنه متحقق بمعانيها، موجود فيه كل خصائصها، وهو الذي يعلم القدر وسره، ويطلع على محل كل غيب، وعلمه أبدي أزلي لا نهاية له، بيده الميزان الأعظم يزن به للخلائق أقدارهم وأعمارهم وأرزاقهم، وما من سر غيبي، أو غيب مستسر في خفايا القدر، أو الوجود بمعنييه إلا والقطب مطلع عليه، عليم بكل خفاياه!!

هذا بعض شرح لما مضى من تعريف الصوفية للقطب، وأعتقد أنني فيما شرحت لك أيها القارئ الكريم لم أُحِطُ إلا ببعض ما يعنيه الصوفية، إن شرحي لك كسراج على طريق الليل المظلم، فاقراً بنفسك هذه التعريفات التي قلناها لك بدقة وأمانة كما يشهد الله، ثم تفهم معانيها الظاهرة والخفية، إنك ستلمح، بل ستبصر جدًّا، أن قطب الصوفية هو الإله في جسد بشري، أو بمعنى أدق، هو الإله في أحد تعيناته أو تنزلاته، فهل قال النصارى في عيسى واليهود في عزيز جزءاً من ألف مما نسبته أولئك المناجيس إلى قطبهم؟ ومع ذلك كله يوجد من يقول لي مشفقاً: حذار

(١) الفتوحات المكية في الباب الخامس والخمسين والمائتين، وانظر أيضًا في النصين كتاب

اليواقيت والجواهر للهيكل الشيطاني الشعراني (ج٢ / ص ٧٩).

يا بني من عدائك للصوفية، أولئك المتحققون بالحق - كما يدعون زورًا وبهتانًا -!!
 أيها المشفقون علي! أشفقوا أنتم على أنفسكم من ظنكم هذا بالصوفية!! وإلا
 فبينوا لي معنى ما يريد الصوفية بما نقلته عنهم؟ بل إني أنادي الصوفية بصوت
 مدو في كل بقعة من بقاع الأرض ابْتُلِّيتْ بشركهم وأرجاسهم: خبروني ماذا
 تكون الوثنية إذا لم تكن هذه العقيدة في دنسها وفجورها وجرءتها البالغة على الله،
 وهي عقيدة زعمائهم فيما يسمونه القطب.



القطب عند الصوفية (٢) (١)

ولكن هذا القطب يسمى 'قطباً بالنسبة إلى ما في عالم الشهادة' (٢) من المخلوقات، إذ يوجد قطب آخر يسمى 'قطباً بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة' (٣)، وسيأتي ذكره بعد، فلنعد إلى القطب الأول:

قلنا: إنه قطب بالنسبة إلى المخلوقات في عالم الشهادة.

وعلى هذا فهو قطب حسي حادث يستخلف بدلاً منه عند موته من أقرب الأبدال منه، فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال، والأبدال هم أربعون رجلاً لكل منهم درجة مخصوصة: اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات واحد منهم استبدل مكانه آخر، ومن هؤلاء الأبدال الأربعين يتعين ثلاثة أوتاد، ومن هؤلاء الأوتاد يختار القطب الحسي الحادث الذي تحدثنا عنه قبل،

(١) الهدي النبوي: (١٢/ ١٣٦٨ هـ).

(٢) العالم عند الصوفية: هو كما عرفه الكمشخاني في كتابه جامع الأصول: (هو الظل الثاني، وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيناتها سمي بالسوى والغير... إلخ) يعني أن العالم هو ربهم حين تعين، تعالى الله ربنا علواً كبيراً؛ فللرب عندهم حالان: حال الإطلاق، وهو حين كان عماء أو في مرتبة الأحدية، والحال الثاني حال التعين وهو تجسده في صور المخلوقات.

(٣) عالم الشهادة أو عالم الخلق أو عالم الملك، فكلها بمعنى واحد عندهم: هو عالم الأجسام والجسمانيات... وعالم الغيب، أو عالم الأمر، أو عالم الملكوت، فكلها بمعنى واحد عند الصوفية: هو عالم الأرواح والروحانيات.

فكلما مات قطب تولّى مكانه واحد من الأوتاد ويختار واحد من الأبدال مكان
الوتد الذي أصبح قطباً^(١) وهكذا...
وكان إلههم لا عمل له مطلقاً!!
ويقول ابن الفارض^(٢) في تائيته الكبرى، متحدثاً عن أن القطب الأكبر أي قطب
الأقطاب الذي ستحدث عنه فيما بعد، مبيّناً بعض خصائص قطب الأقطاب وبعض
خصائص القطب فقط:

(١) انظر في هذا الموضوع شرح عبد الرازق القاشاني لتائية ابن الفارض الذي سماه: (كشف
الوجوه الغر) وهو مطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض للنابلسي والبوريني ط
سنة ١٣١٠ هجرية صـ (١٠٣) الجزء الثاني، ويوجد خلاف يسير في عدد الأوتاد. فإن
ابن عربي يجعلهم عبارة (عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق
وغرب وشمال وجنوب، كل واحد منهم مقام تلك الجهة). وكذلك البدلاء فإنه يجعلهم
سبعة. انظر رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي.

(٢) ابن الفارض: هو عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري الدار والمنشأ
والوفاة، ولد سنة ٥٦٦ هـ، وقيل: ٥٦٧ هـ.

وابن الفارض من غلاة الصوفية، بل من ملحدتهم القائلين بالحلول والاتحاد، توفي سنة ٦٣٣ هـ.
[لسان الميزان (٤/ ٣١٧)].

وعده شيخ الإسلام من رؤوس الاتحادية فقال:

«وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك، وقد
نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ، فهم أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما
أحسن تسميتها بنظم الشكوك» اهـ. [الفتاوى (٤/ ٧٣-٧٤)].

وقد سماه الشيخ عبد الرحمن الوكيل: «سلطان الزنادقة» [مصرع التصوف صـ (٩٥)] (ض).

ففي دارت الأفلاك، فاعجب لقطبها الـ محيط بها والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلي عن ثلاث خلفته وقطبية الأوتاد عن بدلية

يعني أن الجهات كلها مستوية بالنسبة إليه، فلا علو، ولا سفلى، ولا يمين، ولا شمال، ولا شرق، ولا غرب، ولهذا تدور الأفلاك بوجوده، لأنه قطب الأقطاب بالنسبة إليها جميعاً، تدور عليه دوائرها، ويحيط بأقطارها جميعاً؛ أما القطب الحسي، فلا يحيط بما يدور عليه، بل هو نقطة محاطة مركوزة في وسطه، وهذا فرق ما بين القطب القديم وبين الحادث.

ثم يتحدث عن قطب الأقطاب الذي تعين في ابن الفارض، فيقول: إن قطب الأقطاب من خصائصه: أنه قديم لا يسبقه قطب، ولا يأتي بعده قطب، فهو أزلي أبدي، أما القطب الحسي: فهو يتعين من الأوتاد الثلاث الذين هم بعض الأبدال...

فربك قل لي يا من تعبد الصوفية: أرايت في أساطير الوثنية الرعاء أحق من هذا؟ إن الصوفية كما قلت في مقال لي: يسوون بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب فالوجود هو الرب عندهم، وكان لهذا الوجود أولاً صفة الإطلاق، ثم شاء أن يتعين، فظهر في صورة الحقيقة المحمدية، أو صورة قطب الأقطاب بمعنى آخر، ثم تكثرت هذه الحقيقة المحمدية، أو تجزأت، فظهرت في صور مختلفة، منها الأقطاب الحادثون، والأوتاد والأبدال، فكل واحد من هؤلاء جزء من الرب، أو هو الرب في أحد تعيناته، هذا هو نظام الوجود عند الصوفية، وهذا أساس سفهم وخباهم، إنهم نبذوا العقل، وكتاب الله وسنة رسول الله، وأبوا تصديق الله فيما تكلم به عن نفسه، وأبوا تصديق الرسول فيما وصف به ربه، وصدقوا وثنية الفلسفة المارقة، وجعلوا من قضاياها هوية الحقيقة وإثباتها، فأخذوا منها التسوية

بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب.

ثم جانبوا بعد هذا الفلسفة أيضًا كما جانبوا الدين، وذهبوا يبنون نظامًا للوجود في غيبه وشهادته، وفي روحيته وماديته لا يقره عقل، ولا يجيزه دين من الأديان.

ولما رأوا أن العقل يخالفهم اخترعوا أسطورة «الذوق»^(١) فقالوا:

إنما نستمد معارفنا من «الذوق» لا من العقل، والحقيقة في الصوفية لا تدرك بالعقل، وإنما «بالذوق» ولهذا تتعدد الحقائق بتعدد الأذواق، فلكل صوفي «ذوق» خاص يدرك به الحقيقة، ولهذا قد يكون الحق عند صوفي: باطلاً عند صوفي آخر، ولكنهم لا يصفونه بالباطل مطلقاً، وإنما هو حق أيضاً في ذاته، فالحقيقة لها صور مختلفة، ومظاهر متباينة، فهي تجمع عندهم بين النقيضين، وبين الضدين. فالحقيقة قديمة، وهي في ذات الوقت حادثة، والحقيقة رب، وهي بعينها عبد، والحقيقة حق، وهي بنفسها خلق، فتناقض المعارف الذوقية عند الصوفية جائز، بل هو ذاتي لهذه المعارف؛ لأن الحقيقة نفسها عندهم - وهي الرب - تجمع بين المتناقضات؛ ولهذا يقول ابن عربي:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقاً بهذا الوجه فادكروا

(١) عرف الكمشخاني في كتابه جامع الأصول الذوق بقوله: (هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي) فالمعرفة الذوقية لا تقوم عندهم على حس ولا تجربة ولا عقل، وإنما هي قائمة على بوارق شهود الرب عندهم!! وعرفه ابن عربي في رسالته: «اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية» بقوله: (الذوق أول مبادئ التجليات الإلهية).

جَمَّعَ وفَرَّقَ، فإن العين واحدة وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر^(١)

يعني أن الحقيقة الإلهية لها وجهان، فوجه تسمى 'حقاً أي: إلهاً؛ وبوجه تسمى 'خلقاً، وهي في ذاتها، في كثرتها ووحدتها، في تجمعها وتفرقها عين واحدة، فهي لهذا تجمع بين المتناقضات، ويقول:

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه في — ك فأنت الضيق الواسع^(٢)

ومعناه ظاهر، الوصف للإله بأنه ضيق واسع تلميح صريح إلى أنه يجمع الضدين في نفس الوقت الواحد.

ويقول:

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عبد^(٣)
وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب شهد

فهو يسوي هنا بين الرب وبين العبد؛ لأن الحقيقة الإلهية لها هذان الوصفان فهي تجمع دائماً بين الأضداد والمتناقضات في ذاتها؛ والصوفية في هذا أشبه بالسوفسطائيين^(٤) في ناحية المعرفة غير أن السوفسطائيين جعلوا الإحساس

(١) الفص الإدريسي من فصوص الحكم لابن عربي.

(٢) الفص الإسحافي من فصوص الحكم.

(٣) الفص الإسماعيلي من فصوص الحكم.

(٤) السوفسطائيون: نسبة إلى السوفسطائية، وهي مذهب فلسفي إغريقي قديم.

والسوفسطائيون: هم قوم كانوا قبل الإسلام في القرن الخامس قبل الميلاد.

الجزئي أساس المعرفة، أما الصوفية فهم اخترعوا أسطورة الذوق، هذا هو تحايل الصوفية للتخلص من أحكام العقل ممثلًا في اختراع كلمة «الذوق». أما تحايلهم للتخلص من الدين الحق، فيتمثل في اختراع أسطورة الظاهر والباطن، فالصوفية

قسمهم شيخ الإسلام إلى أربعة أنواع :

الأول: السوفسطائية المتجاهلة للأدوية، الذين يقولون: لا نعلم هل الحقائق ثابتة أو متنتية، وهل يمكن العلم أو لا يمكن، فإن السفسطة أنواع أحدها قول هؤلاء.

الثاني: قول أهل التكذيب والجحود والنفي، الذين يجزمون بنفي الحقائق والعلم بها. والثالث: الذين يجعلون الحقائق تتبع العقائد، فمن اعتقد ثبوت الشيء كان في حقه ثابتًا، ومن نفاه كان في حقه متنتيًا ولا يجعلون للحقائق أمرًا هي عليه في أنفسها.

الصنف الرابع: قول من يقول الحقائق موجودة لكن لا سبيل إلى العلم بها، إما لكون العالم في السيلان فلا يمكن العلم بحقيقته، وإما لغير ذلك.

وهذه الأنواع الأربعة موجودة في هؤلاء الملاحدة، فمنهم الواقفة المتجاهلة: الذين يقولون: لا ثبت ولا ننفي، ومنهم المكذبة: الذين ينفون، ومنهم: من يجعل الحقائق تتبع العقائد كما يحكى عن طائفة تصوب كل واحد من القائلين للأقوال المتناقضة، وكما يقوله من يقوله من أصحاب الوحدة كابن عربي، ونحوه بأن كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب فيها. انظر: الصفدية ص (١٧٠-١٧١).

وقال عنه - أيضًا - : (هذا المذهب أوله سفسطة وآخره زندقة؛ يعني: أن السفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه... وأما كون آخره زندقة؛ فلأنه يرفع الأمر والنهي، والإيجاب والتحریم، والوعيد في هذه الأحكام، ويبقى الإنسان إن شاء أن يوجب وإن شاء أن يحرم، وتستوي الاعتقادات والأفعال؛ وهذا كفر وزندقة). (الفتاوى ١٩ / ١٤٤ - ١٤٥). (ض).

حين وجدوا أن خرافاتهم ينكرها الشرع، راحوا يقولون: إن للقرآن أو للشرعة ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فهو لعلماء الرسوم، وأما الباطن فللصوفية. فقالوا بالشرعة وبالحقيقة، أما الشرعة فهي ما يؤخذ من ظاهر الكتاب والسنة. أما الحقيقة فهي ما يؤخذ من باطنها مؤيداً «بذوقهم». فحرفوا الكلم عن مواضعه، وتحيلوا على اللغة تحايلاً لئيمًا لا تقره مطلقاً أوضاع اللغة، فيقول ابن عربي في تفسير لفظ «المسجونين» من قوله تعالى حاكياً قول فرعون: ﴿لَيْنٍ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَا جَعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] يفسرها بقوله: (لأجعلنك من المستورين لأن السين في المسجونين من أحرف الزوائد فإذا حذفت من سجن بقيت جن، ومعناها الوقاية والستر)..

هذا مثلٌ لتحريف الكلمات، فالصوفية في اختراعهم أسطورة الظاهر والباطن، وجدوا أن اللغة أيضاً لا تسعفهم فتحيلوا عليها مثل هذا التحايل في قوم:

هؤلاء فئة: جانبوا العقل، وجانبوا الدين، وجانبوا اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وفصلت أحكامه بها السنة المطهرة، فماذا تنتظرون منهم بعد هذا؟ العقل يحكم عليهم بالزيغ والباطل، والدين يحكم عليهم بالمروق والإلحاد، واللغة تسمهم بالتحريف اللئيم لأوضاعها.

أفتقولون بعد ذلك: إن الصوفية هم أرباب الحقيقة القدسية؟! أفيقوا من سكرتكم، ثم انظروا هنالك في الأغوار السحيقة من الوثنية ترون مكانة الصوفية... [وأعتذر إلى القراء الأفاضل من هذا الاستطراد وأعود إلى صلب البحث لنتمه إن شاء الله].

قطب الغوث:

يسمى القطب عند الصوفية بأنه الغوث «باعتبار التجاء الملهوف إليه» فلا فرق بين القطب في مفهومه المطلق، وبينه مقيدًا بالغوث إلا بالاعتبار. أعني لا يسمى القطب غوثًا إلا حين يلتجئ الملهوف إليه مستغيثًا بحوله وطوله وقهره وجبروته، فيسمى حينئذ غوثًا بهذا الاعتبار، وقد يسمى قطب الوقت، وقطب الزمان، باعتبار وقته وزمانه.

قطب الأقطاب:

قلنا: إن القطب عند الصوفية. قطبان: أحدهما حسي، والآخر معنوي؛ أو بمعنى آخر حادث وقديم، فالقطب الحسي أو الحادث هو ما تقدم ذكره، ونذكر به قراءنا الأفاضل: هو القطب الذي يخلفه قطب، وكلما مات اختير آخر من الأوتاد فهو قطب مسبوق بقطب، ويخلفه قطب، فقطبيته حادثة محدودة بوقت، وقد سبق أيضًا أن تحدثنا عن خصائصه الكبرى، وأنه قطب بالنسبة إلى ما في عالم الشهادة، أو بمعنى أدق، بالنسبة إلى إلههم المتعين في المخلوقات.

أما قطب الأقطاب فهو قطب معنوي قديم غير مسبوق بقطب، ولا يخلفه قطب آخر، فهو واحد منذ القدم، سرمدي القطبانية أبدية، وهو قطب بالنسبة إلى ما في عالم الغيب والشهادة، فمن هو قطب الأقطاب أيها الصوفية بمعنى أصرح؟ سنهتك القناع عن وجهه، ولكي نفعل ذلك يجب أن نتابع فصول الرواية الصوفية من أول فصل فيها..

الفصل الأول: هنالك كان شيء اسمه الوجود المطلق أو الإله المطلق، وكان في مرتبة اسمها العماء، نفسرها نحن بالمجهول المطلق، ثم شاء هذا الوجود المطلق

أن يرى نفسه متعيناً في صورة ليرى ذاته، فظهر ذلك الوجود المطلق، أو الإله المطلق في صورة الحقيقة المحمدية، فأصبح اسم الوجود المطلق أو الإله المطلق، الحقيقة المحمدية، وأصبحت ذات الحقيقة المحمدية هي ذات الإله المطلق بعد أن تعين في صورتها، وهذه الحقيقة المحمدية هي قطب الأقطاب. وبهذا يتم الفصل الثاني من الرواية الصوفية.

أما الفصل الثالث: فتعين الحقيقة في صور الموجودات المختلفة فحتى الخنزير عند الصوفية تعينت فيه عندهم هذه الحقيقة، وحتى الكافر الوثني تعينت فيه هذه الحقيقة. ولذلك لما سئلوا: إذا كان كل شيء هو الله فكيف يعذب الله نفسه؟ أجابوا: لا عذاب؛ لأن العذاب من العذوبة لا من التعذيب!! والنتيجة الحتمية لهذا وحدة الأديان عند الصوفية سواء منها الوضعي الوثني أو الإلهي الحق... وستكلم بمشيئة الله بعد عن وحدة الأديان عند الصوفية والقائلين بها في مقال آخر، والرواية لم تتم فصلاً، ولا ندري متى تتم؟!

والآن نذكر بعض تعاريف القطب المعنوي أو قطب الأقطاب عند الصوفية، يقول القاشاني^(١): (هو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، ولا يستخلف بدلاً من الأبدال، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة، لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر، وهو الروح المصطفوي المخاطب بلولاك ما خلقت الكون، وتدور عليه دوائر الكون ويحيط

(١) هو جمال الدين عبد الرزاق بن أحمد القاشاني، شارح «ديوان ابن الفارض»، و«فصوص الحكم». مات سنة (٧٣٠هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٣٥٠). (ض).

بأقطارها)^(١).

معناه أن قطب الأقطاب قديم في ذاته، وهو يظهر في صور الأقطاب المحدثين المتعاقبين على مر الزمان، ويأخذ كل منهم صورة نبي، أو ولي ويتولى كل منهم بأمر قطب الأقطاب المحافظة على العالم المشهود في وقته، ويستمد علمه وقدرته على التصرف من القطبية العظمى التي هي باطن نبوة محمد... وإذا كان للقطب الحادث المحافظة على الكون والتصرف فيه، فما بالك بقطب الأقطاب!!؟



(١) ص (١٠٣) من: «كتاب الوجوه الغر» ج (٢) المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض ط ١٣١٠ هجرية.

القطب عند الصوفية (٣) (١)

الفرق بين قطب الأقطاب، والقطب:

الأول قديم معنوي، والثاني حادث حسي... الأول تدور به الأفلاك التي يحيط بها، والثاني مركز نقطة وسط هذه الأفلاك، وتدور حولها الأفلاك. ثم إن الثاني يستمد علمه وقدرته من قطب الأقطاب؛ هذه بعض الفوارق ولكن كلاهما له التصرف والقدرة... وكل ما قدمناه في تعريف القطب... ولقد يزعم بعض الصوفية أنه هو بذاته قطب الأقطاب، فيتحدث عن نفسه بخصائص ذلك القطب كابن الفارض في الأبيات التي نقلناها عنه فارجع إليها، ومثل أبي السعود بن الشبلي (٢) وابن عربي (٣).

(١) (١/١٣٦٩) هـ.

(٢) هو دلف بن جحدر. وقيل: ابن جعفر الشبلي، نسبة إلى قرية شبليّة وراء سمرقند، كنيته أبو بكر.

كان حاجباً للموفق ثم عُزل، فذهب إلى الجنيد ورافقه وتصوف على يديه بعد أن تفقه على مذهب مالك، كان له شطحات وتجاوزات لا تكون قدوة، وسبب انحرافه المبالغة في المجاهدات كما يقول الذهبي.

وحقيقته أنه كان مع الحلاج على مذهب واحد، إلا أنه أخفى الحلاج أظهر. توفي سنة (٣٣٤هـ).

[انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/٣٦٧)، وطبقات الأولياء ص (٢٠٤)]. (ض).

(٣) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن محمد الحاتمي الطائفي الأندلسي، المعروف بابن عربي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، ولد بمرسية سنة (٥٦٠هـ)، ثم رحلت أسرته إلى

إذ يقول ابن عربي: (قال أبو السعود^(١) لأصحابه المؤمنين: إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة، وتركناه نظرفاً هذا لسان إدلال، وأما نحن فما تركناه نظرفاً - وهو تركه إيثاراً - وإنما تركناه لكمال المعرفة)^(٢) وإذا سألت الصوفية قائلاً: أيجوز مثل هذا الكلام عن الله؟ قالوا: إنه يتحدث بلسان الجمع... يعنون أنه يتحدث وهو شاعر تمام الشعور بأنه الله. تعالى الله علواً كبيراً... ويحكي الشعراني^(٣) في الطبقات ما يأتي: (كان سهل بن عبد الله

إشبيلية، وفيها أخذ عن ابن بشكوال، وأبي بكر محمد بن خلف الإشبيلي، وغيرهم من أقطاب التصوف، خرج بفكر الحلول والاتحاد، تنقل بين البلدان في الغرب والشرق حتى استقر في دمشق، وفيها توفي سنة (٦٣٨هـ). له تصانيف كثيرة أوصلها الزركلي إلى أربعمئة كتاب ورسالة، أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، وفي أكثر هذه التصانيف صرح بمذهب أهل وحدة الوجود. الأعلام (١٧٠/٧). قال الإمام الذهبي عنه: «ومن أرد أن توافقه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله...» اهـ. [سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣)]. ولمزيد فائدة راجع كتاب «مصرع التصوف»، وكتاب «تحذير العباد من أهل العناد» بتحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ. (ض).

(١) هو أبو السعود بن أبي العشائر الباذيني. صوفي من أهل العراق، ذكر الشعراني من كراماته - خوارقه -!! الصيام في المهدي، مات سنة (٦٤٤هـ). [الطبقات الكبرى (١٤٥/٢)]. (ض).

(٢) الفص اللوطي من فصوص الحكم لابن عربي

(٣) الشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد الحنفي - نسبة إلى محمد بن الحنفية - من غلاة الصوفية، ولد بمصر (٨٩٨هـ) ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية، وإليها نسبته (الشعراني)؛

التستري^(١) يقول: أعرف تلامذتي من يوم: ألت بربكم، وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل منذ ذلك اليوم أربي تلامذتي وهم في الأصلاب لم يجربوا عني إلى وقتي هذا..

وكان ابن عربي يقول: أشهدني الله تعالى ما في العلي وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته، وحركت ما سكن وسكنت ما حرك وأنا ابن أربع عشرة سنة^(٢).

والنص الأول من كتاب الطبقات يفيد أن التستري قطب الأقطاب؛ لأنه قديم منذ أخذ العهد، ولذلك كان يتولَّى رعاية تلامذته وهم في أصلابهم... وهكذا كل واحد يزعم لنفسه أنه بلغ تلك المرتبة، ومن عجب أن يتوقع الشعراني في جراته فيقول تعليقاً على مثل هذا الكلام حين يحكي عن الدسوقي^(٣) قوله:

مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ)، له مؤلفات غالبها في التصوف كالطبقات الكبرى، وواقع الأنوار في طبقات الأخيار، وغيرهما كثير. [انظر الأعلام (٤/ ١٨٠-١٨١)]. (ض).

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، من أئمة الصوفية ولد بتستر سنة (٢٠٠هـ)، لقي ذا النون المصري. له مصنفات، منها: «تفسير القرآن»، ورقائق المحبين ومواعظ العارفين، توفي بالبصرة سنة (٢٨٣هـ)، وله من العمر ٨٠ سنة. [انظر: سير الأعلام (١٣/ ٣٣٠)، الأعلام (٣/ ١٤٣)]. (ض).

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (ج١ / ص ١٥٨) ط شقرون عند كرامات الدسوقي.

(٣) هو إبراهيم ابن أبي المجد الدسوقي، صوفي كبير من أهل دسوق بمصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم اقتفى آثار القوم وكثر مريدوه الذين نقلوا عنه كلاماً كثيراً على طريقة القوم، فيه

(وقد كنت أنا وأولياء الله أشياخاً في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله، وأن الله عز وجل خلقني من نور الرسول والتفت إلي رسول الله. وقال: يا إبراهيم، سر إلى مالك وقل له: يخلق النيران، وسر إلى رضوان، وقل له: يفتح الجنان) يقول الشعراني تعليقاً على هذا ما يأتي: (وهذا الكلام من مقام الاستطالة، تعطي الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق، وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني^(١)، فلا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح)^(٢) الدسوقي شيخ في الأزل، الدسوقي خلق من نور الرسول، الدسوقي أغلق النار، الدسوقي يفتح الجنان، الدسوقي شاهد ربه في السماء... كل هذا عند الشعراني جائز لا يصح لنا مخالفته فيه إلا بنص صريح!!... أرأيت أيها القارئ الكريم تلك الاستطالة الوقحة على مقام الله عز وجل، وعلى مقام كتاب الله عز وجل، وعلى سنة رسول الله ﷺ؟!...

النص الصريح يا شعراني خمس كلمات من القرآن الحكيم قول الله للرسول ﷺ - وشسع نعله بالدسوقي وأضرابه -: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، هذا خطاب الله تعالى لسيد الخلق، وخاتم رسله، ولمن قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ولمن وصفه بأنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، أفيقول

الكثير لا معنى له. ولد سنة (٦٣٣هـ) وتوفي (٦٧٦هـ). انظر الأعلام (١/ ٥٩). (ض).

(١) هو محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الكيلاني أو الجيلاني، صوفي تنسب إليه الطريقة القادرية، ولد بكيلان وقيل: جيلان سنة (٤٧٠هـ)، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه، توفي سنة (٥٦١هـ)، له مصنفات منها: «الفتح الرباني والفيض الرحماني»، و«الغنية لطالبي طريق الحق» وغيرهما. [انظر: «طبقات الأولياء» ص (٢٤٦)]. (ض).

(٢) الطبقات للشعراني (ج١ / ص ١٥١) ط شقرون.

لنا قائل بعد ذلك: حذار من مهاجمة الأقطاب، حذار من كرامات الشعراني!!...
حذار أنتم أيها القائلون لنا ذلك!!
فإن الشعراني وأضرابه يضعون أقدامكم على شفا الهاوية السحيقة الأغوار
من سقر!.

فالشعراني بلغت به الجرأة أن يقول: لا تجوز مخالفة هذا ولم يرفض حتى
القول: بأنها شطحات!!... أقول ذلك لكي يعلم ضحايا الصوفية أنها ليست
شطحات، وإنما هي وثنيات يصرح بها القوم، وهم في أقوى دوافع الشعور بما
يقولون، وهذا هو الشعراني لا ينكرها ولا يردّها، بل يدعونا إلى التصديق بها،
يدعونا إلى الإيمان بأن الدسوقي وغيره بلغوا مرتبة القطبانية الكبرى، فهم
يتصرفون في الكون وأقداره وأقضيته بما يشاءون... فويل الصوفية من الشعراني!!
الإنسان الكامل:

وبعض الصوفية كابن عربي والجيلي^(١) يريدان بالقطب الإنسان الكامل...
فالقطب بمعنى الإنسان الكامل عند هذين الصوفيين اسم عام يطلق على كل
إنسان متحقق بالكمال، إلا أن الجيلي أطلق لفظ القطب فلم يقيده بقطب الأقطاب
أو غيره، بل جعله شاملاً للحقيقة المحمدية، ولكل إنسان كامل حادث، لأن
الإنسان الحادث ما هو إلا الحقيقة المحمدية، أو الإله المطلق متعيناً في صورة

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي القادري صوفي كبير مقدس فكره وأراؤه عند
الصوفية، مات سنة (٨٣٢هـ) له تصانيف أشهرها: «الإنسان الكامل». [انظر: «معجم
المؤلفين» (١/١٥٥)]. (ض).

إنسان حادث، ولهذا يقول: (الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به في صورة الجبرتي... قال الشبلي لتلميذه: أشهد أني رسول الله. فقال: أشهد أنك رسول الله)^(١) إلخ ما خرف به.

فالإنسان الكامل هو قطب الأقطاب، ولا يوجد إذن عند الجيلي قطب، وقطب أقطاب، بل كل إنسان كامل تعينت فيه الحقيقة الحمدية فهو قطب أقطاب، وقوله تنوع في ملابس يفيد أن قطب الأقطاب يظهر في صور مختلفة، ولكنه واحد في حقيقته متغير في ملابسه، وقوله: ويظهر في كنائس. يعني: أن قطب الأقطاب قد يظهر في صورة نصراني، أو يهودي، وهذا إشارة منه إلى أسطورة «وحدة الأديان» عند الصوفية سواء منها الوضعي الوثني، أو الإلهي الحق.

من هو ذلك الإنسان الكامل، أو من هو قطب الأقطاب مرة أخرى أيها الصوفية؟! إنه الإله.

واسمعوا لزعيمكم الجيلي يقول: (والله هو الولي يعني الإنسان الكامل الذي

(١) ص (٥٠) من كتاب: الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي من الباب الموفي للستين ج (٢)

قال فيه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) يريد أن يقول: إن الله هو الولي فهو إذن يظهر بيننا في صورة الأولياء - تعالى الله، وسبحان الله، وتقدس ذاتة العظيمة - فالأولياء بهذا يكونون آلهة، أو هم الإله الواحد عند الصوفية.

ونسائل الجيلي وعباده: إذا كان الله - جل الله عما يصفه به الملحدون - هو أوليائكم وعندكم في كل عصر أولياء كثيرون، فأَي ولي هو الله؟؟
تعاليت يا رب سبحانك عما يقول الوثنيون. ألهمكم يظهر في صورة ولي واحد منهم؟

إن كان كذلك فقد خالفتم أنفسكم، لأنكم تقولون: إن كل ولي هو إلهكم، وإن كان يظهر في صورتهم جميعاً في وقت واحد. فقد جعلتم إلهكم أبعاضاً متباينة، ففي هذا ذراع إلهكم، وفي الآخر رجله، وفي الثالث شاربته، وفي الرابع ضرسه، وفي الخامس عضو آخر، وفي السادس غيره...!! وهكذا أيها الوثنيون!!
ويقول الكمشخاني ما يأتي: (عين الله وعين العالم هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى)^(٢).

أعتقد أنه لا يوجد هنا رمز أو غيره كما يهرف الجهلاء من أدعياء العلم الأزهري، إذ يقولون عن كل ما لا يفقهونه من أساطير الصوفية؛ أو يفقهونه ويكابرون. يقولون: هذا رمز...

(١) ص (٢٢) من كتاب الإنسان الكامل للجيلي ج (١) ط ١٢٩٣ هـ.

(٢) ص (١١١) من كتاب: جامع الأصول لأحمد ضياء الدين الكمشخاني ط ١٣٢٨ هـ.

فأي رمز أيها المتحجرون، أيها الناعقون بالوثنية الصماء!!.

أي رمز في قول الجيلي، وقول الكمشخاني؟ والقول بين جلي صريح.

أيها الباحثون عن الحق، وأيها العلماء الصادقون، ليس كفر الصوفية في توسلهم بأوليائهم إلا قشرة من الشرك الأكبر الذي يطوون عليه نفوسهم، إنهم لا يتوسلون إليهم باعتبارهم أولياء، ولكن باعتبار أن كل ولي هو الله، كما ترون في تصرّجاتهم. فالتوسل مسبب عن شيء وقر في نفوس هؤلاء الوثنيين من الصوفية شرحه الجيلي، وهتك عنه القناع، وبينه الكمشخاني، ومزق الستر عنه هو:

(أن عين الله هو الإنسان الكامل).

ولقد قال لي أخ ذات مرة: ألا فلنهدم القبور.

قلت: أتهدم القبور التي على الأرض، أم القبور التي في قلوب الصوفية وكتبهم!!

وإننا فيما نكشف به عن دخائل الصوفية إنما نريد تطهير عقائد أولئك البسطاء المخدوعين من عباد الصوفية، نهتك القناع عما خفي وراء هذه الوجوه، من حقيقة الخنزير، ومعنى الرجس، وطاغوت الوثنية، حتى لا يبقى لهم عذر، وحتى نضيء لهم الطريق، فيبصرون أية هاوية سحيقة يسوقهم زعمائهم إليها؛ هذه غاية، وغاية أخرى أن يعلم آلهة الصوفية أن وثنيّتهم لم تعد خافية على أحد، وأن مجوسيتهم في رجسها ودنسها أصبح يكشف عنها الكثيرون، ومنهم صاحب هذا المقال، فلعلنا بهذا نقطع عليهم الطريق. اللهم اجعلنا من قطاع الطريق على الصوفية.

وما البهائية التي يعيب عليها الصوفية إلا صورة مصغرة من الصوفية.

فالبهائية تزعم أن الله ظهر في صورة البهاء، وهل يقول الصوفية غير هذا؟! بل إن الصوفية شر من البهائية، فالبهائية حصرت الإله في شخص البهاء، أما الصوفية

فتقول بظهوره في صورة كل ولي.

ومن العجب الذي لا ينتهي أثره أن يكون في لائحة مشيخة الطرق الصوفية هذه المادة: (الباب الخامس في أمور عمومية.

المادة الثانية: يبعد عن الطرق الصوفية: أولاً: كل من اتصف بعقائد مخالفة للشرع الإسلامي كالقول بالحلول والاتحاد...)

يا عجباً يا قوم! هل ابن عربي لم يقل بذلك؟ هل ابن الفارض لم يقل بذلك؟ هل الشعراني لم يقل بالمعصية والكفر في كتابه، بل مالي أذهب بعيداً، هل مجموع الأوراد لم يقل بأكثر من ذلك، أليس في دلائل الخيرات - على قداستها عندكم - ما يخالف الشرع الإسلامي؟!

وقد كشفنا القناع عن بعض ما فيها في المقالات التي نشرناها بالهدي النبوي الغراء في أول أبحاثنا تحت عنوان: «طواغيت» ولعل الله يوفقنا من فضله فنطبعها. إن دعاكم في هذا كدعوى ابن الفارض في تائيته بعد قوله بالاتحاد والوحدة وأنه الذات الإلهية: (أنزه عن دعوى الحلول عقيدتي) ما ذلك إلا قناع تسترون به كلما هتك عنكم السر، أروني ورداً أو حزباً من أحزابكم ليس فيه ما يخالف الشرع الإسلامي، فتحدد ورد خاص لوقت خاص تعبداً فيه مخالفة للشرع الإسلامي. هأنذا أنا ديككم وأتحدكم في أورادكم الحاضرة، وأحزابكم التي ترتلونها الآن. فهيا إذا شتتم نضالاً فكرياً، وحجاجاً عقلياً..

إنما أيها الصوفية سنظل - بعون الله وقوته ومشيتته - نضرب بمعاول الحق طواغيتكم القبورية، والكتبية، والعقيدية التي تسكن إليها نفوسكم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وأقول للشائمين بلا حجة، الثائرين عليّ للثورة لا للحق: تعالوا، تعالوا، أرسلوا برؤوسكم، أرسلوا بحججكم، وسأنشرها لكم بعد إذن أصحاب هذه المجلة المؤمنين. أما أن تقولوا عني: أنت ضال مضل، ملحد زنديق. فذلك دليل العجز والكربة المكروبة التي حاقت بكم.

اثبتوا بالحجة وبالبرهان من القرآن والسنة ضلالي فيما أقول، وزندقتي فيما أكشف به عن وثنيّكم.

أما أنا فأقول عنكم ما أقول مستمداً حجتي من كتاب الله وسنة رسوله، مؤيداً ما أقول بكتبكم وأورادكم وأحزابكم، فهيا أيها الأقطاب والأوتاد والنجباء والنقباء والخلفاء^(١)، وتالله لن ترهبنا قوتكم، ولا طواغيتكم، أما المشفقون عليّ، فأقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ اللهم نصرك اللهم عونك، واللهم إنك أنت العلي الكبير، فاهدنا إلى ما تحبه وترضاه.



(١) يلاحظ قراؤنا الأفاضل أنني عنيت عناية تامة بتفصيل مذهب الصوفية في القطب، حتى كأنه بحث خالص للبحث فحسب، وذلك لكي لا ندع لهم حجة يحتجون بها، ولكي نستطيع رمي طاغوتهم في الصميم، وباطلهم في هذا أوضح من باطل الشرك.

أساطير صوفية^(١)

القطب وأعوانه

أسطورة تَنْزَعُ إلى تجريد الذات الإلهية من الربوبية والإلهية، وخلعها على وَهْم خرافي سمي في الفلسفة: «بالعقل الأول»، وفي المسيحية: «بالكلمة»، وفي الصوفية: «بالقطب»، وهو عندهم أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان، عليه تدور أحوال الخلق، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويُفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وقد يسمى الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه^(٢).

وللقطب عند الصوفية معنيان: هذا أحدهما: يقول القاشاني:

(وهو إما قطب بالنسبة إلى ما في عالم الشهادة من المخلوقات، يستخلف بدلاً منه عند موته من أقرب الأبدال منه، فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال، أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، ولا يستخلف بدلاً من الأبدال، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة، لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر، وهو الروح المصطفوي المخاطب بلولاك لما خلقت الكون)^(٣).

(١) العدد ٣ لشهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ.

(٢) انظر: جامع الأصول للكمشخاني، والتعريفات للجرجاني تحت مادة «قطب».

(٣) (ص ١٠٣ / ج ٢) كشف الوجوه للغر للقاشاني، وقد ادعى ابن الفارض أنه قطب الأقطاب:

فالقطب بالمعنى الأول: حَسْبِيَّ أو حادث، وبالمعنى الآخر معنوي أو قديم وهو الحقيقة المحمدية.

مرتبة القطب وعلمه:

يقول صوفي تيجاني وهو يتحدث عن مراتب الرجال: (الثالثة مرتبة القطب، وهي في غيب الغيب مكتومة لا تذكر، ولا يعرفها إلا صاحبها، وهو القطب الجامع، ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلم علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له، وأن يُشّهد الذات بعين الذات، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات وهي الأسماء العالية، وأن يخصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه، وما احتوى عليه)^(١).

خصوصية القطب:

(قطب الأقطاب في كل وقت منذ جلوسه على كرسي القطبانية، لا تقع بينه وبين رسول الله حجابية أصلاً، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب، ومن حضرة الشهادة، إلا وعين قطب الأقطاب، متمكنة من النظر إليه، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات)^(٢).

محيط والقطب مركز نقطة
وقطبية الأوتاد عن بدلية

فبي دارت الأفلاك، فاعجب لقطبها الـ
ولا قطب قبلي عن ثلاث خلفته

(١) (ص ٧٩ / ج ٢) جواهر المعاني.

(٢) ص (٦٣) المصدر السابق.

حقيقة القطب:

(ويشرح لنا كاهن التيجانية الأكبر أبو العباس أحمد^(١) حقيقة القطبانية، فيقول: (إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب، وتوليده ونيابته عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً؛ فترى الكون كله أشباحًا لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً وقيامه في أرواحها وأشباحها، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فيذوق مختلفات أذواقهم، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف في جميعها، والممد لأربابها، به يُرحم الوجود، وبه يفيض الإفادة على جميع الوجود، وبه يبقى الوجود في حجاب الرحمة واللفظ، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية، وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلية، ذاته مرآة مجردة

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة (١١٥٠هـ) ونشأ بها، توفي سنة (١٢٣٠هـ). له مصنفات منها: «السر الأبهر في أورد القطب الأكبر»، و«جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق» وغيرهما، وله أورد وأحزاب مقررة على أتباع الطريقة جمعها صاحبه علي حرازم برادة في «جواهر المعاني». [انظر: الأعلام (١/ ١٤٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٤٣)]. (ض).

يشهد كل قاصد فيها مقصده^(١)... وحسبك هذا عن تلك الأسطورة^(٢) التي أَلَهَّتها الصوفية، وجعلت منها ربًّا أكبر يُعبد، ويُحشى، ويُرهَب!!

أعوان القطب:

أولاً: الإمامان، وهما بمنزلة الوزيرين له، أحدهما لعالم الملكوت والآخر لعالم الملك. ثانيًا: الأوتاد الأربعة^(٣)، وقيل: هم ثلاثة كلما مات قطب الوقت، أقيم مكانه واحد منهم، ويزعمون لهم أنهم إذا ماتوا فسدت الأرض، وأنهم يأخذون الفيض من قطب الأقطاب.

ثالثًا: الأبدال، والبديل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه ذلك الولي، فإن ظهر شوق شديد من أناس ذلك الموطن لهذا الشخص،

(١) ص (٨١) وما بعدها جواهر المعاني.

(٢) كتبنا عنه مقالًا ضافيًا في مجلة الهدى النبوي فراجعها^(*)، والعجيب أن ابن الحاج - وله سابقة في محاربة البدعة - يؤمن بهذه الأسطورة، ويصفه في كتابه المدخل: (إن الله تعالى يديره في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء) انظر ص (٣٢٨) مشتهى الخارف الجاني لمحمد بن الخضر بن عبد الله الجكني الشنقيطي. وهكذا تقتل الصوفية بخداعها كل من يظن بها ظنًا واحدًا من خير.

(*) قلت: - محمد -: لعل الشيخ يقصد مقالاته التي بعنوان: القطب عند الصوفية ص (١٥٩ - ١٨٥).

(٣) الأوتاد الأربعة على أركان البيت في دين الصوفية، كل واحد منهم على ركن منه، ويكون كل واحد على قلب نبي، فالذي على قلب آدم له الركن الشامي، وعلى قلب إبراهيم العراقي، وعلى قلب عيسى اليماني، وعلى قلب محمد صاحب ركن الحجر الأسود!

تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله، فكلمتهم، وكلموها، وهو غائب عنهم. وعدد الأبدال أربعون، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق!! رابعاً: النجباء. وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر!! وهم المشتغلون بحمل أثقال الخلق، وعددهم سبعون!!

خامساً: النقباء، وعددهم ثلاثمائة، وقيل خمسمائة، وهم الذين استخرجوا خبايا الأرض^(١).

تلك هي مملكة الأساطير، ابتدعتها خرافات الصوفية الحمقى، وخيالاتهم المخبولة، ليستعبدوا الخلق لما يشتهون، وليجعلوا منهم أحلاس رهبة منهم، وخوف مذعور؛ تلك هي المملكة التي وضعتها الصوفية مقابل ملكوت الله!! وكل صوفي بها يؤمن ويدين. ترى ماذا بقي لله وملائكته ورسله؟! خاتم الأولياء.

فضلت الصوفية الولاية على النبوة، وكما جعل الله للنبيين خاتماً، جعل الصوفية للأولياء خاتماً، والعنكبوت الذي نسج اللعاب الأول من هذه الأسطورة هو الحكيم الترمذي^(٢).

(١) انظر ص(٣٢٨) وما بعدها مشتهى الخارف الجاني، ص(١٠٤) من: «كشف الوجوه الغر» للقاشاني.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشير «أو بشر» الترمذي المعروف بالحكيم، وهو غير صاحب السنن عاش إلى حدود العشرين بعد الثلاثمائة.

قلت (محمد): - قال عنه شيخ الإسلام: «في هذا الكتاب من الكلام الباطل ما يُعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام؛ وهو الذي فتح الكلام في ختم الأولياء». [الصفدية (١/٢٤٨)]. (ض).

قال السلمي: (نفوه من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية، وكتاب علل الشريعة، وقال: إنه يقول: إن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً وأنه يفضل الولاية على النبوة، فجاء إلى بلخ، فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذهب»^(١)).

ويقول ابن تيمية: (في كلامه من الخطأ ما يجب رده، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية، مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما...).

ومنها: أنه ذكر في كتابه ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة - ولو أنها التطوعات المشروعة - أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبية.

ومنها: ما ادعاه من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء^(٢).

وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة تتم نسج ثوبها المهلهل.

قال ابن عربي في الفصوص - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود -:
(وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم

(١) (ص ١٧٠ / ج ٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده، طبع حيدر أباد بالهند.

(٢) ص (٥٩) وما بعدها رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين، أو وحدة الوجود» لشيخ

الإسلام ابن تيمية، طبع المنار.

الأولياء، فإن الرسالة والنبوة - أعني: نبوة التشريع - تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمرسلون من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف مَنْ دونهم من الأولياء؟^(١).

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين:

لقد زعم ابن عربي في النص الذي نقلناه آنفًا: أن الرسل جميعًا لا يستمدون أشرف علومهم - وهو العلم بالله وصفاته وأسمائه - إلا من علم خاتم الأولياء، وها هو يفضل على خاتم النبيين بخاصة، فيقول: (ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن، وقد كُمِّلَ سوى موضع لبنة، فكان ﷺ تلك اللبنة، غير أنه ﷺ لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة^(٢))، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله، ويرى في الحائط موضع لبنتين - واللبن من ذهب وفضة - فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبتين، فيكمل الحائط... كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فإنه آخذ من المعدن

(١) (ص-٦٢ / ج ١٠) فصوص بتحقيق الدكتور عفيفي.

(٢) يشير إلى قول النبي ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ». أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب: المناقب، برقم: (٣٥٣٥)، ومسلم، كتاب: الفضائل، برقم: (٢٢٨٦/٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول^(١).

يعني أن خاتم الأولياء يأخذ علمه عن الله مباشرة، أما الرسل جميعاً فيأخذون علمهم عن الله بواسطة الملك.

وابن عربي يشير بقوله ذلك إلى الحديث الصحيح الذي مثل فيه رسول الله ﷺ ما بعث به هو والأنبياء من قبله بيت كانت تنقُصُه لَبَنَةٌ، وأنه هو الذي جاء بتلك اللبنة يعني أنه هو الذي أتم الله به على المسلمين دينهم.

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصاً لبنتين، فأتى محمد بواحدة، وأتى خاتم الأولياء بهذه ولبنة أخرى، فلم يتم دين الله إلا على يد خاتم الأولياء!!
 أين هذا من قول الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ادعاء كل شيخ هذه المرتبة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة، لا حقيقة لها، وصار يدعيها لنفسه، أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلا مَنْ في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارى، كما ادعاها صاحب الفصوص.

ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الأمور ما لا يصلح إلا لله وحده، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادعته النصارى في المسيح^(٢).

(١) ص (٦٣) المصدر السابق.

(٢) ص (٦٣) وما بعدها، رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين».

وحق ما يقول شيخ الإسلام من أنه ادعتها طوائف كثيرة لشيوعها، قال ابن عربي في الفتوحات: (إنه رأى حائطاً من ذهب وفضة كمل إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب، والأخرى من فضة، فانطبع هو في موضع اللبنتين، قال: وكنت لا أشك في أني أنا الرائي، ولا أني أنا المنطبع في موضعهما وبني كمل الحائط، ثم عبرت الرؤيا بانختم الولاية بي)^(١).

وادعتها التيجانية لشيخها الأكبر أحمد، قال أحد أتباعه: (الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا، وبيان أنه خاتم الأولياء، وسيد العارفين، وإمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث... إلخ)^(٢).

لماذا فضل خاتم الأولياء على خاتم النبيين؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملك، فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة)^(٣) وتقرير ابن تيمية حق، فطيفور البسطامي^(٤) يقول لأهل الشريعة وأتباعها: (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي

(١) نقلاً عن: رماح حزب الرحيم (ص ١٥ / ج ٢) لعمر بن سعيد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ص (٦٤) رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) هو طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أبو يزيد، من مشاهير الصوفية، كان جده مجوسياً فأسلم، تُروى عنه شطحات كثيرة وأقوال منكرة، ولد سنة (١٨٨ هـ)، وتوفي سنة (٢٦١ هـ).

[انظر: طبقات الصوفية (ص ٦٧-٧٤)، سير الأعلام (١٣/ ٨٦). (ض).]

الذي لا يموت^(١)، ويقول: (خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله)^(٢).

وقال ابن عربي: (علماء الرسوم - يعني: أهل الشريعة - يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدرهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم)^(٣).

يعنون: أن الشريعة الإسلامية إنما يأخذها أتباعها عن أناس قبلهم، وهؤلاء عمن قبلهم، حتى تنتهي السلسلة إلى محمد ﷺ، وكل أولئك قد ماتوا، أما الصوفية، فلهم صلات مباشرة مع الله، يأخذون عنه بلا واسطة ملك أو نبي أو رسول!! وبهذا كفروا بشريعة محمد، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد، والإيمان بما يفتره طواغيتهم!!

الذكر الصوفي:

في أعياد الأصنام التي يسمونها موالد، وفي معابد الأضرحة التي يسمونها مساجد، وفي بيوت الدراويش، وقد أنخموا^(٤) بطون شيوخهم بالسحت^(٥)، وقوت الأرامل؛ في تلك الحمآت يقيم الصوفية حانات الذكر، أو الرقص.

يجلس الشيخ بين صفيين من دراويش ودرويشات، ثم يصفق بيديه إيذاناً ببدء

(١) ص (٢٤٦) الكواكب الدرية لعبد الرؤف.

(٢) المنادي (ص ٦٣ / ج ٢) جواهر المعاني.

(٣) ص (٢٤٦) الكواكب الدرية.

(٤) ملاؤا. (ض).

(٥) الحرام. (ض).

الذكر، ثم يخرج من شفثيه ومنخريه اسم الله ملحدًا في حروفه، والنطق به، ومنشد القوم يطربهم بالغزل الداعر في ليلٍ أو سعاد، أو بالدفوف والنايات، ثم يهب الشيخ واقفًا، ويهب معه المريدون، وهناك يميلون يَمَنَّةً وَيَسْرَةً مُتَأَوِّدَةً أعطافهم تَأَوَّدَ الراقصات، يردن استلاب ما في الجيوب!!

وما هي إلا لحظة حتى تُجَنَّ هذه الأجساد، وتجن ما فيها من رغبات مكبوتة، فتفصح عن نفسها بالتنهيد، والتأوه والتمايل الخليع، والأصوات المنكرة المبحوحة من عويل الشهوة والاستغاثة بزینب، أو نفيسة، لا يريدون زينب الطاهرة، ولا نفيسة العابدة، وإنما يريدون بهما شيئًا آخر، فكل يُغْنِي على أنثاه!!

وهكذا يظلون في اقتراف تلك الخطيئة ساعة، أو ساعتين، كلُّ يريد أن يثبت للعيون الرانية في لهفة، والزغاريد المغازلة في شوق أنه حيوان قوي الجسد!! وبعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلي!! ولكم باعت أم قوت يتيمها، وزوج ستر امرأته، في سبيل «شيشة» الشيخ، و«حشيش» الدراويش، وهم يرقصون في حانات الذكر!!

أتراني بالغت؟ أم أني قَصَّرت؟ إخالك تنزع إلى اتهامي بالتقصير، فكل تقع عيناه على مشاهد الصوفية في حانات ذكرهم، يعربدون حتى يضج منهم الليل!! تقع عيناه على مشاعل المجوس تتوهج كرجبة الفاجر، وعلى الدفوف بأيدي فتية أسبلوا شعورهم، وقد لمسهم الشيطان بلهيبه، فراحوا يتكسرون على النغم الشرود، ويهصرون غصونهم على النظرات الراغبة، وشيخ الطريقة سعيد، لأن شباك فتيته توقع في حبالها الهائمين، هذا يحدث وتراه ونراه، دون أن نسمع النكير عليهم من أحد.

فما هكذا ذكر الرسول ربه، وهو ﷺ سيد الذاكرين، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكره باسم المفرد، ولا ذكره في ميل وتَأَوُّد، ما ذكره بقيادة واحد منهم، ينطق بالاسم، وينطقون به وراءه، ما ذكره ولهم منشد يغازل ليل وسعاد، ما ذكره وأصواتهم من ضجيجها تقلق الليل، وتفزع جنباته، ما ذكره بالنايات والطبول والدفوف، ولكنهم ذكره كما علمهم رسوله، فسلوا الصوفية من أين جئتم بهذا الذكر؟ جاءوا به من المسيحية، واليهودية.

الذكر الصوفي بدعة يهودية:

فقد جاء في الزمور التاسع والأربعين بعد المائة: (غَنُّوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه، ليتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود، لِيُرَنَّمُوا... هَلِّلُوا يا، سبِّحوا الله في قدسه... سبِّحوه برباب وعود، سبِّحوه بدف ورقص، سبِّحوه بأوتار ومزمار، سبِّحوه بصنوج الهتاف)^(١).

وهكذا يذكر الصوفية، وحسبك أن ترى حانة صوفية يذكرون فيها، لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي والبدعة اليهودية.

الشيخ جاسوس القلب:

ويوجب الصوفية على الدرويش حال الذكر (أن يستحضر شيخه، فالطريقة تحتاج للرفيق، وأن يستمد منه عند الشروع فيه، فيقول: مددك يا أستاذي، وأن يرى أن استمداده منه عين استمداده منه ﷺ، فإنه الواسطة إليه، وأن يستأذن

(١) المزامير، العهد القديم. ص (٦٤١).

شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذي، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم، وهم أهل السلسلة، فيقول: دستور يا أصحاب الطريق والقدم^(١). وهكذا يجب على المريـد قبل أن يذكر ربه، أن يتلطف بهذه الوثنية، وأن يستأذن كل هذه الوسائط الصنمية حتى يمكن أن يتقبل الله ذكره!!

كيفية الذكر:

(أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه، وأن يبدأ «بلا» يمينًا، ويرجع «بإله» فيتوسط ويختم «إلا الله» يسارًا قبله القلب، فإن ذكر اسمًا مفردًا كالله، و «هو» ضرب بذقنه على صدره، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت، ويَتَعُ الكلمة من سُرَّتِهِ إلى قلبه)^(٢). هذه «البهلوانية» الرعناء، هي صورة الذكر الصوفي، ترى هل كان رسول الله يهتز حين يذكر ربه، يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه، أو يضرب بذقنه صدره؟

أما رفع الصوت: فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

صيغ الذكر الصوفي:

من آداب المريـد: (أن يذكر ما لقنه له أستاذه، فلا يتجاوزه إلى غيره)^(٣).

(١) انظر ص (٢٨) وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني، ص (٨٦) من رسالة:

«منحة الأصحاب» لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالطربي.

(٢) نفس الصفحات من المصدرين السابقين.

(٣) ص (٣٠) رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني.

لهذا تعددت صيغ الذكر عند الصوفية تبعاً لتعدد طرقهم، فجماعة تذكر بالاسم المفرد: «الله»، وجماعة: «حي حي»، وجماعة: «هو هو»، وجماعة: «أه أه»، وكل شيخ يحرم على أتباعه أن يذكروا بما تذكر به الطرق الأخرى، بل اسمع إلى ابن عطاء الله السكندري يؤكد أن بعض أسماء الله لا ينفع الذكر بها في بعض الأحوال، بل ربما يوقع في الضرر: (اسمه تعالى «الباعث» يذكره أهل الغفلة، ولا يذكره أهل طلب الفناء!! اسمه تعالى الْعَفْوُ يليق بأذكار العوام؛ لأنه يصلحهم، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره، اسمه تعالى المولى، ولا يذكره إلا العباد؛ لاختصاصهم به، فإن ذكره من فوقهم فهو بمعنى آخر، اسمه تعالى الغافر يُلَقَّنُ لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب.

وأما من يصلح للحضرة؛ فذكر مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة، اسمه تعالى المتين وهو الصلب وهذا الاسم يضر أرباب الخلوة، وينفع أهل الاستهزاء بالدين^(١).

ويستمر ابن عطاء في سرد هذا البهتان حتى يستوفي أكثر أسماء الله، والله تعالى يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهل تجد رحماً بين حق القرآن وباطل الصوفية؟! تدبر الآية الأخيرة، ففيها الرد عليهم، وفيها نعتهم الحق، وفيها الجزاء الذي أعد لهم.

(١) ص (٢٣) وما بعدها كتاب: مفتاح الفلاح، لابن عطاء. ط ١٣٣٢ هـ.

ذكر رسول الله:

ومن عبير السنة المطهرة يسطع عليك ما يشفي روحك، فقارن بينه وبين ذلك
الْيَحْمُوم:

قال ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت
أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»^(١) رواه مسلم.
وقال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا
عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء
لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... من قالها
حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه،
دخل الجنة»^(٢). رواه البخاري.

وفي الصحيحين، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى
الصلاة في جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن
فيهن ولك الحمد، أنت قيّام السموات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد أنت
رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك
الحق، ولقاؤك حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم
لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك
حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي، لا

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، برقم: (٢٩ / ٢٦٩٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه.

إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١).

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع؟ إنها ضراعة العبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء، فما فيه ضرب الذقن بالصدر! ما فيه هزة الرأس إلى أخمص القدم!! ما فيه التَّنَاوُحُ يَمْنَةً ويسرة، ما فيه مُنْشِدٌ ولا دُفٌّ ولا شبابة!! ما فيه دائرة يقف بينها نُصْبٌ، يميل معه الدراويش حيث يميل!! إنما فيه قلب مؤمن ضارع، يتوجه إلى خالقه الأعظم في إيمان صادق بربوبيته وألوهيته.



(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، برقم: (٦٣١٧)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، برقم: (٧٦٩/١٩٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

صوفيات (١) (١)(٢)

خطاب مفتوح نرفعه بكل توقير وكل... إلى السيد السند حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية.

شكوتنا إلى النيابة، ولك العذر في أن فعلت ذلك، فاتهم الصوفية بأنها دسيصة يهودية قضاء عاصف مدمر عليها، وعلى ما تغله صناديق الأضرحة من مال وفير وغللات تأتيكم رغداً من كل مكان.

لسنا نعييك يا صاحب السماحة في شكاتك ولا في ثورتك؛ إذ قضى الله أن تتولى زعامة هذه الجماعة التي قال لها رب العالمين: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] وكنا يا سيدي ننتظر ونترقب - وأنت من كبار شيوخ الأزهر - أن تقود هذه الجماعة الشاردة إلى ما يطلب الدين من هدى، وإلى السبيل السوي من رشد الإسلام وبصيرته المشرقة، نعم كنا

(١) الهدي النبوي: على أثر التحقيق الذي قامت به النيابة مع جماعة أنصار السنة بالجيزة؛ لوصفهم الصوفية بأنها دسيصة يهودية في إمساكية رمضان الماضي، بناءً على بلاغ شيخ مشايخ الطرق الصوفية، وحفظ النيابة لهذا البلاغ بعد أن حضر الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل أمامها مدافعاً في هذه القضية، وأخذ النيابة بوجهة نظره - كما أشرنا إلى ذلك في عدد الهدي السابق - كتب خطاباً مفتوحاً إلى هذا الشيخ، واختار له عنوان (صوفيات) نجتزئ منه بهذا المقدار ننشره في هذا العدد، وسنوالي نشره في الأعداد التالية إن شاء الله.

- وما زلنا - نأمل أن تفعل ذلك، وأوقن أنك لو فعلته لكنت البطل الديني الأول الذي تهتف باسمه الأحقاب، وترتل الثناء عليه مزامير القرون...

هذا يا صاحب السباحة رجاء شاب كان صوفيًا شرب زعافها شهيدًا، وذاق مرها رحيقًا، ثم تهللت في روحه المظلم إشراقات الهداية القرآنية، فإذا هو يكاد يقضي عجبًا منه العجب، أي: الماضي الذي كان فيه، ماضي الكفر يغتال مهجة إيمانه، والشرك يعصف بالحشاشة الوهلي من توحيده، فيا حر قلباه!!

كان الشاب اليتيم الروح ينتظر أن يمشي على الماء، ويطير في الهواء، ويمتزج بروحيته بالروح الإلهي الأعظم، ويمرق كالشهاب من بين الحجب ليرى حقيقة الوحدة الكبرى كما وعدته الصوفية... فعلام مشيت؟

على الجمر المدمدم من سقر. وفي أي الأجواء طرت؟

أتذكر يا سيدي قصة المشرك قصها الله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] كنت أنا يا شيخ الصوفية الأكبر أحد أبطال هذه القصة الدامية؛ وبم امتزجت أنا يا سيدي؟

بالشيطان ينفث في دمي إثمه، ويطل من عيني لهبًا يحرق معاني القداسة، ويهفو بنفسي إلى كل حمأة دنسة لا غاية لها إلا التلهب والتحرق في جحيم الغواية، وهل رأيت أنا حقيقة الوحدة الكبرى؟ آه من هذه الأسطورة الساجية الفتون المكحولة الآثام!! الوحدة!! ما هي؟

وعدتني الصوفية أني سأصير بها إلهًا فأحقق ما قال الشاعر:

آه يا يوم التلاقي ليتني كنت لا إلهًا

لأبحث الناس للناس خـدوداً وشـفاها

وأصبح وأمسي وأنا الإنسان الإلهي، أو الإله الإنساني الذي يصرف الوجود بأقداره ومشيتته، ويدين الكون لنزغاته ونزواته، ويسخر الجن والريح والعواصف في سبيل شهواته، ولم لا؟

بل إن الصوفية على يد عفيف التلمساني^(١) أباحت الأم والأخت، بل إن ابن عربي في كتابه الفصوص، بل على وجه الدقة في النص المحمدي يقول يا سيدي - وإني والله لشديد الحياء والخجل - : إن الله يتجلى أعظم ما يتجلى في صورة المرأة. ويقول: إن الله يكون وقت اتصال الزوجين في مظاهر ثلاثة: فاعل ومنفعل ومفعول، ولو تأمل الزوج وقت تلك اللحظة العاصفة لعلم أنه الله وأنه مع الله...

لقد أخرجني قول الحق عن طوري، فذكرت ما يكون فيه الخدش لحياء حتى غير العذراء، ولكن ليعذرنني القراء، فإن شيخ الصوفية يشكونا إلى النيابة؛ لأننا

(١) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، مشهور بعفيف الدين، صوفي شاعر، ولد سنة (٦١٠هـ) تنقل في بلاد الروم، توفي بدمشق سنة (٦٩٠هـ) وله ثمانون سنة.

له مصنفات منها: «شرح الفصوص»، و«شرح منازل السائرين»، وغيرها.

[انظر: الأعلام (٣/ ١٣٠)، معجم المؤلفين (٤/ ٢٧٠)].

قال عنه شيخ الإسلام: «وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر، [الفتاوى (٢/ ٤٧١)]

وقال الإمام الذهبي: «أحد زنادقة الصوفية» [العبر (٣/ ٣٧٣)]، وقال الإمام ابن كثير: «نسب إلى هذا الرجل عظام في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض».

[البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٦)]. (ض).

نبرهم بما دسه اليهود والمجوس عليهم فحسبوه إيمانًا عذريًا قدسي المشاعر؛ وكان ينبغي له أن يقص لأتباعه تلك الوثنيات التي سجلها الصوفية في كتبهم ويقرأ معها كتاب الله، فإن رضي أتباعه بما في كتب ساداتهم وتركوا القرآن وراءهم ظهريًا، كان حقًا على الشيخ أن يخلف مكانه لاجئًا إلى ربه وهداية ربه.

وإني لأحسن الظن بالشيخ فأقول: لعله لم يتل كتب أولئك القوم الذي تربع هو على كرسيهم، فأردت هنا أن أضع للشيخ صورًا خاطفة مما رسمه زعماء الصوفية عن الله وعن رسول الله وعن أولياء الله، مطالبًا الشيخ - هدايا الله وإياه - أن يصرح لنا بما يراه، فإن أنكر على القائلين بهذه الآراء زندقاتهم كنا أول من نهل له ونهتف باسمه الكريم، وإن سكت عن ذلك أو لم ينكر عليهم، فسنظل يا سيدي نضرب بمعول الحق بناء الطاغوت وهيكل الصنم؛ حتى يخر على سدنته وعباده، ولن يخيفنا في سبيل الله تهديد ولا وعيد ولا إزباد ولا إرعاد...

دمرينا يا عواصف الشر الباغية، والهبي أيتها الأحقاد العاتية، فإننا حسبنا من الله رحمته السامية.

الإله عند الصوفية:

أدعوك يا صاحب السباحة إلى قراءة فصوص الحكم لابن عربي، وإلى قراءة الإنسان الكامل للجيلي، وإلى قراءة عنقاء مغرب لابن عربي، وإلى ديوان ابن الفارض وشرحه، وإلى كتاب الطبقات للشعراني، وإلى كتاب الإبريز للدباغ^(١)،

(١) هو عبد العزيز بن مسعود الدباغ، متصوف من الأشراف الحسينيين، ولد بفاس سنة (١٠٩٥هـ)، وكان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغات في الثناء عليه، ونقل الخوارق

بل حتى إلى مجموع الأوراد الذي يتعبد به الصوفية في عصرك، ولم أدعوك إلى هذا؟ إنكم يا صاحب السباحة تسمون ابن عربي: «الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر»، وتسمون الجيلي: «المحقق الكامل»، وتسمون ابن الفارض: «سلطان العاشقين»، وتسمون الشعراني: «الهيكل الصمداني والقطب الرباني».

فأنا أدعوك إلى تلاوة كتب يقدسها الصوفية ويجلون - ولا أقول يعبدون حتى لا أثير غضبك - أربابها، فإن كان ما فيها هو دين الصوفية فلتقرأ معها سورة واحدة من القرآن، وقارن بين ما تلوت من صوفية.

وبين ما وعيت من الهداية القرآنية وسيروعك، بل ربما استفز لعنتك ونقمتك أن تجد الصوفية في هذه الكتب يفهمون في الله فهماً خيراً منه فهم النصارى والمجوس في ربهم.

وإني لعلّ استعداد كبير لملاقاة ساحتكم ومناقشتكم في هذا، فاختر يا سماحة الشيخ أي مكان شئت حتى ولو قبة البدوي.



عنه. توفي بفاس سنة (١٣٢٢هـ). [انظر: «الأعلام» (٤/٢٨)].

وأما كتابه: الإبريز فهو لتلميذه أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي، وقد جمع فيه كلام شيخه عبد العزيز الدباغ. [انظر: الأعلام (١/٢٠١)]. (ض):

صوفيات (٢) (١)

أو خطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية

وإليك ما يقوله سلطان عاشقيكم ابن الفارض:

جلت في تجليها الوجود لناظري
وأشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها
فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن
فقد رفعت تاء المخاطب بيننا
ثم يتابع سلطان عاشقيكم قوله:
ولا فلك إلا ومن نور باطني
ولا قطر إلا حل من فيض ظاهري
ويقول:

ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن
فلا حي إلا من حياتي حياته
شهود ولم تعهد عهد بذمة
وطوع مرادي كل نفس مريدة

ويقول:

وكل الجهات الست نحوي توجهت
لها صلواتي بالمقام أقيمها
كلانا مصل واحد ساجد إلى
وما كان لي صلى سواي ولم تكن
بما ثم من نسك وحج وعمرة
وأشهد فيها أنها لي صلت
حقيقته بالجمع في كل سجدة
صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

وأعذر إلى قرائي الأحبة عن إثارتي غثيان نفوسهم بهذا القبيء القذر من الكفر.
واقراً يا صاحب السباحة شرح القاشاني لأبيات هذه القصيدة؛ والقاشاني
منكم مخافة أن تتهمني أنني أخرج الأبيات عن حقيقة معناها؛ واقراً معها شرح
النبلسي، وهو رب من أرباب الصوفية!

ثم إليك رأي ابن عربي في ربه وتجليه في صورة المرأة التي يتصل بها زوجها؛
قال: (ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة - أي غاية الوصلة - التي تكون في
المحبة فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا تعم
الشهوة أجزاء كلها؛ ولذلك أمر بالاعتزال منه فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند
حصول الشهوة؛ فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره فطهره بالغسل
ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه، إذ لا يكون إلا ذلك، فإذا شاهد الرجل الحق في
المرأة كان شهوداً في منفعل، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في
فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان مشهوده في
منفعل عن الحق بلا واسطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق
من حيث هو فاعل منفعل ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة فلهذا أحب ﷺ

النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجردًا عن المواد أبدًا^(١).

هذا نص الفصوص نلخصه في كلمات ثلاث: إن الله يتجلى بصورة عظيمة في صورة المرأة... الزوج والزوجة وقت الصلة يكونان الله. إن الله دائمًا لا يظهر إلا في جسد..

فهل رأيت يا صاحب السماحة شيخكم الأكبر، وكبريتكم الأحمر ماذا يقول عن الله؟!

أعتقد أنك الآن آسف إذ شكوتنا إلى النيابة..

ولست أطيل عليك في ذكر النصوص، فهذا النص أهون ما في الفصوص من زندقة آثمة.

إن المسيحية الضالة لما تخيلت أن الله يتجسد اختارت لتجسده جسدًا نظيفًا، أما شيخكم الأكبر فاختار أجسادًا تحتقرها الحقارة، وتخزى من دناءتها المهانة؛ اختار الأصنام وعجل السامري؛ وغير ذلك.. ثم اختار الأجساد الرقيقة التي تكشف عن دخيلة نفسية هذا الرجل، اختار أجساد النساء، وجعل ظهور الله فيها أكمل ظهور!! إن ابن عربي أحب امرأة ذات مرة.. ومن حبه لها جعلها الله نفسه وزعم لها أنه اكتشف فيها الذات الإلهية.. حسبنا من ابن عربي هذا؛ ولي أمل كبير أن يدلي لنا الشيخ الصاوي العالم الكبير برأيه في هذا بدل أن يشكونا إلى النيابة.

(١) ص (٤٣٧) من فصوص الحكم شرح القاشاني طبعة حجر باستانبول، ص (٢١٧) من

فصوص الحكم بتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي ط سنة ١٩٤٦، ص (٤٢٥) من

فصوص الحكم بشرح بالي أفندي ط سنة ١٣٠٩ هجرية.

ثم إليك رأي الجيلي:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما
وقد حزت أنواع الكمال وإنني
فمهما ترى من معدن ونباته
ومهما ترى من عنصر وطبيعة
ومهما ترى من أبحر وقفاره
ومهما ترى من صورة معنوية
ومهما ترى من هيئة ملكية
ومهما ترى من شهوة بشرية
ومهما ترى من عرشه ومحيطه
ومهما ترى من أنجم زهرية
ومهما ترى من سدره لنهاية
فإني ذاك الكل والكل مشهدي
وإني رب للأنام وسيد

سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
جمال جلال الكل ما أنا إلا هو
وحيوانه مع إنسه وسجايه
ومن هباء للأصل طيب هيولاه
ومن شجر أو شاهر طال أعلاه
ومن مشهد للعين طاب محياه
ومن منظر إبليس قد كان معناه
لطبع وإيثار لحق تعاطاه
وكرسيه أو رفرف عز مجلاه
ومن جنة عدن لهم طاب مثواه
ومن جرس قد صلصلا منه طرفاه
أنا المتجلي في حقيقته لا هو
جميع الوري اسم وذاتي مسماه^(١)

هل يريد صاحب السباحة شيئاً أدل على الزندقة المجوسية من هذه الأبيات التي يعترف فيها الجيلي بأنه هو الله؟ وسبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

(١) ص (٢٢) من كتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ط ١٢٩٣ هجرية.

وإليك يا صاحب السباحة قول زعيم قريب من زعمائكم:

لقد كنت دهرًا قبل أن يكشف الغطا إخالك أني ذاكر لك شاكر^(١)
فلما أضاء الليل أصبحت شاهدًا بأنك مذكور وأنك ذاكر
وقوله:

هو الواحد الموجود في الكل وحده سوى أنه في الوهم سمي بالسوى^(٢)

وحسبنا هذا القدر إشارة إلى حقيقة معتقد الصوفية في الله؛ فهم يدينون بأنه لا يوجد سوى الله؛ وما هذا الكون بكلياته وجزئياته، بخنازيره وكلاجه، بقذارته وأرجاسه؛ ما هذا كله إلا رب الصوفية!!

ولهذا؛ يقول محمد بهاء الدين البيطار^(٣) في كتابه النفحات الأقدسية، ط ١٣١٤ هـ ص (٣٣٨):

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة
يا عجبًا يا سيدي الشيخ! أتغار على الصوفية فتشكونا إلى النيابة؛ ولا تغار على الله تعالى من هذه الزندقات التي يقدسها أتباع الصوفية؟!

(١) ص (١٦) من رسالة القول الفريد في معرفة التوحيد لمحمد الدمرداش المحمدي.

(٢) ص (١٤) من الرسالة المتقدمة، والسوى معناه: الغير، يعني الرجل ليس هناك إله وخلق، وإنما هما شيء واحد، غير أن الوهم الذي جعلهم يفرضون أن هذا العالم هو سواك، أي غيرك، والحقيقة لا سوى ولا غيرية عندهم. إنه المذهب الوجودي مقلوبًا.

(٣) هو والد العلامة السلفي السوري محمد بهجة الدين البيطار رَحِمَهُ اللهُ، وقد كان صوفيًا متعصبًا. (ض).

ولقد ناقشت أحد أتباعكم - الغلابة - فاعترف أولاً بالفصوص وبالطبقات للشعراني، فجئت بالمسكين وأوقفته أمام مكبر الصوت ليقراً في الطبقات، فلما قرأ فيها ضرب الأرض، ثم قال: هذا مدسوس على الشعراني!! وهكذا إذ ألزمتهم الحجة قالوا: مدسوس.

فليكن يا سماحة الشيخ؛ ولكني قلت له: اسأل الصوفية وشيخهم أن يستنكروا هذه الكتب وما فيها ولا يعبدوا الله بها فيها؛ فإن فعلوا كان الخير كل الخير وكفى الله المؤمنين القتال.

فهل تستطيع يا صاحب السماحة أن تفعل شيئاً من هذا.

هل تقول مثلاً: نظراً لأننا وجدنا كتاب الفصوص والطبقات و و و.. كل ما فيها يخالف كتاب الله فإننا نطلب من أتباعنا ألا يقرءوا فيها، وأن لا يعبدوا الله بها فيها؟؟ هذه واحدة.

أو هل تستطيع أن تقول مثلاً: إن كتاب الفصوص أو الطبقات أو. أو. أو. مدسوس على ابن عربي أو الشعراني أو. أو. لأن في هذه الكتب كفرًا وزندقة؟؟ ليتك تفعل يا سيدي الشيخ؛ ولكنك لو فعلت أحدهما لثار عليك الصوفية كما ثار القساوسة على هرقل من قبل.

فهل تثور لله يا سيدي الشيخ ولا تحشى على منصبك الكبير من ثورة أتباعك؟؟ ليتك تفعل يا سيدي الشيخ، ليتك تفعل.. وإنا لمنتظرون.



صوفيات (٣) (١)

أو خطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية

رأي الصوفية في الرسول:

أنت يا سماحة الشيخ تحب رسول الله أليس كذلك؟
والرسول يقول لنا: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (٢)،
فهل هوئى للصوفية تبع لما جاء به الرسول الكريم؟ اقرأ يا سيدي الشيخ كتب
الصوفية؛ فستجد أن أهون ما فيها هو أن النور المحمدي قديم، وأن الله خلق منه
الكائنات جميعها، وستجد مثلاً كتاب جامع الأصول (٣) يقول: (صور الحق هو
محمد ﷺ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية).

وستجد مثلاً أبا عبد الله محمد دمرداش الخلوئي المحمدي يقول (٤): (حقيقة
الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهي
المسماة بحضرة الجمع وبأحدية الجمع وبمقام الجمع وبها تتم الدائرة، وهي أول
مرتبة تعينت في غيب الذات وهي الحقيقة المحمدية).

(١) (٤ / ١٣٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٥)، وصححه الألباني في الظلال.

(٣) ص (١٠٧) من تأليف أحمد ضياء الدين الكمشخاني النقشبندي ط سنة ١٣٢٨ هـ.

(٤) ص (٧) من رسالته المسماة رسالة في معرفة الحقائق والمعاني من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ

وستجد، وستجد، وكل يوم تسمع على المآذن من ينقو يا أول خلق الله. ونحن نعلم من صحيح البخاري أن أول خلق الله هو القلم^(١)، واسمع يا سيدي الشيخ رجلاً منكم يقول عن الرسول: (ولما كانت بشريته ﷺ نوراً محضاً كانت فضلاته مقدسة طاهرة، وعرقه طيباً، حتى كان يهدى من عرقه للعرائس، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة. وهذا النور المحمدي هو المعني بروح الله المنفوخ في آدم، قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، فروح الله نور محمد ﷺ^(٢)).

ويقول أيضاً: (فشأن محمد في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى؛ فما في الوجود إلا محمد).

ويقول: (لا يدري لحقيقته ﷺ غاية، ولا يعلم لها نهاية، فهو من الغيب الذي نؤمن به)^(٣).

هذا ما يدين به الصوفية؛ أما القرآن العظيم فيؤكد لنا بشرية محمد ﷺ، وأنه مثلنا في بشريته، وأنه كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؛ وأنه سيموت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وموته كما تفيد الآية مثل موتنا؛ وقد وصفه الله تعالى

(١) لفظ الحديث: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» ولكنه غير موجود بالصحيحين، وإنما رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٢) ص (١٣) من كتاب النغمات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية، طبع سنة ١٣١٤ هـ.

(٣) ص (٩ و ١١) من الكتاب المتقدم الذكر.

بأعظم ما يوصف به البشر المؤمنون، وصفه بالعبودية في ليلة بلغ فيها الرسول سنام الذروة العليا من السمو: ليلة الإسراء والمعراج: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وأنت تزعمت يا سيدي الشيخ هؤلاء الصوفية، أفلا تحكم بينهم بكتاب الله؟
وهدي رسول الله؟

هلا وجهتهم وجهة دينية صحيحة تجعلهم يؤمنون بأن القيمة الكبرى وحدها لكتاب الله، وأن لا قيمة في التشريع بعده لأي كتاب آخر.
ألا تدلهم - وأنت من كبار شيوخ الأزهر - على الحق الذي ينبغي أن يؤمنوا به؟. ليتك يا سيدي الشيخ، ليتك تفعل ذلك... وأظن هذا خيرًا آلاف المرات من شكواك من يدلك على الخير إلى النيابة؟.

وإليك يا سماحة الشيخ ما يقوله قطب من أقطابكم: هو قطب الواصلين سيدكم وسندكم عبد العزيز الدباغ، وسل يا سيدي الشيخ عن مقامه عند الصوفية ومكانته العظمى. إنه يقول: (واعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضًا من نور النبي ﷺ، وأن مجموع نوره ﷺ لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع عليها ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت)^(١).

فما رأي سيدي الشيخ صاحب السماحة والرجاحة العقلية في هذه الوثنيات؟

أفلا يذيب نفسك حسرة يا صاحب السباحة أن تسمع من أنت لهم الزعيم
والزعيم المطلع يقولون عن النبي الأعظم مثل هذا القول؟ لا تشغل نفسك يا
سيدي الشيخ بشكوانا إلى النيابة بل: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

نحب يا سيدي الشيخ أن نَحْتَكِمَ وإياكم إلى كتاب الله، نحب أن نقرع الحجة
بالحجة والبرهان بالبرهان، نريد أن تتلاقى العقول والأفكار في حلبة المحجة.
فهل تناقشنا يا سيدي؟ هل من حجة؟ هل من دليل؟ هل من إثارة برهان؟
إني أضع نفسي - وأنا جندي الكتيبة الأخيرة من أنصار السنة - تحت أمرك،
فقل لي: أي مكان نلقاتك فيه لنحاجك بالحق الذي أنزل الله. ولا أقول لك: أنا
المصيب قبل المحاجة. وإنما أقول لك ما يقول رب العالمين آمراً نبيه الذي كان على
الحق أن يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

بالله يا صاحب السباحة قل لي عن مكان نلتقي فيه. وسأكون - ومعني حجة
ربي - وحدي هذا هو الصواب وتلك هي الغاية المرجوة.

فهل تدعوننا يا سيدي الشيخ إلى المناقشة؟... وإذا كانت كبرياء منصبكم
الخطير تحول بينك وبين أن تساجل إلى شاب مثلي. فتفضل بالرد العلمي علينا
وسأتوسل إلى أصحاب هذه المجلة أن ينشروا لك يا سيدي الشيخ ردك الكريم
في أبرز صفحاتها، أو أصدر أمرك إلى جندي من جنودك ليرد علينا وسنتلقى رده
كما نتلقى الأمل كان يعصف به اليأس... فهل تفعل يا صاحب السباحة؟.. إن
هذا هو العدل. وإن هذا هو الحق.. أما أن تشكونا إلى النيابة - وإننا لنجلها

ونحترمها - فذلك فرار من صدمة الحق لا نرضاه لك ولا لأي عالم من علماء الأزهر.

أولياء الصوفية:

لن نناقشك يا صاحب السماحة هنا في التوسل بالأولياء. وأنه شرك. بل أشد شركًا من شرك الجاهلية. لن نناقشك في هذا، ذلك لأن الصوفية إنما يدينون بهذه العقيدة لا إجلالًا للأولياء، بل لما يجمعونه من سحت باسم الأولياء، لن نناقشك في هذه المسألة؛ لأنكم لا ترجعون فيها إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسول الله، وهما حجتنا، وما يجوز لنا أن نناقش قومًا لا يعترفون بهذه الحجة... ولكننا سنناقشك فيما تصفون به أولياءكم من أقطاب وأوتاد وأنجاب وأصحاب النية^(١) الكرام!! والقطب وما أدراك ما القطب؟. سنفرد له بمشيئة الرحمن مقالًا بتمامه هو وأذنا به من أوتاد.

يا صاحب السماحة: كل صوفي يؤمن بالطبقات الكبرى لقطبهم الرباني وهيكلهم الصمداني سيدهم الشعرائي، بل إن من يؤرخ لأوليائهم الصوفية يجعل تلك الطبقات من أهم مصادره التي يرجع إليها في تاريخ حياتهم.

فاسمع ما يصف به الشعرائي أولياءكم الصوفية إذ يقول: (ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رحمه الله ورحمه، كان رحمه الله إذا دخل بلدًا سلم على أهلها صغارًا وكبارًا بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم، وكان رحمه الله يطلع المنبر ويخطب عريانا

(١) هم يسمونهم النوبة. أي: الذين يتناوبون التصرف في هذا العالم وحراسته، ولقد أخطأ قلبي

فكتبها (النية)، فتركت خطأ ولعلها كرامة من كرامات أصحاب (النية) الكرام!!

فيقول: السلطان ودمياط باب اللوق. بين القصرين. وجامع طولون: الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم^(١).

أفي الشريعة الإسلامية يجوز كشف العورة يا صاحب السباحة وعلى المنبر؟
يا للخزي والفضيحة!! تصور ولياً من أوليائكم مهتوك العورة عاري الجسم كله
يقف على المنبر!!... هل تستطيع أن تتصور في ذهنك الأزهرى هذه الصورة الرائعة؟
ألا تعرف من القرآن أو أول ذنب صنعه الإنسان كان جزاؤه هتك العورة؟
ألا فاقراً قصة آدم يا سيدي ثم اسمع أدب وليكم العريان يحدثنا عنه الشعراني
أيضاً، وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه ضرطة فلان ويحلف على
ذلك فيخجل ذلك الكبير منه^(٢).

أمسكوا أيها القراء أنوفكم، وأعجب العجب أن يكون ولياً لله عندكم من
يستحل الكذب ويحلف عليه بالله!!

وعجب تنتهي الحياة ولا ينتهي أن يكون أولياؤكم يخرجون مثل هذه الروائح
المتنتة في مجلس العظماء ثم يلقون تبعثها على سواهم!!

واسمع - لا سمعت غير الخير يا صاحب السباحة - الشعراني يعسوبكم
يقول عن كرامات سيدكم الغمري^(٣): (ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب فرآه

(١) جـ (٢) ص (١٢٩) الطبقات الكبرى ط ابن شقرون.

(٢) نفس الصفحة السابقة والكتاب المذكور.

(٣) هو محمد الغمري أحد أعيان أصحاب الشيخ أحمد الزاهد بمصر، كانت له جماعة تسكن
في المحلة الكبرى بمصر يضرب بهم المثل في تقديس الشيوخ، توفي سنة (٨٥٠هـ) ودفن
بجامع المحلة. [انظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ٨٧-٨٨)]. (ض).

جالسًا في الهواء وله سبع عيون).

ثم يقول واصفًا لشيخه ومولاه شمس الدين الحنفي^(١): (وهو أحد من أظهره الله تعالى على الوجود وصرفه في الكون ومكنه في الأحوال وأنطقه بالمغيبات وخرق له العوائد وقلب له الأعيان)^(٢)، واسمع ما يقول أيضًا عن ولي سماه الشيخ (أبو علي)، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًا، ثم تدخل فتجده سبعا، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل فتجده صبيًا... وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة.

ثم ذكر عنه كلامًا أستحي من ذكره هنا فاقراء يا سيدي، ولعلك ستستحي منه أيضًا. وقرأ كرامات وأخلاق سيدكم الحريشي. وسيدكم علي وحيش. وسيدكم أبو خوده، ثم اقرأ في القرآن ماذا كان يفعل المجرمون قوم لوط... ويقول عن قطبكم الأعظم وسيدكم البدوي: (وسبب حضوري مولد السيد البدوي كل سنة أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي^(٣) أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد البدوي رحمته الله، وسلمني إليه بيده فخرجت اليد

(١) هو شمس الدين الحنفي المصري، صوفي مبالغ في الزهد حتى كان ينام مع الكلاب في فراشه - كما يقول الشعراني - ولد يتيمًا فربته خالته، وكان رفيقه في الكتاب ابن حجر، إلا أنه انقطع عن التعليم بعد تصوفه حيث كان يدخل الخلوة وعمره (١٤) سنة، مات سنة (٨٤٧هـ). [انظر الطبقات الكبرى (٢/ ٧٩)]. (ض).

(٢) ج (٢) ص (٨١) الطبقات.

(٣) هو محمد الشناوي، صوفي كبير من مشايخ الشعراني، وشهاب الدين السبكي، مات سنة (٩٣٢هـ). [انظر الطبقات الكبرى (٢/ ١١٥)]. (ض).

الشريفة من القبر وقبضت على يدي، قال سيدي الشناوي: يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك. فسمعت سيدي أحمد عليه السلام يقول من القبر: نعم.

ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر. مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها فجاءني وأخذني وهي معي، وفرش لي فرشاً فوق ركن قبته التي على يسار الداخل، وطبخ لي خلوي ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة. وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ٩٤٨ هجرية؛ وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء!!

ماذا أقول؟ لا شيء ففي هذا غنى عن كل كلام... فبالله يا صاحب السباحة قل لي: ما رأيك في هذا؟.



صوفيات (٤) (١)

أو خطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية

الكلاب أولياء الصوفية:

قد نرتضي يا سيدي الشيخ إذا سلب منا الإيمان والعقل أن يكون السيد البدوي لنا ولياً. ولكني أعتقد أنه لا يرضى إنسان مطلقاً أن تكون الكلاب أولياء من دون الله. ولست أدري لماذا رضي الصوفية بهذا... أي دين هذا الذي تصير فيه الكلاب آلهة؟! ولست أشنع على الصوفية بهذا، وإنما أقص الحق من دينهم، وإليك ما يقص الشعراني عن كرامات سيده يوسف العجمي^(٢): (ولقد وقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب، إن وقف وقفوا، وإن مشي مشوا، فأعلموا الشيخ بذلك فأرسل خلف الكلب وقال: اخساً فرجعت الكلاب تعضه... ووقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب، وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم. فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب ليكون ويظهرون الحزن عليه. فلما مات أظهرت البكاء والعيول وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه. فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتت. فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت، فكيف لو وقعت على إنسان؟).

(١) (٥ / ١٣٦٨هـ).

(٢) هو يوسف العجمي الكوراني، صوفي كثير الأتباع، هاجر من أرض العجم إلى مصر فأحيا طريقة الجنيد في التصوف بعد اندراسها كما يقول الشعراني، مات سنة (٧٦٨هـ).

[انظر: الطبقات الكبرى (٢ / ٥٩). (ض).

أين ضريح هذا الكلب؟ وما أكثر الكلاب التي لها أضرحة!! وأي ركام من السحت الآثم يجبى باسم هذا الكلب العظيم؟..

أترضى يا صاحب السماحة هذا من قطبكم الشعراي؟
إني أسأل ضميرك الديني. أسأل علمك الذي أخذته من الأزهر. ثم بلغت به هذا المنصب الخطير، منصب القوامة على دين الصوفية، وهو الحقيقة الروحية من الإسلام، كما خيلت إليكم أمشاج المجوسية والنصرانية، التي أبرزها المقنعون من أعداء الإسلام في شغوف زعموا أنها إسلامية.

يقول ببغاوات الصوفية: إن ذلك مدسوس على الشعراي. فهل تكسب حسنة كبرى فتعلن في جراءة الحق: لما في كتاب الطبقات من خرافات ووثنية نعلن أنه مدسوس على إمامنا الشعراي؟

ولكنك لن تستطيع يا سيدي الشيخ، فإن كثيرًا من أولئك قد يرتابون في حقيقة القرآن، ولا يرتابون في حقيقة الطبقات. وإلا فإني أتحدى واحدًا منكم أن ينكر على الطبقات زيفها وإلحادها...

ثم إليك يا سماحة الشيخ ما يقول سيدكم ومولاكم (المعصوم بعناية الله وحسن توفيقه من الذنوب والمساوي، العالم العلامة الشيخ عبد الرؤوف المناوي)^(١) يقول عن أنواع كرامات الأولياء:

(١) هذه هي بعض ألقابه عند الصوفية، سجلت على كتابه الكواكب الدرية.

قلت (محمد): هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري البغدادي. مؤرخ صوفي. ولد سنة (٩٥٢هـ) ومات سنة (١٠٣١هـ). [انظر معجم المؤلفين (٥/ ٢٢٠)]. (ض).

النوع الأول: إحياء الموتى، وهو أعلاها. فمن ذلك أن أبا عبيد اليسري غزا ومعه دابة فماتت، فسأل الله أن يحييها، فقامت تنفض أذنيها... وأن مفرجاً الدماميني أحضر له فراخ مشوية، فقال: طيري بإذن الله تعالى. فطارت... ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها، وقال لها: قومي بإذن الله. فقامت... ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولد، فجزع عليه. فقال له الشيخ: قم بإذن الله. فقام وعاش طويلاً... وسقط من سطح الفارقي طفل فمات، فدعا الله فأحياه^(١).

يؤمن الصوفية إذن يا سيدي الشيخ بأن البشر من غير الرسل قادرين على إحياء الموتى. فأثبتوا معجزة عيسى ومعجزة إبراهيم لأشخاص من الدهماء البله والمعتوهين. فماذا بقي من الإعجاز؟

ماذا بقي لإبراهيم وعيسى؟

إن الله أجرى على أيديهم تلك المعجزات، يتحدى بها أقوامهم ليؤمنوا برسالتهم، وأنها من عند الله لا من عند أنفسهم، ولكن أولياء الصوفية يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم كلما أرادوا وفي أي وقت شاءوا!!

ثم بربك يا سماحة الشيخ، قل لي: إذا جاز عند الصوفية أن تظهر معجزات الرسل على يد غير الرسل. أفلا يجوز عندهم أيضاً أن يظهر قرآن آخر، على يد شخص غير سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه؟ إن هذه كتلك، وما جاز على أحد المثليين جاز على الآخر.

(١) ص (١١) من كتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤوف المناوي ط

فماذا يمنع أن يجيء شخص يزعم أن الله أوحى إليه قرآنًا، ما دتم قد أثبتتم أن المعتوهين المأفونين من الذين تزعمون أنهم أولياء يحيون الموتى!

بل يا سيدي الشيخ قد أثبتتم قدرة الله لهم. فالله تعالى يقول: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، وقد زعم المناوي أن بعض أوليائكم فعل ذلك. وهذا ولا شك اعتقاد الألوهية في غير الله.

آه يا سيدي!! بودي أن تمسك بكتاب الله، وبالنفس الخاشعة، وبالعين المستعبرة. اقرأ بعض آياته، ويقيني أنك لو فعلت، لثرت ثورة العاصفة، تدمر الصوفية وهياكلها وكهنوتها... نحن هنا في القرن العشرين، قرن تحطيم الذرة. أفلا تستطيع يا سيدي الشيخ أن تحطم الأصنام؟!...

إن بنفسي هامسًا يهمس بصوت خفي: إنك في طوايا نفسك - وأنت ذو الشيبة الفاضلة - حزين آسف ندمان. ولكن ماذا يجديك الأسف والندم الخفيان: إذا لم تعلنها ثورة عاتية على ما يعتنقه الصوفية ويؤمنون به من هذه الكتب الملحدة التي تنبع من معينها الزندقة؟؟

ثم اقرأ يا سيدي الشيخ في كتاب عبد الرؤوف هذا، كيف كان يخاطب الأولياء منكم الأموات، حتى إن جد عبد الرؤوف كان يخاطب الشافعي في قبره... والشافعي بريء ممن يكفر باسمه.

واقرا فيه عن ذي النون المصري^(١)، أن روحه كانت تدبر أجسامًا عدة، وعن

(١) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو المفيض، أحد أعلام الصوفية، أبوه من بلاد النوبة، توفي سنة (٢٤٥هـ). [انظر: الطبقات الكبرى (١/ ٥٩-٦١)، الأعلام (٢/ ٨٨)]. (ض).

الجنيد^(١) أنه استخدم إبليس وجعله خادماً له مدة طويلة. وقرأ فيه عن الخواص^(٢) أنه كانت تنزل له مائدة من السماء، وأنه كان إذا ظمئ، سقاه الخضر! ثم أقرأ فيه عن طيفور بن عيسى الشهير بأبي يزيد البسطامي، تفضيله الأولياء على الأنبياء، وأنه كان يقول: سبحاني ما أعظم شأنى، وأنه كان يقول: (ما الجنة إلا لعبة صبيان)، هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم. وأن رجلاً جاء إلى باب أبي يزيد فدق، فقال من تطلب؟ قال: أبا يزيد. فرد أبو يزيد وقال له: ما في البيت غير الله.

اقرأ كل هذا، وهو أهون ما في هذه الكتب التي تحتكمون إليها في دينكم وحقيقتكم... وقرأ مزج الصلوات المشيشية لشيخ معاصر من شيوخ السجادات الصوفية... والآن أشفق يا سماحة الشيخ على شيخوختك. غير أني أبعث إليك برجاء: أن تقرأ ما كتبت، ولست أطمع أن ترد أبداً على ما كتبت. فهل يخلف السيد الكريم ظني، فيرد علي؟

إن أتباعك أنفسهم ينتظرون ذلك، لأنني حدثت الكثير منهم، وقلت لهم: لن

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، أبو القاسم البغدادي، أصل أبيه من نهاوند، يعرف بشيخ الطائفة الصوفية، توفي ببغداد سنة (٢٧٩هـ). [انظر: الطبقات الكبرى (١/٧٢-٧٤)، سير أعلام النبلاء (١٤/٦٦)]. (ض).

(٢) هو علي الخواص البرسلي، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك كان يتكلم في معاني القرآن والسنة، اشتغل بصناعة الخوص فسمي الخواص. صحبه الشعرا في عشر سنين. [انظر: الطبقات الكبرى (٢/١٣٠-١٤٦)]. (ض).

يستطيع أحد الرد على هذه الحقائق التي تصعق وتدمر. وإن أتباعك لينظرون إليك نظر الغرقى إلى الساحل، لعلك تسكن قلقهم، فتثبت لهم أن هذا الشاب النكرة إنما يهرف بما لا يعرف وأنه ضال مضل... وأنه... وأنه...
إني لمرقب ذلك يا سيدي الشيخ.

وكما تنازلت وتفضلت، فشكوت إخواننا أنصار السنة بالجيزة، وكان لي شرف الوقوف معهم. فإني أرجوك أن تتنازل مرة أخرى، وتشرفنا برد على بعض ما سقناه لك، وإن كان الأمل يخيل إلي أنك ستدعوني إلى مناظرة علنية، ومرحى بها مرحى حتى وإن كانت بداخل أحد الأضرحة!

وإذا لم تفعل يا سماحة الشيخ، فإني سأطبع آلاف النسخ من هذا الخطاب وأقوم بتوزيعها على كثير من أقطابكم وأتباعكم، فإذا لم يتحرك أحد للرد علي فسيفهم الكثيرون ما لا يسركم أن يفهموه، بل ما يسوءكم ويطيح بالكثير من صولتكم ودولتكم.

كل هذا لا نبتغي به حرباً بلا غاية، وإنما نبتغي به شيئاً واحداً، هو الزياد عن الدين، والدفاع عن السنة. لن يخيفنا بطش ولا جبروت.

وإني لموقن أني بهذا الموقف أعرض نفسي للخطر، ولكن لأن يكون جميع الناس خصمائي في الدنيا، خير من أن يكون الله خصيمي يوم القيامة... فاشكنا إلى النيابة - وإنما لتؤمن بالحق وتعين على قول الحق - ما شئت فوالله لن أضع القلم بمشيئة الله إلا إذا هدمت وأصميت، أو تهدمت أنا وقضيت. وإذا شئت أن تعرف من أكون؟ فأنا واحد من آلاف جنود أنصار السنة، ولكنه ليس المقدم

النابه فيهم. فما بالك بسواي يا سيدي الشيخ؟؟
أسأل الله لي ولكم الهداية والرشاد، وأدعوه سبحانه أن يشتنا على الحق، وأن
يزيدنا قوة على قول الحق، وأن يجعلني وإياكم من حزبه المفلحين.



سيد الخلق بشر (١) (١)

رجل مضطرب العقيدة قلق الإيمان من أبناء السودان العظيم، أراد أن يهتدي من حيرته وتنقشع عنه ضلالته، فاستفتى من ظنه عالماً يهدي إلى الحق: هل خلق الرسول مما خلق منه البشر؟ فأجابه العالم الخطير، والخبر الغير الجليل بهذه الفتوى وملخصها:

١- إن العلماء في هذا الزمان أجمعوا على أن النور المحمدي خلق قبل العالم كله، وأنه لولا محمد ما خلق الله الدنيا (٢).

٢- وأنه قد ورد له فيما سماه مسند عبد الرزاق حديث جابر أن الرسول ﷺ قال له: إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك يا جابر (٣). وأنه لم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي.

٣- ويقول المتعالم أيضًا: إنه قد ورد في حديث سيدنا عمر: أن الرسول قال له: إن أول شيء خلق هو نوره (٤).

٤- ويقول: إنه ورد في صحيح الحاكم أن آدم ﷺ رأى اسم محمد ﷺ

(١) (٢-٣/ ١٣٦٨ هـ).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣/ ٥١٧)، من حديث سلمان رضي الله عنه. قال الدارقطني في الموضوعات (١/ ٢١٤): موضوع.

(٣) لم أجد من خرجه، ولكن قال الألباني في الصحيحة (٤٥٨): باطل.

(٤) قال صاحب الآثار المرفوعة ص (٤٣): لم يثبت.

مكتوبًا على العرش^(١)، وأن الله عزَّ وجلَّ قال لآدم: لولا محمد ما خلقتك^(٢).

٥- وفي حديث سليمان بن عساكر أن الله قال لمحمد: إنه اتخذ إبراهيم خليلًا، وإنه اتخذ محمدًا حبيبًا، وإنه خلق الدنيا ليعرفهم كرامة محمد ومنزلته، وإنه لولا محمد ما خلق الدنيا^(٣).

هذا ملخص دقيق للفتوى، وقد اطلع عليها أخونا الكريم السيد إسماعيل طاهر أحد أعيان الأبيض بالسودان، فأرسلها في خطاب كريم إلى الأخ الكبير الأستاذ صادق عرنوس.

ولست أدري لماذا أراد الأستاذ الكبير صادق أن يعطي القوس غير باريها؟ فإنه تفضل مشكورًا وحولها إليَّ وأنا لست باري القوس، غير أنني أستعين بالله فأقول: قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٤٧-٥١].

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»^(٤)،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٦٧٢) وقال الذهبي في الميزان (٤/ ١٩٩): خبر باطل.

(٢) هو جزء من الحديث السابق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

ويقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١) ومن ذلك ما أخرجه النسائي بسند جيد عن عبد الله بن الشخير قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. قال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. قال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»^(٢)، ويقول للمرأة التي هابته: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد»^(٣).

هذا النور العلمي الإلهي يكشف عن القلوب ظلمة الكفر؛ ولكن (قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد)، فيأبى بعض الناس إلا أن يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وما كان تخريف هذا الرجل بحاجة والله إلى مناقشة؛ لأنها قضية في مرتبة البدهاة، وهي من الوضوح كالشمس وقت الزوال؛ ولكنني أناقشه

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرج بعضه أبو داود، كتاب: الأدب، برقم: (٤٨٠٦)، من حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في المشكاة (٤٩٠٠). أما قوله: «أنا محمد عبد الله ورسوله...» إلخ. فقد أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٠٧٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الأطعمة، برقم: (٣٣١٢)، من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٥٢). ولكن في الحديث: «أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه...» وليس في الحديث أن امرأة هابته.

أساطيره مستهدياً ربي محتكماً إلى كتابه وسنة رسوله، فأقول: زعم الرجل في جرأة بالغة منكرة أن العلماء جميعاً مجمعون على أسطورته التي اختلقها، وهي أن نور محمد خلق قبل كل شيء ومنه خلق كل شيء، ولست أدري من أين جاء بهذه الفرية البالغة الكذب في الافتراء، فرية الإجماع، فليقل لنا الرجل: أقال بها أحد أصحاب الرسول؟ أقال بها أحد التابعين؟ أقال بها علماء الحديث؟ أفي البخاري ومسلم شيء من ذلك؟ أفي مسند أحمد؟ أفي كتاب من كتب السنة الصحيحة تلك الفرية البالغة؟ أقال بها أحد الأئمة الأربعة؟ ولا أقول له: أقال بها كتاب الله؟ لأن الرجل فيما يبدو لي يجحد كتاب الله، وإني لأتحده أن يذكر لي قول عالم واحد لرأيه قيمة عند العلماء عن هذه الفرية، أتحده أن يثبت لي ولو بوهم من حجة وجود ظن من هذا الإجماع؛ اللهم إلا إجماع المقلدين، الصم البكم العمي الذين لا يعقلون.

وسنذكر فيما بعد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ الدلائل القطعية البينة ما يؤكد لنا أن محمداً ﷺ بشر خلق من سلالة من طين، وما ينقص هذا من قدر محمد عبد الله ورسوله العظيم الجليل شيئاً، بل إنه ليسمو به - وهو سام في ذاته - إلى أبعد الآفاق من السمو الإنساني، فحسبه عظمة ذاتية أن يكون بشراً من نطفة يختصه الله بالرسالة العالمية. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

أما حديث عبد الرزاق فمختلق موضوع لا أساس له، وأتحدى الرجل وغيره من المخرفين أن يثبت لي غير ذلك، وأسأله: ما مسند عبد الرزاق الذي يتمشوق به؟ ومن عبد الرزاق هذا؟ ومن هم رواة الحديث؟

ومثل حديث عبد الرزاق الحديث الذي افتراه على عمر فإنه أيضاً موضوع كاذب، وهل يدلنا الرجل على كتاب من كتب السنة ورد فيه هذا الذي زعمه

حديثاً؟ وكذلك مثله حديث سليمان بن عساكر فإنه بيّن الوضع بيّن الكذب.
وقد فهم الرجل أن المحبة أعظم من الخلّة، فوصف محمداً ﷺ بأنه حبيب الله،
في حين أن الخلّة هي الدرجة القصوى في المحبة؛ لأنها تتخلل القلب كله، وهذا
هو الحديث الصحيح الذي ورد في ذلك المعنى في صحيح مسلم عن جندب بن
عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله
أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو
كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً»^(١).

ويقول الإمام ابن القيم: ثم الخلّة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا
يبقى في القلب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه.
وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد
كما قال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» وفي الصحيح عنه:
«ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم
خليل الله»^(٢) ^(٣).

بقي لنا من أساطير الرجل ما زعمه حديثاً رواه الحاكم؛ وإليك البيان عن قيمته:

(١) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد، برقم: (٥٣٢ / ٢٣)، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ص (٢١٩) من كتاب: الجواب الكافي للإمام ابن القيم؛ ط مطبعة أنصار السنة المحمدية
بتحقيق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حامد الفقي.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، برقم: (٢٣٨٣ / ٦)، من حديث ابن

هو حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جدًّا، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وقد أخطأ الحاكم وتناقض تناقضًا فاحشًا كما عرف له ذلك في مواضع^(١)، وإليك الرأي في كتاب الحاكم: (ثم إنه رَحِمَهُ اللهُ لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة، وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم)^(٢).

أما وقد زيفنا ما ساقه الرجل من أساطير زعمها أحاديث، نتجه إلى الرجل مرة أخرى فنقول: إنه بين أمرين: إما أن يعترف أن محمدًا ﷺ بشري أو غير بشري؛ فإذا أنكر كون الرسول ﷺ بشريًا فنقول له: اسمع أيها الرجل إلى آيات الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كتاب الله تعالى.

محمد ﷺ بشر:

قال تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]؛ ويقول في سورة فصلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦]، «وإنما» هذه تعتبر من أدوات القصر، والقصر إن قصد به تخصيص شيء بشيء دون آخر سمي قصر أفراد، ويخاطب به من اعتقد شركة صفتين أو أكثر في موصوف واحد، وهذا في قصر الموصوف على الصفة، ويخاطب به أيضًا من اعتقد شركة موصوفين أو أكثر

(١) ص (٣٢) من كتاب الصارم المنكي.

(٢) ص (٣٣) من الصارم المنكي.

في صفة واحدة، وهذا في قصر الصفة على الموصوف مثل قولنا: ما زيد إلا كاتب، لمن يعتقد اتصاف زيد بالكتابة وبالشعر؛ ومثل قولنا: ما كاتب إلا زيد، لمن يعتقد اشتراك زيد وعمر في الكتابة. وإن قصد بالقصر تخصيص شيء بشيء مكان آخر مع اعتقاد المخاطب فيه العكس سمي قصر قلب، ويخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذي ثبته المتكلم، فيكون المخاطب مثلاً بقولنا: ما محمد إلا بشر من يعتقد اتصافه بالملكية دون البشرية، أو الألوهية مكان الإنسانية. وبقولنا: ما خاتم النبيين إلا محمد. من يعتقد أن خاتم النبيين هو البهاء أو غلام أحمد مثلاً...

وهنا في الآيتين الكريمتين كانت أداة القصر ﴿إِنَّمَا﴾. وهو قصر أفراد إذا اعتبرنا أن المخاطبين بها يعتقدون في محمد ﷺ البشرية والملكية، أو قصر قلب إذا اعتبرنا أن المخاطبين يعتقدون في محمد ﷺ أنه إله أو ملك؛ وعلى الحالين: فالقصر هنا يؤكد لنا أن محمداً رسول إنسان بشر فحسب، أو أنه بشر لا ملك ولا إله، كما يفهم بعض الجهلة المقلدين من الصوفية.

فهل يفهم الناعقون الحكمة في ورود الآيتين بهذه الصورة البلاغية المؤكدة لمعنى البشرية في الرسول تأكيداً بلغ الغاية، ثم إن الله تعالى لم يترك المعنى مؤكداً بهذا التوكيد العظيم فحسب، بل أتبعه بتوكيد آخر يزيده تحكماً في التوكيد، فقال: ﴿وَمَلَكُ﴾ [فصلت: ٦]؛ ليقطع على الظنون سبيلها، فهو سبحانه يعلم أن الشيطان سيوحى إلى أوليائه أنه بشر بناسوته، غير بشري بلاهوته؛ لأن هناك نوعاً من البشر خص بصفات أخرى كما أوحى ذلك لأوليائه في عيسى بن مريم، فقطعت الآية العظيمة أنه بشري، وبشري مثلنا، خلق مما خلقنا منه ونشأ على ما نشأنا عليه فهو بشري، لا من نوع آخر، بل من نفس النوع المذكور في القرآن أنه خلق من

سلالة من طين، ومن نطفة، ومن ماء مهين، وقد أكد الله تعالى هذا المعنى في القرآن مرتين بهذه الصورة البليغة العالية من التوكيد...

فماذا بالله نقول بعدها لهؤلاء المخرفين الذين يتركون كلام الله لقول زنديق؟ وفي سورة الأنبياء حيث ينكر الكافرون النبوة يقول: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، وتفيد الآية الكريمة أيضًا معنى 'القصر هنا بتوكيده وبقينه، ويقول في آية أخرى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، وفي الآية أيضًا معنى 'القصر بروعته وتأكيده لمعنى البشرية بكل خصائصها في الرسول الكريم ﷺ.

هذه الآيات القاطعة الدلالة تؤكد لنا بشرية عبد الله ورسوله محمد ﷺ، وأنه في البشرية ككل البشر خلقًا وحملًا وولادة، وحياة وموتًا، لا يمتاز عليهم إلا بصفة أخرى ليست لها صلة مطلقًا إلا باختيار الله ورحمته وحكمته وهي الرسالة. أفبعد هذا يصح لمن عنده أثارة من عقل أن يزعم أن محمدًا ﷺ غير بشر؟ أو أنه جزء من الذات الإلهية بانبثاقه نورًا منها، أو أنه هو أول تعين لها؟ قال القرآن: إنه بشر مثلنا، ويقول هذا المتعالم وأضرابه من زنادقة الصوفية: إنه ليس بشر مثلنا بل هو نوع آخر، أو أنه هو الله كما يصرحون به في كتبهم. فمن نصدق يا قوم؟ آمنا بالله وكتابه وعبدته ورسوله محمد ﷺ. وكفرنا بالصوفية وعقائدها القذرة وإن زعمت زورًا وبهتانًا أنها متصلة بالإسلام، فما هي متصلة به إلا كاتصال الدم، أو السرطان لإفساده، نسأل الله السلامة والعافية.



سيد الخلق بشر (٢) (١)

من أي شيء خلق البشر؟

أما وقد ثبت بالأدلة القرآنية القطعية في دلالتها بشرية الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فنحب أن نذكر هنا ما قرره القرآن عن المادة التي خلق منها البشر جميعاً، أو التي خلق منها الرسول بصفة كونه من هؤلاء البشر، وسنذكر أكثر الآيات التي تعرضت لتقرير هذه الحقيقة البينة وإن كان في ذكرها تطويل للموضوع؛ حتى تصدع الآيات هذه الأدمغة الجامدة بمعول الحق لعلها تفيق من جاهليتها.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٥٤]، ويقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥]، ويقول: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥]، ويقول: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٢]. والرسول مرت عليه كل هذه الأطوار، وذلك بين إلا عند من يزعم أن محمداً ليس من الناس؛ ويقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر: ٦٧]، ويقول: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۝﴾ [الكهف: ٣٧]،

ومحمد ﷺ رجل كذلك؛ أليس يقول الله: ﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بِبَشَرٍ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧-٨]، ولا تنس أن الآيات قطعت بأن الرسول ﷺ بشر مثلنا، ويقول الله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧-٨]. وقول الله تعالى (بدأ) يقطع بأن المادة الأولى التي خلق منها جنس الإنسان هي الطين ثم كان نسله سلالة من ماء مهين...

فأين في كلام الله الحقُّ النورُ الذي خلق منه محمد ﷺ أيها المتعالم؟ اللهم إلا إن جحدت بالحقيقة البديهية وهي أن محمدًا ﷺ إنسان.

هنا لا يجوز نقاشك بالقرآن، لأنك تجحده، إذ يقرر القرآن أن محمدًا إنسان ككل إنسان في خلقه، ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، ويقول مخاطبًا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فالذين ينكرون أن محمدًا ﷺ من سلالة آدم الذي خلق من طين إنما يؤيدون بضلالهم حجة إبليس في استكباره وكفره وعتوه، ويقول: ﴿قَالَ يَبْنَائِيلُسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدَّتِي أَتَسْتَكْبِرُتُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٥-٧٦]، وإبليس يقدم نفسه في الذكر ويؤخر آدم احتقارًا لشأنه عنده، وكذلك أولئك الذين يجردون محمدًا من بشريته؛ إنما يريدون تصديق إبليس في زعمه، وتفضيله نفسه على آدم (عليه السلام)، ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي

قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لِمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ نُبْعَثُوكَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦]. ومحمد ﷺ إنسان مرت به هذه الأطوار، وهو من نسل آدم كما يقرون هم، وآدم من طين، وهم يقرون أيضًا بأن عبد الله تزوج بآمنة، فأولدها محمدًا ﷺ بعد تسعة أشهر كان فيها نطفة ثم علقه فمضغته، ثم كسي عظامًا، ثم كسيت العظام لحماً، ثم أنشأه الله خلقاً آخر بشراً سوياً.

هذه حقائق يقرون بها، فأين آية النور الذي منه خلق محمد ﷺ كما يهرفون؟ ويقول: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١]، ومحمد ﷺ بشر من نسل بشر، ويقول: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ١١]، ويقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٦١]

وهؤلاء الناس يتلمسون المَعذرة لإبليس؛ لهذا جردوا الرسول ﷺ من بشريته، تفادياً لحجة إبليس الصادقة عندهم؛ فكأنهم يقولون له: يا إبليس، بيدك الحق إذا لم تسجد لآدم، إذ هو من طين وأنت من نار والنار أشرف من الطين. ولكن هذا رسولنا ليس من نسل آدم، بل هو من نور، فنحن لا نعيب رأيك ولا كفرك، وإنما نتلمس لك العذر في جحودك وكفرك، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦]، ويقول: ﴿إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨].

بعد هذا نقول: ثبت من هذه الآيات أن المادة الأولى التي خلق الله منها البشر هي الماء، ثم مزج التراب بالماء، فكانت الطينة التي منها خلق آدم، ثم مكث الطين

حتى صار صلصالاً، أي: طيناً يابساً، وقطعت الآيات أيضاً أن سلالة آدم كلها من لدن خلقه إلى يوم يبعثون، يخلقون من نطفة؛ وقد قطعت الآيات السابقة أن محمداً ﷺ بشر مثلنا، وأنه من سلالة آدم، فثبت إذاً أن محمداً ﷺ خلق من نطفة خلقاً مباشراً، أو من طين إذا نظرنا إلى الخلق الأول.

ونضعها هكذا في صورة قياس منطقي: محمد ﷺ بشر، وكل بشر خلق من طين، إذاً محمد خلق من طين؛ دليل القضية الأولى، وهي قولنا: محمد بشر. قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]، والآيات التي معها، ودليل القضية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١] والآيات التي معها.

أو نضعها في صورة قياس منطقي آخر هكذا: محمد ﷺ بشر؛ وكل بشر خلق من نطفة، إذاً محمد ﷺ خلق من نطفة، والأدلة على ذلك هي الأدلة على القياس الذي قبله، مع إضافة الآيات الكريمة التي تقطع بأن كل إنسان خلق من نطفة. وما يجوز لعاقل، بل حتى لشبه العاقل، أن يزعم بعد هذا أن الرسول ﷺ خلق من نور، أو، أو، من كل هذه الزندقات الكافرة.

يقول رب العالمين: أن محمداً بشر مثلنا، وأن البشر خلقوا من طين... فمن تصدقون إذاً يا قوم إن كنتم تكذبون الله ورسوله؟! والله تعالى يقول للرسول: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

فهل خلق الرسل أيضاً جميعاً من النور كما خلق محمد؟...

إنهم لا يقولون هذا، بل يقرون معنا أن الرسل جميعاً خلقوا من نطفة، فكيف يكذبون بعد ذلك قول رب العالمين أن الرسول ليس بدعاً من الرسل، بل هو مثلهم، وأن من الواجب عليهم أن يصدقوا كل ما ورد في القرآن، ولكنهم يؤمنون ببعض

الكتاب ويكفرون ببعض، والله تعالى يقول مخاطبًا اليهود والنصارى حين زعموا بما أوحى إليهم الشيطان، كما أوحى لخلفهم، مما حكى الله عنهم، إذ قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ١٨]، فقال لهم نقضًا لدعواهم الباطلة: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

ومن عجب أن يعترف بعضهم أن محمدًا ﷺ بشر، ولكنه خلق من نور، فهذا تصديق لله من ناحية أنه بشر، وتكذيب لرب العالمين من ناحية أن البشر لا يكون إلا من طين، فإما أن يكذبوا الكل أو يصدقوا الكل.

تلك هي الحقيقة التي يجب أن يتمسكوا بها، ولكنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله إذا احتكموا إليهما.

حجتنا من السنة:

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قوله: «إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(١). فالذين خلقوا من نور هم الملائكة، فهل الرسول ملك؟ إن الذين كانوا يطالبون بمثل هذا هم المشركون، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، فليس الرسول بملك، بل حتى على فرض أنه لو كان ملكًا لجعله الله رجلًا حتى يستطيع البشر الفهم عنه؛ ولوضوح قصة خلق آدم في القرآن، وخلق نسله ومم خلقوا، أحال الرسول سامعيه على كتاب الله الذي وصف خلق آدم أبي البشر، فماذا نقول بعد ذلك؟

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرفائق، برقم: (٢٩٩٦/٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

سيد الخلق بشر (٣) (١)

المخلوق الأول:

يذكر الرجل في فتواه الضالة المضلة: أن أول شيء خلق هو نور محمد ﷺ؛ ولكن هذه الأسطورة تخالف قول الله الحكيم الصادق، وقول رسوله الكريم وإليك الآيات:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]،

فأين النور المحمدي الذي هو أول مخلوق كما يفترون على الله؟

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

[الأعراف: ٥٤]

ويقول في يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

ويقول في الفرقان: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩].

ويقول في السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وروى البخاري في صحيحه، من حديث عمران بن حصين، قول الرسول: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم

خلق السموات والأرض»^(١).

وروى الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في الرد على الجهمية حديثاً عن ابن عباس قال: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ»^(٢)، ورواه أيضاً أبو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح أصول السنة^(٣).

وروى أبو داود والترمذي وغيرهما، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٤).

وفي صحيح مسلم أنه قال: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٥).

ولكن السلف كما يقول ابن تيمية^(٦): متنازعون في الذي خلق أولاً القلم أو

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، برقم: (٣١٩١)، من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٤٤)، والآجري في الشريعة (٧٧٠ / ٢) عن ابن

عباس موقوفاً وله حكم الرفع، وصححه الألباني في مختصر العلو ص (٧٥).

(٣) (الصواب) شرح أصول اعتقاد أهل السنة. (ض).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، برقم: (٧٤٠٠)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، برقم: (٢٦٥٣ / ١٦)، من حديث عبد الله بن عمرو بن

العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما.

(٦) ص (٤١) من رسالته السبعينية.

العرش. وقال: الأحاديث الصحيحة تدل على أن العرش هو المخلوق الأول، وأن القلم هو أول ما خلق الله بعد ذلك من العالم الذي ذكر عنه أنه خلقه في ستة أيام. تظاهرت الآيات والأحاديث الصحيحة على أن نور محمد ليس هو الخلق الأول كما يزعم المتعالم وغيره، فمن أين جاء الرجل وأمثاله بهذه الأسطورة الواهية أن النور المحمدي قديم وأنه أول ما خلق؟ إن ما في كتاب الله وسنة رسوله يهدم هذه الفرية الكاذبة. فهل نبني كفرًا هدمه الله؟

من أي شيء خلق العالم؟

يزعم الرجل في جرأة بالغة أن كل شيء خلق من نور محمد. ولكن القرآن، يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فكل شيء فيه حياة فهو من الماء، لا من نور محمد ﷺ الذي يبرأ من هؤلاء الكذبة الفجرة، ويقول: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وهو بخار الماء كما فسره بعض الأئمة، فتكون السموات من دخان لا من نور محمد كما يزعم، أما الأرض فمن ماء وتراب كما هو بين، أما الجن فمن نار، أما الملائكة فمن نور، أما البشر جميعًا فمن الماء والتراب والريح الذي أيسه حتى صار صلصالًا ثم من نطفة أمشاج.

فأين يا شيخ ذلك النور المحمدي الذي تزعم أن الله خلق منه الكائنات؟ لن أفقد إيماني وعقلي فأصدقك وأكذب الله ورسوله من أجل أساطيرك وزندقتك! لماذا خلق العالم ولمن خلق؟

ويقول الرجل وأمثاله: إن الله خلق العالم من أجل محمد وليعرف العالم بمنزلة محمد وكرامته، ولكن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا

أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

ولهذا يقول ابن القيم^(١) معلقاً على هذه الآيات:

(فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]).

فيتجلى لنا من هذا أن الله خلق العالم لا من أجل نبيه يا شيخ، ولا ليعرفهم منزلة محمد وكرامته، وإنما لما هو أجل وأسمى، لكي يعرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته وليعبدوه وحده لا شريك له، فهل تصدق القرآن معنا؟

بقي قوله: إن الله خلق العالم من أجل محمد. ولكن الله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣]، ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فهو إذاً قد تفضل سبحانه وتعالى فخلق العالم رحمة منه لبني الإنسان، وهو ما يفيد قوله: «لكم، جميعاً» لا من أجل الرسول ﷺ وحده.

المنكرون لنبوّة البشر:

في كل عصر وجد ناس من أمثال هذا الشيخ، وهم صنفان: أحدهما يكذب أن يكون من البشر رسول، وثانيهما يغلو في الرسول - وقد آمن برسالته كما

(١) ص (١٤٦) من كتاب: «الجواب الكافي» مطبعة السنة المحمدية.

يزعم- فيعتقد أنه غير بشر؛ ومن هنا تمشيخ الصوفية ولبسوا العمام الكبيرة الخضراء أو الحمراء أو السوداء، وملابس فخمة ضخمة فضفاضة ليشعروا دراويشهم أنهم ليسوا مثلهم، واسمع ما قال قوم شعيب: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، وقال أصحاب القرية في سورة يس: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]، وفي سورة التغابن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكُفُّوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التغابن: ٦]، ويقول الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، والقرآن، يحدثنا أنه ما من نبي إلا رد عليه قومه الكافرون هذا الرد، واستنكروا أن يكون بشرًا رسولًا؛ لأنهم زعم لهم شياطينهم أن أولياءهم الذين اتخذوهم وسطاء بينهم وبين الله كانوا فوق البشرية، حتى بالنور والسر الذي فاض من الرب، ولذا كانوا وسطاء بين البشر والرب، وهكذا في كل عصر يوجد أمثال هؤلاء، غير أن الذين في عصرنا اليوم أشد كفرًا من أولئك؛ لأن المشركين لم يستطيعوا إنكار ما يعترف به الحس وتؤمن به البداة، وهو أن الرسل بشر، أما هؤلاء فأنكروا بشرية محمد وقالوا عنه وقالوا، حتى قالوا: إنه الله! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

خاتمة:

أطلنا، ولنا العذر في أننا لا نخاطب الرجل وحده، وإنما نخاطب الكثير هنا في مصر وفي غيرها من البلدان، فهم على مثل عقيدة الرجل؛ لأنها عقيدة الصوفية الخبيثة التي عمت الفتنة بها، وقل السالم منها ولعل الله يوفقنا فنكتب مقالًا عن (الحقيقة المحمدية عند الصوفية) وإن كنا قد أشرنا إليها في أول مقال لنا عن الطواغيت. اللهم اهدنا وجنبنا الزلل، ووفقنا برحمتك إلى ما فيه الخير واهدنا صراطك المستقيم.

أنصار السنة وأشياء التصوف (١)^(١)

يفرض علينا الله سبحانه أن ندعو إلى الخير، وأن نأمر بالمعروف وأن ننهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. ومن المنكر الغليظ الذي عنيت أنصار السنة بالنهاي عنه، ذلك المنكر الذي يدعى بالتصوف، لأننا نؤمن عن بصيرة وعن بينة أنه قبيح الكفر وكيد الشيطان الخلوب، وأنه ما أضر بالمسلمين، وأوهن منهم العقائد، وهوى منهم بالخلق، وأفقدتهم الإيمان بجليل القيم، وبجلال المقدار والتضحية - شيء كالتصوف!! حسبننا منه أنه يوجب علينا أن نعتنق اليهودية، وأن نؤمن بأنها روحانية الإسلام!! وقد أقمنا على ما قلنا البراهين القاطعة والحجج الساطعة، مؤيدة بعشرات النقول من أهم كتب الصوفية.

ولكننا لم نجد من أشياء التصوف سوى اللباز بجبانة التقية، تبرز في دعاوى طالما ادعتها من قبل كل فئة قامت تعمل لتهدم الإسلام بالكيد الحقود، والتأمر الأصم المنكود!!

تلك الدعاوى هي أن التصوف يمثل روحانية الإسلام العليا، أو هو حقيقته السامية التي ضل عن إدراكها علماء الشرع، أو علماء الظاهر، أو علماء الرسوم والعادات!!

ثم تدرع هذه الدعاوى المفتونة بهرجها ببضع كلمات وردت على ألسنة

بعض شيوخ الصوفية، قالوها لتكون قناعاً يخفي وجه هذه الأمشاج القذرة من الحقد اليهودي، والمجانة المجوسية والمادية الوثنية، والتي تجمعت في وحدة سميت فيها تصوفاً، ومن تلك الكلمات: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) إنها دعوى!! ولا تلقى - لو أنها كانت حقاً - من قلب المسلم إلا هشاشته وبشاشته، وحنوه عليها بكل مشاعره ولكنها - ويا حسرتي أصحابها عليها - لا تجد لها أثارة من بينة لا من تاريخ رجال التصوف، ولا من تراثهم العفن!!.

إنها بسمه النفاق، وهو يقترب السجود في المحاريب ولمعة الخنجر المسموم يحسبها الجاهل بريق لؤلؤة!!.

ولقد زعمها كثيرون، وما من فئة نجمت؛ للقضاء على الإسلام إلا زعمتها؛ لتجعل منها خيط العنكبوت الذي تصطاد به الذباب. وما أكثر الذباب الذي يستهويه مثل هذه العفونة من قذارة النفاق. وإني لأتحدى بكتاب الله كل أشياع التصوف أن يدلونا مجتمعين متعاونين على كتيب واحد من كتب التصوف فيه من الكتاب إشراق، ومن السنة عبير، أو من الإيوان روحانية!!.

إن الدعوى لا تكلف صاحبها إلا النطق بها، وكل امرئ يستطيع أن يدعي ما شاء، ما دام في ردغة الجرأة التي لا يعصمها دين ولا يسيطر عليها ضمير، ولا يوجهها خلق كريم، ألم يزعم الشيطان أنه خير من آدم؟ ألم يزعم المشركون أنهم مؤمنون؟ ألم تزعم الباطنية أنها الحقيقة العليا في الدين؟ ألم يزعم التصوف أنه إسلام؟! غير أن صاحب هذه الدعوى لن يستطيع أن يقنع صاحب عقل بدعواه ما لم يكن معه برهانها. فليأتنا المتصوف على دعواه بأثارة من برهان تدلنا على أن التصوف يتنسب إلى الإسلام في ماضيه أو في حاضره؟ سواء أكان تصوف

الإشراقيين، أم كان تصوف المخابيل المفاليك العمليين - كما يزعمون - أمثال الشعراني أو أعوانه!! كان لا بد لي من أن أقول هذا قبل أن أبشر مناقشة رجل كان في يوم ما - وإن كان هو لا يذكر - أستاذًا لنا في كلية أصول الدين، وهو الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي^(١)، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية آداب القاهرة، ولن يمنعني أبدًا أنه كان الأستاذ من أن أقول له ما يجب أن يقول الحق لمن يحاول العدوان عليه، فقد وقف الأستاذ الدكتور بين طلبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية - وكلهم من حملة الإجازات العليا - يحاضرهم عن التصوف!!

ولا أدري ماذا في التصوف، حتى يحكم على هؤلاء الطلبة الأساتذة بالإصغاء إليه، فما فيه من خلق رضيّ، ولا فكر سوي، وإنما فيه نفايات من كل باطل وزندقة وضلالة.

ثم نال الأستاذ الدكتور من جماعة أنصار السنة المحمدية؛ لأنهم ينالون من قدسية التصوف، أو لأنهم يحذرون المسلمين من بدعة ملعونة تتراءى في شفّ تزعم به أنها الحب الإلهي في سحره وجلاله وإشراقه الأعظم، ونحن لا يضيرنا أن ينال منا الأستاذ الدكتور، ولم يُثّرنا إلى القلم أنه اتهمنا بما يتهمنا به التصوف دائمًا،

(١) هو الدكتور محمد مصطفى حلمي، ولد سنة (١٩٠٤م)، حصل على الماجستير وكان موضوعه: (نظرية الجوهر عند ديكارت وسينوزا) بالفرنسية، ونال الدكتوراة في الفلسفة وكان موضوعها: (ابن الفارض والحب الإلهي)، عمل مدرسًا بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، ومدرسًا بكلية الآداب جامعة القاهرة، له العديد من المؤلفات من أشهرها: ابن الفارض سلطان العاشقين، توفي سنة (١٩٦٩م). (ض).

وإنما أثارنا إليه، وسيظل يثيرنا إليه - ما حيننا - محاولة من الدكتور الجليل تجهده كل الجهد، تلك هي أن يحمل طلبته على الإيمان بقداسة التصوف، وبأنه إسلام!! . هذا ما يثيرنا إلى القلم، ويدفع بنا إلى القضاء على هذه المحاولة بالحجة القاطعة، ونحن نقول للدكتور الجليل: لك أن تدرس التصوف، ولكن ليس لك أن تطلب من تلاميذك الأساتذة الإيمان بأن التصوف نبعة إسلامية، وإشراقة روحانية، ففي هذا خروج عن مهمتك كأستاذ دُعيَ ليدرس مادة تمثل لونا من ألوان الثقافات التي نجمت في البيئة الإسلامية عن أصول غير إسلامية، فهذه مهمته، أما أن يدرسها الدكتور باعتبارها ديناً يتقرب به إلى الله، فهذا ما لا يصح السكوت عنه أبداً، ولا سيما ونحن نعرف أن الأستاذ الجليل عميد المعهد، والكثير من أساتذة المعهد يعرفون حقيقة التصوف، ويعرفون أنه يناقض الإسلام في أصوله وفروعه.

ولقد بذل الدكتور ما بذل من جهد في كثير من كتبه وأهمها: (الحياة الروحية في الإسلام، وابن الفارض، والحب الإلهي)، بذل الجهد العنيف المضني لعله يستطيع أن يثبت للمسلمين أن التصوف إسلام، فما زاد على أنه جعل المسلمين يأسفون أشد الأسف لهذا الجهد القوي الفتى المضيع، إذ كل ما نتج عن مجهود الدكتور هو أنه أثبت الحقيقة التي حاول أن يسدل عليها ستاراً كثيفاً، تلك هي أن التصوف بدعة ملعونة لا تمت إلى الإسلام بسبب، لا في مولدها ولا في أي طور من أطوار حياتها!! وأثبت فوق هذا أن الصوفية مخابيل، وأنهم في أعظم معارفهم الذوقية ومواجيدهم الشهودية المزعومة لا يصدر عن وعي أو عقل، وإنما

يصدرون عن سكر أو جنون.

وحسبنا هذا، ولا أظن أن الدكتور العزيز يطيق أن نفهم عنه أنه يدعو إلى اتخاذ السكر أسوة، والجنون قدوة، أو إلى أن نؤمن بأن السكر أهم مصدر من مصادر المعرفة، وأن المعارف المستمدة عنه هي فيض الكشف والشهود الذي يتحدى الوحي في سموه ويقينه وصدقه وجلاله، أن يكون مثله!!.

ولقد دمع الدكتور الجليل أحب الصوفية لديه، وآثرهم بمودته وإجلاله، وهو: (ابن الفارض)، دمه بما يدمغ به الفسوق عن الحق، وإليك نص قول الدكتور فيه: (وابن الفارض فيما انتهى إليه من الوحدة، وفيما عبر به عن هذه الوحدة لم يكن بدعاً من الصوفية، وإنما كان مثله كمثل كثير منهم يرى ما يرون من وحدة الرب والعبد، أو الحق والخلق، أو الله والعالم)^(١) ففي هذه الفقرة يثبت الدكتور نفسه أمرين. أولهما: إيمان الصوفية بالوحدة التامة بين الخالق والخلق، أو بأن الله هو عين خلقه.

والأمر الآخر: هو أن ابن الفارض آمن كإيمان هؤلاء الصوفية، بأن وجود الخلق عين وجود الخالق!!.

وما أظن أن الدكتور العزيز يستطيع أن يزعم أمام تلاميذه بأنه يؤمن بهذا، أو بأن هذا الكفر الأصم إيمان، وإلا فليد لنا الدكتور على دين إلهي زعم هذا الزعم تلميحا أو تلويحا!!!؟.

ونحن نعرف أن القرآن حكم بكفر من قالوا: إن الله ثالث ثلاثة. فما بالك

بمن يزعمون أن الله عين كل شيء، لا ثالث لثلاثة فحسب، لكن ما بالناس نحاول الإتيان بدليل من غير كلام الدكتور - وهو الاعتراف - والاعتراف أصدق الأدلة كما يقولون - فقد قرر الدكتور أن ما دان به هؤلاء الصوفية وابن الفارض إنما هو نتيجة التأثير بتراث غير إسلامي أصلاً.

إذ يقول: (وجد الصوفية أنفسهم أمام تراث من الأنظار العقلية، والأذواق الروحية، والعقائد الدينية، فإذا هم يستغلونها، ويتأثرون بها على أوجه مختلفة من الاستغلال والتأثر، وقد كان ابن الفارض واحداً من هؤلاء الصوفية، ولا بد أن يكون لهذا التراث العقلي والروحي أثره ومذهبه^(١)).

بل إن الدكتور العزيز ليدمغ حجة الصوفية الأكبر.. وهو الغزالي الذي وصفه جولدزير بأنه صالح بين بدعة التصوف وبين السنة. وهو تعبير دقيق يكشف عن مدى جنائية الغزالي على السنة، ويؤكد ما قاله الدكتور نفسه وإليك نص قوله: (والغزالي على الرغم من أنه كان في فلسفته وفي تصوفه متأثراً بالفلسفة اليونانية. إلا أنه كان مع ذلك معنياً بأمور الدين، حريصاً على أن يلائم بين فلسفته وتصوفه، وبين أحكام الكتاب والسنة^(٢))، نراه يقرر حقيقة لا ريب فيها - ومن أجلها جانبه خير أصحابه وخير تلاميذه كالقاضي عياض وغيره - هي أن الغزالي كان متأثراً بالفلسفة اليونانية في فلسفته وفي تصوفه، وحقيقة أخرى هي أن الغزالي كان على بينة من أن الإسلام يناقض الفلسفة والتصوف، اللذين تأثر فيهما بالفلسفة

(١) (٢٠٧) المصدر السابق

(٢) (٢٠٩) المصدر السابق.

اليونانية، فحرص على أن يلائم بين النقيضين، ولن تكون هذه الملاءمة إلا على حساب الإسلام، فهذا هو الشأن دائماً عند كل من يحاول التقريب بين الحق والباطل!!.

أكان ثَمَّت ما يضير الغزالي لو أنه أخذ مباشرة بالكتاب والسنة، ووفر جهده الذي بذله في الملاءمة بين وحي اليونان ووحى الله لبيذه في سبيل الدفاع عن بيت المقدس والصلبية تلوث بدنسها - في أيامه - أقداسه؟!!

فماذا بعد أن أقام الدكتور بنفسه البيئة على أرقى معارف الصوفية كما يزعم لها من صلته بالإسلام؟!!

أيفرض علينا الدكتور أن ندير ظهورنا للوحي الإلهي، ونقبل على الفلسفة اليونانية نعبد من نفاياتها القذرة؟

ثم يعرض الدكتور رأي ابن الفارض في: قدم الروح المحمدي، وفي إيمانه بأنه هو حقيقة الوجود، ومفيض الوجود والحياة، وهوية كل نبي وولي، وحقيقة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من أصحاب النبوات والرسالات. وبأنه ما كان إلا نبي واحد ظهر على مدى الدهور في صور مختلفة، فله - كما يقول الجيلي - تنوع في ملابس، وظهور في كنائس. ذلك النبي الواحد الذي ظهر في صور مختلفة هو الحقيقة المحمدية، أو الحقيقة الإلهية في تَعَيُّنها الأول!!

وبعد هذا العرض يقول الدكتور: (نستطيع أن نرد ما قاله ابن الفارض في قدم الروح المحمدي... إلى مصدر زرادشتي فقد ورد في أحد كتب الديانة الزرادشتية - وهو (زند آفستا) - أن الصفي والولي والكلمة الذكية، كل أولئك

كان قبل أن تكون السماء والماء والأرض والأنعام والأشجار والنار) فماذا بعد؟^(١)

أنتنكر لرسالة محمد ﷺ، ونؤمن بضلالة زرادشت؟؟

ما أظن أن الدكتور يستطيع أن يدعونا إلى هذا، وإن كان قد زعم أن أفكار

ابن الفارض هنا أفكار إسلامية!!

إن ابن الفارض - كما اعترف الدكتور - غنوصي^(٢) في وحدته، ومجوسي في

قطبيته فماذا بقي له؛ لينتسب به إلى الإسلام؟؟

ثم يتكلم الدكتور عن وحدة الأديان عند ابن الفارض، فقال شارحاً لرأيه:

(كل ما هنالك من ملل ونحل ليس في حقيقته إلا مجرد وسائل يتوسل بها إلى غاية واحدة هي عبادة إله واحد هو حظ مشترك بينها جميعاً).

(١) ص (٢٨٨) المصدر السابق.

(٢) الغنوص: كلمة يونانية معناها في الأصل «المعرفة» غير أنها أخذت بعد ذلك معنى

اصطلاحياً خاصاً هو إدراك الأسرار الإلهية بواسطة الكشف.

والذي أصبغ عليها هذا المعنى طائفة عاشت في القرون الأربعة الأولى من ميلاد المسيح، منهم

مسيحيون - نصاري -، ومنهم يهود، ومنهم وثنيون، غير أنها تطورت على يد «باز

ليدس وفالنتينوس» وغيرهما.

فقد قام هذا بمزج المذاهب المختلفة من فارسية وسريانية وأفلاطونية وفيثاغورية ورواقية

بالمسيحية واليهودية وكونوا من هذا كله نوعاً من الصوفية.

يقول الأستاذ النشار: «وقد استطاع الغنوص أن يسيطر على الصوفية، ودخلت فكرة الثنائية بين

المادة والله في عقائدهم». [نظرات في التصوف ص (١١) للشيخ عبد الرحمن الوكيل، يسر

الله إخراجه] (ض).

ثم يقول عن ابن الفارض: (وبين لنا كيف ينبغي أن ينظر الإنسان بعين الجمع إلى الأديان المختلفة، فلا يفرق بين دين ودين، وإلى الكتب الدينية، فلا يؤثر كتابًا على كتاب، وإلى الفرق المتعددة، فلا ينحاز إلى فرقة من دون فرقة؛ إذ الأديان كلها من الله)^(١).

والدكتور العزيز الذي يقدس قيم التصوف - إن كانت له قيم - ويحرص كل الحرص على تبيان حقائق غير مشوبة بشيء آخر، لا بد وأن يترك لنا الحرية في التعبير عما نشعر به. وفي أن نقول له - غير باغين على حقه علينا كأستاذ سابق: رويدك يا دكتور. فقد طوح بك التصوف بعيدًا بعيدًا!!

ولا ريب في أنه سيحقق لنا طمعنا في رحابة صدره، فيجيب في صراحة ووضوح عن هذه الأسئلة:

هل المسيحية بصليبيها وثالوثها، وتأليفيها لبشر. وعشائها الرباني. وخرتها التي تتحول إلى دم المسيح، وخبزها الذي يتحول إلى لحم المسيح. هل هذه المسيحية هي عين الإسلام بصفاء توحيده، وجلال نقاء عقيدته؟!.

وهل الأسفار التي ألفتها أهواء متى ولوقا ومرقس ويوحنا وبولس هي القرآن، أو تساويه، أو ترف منها نفحة واحدة من هديه؟!.

وهل اليهودية بأحقادها وبغيها، وتجسيمها المادي الأصم، وحكمها على الله بأنه يندم ويتعب، وعلى عيسى بأنه سليل الخطيئة، وطاغوت يتقلب في النار، وعلى العالم كله بأنه في عماية وضلالة، وزعمها أن هذا العالم كله سيصير يهوديًا،

(١) ص (٢٨٩) وما بعدها المصدر السابق.

وتحت أقدام سادة اليهود، وقولها - باغية - إن الله يقضي ثلاثة أيام من كل أسبوع هو وملائكته في قراءة التلمود... أهذه اليهودية هي عين الإسلام؟
 وهل أسفار اليهود بها فيها من قسوة وجحود وجور ومجانة وفسوق هي القرآن؟
 وهل التلمود بها فيه من فجور الكفر وسفالة الخلق وعدوان على مقدسات
 أرفع القيم الروحية هو القرآن؟
 وهل المانوية بثنويتها الطاغية، والمزدكية بشيوعيتها الباغية، والبوذية
 باستغراقها في ذهول العدم، والبرهمية بفنائها في طلسم مجهول. هل هذه الشهوات
 البشرية هي هدى الله من الإسلام؟
 هل نطمع في أن يجيب الدكتور العزيز بصراحة عن سؤال واحد؟ فقط عن
 سؤال واحد يا دكتور!!

إن ابن الفارض وابن عربي، وأشياعهما يحييون بصراحة وبغبي جرأة. وسفه
 قحة عن تلك الأسئلة كلها بنعم، فهم يزعمون أن كل دين سواء أكان وضعياً أم
 إلهياً إنما هو حق يفيض من قدس الحقيقة. وكان لا بد لهم من افتراء هذا الزعم؛
 ليوافق دينهم في وحدة الوجود، فالحقيقة الإلهية هي الصنم وعابدة الصنم، وهي
 فرعون وجحوده، وهي إبليس وفجوره، وهي أبو جهل وعمايته النكدة. بل إن
 الصوفية الإشراقية - على إيمانها بالوحدة التامة بين الظاهر والمظاهر - لتصف الله
 بالشّر أكثر مما تصفه بالخير، فتراها تخصه بإجلالها وهو يبدو في صورة فرعون -
 كما تزعم - أكثر مما تفعل. وهو يبدو في صورة موسى!! ومعاذ الله.



أنصار السنة وأشياء التصوف (٢) (١)

(من كتاب وجهت نصفه في العدد السالف إلى الدكتور محمد مصطفى حلمي أستاذ التصوف والفلسفة بجامعة القاهرة ومعهد الدراسات العليا. بمناسبة ما يقرره لتلاميذه عن الصلة الوثيقة - في ظنه - بين التصوف والإسلام، وهذه بقية الكتاب وقد بدأتها بالتعليق على مسألة وحدة الأديان).

وإني لأُجِلُّ الدكتور العزيز عن أن يزعم لنا أن القرآن يؤيد ما يدين به الصوفية وهو أن المجوسية أو اليهودية، أو الصليبية ما هي إلا حقيقة الإسلام!! وأجله أيضًا عن أن يستشهد مرة أخرى بهذه الآيات القرآنية التي استشهد بها في كتابه: ابن الفارض والحب الإلهي، فإني أعتقد أنه يشعر تمام الشعور أنه قد تجنى على الحق باستدلاله بهذه الآيات على أن اليهودية والإسلام دين واحد!! أو على رأي ابن الفارض في وحدة الأديان رأي متوج بالحكمة والعدل والصواب!! وأعتقد أيضًا أن الدكتور يؤمن تمامًا أنه يضع هذه الآيات في غير موضعها، وأنه يحاول التقريب بين النقيضين؛ فالآيات التي استدل بها تقرر أن الدين الذي أوحاه الله إلى رسله دين واحد. هو دين الإسلام، وقد ظل الرسل يبشرون به واحدًا بعد واحد من قِبَل الله، حتى أرسل الله محمدًا، فأتى الله النعمة، وأكمل الدين بالكتاب الذي نزل عليه، وتقرر أيضًا أن القرآن وحده هو المهيمن على الكتب الإلهية

جميعها، فلا يجوز لمسلم أن يعمل بشيء من الإنجيل أو التوراة - على فرض وجودها - إلا بعد أن يوقن بأنه في القرآن.

ولكن ابن الفارض يزعم شيئاً آخر - والدكتور يعرف هذا جيداً - هو أن الصليبية حق مطيب بروحانية السماء. وكذلك اليهودية والمجوسية والمناوية. والزرادشتية، وكل ضلالة اتخذتها شهوات الطغاة ديناً!! لأن هؤلاء الطغاة البغاة الذين افتروا هذه الأديان ما هم إلا تعينات للحقيقة الإلهية.

كما يزعم ابن الفارض أن الإسلام لا يمتاز بشيء عن تلك المفتريات التي جُعِلت ديناً، وأن القرآن صنو الأسفار الصليبية التي افترت، وسميت أناجيل، وعين الأسفار التي زيفها عزرا الكاهن وسميت توراة.

وإليك أبيات ابن الفارض:

فبي مجلس الأذكار سمع مطالع	ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنار حلماً سوى يدي	وإن حُلَّ بالإقرار بي، فهي حَلَّت
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد	فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه	يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للأحجار في البدع عاكف	فلا وجه للإنكار بالعصية
فقد عبد الدينار معنى منزّه	عن العار بالإشراك بالوثنية
وقد بلغ الإنذار عني من بغى	وقامت بي الأعذار في كل فرقة
وما زاغت الأبصار من كل ملة	وما راغت الأفكار من كل نحلة
وما احتار من للشمس عن غرة صبا	وإشراقها من نور إسفار غرتي

وإن عبد النار المجوس وما انظفت
فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم
كما جاء في الأخبار في ألف حجة
سواي. وإن لم يظهروا عقدية
ه نارًا، فضلوا في الهدى بالأشعة^(١)
رأوا ضوء نوري مرة، فتوهمو

يسوي في القدسية بين مجلس الذكر وحانة الخمر. وبين رواد مجالس الأذكار
ورواد حانات الخمر! ويسوي بين اليهودية والمسيحية والوثنية. وعبادة النار.
وعبادة الكواكب وبين الإسلام!!

ولقد حكم حكمًا عامًا شاملًا بتصويب كل ضلالة وهذا في قوله:

وما زاغت الأبصار من كل ملة وما راغت الأفكار من كل نحلة

والفكرة في سياق النفي تفيد العموم والشمول، فماذا يقول الدكتور؟ ماذا
يقول وابن الفارض يصوب عبادة الأصنام، وعبادة النار، وعبادة الكواكب؟
ليأتنا الدكتور بدليل يحترمه المسلمون يبيح لنا أن نجمع بين هذه الضلالات
المتباينة، وأن ندين بها، ويؤكد لنا أننا بهذا الدين الأمشاج ننال رضوان الله!!

أما ابن عربي، فقد ذهب مع الزندقة إلى آخر مداها، فحكم بنجاة فرعون.
وقرر أنه لا يوجد عذاب في الآخرة وإليك قوله عن فرعون في كتابه فصوص
الحكم: (نجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه. ونجى بدنه. فقد عمته النجاة حسًا

(١) التائية الكبرى من ديوان ابن الفارض، طبع مكتبة الآداب، الطبعة الخامسة. وإليك بعض
معاني المفردات: عين طليعة: رقيب يتقدم مقدمة الجيش. الزنار: وهو ما يشد به الكاهن أو
الراهب وسطه. والبيعة: الكنيسة. الكليم: موسى ﷺ. البد: بيت الصنم. زاغ البصر: كل
وضل. راغ: حال عن الحق مكرًا وخديعة. السفرة: الغفلة. صبا: مال. الإسفار: الإشراق.

ومعنى)، ويقول عن نفي العذاب في الآخرة:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعالين
وإن دخلوا دار الشقاء فأنهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صائن

وابن عربي في هذا متلائم مع إيمانه بوحدة الوجود. فما دام كل شيء هو الله. فإن الله لا يعذب نفسه.

أما عبد الكريم الجيلي فحكم بنجاة إبليس؛ وصوب كل زندقته، وإليك قوله عن إبليس:

مم خلق إبليس؟ يقول القرآن إنه خلق من مارج من نار فماذا يقول الجيلي؟
يقول: (خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من
نفس محمد ﷺ)^(١) فهل يقول هذا مسلم؟

مصير إبليس:

القرآن يقول إن مصيره جهنم مع من أضلهم. أما الجيلي فلا يرضيه حكم الله
على سيد الصوفية إبليس: (إذا انقضى يوم الدين. فلا لعنة عليه لارتفاع حكم
الظلمة الطبيعية في يوم الدين)، ثم يقول: (فلا لعنة بل قرب محض، فحينئذ يرجع
إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي)^(٢).

(١) ص (٤١) ج (٢) الإنسان الكامل.

(٢) ص (٤٢) ج (٢) المصدر السابق.

إذا كان هذا هو مصير إبليس عند الصوفية، فهل يخاف إنسان عذاباً؟ فليعد من يشاء وليبغ من شاء، فما ثم رب يعذب. وإنما ثم مجانة تعربد على أقدس الأخلاق!! وإني لأرجو الدكتور أن يقول كل هذا لتلاميذه الأساتذة، حتى لا تخفى عليهم حقيقته، وما أظن أن الدكتور سوف يستطيع إقناع واحد منهم بأن هذا الذي يقوله الصوفية فيه نفحة إسلامية، فتلاميذك الأساتذة يا دكتور أحرص على الحق وقداسته مما يظن بهم، وفوق ما قد يتخيل أحد من أن رنين السحر في ألفاظ الصوفية قد يفتنهم عن جلاله الحق من مثل الجذب والوجد والهيام والذوق والإشراق والتجلي. والقبض والبسط. والاصطدام وغير هذا مما اصطنع التصوف من خداع السحر، ورياء التعاقد!!

دين الله الله واحد!!

نعم. وهي عقيدة كل مسلم.

وقد دعا بهذا الدين نوح وإبراهيم وموسى، وعيسى، وختم بما نزل على محمد. ولكن أي دين يا دكتور؟

إنه دين الإسلام، أما هذه الزندقات التي نجمت؛ لتتحدى وحي الله بباطلها، وهذه الأحقاد التي اضطرمت؛ لتدمر ما بنى الهدى والحق والخير، ثم سميت صليبية أو يهودية أو مجوسية أو وثنية، فمعاذ الله أن نبغي عليه، ونبهته بأنه جل شأنه أرسل نبياً واحداً بشيء منها، ومعاذ الله أن نبهته كذلك بأنه - وهو الواحد المعبود - يدعونا إلى عبادة صنم أو عجل من دونه!!

كما يقول أئمة الصوفية: فليس الله بمتناقض ولا خبيث، حتى يدعونا إلى الجمع بين التوحيد والشرك وإلى التلوث بخطيئة الوثنية، ثم إني أرجو من الدكتور

الجليل - وهو لماع الفكر رحيب الخيال مشبوب العاطفة أن يتصور ذلك المصير الأسود الرهيب الذي نتردى فيه، لو أن طائفة منا نفرت، لتبشر في آسيا وإفريقية بما يقوله الصوفية. فنقول لهم هناك: لا حاجة بكم إلى قرآن، أو إسلام وليعتصم كل منكم بخرافته وبدعته وصنمه ووثنيته وصلبيته، فالأمر كله إسلام، والكتب كلها قرآن!

وهل يشد من أزر الصهيونية والاستعمار دعوة كهذه الدعوة؟! ولم لا، وهي تؤكد أن عدوان الاستعمار، وبغي الصهيونية، إنما ينبعثان عن الحقيقة الإلهية الكامنة في كل يد وقدم وعين ولسان!! لقد قالت الصوفية عن كفر فرعون: إنه كفر إله، وعن جحود إبليس إنه جحود إله، فكلاهما المظهر الأتم الأكمل للحقيقة الإلهية، فلم لا تقول كذلك عن الصهيونية وعن الاستعمار؟!

أرأيت القاصمة الناشفة المدمرة يا دكتور، لو أنا أخذنا بما يبشر به أئمة التصوف؟!!

قد يتسم دكتورنا الجليل في إشفاعة مشوبة بالسخرية من جهالتي، وفي غمغمة صوفية حاملة يقول: ومن قال: إن الصوفية قدس مباح لكل عابد، ومحراب لكل ساجد. فإنما هي لفئة خاصة من الناس كشفت لهم الحقيقة الإلهية عن سرائرها، فأوها عين كل شيء؟!!

وهنا أقول للدكتور، ويقول معي كل مسلم: وإنا لنعوذ بالله سبحانه أن نكون من أولئك الذين يفترون هذا، فإننا نعلم أن موسى - وهو من أولي العزم من الرسل - خر صعقاً حينما تجلى ربه للجبل!! وأن الله قال له: لن تراني، ونعلم أن خاتم النبيين والمرسلين لم يخلع على نفسه وشاح هذه الأسطورة الملحدة، ولم يزعم

أنه رأى الله، أفقومك يا دكتور خير من موسى، ومن خاتم الرسل؟
كما نعوذ بالله من دين يزعم مفتروه أنه لفئة دون فئة؛ لأن من خصائص
الإسلام أنه للجميع في أصوله وفروعه!!

إن دكتورنا العزيز كان بالغ الدقة في تحديده لميلاد عمر بن الفارض، وبذل
جهداً مضنياً في سبيل أمر لا تتعلق بإثباته مصلحة دين أو دنيا، أو تهذيب نفس،
أو تقويم خلق، وبذل الجهد المضني الشاق في سبيل الفصل في قضية الاتصال
المزعوم بين ابن الفارض وابن عربي، وحشد لهذه وتلك المراجع والمصادر والقوى
الفكرية المسنونة؛ ليؤكد للقارئ أنه الحفي بالحقيقة.. فما لدكتورنا الجليل لا يدرع
بهذا، وهو يتكلم عن صلة التصوف بالإسلام؟!!

ترى ماذا كان يفعل الدكتور لو أنني نسبت بيتاً واحداً من التائية الكبرى إلى
غير ابن الفارض؟

لو أنني فعلت، لأقام الدكتور الدنيا، وأقعدھا، ولرمى في وجهنا بأننا على
جهالة مركومة على ضلالة!!

فما لدكتورنا الجليل ينسب إلى الإسلام أنه صوفية؟
ما لدكتورنا يزعم أن القرآن يؤيد وثنية الجاهلية، ومجانة المجوسية، وضلالة
الصليبية، وحقد اليهودية وماديتها الصماء؟!!

إنه لما يثير الدهشة أن يحشد الدكتور أرقه وسهده ولياليه الساهرة على الضنى
والمشقة، والمراجع والمصادر المختلفة. والمحابر والأقلام؛ ليثبت أن ابن الفارض
قد ولد في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦هـ.

ولكنه فيما يتعلق بأصول الإسلام لا يكلف نفسه سوى التقليد، وسوى أن

يردد زعم الصوفية أنها إسلام دون أن يأتينا حتى بفرض يمكن أن يتجاوز العقل عن محكم أحكامه فيرضاه فرضاً!!

ومما يثير الدهشة أيضاً أن يغلو الأستاذ الدكتور الجامعي في تصديق هؤلاء القوم غلوًا يخجل الصوفية نفسها إن كانت تعرف الخجل!!

فالصوفية نفسها تقرر أن دينها لا صلة له بعقل أو نقل، لأنها تؤكد أن معرفتها مستمدة عن طريق الكشف والشهود، أو الذوق الفردي، أما الإسلام فيقرر أن مصدره وحى الله الذي نزل كتابه الخاتم على رسوله الخاتم محمد ﷺ، ولننظر في نتائج هذه المعرفة الشهودية المزعومة، لنرى هل تلائم الإسلام أو لا، وسنختار أثر الصوفية بمحبة الدكتور وإجلاله وهو ابن الفارض ونأخذ عن تائيته الكبرى، ونضعها تحت أنظار تلاميذ الدكتور وأنا على ثقة من أنهم سيدمغون ابن الفارض بما يدمغه الحق به، وهو أنه في تائيته مارق على الإسلام.

الوحدة بينه وبين الخالق:

يقول في غلوزندقته وزعمه أنه الأعظم:

أُمت إمامي في الحقيقة فالورى	ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي
يراهأ إمامي في صلاتي ناظري	ويشهدني قلبي إمام أئمتي
وكل الجهات الست نحوي توجهت	بما تم من نسك وحج وعمرة
لها صلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنني صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن	صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلى كم أوافي السترها قد هتكته وحل الحجب في عقد بيعتي
 يزعم أنه إمام الدنيا، ووجهة الخاشعين في صلواتهم، وأن الحقيقة الإلهية
 تصلي له كما يصلي هو لها، وأن المصلي في الحقيقة واحد هي الحقيقة الإلهية المتجلية
 في صورة ابن الفارض.

وإني التي أحببتها لا محالة وكانت لها نفس علي محيتي
 فهامت بها من حيث لم تدر وهي في شهودي بنفس الأمر غير جهولة
 وقد آن لي تفصيل ما قلت مجملًا وإجمال ما فصلت بسطًا لبسطي
 أفاد اتخاذي حبها لاتخاذنا نواردر عن عاد المحبين شذت
 وبعد أن أجمل عقيدته التي قامت على أساس من زعمه أنه متحد بالخالق، أو
 أنه هو هو، راح يفصل ما أجمل:

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي
 جلت في تجليها الوجود لناظري ففي كل مرئي أراها برؤية
 وأشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني هنالك إياها بجلوة خلوتي
 وطاح وجودي في شهودي وبنت عن وجود شهودي ماحيًا غير مثبت
 وعانقت ما شاهدت في محو شاهدي بمشهده للصحو من بعد سكرتي
 ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت
 فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي
 فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعائي ولبت

وإن نطقت كنت المناجي كذاك إن قصصت حديثاً إنما هي قصت

فقد رُفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

إن الحقيقة الإلهية كامنة في كل شيء يراه، ولكنها تتمثل في جمالها وكمالها
الأعظم في شخصه هو، فإنه هو المظهر الأتم الأكمل للحقيقة الإلهية بصفاتها
وأسمائها وأفعالها، فإن كلمت ابن الفارض فأنت تكلم الله!!

وما شان هذا الشأن منك سوى 'السوى' ودعواه حقاً عنك إن تمح تثبت

كذا كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا من اللبس لا أنفك عن ثنوية

أروح بفقد بالشهود مؤلفي وأغدو بوجد بالوجود مشيتي

يفرقني لبي التزاماً بمحضري ويجمعني سلمي اصطلاًمًا بغيبتي

إخال حضيض الصحو والسكر معرجي إليها ومحوي منتهى قاب سدرتي

وغيري على الأغيار يُثنى وللسوى سواي يُثنى منه عطفًا لعطفتي

كان قبل أن تنبثق الحقيقة في نفسه ثنويًا يؤمن بوجود خالق، فلما كشف عنه

الغطاء لم يجد سوى 'أو غيرًا، وإنما وجد واحدًا فقط يتجلى في صورة خلق مشهود.

كان عقله يؤكد له أنه غير الله، ولكن جذبة الحق تأخذ به، فيوقن أنه هو الله.

وصرخ بإطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلاً لزخرف زينة

فكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

لا تقل عن الحقيقة الإلهية: إنها عين هذا أو ذاك فحسب، وإنما قل: هي عين

كل شيء، فهي الوجود والموجود والكائن والمكون والعبد والرب.

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم
فهام بها كيما يكون بها أبا
وكان ابتدا حب المظاهر بعضها
وما برحت تبدو وتخفى لعل
وتظهر للعشاق في كل مظهر
ففي مرة لبنى، وأخرى بثينة
ولسن سواها لا ولا كن غيرها
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها
بدوت لها في كل صب مقيم

بمظهر حوا^(١) قبل حكم الأمومة
ويظهر بالزوجين حكم البنوة
لبعض ولا ضد يصد ببغضة
على حسب الأوقات في كل حقبة
من اللبس في أشكال حسن بدیعة
وآونة تدعى بعزة عزت
وما إن لها في حسنهما من شريكة
كما لي بدت في غيرها وتزيت
بأي بديع حسنه وبأيت

ولا ينسى ابن الفارض دعارته التي فجرت بصواته تحت أقبية الليل مع
جواريه ومغنياته، فيزعم أنه ما من عاشق إلا وهو الحقيقة الإلهية، وما من
معشوقة إلا وهي كذلك؛ فالحقيقة الإلهية الكامنة في كلها تعشق نفسها!!

فما زلت إياها وإياي لم تزل
وليس معي في الملك شيء سواي

ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
والمعية لم تخطر على ألمعيني

يعود فيؤكد الوحدة الثابتة بينه وبين الحقيقة الإلهية بكل ما يتأتى له من ألفاظ
التوكيد؛ وتدبر المؤكدات في البيت الأول، وفي الثاني يزعم أن ما ثم في العالم إلا
الله المتجلي في صورة عمر بن الفارض وأنه لم يدُر بخلده أبداً أن يكون معه غيره!!

(١) يقصد حواء زوج آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي البشر. (ض).

منحتك علمًا أن تُرد كشفه فردٌ سبيلي وأُشرع في اتباع شريعتي
 فمَنع صديّ من شراب نقيعه لدي فدعني من سراب بقيعة
 وجُلّ في فنون الاتحاد ولا تحُد إلى فئة في غيره العمر أفنت
 يدعو الناس إلى الإيمان بشريعته القائمة على أساس الوحدة التامة بين الخلق
 والخالق أو الاتحاد بينهما.

عليها مجازي سلامي فإنما حقيقته مني إلى تحيتي
 يزعم أنه إذا ما ذكر الله، فإنما يذكره على سبيل المجاز؛ هذا لأنه هو الله!
 وشكري لي والبر مني واصل إلي ونفسي باتحادي استبدت
 وإني إياها كذات ومن وشي بها قد وشي عنها صفات تبدت
 هذه بعض آيات التائية الكبرى التي تزيد عن سبعمائة بيت، أفستطيع الدكتور
 أن يزعم أن هذه الزندقة إسلام؟!
 كلمة أخيرة:

إن الخطورة في الأمر هو أن الدكتور لا يكتب، أو يدرس ليشرح مفهوم
 التصوف ومسائله كشأن الباحثين عن الحقيقة؛ وإنما يكتب ويدرس ليثبت أن
 التصوف إسلام في شطحاته ونطحاته، وعجره وبجره، في زندقته التي تؤكد أن
 العبد والرب حقيقة واحدة؛ وأن المجوسية هي الإسلام، وأن الصهيونية هي
 الإسلام، وأن الصليبية هي الإسلام.

لهذا أقول للدكتور: إننا لن نسكت على ما تبثه يا دكتور، ففيما تفعل هدم لأمتنا،
 وتقويض لنهضتنا، وقضاء على مقوماتنا، وفصل للأمة عن دينها الذي أقامها.

لن نسكت أبداً على هذا، وسنكشف للناس حقيقة أهداف التصوف؛ وهي أهداف أقل ما يقال عنها: إنها تبغي القضاء على القرآن.

وكلمة أخرى أقولها للدكتور: إنني أرجو أن يتفضل مشكوراً فيحدد هو بنفسه المكان والزمان الذي يمكن أن ألتقي به فيهما في مناظرة علنية، ليفصل المسلمون في هذه القضية فصلاً عادلاً وحكيماً، فهل يقبل الدكتور؟

وإني لأرحب به في دار أنصار السنة؛ ليتكلم على منبرها بما شاء، وأنا زعيم له - بعون الله - ألا يقاطعه مسلم وهو يتكلم؛ لسمع منا في النهاية كلمة القرآن.

ترى هل يتفضل الدكتور؟

وإلا فسنظل نقول له: قد يؤذن لك في أن تدرس التصوف وتقدسه، وتدعو إلى الإيثار بتأثير سكره وذهوله، ولكن لن يأذن لك مسلم في أن تقول عن التصوف: إنه إسلام.



الشيوعية تعانق الصوفية (١)^(١)

هكذا تنتهك الأستار، وتبرج الأسرار!!

أو هكذا تتجلى الغاية من الدفاع عن الزندقة الصوفية!!.

والصوفية لم تعد تفتننا شاعرية سحرها، أو سحر شاعريتها المكحولة الغواية، فقد بَصَّرنا الله بدخَلها ودخائلها، وهدانا إلى أن نعرف أن هذه البسمة الخلوب التي تغازل القلب على شفيتها، ما هي إلا غواية الشيطان افتَنَّ في تصوير فتنها على ثغر غانية هلوك قتل!!

ولقد بذلتُ ما ملكني الله من جهد في سبيل هتك الأقنعة السحرية عن وجهها الدميم المتقيح، ل يبدو للذين فتنهم أنه وجه لا يُقَبَّل، وإنما هو الوجه الذي يجب أن يكون هدفاً لكل بصقة، وأن يَرجم من المسلمين بكل لعنة. ولقد جاءنا الأستاذ الكاتب (محمود أمين العالم)^(٢) بحجة فوق حجج كثيرة أمدنا بها دعاء التصوف أنفسهم، تؤكد لنا صدق ما آمنا به من قبل، وهو أن للتصوف غواية وغاية.

أما غوايته فمهلكة، حسبنا أنها تجرد المسلم من عقيدته وكرامته وإنسانيته!. وأما غايته، فهي ألا تكون للإسلام أمة، ولا قلب يستنشئ عبيره، ولا كتاب يشعُّ نوره ولا ذكرى رسول يفرض الصلاة عليه!!.

(١) (١١ / ١٣٨٤ هـ).

(٢) محمود أمين العالم شيوعي مصري، عمل مدرساً مساعداً بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة القاهرة، ولد سنة (١٩٢٢ م)، توفي سنة (٢٠٠٩ م). (ض).

لا نفحة عير، ولا لمحة نور باد، ولا صلاة أواب، ولا ضراعة تواب، ولا تهجد خاشع، وتوبة ضارع!، هكذا تريد الصوفية وابنتها الشيوعية!!.

تريد حاضراً مقطوع الأسباب عن ماضينا العظيم، وحياة تنزع بنسبها إلى كل مروق يناصب دين الله الكراهية والبغضاء!!.

تريد القضاء على كل قيمنا الإسلامية، ومقوماتنا الروحية التي نستمدّها من هدى الله!!.

تريد تآريث العداوات والأحقاد ضد أمة الإسلام ورسول الإسلام وكتاب الإسلام ورب الإسلام!!.

تريد كل عدو حشداً وإلباً ضد هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، وهو عليهم عمى، ويثير في قلوبهم الرعب، ويذكي ضرام الحسد الدنيء؛ لأنه - رغم تحالف قوى الشر، وترامي الأحقاب والقرون بالكيد له - لم تمسه يد بتحريف، ولم ينل منه باطل بتأويل، ولم تصنع حليفها الصهيونية به ما صنعت بالتوراة والإنجيل.

أرأيتم كيف يدافع الأستاذ (محمود أمين العالم) بهذا الأسلوب الشعري المتوقد العاطفة عن التصوف، وهو أبشع جريمة ارتكبت ضد الإسلام؟.

وهو زندقة لا يحترمها عقل فيه شعاعة من فكر قويم.

وهو إلحاد لا يمكن أن يحنو عليه قلب كريم.

لقد قلنا مراراً - وكان البعض يتشكك - أن التصوف حمولة مُعبّدة المظهر للاستعمار، وللشيوعية وللصهيونية، ولكل نحلة مارقة جاحدة، وأنه الذي يمد كل عدو للإسلام بما يكيد به للإسلام.

ولقد حدثني الأخ الأستاذ سليمان رشاد^(١) عن أخ مسلم هو الشيخ محمد بخاري الذي فر من وجه الشيوعية، أن الشيوعيين كانوا يحاولون إقناعهم بالشيوعية عن طريق دعمها بما في كتب الصوفية، ولم لا، والصوفية تمثل في نظر الكثرة الغالبة النبع الأصيل لأشرف روحانية، وسماء القدس لأرفع ربانية؟.

وهي في حقيقتها نفايات زندقات، وأمشاج ضلالات، وباطل أساطير وخرافات!!
الصهيونية صوفية!!.

والصليبية صوفية!!.

والباطنية الخبيثة صوفية!!.

وإلحاد إخوان الصفا صوفية!!.

والإسماعيلية والبهائية نتن من أنتن الصوفية!!.

ومن يَرْتَبُ فيما أقول، فإني أرجوه أن يكون بارًّا بالحق، حَفِيًّا بمعرفة الحقيقة، ويقرأ كتب أولئك الذين أوغلوا في الضلالة، ويقرأ معها كتابًا صوفيًّا واحدًا، وليكن: (فصوص الحكم لابن عربي)، وثمت يشعر أنه كان يقرأ لشیطان واحد له أسماء مختلفة فحسب!!.

ثم إني أتحدى من يهفو إلى التشكيك فيما أقول؛ كيلا يبصر الناس حقيقة الكيد

(١) هو سليمان رشاد محمد، من أعلام أنصار السنة المحمدية بمصر، ولد سنة (١٩٠٩م)، من الرعيل الأول، وكان من كتاب مجلة الهدى النبوي، عمل مديرًا لتحريرها، وكاتبًا لخطبها، ومفتيًا لقرائها، ترك كتابًا واحدًا بعنوان «التوحيد الخالص»، توفي سنة (١٩٩٣ م).
[مجلة التوحيد (العدد السابع - السنة السابعة والعشرون)]. (ض).

الصوفي، أتحدى من يلوي عما أقول صفحة عنق غليظ، أتحدى أن يأتي واحد منهم بأثارة من دليل أو وهم حجة يثبت أحدهما غير ما أقول، وإني لأرجو أن يدعونا - مشكورًا - إلى مساجلة في العلن، وليحدد هو لها الزمان والمكان.

فهل أجد من يقبل التحدي يا كهنة الصوفية؟

بالتحدي ألطم وجه كل صوفي كبير، وكل شيوعي خطير، سواء منهم عمداء الكليات أو كتاب المقالات. أتحداهم جميعًا في شتى أقنعتهم، وبعضهم لبعض ظهير، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين!!.

إنني أعتقد أن الذي يؤمن بشيء إيمانًا وثيقًا يهب في حماس صادق إلى الدفاع عنه ضد عدوه، فمن الذي يهب إلى الزياد عن الصوفية بالكلمة المقنعة، لا بالدسيسة الخرقاء، والكيد الدنيء.

والتحدي لا ينبعث عن تعصب مقيت، أو بينة من الحق، وعن رسيس حمية جاهلية، أو مسيس تحايل بعرفان، وإنما عن إيمان بأن الإسلام هو الحق، وأنه الدين الذي شهدت له التجارب الصادقة، وأيدها التاريخ والواقع في كل مكان وزمان أنه وحده الدين الذي يهدي البشرية إلى التي هي أقوم في كل شيء.

ولقد أعفانا الأستاذ الناقد الكبير (محمود أمين العالم) فقد جاء بما يدان به التصوف دون حاجة ما إلى تعداده، أو التذكير به.

جاء بأساطير التصوف، أو حماقاته، أو زندقته دون موارد أو مداينة أو تلتف في الزج بها أمام الأبصار والبصائر؛ لتبدو على حقيقتها، أما بعض كهنة الصوفية فيأتي بها وعلى وجهها أصباغ تكسبه شيةً من الجمال، وعلى هيكلها الدنس شفوف رقائق قد لا تستر ما تحتها من دمامة، ولكنها تخدع النظرة العُجلى.

ولنأت بهذه الزندقات الصوفية واحدة بعد واحدة كما ذكرنا بها الأستاذ محمود:
وحدة الوجود:

وكل صوفي عَنِ الضلالة، متمرّد الباطل، يحكم على الله سبحانه بأنه عين خلقه، يحكم عليه - سبحانه - بأنه ما له من وجود غير وجود هذا الكون المادي المحسوس، هذه هي وحدة الوجود الصوفية باختصار.

وفي هذا كان الأستاذ «محمود» نابغ الصراحة والوضوح، فلم يلجأ إلى ما لجأ إليه الأستاذ الدكتور عبد الحلیم محمود^(١) عميد كلية «أصول الدين»؛ فقد ابتدع دفاعاً عن الصوفية ينزع في الحقيقة إلى إدانة المتهم، لا إلى تبرئته كما أحب الدكتور، فوضع في عين الصوفية الملّ، وكان يظنه الكحل!!.

فقد زعم الدكتور عبد الحلیم أن الصوفية يؤمنون بوحدة الوجود، لا بوحدة الموجود، وظن أنه بهذا قد رد عن عنق المجرم سيف العدالة القاطع، على حين يتجلى مما فعل أنه مكن الحق الأبلج من مقتل الباطل اللجلج، ولقد ذكرناه في صحيفتنا «الهدى النبوي» بنصوص قاطعة من كتب أئمة التصوف في مقال كتبه الأستاذ نجيب المطيعي تثبت في جلاء ويقين لا يدافع أن الصوفية تؤمن بوحدة

(١) هو عبد الحلیم محمود ولد بمدينة بلييس محافظة الشرقية بمصر سنة (١٣٢٨هـ)، حصل على الدكتوراة في التصوف الإسلامي، وكانت بعنوان: «الحارث المحاسبي»، عمل مدرساً لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم عميداً لها، وعين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، ثم أميناً له، ثم وكيلاً للأزهر، ثم وزيراً للأوقاف، ثم شيخاً للأزهر، وله مصنفات كثيرة في التصوف والفلسفة، توفي سنة (١٣٩٧هـ). (ض).

الموجود، فما ثم من فرق بين الإيانيين الخيئين؛ إذ هما متلازمان تلازم الخبث والتن.

ووحدة الوجود - كما نفتها شيطانها ابن عربي - تقرر ما يأتي:

(إن العارف من يرى الحق - أي الله - في كل شيء، بل يراه عين كل شيء).

ص (١٩٢) ج (١) فصوص الحكم، وكلمة (شيء) أعم كلمة في لغة العرب، وهي تطلق - عند ابن عربي - على الصور العقلية، والأعيان الثابتة قبل تعين الوجود المطلق فيها.

وتدبر هذه النصوص تترى، وهي من كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي طبع دار إحياء الكتب العربية، بتحقيق وتعليق الدكتور أبو العلاء عفيفي من ص (٦٨، ٧٦، ٧٧، ١١١، ١١٢).

يقول: (فالحق محدود بكل حد، وصور العالم لا تنضبط، ولا يحاط بها، ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته؛ فلذلك يجهل حد الحق، فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صورة، وهذا محال حصوله، فحد الحق محال).

ويقول: (تحققنا بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء!! والأشياء محدودة، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود، فما يحد شيء إلا وهو حد الحق. فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، فهو عين الوجود «فهو على كل شيء حفيظ» بذاته «ولا يؤوده» حفظ شيء، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته، ولا يصح إلا هاهنا، فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود، فالعالم صورته وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الكبير!!).

ويقول: (ومن أسمائه الحسنی (العليّ)، على من وما ثمّ إلا هو؟ وهو العلي لذاته أو عن ماذا، وما هو إلا هو، فعلوّه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات. فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو).

ويقول: (إن الله تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم ومن يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات).

ويقول: (ولهذا الكرب تنفس، فنسب النفس إلى الرحمن؛ لأنه رحم به ما طلبته النسب الإلهية من إيجاد صور العالم التي قلنا هي ظاهر الحق، إذ هو الظاهر وهو باطنها، إذ هو الباطن وهو الأول، إذ كان ولا هي وهو الآخر، إذ كان عينها عند ظهورها).

يقول في نصه الأول: إذا أردنا أن نضع لله تعريفاً كاملاً، وجب علينا أن نأخذ في تعريفه تعريف كل شيء في العالم؛ لأنه عين هذه الأشياء؛ ولهذا لا يمكن عنده وضع تعريف شامل لله؛ لأن صور العالم قد تتناهى!!

وفي النص الثاني يقول: لقد حكم العقل والنقل «يعني بالنقل القرآن والحديث» أن الله عين الأشياء، وأنه ما من تعريف إلا ويطلق على الله، وأن هذا العالم صورة الله وذاته، وأنه سبحانه روح هذا العالم، وأنه إنسان كبير.

وفي النص الثالث صرح: بأن الله عين الموجودات، وأن هذه المحدثات التي نراها ليست إلا الله. فإذا ولد إنسان قيل: لقد ولد الله.. وإذا مات كافر قيل: لقد مات الله، وجل سبحانه. وإذا رأى الصوفي خنزيراً يأكل الخراء سجد له وقال له:

سبحانك يا الله!.

وفي النص الرابع يقول: (إن الله يجمع بين الأضداد في ذاته، وأنه عين الأشياء حال ظهورها، وعينها حال بطونها، ثم جاء بالصوفي أبي سعيد الخراز وقرر أنه هو الله، ليدلل بهذا على أنه يؤمن بأن الله كليٌّ، وأن الله عين أفراد هذا الكلي، يؤمن بأنه الكلي والجزئي، والكل والجزء!).

وفي النص الخامس: يؤكد أن الله هو عين صور العالم.

وهناك عشرات النصوص التي تجبهك في كل صفحة من صفحات كتابه، والتي تؤكد إيمان ابن عربي بأن الله سبحانه هو عين هذا الوجود المتقدم في مادة، وأنه هو هذه المادة نفسها، وبهذا تلتقي صوفية ابن عربي وتلاميذه بالشيوعية في عناق دائم ملهوف مشغوف؛ فالشيوعية تكفر بوجود الله، ولا تؤمن إلا بوجود هذا الكون المادي المحسوس، وكذلك ابن عربي!!.

كل ما بين اللعتين الكافرتين من فرق هو أن صوفية ابن عربي في خداعها المخنث وريائها الداعر. تسمى هذا الكون إلهًا، أما الشيوعية فتسميه باسمه!!.

هذا ما يؤمن به ابن عربي، وهو عين إيمان الشيوعية؟ ولكنه يسميه بالله، أما الشيوعية فتسميه طبيعة، وهذا فرق لا يحكم على الإنسان بإيمان ولا ينجيه من كفر.

غير أني - دون أن أبهت بغلو، أو أتهم بعصية جاهلية - أؤكد أن دين ابن عربي أشد نكرًا، وأقبح كفرًا وإسفافًا في حطة المادية، وإيغالا في لوثة الإلحادية.

فالشيوعية لا تدهن في كفرها، ولا تفرض عليك تقديس هذه الماديات البادية في صورة صنم أو عجل أو خنزير، ثم إنها على كفرها تنزع إلى الفصل بين قيم كثيرة من الأشياء المادية أو المعنوية.

أما صوفية ابن عربي وتلاميذه، فكفر يداهن، ونفاق يرائي، ووثنية غليظة تتراءى فيوضٍ روحيةٍ مؤمنةٍ خالصة التوحيد، وعدو يقتلك وهو يقبلك!!
ثم هي - وقد حكمت على كل شيء بأنه هو الله - تفرض على من يدين بها أن يقدس كل شيء، وأن يعبد كل شيء، حتى الوثن والخنزير والصليب وعجل السامري!!.

أما الشيوعية فلا تخلع على هذه الأشياء طيلسان هذه القداسة!! هذا والصوفية لا تفصل مطلقاً لا بين الضدين، ولا بين النقيضين، في المعنويات، ولا بين المتباينات في الماديات، فالكفر عندها عين الإيمان، والباطل عين الحق، والخطأ عين الصواب، والرذيلة عين الفضيلة، وإبليس عين آدم، والنمرود عين إبراهيم، وفرعون هو موسى، وأبو جهل هو عين خاتم النبیین!!.

فوحدة الوجود تسوي بين الخالق والمخلوق في المفهوم والحقيقة والوجود، فكلاهما عين الآخر ذاتاً ووصفاً واسماً!!
ومن الضلال البعيد عند الصوفية أن تفصل بين مفهوم الكلب الميت والتن الأجرب وبين مفهوم الإله!!.

ومن يؤمن بهذه الصوفية يؤمن بأنه لا قيمة خاصة للخير أو للفضيلة أو للحرية، أو للكرامة، فما ثم شيء منها إلا ويلتقي مع نقيضه ومقابله، إن الخير عين الشر، والعبودية عين الحرية؛ لأن الرب عين العبد!!.

والصوفية تفرض علينا ألا نلوم مجرمًا، أو نعاقبه خاطئًا، لماذا؟ لأن المقترف لهذه الخطيئة هو عين الله، وهكذا ذلك المجرم؛ ولهذا حكم ابن عربي بسمو إيمان فرعون وربوبيته، وبسمو إيمان اليهود الذين عبدوا عجل السامري، والمسيحيين

الذين عبدوا المسيح، والجاهليين الذين عبدوا الأوثان!!.

كما تؤكد لنا - كما ذكر ابن عربي في الفصوص - أنه ما ثم عذاب يوم القيامة، أو بتعبير أصح: ما ثم من قيامة بمفهومها القرآني؛ لأن الله عين كل شيء؛ وليس من المعقول أن يعذب الله نفسه!! وما أكثر النصوص في كتابه «الفصوص»، فأي تحريض مسفر على الإيغال في الفسوق والإبعاد في المروق؟ بل أي إلحاح فاجر في الدعوة إلى المجانة والتمرد على كل فضيلة أصرح من هذا، وأشد قحة!!.

أفريد منا الأستاذ «محمود» أن نؤمن بهذا؟!

وهل يجد الأستاذ الكبير عميد كلية أصول الدين في الشر المستطير نفحة خير أو أصلاً من أصول الدين؟

قد يقال: كيف تعانق الشيوعية الصوفية في الكفر بالله، والصوفية تحكم على الله بأنه وجود مطلق، والشيوعية تحكم عليه بأنه عدم مطلق؟

وأقول: كلا الكافرين سواء في الحقيقة متغايران في اللفظ، فالحكم على الله بأنه وجود مطلق عين الحكم عليه بأنه عدم مطلق، إذ أن الكلي بشرط الإطلاق لا وجود له إلا في الأذهان فقط، فلا وجود لكلي في الخارج اسمه الحيوانية أو الإنسانية مثلاً. وإنما هما أمران كليان ينتزعهما العقل من أفراد كلمي. وبهذا يتجلى لنا أن الذين يقولون بأن الله وجود مطلق، إنما يحكمون عليه بأنه صورة ذهنية فحسب، ينتزعهما العقل من استقرائه للموجودات، أي يحكمون عليه بأنه عدم، والعدم صورة ذهنية يتخيلها العقل، فأي فرق بين الكفر الصوفي والكفر الشيوعي؟ أقول هناك فرق، وهو أن الكفر الشيوعي منسجم مع نفسه، فلم يراء ليظهر

كفره إيمانًا، ولم يرد أن يتوتر تناقضه في كل كلمة، وإن كان كتابه ردغة رياء!!
 أما الصوفية - وقد فهمت تمامًا أن القول بالوجود المطلق هو عين القول
 بالعدم المطلق - هربت إلى أسطورة أخرى، أو تناقض حاد، ذلك هو زعمها أن
 هذا الوجود المطلق^(١) - أو العماء، أو الأحدية - انتقل من مرتبة الإطلاق إلى
 مرتبة التعين، فكان هو هذه السماء وهذه الأرض، وتلك الكلاب، والخنازير
 والبغايا والمستعمر الخثون، والصهيوني الدنس. ثم لجأت إلى تناقض آخر،
 فزعمت أن هذا الوجود المتعين أو المقيد هو عين الوجود المطلق!!

من ذا الذي أوحى إلى الوجود المطلق أن يتعين؟!

كيف يكون الله سبحانه عين الخنازير والكلاب؟!

هذا هو دين كل صوفي، ولا تسألني: كيف؟ بل سل هؤلاء الذين حادوا الله
 ورسوله، فسووا بين خاتم النبيين، وبين شيخ الشياطين.

وحدة الأديان:

كما مجد الأستاذ «محمود» دعوة الحلاج إلى الإيمان بوحدة الأديان، وكل صوفي
 مُعْتَق الصوفية في دنان الشيطان يدعو إلى الإيمان بهذا، لا الحلاج وحده.

فابن عربي وابن الفارض والجيلي وغيرهم من النابحين بهذا النباح، وأبو
 حامد الغزالي في بعض همساته ووسوساته - وإن كان يحاول أن يضمنح التتن

(١) النابلسي في غلو التجريد، أو في غلو المادية والتجريد، يزعم أن هذا الوجود منزّه حتى
 عن الإطلاق، فهو وجود بلا قيد، أو هو وجود متعين دائمًا، فما مرت على الله لحظة دون
 أن يكون ظاهرًا في صورة من صور الخلق، إذ هو دائمًا ظاهر في المحدثات بذاته.

بعطر من الإيمان -!!.

والذي يثير الدهشة ويعرك أذنيها في قسوة أن الأستاذ «محمود» يرفض مثل هذا الإيمان إن حاولنا أن نغريه به في أمور لا تنتسب إلى الدين، ولا تصل إلى قمته الرفيعة، أو تدنو من أفقه القدسي الوضيء.

أترأه يستطيع أن يؤمن بأن الشيوعية عين الرأسمالية، أو يهمس حتى بهذا بينه وبين نفسه، أو بأن الرومانتيكية عين الكلاسيكية؟ أو بأن الديمقراطية هي الأرستقراطية؟ وأن «ستالين» عين «بلدوين»، وأن «زينون» الرواقي عين «ذي النون» المصري. ولا أظنه يرضى بأن يسوي في المفهوم بينه وبين أبي جهل، ولا بين ابن عربي وبين الشيطان!! وإن كنت أومن بهذه التسوية بين ابن عربي وملهمه الشيطان الرجيم في الفسوق والضلالة، أما في دين الصوفية فهما متساويان؛ لأن كلاً منهما عين الله. غير أنا نقول: إن الصوفية ترتضي التسوية بين أبي بكر وأبي لهب وبين موسى وفرعون، لتنسجم مع دينها في وحدة الوجود، ولكنها تعمد إلى الكفر بهذه الوحدة إن سويتنا نحن بين ابن عربي وأبي جهل.

وإذا كان الأستاذ «محمود» يرفض هذه التسوية التي عرضناها عليه، فكيف إذن يفرض علينا أن نؤمن بأن الإسلام هو عين الصليبية، والصهيونية والمجوسية والصابئية؟

لقد رفض رفضاً مُصرّاً حتى الهلكة أو عليها أن نسوي بين مفهوم «الشيوعية ومفهوم الرأسمالية».

أما في الدين فيطلب منا هو والصوفيون والشيوعيون أن نقدر دعوة الصوفية إلى الإيمان بوحدة الأديان!!.

إن الإيمان بوحدة الأديان هو في الحقيقة إنكار للأديان، وكفر بالأديان، وجحود بالأديان.

الإيمان بوحدة الأديان هو إيمان بأنه لا وجود للأديان، وبألا قيمة للأديان. والدعوة إلى الإيمان بوحدة الأديان غايتها رفض الإسلام والكفر به، والتمرد عليه، والجحود به، وما ابتدع القول بوحدة الأديان في عصر من العصور إلا لهذه الغاية الدنسة.

ترى هل نستطيع إقامة دولة إسلامية على شيوعية ورأسمالية معاً؟

فلماذا يراد منا أن نقيم القلوب على إسلام وجاهلية وصليبية؟

لماذا تريد الصوفية منا أن نؤمن بأن الصليبية حق، وأن الصهيونية حق، وأن المجوسية حق، وأن البوذية حق، وأن البرهمية حق، وأن الإسلام هو عين هذه الأديان الوضعية التي نزت بها نزوات، وفجّرتها شهوات؟ بل أقول: لماذا تريد الصوفية - في الحقيقة - أن نكفر بالإسلام؟ أو أن نؤمن بأنه دين خيالات افترتها خيالات، وبأنه فنون من تهاويل جنون؟

إن الذي يمس قلبه نفحة من إيمان بأن اليهودية مثلاً حق، فإنه يؤكد بهذا أنه يكفر كفرة صريحاً بالإسلام، والصوفية لا تحقد هي والشيوعية على دين كما يحقدان على الإسلام، ولو أن هذه الأمة استبدلت بالإسلام الصليبية مثلاً؛ لأندى هذا من غليل الصوفية والشيوعية، ولخمد أوار حقدهما على أمتنا؛ لأنها صارت غير مسلمة.

إننا في مقاييسنا الحسية الذوقية لا نسوي أبداً بين المرارة والحلاوة، أو بين الخشونة والنعومة، أو بين الحرارة والبرودة!!.

وفي مقاييسنا الخلقية لا نسوي بين الشر والخير، أو بين الرذيلة والفضيلة، أو بين

الكذب والخيانة والصدق والأمانة.

وفي مقاييسنا الفكرية لا نسوي بين النقيضين، أو بين الضدين، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطأ، هل نستطيع أن نحكم على الشيء بأنه موجود وغير موجود في وقت واحد؟ وبالتساوي التام بين مفهوم الوجود ومفهوم العدم؟ وفي مقاييسنا الاقتصادية لا نسوي بين الشيوعية والرأسمالية، بل لا نسوي حتى بين الرأسمالية المستغلة والرأسمالية الوطنية!!.

وفي مقاييسنا الأدبية لا نسوي بين الشعر والنثر، ولا بين أدب الخطابة وأدب الكتابة، ولا بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي، ولا بين شعر شوقي وشعر حافظ. أما في مقاييسنا الدينية، فالصوفية تفرض علينا أن نؤمن بأن الهدى عين الضلال، وبأن الإيمان عين الكفر، وبأن التوحيد الخالص عين الشرك الغليظ، وبأن الإسلام هو الصهيونية، والمجوسية، والصليبية والبوذية هو عين كل هذه المتناقضات من ردغة الضلالات، وحماة الزندقات.

بل أن نؤمن بأنه لا دين اسمه الإسلام، ولا كتاب اسمه القرآن، ولا رب اسمه الله!! إنما الرب هذا الكون بما فيه ومن فيه!!.

وفي هذا تعانق الشيوعية الصوفية، فكلاهما إلبُّ على الإسلام، وما عنيت الشيوعية بالقضاء على دين، كما عنيت بالقضاء على الإسلام، ففي الأديان الوضعية عوامل كفيلة بالقضاء على هذه الأديان، ثم هي تصالح غايات الشيوعية التي تستهدف القضاء على الإسلام.

إن الشيوعية في حربها للأديان الوضعية تعلم أنها تحارب فتنة شيطان وشهوات إنسان، أما في حربها للإسلام، فهي تعلم أنها تحارب هداية القهار الديان، ولهذا تجدُّ

في حربه والكيد له، والالتئام به بكل وسيلة، ولهذا أيضًا منيت بالهزيمة في كثير من المعارك التي خاضتها ضد هذا الدين القويم، وما كان انتصارها في بعض معاركها إلا نتيجة حتمية لسبب واضح، هو أن الذين حاربوها باسم الإسلام لم يكونوا مسلمين، ونحن نشهد في هذه الأيام حفاوة كبيرة من الشيوعية بأفق الصوفية وإفكها؛ لأن الصوفية - كما رأينا - حفية بالقضاء على القرآن، ودين القرآن، وأمة القرآن، والكفر برسول القرآن والرب الذي نزل القرآن!.

إن القرآن يلعن كل هذه الأديان الوضعية التي ابتدعتها ضلالات الذين كدوا في سبيل استعباد البشر لأهوائهم ونزواتهم، وسلوا التاريخ عن افتراء اليهودية أو الصهيونية؟ وسلوه عن الصهيوني الخبيث الذي ابتدع الصليبية، ونحن نرضى جواب التاريخ.

فما للصوفية - والقرآن يلعن كل هذه الأديان - تدعونا إلى الإيمان بها وبقداستها، وبسموها العظيم، وإلى التسوية التامة بينها وبين الإسلام؟ تقترف الصوفية هذا والله يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وبعد التدبر نسأل كيف يكون المرء مسلمًا يهوديًا مشرکًا في وقت واحد!!.

إن الشيوعية والصوفية تؤكدان لنا أن هذا المستحيل الذي يشهد العقل والواقع باستحالته يتجلى كثيرًا في أفق الإمكان الرحيب!!.

قد يكون هذا المستحيل ذا وجود في هوى الشيوعي والصوفي، وتصورهما لمستقبل أمتنا الإسلامية!! ولكن الله غالب على أمره ولو كره المشركون.

أما المسلم فيدين بأن الله سبحانه لم ينزل على البشر ديناً غير دين الإسلام؟
ويؤمن بأن الله قد أرسل بهذا الدين وحده رسوله تترى مبشرين ومنذرين إلى أن
ختم أنبياءه بمحمد ﷺ.

لا دين سوى الإسلام، يؤمن المسلم كما يقرر القرآن بأن نوحاً وإبراهيم
وموسى وداود وسليمان وعيسى كانوا رسلاً من رسل الإسلام.

ويؤمن بأن الله أرسل محمداً بالإسلام كاملاً، وبالنعمة تامة، وبرسالته ختمت
الرسالات، وبنبوته ختمت النبوات، فلا كتاب للإسلام بعد كتابه، ولا نبي
للإسلام بعد نبوته ﷺ، ولا يقر المسلم أبداً بما يهدف به حَرَف الجهاد، ووثنية
الجاهلين بأن هذا الشرق كان مهبط أديان سماوية متعددة، وإنما يقر ويدين بأنه
كان مهبط دين واحد، هو دين الإسلام.

وفي القرآن آيات كثيرات تؤيد هذه الحقيقة التي أفلح المستعمر في أن يجعلها
أمام أعيننا غريبة يحجد بها اللب، أو ضلالة يتمرد عليها القلب، فنعلّم أبناءنا في
المدارس ما يصرفهم عن هذه الحقيقة المشرقة؛ إذ نؤكد لهم في الكتب التي
يدرسونها أن الشرق هو مهبط الأديان السماوية واليهودية والمسيحية والإسلام،
وهكذا نسوي بين ما افترته شهوات البشر، وبين ما نزل رب البشر!!.

وهكذا نؤكد للصهيونية إيماننا بها، وبأن موسى كان صهيونياً - واليهودية
هي الصهيونية - وبأن عيسى كان صليبيّاً، مع قول الله سبحانه عن موسى:
﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُمُ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقوله - جل شأنه - عن حواربي عيسى: ﴿قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا

بِاللّٰهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

غير أن القرآن قد قرر وحدة الدين الذي دعا إليه الرسل جميعاً، قرر أنه كان لكل رسول شرعة ومنهاج، وبراً أنبياء بني إسرائيل من اليهودية والنصرانية، وأثبت لنا أنهم جميعاً كانوا أنبياء الإسلام. تدبر قول الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وقوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلِمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].
 فهل تستنشي من هذا الهدى رياءً اعتراف باليهودية والنصرانية.
 إنك لتبصر لعنة الله ترجم هذه المفتريات السود الأضغان!!.

وترى البرهان المشرق من القرآن؛ بأن الإسلام وحده هو الذي كان يدعو به وإليه، كل رسول ونبي وولي وشهيد وصديق ورباني!!.

وترى القرآن يفرض علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه ما أنزل من يهودية ولا نصرانية، ولا مجوسية، ولا بوذية، ولا برهمية، ولا صابئية ولا غير هذا مما أفك المبطلون!!.

فكيف تفرض علينا الصوفية وأختها الشيوعية أن نسوي بين ما أنزل الرحمن، وبين ما افترى الشيطان؟!

أما من يأتينا بأقوال تثبت غير ما يثبت القرآن، فسنقول له: إننا لن نضرب قول الخالق بقول المخلوق، ولن نبغي على صدق الرب الحكيم بكذب العبد الزنيم، ولن نتجاوب أبدًا مع فرية ملعونة يفتريها ملعون!!
وإليك بعض النصوص من كتب أئمة الصوفية، تشهد لما يثبت من دين الصوفية، ومن شاء سعة بيان فليقرأ كتابي «هذه هي الصوفية، ومصرع التصوف».

يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
ويقول في ص (١٩٥) من الفصوص:

(والعارف المكمل: من رأى كل معبود مجلًى للحق يُعبد فيه؛ لذلك سمّوه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو كوكب، أو ملك).
هكذا يصبوب ابن عربي عبادة الحجر والشجر والحيوان.
هكذا يحكم بربوبية الحجر والشجر والحيوان.
هكذا يحكم بأن الله هو عين الحجر والشجر، والحيوان، والكوكب والملك، والشيطان.

فما رأي عميد كلية أصول الدين في هذا الدين؟

يقول في ديوان شعره:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أني توجّهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ويقول: (فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، وكن في نفسك (هيولي) لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد فالكمل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه). ص (١٩١) وما بعدها فصوص الحكم ط ١٣٠٩.

في شعره الأثيم يعترف كاهن الصوفية الأكبر أنه صليبي وثني يهودي مسلم!! وفي هذا يهزل له عشاق باطله، ولو أنه قال: أنا شيعي رأسمالي لرجموه بكل لعنة!! فشيوعية ماركس ولينين أعز عندهم من دين رب العالمين!! وفي نصه الثاني يحذرنا من أن نتخذ لنا دينًا خاصًا، ونكفر بما سواه مما اتخذ البشر من أديان.

يحذرنا من الإيمان بالإسلام مع كفرنا بتلك الأباطيل التي اتخذت أديانًا من دون الإسلام، فإن هذه الأباطيل، وإن كانت من صنع البشر ووضعهم، إلا أنها أيضًا من صنع الله ووضعها، لأنه عين هؤلاء البشر.

وتأمل حكمه على اليهود بأنهم مصيبون!!.

تأمل حكمه على الصليبيين بأنهم مصيبون!!.

تأمل حكمه بأن الله راض عن الصليبيين!!.

تأمل حكمه بأن الله راض عن الصهيونيين!!.

تأمل حكمه على هؤلاء العدو الألد الخصام بأن لهم عند الله أجرًا عظيمًا!!.

كلهم مؤمنون، كلهم ناجون، كلهم مأجورون!!.

غير أنا نعرض على العقل - إن كان للشيعوية وللصوفية عقل - ما يأتي:
 لقد قال اليهود والصليبيون عن الله ما يأتي: (فاستراح في اليوم السابع من
 جميع عمله الذي عمله). وقالوا: (وسمع وسمعا هوة الرب الإله ماشيًا في الجنة)،
 وقالوا: (فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه)، وقالت:
 (فتنسم الرب رائحة الرضى وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض). وقالوا عن الله
 ويعقوب: (فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه
 لا يقدر عليه ضرب حق فخذه)، والإنسان هنا هو الله الذي زعموا أن يعقوب
 كان يغلبه!!.

وقالوا عن علاقة الله ببني إسرائيل: (وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود
 سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهارًا وليلاً).
 وقالوا أيضًا عن موسى وهرون وناداب وأبيهو^(١) وسبعين من شيوخ
 إسرائيل أنهم: (رأوا إله إسرائيل، وتحت رجله شبه صدفة من العقيق الأزرق
 الشفاف، وكذات السماء، في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل،
 فرأوا الله وأكلوا وشربوا) وقالوا عن موسى أنه قال لله: (ارجع عن حمو غضبك،
 واندم على الشر بشعبك... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه)،
 وقالوا عن الله: (لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك، فلما رأى الله
 أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذي تكلم بصنعه بهم
 فلم يصنعه)، ما هذا الإله الذي يندم، ويصارعه إنسان؟!

(١) ناداب وأبيهو ولدا هرون كما يؤرخ اليهود.

وقالت الصليبية عن الله: (إنه سجن في بطن مريم، وأنه نزل من فرجها، وأنه صلب وأنه قبر، وأنه قام)، وقالت على لسان اليهودي بولس وهو يعلم كراهية إسماعيل عليه السلام وكراهية العرب جميعًا؛ ويدعو إلى عصبية مرذولة: (إنه كان لإبراهيم ابنان: واحد من الجارية، والآخر من الحرة، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد، وأما الذي من الحرة فبالوعد). وكل ذلك رمزًا لأن هاتين هما المهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر؛ لأن هاجر جبل سيناء في العربية، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة، فإنها مستعبدة مع بنيتها، وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعًا فهي حرة. لكن ماذا يقول الكتاب: (أطرد الجارية وابنها؛ لأنه يرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذا أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة). فماذا يقول الأستاذ محمود؟ والدكتور عبد الحلیم، ودين الصليبية يفرض هذه الحمية المقيتة، ويحقر من شأن العرب جميعًا!؟

ورمت اليهودية سليمان بعبادة الأصنام، وبهتت داود بالزنا والقتل الأثيم، ومريم بالخطيئة، ويعقوب بالخيانة، وسفحت دماء الأرامل واليتامى ظلماً وعدواناً، فلها في الحرب شريعة تقول: (حين تقرب من مدينة - لكي تحاربها - استدعها إلى الصلح، وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، وعملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يديك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة كُلْ غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء العرب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك، فلا تستبق منها

نسمةً ما، بل تحرمها تحريمًا الأشوريين والحوثيين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك^(١).

وبهذا الدين خربت اليهود ما خربت، وبغت على من بغت، وعصفت بالأمن والسكينة عصفت الإعصار المدمر بالزهور الباسمة!!.

وظاهرتها الصليبية في عدوانها الأثيم، فهي لا تنقض حرفًا واحدًا من شرعة اليهود، وعاثت في الأرض فسادًا وظلمًا. وعدوانًا، فهل تقول عن هؤلاء إنهم مصيبون؟



(١) تكوين إصحاح رقم (٢)، وإصحاح رقم (٣)، وإصحاح رقم (٦)، وسفر التكوين إصحاح (٣٢)، وسفر الخروج إصحاح (١٣)، إصحاح (٢٤)، (٣٢)، وسفر يونا إصحاح (٣) ورسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح (٤)، وسفر تثنية إصحاح رقم (٢٠).

الشيوعية تعانق الصوفية (٢) (١)

كتب الأستاذ «محمود أمين العالم» في مجلة المصور يدعو إلى أن نجعل من التصوف أساسًا لتجاربنا الإنسانية الجديدة، ومجد فيما مجد دعوة الصوفية إلى الإيمان بوحدة الوجود، ووحدة الأديان، والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل. وقد رددنا عليه في العدد السالف، ونتابع الرد عليه في هذا العدد؛ وقد عرضنا للصهيونية وللصليبية ولما يحكمان به على الله سبحانه، ثم نقول:

أفتقول عن هؤلاء - كما يقول ابن عربي -: (الكل مصيب، وكل مصيب مأجور؟!).

أنحكم على أولئك الذين حادوا الله ورسوله، وبغوا في الأرض بأن الله راض عنهم، وبأنهم أصابوا فيما اقترفوا من جرائم، وبأن لهم عند الله - على بغيهم - أجرًا عظيمًا؟!

ولقد افترى اليهود الكذب، وسفحوا دماء الأطفال، ليمزجوه بفطيرة عيد الفصح، وقتلوا الأنبياء ورجموا المرسلين، وباعوا أعراضهم بثمن بخس، فهل على الله نحكم بأنه المقترف لهذه الجرائم؟

أما المسلم فيقول: تعالى الله عن هذا علوًا كبيرًا، أما الصوفية فيزعم لهم طاغوتهم الأكبر محيي الدين بن عربي في ص (٨٠) من كتابه: فصوص الحكم أن الله سبحانه يوصف بالخصيس الدنيء من تلك الصفات: لأن الله (يظهر بصفات المحدثات

- وأخبر بذلك عن نفسه - وبصفات النقص، وبصفات الذم، ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها - وكلها حق له - كما هي صفات المحدثات حق للحق)، صفات الله من ربوبية وألوهية، وخالقية ورازقية، وقدرة قاهرة، وعلم محيط بما ظهر وما بطن، كل هذه الصفات حق للمخلوق.

وصفات الأرزال الأنذال من كذب ونفاق ورياء، وغدر وخيانة وغيرها من صفات السوء والعار، كلها من صفات الله!!.

وقد أكد ابن عربي في ص (٧٩) من كتابه الفصوص أن الله سبحانه لا تفوته صفة أبدًا سواء أكانت - كما هو نص تعبيره - محمودة عرفًا وعقلًا وشرعًا، أو مذمومة عرفًا وعقلًا وشرعًا، وزاد كفره فحشًا وقحة فعقب على هذا بقوله: (وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة).

هل يرى عقل ما أن هذا أمرًا ممكنًا؟

أوفي الذي يمكن أن يسكن إليه عقل بتصديق ما أن يكون المرء مجوسياً يهودياً صليبيًا مسلمًا في وقت واحد؟! أن يكون في دركات الضلالة، وموبق العصيان، وفوق ذروة الهدى، وفي منجاة الطاعة؟! أن يكون صالحًا في كل شيء، طالحًا في كل شيء؟!!

وإذا كان الله بهذه الصفة الخسيسة - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - فكيف نعبد، أو ماذا تستفيد الإنسانية من عبادته وهو خئون غدور كنود؟ وهل تلهمنا عبادته التطلع إلى المثل العليا، والكفاح في سبيل تحقيق القيم الزاكية؟ وهل تصدق - بعد هذا - أن للأخلاق قيماً وموازنين؟ تصوّر حاكمًا يجمع بين هذه المتناقضات من الأخلاق والصفات: أمانة وخيانة، صدق وكذب، علم وجهل، كرم وبخل، شجاعة وجبانة، قوة وضعف؛ أيمن أن يتصوره الأستاذ محمود؟

فكيف إذن تتصوره الصوفية في الرب المعبود؟!؟

وإليك ما يقوله الصوفي الكبير عبد الكريم الجيلي؛ مفسراً قول الله لموسى عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤]: (يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبداه أهل كل ملة ونحلة في تلك الآلهة كلها إلا أنا؛ ولهذا أثبت لهم لفظة الآلهة، وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية).

لأن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء، وتسميتها بالآلهة تسمية حقيقية. أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر وأن حكم الألوهة فيهم حقيقة، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو. فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤]، أي: (ما ثم من يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا) ص (٦٩) جـ (١) الإنسان الكامل ط ١٢٩٣. وإلى هذا ذهب ابن الفارض في تائيته الكبرى.

فهل يريد منا الأستاذ «محمود» أن نحترم هذا، أو أن نؤمن به، أو أن نجعله لنا في حياتنا مناراً وشعاراً!!.

(الله عين الأشياء! أو: ليس الله غير هذه الأشياء، أو ما لله من وجود غير هذه الأشياء، أو هذه الأشياء هي عين الله).

أي جحود موغل في المادية، مستغرق في العمه والجاهلية؟! ولكنه دين الصوفية!!.

(ما ثم غير هذه الأشياء). وهذه هي دين الشيوعية!.

فانظر، وفكر: هل ترى ثَمَّتَ فرقاً في هذا بين دين الصوفية، ودين الشيوعية،

إن كان يباح لنا أن نقول عن الإلحادية الصماء إنها دين؟

أَوْ يَشْفَعُ للصوفية أنها تحكم على الله بأنه مادة تسلح فوقها الغربان، وتبول الكلاب، ويقيء الخاطئون، ويعربد المستعمرون؟
 أَوْ تنتسبُ الصوفيةُ إلى الإيمان بأنها تحكم على هذه المادة بأنها هي الله؛ أو على الله بأنه هو عين هذه المادة؟!!

إن الكفر الصريح أهون شرًّا من كفر يضمخ نفسه بعطر الإيمان، والذي يقتل وعلى فمه لعنات مدمدمات، خير ممن يفتك وعلى شفثيه بسمات وقبلات.
 الشيوعية تقتل وهي تتوعد، والصوفية تفتك وهي تتودد؛ الشيوعية تقتل بالخنجر، والصوفية تخنق بحبل المسبحة!!

ثم أقول: إذا كان الكفر عين الإيمان، والضلال عين الهدى، فلماذا بُعث النبيون، وأرسل المرسلون، وتقام المساجد، وتشيّد المعاهد، ويجاهد في سبيل المرشد، وتكافح الضلالة والجاهلية؟

وإذا كانت الأديان كلها سواء، فلماذا تحاول الصوفية والشيوعية فتننا عما نؤمن به؟ لماذا تجالّد ناصبةً في سبيل أن نكفر بالقرآن، ورسول القرآن، ومنزل القرآن؟
 رأيتم!! إن الأمر ليس دعوة إلى وحدة الأديان، وإنما الأمر هو القضاء على سيد الأديان!! القضاء على الإسلام، هذا وحده هو الهدف!!

الحلول:

ومما يمجدّه الأستاذ «محمود أمين العالم» من زندقة الحلاج ما افتراه من حلول الله في الكائنات.

هذا الكون في دين الحلاج الخبيث خالق مخلوق، أو إلهٌ مألوه، أو ربٌ مربوب!!
 وهذا الإنسان باطن وظاهر. باطنه لاهوت، أو الرحمن، وظاهره ناسوت، أو

الإنسان!!

حتى هذا الأفن من ضلالات الزندقات، حتى هذه الأسطورة المأفونة التي لا
يحنو عليها إلا مدّخول، أو ملعون.

إنها ليست من ابتداع الحلاج!.

إنه سارق كفرٍ، ومختلس ضلالة!!.

إنه ليس بين الكفرة سوى مقلد سوء، ويد قدرة سُخرت، لتقترن الجريمة ضد
الدين الذي آواه وآسأه برحمته، وتركه يعيش بلا خوف ولا قلق في مجتمعه
الرحيب الفسيح الرحيم، فأبى إلا أن يعمل في سبيل أن يبيع الدولة للقرامطة!!.
إن كفره «الحلول» دين قديم، أو لعنة دانت بها الوثنية الهندية والفرعونية
واليونانية، ومنه استمدت الصليبية عقيدتها!.

وقد نجم الحلاج كالشيطان؛ ليفسد على الإسلام أمته ودولته ناعقاً بهذا
الكفر القديم، ووراءه المؤتمرون الكائدون للإسلام في سحر البيان، ومكر
الشيطان، يبشرون بالحلولية الحلاجية زاعمين أنها أقدس روحانية، بها وحدها
كان الإسلام خير دين، وأكمل دعوة!.

ولنصغ إلى نعيقه، وثمت لن نميز بينه وبين صهيونية «فيلون»، وصليبية
«أفلوطين»!.

(سبحان من أظهر ناسوته

سِرَّ سنا لا هوتَه الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا

في صورة الأكل والشارب

حتى لقد عاينه خَلْقُه

كلحظة الحاجبِ بالحاجبِ)

إنه حين يزمزم بهذه اللعنة في خرف الذي عربد بخمرة قدرة مع أوشاب ليلة نجسة!! إنه بها يذكرنا بعراييد الفتنة من قبله، ولا سيما بأولئك الذين اختلقوا الصليبية؛ فمنهم سرق الحلاج ألفاظه ومعانيه، غير أن الصليبية لم تأخذ مأخذه، ولم تبعد في الضلالة إبعاده؛ لأنها دانت بحلول الله في نبي، أما القرمطي الشعبي الحلاج فقد زعم أن الله يحل في النبي وفي البغي، وفي العبقري والغبي، وفي الصالح والطالح، وفي الطاهر والداعر، وفي المؤمن والكافر.

وأنه حل في الصنم «يغوث» بالمقدار الذي حل به في نوح، وحل في «آزر» كما حل في الخليل إبراهيم، وحل في فرعون حلوه في موسى، وحل في «قيافا» حلوه في عيسى، وحل في أبي لهب حلوه في خاتم النبيين. تُرى أيقول الصوفية أنه حل في «راسبوتين» كما حل في «محيي الدين»؟!!

ولئن استفتينا «محيي الدين بن عربي» في هذا فإننا سنجد من دينه أن ربوبية فرعون كانت أتم وأكمل من ربوبية موسى، وقرأوا «الفصوص»، ففيها الكثير من النصوص!!.

فهل يريد منا الأستاذ «محمود أمين العالم» أن نطوي عقيدتنا على هذا الدّخل اللعين؟ وهل يهدي الإيمان بهذه الحلولية إلى خير؟

إذن فليؤمن بأن طغاة الرأسمالية عين بغاة الشيوعية.

وإذا كان الأمر كما يزعم، وتزعم الصوفية التي تمده اليوم بما يريد من تراث يناهض الإسلام، فلماذا يلعن الاستعمار، ويرجم الصهيونية والصليبية؟.

لماذا نجالد الاستعمار في الجنوب المحتل، ونناضل في سبيل تطهير الأرض

المقدسة من رجس الآبقين؟

لماذا نحارب الجريمة، ونلعن الرذيلة، ونسعى إلى تحقيق أقدس القيم؟ أليس المستعمرون - في دين الحلاج وأذنبه وأوشابه - هم الناسوت الذي فيه حل اللاهوت؟ فكيف نعدو على الألوهية بعدوان، أو نبغي على الربوبية ببغي؟ لا يا أستاذ!! واسمعها صاخة تُدَوِّي بها كل حاضرة وبادية، ومفازة ومنجاة: إن دعوة الحلول ووحدانية الوجود والأديان، تجعل ممن يدينون بها ظهورًا معبدة للخيانة الآثمة، وأيديًا تصنع الجريمة، وألسنة تلوك الكلمة الخائنة الكافرة، وأقدامًا باغية تنتهك أطهر الحرم!!.

تجعل منهم خونة مارقين يجب أن يرحمهم باللعنة كل مؤمن، بل كل إنسان. كل إنسان له شرف كرامة، أو شرف وطن، أو شرف آدمية، وله لمحة من عقل، ونعمة من دين؛ وليدرس الأستاذ «محمود أمين العالم» هذه الأساطير دراسة جادة تستهدف الوصول إلى الحقيقة، ولعله يجد فيما أقول صوابًا!!.

إننا حين ننظر إلى ما بين أيدينا وما خلفنا، وما حولنا من الأشياء بهذه النظرة الحلاجية، إننا إن فعلنا هذا تردينا في متناقضات ليس لهوة منها قرار.

إننا سنشعر نحو كل شيء بما يشعر به العبد نحو الرب، سنرمقه خاشعين وكأنها عليه جلال الربوبية والألوهية، سنحبس ألسنتنا على الصلاة بين يديه، وقلوبنا على الضراعة له، والرجاء فيه.

بالنظرة الحلاجية سيرى كل امرئ في نفسه إلهًا يجب أن يخشع له الكون ويهطع، ويعنو ويخضع، سيدعو الناس إلى تقديس ما يقترب من جريمة، واحترام ما يعربد به من خطيئة؛ لأنه يصدر في كل عمل يأتي به، أو قول يردده عن ربوبية قاهرة تحيط بالكائنات علمًا وقدرة، وتدبيرًا وحكمة!!.

فهل يُصلح العالم أن يزعم كل من فيه أنه وحده الإله؟

وهل يسمو بكرامة الإنسانية أن تقدس جيفة وتعبد رمة، وتأتّم بخنزير؟

وهل يصدقها الأستاذ «محمود» إذا نبّح بها استعماري؟

وهل يرمق بهذه النظرة «ابن جوريون»؟

إني لأرجو الأستاذ «محمود» أن يتصور - والمستحيل قد يتصور - لهذه الحلولية تطبيقًا، ثم أرجوه أن يصور لي حال العالم عند هذا التطبيق إذا زعمنا أن الإمكان يجد له قيد أنملة!!.

الحقيقة المحمدية:

ويشيد الأستاذ «العالم» بالأساطير التي نسجتها عناكب الصوفية حول ما يسمي: بالحقيقة المحمدية، فما الحقيقة المحمدية عند الصوفية؟

يرى كهنة الصوفية أن الله سبحانه كان وجودًا مطلقًا، لا يعرف، ولا يسمي، ولا يوصف، ثم أراد هذا الوجود أن يكون له اسم، وأن تكون له صفة، وأن يعرف نفسه، فتعين، فكان أول تعين له هو «الحقيقة المحمدية»، وعن هذه تشعبت مظاهر الوجود، وتكاثرت تعييناته، فكانت السماء والأرض، وكان الإنسان والحيوان، والنبات والجماد، والبر والبحر، والسهل والجبل، وإليك بعض ما عرف به الصوفية الحقيقة المحمدية: (هي الذات مع التعين الأول، وهي الله الأعظم)، (صور الحق هو محمد لتحقيقه بالحقيقة الأحدية والواحدية).

فالحقيقة المحمدية - أو حقيقة محمد - هي ذات الله، واسمها الأعظم، والحقيقة المحمدية هي الأحدية، وهي الواحدية.

ولا أقول عن هذه الحقيقة: صلى عليه الله وسلم؛ لأنها ليست حقيقة محمد ﷺ،

وإنما هي خسارة ضلالة، وعار جهالة، وبوار شهوة آبهة!!.

ولنأت بما عرف به الصوفية هذه الثلاثة: «الاسم الأعظم، الأحدية، الواحدية»؛
لنعرف حقيقة دينهم في الحقيقة المحمدية.

الاسم الأعظم هو عند الصوفية: (الجامع لجميع الأسماء، وهو اسم الذات الإلهية من حيث هي هي - أي المطلقة).

والأحدية هي: (مجلّى الذات الإلهية ليس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبار الحقية والخلقية).

والواحدية هي: (مجلّى ظهور الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات)^(١). الأحدية هي الوجود الإلهي المطلق قبل أن يتعين في شيء أو قبل أن يسمى، وأن يوصف.

والواحدية هي مرتبة الوجود الإلهي بعد أن صارت له صفة.

الاسم الأعظم هو اسم الحقيقة الإلهية في تعيينها الأول ومحمد هو الأحدية والواحدية والاسم الأعظم!!.

محمد الصوفية هو الله في وجوده المطلق، ووجوده المقيد والمعين.

محمد ما هو ذات الله وأسماءه وصفاته!!.

محمد ما هو ظاهر الله وباطنه!!

محمد ما هو هذا الوجود العيني المتجسد في هذا وذاك من الأشياء ذات الكيان

المادي البحث!!

وانظر هذه القضايا الصوفية التي يراها الصوفية قضية واحدة صادقة كل

(١) (جامع الأصول في الأولياء) تحت هذه المواد و(ج١/ ص٣٠) من الإنسان الكامل للجيلي.

الصدق: الله هو محمد!! ومحمد هو الله، فالموضوع عين المحمول!! وتأمل هذه القياسات الصوفية التي تنتهي بنتيجة واحدة لا يرتاب فيها صوفي!!

الله هو محمد، ومحمد هو الكون!!

محمد هو الله، والله هو الكون!!

الله هو الكون، والكون هو محمد.

والنتائج التي هي في حقيقتها نتيجة واحدة يؤمن بها كل صوفي، ويراهها معراجها، وإليك هذه النتائج: الله هو الكون، ومحمد هو الكون، والكون هو الله، والله هو محمد!!

ومن الكائنات الأوثان، والخنازير، والكلاب المسعورة!! فهل يصدق عقل أن الأوثان الصماء تلهم الحكمة والنبوة؟

وهل يصدق عقل أن الخنزير ينشر عبير القداسة؟

وهل يصدق عقل أن الضبع المنتنة تبث روحانية الإيمان؟!

أليس الخنزير خلقاً؟ أليس الضبع هي الذات والاسم والصفة؟!

تعالى الله عما يفترى الظالمون علواً كبيراً!!

اعتقد يا أستاذ ما شئت، ولكن برك بهذه الأمة التي تنتسب إليها. وترفل في سماحتها يفرض عليك ألا تحمل الناس على ما تعتقد، فلهذه الأمة كتابها الذي يهدي للتي هي أقوم!!

خاتم النبيين ﷺ في القرآن:

تدبر هذه الآيات المحكمات: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ [فصلت: ٦]، وقيلت هكذا مرتين في القرآن، ثم تدبر أيضاً: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا

مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴿٩﴾ [الأحقاف: ٩]، أفهذه ربوبية خالقة قاهرة لها الغنى المطلق، وألوهية معبودة تمد بالوحي الرسل؟ إنها بشرية مثل بشريتنا تستمد من الله القوة والحياة، ولكنها تمتاز بأنها من مشارق وحي الله!! فلنتل قول الله محبتين: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].



الشيوعية تعانق الصوفية (٣) (١)

الإنسان الكامل:

ومما مجده الأستاذ «محمود» هو ما يعرف عند الصوفية بالإنسان الكامل. وكلنا يتمنى أن يكون إنساناً كاملاً.

غير أن الإنسان الكامل في دين الصوفية ليس هو الإنسان الكامل في دين الحق، كما أنه لا يتسبب بشيء من مفهومه إلى عقل أو عرف أو لغة.

الإنسان الكامل في دين الصوفية هو الله سبحانه. ولقد مر بك قول ابن عربي في ص (١١١) من «فصوصه» عن الله أنه «الإنسان الكبير». ومن أجل هذه الأسطورة الخرقاء ألف عبد الكريم الجيلي كتابه الكبير «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل».

وإليك بعض قوله فيه: (اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كائنات)، ثم يقول: (اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي؛ فإنه المعبر عن حقيقة بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرأة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا

يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله، فهو مرآته. والإنسان الكامل أيضًا مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه ألا تُرى أسماؤه وصفاته إلا في الإنسان الكامل، ثم يتحدث عن محمد ﷺ، وهو عندهم الحقيقة المحمدية أو الله سبحانه في صورة بشرية؛ أو الإنسان الكامل الذي هو أعظم تجسد للحقيقة الإلهية:

شَمْسٌ عَلَى قُطْبِ الْكَمَالِ مُضِيئَةٌ	بَدْرٌ عَلَى فَلَكَ الْعِلَاسِ سَيَرَانُهُ
أَوْجُ التَّعَاضُظِ مَرْكَزُ الْعِزِّ الَّذِي	لِرَحَى الْعِلَامِ مِنْ حَوْلِهِ دَوْرَانُهُ
مَلِكٌ وَفَوْقَ الْحُضْرَةِ الْعَلِيَا عَلَى الْـ	عَرْشِ الْمَكِينِ مُثَبَّتٌ إِمْكَانُهُ
لَيْسَ الْوُجُودُ بِأَسْرَهُ إِنْ حَقُّوا	إِلَّا حُبَابًا طَفَحَتْهُ دَنَانُهُ
الْكُلِّ فِيهِ، وَمِنْهُ كَانَ، وَعِنْدَهُ	تَفْنَى الدَّهْوَرِ، وَلَمْ تَزَلْ أَزْمَانُهُ
فَالْخَلْقُ تَحْتَ سَمَاءِ عِلَاحِهِ كَخَرْدَلِ	وَالْأَمْرُ يَبْرِمُهُ هُنَاكَ لِسَانُهُ
وَالْكُونُ أَجْمَعُهُ لَدَيْهِ كَخَاتَمِ	فِي أَصْبَعٍ مِنْهُ أَجَلُ أَكْوَانِهِ
وَالْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ فِي تِيَارِهِ	كَالْقَطْرِ بَلْ مِنْ فَوْقِ ذَاكَ مَكَانُهُ
وَتَطِيعُهُ الْأَمْلاكُ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ	وَاللُّوْحُ يُنْفِذُ مَا قَضَاهُ بَنَانُهُ ^(١)

كما يقول وهو يتحدث عن الأحدية: (الأحدية عبارة عن مجلي الذات ليس للأسماء ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتباراتك، وأخذت بك فيك عن ظواهرك، فكنت أنت في أنت من غير أن ينسب إليك شيء مما تستحقه من

الأوصاف الحقية، أو هو لك من النعوت الخَلْقِيَّة، فهذه الحالة من الإنسان، أتم مظهرًا للأحادية في الأكوان.. وهو أول تنزُّلات الذات من ظلمة العماء إلى نور المجالي، فأعلى تجلياتها هو هذا التجلي لتمحُّضها وتنزهها عن الأوصاف والأسماء والإشارات والنسب والاعتبارات جميعًا^(١).

خلاصة دينه هذا أن الله سبحانه يتجلى في صورة الإنسان الكامل. أو أن الإنسان الكامل هو مجلَّى الحقيقة الإلهية، وأن هذا الإنسان الكامل قد يكون مسلمًا، وقد يكون صليبيًا!! قد يكون شيخًا يصلي في مسجد، وقد يكون بطريقًا يترنم في معبد!!

وكل ما قاله الجيلي بعد ذلك توكيد لما يدين به من أن كل إنسان هو الله ذاتًا ووجودًا وصفة واسمًا!! هو الوجود المطلق والمقيَّد!!

بل ليؤكد أنه ليس لله وجود غير وجود الإنسان، حتى وهو في مرتبة الأحادية التي كان الله فيها - كما يزعم الصوفيون - وجودًا مطلقًا ليس له تعيَّن، ولا اسم، ولا صفة!!

في هذه المرتبة كان الله هو الإنسان، وكان الإنسان هو الله. فما الفرق في هذا بين الشيوعية والصوفية؟ إنه الفرق بين الجحود يتسم بالصراحة والجحود يتسم بالوقاحة، الشيوعية جحود صريح، والصوفية جحود منافق.

فالشيوعية لا تعترف بغير الإنسان والطبيعة، وكذلك الصوفية كما ترى. غير أن الصوفية زادت الجحود حقًا على الله، وكرامية له، فقالت عن الإنسان: إنه

هو الله، أما الشيوعية فلم تقلها!!

ولنأت بمثل قد يصلح لبيان الفرق بين الجحود الشيوعي والجحود الصوفي:
إذا بغى 'رأسمالي' طاغية، أو استعماري داهية، فإن الشيوعية تلعنهما، أما
الصوفية، فتترضى عنهما قائلة في تسبيح وتقديس: سبحان الله!! لماذا؟
لأنهما هما الله - سبحانه - يظهر في هاتين الصورتين.

فابن عربي يقول مثلاً عن الله: (سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها)
(ص ٦٠٤ / ج ٢) «الفتوحات المكية لابن عربي»، ويقول عن الله أيضاً كما سبق:
(فما يُحدُّ شيء إلا وهو حدُّ الحق، فهو الساري في مُسمّى المخلوقات والمبدعات،
فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم
المدير له، فهو الإنسان الكبير) ص (١١١) «فصوص» ط الحلبي.
والحد هو التعريف التام، فإذا عرّفت الجهاد كان هذا التعريف تعريفاً لله؛ لأنه
عين هذا الجهاد.

و«الجليلي» يزعم أن الله عين الأوثان، وأن عبدة الأوثان ما عبدوا غير الله، فهو
يقول: (من عبد منهم الوثن، فليس وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج^(١))

(١) الحلول يقتضي الثنائية، والمزج يقتضي التعدد، فالحلول يقتضي وجود حال ومحل. والمزج
يقتضي وجود شيئين على الأقل، ولهذا يكفر الجليلي بالحلول؛ لأنه يؤمن بالوحدة التامة
المطلقة بين الخلق والخالق، وكل صوفي يؤمن بوحدة الوجود يكفر بالحلول؛ لأنه يؤمن
بأن الله عين كل شيء؛ ولهذا زعم ابن الفارض في «تائيته الكبرى» أنه ينزه عقيدته عن
دعوى الحلول، وذهب المدلسون الخداعون يستغلون هذه، زاعمين بها أن ابن الفارض

في كل فرد من أفراد ذرات الوجود، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها). (ص ٨٢ / ج ٢) الإنسان الكامل.

ويقول: وهو يشرح لا إله إلا الله: (اعلم أنه لما كان الوجود منقسمًا بين خلق حكمه السلب والانعدام والفناء، وحق^(١) حكمه الإيجاد والوجود والبقاء، كانت كلمة الشهادة مبنية على سلب وهي: لا، وإيجاب وهي: إلا، معناه: لا وجود لشيء إلا الله؛ ولفظ إله في قوله: لا إله، يراد به تلك الأوثان التي يعبدونها، سماها الله تعالى إلهًا كما سموها موافقة لهم لسر وجوده في أعيانها، فهي بوجوده آلهة حقًا. فكل معبود منها بظهور الحق في عينه إله، لأنه تعالى عينها، وهو الله حيثما ظهر مستحق الألوهية، ثم أفرد الجميع في الاستثناء بقوله: إلا الله يعني ليست تلك الآلهة إلا الله، فلا تعبدوا إلا الله على الإطلاق من غير تقييد بجهة، فإنه كل الجهات، فما في الوجود شيء إلا الله تعالى، فهو عين جميع الموجودات) (ص ٨٩ ج ١) الإنسان الكامل.

فما رأي الأستاذ «محمود» في هذا؟.

كان مؤمنًا منزهاً، على حين يقول عن الذات الإلهية: (وما زلت إياها، وإياي لم تزل)، فأنيانه بالوحدة التامة بينه وبين الله جعله ينفي الحلول عن نفسه؛ لأن الحلول - كما بينت - يستلزم الثنائية والغيرية.

(١) الحق يقابل الخلق مقابلة لفظية فقط عند الصوفية، لأنها في الحقيقة شيء واحد، أو هما وجهان لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية؛ إذ يقول الصوفية عن الله قبل ظهوره في صورة الخلق إنه حق، ويقولون عنه بعد هذا الظهور: إنه خلق، فالحق باطنه، والخلق ظاهره!!.

وهل سيظل مصرّاً على قوله:

(إن التصوف الإسلامي يمكن أن يصلح غذاءً طيباً لتجاربنا الإنسانية الجديدة
لو أحسنا دراسته دراسة وجدانية وفلسفية واجتماعية معاً)، تلك هي عقيدة الصوفية
في الألوهية، فهل تصلح هذه العقيدة (يا أستاذ محمود) لقيادة ثورتنا؟

وهل يمكن أن نبني على هذه العقيدة حضارتنا وأمجادنا، وهل تستطيع هذه
العقيدة الخئون أن تمد حياتنا بالقيم الزاكية والمثل الساميين؟

ماذا لو وقفت أدعو إلى عبادة أبي الهول والعجل؟!

ماذا لو وقفت أدعو إلى تقديس «ستالين» و «غلاستون» معاً؟!

ماذا لو وقفت أقول: إن الشيوعي رأسمالي، والرأسمالي الطاغية هو اشتراكي
نبيل، والصليبي مسلم، والمسلم يهودي؟!

ماذا لو وقفت بين الناس أدعو إلى تمجيد الديمقراطية والأرستقراطية
والبيروقراطية والشيوعية والرأسمالية؟!

ماذا لو وقفت أقدم الكفر والإيمان والضلال والهدى، والباطل والحق، والخطأ
والصواب؟!

ماذا لو وقفت أقول للناس. آمنوا بالله، واكفروا بالله؟!

ماذا لو وقفت بين يتامى فلسطين أقدم لهم ذكرى «بلفور» اللعين، وأدعوهم
إلى تقديس ذكره؟!

إن الصوفية «يا أستاذ محمود» تزعم لي أنني إن فعلت هذا أثبت أنني على بصيرة
وعلى إيمان وبيئة!!

وإن كنت في ريب «يا أستاذ محمود» فاقراً ما قدمت من نصوص.

فهل تريد أن نبني تجاربنا الإنسانية الجديدة على هذا الأساس؟
 قد نجد من يمجّد دعوى أن الصليبي مسلم، وأن اليهودي مسلم.
 ولكننا لن نجد أبدًا من هؤلاء من يرضى بأن نجعل من «بلدوين» نداءً للنين!!
 ثم هل نسي الأستاذ «محمود» أن الصوفية تسخر أعناق الملايين لشهوة
 طاغوت واحد، له وحده حق التصرف في دينهم وديناهم. ولقد حاربنا الإقطاع
 لنحرر اللقمة، فنحرر الكلمة، وفي الصوفية «واحد» فقط هو الذي له حق
 الكلام، وما على الألف من «ال دراويش» إلا أن يرددوا ما قاله الشيخ، إنهم
 مسخرون مستعبدون مهطعون مستدلون لهوى الشيخ وشهوته وعبادة كلمته،
 أفصلح هؤلاء الأهماج، ليكونوا جنود ثورة، وحماة أمة، وقادة أجيال؟!
 إن ما يثير دهشتنا أحيانًا أن نرى من المستشرقين والكتاب قومًا يحاربون
 الدين، ويحتقرون الدين، ويسخرون ممن له دين، ويدينون أن الإسلام أخطر
 «أفيون» قضى على قوة الشعوب، نرى هؤلاء يتصدون للدفاع عن التصوف في
 حماس بالغ، ويمجدونه ويضيفون إليه عمدًا كلمة «إسلامي»، ليشعروا المفاليك
 أنهم يكتبون عن الإسلام، فيميلون إليهم بقلوبهم وآذانهم، وليشعروهم أن هذا
 هو الإسلام، والألف الألف ممن ينتسبون إلى الإسلام جغرافيًا ظنُّ يقدر أن
 التصوف يمثل الحقيقة المقدسة في الإسلام، وبهذا الظن سَهِّل على المقنَّعين أن
 يقودوا الملايين إلى ما يبيتون من شر خطير بغية القضاء على الإسلام والمسلمين.
 ومن يستقرئ تاريخ الكيد لهذا الدين الحق يتجلى له أن زعماء هذا الكيد قد ادرعوا
 بالصوفية دائمًا لضرب الإسلام، وللقضاء على قيم هذه الأمة ومقوماتها. وحسبنا
 الحلاج وابن عربي والسهرووردي المقتول والمقنع الخراساني والشلمغاني والفاطمية!!

إن الصوفية - كما يثبت تراثها وتاريخها - ألعن خدعة ماكرة جازت على المسلمين، فظنوها معين الروحانية العليا في الإسلام التي تجعل من الإنسانية رباناً أو ربّاً! وهي عدو الإسلام الألد الخصام الخئون الغدر.

سلوا إفريقية تخبركم أن عدة الاستعمار في استعبادها كانت هي الصوفية.

وسلوا الفارين من الشيوعية فعندهم الخبر اليقين!!.

وسلوا الباطنية قديماً، والبهائية حديثاً!!.

ثم ليعذرني الأستاذ «محمود» إذا انصرفت عنه إلى عميد كلية أصول الدين - رغم أنه كان أستاذاً لي في تخصص التدريس - الدكتور عبد الحليم محمود لأقول له مرة أخرى: ما رأيك يا عميد كلية أصول الدين في هذا الدين؟

ما رأيك في قول ابن عربي عن الله إنه عين الأشياء؟

وما رأيك في قول الجيلي عن الله إنه عين جميع الموجودات؟

أو بعد هذا يظل الدكتور مصرّاً على زعمه أن الصوفية تقول بوحدة الوجود لا بوحدة الموجود ظاناً أن هناك فرقاً بين الكافرين؟ وها هي ذي تقول في وضوح وصراحة عن الله: إنه عين الأشياء وعين كل الموجودات؟

هذا والقول بوحدة الوجود هو عين القول بوحدة الموجود، والتفرقة بينهما وهم طاف بخيال العميد الكبير خيل إليه به أنه أنقذ الصوفية من الكفر الوثني الغليظ!!

فبالوجود يتقوم ويتكون الموجود، ولهذا ينتج من الإيمان بوحدة الوجود، الإيمان بوحدة الموجود، وقد رفض التراث الصوفي أن يعترف بما قال الدكتور باللازم والملزوم معاً في كل نصوصه!! وقرر أن الله هو عين الوجود وعين كل موجود.

وإلا فليأتنا العميد الكبير بنص واحد ينفي عن الصوفية ما دمغناهم به.

ثم بودي أن يدلنا الأستاذ «محمود» والأستاذ الدكتور العميد، وكل عاشق للشيعوية أو الصوفية على بطولة إسلامية كانت للحلاج ولابن عربي ولابن الفارض وللسهروردي، لقد حاول الأول تقويض أركان الدولة، وقد كان شعوبياً حقوداً وزرادشتياً جحوداً لم يقدم للإسلام ودولته سوى كفر هو مزيج من زرادشتية وصليبية. أما ابن عربي فقد عاصر هو وابن الفارض بعض الحروب الصليبية، فما قدما لله شيئاً، وكيف وهما يحملان الصليب، ويقصدان الصليب، والصليبية لم تخطئ في دين ابن عربي إلا في أنها حكمت بربوبية عيسى وحده؛ إذ كان الواجب أن تحكم بربوبية كل شيء، وأن تعبد كل شيء؛ لأن الله عين كل شيء.

أما السهروردي فمجبوس قرمطي نجم كالشيطان في حلب - وكان يحكمها الملك الظاهر بالنيابة عن أخيه صلاح الدين ليحرم - أي السهروردي - صلاح الدين من ثمرة انتصاره على الصليبية والمجوسية الفاطمية، وليجعل من الدولة العظيمة في أوج انتصارها مغدًى ومرآحاً لعلوج فارس، وزنادقة الفاطمية، وليحل الغنوصية محل الإسلام، وكانت غنوصيته أمشاجاً من الأفلاطونية المحدثثة في الفيثاغورية الجديدة، وقد تردد ما قاله على ألسنة صوفية النصاري والفلاسفة من قبل، ولهذا لم يتردد صلاح الدين في قتل هذا الملحد في سنة ١١٩١ م. وإلا فلیدلنا صوفي على غير هذا.

فهل يريد الأستاذ «محمود» أن نتخذ من هؤلاء لنا أسوة وقودة.

وبعد هذا اليعموم الخائق نذكر بهذه الكلمات الروائع التي فجرها قائد هذه الأمة، «جمال عبد الناصر» نوراً يبده هذه الظلمات:

(لقد استطاع الرسول الكريم أن يجعل دعوته مثلاً لكل الدعوات، ومنازاً لمن

أتى بعده من المصلحين؛ فقد كان خاتم الأنبياء، وآخر الموحى إليهم من المرسلين، فجعل من حياته دستورًا للحاكمين، ومن سيرته شاخصًا يهتدي به الأحياء على مر الأجيال والأعوام.

إن في الدعوة الإسلامية دروسًا وعبرًا، فلم لا نتخذ منها واعظًا ومرشدًا؟ لم يشق بعضنا عصا الطاعة على بعض؟ ولم نفرق في سياستنا وأهدافنا ومثلنا؟ لم لا نهتدي بهدى الإسلام عندما نضل الطريق أو تشبه علينا الأعلام؟ أيها العرب، أيها المسلمون، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، بأن تكونوا يداً على من عاداكم، مسالين لمن سالمكم، ولا تتفرقوا ولا تهنوا فأنتم الأعلون). ويقول الرئيس جمال عبد الناصر في تقديم كتاب العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد سنة ١٩٥٤:

(ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم، نشهد الصراع الذي يدور بين هذه المذاهب المادية والمبتدعة، ونرقب المعارك الناشبة بين بعض الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب، فنعجب أشد العجب؛ لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوروبا منذ قرنين أو منذ قرون، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة.

منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله ﷺ يدعو إلى الأخوة الإنسانية، ويفضّل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم، والتكافل الأخوي، والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة، من غير طغيان على حرية الفرد، ولا إذلال له ولا إنكار لذاتيته.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴿[النحل: ٩٠].

فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع...
إن عندنا الحل..

الحل الأول الذي نزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة... هو الحل الأخير لمشكلة «الإنسانية»، وهذه كلمة حق يؤمن بها المسلمون).
وقال في عدد خاص من مجلة المصور عن العالم الإسلامي، وهو يتحدث عن أهداف الثورة المصرية:

(فعلينا نحن المسلمين أن نعتبر بإحساننا، وأن نتعظ بغيرنا، وأن ننتفع في نهضاتنا الجديدة بما سلف من تجارب ودروس، وأن نضاعف جهودنا في هذا العصر الذي يفرض علينا واجبات خطيرة؛ فقد أخذت الدول تتسابق نحو القوة ونحو الرقي، وتعمل لخير شعوبها معتمدة على العلم الحديث والتربية المتينة الصالحة، فلنأخذ طريقنا نحو مستقبل مجيد يقوم على العلم والأخلاق، وعلى الإخلاص، وصدق العزائم، والله مع العاملين المخلصين).

ومما قاله في سنة ١٩٥٤: (فليعرف من شاء ومن لم يشأ أن كل بلاد تنطق بالعربية بلادنا، ولا بد أن تتحرر بلادنا، وليعرف من شاء ومن لم يشأ أن المسلمين في شتى بقاع الأرض إخوة، ولا بد أن يتعاون الإخوة في البأساء والشدة).

ومما ورد في الميثاق عن الإيمان بالرسالة:

(إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التي بعثها بالحق والهدى إلى الإنسان في كل زمان ومكان).

وعن ربط حاضر الأمة بماضيها المجيد، وتذكيرها بتاريخها العظيم وكان
الفتح الإسلامي ضوءاً أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها.
وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحي.

وفي إطار التاريخ الإسلامي... وعلى هدى من رسالة محمد ﷺ... قام الشعب
المصري بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة والإنسانية؟ وعن القيم الروحية الدينية.
(إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان، وعلى إضاءة
حياته بنور الإيمان، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة).
إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف
الإنسان وسعادته، وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين
بجوهر رسالته.

إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة، وإنما ينتج التصادم في
بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقة
التقدم، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية.
فماذا يقول الشيوعيون؟

وجاء في التقرير الذي وصفته لجنة الميثاق:

(تمكنت الأمة العربية، بعد انتشار الإسلام، وبقوة الإيمان من أن تصل إلى
الذروة على هدى من رسالته ومبادئه، وقد أبرز الميثاق صورة من هذا الماضي،
لتكون نبراساً للعمل في الحاضر والمستقبل، وصورة للقيم الخالدة التي يقوم عليها
مجتمعنا الجديد). فقال: (وفي إطار التاريخ الإسلامي، وعلى هدى رسالة محمد ﷺ،
قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة والإنسانية).

(إن الإسلام يعني عناية كبيرة بتنظيم طريق الإنسان في الحياة الدنيا إلى جانب عنايته بتنظيم صلة الإنسان بخالقه وطريقه للحياة الآخرة).

(يجب علينا في مجتمعنا الجديد أن نعنى بكشف حقيقة الدين، وتجليه جوهر رسالته، لكي تكون قيمته الروحية الخالدة أساساً لقيم المجتمع الجديد، ولكي تكون الشريعة الغراء مصدراً أساسياً للتقنين، ولتتم المساواة بين المرأة والرجل في إطار الشريعة الإسلامية).

لو آمن كل مسلم بما ورد في هذا القول الرصين الرائع المحكم، لعاد لهذه الأمة مجدها ولتحقق لها وعد الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

هذا وعد الله، ووعد الله لا يمكن أن يتخلف؛ لأنه وعد القادر الذي بيده ملكوت كل شيء.

كما يطيب لنا أن نذكر أولئك الذين يظنون أن للشيوعية مستقبلاً في مصر، بما قاله قائد هذه الأمة في صراحته المشرقة في اجتماعه بالهيئة البرلمانية في يوم ٢٥ / ٢ / ١٩٦٥، وعن جريدة الأهرام ننشر أقوال الرئيس، ففيها القول الفصل، وفيها وعيد شديد، وتحذير حازم لمن يريدون صرف هذه الأمة عن دينها الرشيد القويم.

تقول الأهرام تحت عنوان: «خلافاتنا مع الشيوعية»:

قال الرئيس جمال عبد الناصر: (إننا نختلف في كثير من المسائل مع الشيوعية، وخلافاتنا هي خلافات جذرية، نحن نؤمن بالدين أولاً، ونحن نرفض ديكتاتورية أي طبقة من الطبقات، ونحن نتطلع إلى الوحدة القومية، ونحن لا

نصفي بالعنف أي طبقة، ولكن نصفي امتيازات الطبقة).

وتحت عنوان: «عن الشيوعية مرة أخرى» قالت الأهرام:

ثم انتقل الرئيس جمال عبد الناصر إلى عدد من القضايا الداخلية الهامة، وكانت بينها ما أشارت إليه بعض الأسئلة عن الشيوعيين الذين خرجوا من المعتقلات في العام الماضي، وقال الرئيس جمال عبد الناصر:

لقد كان ضروريًا قبل إصدار الدستور أن لا يكون هناك معتقل واحد في السجن، ومن ناحية أخرى فإن التطور الثوري إلى الأمام قد سبق كل التصورات والخيالات. والآن فنحن نتصور أن عددًا من الشيوعيين يمكن أن ينصلح حالهم، وأن يفسح لهم المجتمع فرصة للعمل؛ تهئ لهم أسباب الحياة، وفرصة للتفكير الجديد على أساس الميثاق.

وقال الرئيس جمال عبد الناصر: إنه إذا حاول الشيوعيون إيجاد تنظيم شيوعي، فإن ذلك سوف يكون ضد الميثاق، وكذلك إذا حاول أحد منهم أن ينشر دعوة إلحادية تمس بالدين، وفي هذه الحالة فإن الدولة لن تسكت ولن تقبل.

فهل يرتدع الشيوعيون؟

وهل يظل الأستاذ «محمود» مصرًا على زعمه أن التصوف بما شرحناه يصلح أساسًا لتجاربنا الإنسانية الجديدة؟

اسمع هذه الكلمة من قائد الأمة: (فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع).

إن عندنا الحل..

الحل الأول... الذي نزل به الوحي على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة هو الحل

الأخير لمشكلة الإنسانية فلكيتف المفكرون!!

وليخنس المنحرفون!!

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وسيتم الله نوره.



نظرات في مجلة الصوفية (١) (١)

قيل لي: لقد صدرت للصوفية مجلة. قلت: مرحباً بها سلاحاً يقضي على مبتدعه، اعترافاً صريحاً يجعل المترددين يؤمنون بأن خلف الصوفية عين سلفهم، وأنهم يدينون بدينهم، ويدلون سراً حيارى في نفس التيه السحيق العميق!! وأنهم يبدلون جهد الدين والدنيا في سبيل صون تراثهم، هذا التراث الذي يحق له أن ينتسب إلى كل شيء إلا شيئاً واحداً تسامت بهداه الإنسانية، وبنت به أمجادها فوق قمة الخلود، ذلك هو الإسلام.

إن اسم المجلة نفسه يحمل طابع المغايرة بين الإسلام وبين التصوف، فاسمها «مجلة الإسلام والتصوف» إن المشرفين على المجلة اختاروا لها هذا الاسم، توكيداً لما يدينون به وهو أن الإسلام غير التصوف، وإلا فما معنى عطف التصوف «بالواو» على كلمة الإسلام، وأظنهم لا يجهلون أن العطف يقتضي المغايرة!!

وقرأت في المجلة مقالاً للأستاذ الكبير أنور السادات^(٢)، واستوعبت المقال جيداً، ثم ابتسمت. ذلك لأن مقاله ليس تأييداً للصوفية كما أحب أصحاب المجلة تصويره للقراء. وإنما هو نقد حكيم فيه جرأة الثورة، وقوة الحق؛ لأنه ثورة على الصوفية، وحقٌ يجبُّه الصوفية بالمروق عن الدين الحق، إنه دَمْعٌ للصوفية بكل خصائصها ومقوماتها منذ نشأ شيء اسمه التصوف!! إنه يهتك عن سرائر الصوفية

(١) (١/ ١٣٧٨هـ).

(٢) رئيس جمهورية مصر العربية الراحل. (ض).

ومعتقداتها القناع، فتبدو كما هي في قلوب معتنقيها، لا كما يحبون هم أن يترأوا بها أمام الناس، وأن يفتنوا الدهماء عن بواطنها، إنه حكم عدل سجلوه بأنفسهم في مجلتهم يحكم عليهم بأنهم فئة نابذت الإسلام، وكانت عوناً للمستعمر عليه!! اقرأ له وهو يعدد طوائف الدخلاء على التصوف، ومن ثمَّ تؤمن بأنه لا يعدد الدخلاء، وإنما يعدد نفس شيع التصوف ونحلها منذ نشأت، وإلى أن تبيد.

يقول: (ولكن بعض الدخلاء على الصوفية اتخذوها مطية للشهوات، وموردًا للكسب والارتزاق، فأصبحوا يشترون بآيات الله وإيمانهم ثمنًا قليلًا، ويقبلون على موائد الحكام والطغاة).

أوقن أن هذا القول يشير بدلالته القوية إلى الصوفية المعاصرة أبلغ دلالة. ونحن لا ننسى، وأنور الثائر لا ينسى لياذ الصوفية بفاروق، وقد خشعت بين يديه خشوع الكهنة تحت أقدام الصنم، وشيخهم الأكبر يقول لفاروق: (بك نستضيء، ومن هديك نسترشد، ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى)^(١). إن الصوفية لم تكتف بقولها: (نستضيء بك، ونسترشد من هديك) بل أبت إلا أن تؤكد أن رب هداها ورشدها هو فاروق وحده لا شريك له^(٢).

ثم اقرأ قول الثائر: (واتجه بعض الدخلاء على الصوفية إلى الطقوس والرسوم والمظاهر المادية القائمة على لبس المرقعات والزهد في الطيبات والانغماس في

(١) اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ٢٥/٣/١٩٤٧.

(٢) ذلك لأن تقديم الجار والمجرور في قوله: (بك نستضيء، ومن هديك نسترشد) يفيد القصر، أي: قصر استضاءتهم على فاروق، وقصر استرشادهم على هدي فاروق!!.

القذارات وإطالة الشعر وحمل المسابح، والإكثار من الأحجبة والتعاويد وجر السيوف الخشبية).

ويقيني أن هذه الصور بواقعيتها المخزية، وتجسدها المقيت يؤذي ناظريك في غدوك ورواحك، وأنت ترمق من بعيد العاكفين على القباب واللأذنين بالأضرحة والمعربين في مباءات الدنس التي يسمونها «موالد»!!

أما دعوى الزهد، فيبشر بها كبار الشيوخ بين دراويشهم، فحسب؛ ليحمل هؤلاء إلى شيوخهم ما كسبت أيديهم، وقصة الزهد مع الصوفية قصة قديمة ترجع إلى «ماني» ذلك المتنبي المجوسي الذي ظهر في فارس، وادعى أن الظلام امتزج بالنور وأن إله النور لن يستطيع الخلاص من الظلام إلا بعد فناء العالم، ولذا وصى بالزهد في الحياة، والصيام الطويل، والامتناع عن الزواج. وظهر أثر هذه المانوية في أحاديث موضوعة يرويها أبو طالب المكي شيخ الصوفية القديم، ومصدر إلهام الغزالي في كتابه الإحياء.

يقول أبو طالب ناسباً إلى النبي قوله، والرسول ﷺ براءً من هذا البهتان المفتضح: (لَأَنَّ يُرَبِّي أَحَدَكُمْ جَزَوْا كَلْبَ خَيْرٍ مِنْ أَنْ يَرْبِيَ وَلَدًا) وقوله: (إذا كان بعد المائتين أبيحت العزبة لأُمَّتِي)^(١).

ويقول الجنيد - وهو شيخ الصوفية الذين يسمون أنفسهم معتدلين -: (أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله: التكسب وطلب الحديث،

(١) انظر (ص ١٥٠ / ج ٤) قوت القلوب ط ١٣٥١.

والتزوج. وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه^(١).

إنها المانوية المجوسية نفسها، ولقد تلقفها المستعمر، وذهب عنه الصوفية ييشرون بها في الشرق؛ ليصبح أشباحًا هزيلة تترامى ظلالتها الواهنة على تيه العدم!! ثم يقول الكاتب الكبير: (وهناك فريق ثالث من الدخلاء شوهوا التعاليم الصوفية عن جهالة أو سوء نية، فأدخلوا فيها ضروب الألاعيب وشتى الأحابيل بما يشبه الكرامات، فهم يلتهمون النيران والزجاج ويأكلون الثعابين ويمشون على السيوف، ويدقون الطبول ويقرعون الدفوف ويعزفون الموسيقى الصاخبة، ويتميلون على أنغامها في حركات راقصة هستيرية لا يقرها خلق ولا دين ولا قانون)، وهل أنت بحاجة إلى مَنْ يؤكد لك أن ما صوره الأستاذ الكبير إنما هو منتزع من الصوفية المعاصرة، وما حلقات الذكر والوثني التي يعربد فيها الشيطان إلا دليل صدق على ما نقول. انظر ما تقتطفه الصوفية في أيام الجمع حول قباب الهامدين من ألهتهم!! وانظر ما تجترحه في أعياد الأصنام الموسمية في سرادقات السحت.

ثم يقول السيد أنور السادات - وهذا بيت القصيد -: (وهناك فريق رابع من الدخلاء حاول مزج الدين بالفلسفة والسياسة بالشريعة، فزعم للدين ظاهراً وباطناً، وادعى أن هناك شريعة للخاصة وأخرى للعامة، وحاول إقحام التعاليم الهندوكية والفلسفة الإغريقية الوثنية، فعقد من الدين ما سهل، وصعب منه ما وضع، وكاد يفتن الناس عن دينهم السمع القائم على الفطرة التي فطر الله الناس

(١) (ص ١٣٥ / ج ٣) المصدر السابق وقرأ كتابي: «هذه هي الصوفية» فيه تفصيل لهذا الإجمال.

عليها: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

وعلى ما قال الأستاذ الكبير، قام التصوف منذ نشأ شيء اسمه التصوف، بل لا يعتبر صوفيًّا إلا من آمن بأن للدين ظاهرًا وباطنًا، وما قدست الصوفية من كهنتها إلا أولئك الذين مزجوا الدين بالفلسفة الإغريقية الوثنية وبالتعاليم الهندوكية. وإليك الدليل مما كتبه الأستاذ أبو الوفاء التفتازاني^(١) في العدد الثاني من المجلة نفسها: (إن بعض الصوفية الذين كان لهم نصيب وافر من دراسة الفلسفة والمعرفة بمناهجها واصطلاحاتها قد مزجوا التصوف بموضوعات الفلسفة، وخرجوا لنا بنظريات هي مزيج من الذوق والفلسفة، ولعل أبرز هؤلاء ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والصدر القنوني وعفيف الدين التلمساني). وابن عربي عند الصوفية كما تنعته المجلة نفسها «شيخ الصوفية الأكبر» وابن

(١) محمد أبو الوفاء التفتازاني (١٤ إبريل، ١٩٣٠ - ٢٨ يونيو، ١٩٩٤) فيلسوف مصري، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر في الفترة من ١٩٨٣ إلى ١٩٩٤، وله العديد من المؤلفات منها:

- ابن عطاء الله السكندري وتصوفه.
- ابن سبعين وفلسفته الصوفية.
- ابن عباد الرندي (حياته ومؤلفاته). معهد الدراسات الإسلامية - مدريد إسبانيا.
- مدخل إلى التصوف الإسلامي.
- الإسلام والفكر الوجودي المعاصر.
- المنهج الإسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية الحديثة المعاصرة.
- العلاقة بين الفلسفة والطب عند المسلمين. (ض).

الفارض هو - كما سمته المجلة: «شاعر الإلهام الأعظم»، وقد حكم الأستاذ الكبير أنور السادات بأن من مزجوا الدين بالفلسفة قوم خارجون عن الدين، والمجلة نفسها تقول عن كبار شيوخهم أنهم مزجوا الدين بالفلسفة، وهؤلاء هم سادة الصوفية وأربابهم وآلهتهم. هذا يدعوكم إلى الإيمان بأن الصوفية هي هي هذا الشيء الذي سماه الثائر البطل دخيلاً عليها، إنه في الحقيقة أراد أن يقول للصوفية: إن من يقوم بهذا، ويفعل هذا فهو دخیل على الإسلام.

لقد فرح الصوفية بمقال الأستاذ الكبير، وموهوا على الناس بأنه تأييد لهم، وما إخالك الآن إلا موقناً بأن الثائر بمقاله هذا إنما هدم أصنام الصوفية على رؤوس كهنتها.



نظرات في مجلة الصوفية (٢)(١)

لسنا في حاجة أبداً - ونحن نعمل لتحديد معاني القيم، والدعوة إلى تمييزها عما يشوبها - إلى أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، إلى أن نضع لروحانية الإسلام اسماً آخر، ليست له في النفوس القداسة الإلهية التي تطيب الروح بالنبل والسمو، وليس له المعنى النبيل الذي يشرق بالسلام، السلام النفسي بالعقيدة الخالصة، والإيمان المطمئن، السلام الاجتماعي بالإيثار الكريم، والإخاء الوفي، السلام الإنساني العام بدعوة الإسلام الصادقة إلى التعاون المثمر مع الناس جميعاً، ما لم يجذّفوا بالحق، أو يفتروا البهتان عليه، أو يثيروا الحرب ضده، أما الصوفية فلا تثير في النفس إلا الغثيان، وإلا ذكريات ما زالت مناحاتها مُعوّلة الجراح ومآسيها يضل في تيهها فجر الأمل، ذلك لأنها - أي: الصوفية - السبب فيما عانى المسلمون وكابدوا من مهانة ومذلة على يد الطغاة الذين أججوا ضد الإسلام أحقاد المجوسية وثاراتها، وكانت الصوفية مطية هؤلاء إلى بلوغ هذه الغاية الجامحة.

إن الصوفية أمشاج من كل الضلالات، وشوائب من كل الزندقات التي تَلَطَّى أوارها لتقضي على الإسلام، إنها اسم يُرادف الخمول والذلة والمسكنة، يرادف الفرار الجبان من الحياة، يرادف الخوف الرعديد من إشراق الحق، يرادف الدجل والشعبذة والإلحادية الماحنة الغواية، والتي تتراءى في شقوق من سحر الخيال ونسيج الأوهام تسمى: روحانية، وإلا فأتوني بصوفي واحد منذ نشأت

هذه الصوفية عاش مع الله في سلام، أو جعل من كتاب الله الحجة والإمام!!.
 قيل: إن الإسلام تعرض لموجات متتالية من الدخلاء والمتعصبين، كما
 تسربت إليه أكداس من الإسرائيليات، وعقائد الأمم القديمة حجبت كثيرًا من
 أضوائه، وشوّهت كثيرًا من صحائفه النقية، فالتبس الحق بالباطل، واختلط
 الضوء بالظلام.

فمن هم الذين اجترحوا ضد الإسلام هذه الجرائر، ثم آووا إلى كهوفهم
 ومغاورهم يضحجون على عويله الضحايا بطرقات حبات المسابح المرائية؟
 إن الصوفية على رأس هذه القائمة السوداء التي تطفح بأسماء عدو الإسلام.
 من هم الذين دعوا المسلمين وهم في عنفوان مجدهم وأوج قوتهم إلى العزلة
 عن الحياة، واللياذ بالكهوف الداكنة، وقضاء الليل في هينمات دونها أبواب
 السماء. إنهم الصوفية؟ ليحيلوا قوة المسلمين ضعفًا، وعزتهم ذلة، ودأبهم المكافح
 الصبور في سبيل بناء الحياة خمولًا يستنيم للحشرة المحتضرة.
 من هم الذين كدّوا في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله، إلى كتب أخرى
 نسجت عناكب الأساطير، وحشاها أصحابها بما يفسد العقيدة، والخلق والفكر،
 وزوروا فيها على النبي الأعظم ﷺ أحاديث تدعو إلى صرف الجهد لا في سبيل
 البناء، بل في سبيل الهدم، ولا في سبيل الحرية، بل في سبيل الاستسلام إلى كل
 غاصب، ولا في سبيل الفضيلة، بل في سبيل اقتراف الرذيلة، بدعوى أن في هذا
 طاعة للقضاء والقدر؟ إنهم الصوفية.

من هم الذين قالوا للمسلمين: لا تقولوا: يا رب. بل قولوا: يا صنم؟
 إنهم الصوفية.

من هم الذين صرفوا المسلمين عن بناء الحياة إلى بناء القبور؟ إنهم الصوفية!!
 من هم الذين نقلوا المسلمين من سادة إلى عبيد، ومن أعزاء إلا أذلاء، ومن
 أقوياء بالحق والعدل إلى ضعفاء، لا يقوون إلا حين يعدو بعضهم على بعض؟
 إنهم الصوفية!!

من هم الذين صرفوا المسلمين عن عبادة الحق إلى عبادة الباطل؟ إنهم الصوفية.
 من هم الذين جعلوا من كرامات الأولياء اقتراف الفاحشة، وهتك
 السوءات؟ إنهم الصوفية.

أقرأوا ما خلف الصوفية من تراث الوثنية، وسوف تتهموني بالتقصير لا
 بالغُلُو، وبالتفريط لا بالإفراط.

مَنْ دعاة الزهد المانويي؟ أي مَنْ دعاة العزلة والفرار والجبن والخمول؟ إنهم
 أقطاب الصوفية ومنهم أبو طالب المكي، والجنيد، والغزالي.

مَنْ دعاة العبودية للكهان والأحبار؟ اسمع للقشيري - وهو المعروف
 بالاعتدال في صوفيته كما يزعمون - يقول وهو مؤمن بما يقول عن معروف
 الكرخي^(١): (يستشفى بقبْره يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب). وينقل
 قوله الآتي في إعجاب. (إذا لك حاجة إلى الله؛ فأقسم عليه بي)^(٢).

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، ولد من أبوين نصرانيين، أسلم وكان من
 موالى علي الرضا بن موسى الكاظم، ومنه أخذ العهد، ثم صار بواباً لموسى، وصحب
 داود الطائي. [انظر: طبقات الصوفية (ص ٨٣-٨٥)، طبقات الأولياء (ص ٤٩٣)]. (ض).

(٢) ص (٩) الرسالة القشيرية مطبعة التقدم.

يقسم على الخلاق بمخلوق، قولوا لصوفي: اذكر الله. وسترونه يستأذن وسائط ميتة كثيرة قبل أن يذكر الله ليأذنوا له!!.

إذ يوجب الصوفية على الذاكر قبل أن يذكر الله.. أن يستحضر شيخه، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول: مددك يا أستاذي، وأن يرى أن استمداده منه عين استمداده منه ﷺ. فإنه الوساطة إليه، وأن يستأذن شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذي، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم، وهم أهل السلسلة، فيقول: دستور يا أصحاب الطريق والقدم^(١). قبل أن يذكر الصوفي الله يجب عليه أن يستأذن الأصنام!!.

أهذا دين يسمو بالإنسانية؟ أهذا دين يدعو إلى كرامة؟
أهذا دين يدعو إلى تقويم النفس بالحق من دين الله، حتى تكون لها الذاتية التي تشعر بواجبها وتعمل في سبيل أدائه؟ أم هذه صوفية تهفو بالإنسانية إلى حضيض الذلة والعبودية، وإلى الإحياء الكلي في سبيل طاغوت أو وثن؟!
من الذي صرخ بهذه الحلولية الصليبية؟:

سبحان من أظهر ناسوته	سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً	في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه	كلحظة الحاجب بالحاجب ^(٢)

(١) ص (٢٨) وما بعدها من رسالة للأستاذ الصوفي أحمد عبد المنعم الحلواني، ص (٨٦) رسالة منحة الأصحاب للطربي.

(٢) الطواسين للحلاج ص (١٣٠).

إنه الحلاج الذي سمته مجلة الصوفية: «شهيد التصوف الإسلامي»^(١) شهيد!! هذا هو ميسم الصوفية العام، تضع للألفاظ غير معانيها، وتسمي الأشياء بغير أسمائها، وتضع للباطل اسم الحق!!

شهيد وهو الذي يدعو إلى الحلولية الصليبية، ويؤمن بها، ويجاهد - وقد أفلح - في سبيل أن يحول كثيرًا من المسلمين إليها.

شهيد وهو يزعم أن هوية الذات الإلهية حالة في كل إنسان! هذا العرديد في حانات الإثم والغواية إله من آلهة الصوفية.

أليس إنسانًا في باطنه إله؟! هذا الفاتك الذي تعول دماء الضحايا على مشافره وهو يلعقها، إنه رب من أرباب الصوفية، أليس إلهًا في صورة إنسان هذا الظلام الذي يغتال حقوق الشعوب؛ إنه إله من آلهة الصوفية.

أليس جسدًا يحتوي على روح الإله؟!

من الذي صرح بهذه الوحدة المادية:

(لا يُشَاهَد الحق - أي الله سبحانه - مجردًا عن المواد أبدًا، فشهود الحق في النساء

أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح)؟

إنه ابن عربي الذي وصفته مجلة الصوفية «شيخ التصوف الأكبر» إله يتصل أزله بأبده، وأوليته بآخريته، وهو غير مجرد عن المادة، حذارك لا تطأ هذا الحجر الأصم بمناسمك، فإنه إله صوفي!!

حذارك لا تبصق على هذه الجيفة المنتنة، بل ارفعها فوق هامتك ثم سر بها

(١) ص (٦٤) العدد الأول من مجلة الإسلام والتصوف.

هائماً في موكب من المشاعل...

إنها تستحق كل ذلك لأنها جزء من الإله الصوفي، وهذه المرأة ترود بجسدها
حانات الليل تبحث عن العرايب هنالك، وخبث الخمر يفوح من فمها الذي
عربدت عليه الشهوات، هنالك هنالك اسجد لها خاشعاً، فإنها حقيقة الإله
الصوفي الأكبر!!.

هذا دين شيخ التصوف الأكبر، وهذا هدف شيخ التصوف الأكبر، فماذا تريد
من الصوفية أن يقولوه غير هذا؟ أليسوا صوفية؟! بلى.



نقدات (١)^(١)

ضلال الفلسفة:

خالق ومخلوق، رب ومربوب، موجدٌ وموجود، تلك حقيقة تطامن لها الشعور مخبتًا، وسكن إليها الوجدان مطمئنًا، وسرت على نورها الروح في متاهات الحياة، وخرّت لها بداهة الفكر ساجدة. «الله رب العالمين» سمعها الإنسان الأول «آدم» من الله وآمن بها، وورثها من بعده بنيه..

ولكن الإنسان حين أخلد إلى الدعة، وتيسر له ما كان عسيرًا من دواعي العيش، وتجافى - في صلف - عن روح الدين، بدأ يحاول صدع الحق بأوهام الباطل، وتدنىس قداسة الإيمان بخبث الكفر، وتلويث روحانية التوحيد بمادية الشرك الوثني...

كان أمس يبحث في الأرض عن العيش، ويفكر: كيف يندي ظمأه، ويكسو عريه، ويسد جوعه، ويسخر ما حوله لنفسه، ويحمي نفسه من الأعاصير والزلازل والبراكين، مطمئنًا إلى رب كريم قادر يحبه ويرعاه؟!..

فلما هداه ربه السبيل، واطمأن إلى دنياه ورغابه منها، وبدأ الشيطان يزلزل في نفسه طمأنينة الإيمان، ويحيلها إلى قلق عاصف، ورب يلبس عليه - راح يفكر^(٢)

(١) (٦/ ١٣٧٠).

(٢) لسنا بصدد تاريخ نشأة الفلسفة حين نبين أول ما اتجه إليه الفكر من الأبحاث الفلسفية، وإنما هو تحويلة حول الموضوع تؤدي ما نهدف إليه الآن.

- مثل هذا التفكير وسواه: من هو الله؟ ما ذاته؟ ما صفاته؟ ما صلته بالعالم الذي يعيش فيه، أخلقه أم فاض عنه؟ وإذا كان قد خلقه، فهل ظل يرعاه ويربيه؟! ثم أين الله؟ أهو بائن عن العالم أم هو فيه؟ وإذا كان غير بائن فأين؟ وإذا كان بائناً فأين؟! في هذه الظلمات التمردية سبح الفكر الإنساني العاجز الضعيف الجاهل بفطرته - بعد اطمئنانه إلى مقومات العيش ونأيه عن الدين - وأجابه شيطان الغرور والترف المحطم لقواه عما سأل به نفسه بأجوبة، فكان من هذا ومن التفكير في مناح أخرى: ما يسمونه فلسفة، فالفلسفة كما ترى ترف عقلي، والترف جُلّه - إن لم نقل كله - فساد. فالفلسفة إذا استمكنت فساد بالنسبة للعقل وللإيمان، كما أن الترف المادي فساد للجسم ومقوماته وللأخلاق.

لقد عرف الإنسان ربه من ربه، لقد كلمنا الله عن نفسه، وكلام الله عن نفسه وصفاته وأفعاله وألوهيته وربوبيته كلام الخلاق الحكيم الخبير، أفيجيء العقل البشري - ذلك القزم الصغير يحاول أن يكون ماردًا عملاقًا جبارًا فيزعم أنه يعرف عن رب العالمين وعن ذاته وصفاته وصلاته بالعالم أكثر مما يعرف ربه الخالق؟! ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ [عبس: ١٧].

يقول الله: إنه الخالق... والعقل الفلسفي ينفي صفة الخلق عن الله، وينسبها لشيء آخر فاض عن الله أو انحدر عنه، أو وجد من نظر الله إلى نفسه، سموه أحياناً: العقل الأول، وأحياناً: الحقيقة المحمدية عند فلسفة التصوف الذي سموه إسلامياً. وأحياناً وأحياناً!

ويقول الله: إنه يعلم كل كبيرة وصغيرة، يعلم الكلليات والجزئيات: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا سَقَطَ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا

فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] ولكن العقل الفلسفي ينفي ذلك عن الله، ويقول إنه يعلم الكليات لا الجزئيات!!

ويقول الله: إنه رب العالمين، وإنه معنا أينما كنا، وأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وأنه يسمع دعاءنا ويحييه، ولكن العقل الفلسفي بزعم العالم وجد عن الله ثم تركه فلا صلة له به اليوم ولا بعد اليوم!!

ويقول الله عن نفسه إنه استوى على عرشه، وأنه العلي العظيم، ولكن العقل الفلسفي ينفي ذلك، ثم يحدثنا عن هذا بما نفهم منه ولا بد: أنه عدم، أو أنه هو هذا الوجود المحس!!

ويصف الله نفسه بصفات كلها حق وجمال وجلال وخير، ولكن العقل الفلسفي يأبى إلا أن يجرد الإله عنده من صفاته، فيصفه بالسلوب والعدميات، حتى يجعله ليس شيئاً، أو يصفه بما يجعله صورة ذهنية لا توجد إلا في الذهن فحسب، أو يصفه بمثل: (اللاذُّ والملتذ، والعاشق والمعشوق) من تلك الصفات التي وضع فيها الإنسان خبائث شهواته!!

ويأبى العقل الفلسفي في خاتمة المطاف إلا أن ينكر الوجود الإلهي ويتمرد عليه، ولا يعترف بالوجود في قيمه إلا للإنسان، ذلك الإنسان المسكين الذي انقسم شطرين على نفسه، فجعل شطراً منه إلهاً، وشطراً منه إنساناً، ما ثم إلا الوجود الإنساني^(١)!

(١) لم ننسب الآراء إلى قائلها الآن، فلنسا بحاجة إلى ذلك. وربما عدنا إلى الموضوع نفصله وننسب كل رأي إلى قائله من الفلاسفة.

تلك خاتمة المطاف، وبئست هي من خاتمة للفلسفة.

ونحن لو استعرضنا تاريخ الفلسفة الميتافيزيقية، تاريخ ذلك الترف العقلي الذي أفسد على الإنسان دينه وعقله لشهدنا عجباً، شهدنا أخلاطاً تجمعها كلمة واحدة «ضلالة»، تلك كلمة عابرة، وستتبعها إن شاء الله بكلمات.

وحدة الأديان:

لكبار الزنادقة من الصوفية كابن عربي، والجيلي، وابن الفارض في تائيته رأي في الوجود الإلهي، يجعل من وجود الأعيان نفسها وجود الحق وعينه، أو بمعنى أصح: يجعل الخلق عين الخالق، فهما ذات واحدة، سميت مرة خلقاً، وأخرى حقاً، بحسب الباطن والظاهر.

ولهذا الرأي خطره الدائم الداهم على الدين والأخلاق، فهو ينفي المسؤولية الأخلاقية، ينفي الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والثواب والعقاب، يجعل الشر ضرباً للخير، والرذيلة مسمى الفضيلة، ويجعل الشرك والكفر من أجل حقائق التوحيد والإيمان.

وكان لهذا الرأي نتيجة حتمية، لم يتردد في التصريح بها زنادقة الصوفية، تلك هي أن الأديان على إطلاقها واحدة، لا يقصدون بذلك الأديان السماوية المنزلة على الرسل، بل كل ما اتخذته الناس ديناً، سواء كان وضعياً يعتمد على الأسطورة والخرافة، أم كان سماوياً يعتمد على الوحي، فالمجوسية والوثنية في شتى مظاهرها، والمسيحية الحقبة والتي شابها الزيف واليهودية المبذلة والإسلام، كل هذه أديان واحدة، وكلها حق وهدى، وكل متعبد على دين منها عابد لله حقاً، صرح بهذا ابن عربي، وعبد الكريم الجيلي، وابن الفارض.

والذي أدى بهم إلى اعتناق هذه الزندقة: هو زعمهم أن وجود الخالق عين المخلوق، فإذا عبد الصنم والوثن بأي اسم وفي أي مظهر، كان المعبود إلههم، وكان العابد هو عين المعبود، لهذا بطل عندهم معنى الثواب والعقاب، لأن الإله عندهم عابد ومعبود، إلههم ضال مهتد، كافر مؤمن، موحد مشرك، وكيف يعذب نفسه؟! لا عذاب، وإنما هو من العذوبة، كما صرح ابن عربي.

ونحن لا نرسل القول إرسالاً، بل نستشهد على ما ذكرنا بما يقوله ابن عربي: (والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك)^(١). ويقول الجيلي عن وحدة الأديان - مفسراً قول الله -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ بقوله على لسان ربه: (فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبد أهل كل ملة ونحلة، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا) ثم يعلق بقوله: (إن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء، وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقية، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب: إنها تسمية مجازية، ولو كان كذلك لكان الكلام: أن تلك الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التي تعبدونها ليست بآلهة، وأن لا إله إلا أنا فاعبدوني، لكنه إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا)^(٢).

(١) ص (١٩٥) الجزء الأول من فصوص الحكم، بشرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي.

(٢) (ص ٦٩ / ج ١) من كتاب الإنسان الكامل، لعبد الكريم الجيلي ط ١٢٩٣ هـ.

هذا الضلال أبين من أن يدلّل أحد على بطلانه، وتلك الأسطورة - أسطورة وحدة الأديان بالمعنى الصوفي - بطلانها أظهر من كل بطلان؛ ومن عجب أن تجد تلك الزندقة الملحدة من يزود عنها، ويمجدها من العرب المسلمين، ذوي الأسماء اللمعة المدوية الصيت!

في يدي الآن كتاب: «القضايا الاجتماعية الكبرى» للدكتور عبد الرحمن شهنندر ط ١٩٣٦، يتحدث الدكتور فيه عن التعصب الديني، وأنه عقبة في سبيل البحث، ثم استطرّد ممجّداً لابن عربي وقصيدته في وحدة الأديان، فيقول عن تلك القصيدة: (طالما استشهدنا بها على سمو الشعور الديني عند العرب، وجعلناها عنواناً لا للتعقّق فقط، بل له وللعقيدة والمبدأ أيضاً، ذلك أن ابن العربي^(١) كان من القائلين بوحدة الأديان، ويرى جميع المتدينين يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات، والقصيدة هي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان، وكعبة طائف	وألواح تورا، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه، فالحب ديني وإيماني

وابن العربي هذا لا حاجة به إلى من يذكره من المتشددین الثقيلی الوطأة بأن هناك في بعض الأديان المنحطة من السخافات والأعمال المنكرة ما لا يجوز أن

(١) جرت العادة على تلقيب محيي الدين الحاتمي الصوفي بابن عربي من غير (ال)؛ تمييزاً له عن أبي بكر بن العربي الفقيه المالكي، ولكن الدكتور أخطأ هنا.

يتسع لها قلبه، أو يطمئن إليها لبه، فهذا كله كان معلومًا عنده، إلا أنه كان في موقفه المستجد أسمى من أن يفوته المعنى العظيم المتجلي الشامل، بانصرافه إلى الجزئيات الموضوعية الخاصة؛ وإذا كان الكون في نفسه الحساسة الصافية أشبه بقطعة شعرية نفيسة منسجمة فمصراع واحد معوج، أو بيت واحد فاسد، لا يحول دون تمتعه بالقصيدة كلها كاملة، وإعجابه بالفنان المبدع الذي أجاد نظمها وأحكم قوافيها ووزنها، وخذ مثلاً آخر على هذه الروح السمحة الرفيعة ما قاله ابن الفارض الحموي المصري، المتوفى سنة ٦٣٣هـ في تائيته الكبرى:

وإن نار بالقرآن محراب مسجد	فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وإن عبد النار المجوس، وما انطفت	كما جاء في الأخبار في ألف حجة
فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم	سواي وإن لم يظهروا عقدنية
فلا عبث، والخلق لم يخلقوا سدى	وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة

انتهى نص كلام الدكتور الشهبندر...

وأسفاه، هذا مثل عال يتحطم أمام عيني!!

لقد كنا نسمع عن الدكتور وموقفه وعربيته وإسلاميته، فنعجب ونصفق حتى ندمي الأكف من التصفيق إعجابًا وثناءً، كان الدكتور شهبندر زعيمًا عربيًا كبيرًا، ومن عجب أن يجعل الزعماء تمجيد الإلحاد والزندقة وسيلة للزعامة.

إن هذا الزعيم العربي الكبير في سبيل تملق الباحثين من الغرب وخرافاتهم حول ما يسمونه التسامح الديني، الذي هو في حقيقته إلحاد، يحاول تمجيد رأي ابن عربي ليثبت للغربيين أننا أسبق منهم تسامحًا، أو بمعنى أدق: أسبق منهم إلحادًا!!

فما ذلك التسامح الديني الذي يشيد به الدكتور شهبندر، ويصف من يعترض عليه بالمتشددين الثقيلي الوطأة!! إنه يشيد بالوثنية بالمجوسية بالزندقة، بعبادة عجل بني إسرائيل بالتحلل من كل خلق وأدب وفضيلة، بالإباحية المطلقة!! أفذلك تسامح ديني؟! فيوصف الملحد الزنديق بأنه متدين متسامح؟! إذا كانت دعوة ابن عربي إلى وحدة الأديان وضعيها وسماويها، باطلها وحقها تسمى تسامحاً، فلا كان ذلك التسامح، إن دعوة ابن عربي هي تكذيب صريح لنص القرآن: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨]، أفمن يكذب القرآن نشيد بتسامحه الديني؟!!

إننا نلمح من ثنايا كلام الدكتور إعجاباً شاعرياً، وهوى ضالعاً مع زندقة ابن عربي وزميله ابن الفارض في تائيته، نلمح ثورة نفسية مكبوتة على المتدينين الذين يتعصبون للحق بوصفه إياهم أنهم «ثقيلون شديداً الوطأة».

أفمن يدعو إلى عبادة الله وحده نعتبره ثقيلاً شديداً الوطأة؟! أفمن يدعو إلى نبذ الشرك وتحطيم الأصنام، وإخلاص العبادة لله وحده ثقيلاً شديداً الوطأة؟! ألا إني سوف أطلقها صريحة واضحة جلية: إن معنى التسامح الديني ومفهومه عند أربابه: مرادف للخروج عن الدين، بل هو الانسلاخ من الدين الحق إلى دين الهوى والشيطان، ورضي الله عن أنس بن مالك إذ يقول لأصحابه: «والله إنكم لتعملون العمل ترونه في أعينكم أدق من الشعرة، وكنا نراه على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

ترى هل نسمع كلمة الكفر فنسكت عليها؟ وهل نشاهد على الأرض مئات الطواغيت فنسكت راضين، ليقال عن ذلك إنه تسامح ديني!!
أنسكت عمن يكتب عن الله سبحانه الهجو والهراء والبذاء لنعرف معنى التسامح!!؟

ترى هل كان يتسامح الدكتور وشيعته من أبواق الفرنجة وعبيدهم: لو طعنه أحد في وطنيته، في شرفه. لا أقول: في عقيدته!!
ترى لو هجا أحد عرضه أكان يسكت عنه تسامحاً؟! لو ساء به سافل دنيء أكان يغفر له تسامحاً؟!!

ألا إن من عجب الشيطان تسخيرهِ للإنسان مثل هذا التسخير! يشتبك إنسان عادي مثلك فيثرك حتى تقتله، ويشتم الكفور الحقود ربك العظيم، فيملأ الشيطان خياشيم شهواتك بأسطورة التسامح، حتى تكفر بربك!! هانتذا ترضى هجو الله ولا ترضى هجو نفسك، هذا هو هدف التسامح الديني!!

وقد تعرض لنقد أسطورة وحدة الأديان الإمام ابن تيمية، وقد تعرض لهذا النقد الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه: «ابن الفارض والحب الإلهي» يحاول نقضه، وموعدنا إن شاء الله العدد القادم حيث نبين صحة نقد الإمام، وزيف دفاع الدكتور؛ والله الموفق المستعان.



نقدات (٢)

وحدة الأديان عند الصوفية^(١)

المعرفة عند الصوفية:

نمهد لحديثنا اليوم بهذا التمهيد اللامع عن المعرفة عند الصوفية... يستمد الصوفية معارفهم - في زعمهم - عن طريق «الذوق» أو الكشف الشهودي؛ ولذا تتباين المعارف عندهم تبعاً لتباين الأذواق، وقد لجأوا إلى هذه الأسطورة حين أيقنوا أن معرفتهم تصادم العقل والنقل وتناقضهما؛ ويؤمن الصوفية إيماناً وثيقاً بأن العقل ليس وسيلة إلى إدراك الحقيقة، وبأن النقل حجاب يستر وراءه الحقيقة الكبرى، ولذا يقول التلمساني: (القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا)^(٢).

وكان من قولهم: (من ذاق عرف) أي من استمد معرفته عن طريق الذوق كان هو العارف المكمل، أما من يستمد معرفته من الدين فهو من أهل الظاهر المحجوبين عن إدراك كنه الحقيقة الإلهية الكبرى، أو بمعنى أوضح: عن إدراك حقيقة الألوهية التي يقوم وجودها عندهم وجودات العالم الظاهر.

وقد شطح بهم الذوق الأسطوري إلى اعتناق خرافة «وحدة الوجود»، وبالتالي إلى اعتناق خرافة: «وحدة الأديان» بالمعنى الصوفي؛ فعن إيمانهم بوحدة

(١) (٣/ ١٣٧٠هـ).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (ج٤/ ص٢٣).

الوجود نتج إيمانهم بوحدة الأديان.

علاقة وحدة الوجود بوحدة الأديان:

آمن الصوفية أن وجود الخلق عين وجود الحق، فالمظاهر عين الظاهر، والعبد عين الرب، والمخلوق هو بذاته الخالق، ويعبر ابن عربي عن ذلك بقوله: (سبحان من خلق الأشياء، وهو عينها)^(١) والإيمان بهذه الأسطورة - فوق أنه زندقة وإلحاد وإنكار صريح للألوهية - يهدر القيم الأخلاقية والدينية، وينفي المسؤولية، فإنه الصوفية هو عين الصنم في الجاهلية، والعجل في السامرية، وهو بذاته عابد الصنم وعابد العجل، فكيف إذن يوجد إيمان وكفر؟ إذا كان الإله معبودًا من وجه وعابدًا من وجه آخر؟؟!

لهذا صرح الصوفية - وقد آمنوا بوحدة الوجود - بوحدة الأديان حتى ذهبوا مع الزندقة إلى آخر مداها، وانحطوا مع الوثنية إلى قرارها السحيق، فالإيمان بوحدة الأديان نتيجة حتمية - كما ترى - للإيمان بوحدة الوجود.

نتائج الإيمان بوحدة الأديان:

ويعني الصوفية بالأديان: كل ما جعله أي إنسان دينًا سواء كان سماويًا أم وضعيًا، صحيحًا أم زائفًا، قائمًا على التوحيد الحق، أم على الوثنية المشتركة والإيمان بوحدة الأديان - بهذا المعنى - يمزج الضدين، ويجمع بين النقيضين، يخلط الإيمان بالكفر والحق بالباطل، والخير بالشر، والوجود بالعدم. الإيمان بوحدة الأديان عند الصوفية ينتج عنه الإيمان بأن ليس ثمت آخره، ولا بعث ولا جزاء

(١) الفتوحات المكية القاهرة ١٣٢٩ (ج ٢ / ص ٦٠٤).

ولا حساب، ولا دينونة، فالصوفية في غايتها تتلاقى مع المادية الصرفة في نهايتها.

ولا يخدعك شقشقة الصوفية ولهجهم أحياناً بالخوف والرجاء، فما هي إلا حبائل يوقعون بها السذج الغافلين في شراكهم، وإلا فبربك قل لي: إذا كان الإله هو نفسه هذه الموجودات المتعينة في موادها، فهل لهذا الإله دنيا وآخرة؟! إذا كان الإله كافرًا مؤمنًا، شريرًا خيرًا، باطلاً حقًا، عاصيًا طائعًا، ضالًا مهتديًا، فعن أي حاله يجزي نفسه؟؟

أو يرضى الإله الحزبي لنفسه فيقيم لنفسه حسابًا عسيرًا، أو يدين نفسه بالجريمة الفاضحة المفضوحة يوم الدينونة؟!

أو يموت الإله ثم يحيا؟؟! أقولها صريحة جلية دون مخافة من تثريب: إن كبار الصوفية يكفرون بالبعث وبالجزاء لأنهم يكفرون بالألوهية والربوبية، وإن حاولوا الصريخ والعيول... فإيمانهم بالوحدتين الوجودية والدينية يدمغهم - رضوا أم سخطوا - بما قلناه.

ولذا تأول زعمائهم كل ما ورد عن الجزاء الأخروي وعن الآخرة بمعناها الديني الصحيح، فجعلوا العذاب من العذوبة، والقيامة عودة الإله إلى حيث كان قبل التعين الأول في الحقيقة المحمدية...

بعد هذا نعود إلى ما وعدنا به قراءنا الأفاضل من قبل من مناقشة الدكتور محمد مصطفى حلمي في نقده للإمام ابن تيمية فيما دمج به الصوفية من كفرهم حين دانوا بوحدة الأديان.

رأي الدكتور حلمي^(١):

الدكتور الفاضل معجب أيما إعجاب بأسطورة ابن الفارض فيما يسميه: «الحب الإلهي»، وقد جلى الدكتور في بحثه هذه الأسطورة جلاءً واضحاً، غير أنا نلاحظ أن بحث الدكتور لم يكن خالصاً للحقيقة والفكر الصحيح، وتلك ليست من سمات الباحثين في حقائق الفكر العليا، بل نلاحظ العاطفة جامحة مشوبة الهوى، نلاحظ دفاعاً عاطفياً حاراً عن ابن الفارض، وتمجيذاً له في زندقته، ونحن لا نملك أن نمنع الدكتور من محبته ابن الفارض أو تقديسه، ولكننا نملك بعون الله الزيادة عن الحق فكرياً ودينيّاً، ذلك الحق الذي حاولت عاطفة الدكتور الفاضل أن تجليه باطلاً، لا سيما وقد حاول الدكتور وهو في فورة العاطفة الصوفية أن يجد لابن الفارض سنداً من القرآن يؤيد زعمه في أسطورة وحدة الأديان، ويبلغ الإعجاب بالدكتور حدّاً يجعله يلح في الطلب أن نتمثل صوفية ابن الفارض في ناحيتها الروحية والعملية، حتى ليقول: (وهل هناك حياة أنعم حالاً وأوفر كمالاً من هذه الحياة التي ييسط عليها الحب والإخاء والمساواة أجنتها على هذا الوجه الذي يصوره لنا مذهب ابن الفارض في الوحدة، وحدة المحب والمحبوب، وحدة الخلق والحق، وحدة الأديان والشرائع؟

إذ تزول كل مظاهر التفرقة بين أفراد النوع الإنساني، فينظر المعتنقون للأديان المختلفة، على أنهم إخوة متحابون متساوون، لا على أنهم أعداء متباغضون متنافرون^(٢)»، إذن فالدكتور الفاضل يقر - مع الأسف - بإيمان ما ذهب إليه

(١) وضح الدكتور رأيه في كتابه: «ابن الفارض والحب الإلهي» ط ١٩٤٥.

(٢) (ص ٣١٦) من كتاب ابن الفارض والحب الإلهي.

الصوفية من وحدة الأديان سماويها ووضعيتها، صحيحها وزائفها..

ولست أدري كيف تشمل الوحدة جماعة أربابها متفرقون؟؟

كيف يشمل الإخاء قلبًا يعبد الله وآخر يعبد الصنم؟

كيف يشمل الحب مؤمنًا محبًّا لله الذي يأمره بمجانبة الشرك والوثنية، وآخر

يعبد هواه المصور في صنم أو عجل أو بهاء؟

كيف يتوحد العالم وليست هنالك وحدة تشمل آلهته المعبودة في قلوب العابدين.

إن المؤمن بإله يعمل بما شرعه له ذلك الإله، أو بما يشرعه الزاعمون أنهم

وسطاء له، ولا ريب في أن هناك تباينًا بعيدًا وتناقضًا بينًا في تلك الشرائع، وتبعًا

لهذا تتباين الأعمال والأخلاق والعقائد، أتكفي الإنسانية وحدها لتكون رباطًا

يربط هذه القلوب؟

من ذا الذي سيزيل كل مظاهر التفرقة بين أفراد النوع الإنساني، والأديان

السماوية - في سموها وجلالها ودأبها وسعيتها الملح - لم تزل تلك التفرقة في

الواقع، رغم أنها حاولت ذلك في كل زمن، وتسلحت بالحق والصبر والعزيمة

والهدى والنور؟

فالدارس للتاريخ يجد أن العالم كله لم يجتمع يومًا على كلمة واحدة؛ هذا هو

الشأن مع الأديان السماوية، فكيف مع الوضعية؟ أيريد الدكتور إرغام العقول

على أن تفهم أن رباط الإنسانية أقوى من رباط الدين؟

لا يا دكتور، فالدين أيًا كان له قوة هائلة تدفع إلى التضحية الهائلة معتنقيه،

ومع ذلك كله، فلم يجمع العالم حتى اليوم دين واحد ولا حب واحد، الناس

شأنهم دائمًا مع الدين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، أما هذه

الشاعرية، أما تلك الخيالات المجنحة بالتهاول، أما تلك الأساطير المقنعة بالأوهام والشهوات؛ فلن تستطيع مصادمة الحق والواقع، وإذا شئت العمل في سبيل وحدة تشمل الناس فلتكن تحت راية دين واحد، هو الحق والصدق والخير والجمال وهو الإسلام، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وأن لا يعبد الله إلا بها شرع، لا تحت طاغوت صوفية ابن الفارض وشيوخ ابن الفارض الوثنيين، أعداء الله ورسله، بل أعداء الإنسانية من أول الدهر.

فالتاريخ يحدثنا حديث صدق: أن الجماعة الإسلامية الأولى كانت هي الجماعة الإنسانية المثالية في سمو الروح، وقوة العزيمة وسماحة الأخلاق، ونبل الإيثار، وجلال التضحية في سبيل المثل العليا، وشمول الرحمة، والتوحيد الشامل التام في المبادئ والغايات؛ ويشهد التاريخ أيضًا أن الفرد في هذه الجماعة كان لا يهدف إلا إلى خير جماعته ورقبها، ودوام وحدتها نقية صافية، ولقد عاش في ظل هذه الجماعة الإسلامية المسيحية واليهودي وسواهم، عاش هؤلاء جميعًا يرف عليهم العدل والأمن ويغمر دنياهم الرضى، ويرعى أيامهم السلام، أتعرف لماذا يا دكتور؟

لأن هذه الجماعة كانت معتصمة بدينها الحق، هداها القرآن، ومشكاتها السنة، أما عهود الوثنية والمجوسية والمسيحية الزيفاء واليهودية الضالة فكانت عهود استبداد وبطش، وعبودية ذليلة للسلطان الغشوم.

كان الجور لحمتها والطغيان سداها، كانت تنتزى جريمة وفسقا، وكانت تهوي انحطاطًا في الخلق والفكر والعقيدة، كانت عهود جريمة فردية وجماعية؛ لأنها كانت تتولى الشيطان وتكفر بالرحمن.

فهل يريد دكتورنا الفاضل أن نكون خليطًا وأوشابًا وأمشاجًا من هؤلاء،

ومع ذلك نكون وحدة يرعاها السلام والوئام؟!
 أعقيدة مشرقة الوحي من السماء، وشريعة يقطر سلسها من الوحي الرشيد،
 هذان لا يصلحان لتكوين وحدة إنسانية تتمثل الحب خلقًا، والتفاني في الإيثار
 غاية، ومع ذلك تصلح صوفية ابن الفارض لهذا يا دكتور؟!
 اللهم إن هذا قول يحيله العقل السليم، ويصمه الدين بالخرافة الملحدة.
 ليت الدكتور يدرس الحب في الإسلام - من كتاب الله وهدى رسوله ﷺ -
 كما درس الحب عند ابن الفارض، حتى يعلم أن ما يزعمه ابن الفارض حبًا، إن هو
 إلا غيٌّ وهوى، وزندقة وتمجس سحريُّ القناع، مبدؤه ومنتهاه عبادة الشهوات.
 لقد زعمت الفلسفة أنها تتجرد في بحوثها للحق، فهل تجرد دكتورنا الفاضل
 في بحثه هذا لما زعمته الفلسفة، أم تراه جنح جنوحًا ومال ميلًا حاول به أن
 يتسامى بصوفية ابن الفارض إلى الذروة العليا من الروحية، دون أن يبالي الدكتور
 في سبيل هذا بالدين أو بالحق الواضح الصريح؟!
 إن من يقارن بين فكرتين يا دكتور يجب أن يكون خبيرًا بهما، حتى يستطيع أن
 يحكم بالحق، ولكنك - فيما ظهر لي - لا تعلم عن حقيقة الدين الإسلامي شيئًا،
 وإلا لما رفعت وحدة ابن الفارض ووثنيته وإباحيته فوق توحيد القرآن وهداه.
 وليعذرني الدكتور الفاضل - رغم أي كنت تلميذه يومًا - إذا قلت له: كن
 حلسًا لزندقة ابن الفارض ما شئت، ولكن حذار أن يكون ذلك على حساب
 القرآن يا دكتورنا العزيز.



نقدات (٣)

وحدة الأديان عند الصوفية^(١)

نقد الدكتور لابن تيمية:

نهض الإمام ابن تيمية رحمه الله ليدفع عن الدين غائلة الصوفية وسواها، وكان مما وجه إليه سهام نقده القاتل أسطورة وحدة الأديان، فهاجمها هجوم المؤمن القوي والمفكر الرشيد اللماح الفكر، هاجمها متسلحًا بالنقل والعقل حتى صرعاها وصرع القائلين بها، وتلك خصيصة من خصائص الإمام ابن تيمية أنه ينقض الفكرة بالفكرة، ويذود عن قضايا العقل السليمة بالعقل والنقل، ويحامي عن الدين بالدين والفكر، فهو لا يبطل أسطورة من الفلسفة أو التصوف إلا إذا برهن على بطلانها من ناحية النقل والعقل، وهو يكاد يكون نسيج وحده في هذه الناحية العظيمة، ولسنا الآن بصدد عرض نقد ابن تيمية، فهو مبسوط بوضوح في كثير من كتبه، والدكتور الفاضل يلخص نقد ابن تيمية، فيقول^(٢): (أورد ابن تيمية بيّنًا ينسب عبارته إلى ابن عربي الذي يقرر فيه وحدة العقائد والتسوية بينها فيقول:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ونظر ابن تيمية في هذا البيت، وحاول أن يجرحه من الناحية المنطقية، فرأى أن فيه تناقضًا، لأن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد، ولأن

(١) (٩/ ١٣٧٠).

(٢) ص (٣٠٠) من كتاب ابن الفارض والحب الإلهي.

القضيتين المتناقضتين في السلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق إحداها كذب الأخرى لا يمكن الجمع بينهما^(١)، والصوفية يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل، ويقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين ومن سلك طريقهم يخالف المعقول والمنقول، ولا ريب عند ابن تيمية في أن هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة، وقد زاد ابن تيمية الأمر تفصيلاً وإيضاحاً، فعرض لمذهب ابن عربي في الاعتقاد بكل ما وردت به الأديان المختلفة، فإذا هو يقرر أن القائلين بهذا القول مشركون لأنهم عدلوا بالله كل مخلوق، وجوزوا أن يعبد كل شيء، ومع أنهم يعبدون كل شيء فإنهم يقولون: (ما عبدنا إلا الله)، وهذا في نظر ابن تيمية مخالف لدين المرسلين، ولدين أهل الكتاب، وللملأ جميعاً، بل ولدين المشركين أيضاً؛ ويستدل ابن تيمية على ذلك كله بأن الرسل كانوا يعتبرون ما عبده المشركون شيئاً غير الله وينظرون إلى عابده على أنه عابد لغير الله، مشرك به، عادل به، جاعل له ندأ، كما يستدل بأن الرسل دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره^(٢).

هذا تلخيص الدكتور لنقد ابن تيمية لوحدة الأديان عند الصوفية، وهو نقد

(١) انظر دقة ابن تيمية في إيراد الحجج المنطقية الصادقة، وليتأمل علماءنا الذين يحقدون على ابن تيمية.

(٢) إذن ذكر ابن تيمية أن دين الرسل جميعاً هو الإسلام العام فهو إذا قد نظر إلى الدين أنه واحد في أصله وهذا الذي ذكره الدكتور يرد على الدكتور زعمه فيما بعد.

محكم من ناحية العقل والنقل، ولكن الدكتور يعلق على هذا بقوله^(١): (ولكن نقد ابن تيمية على ما فيه من منطق سليم وحجة معقولة في حدود وجهة نظره التي نظر منها إلى المسألة، وهي أنه نظر إلى الشرائع باعتبارها مختلفة في الواقع، لا إلى أصلها باعتباره واحدًا يمكن دحضه وإظهار ما فيه من أوجه الخطأ إذا لاحظنا أن في القرآن كثيرًا من الآيات الكريمة التي حفلت بالمعاني الدالة على أن الدين في أصله واحد وفي فروعه متعدد)!!

وأما لدكتورنا الفاضل، إنه صوب إلى غير مرمى، وحارب في غير حرب، وجادل وهمًا فهو يحاول أن يدحض رأي الإمام ابن تيمية عن طريقين:
أولاً: ملاحظته أن ابن تيمية نظر إلى الشرائع باعتبارها مختلفة في الواقع لا إلى أصلها باعتبارها واحدًا.

وثانيًا: يسوق آيات من القرآن خيل إليه أنها تؤيد وجهة نظر ابن الفارض في وحدة الأديان.

وسنناقش الوجهة الأولى من نقد الدكتور لابن تيمية.

فأقول: إن كنت تعني يا دكتور بالأديان لفظًا عامًا مطلقًا يتناول كل دين سواء أكان دينًا من السماء أم دينًا وَضَعَتْهُ أهواء البشر وشهواتهم، فأقول: نعم هاجم ابن تيمية الأسطورة من هذه الناحية وجلى جلاءً واضحًا تناقض الأديان على إطلاقها وعمومها تناقضًا بينًا في الأصول والفروع^(٢)، فما يسوي عاقل بين

(١) (ص ٣٠١) من كتاب ابن الفارض والحب الإلهي.

(٢) أعني يوجد تناقض بين الأديان السماوية وبين الأديان الوضعية، ويوجد تناقض بين

دين سماوي وضعه العليم الحكيم الخبير، وبين دين وضعي وضعته زندقات البشر ووثنياتهم، ما يسوي عاقل بين دين يقوم على أساسين: عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادة الله بما شرع. وبين دين يقوم على تأليه الحجر أو العجل و على عبادة ذلك الإله بما يشرعه عباد ذلك الحجر أو العجل، ولن تستطيع يا دكتور مطلقاً، المعارضة في وضوح التناقض البين والتخالف الذريع بين هذين في الأصول والفروع.

وإن كنت تعني يا دكتور بالأديان لفظاً مخصصاً لا يقصد به إلا كل دين سماوي صحيح جاء به الوحي من الله رب العالمين فأقول إن ابن تيمية طالما صرح في كتبه يا دكتور بغير ما أسندته إليه، وهو أنه نظر إلى الشرائع باعتبارها مختلفة في الواقع لا إلى أصلها باعتبارها واحداً؛ إن ابن تيمية يفهم جيداً أن الدين واحد وأنه كله لله، وأن لا تخالف مطلقاً إلا في الفروع أما الأصول فواحدة في كل دين سماوي وهي الإيمان بالله الواحد المعبود وحده وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعدم التفرق في الدين والإخلاص في النية، والعمل عن بينة بما شرعه الله وحده على لسان رسله ومما بينه في كتبه.

وإليك نصاً واحداً يبين لك فهم ابن تيمية فهماً جيداً لهذه المسألة:

(كان^(١) الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره لا من الأولين ولا من الآخرين قال نوح: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَلَكُمْ مِّنْ أَجْرِ إِن آجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال في حق إبراهيم:

بعض الأديان الوضعية وبين بعضها الآخر.

(١) ص (٧٧-٧٨) من كتاب العبودية لابن تيمية ط مطبعة السنة المحمدية ١٩٤٧.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال عن يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] وقال عن موسى: ﴿يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا [يونس: ٨٣ - ٨٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال عن بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَبِّرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُوتَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣] انتهى كلام ابن تيمية بنصه.

أفرايت يا دكتور أن ابن تيمية يفهم جيدًا أن الدين كله لله منذ بدء الخليقة واحد، وأن الأنبياء جميعهم مبعوثون بدين الإسلام، أما وقد وضع هذا جيدًا فيسقط الوجه الأول من نقد الدكتور، والوحدة التي ينقدها ابن تيمية يا دكتور هي وحدة الصوفية القائمة على أساس أن الأديان كلها على إطلاقها واحد، سواء منها الدين السماوي القائم على التوحيد، أم الدين الوضعي القائم على الشرك والوثنية هذه هي الوحدة التي ينقدها الإمام، أما الوحدة بالمعنى الصحيح كما بينها القرآن فما أنت ترى في النص الذي سقناه أن ابن تيمية يقرها ويجليها، وشتان شتان بين هذه الوحدة وبين الوحدة عند الصوفية، فابن الفارض يعترف

بالمجوسية دينًا صحيحًا، ويقر عبادة العجل والصنم وغيرهما من المخلوقات ويعتبرها عبادة لله رب العالمين، وإلى هذا يتوجه نقد ابن تيمية أفستطيع أن تبطل إذن نقد ابن تيمية الذي بينا لك إلى أين يتجه؟!

أما أن تنقل نقده إلى معنى لا يقصد نقده بل يقره هو، وهو أن دين الله الذي بعث به كل رسله واحد فهذا ليس من سمة الباحث الذي ينشد الحق والحقيقة يا دكتور. أما الآيات التي حاول الدكتور الاستشهاد بها ليبرهن على صحة نظر ابن الفارض فنقول الآن إنها بالذات تدمغ ابن الفارض بالوثنية الجاحدة وموعدنا بمشيئة الله مناقشته فيما فهمه منها في العدد المقبل.



الباب الرابع

متفرقات صوفية

زندقة الجيلي^{(١)(٢)}

- ١- الله وصفاته وأسماءه.
- ٢- محمد وحقيقته.
- ٣- إبليس وأصله ومصيره.
- ٤- الولي وسلطانه.
- ٥- التوحيد.
- ٦- وحدة الأديان.
- ٧- ألوان من التفسير الصوفي.

دعاني إلى كتابة هذا المقال بدلاً من سلسلة مقالاتي الأخرى المعنونة: «بنظرات في التصوف»^(٣) ما نشرته مجلة «آخر ساعة» في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٩٦١، فقد نشرت حديثاً صوفياً مطوّلاً عنونته له بعنوان يستثير الدهشة، من الغلو في الله افتراء على الحقيقة. وعنوان آخر معه يدفع الصوفية بما هي مدموغة به من قبل، وإن كانت تحاول عند المسلمين أن تستره بشف رقيق من فتنة الرياء:

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي عاش في القرن الثامن الهجري، وهو من كبار الصوفية الذين نهجوا نهج ابن عربي، وحافظوا على تراثه، وأهم كتبه كتاب: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» وغايته منه إثبات أن محمداً هو الإنسان الكامل، وأن الإنسان الكامل هو الله.

وقد تكلمت عن الجيلي في كتابي: «هذه هي الصوفية» ولكن هذه النصوص التي نذكرها اليوم ننشرها لأول مرة عن كتابه الإنسان الكامل، طبعة المطبعة العامرة سنة ١٢٩٣ هـ.

(٢) (١ / ١٣٨١) هـ.

(٣) يسر الله إخراجها قريباً، وهي مجلد ضخمة، يحتوي على سلسلة تضم ثمانية وأربعين مقالاً للشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ (ض).

أما العنوان الأول فهو: «التصوف يخدم العلم» وأعتقد أن العنوان الصحيح الذي كان يجب أن يوضع، والذي يعبر تعبيراً كاملاً عن حقيقة التصوف: «التصوف يخدم الخرافة، ويمجد الوثنية» فما وجدنا للصوفية في سلفها وخلفها علماً ولا أثارة من علم، وأنا لا أفئات عليها فيما أقول، اللهم إلا إن سمي قولك عن الباطل إنه باطل افتياتاً عليه؛ وليدلني الصوفية محتشدين بعضهم لبعض ظهيراً عن صوفي واحد، أو كتاب تصوف مجد العلم، أو دعا إليه، وإنهم لن يجدوا؛ لأمر بين واضح، هو أن الصوفية نفسها تحارب العقل والفكر والعلم، إذ يكشف العقل عن ضلالاتها، ويحكم بمروقها عن كل القيم العقلية، وهي تعترف في جرأة سليطة أنها ليست نتاجاً للعقل، ولا ثمرة من ثمرات الفكر، أو الوحي الإلهي، وإنما هو «ذوق ووجد»^(١) ويا للعقل من الأذواق، ويا للدين من المواجيد!!.

أروني حقيقة علمية في كتب «ابن عربي» كلها، وهو شيخ الصوفية الأكبر!!.

لا تلوذوا بالشطحات العرايب، ولا بتهويمات الخيالات الجوامح، فتزعموا أن علماء الفضاء في روسيا وأمريكا ما هم إلا صور لابن عربي في أسماء مختلفة، فلقد زعمتم مثل هذا من قبل، ووجدتم من يصدقكم، ولكن سلطان الحقيقة اليوم ذو حول وطول، فلن يأذن لمثل عناكب هذه الخرافة أن تبسط خيوطها على العقول!!.

أما العنوان الصوفي الطويل، فهو: «جارجارين متصوف كبير». و«جارجارين» هو الفتى الروسي الذي انطلق في الفضاء ثم عاد؛ وهو شيوعي!! فهل نفهم من

(١) يقول الجيلي في الإنسان الكامل: «هذا لا يعرف بطريق العقل، ولا يدرك بالفكر» إلخ

هذا أن الشيوعية صوفية؟

لقد قلنا من قبل، قلنا: إن الصوفية ردغة ضلالات وحماة زندقات، وهي في دعواها أنها تمثل الروحانية إنما تمثل في الحقيقة المادية الصماء، فهي لا تؤمن بغير هذا الوجود المحسوس الملموس الواقعي ربًّا، ولا تصدق بأن فوق العرش إلهًا، ولا تؤمن بأن للخلق خلأً، فالخلق هو نفسه هذا الخلق الذي نحسه!! والشيوعية هي هذا الإلحاد، كنا نقول هذا، فكان ينبري لنا من الصوفية من يحاول التقصي عن الحقيقة، فيرغى ويزبد ويصخب، ويتوعد، ويهدد، حتى جاء حديث آخر ساعة في صراحة يؤيدنا في كل حرف قلناه، فلتعرف الصوفية أنها شيوعية، وأنها صهيونية، وأنها صليبية، وأنها مجوسية، وأنها برهمية، وأنها بوذية ثنوية، فقد اعترف بما هو أكثر من هذا أئمتها وسادتها، ولا سيما «عبد الكريم الجيلي»، وستأتي النصوص دامغة!!.

ولقد استوقف نظرنا في هذا الحديث قول صاحبه الكبير: (والعجيب أن التصوف كان دائماً في خدمة العلم والعلماء... ولقد كانت الخطوات الصوفية العليا هي الباب الذي نفذ منه العلماء إلى مجال التجربة والتطبيق، لأنها فتحت أمامهم آفاقاً ارتادوها وأدركوا ما فيها من أسرار. ومن هنا نعلم أن التصوف يساهم بنصيبه وبطريقته في بناء العلم...).

لو أنك عنيت بتتبع التطورات العلمية وحاولت أن تربط بينها وبين ما يملأ كتاب الإنسان الكامل لمؤلفه عبد الكريم الجيلي، لأدركت إلى أي حد مهد التصوف للعلم وسائل البحث والاكتشاف).

وسألت: هل التصوف درجات؟

قال: ما دام التصوف حالة نفسية فلا بد أن يختلف قوة وضعفًا، وذلك بحكم خضوعه للمقاييس العادية ومؤثرات ذلك الوجود.. فمثلاً: ذلك الطيار الذي يقود طائرته النفاثة وهي تسير بسرعة الصوت، إنه في هذه الحالة يكون على درجة كبرى من الروح المعنوية العالية، وهنا يفنى في نفسه ويصبح جزءاً من الكون كله... هذا الشعور الذي يملكه أعلى مراحل الصوفية.

وأشار إلى جاجارين فقال: لا شك أن رجل الفضاء الروسي جاجارين... قد عانى من هذه التجربة على أقصى درجاتها في أثناء رحلته إلى الفضاء.

- فعلاً جاجارين كان بلا شك يعاني نوعاً من الصوفية... وهذا يعني أن الصوفية ليست مقصورة على دين معين... لأن التصوف كما قلت: ظاهرة نفسية. ويجب أن نعترف بأن التصوف الإسلامي يعتبر أرقى أنواع التصوف؛ لأن الإسلام يربط العبد مباشرة بربه. وفي هذا يقول الله تبارك: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. إن الإنسان في الإسلام لا يحتاج إلى طقوس حتى يواجه ربه... والرسول الأعظم هو الذي يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى...»^(١) وهو بذلك يعتبر قمة من قمم الإنسان في مجال المعرفة الروحية.

ولن نناقش الحديث إلا في قضيتين:

أولاهما: أن التصوف الإسلامي يعتبر أرقى أنواع التصوف؛ لأن الإسلام يربط العبد مباشرة بربه. ترى هل التصوف هو الإسلام حتى يحمل عليه ما يحمل على

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤١١/٥)، من حديث رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه

الألباني في تخريج شرح الطحاوية (٤٠٦).

الإسلام؟ أو يحكم عليه بما يحكم به على الإسلام؟ الإسلام يربط العبد مباشرة بربه. هذه حقيقة هي أم الحقائق العليا في دين الإسلام، وقد دعا إليها الرسل جميعاً وهم قد أرسلوا جميعاً بالإسلام.

ولكنها في التصوف أسطورة يهزأ بها ويكفر بها شيوخ التصوف وأحباره وكهانه، وستأتي النصوص قاصمة قاصمة!!.

ولقد أغنانا الحديث نفسه، فقرر أن التصوف ظاهرة نفسية!!

وأين هذا من وحي الله؟

أما القضية الأخرى: فهي تلك التي مجَّد فيها الحديث كتاب الإنسان الكامل «لعبد الكريم الجليل» حتى جعله من الكتب التي مهدت للتطورات العلمية الحديثة. ولقد عدت إلى كتاب: «الإنسان الكامل» أترعره مرة أخرى أو أنقب، أو أجِدُّ في التنقيب عليَّ أجد شعاعة حيرى، أو لمحة ولهى من نور، فلم أجد في كل صفحاته إلا ما سأنقل إليه بعضه بنص ألفاظه، ولعلنا بعد تدبر هذه النصوص ابتغاء الوصول إلى الحقيقة، نلقي أزمنا للحق، ونؤمن بأن الصوفية في «الإنسان الكامل» للجيلي هي الصوفية في «الفتوحات والفصوص» لابن عربي، هي الصوفية في «تائية» ابن الفارض، هي الصوفية عند «فيلون» اليهودي، و«أفلوطين» المسيحي، هي الصوفية في «الغنوصية»، و«الباطنية»، فمنذ قام الإسلام قام التصوف ليحاربه، ولعل في قصة الشيطان مع آدم ما يجعلنا نفهم هذه الحقيقة، ولهذا تجد الصوفية حفية «بإبليس» تمجده، وتضع عليه الطيالس والأكاليل، وستأتي النصوص قاطعة راجفة!!.

وإليك طرفاً من عقيدة «الجيلي» أو من عقيدة الصوفية:
الله وصفاته:

ليس القارئ بحاجة إلى أن أذكره بالله وصفاته وأسمائه كما هي في القرآن والسنة؛ غير أنني أحب أن أذكره بحقيقة قد يراها هو بدهية من بدهيات الإيمان، ولكن هذه الحقيقة لا يكفر التصوف بشيء كما يكفر بها؛ هذه الحقيقة هي أن الله ربنا، ونحن عبيده، وأن الله خالقنا، ونحن خلقه، لا تشبه - سبحانه - ذات أحد ذاته، ولا تماثل صفات أو أسماء في الحقيقة صفاته أو أسماءه، وأنه جل شأنه ليس كمثله شيء، وأن الخلق غير الخالق ذاتاً وحقيقة وصفة واسماً!!

حقائق يتفجر منها الضوء ويسطع، ويؤمن بها من يؤمن بأنه إنسان!!
أما من يؤمن بأنه جماد، أو إله، فلا حديث لنا معه.

هذه الحقائق الناصعة الساطعة الصاعدة لا تجد السبيل إلى قلب صوفي!!
فالصوفية تسوي تسوية تامة بين الخلق والخالق؛ وبين القديم والمحدث، وبين الرب والعبد.

وإليك هذه النصوص التي لم ننشرها في كتاب أو مقال لنا من قبل، وهي من كتاب: «الإنسان الكامل» الذي أشار إليه الحديث المنشور في آخر ساعة، وأحمد الله أن اعترف به، فالبدعة الصوفية اليوم هي إنكار مثل هذه الكتب أمام الناس، قال الكتاب:

(هو الحامد والحمد والمحمود، حقيقة الوجود المطلق، عين هوية المسمى بالخلق والحق، مَحْتَدُّ العالم الظاهر على صورة آدم، معنى لفظ الكائنات، روح

صور المخترعات... ذات حقيقة الجواهر والأعراض، صورة المعاني والأغراض، هوية العدم والوجود، إتيّة عين كل والد ومولود، استقامت بقيومية أحديته قدود الذات. فنطقت ألسن الصواقب أنه عينها؛ وشهدت عين المحاسن والمساوي أنه زينها، توحد في التعداد... بقاؤه هوية بطون العدم وظهور الوجود. ألوهيته الجمع بين ذل العابد، وعز المعبود... ظهر في كل ذات بكل خُلق واتصف بكل معنى في كل خُلق وحق، جمع بذاته شمل الأضداد، وشمل بواحديته جمع الأعداد.. أحديته عين الكثرة المتنوعة، وتربّيته عين الازدواجات المتشعبة^(١).

هل يأذن الأدب أن نقول عن الله: إنه حقيقة العدم والوجود؟ وإنه حقيقة كل والد ومولود، والله يقول: ﴿كَلِمَ بَكِيدٌ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]!!
لا أقول: هل يأذن الدين، أو القرآن؛ لأن الصوفية لا تؤمن بالدين ولا بقرآن هذا الدين!!

التشبيه والتنزيه:

يقول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
ويقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ولكن الجيلي يقول: (نزه إن شئت، وشبه إن شئت، فعلى كل حال أنت غارق في تجلياته)^(٢) أي قل: إنه غير خلقه. وقل: إنه عين خلقه، فأنت على الحالين صادق. فهو غيرهم باعتبار الظاهر، وهو عينهم باعتبار الباطن.

(١) (ص ٢ / ج ١).

(٢) (ص ٣٩ / ج ١).

الوحدة التامة بين العبد والرب:

يقول الجيلي:

حبتني فكانت فيّ عني نيابة أجل عوضًا، بل عين ما أنا واقع
فكنت أنا هي، وهي كانت أنا، وما لها في وجود مفرد من ينازع
بقيت بها فيها، ولا تاء بيننا وحالي بها ماض كذا ومضارع
فأوصافها وصفي، وذاتي ذاتها وأخلاقها لي في الجمال مطالع
واسمي حقًا اسمها، واسم ذاتها لي اسم، ولي تلك النعوت توابع^(١)

الحقيقة الإلهية هي «الجيلي» والجيلي هو الحقيقة الإلهية، ذاتًا وصفة واسمًا
وفعلًا!! والمعاني مسروقة من تائية ابن الفارض. وقوله: (ولا تاء بيننا) يعني:
رفعت تاء المخاطبة الكائنة في قول كل منهما للآخر: أنت، إذ صارا واحدًا، يقول
كل منهما لصاحبه: يا أنا!!

الله عين الأشياء!:

وليس الإنسان وحده هو الذي تحققت فيه الوحدة التامة بين الخلق والخالق،
بل كل شيء عين الله؛ وإليك ما يقوله:

(إن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء، وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقية، لا
كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية) [ص ٦٩ / ج ١].

(كل موجود يوجد فيه ذات الله سبحانه وتعالى بحكم الاستيلاء؛ فذلك الموجود
هو العرش لذلك الوجه الظاهر فيه من ذات الحق سبحانه) [ص ٣٣ / ج ١].

الثالث:

يقول الجيلي: (إن الحق تعالى هو حقيقة عيسى وحقيقة أمه، وحقيقة روح القدس، بل حقيقة كل شيء) [ص ٨٦ / ج ١]. والله يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] فليقل المسلم: من نصدق؟؟

الله هو النفس:

يقول الجيلي: (اعلم أن النفس تسمى في الاصطلاح على خمسة أضرب: نفس حيوانية، ونفس أمّارة، ونفس ملهمة، ونفس لوّامة، ونفس مطمئنة، وكلها أسماء الروح، إذ ليس حقيقة النفس إلا الروح، وليس حقيقة الروح إلا الحق فافهم). [ص ٤٧ / ج ٢].

الله عبد ورب:

وإذا كان الوجود كله هو عين الله، فمن الطبيعي أن تزعم الصوفية أن الله هو الرب وهو العبد، وإليك النصوص:

ذات لها في نفسها وجهان	للسفل وجه والعلا للثاني
ولكل وجه في العبارة والأدا	ذات وأوصاف وفعل بيان
إن قلت: واحدة صدقت، وإن تقل	اثنان حقاً إنه اثنان
أو قلت لا بل إنه لمثلث	فصدقت ذاك حقيقة الإنسان
انظر إلى أحديّة هي ذاته	قل واحد أحد فريد الشأن
ولئن ترى الذاتان قلت لكونه	عبدًا وربًّا إنه اثنان

ص (٩).

الله يجمع المتناقضات:

يقول الجيلي: (لهذا الجوهر عرضان، الأول: الأزل. والثاني: الأبد. وله وصفان، الوصف الأول: الحق. والوصف الثاني: الخلق. وله نعتان، الأول: القدم. والنعت الثاني: الحدوث. وله اسمان، الاسم الأول: الرب. والاسم الثاني: العبد). [ص ١٧ / ج ١].

محمد أو الحقيقة المحمدية:

يعتقد الصوفية أن الحقيقة الإلهية كانت وجودًا مطلقًا، أو عماءً مجهولًا، ثم أرادت الذات أن تظهر، وأن ترى نفسها، فتعينت في الحقيقة المحمدية أو محمد؛ وإليك النصوص من «الإنسان الكامل» للجيلي:

يقول عن الوحدة التامة بين محمد والله: (رداؤه المعلم، طرازه الأفخم، وسابقه الأقدم، وصراطه الأقوم، مجلى مرآة الذات، منتهى الأسماء والصفات، مهبط أنوار الجبروت، منزل أسرار الملكوت، مجمع حقائق اللاهوت، منبع رقائق الناسوت، النافخ بروح الجبرلة، والمناخ بسر الميكلة، والسابع بقهر العزلة؛ والجناح بجمع السرفلة، عرش رحمانية الذات، كرسي الأسماء والصفات، منتهى السدرات، رفرر سرير الأسرات، هيوولي الهباء والطبيعات، فلك أطلس الألوهيات، منطقة بروج أوج الربوبيات) [ص ٣ / ج ١]. والجبرلة والميكلة والعزلة والسرفلة: يعني أن محمدًا فيه روح جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل.

وهيولي: أي: مادة الوجود وأصله.

محمد والد جبريل وأصل العالم:

(إن العقل الأول المنسوب إلى محمد خلق الله جبريل عليه السلام منه في الأزل، فكان

محمد أبا لجبريل وأصلاً لجميع العالم) [ص ٢٠ / ج ٢].

محمد هو كل شيء:

ليس الوجود بأسره إن حققوا	إلا حباً با طَفَحَتْه دنانـه
الكل فيه، ومنه كان، وعنده	تفنى الدهور، ولم تزل أزمانه
فالخلق تحت سما علاه كخردل	والأمر يبرمه هناك لسانه
والكون أجمعه لديه كخاتم	في إصبع منه أَجَلْ أكوانه
والملك والملكوت في تياره	كالقطر بل من فوق ذاك مكانه
وتطيعه الأملاك من فوق السما	واللوح يُنفذ ما قضاه بنانه
هو در بحر ألوهة وخضمها	هو سيف أرض عبودة ومعانه
هو هاؤه هو واوه هو باؤه	هو سينه والعين بل إنسانه
هو كافه، هو نونه هو طاؤه	هو نوره هو ناره هو رانه

[ص ٤٩ / ج ٢].

خلاصة كلامه: أن محمداً هو الله. وتعالى الله عما يلحد به الجيلي!!

محمد يتشكل بصور مختلفة أزلاً وأبداً:

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].
ويقول: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِّي أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾.

[الأحقاف: ٩]

أفي هذا النور والحق ريبة أو مظنة ريبة؟!

ولكن اسمعوا ما يقول الجيلي:

يقول: (لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به محمداً ﷺ).

[ص ٤٨ / ج ٢]

ثم يقول (ص ٥ / ج ٢): (اعلم أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبد، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كُنائسي، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر؛ فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم. ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخ الشيوخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي ﷺ؛ وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة... ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي قال الشبلي لتلميذه: أشهد أنني رسول الله. وكان التلميذ صاحب كشف، فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله. وهذا أمر غير منكور).

(يقابل الهوية بالهوية والإنية بالإنية، أو الذات بالذات، والكل بالكل، والشمول بالشمول، والخصوص بالخصوص، وله مقابلة أخرى: يقابل الحق بحقائقه الذاتية. ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك) [ص ٥١ وما بعدها / ج ٢].

فهل بين هذه الأسطورة الملعونة وبين خاتم المرسلين نسب؟! ما يقول: نعم. رجل في قلبه ذرة من إيمان، ولكن يقولها صوفي!!.

إبليس، وأصله، ومصيره:

يعشق التصوف إبليس عشقاً لا يستطيع أن يخفيه، فيظهر على ألسنة أئمة ثناء حفيّاً بهذا الرجيم الملعون؛ وإليك رأي الجيلي في إبليس:

مم خلق إبليس؟

كلنا يعرف من القرآن أنه خلق من نار، وكلنا يعرف أن محمداً ﷺ خلق من نطفة، وأنه من سلالة آدم، وأن آدم من طين. حقائق قرآنية لا يماري أو يجادل فيها غير الصوفية.

فهذا الجيلي يقول: (خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ) [ص ٤١ / ج ٢].

أين من يتهموننا بأننا نقول: نكره محمداً ﷺ؛ لأننا نقول عنه ما قال القرآن، ونؤمن به كما طلب القرآن؟!

أين سدنة التصوف وأذنا به وذباباته التي تطن دائماً، فتحسب أنها تغطي صيحة الحق المدوية.

هذا الكفر الملعون الدنس الحقير يهرف به صوفي، فتقولون عنه: قطب كبير!! وكلمة حق نقولها نقلاً عن القرآن، وهو أن محمداً ﷺ بشر مثلنا ولكنه خاتم النبيين، فتبهتوننا بأننا نكرهه!!

مصيره:

كلنا يعرف مصير إبليس، فقد ذكره القرآن ولكن اسمع ما يقوله الجيلي:

(إذا انقضى يوم الدين، فلا لفتة عليه لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية في يوم الدين... فلا يلعن إبليس أي: لا يطرد عن الحضرة إلا قبل يوم لأجل ما يقتضيه

أصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية، وأما بعد ذلك، فإن الطباع تكون لها من جملة الكمالات، فلا لعنة، بل قرب محض، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي) [صد ٤٢ / ج ٢].
أيقول هذا مؤمن؟

إذا كان مصير إبليس هو القرب المحض من الله، فما بالك بمن هم دونه شرًا وفسادًا!!

فليفسق من شاء، وليكفر من شاء، وليعد من شاء على قيم الدين، ومقدسات القيم عدوانًا باغيًا، فما ثم إلا قرب محض من الإله!!
إن الجاهلية في عتو جحودها لم تستطع أن تقولها، بل الشيطان نفسه في عناد كفره الغليظ، وفسوقه المتمرد لم يقلها، ولكن قالها صوفي كبير!!
أدب إبليس وعلمه:

وفي فيض الحنان العطوف من الصوفية على شيخها إبليس يهرف الجيلي بهذا الشناء العاطر على الملعون؛ فيقول معقبًا على جوابه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ﴾ [طه: ٧٦]: «وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بأداب الحضرة، وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب». [صد ٤١ / ج ٢].
الولي وسلطانه:

يقول ربنا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبٍّ وَإِنْ أَهَرَ النَّبُوتُ لَا بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، ويقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]؛ ولكن

الصوفية تؤكد للناس أن الولي هو عين الله، وأن البدوي، أو الدسوقي، أو الجيلي إنما هم صور تجسدت فيها الحقيقة الإلهية، وإليك ما يقول الجيلي: (إن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية، وكشف له عنه، علم أن ذات الله تعالى هي عين ذاته). [ص ٤٤ / ج ١].

الولي روح العالم وحياته:

ويقول عن أنواع الأولياء: (منهم من تجلّى الحق له بالصفة الحياتية فكان هذا العبد حياة العالم بأجمعه، يرى سريان حياته في الموجودات جميعها جسمها وروحها... ويشهد المعاني صورًا لها منه حياة قائمة بها، فما ثم معنى كالأقوال والأعمال، ولا ثم صورة لطيفة كانت كالأرواح، أو كثيفة كانت كالأجسام إلا كان هذا العبد حياتها، يشهد كيفية استمدادها منه) ويأبى الجيلي إلا أن يثبت أنه كان في هذا المشهد، فيقول: (وكنت في هذا التجلي مدة من الزمان). [ص ٤٤ / ج ١] وما بعدها.

علم الولي علم الله سبحانه:

يقول الجيلي: (علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريحها من المبداء إلى المعاد، وعلم كل شيء كيف كان، وكيف هو كائن، وكيف يكون، وعلم ما لم يكن ولو كان ما لم يكن، كيف كان يكون، كل ذلك علمًا أصليًا حكميًا كشفياً ذوقيًا من ذاته لسريانه في المعلومات). [ص ٤٥ / ج ١].

وفي مكان آخر يقول: (ما ثم علم يرجع إلى الحق، وما ثم علم يرجع إلى الخلق إلا وبصر هذا العبد واقع عليه، فهو يبصر الموجودات كما هي عليه في غيب الغيب؛ ويسمع نطق الجمادات، والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة، واختلاف

اللغات، وكان البعيد عنه كالقريب، وهمس الجمادات والنباتات... وفي هذا التجلي سمعت علم الرحمانية). [ص ٤٥ / ج ١].

وهكذا يأبى إلا أن يثبت لنفسه في كل فرية تختلقها زندقته أنه كان في هذا المقام الأسطوري!!

صفات الولي صفات الله:

وليس للولي علم الله وحده، بل له كل صفة من صفاته. (إن سمعه سمع الله، وبصره بصر الله، وكلامه كلام الله، وحياته حياة الله، وعلمه علم الله، وإرادته إرادة الله، وقدرته قدرة الله تعالى؛ كل ذلك بطريق الإحالة). [ص ١٩ / ج ١].

مشاهدات الولي وبرازخه:

واسمع للجيلي - وناشدتك الله إلا ما حكمت حكم الحق الذي يطلبه منك الله - اسمع عن مشاهدات الولي:

(يشهد صدور الوجود أعلاه وأسفله منه، ويرى متعددات أمر الوجود في ذاته، وللإنسان الكامل ثلاث برازخ. وبعدها المقام المسمى بالختام.

البرزخ الأول: يسمى البداية، وهو التحقق بالأسماء والصفات.

البرزخ الثاني: يسمى التوسط، وهو فلك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية، فإذا استوفى هذا المشهد عِلِمَ سائر المكتمات، واطلع على ما شاء من المغيبات.

والبرزخ الثالث: هو معرفة التنوعات الحكيمة في اختراع الأمور القدرية.

لا يزال الإنسان تحرق له العادات بها في ملكوت القدرة حتى يصير خرق العوائد عادة في فلك الحكمة، فحينئذ يؤذن بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان).

[ص ٥٢ / ج ٢].

مقام الخلّة:

هو أرقى مقامات العبودية، ولكن الجيلي يفسره تفسيرًا يتلاءم مع زندقته الجاحدة؛ فيقول: (هو أن يتخلل العبد بالحق تعالى، فيظهر في جميع أجزاء جسده آثار التخلل، بأن تنفعل الأشياء له بلفظة كن، وأن يبرئ العلل والأمراض، ويأتي بالمخترعات بيده، وأن يكون لرجله المشي في الهواء، وأن يقدر على التصور بكل صورة بتمام هيكله). [ص ٩٧ / ج ٢].

إن الصوفية تزعم أن الولي يستطيع أن يأتي بالمخترعات بيده؛ فهل تستطيع أن تمدنا في عصرنا الحاضر بواحد من هؤلاء؟

وهل تستطيع أن تدلنا في التاريخ على واحد من هؤلاء؟
إنها لن تستطيع!! فهل بعد ذلك من دليل على وضاعة الفشل؟

التوحيد:

شهادة التوحيد عندنا: (لا إله إلا الله) والرسول ﷺ يقول: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»^(١).

ومعناها واضح كل الوضوح، فهي تثبت أن الله هو وحده الذي له الإلهية وتنفي هذه الصفة عن سواه سبحانه.

ولكن اسمع تفسير الجيلي لكلمة التوحيد:

(«لا إله إلا الله» معناه لا وجود لشيء إلا الله، ولفظ إله في قوله: لا إله. يراد

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، برقم: (٣٥٨٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في المشكاة (٢٥٩٨).

به تلك الأوثان التي يعبدونها، سماها الله تعالى إلهًا كما سموها، موافقة لهم لسر وجوده في أعيانها، فهي بوجوده آلهة حقًا، فكل معبود منها بظهور الحق في عينه إله؛ لأنه تعالى عينها، وهو الله حيثما ظهر مستحق الألوهية؛ ثم أفرد الجميع في الاستثناء بقوله: إلا الله.

يعني ليست تلك الآلهة إلا الله. فلا تعبدوا إلا الله على الإطلاق من غير تقييد بجهة، فإنه كل الجهات، فما في الوجود شيء إلا الله تعالى، فهو تعالى عين جميع الموجودات». [ص ٨٩، ٩٠ / ج ٢].

إن عبدة الأوثان أنفسهم لم يستطيعوا أن يقولوا عن أوثانهم إنها هي الله، بل قالوا عنها: إنها شفعاء لهم عند الله.

أما «الجيلي» وإخوانه، فيأبون إلا أن يقولوا عن الأوثان: إنها عين الله!!
وإلا أن يقولوا عن الأدناس والأرجاس والكلاب والخنازير: إنها آلهة حقيقية عابدها ناج من النار!!

ولم لا، وفي كل منها تتمثل الحقيقة الإلهية؟! فماذا يقول سدنة الصوفية؟
وحدة الأديان:

زعم الجيلي أن الله سبحانه هو عين كل شيء. ثم استطرد زاعمًا أنه ما عبد قوم شيئًا إلا وكانوا عابدين لله حقيقة!!

ولم لا، وكل شيء هو الله سبحانه.

وإليك النصوص الدامغة:

يقول عن عبدة الحجارة، والكواكب، والطبائع: (إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك

إلا هو.

فقال: لا إله إلا أنا... أي ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا، فما في العالم من يعبد غيري» [ص ٦٩].

ثم عدد الملل المختلفة، وهم: (الكفار، والطبائعية، والفلاسفة، والشنوية، والمجوس، والدهرية، والبراهمة، واليهود، والنصارى، والمسلمون) ثم صوب دين الجميع؛ فقال: (كل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي؛ لأنه خلقهم لنفسه لا لهم، ثم إنه سبحانه أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته، فعبدته جميع الطوائف؛ فأما الكفار، فإنهم عبدوه بالذات؛ لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره، والكفار من جملة الوجود، وهو حقيقتهم، فكفروا أن يكون لهم رب؛ لأنه تعالى حقيقتهم، ولا رب له، بل هو الرب المطلق، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها، ثم من عبد منهم الوثن، فإله وجوده سبحانه بكمال، بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذرات الوجود، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها فما عبدوا إلا الله) [ص ٨٢ / ج ٢].

ثم يقول عمن عبدوا الكواكب: (لما كان الحق حقيقة ذلك الكوكب اقتضى أن يكون معبودًا لذاته، فعبدته لهذا السر).

ثم يستطرد فيقول: (فما في الوجود حيوان إلا وهو يعبد الله تعالى إما على التقيد بمظهر ومحدث، وإما على الإطلاق، فمن عبده على الإطلاق فهو موحد، ومن عبده على التقيد فهو مشرك، وكلهم عباد الله على الحقيقة لأجل وجود الحق فيها، فإن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضي ألا يظهر في شيء إلا ويعبد ذلك

الشيء، وقد ظهر في ذرات الوجود). [ص ٨٣ / ج ٢].

ويقول عن «الثنوية والمجوس»: (فالثنوية عبوده من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه في نفسه سبحانه، فهو المسمى بالحق، وهو المسمى بالخلق، فهو النور والظلمة، وأما المجوس: فإنهم عبوده من حيث الأحدية... فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالى). [ص ٨٣ وما بعدها / ج ٢].

وهذا هو هدف الصوفية!!

هو القضاء على الإسلام؛ أو القضاء على مقومات المسلمين، فقوة المسلمين في دينهم القوي، وأعجب العجب من كيد هذه الشمطاء الخئون أنها تخادع حتى كبار المثقفين عن دينهم حتى يظنوا أنها روحانية الدين السامية، وهي عدوه الألد الخصام!!
ألوان من التفسير:

تؤمن الصوفية أن في كتاب الله سبحانه القضاء على باطلها الملون فإذا تفعل؟ راحت تبتدع أن لكل ظاهر باطنًا، وأن لآيات القرآن معاني أخرى فهمها محمد وكتماها عن الناس، ولم يقلها إلا لفئة قليلة من أصحابه، وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق على كتمانها ليلة الإسراء كما ذكر الجيلي في كتابه، وإليك نمطًا من التفسير، أو نمطًا من الجحود بمعاني القرآن والحديث:

﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦]

(قدم التنزيه في هذا على التشبيه ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ يعني: كيف أنسب المغايرة بيني وبينك، فأقول لهم: اعبدوني من دون الله، وأنت عين حقيقتي وذاتي، وأما عين حقيقتك وذاتك، فلا مغايرة بيني وبينك). [ص ٨٠ / ج ١].

فهل يقولها مؤمن؟ إنما يقولها الصوفية! وإليك تفسيرًا لأول سورة البقرة:

﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿٣﴾ [البقرة: ١-٣]

(أشار بذلك إلى حقيقة ألف لام ميم، وذلك من طريق الإجمال، إشارة إلى الذات والأسماء والصفات، ذلك الكتاب، والكتاب هو الإنسان الكامل؛ فألف لام ميم بما أشار إليه هو حقيقة الإنسان لا ريب فيه، هدى للمتقين، الذين هم وقاية عين الحق، والحق وقاية عنهم، فإن له دعوة الحق، فقد كُتبت به عنهم، وإن دعوتهم فقد كُتبت بهم عنه. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، والغيب هو الله لأنه غيبهم، آمنوا به أنه هديهم، وأنهم عينه، ﴿وَمِمَّا رَفَعْنَاهُمْ يُقُفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]، يعني يتصرفون في الوجود من ثمرة ما أنتجته هذه الأحدية الإلهية في ذواتهم). [ص ٩٣ / ج ٢].

تفسير حديث النزول:

(الحديث يدل بإشارته إلى ظهور الحق سبحانه وتعالى، في كل ذرة من ذرات الوجود، فالمراد بالليلة هي الظلمة الخلقية، والمراد بسما الدنيا، ظاهر وجود الخلق، وبالثلث الأخير حقيقته، والمراد بسما الدنيا ظاهر جسم الولي، والثلث الأخير المعرفة والذوقية الإلهية السارية في وجود العبد). [ص ٨٨ / ج ١].

كلمة خاتمة:

نحن في عهد ثورة تتسم بالقوة والإيمان الرفيع القوي بمثلنا السامية، وقيمنا العليا، والتصوف ظلمات جهالة وضلالة، وخمول وكسل وجبانة وعزلة عن الحياة في قوتها ونبيلها وتساميتها؛ ومن الخيانة الكبرى لهذه الثورة المؤمنة القوية أن نتكسرها بدعوتنا إلى إحياء التصوف، وانتهاج سبيله!! إنها دعوة إلى الهلكة والذلة والعبودية لكل طاغية غشوم يستطيع أن يزعم أنه الحقيقة الإلهية في صورة طاغية!! ثم إننا نسأل سؤالاً هادئاً لا تضج فيه صولة غضب، وإننا تناسمه روح المحبة

للخير والحق والسلام، لقد أغلقنا مراكز البهائية^(١)، وقضينا على هذه الأوكار الملعونة للخيانة؛ ولعلنا أول من هلل لهذا القرار، فقد نبهنا على خطر هذه الطائفة الملعونة في مجلتنا: «الهدى النبوي» منذ سنوات.

والصوفية أستاذة البهائية، وشيطانها، فقد قالت البهائية بتجسد الحقيقة الإلهية في بعض بني الإنسان، وكان أعظم تجسد لها في هيكل الملعون الطاغية الباغية ميرزا حسين علي الهالك الملقب بالبهاء، أما الصوفية فتقول بتجسد الحقيقة الإلهية في كل شيء.

فَلْتُبْعْ رَأْسَ الثَّعْبَانِ ذَنْبَهُ، وَلنَقْضِ عَلَى هَذِهِ الصُّوفِيَّةِ بِصَوْلَةِ الْحَقِّ، فَمَا فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمَ مَكَانَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الْمَلْعُونَةِ، وَالزُّنْدَقَةِ الْبَاغِيَّةِ الَّتِي نَقَلْنَا لَكَ نَصُوصَهَا بِأَمَانَةٍ وَدَقَّةٍ عَنْ كِتَابِ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ الْجِيلِيِّ.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.



(١) أغلقت بقرار جمهوري بعد صدور كتاب العلامة الوكيل رَحِمَهُ اللهُ عَنْهَا وبيان حقيقتها. (ض).

دراسات في التصوف الإشرافي

البوادر الغيبية في النوادر العينية

للشيخ عبد الكريم الجيلي^{(١)(٢)}

يقول الشيخ الجيلي في كتابه: «الإنسان الكامل»: (مثل العالم مثل الثلج، والحق - سبحانه وتعالى - الماء الذي هو أصل الثلج، فاسم تلك الثلجة على ذلك المنعقد مُعَارٌ، واسم المائيّة عليه حقيقة، وقد نبهت على ذلك في القصيدة المسماة: بالبوادر الغيبية في النوادر العينية، وهي قصيدة عظيمة لم ينسج الزمان على كُـم الحقائق مثل طرازها، ولم يسمح الدهرُ بفهمها؛ لا عتزازها)^(٣).

(١) (٥-٦/١٣٧٨هـ).

(٢) ولد سنة ٧٠٧ هـ. وهو من «جيلان» الواقعة جنوبي بحر قزوين، ومن أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي، الذي مزج بين الرسوم والإشراق في تصوفه، وقد عاش عبد الكريم في اليمن وتلمذ على أستاذه إسماعيل بن إبراهيم الجبرقي، ورحل إلى كثير من البلدان، فعب من ثقافات شتى؛ ثم توفي سنة ٨٢٦، بعد أن خلف وراءه تراثاً ضخماً من كتب التصوف، وتعتبر إشراقية الجيلي امتداداً لإشراقية ابن عربي وابن الفارض.

(٣) (ص ٣٠٣/ج ١) ط ١٩٢٣ هـ، ويريد الجيلي بهذا: أن يجعل النسبة بين الحق سبحانه والخلق، كالنسبة بين الماء والثلج، فالثلج عين الماء في حقيقته وماهيته، مغاير له في اسمه ومظهريته، فالغيرية بين الماء والثلج صورية لا حقيقية. وكذلك الحق والخلق: فالخلق عين الحق في هويته وذاتيته، ولكنه غيره في اسمه فحسب. الثلج هو هو الماء، وما أطلق على ذلك اسم الثلج إلا مجازاً؛ والخلق هو هو الحق، وما أطلق عليه اسم الخلق إلا مجازاً،

وقد بحثنا طويلاً عن هذه القصيدة التي يقول عنها صاحبها: «لم ينسج الزمان على كم الحقائق مثل طرازها» حتى أذن الله سبحانه، فعثرنا عليها^(١) وأخذنا ندرسها بعناية دراسة واعية، نستهدف من ورائها شيئاً واحداً، هو الوصول إلى الحقيقة، حقيقة ما يقصده الجيلي القطب الصوفي الكبير.

فنحن الآن في عصر يبحث عن القيم النبيلة، وينشد أرفع المثل، عصر يني الحياة من جديد، والحياة الطيبة إشراق من الدين الطيب، والمثل التي تتسم بالنبل والقداسة والرفعة إنما هي سلسيل صاف من نبع الدين الحق.

فنحن - إذن - لا نبحث بحثاً نظرياً لا هدف له. وإنما نبحث، لنضع على الطريق معالم الهداية للسالكين، ولنؤكد للذين ينشدون الحقيقة: أن القرآن والسنة الصحيحة - وحدهما - هما النبع المقدس، والمنار الخالد للهداية الإلهية، فلسنا في حاجة إلى هدى أو حقيقة إلا من هذا الذكر الحكيم ببيان من نزل به الروح الأمين على قلبه ﷺ.

فهل ما سطره الجيلي في قصيدته يتصل بأسباب الهداية القرآنية؟ وهل ما دعا إليه الجيلي يصلح أن يكون سبيلاً يسلكه الإنسان؛ ليصل منه إلى

فالخلق والحق مظهران، أو اسمان، أو صفتان سميت بهما حقيقة واحدة هي الذات الإلهية.

(١) سمع الأخ الكريم عبد الحكيم حسين هندي ببحثنا عن هذه القصيدة، ففضل - مشكوراً - بإهداء هذه القصيدة إلينا مكتوبة بخطه الواضح الجميل، وقد فرغ من نسخها لنفسه سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م، فأثبت بهذا حرصه الكريم على المشاركة في الزياد الحق عن السنة المطهرة؛ ويسعدني أن أثبت له هنا عظيم تقديري، وطيب ثنائي وجميل شكري.

الحقيقة؟ وهل أتى الجيلي في هذه القصيدة بشيء جديد؟ أو هو يسير في نفس الطريق الذي سلكه شيوخه من قبل؟
وهل هذا الطريق يصل بسالكة في نهايته إلى رضوان الله سبحانه، وسعادة الأولى والأخرى؟

هذه أسئلة أقدم بها لهذا البحث، وأرجو أن يجد القارئ فيما نكتب أجوبة صادقة صحيحة، مدعمة بالأدلة القاطعة عن هذه الأسئلة.
ونحب أن نؤكد لمن يتعصبون للجيلي أو لغيره، أننا لن نُحْمِلَ ألفاظه غير ما أراد لها الجيلي نفسه من معنى، وأننا سنقارن^(١) بين ما دان به الجيلي، ودعا الناس إلى أن يدينوا به، وبين دعوة رسول الله ﷺ.

ونحب أن نؤكد كذلك لهم: أننا لا نتعصب أبدًا لغير الحق المشرق من هداية القرآن العظيم؛ وبيان السنة الصحيحة الصريحة.

قصيدة الجيلي في صورتها الأدبية:

جيدة السبك في بعض أبياتها، مفككة في بعضها الآخر. وقد استغل فيها المحسنات اللفظية استغلالاً فاحشاً: «كالجناس، والمقابلة، والتورية» مما جعلها أشبه ما تكون بالزنجية المثقلة بالأصباغ والحلي. هذا إلى ما امتلأت به من أخطاء نحوية كثيرة.

وأجود ما في القصيدة من أبيات: هي تلك التي يتغزل فيها الشاعر، ويكشف

(١) سيري القراء أن الأمر في غير حاجة إلى المقارنة، إذ يكفي مجرد تصور دين الجيلي في ثبوت بطلانه وزيفه، بيد أننا نريد أن نذهب إلى أبعد مدى في البر بالحقيقة.

فيها عن لوعة الحرمان وظمأ العشق، وولّه الصبابة، وإن كان يزعم أنه إنما يتغزل في الذات الإلهية؛ ولكننا سنعرض عليك غزله، وثمت تحكم بأنه إنما يتغزل في امرأة شغفته حباً، ثم تركته لسهد الحب وليالي حرمانه، وأسحار أرقه وشجوه ودموعه.

وهكذا كان شيوخه من قبل، فابن عربي الحاتمي استعصت عليه ابنة الشيخ مكين الدين، فغازلها وقدم إليها قربانه الأدبي «ترجمان الأشواق» ولكنها أبت أن تستجيب للهفته، أو أن تؤمن - كما صورها - بأنها هي الذات الإلهية في صورة امرأة جميلة.

ثم إن الجيلي يسطو على معاني غيره ممن سلكوا نفس طريقه من قبل، ويصوغها صياغة جديدة، ليس فيها الجمال الأدبي الموجود في الأدبيات التي صيغت بها من قبل، والذين سرق منهم هم: ابن عربي، وابن الفارض، وما نسب لرابعة العدوية^(١). فاسمع إليه يقول متغزلاً:

وبي من مريض الجفن سقمٌ مُبرِّحٌ ولي في عصي القلب دمع مطاوع
إن «مريض الجفن» و«عصي القلب» يكشفان لك - في غير ما خفاء - أن الجيلي إنما يخاطب امرأة تنام أجفانها عن الإغراء والفتنة، ويأبى قلبها القاسي أن يحنو على وجيعة الجيلي العاشق.

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية، أم الخير، مولاة آل عتيك، تكلم فيها أبو داود السجستاني، واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر، وكانت أول من تغنى بالحب والعشق الإلهي، توفيت سنة (١٣٥هـ)، وقيل: سنة (١٨٥هـ).

[انظر: السير (٢/ ٢٤١)، الأعلام (٣/ ١٠)، البداية والنهاية (١٠/ ١٨٦). (ض).

أما سرقة من ابن الفارض فتتجلى لك واضحة في قوله:

فكنت أنا هي وهي كانت أنا
وما لها في وجود مفرد من ينازع
وابن الفارض يقول:

وما زلت إياها وإيائي لم تزل
ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحببت

وأما سرقة من ابن عربي، ففي قوله:

وإياك والتنزيه، فهو مُقيّد
وإياك والتشبيه فهو مخادع

أخذ عن ابن عربي قوله:

فإن قلت بالتشبيه: كنت محدداً
وإن قلت بالتنزيه: كنت مقيداً

وأما سرقة من رابعة، ففي قوله:

أحبك لاني بل لأنك أهله
ومالي في شيء سواك مطامع

أخذه عن قول المفتونة رابعة: (ما عبدتك طمعاً في جتتك، ولا خوفاً من نارك، وإنما عبدتك لذاتك).

وأما أخطاؤه النحوية، فما أكثرها. مثل:

فكل بهاء في ملاحاة صدره
على كل قدّ شابه الغصن يانع

ومثل قوله:

فعينك شاهداً بمحتد أصلها
فإن عليها للجمال لوامع^(١)

(١) رفع كلمة «يانع» في البيت الأول، وحقها أن تكون مجرورة؛ إذ هي صفة لكلمة «قد»، ورفع كلمة «لوامع» في البيت الثاني؛ وحقها أن تكون منصوبة؛ لأنها اسم مؤخر لأن.

وأما استغلاله للمحسنات اللفظية، ففي مثل قوله:

ويرفع مقدار الوضع جلاله إذا لاح فيه فهو للوضع رافع

قابل بين ضدين في هذا البيت، وفي قوله:

فليس لنفسي غير حالة وقتها وقد فات ماضيها وغاب مضارع

ورّى في كلمتي «ماض» و«مضارع» وضمن البيت مصطلحات نحوية

«حال- وقت- ماض- مضارع» فليس في شعره الصوفي من جمال، اللهم إلا إذا

هتك القناع عن الشعور المحترق من لهفته على جسد ملاً دنيا صباباته وهيمانه.



سموم تصدرها المطابع

إلى العالم الإسلامي^(١)

تفضل الأخ الكريم نور الدين علي الصومالي بزيارتي في منزلي - وهو قاضٍ شرعي بالصومال، وعضو بعثة الصومال إلى الأزهر - وقال الأخ: لقد كتبتم عن كثير من الأصنام التي تعبد من دون الله، وما تفضلتم بالكتابة عن «عبد القادر الجيلاني» الذي يعبدّه الكثير من دون الله في الصومال؛ ولهذا جئت أرجوك في الكتابة عنه، لعل المسلمين في الصومال العزيز ينيون إلى الله وحده، ويتوبون مما زينه لهم شيطان الجن أو شيطان الإنس من الاستعمار.

ثم تفضل مشكوراً، فأعطاني كتابين أولهما موسوم باسم: «تفريح الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء الشيخ عبد القادر الجيلاني» ألفه بالفارسية الشيخ محمد صادق القادري، الشهابي السعدي وترجمه إلى العربية الشيخ عبد القادر بن محيي الدين الأربلي القادري الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٧م شركة مكتبة ومطبعة (.....) وهي مطبعة كبرى في حي الأزهر من القاهرة.

أما الثاني فموسوم باسم: «الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية» وهو مطبوع في نفس المطبعة.

ولقد تصفحت الكتاب الأول. ورأيتني أكتب على غلافه تحذيراً لولدي الصغير حين يكبر من هذا الكتاب: (لقد تمرست طويلاً بخرافات التصوف،

وضلالات زندقته وعماية جهالته، فيما خلف من تراث، ولكني لم أجد كتاباً من بين كتب التصوف يساوق هذا الكتاب في ضلالته وخرافات (كتاب كله خرافات ملعونة).

واليك بعض ما في الكتاب:

(كل ولي على قدم نبي. إذا سمعت من الصوفية ضلالاً يخالف الشريعة، فتوقف فيما سمعت، ولا تحكم بضلاله، واعلم أن لأرواح الكمل تصرفات ثلاثة:

أولاً: التجسد والتمثيل بالصور كما تجسد روح علي بن أبي طالب لاستخلاص سلمان الفارسي من السبع.

ثانياً: التصرف في الأجساد الإنسانية لتكون روحانية نورانية.

ثالثاً: التصرف في الأشياء؛ وللأرواح فيوض، بها ترى في عالم الظاهر بالمشافهة والمواجهة أو من غير رؤية.

ثم يزعم الكتاب أن الجيلاني رأى الرسول ليلة المعراج، وشرف بتشريف الولاية المطلقة المحمدية، ثم يزعم أن الرسول بلغ سدرة المنتهى، فتوقف جبريل، وتحير الرسول إلى أين يذهب. ولكنه ما لبث أن شعر بكتف يحمله، فنظر الرسول، فرأى الجيلاني هو الذي يحمله على كتفه إلى الله!!

فقال له الرسول: طوبى لمن رآك، أو رأى من رآك، أو رأى من رأى من رأى من رآك إلى سبعة وعشرين، وجعلتك وزيراً في الدنيا والآخرة، ووضعت قدمي هذه على رقبتك وقدماك على رقاب جميع الأولياء بلا تفاخر!!

وتروى هذه الأسطورة بطريقة أخرى في الكتاب لما ارتقى الرسول السبع الطباق ليلة المعراج رأى العرش عظيمًا رفيعًا، وسمع صوتاً من عالم القدس: ارق

على العرش. وخطر في قلبه كيف أرقى عليه بهذه العظمة والرفعة، فحضر في تلك الحالة شاب حسن، وجهه نوراني؛ وأدى التحية اللائقة لحضرته، فبلسان الباطن التمس أن يضع قدمه المباركة على رقبته، فوضع النبي قدمه على رقبته، فقام ونما حتى استوى إلى العرش، فتوجه إلى الشاب، وسأل عن اسمه، فخطر في قلبه أن لهذا الشاب رتبة بلا نهاية، ومقامًا ليس كمقامات الولاية؛ فسمع النبي هاتفاً من الله: يا حبيبي، هذا من ولدك وقرّة عينك واسمه عبد القادر!! فقال له الرسول: يا نور عيني ويا ضياء أهل بيتي تكون قدماك على رقاب جميع الأولياء، فمن قبل قدمك، فله الدرجة العظمى، ومن لم يقبلها حط عن رتبة الأولياء.

وجاء في الكتاب أيضًا: أن الجيلاني حل محل البراق، وأن موسى ناقش الغزالي ليلة المعراج، فغلبه الغزالي، وأن الجيلاني صام في المهدي، وأن من يذكر اسم الجيلاني بغير وضوء ينفصل رأسه عن جسده، أو يضيق عليه الرزق، وأن من نذر هدية إلى الجيلاني وجب عليه الوفاء، وأن الجيلاني أحيا ميتًا قائلًا له: قم بإذني، فانشق القبر وقام الميت حيًا مغنيًا، وأن من رأى الجيلاني في يوم الجمعة صار وليًا، وأن الجيلاني كان ينظر إلى التراب فيصير ذهبًا، وأن الله قال له: جعلت أسماك مثل أسمائي في الثواب والتأثير!!

ويصور لنا الكتاب صورة معركة بين ملك الموت وبين الجيلاني: فيزعم أن ملك الموت قبض روح خادم للجيلاني فجاءت زوجته تصرخ؛ فصعد الجيلاني على برج المراقبة، فرأى ملك الموت يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة. فقال يا ملك الموت، أعطني روح خادمي فلان، فرفض ملك الموت قائلاً: إني أقبض الأرواح بأمر إلهي، وأوديتها إلى باب عظمته.

واحتدم النقاش بين الملك وبين الجيلاني؛ وأخيراً مد الجيلاني يده واختطف الزنبيل الذي به الأرواح المقبوضة؛ ففرقت هذه الأرواح ورجعت إلى أبدانها، فاشتكى ملك الموت، فقال له الله: يا ملك الموت، إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبى لم لا أعطيته روح خادمه؟ وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد، فتندم ملك الموت.

هذه خرافات اخترتها من عدة صفحات قليلة من الكتاب، بقايا الكتاب مفعمة بمثل هذا التنن الإلحادي، ولقد علمت من الأخ الكريم نور الدين أن هذه الكتب وأمثالها من مؤلفات: «دحلان»^(١) والنبهاني^(٢) كان يروجها الاستعمار التركي هناك.

وواضح أشد الوضوح أن مثل هذه الكتب لا تخدم إلا الاستعمار، فإنها تربط الناس بالأصنام التي يشيدها، وتفرغها من الخوف من الله، ومن حب الله، وتملأها بالخوف من الطواغيت أو الشيوخ وبالحب لهم؛ وإذا تجرد القلب من خوف الله وخشيته تجرد من الإيمان والعاطفة الشريفة.

(١) السيد أحمد بن زيني دحلان المولود بمكة سنة ١٢٣١ هـ، المتوفى بالمدينة سنة ١٣٠٤ هـ. ألف كتاباً في الطعن في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، رد عليه العلماء، وناظره الشيخ بشير السهسواني رَحِمَهُ اللهُ، وكتب فيه كتابه الشهير: (صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان). (ض).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، صوفي غالٍ، ولد بفلسطين سنة (١٢٦٥ هـ)، ثم رحل إلى مصر وانتسب إلى الأزهر، تولى القضاء في عدة أقاليم. توفي سنة (١٣٥٠ هـ). له مؤلفات كثيرة أخطرها: (جامع كرامات الأولياء). [انظر «معجم المؤلفين» (١٣/٢٧٥)]. (ض).

لقد قلنا مرارًا، وكررنا ذلك: وهو أن التصوف يعيش دائمًا في خدمة المستعمرين. وراقبوا كل بلد رزى بالاستعمار وفتشوا ونقبوا في تراثه الديني، فإنكم لن تجدوا سوى تصوف حفي بكل خرافة، وبكل أسطورة، وبكل ما يربط مصائر الناس بالأوثان.

ثم راقبوا هذا البلد بعد نجاته من الاستعمار، إنكم ستجدون ثورة؛ ثورة على كل بقايا الاستعمار وأوكاره، ولا سيما التصوف؛ وستجدون هذا ينزوي في ركن قصي يترقب اللحظة التي ينتقم فيها من الإسلام؛ ومن فضحوه؛ وفضحوا نواياه وصلته الآثمة بالاستعمار، وفي ترقبه هذا يتردى برداء يزعم فيه أنه إصلاح وروحانية، وما هو إلا فساد وعماية مادية.

إن الصومال الوطن الإسلامي عزيز علينا نحن المسلمين، وحبنا لهذا البلد الكريم هو الذي يدفعنا إلى أن ننبه إلى أمثال هذه الكتب التي نصدرها نحن إليه؛ وإلى أن نطالب بمنعها منعًا باتًا حتى لا نكون كالصديق الجاهل، أو كالدبة التي قتلت صاحبها.

كما يدفعنا حبنا للصومال، ولغيره من الأوطان الإسلامية إلى أن نطالب بالإكثار من إرسال البعثات الدينية من رجال يفقهون الدين جيدًا، وعلى بصيرة مما أنزل الله، ليبينوا لإخواننا هناك أن هذا الكتاب وأمثاله من الحجب الصم التي تحول بينهم وبين الإيمان القوي الصحيح أو بين النصر الكبير في المعركة الكبرى ضد الاستعمار وخلفائه.

ماذا نقول ونحن الذين نصدر هذه السموم الفتاكة إلى الصومال وغيره؟
إننا أمة مسلمة، ولدينا شرعته السامية ومثله العالية، وقيمه الخالدة، فلنحرص

- ونحن في نضالنا العظيم - على أن نبين هذه المثل والقيم كما بين الله، لا كما بينت القرون المظلمات، وأهواء الاستعمار، ونزوات الشيوخ.

لنحرص على أن نأمر الناس بأمر الله وننهاهم عما نهى الله، في إخلاص وصدق وقوة دون موارد ومداينة؛ فالقليل من المؤمنين أنفع من أمم ضالة غوية. أما إذا حرصنا على هوى الناس، فكأننا نحرص على هوى المستعمرين، فما نزن مسلمًا يكون له مثل هذا الهوى، الذي يقدر مثل ما في ذلك الكتاب، إنما بدعوتنا هذه، إنما ندعو إلى إقامة أمة مسلمة موحدة تدين بدين واحد، لتظل أبدًا في كفاحها وحدة قوية تنحسر دونها قوى البغي والعدوان.

يقول بعض الناس: إنما بنضالنا ضد هذه الخرافات نفرق الجماعة!!

آية جماعة تقصدون؟ ولو كان الأمر كما تقولون، لما قام محمد ﷺ بواجبه، ولصدق اتهم المشركين له!!

بل لما قامت ثورة إصلاحية في مصر كان لها أثرها الجليل الرائع في جميع البلاد التي رزئت بالاستعمار.

لو حرصت الثورة على جماعة كهذه، ما أصلحت شيئًا، ولكنها حرصت على مبادئ وقيم وأهداف، وسواء رضي بعض الناس أم غضبوا، إذ لا يهم أبدًا في ميزان الحقيقة رضي أحد من الناس وغضبه، إنما المهم دائمًا أن يكون الحق وحده رائدنا، ورضوان الله وحده مبتغانا.

وإننا بالحرص على جماعة بضلالها، إنما نحرص على أن نفقد عون القوة التي لا تهزم أبدًا ولها النصر أبدًا، قوة المدد من الله سبحانه.

إننا نحمل الراية، والمشعل، ونقود السارين في طريق النضال والحرية!!

وواجبنا يحتم علينا أن ندعو من يحدد ونهديه سواء السبيل، وأن نستنهض من
يبغي القعود أو التخلف، وأن نسحق كل عقبة في الطريق، وأشد العقبات في طريق
الإيمان وتحرر العقل، تراث الخرافة في التصوف، فلنعلنها حرباً لا هوادة فيها عليه.
لماذا؟ لنستحق نصر الله، وعون الله، ومدد الله، ولننقذ العقول من هذا السرطان
الذي يفتك بها.



التثليث عند الصوفية^(١)

العقل البشري ووجود الله:

يحاول العقل البشري - وهو قيد المادة - أن يكتنه حقيقة الوجود من أزلّه إلى أبدّه، وأن ينفذ إلى سريرة أسرار الغيوب فيها وراء اللانهاية.

ويتناول هذا العقل في كبرياء بغيضة، فيحاول اكتناه حقيقة الوجود الإلهي، وتصوره، وتصويره، وإخضاعه لمقاييس العقل الباطلة، وأوضاع قيمه الزائفة في الوجود، والفكر والأخلاق.

كان ذلك فيما وراء الحقب السحيقة من تاريخ الإنسانية المجهول، وكان ذلك فيما وراء الميلاد، وكان، وكان، في كل عصر من عصور هذا العقل بدت منه تلك المحاولة الجريئة، فأعلن العقل مرة - وقد قهرته الحقيقة وصرعته قبل أن يلمس نقابها المقدس - أن وجود الله محس معقول، ولكن ما هو؟ وكيف؟

ومن هو في الحقيقة الذاتية؟

أسئلة أبدية لن يجد العقل عنها الجواب الحق، كيف يحاول العقل وهو رهن اللحم والدم والعظم أن يدرك حقيقة الوجود الإلهي ورب الوجود، وهو فوق العقول وفوق كل شيء؟

... الله موجود... قضية عند العقل أجلى من الجلاء، وأشد وضوحًا من البدهة عند الفكر، قد يستطيع العقل في غلواء كبره البرهنة على أن النور ظلمة، والخير الذاتي

شَرٌّ، والوجود عدم، ولكنه أمام تلك القضية «الله موجود» يخر ساجدًا مخبتًا مؤمنًا.
والعلاقة بين الموضوع والمحمول علاقة ثابتة متمكنة، بل واجبة الثبوت
والتمكن والدوام إلى ما لا ينتهي، ولكن ما حقيقة الذات؟ ما حقيقة وجودها؟
أمشخصة تلك الذات؟ أوجودها مطلق أو متعين؟

وهل واحد ذلك الوجود أو متعدد؟ وإذا كان واحدًا فما معنى وحدته؟
أهي الوحدة الحقة التي هتفت بحقيقتها الأديان: (الله واحد لا شريك له،
الخالق، البارئ، المصور، له الأسماء الحسنى، العليم بالجزئيات والكلّيات، الذي
خلق الكائنات من عدم؟)

أم هي تلك الوحدة الصورية الذهنية، التي تجرد رب تلك الوحدة من صفاته،
بل تغالي في تجريده حتى لتصفه بالسلوب والعدميات، فتجعله هو بذاته عدمًا؛ ذلك
لأن العدم هو الذي لا يوصف إلا بالسلوب؟!

هنا يزل العقل في بعض أصنامه وأزمانه ويضل، ويصور الباطل حقًا،
والمستحيل واجبًا، والعدم وجودًا، يزل العقل ويضل، إذ يحاول تصوير الوجود
الإلهي ووحدته تصويرًا يتواءم وقضاياه الكاذبة، ويتلاءم وما في الذهن من صور
باطلة، ويتفق وما أداه إليه حسه المخادع، بقياس الغائب على الشاهد.

تعاليت يا رب سبحانك... أنت الخالق؛ ويحاول المخلوق أن يخلق
صورتك!! أنت الإله المعبود الأعظم، ويحاول المألوه أن يتأله عليك!!

منحتنا العلم والوجود والسمع والبصر، ولكن بعض من منحهم نعمك
هذه الجليلة العظيمة يأبون عليك ذلك، فيحاولون - في سفههم وخبالهم - تجريد
ذاتيتك العظمى من العلم والوجود والسمع والبصر، لماذا؟؟؟

اسمع للعقل البشري في ضلاله وباطله يصور لك هذا الضلال، وذلك الباطل، يقول مغالطاً: ليس لله سمع، لأن السمع يتطلب مسموعاً وسميعاً فتتعدد الذات، والذات لها الوحدة الذهنية.

هذا تصوير العقل الضال لمثل هذا الضلال، طبقوا صور الذهن على الواقع، وفهموا أن تعدد العلاقات أو الأحوال، أو الصفات ينتج عنه تعدد الذات، مع أن الواقع المحس يكذبهم في ذلك التصور الزائف المخادع، وذلك التصوير الكاذب، لهذا كان لا بد من معرفة الله عن طريق الدين، لا عن طريق العقل وحده، فإننا إذا تتبعنا جميع أطوار الفكر الإنساني وتصوره لله، رأيناه أحياناً يصف الله بما لم تصفه به الأديان، من مثل العشق والعاشق والمعشوق، أو اللذة واللاذ والملتذ، أو العقل والعاقل والمعقول، أو يجرده من صفات أثبتتها الأديان جميعها لله؛ فيجرده الفكر الإنساني من كل صفة أحياناً، أو يصفه ببعض صفات يحسب أنها لا توهم التعدد، وكان أن نفى العقل عن الله صفة أنه خالق.

نفي العقل الضال عن الله أنه خالق:

نعم نفى العقل البشري في ضلاله عن الله صفة أنه خالق فكل شيء صادر عن الله بالوجوب، لا بالاختيار، وما من شيء خلق من لا شيء، فالمادة لهذا قديمة، أو كل شيء فاض عن الله فيضان النور من الشمس، فلا يوصف الله بأنه خالق؛ لأن الخلق يتطلب حركة ومحركاً، وانتقالاً، والله غير متحرك، ولا متنقل، ولا يوصف بالحركة؛ كل هذا التصور الفاسد والتصوير الباطل؛ لأنهم يرون ذلك في الوجود المادي المحس، والواقع الملموس، فكأنهم قاسوا الله على ما تنقله إليهم الحواس، من صور المشاهد الواقع من الوجود المادي، ومع ذلك يقولون: إنهم يفهمون الله

عن طريق العقل.

صفة الوجود:

ونفى العقل الضال أيضًا عن غير الله صفة الوجود، وجعلوا من مفهوم الوجود مفهوم الله، والله غير متعدد، وتبعًا له كذلك الوجود يكون غير متعدد، ولكن الأديان على إطلاقها تقرر وجود الله، ووجود غير الله. فتعترف بشئائفة الوجود، ولكنها تفرق بين وجود الله ووجود غيره، فوجود الله لذاته وغير مسبوق بشيء، وأول لا مبدأ له، وآخر لا نهاية له، أما وجود غيره، فوجود يسبقه العدم، ويطويه الفناء، ومحتاج إلى من يوجدّه.

الوحدة والوجود:

اتفقت الفلسفة مع الصوفية على أن الوجود واحد، فلا يوصف غير الله بالوجود، واتفقت معها أيضًا على أن الله واحد بصفة مطلقة، أو بمعنى أدق على أن ذلك الوجود المطلق واحد حسب ما قدمناه من معاني الوحدة عندهم... ولكن المشاهد أنه يوجد عالم محس.

فكيف صدر هذا العالم عن الله؟ كيف صدر المتعدد عن الواحد؟ الكثير عن

الوحدة؟ المتغير عن غير المتغير؟

كان لا بد للفلسفة أن تتحايل تحايلًا ممزقًا متهافتًا حتى تصور صدور المتعدد عن الواحد، فقالت الفلسفة: إذا كان شيء يمكن أن يكون من الواحد وغير المتغير، فذلك الشيء الوحيد الذي يمكن أن يخرج عنه مباشرة هو كائن ثان، واحد، وغير متغير^(١)، والواحد غير المتغير، لا يمكن أن يكون منه العالم المتغير

(١) انظر في إعجاب وإكبار ردّ ابن تيمية على أسطورة الفلسفة: (الواحد لا يصدر عنه إلا واحد)

من غير واسطة وبعد زمن لا عمل فيه، فيجب لهذا أن ينتجه بطريق غير مباشر، وفي الأزل أي: بوسائط أزلية متدرجة وفق سلسلة ميتافيزيقية^(١). لهذا اخترعوا ما سموه العقل الأول وما سموه النفس الكلية وغير ذلك.

أما الصوفية فأجابت عن هذا السؤال وهو: كيف يصدر الكثير عن الواحد؟ وما علاقة المحسات هذه بالوجود المطلق؟

أجابت بأن الله هو عين هذا العالم، حسب تصوير ابن عربي والجيلي، أو بأن الله حال في ذلك العالم حسب تصوير الحلاج، ففضلال الصوفية والفلسفة إنما جاء بسبب افتراضهم قضايا ظنوها صادقة، أنه لا يمكن صدور العالم من الله دون أن يتغير الله، أو تتعدد الذات، وبسبب تطبيقهم مفهوم الوجود على الله، فحسبوا تعدد الوجود تعددًا في الذات.

لهذا لم يتردد الصوفية في الجواب عن ذلك بقولهم: إن وجود الواجب هو بعينه وجود العالم، فليس ثمت غير الله، بل الكون والله شيء واحد.

وذلك في منهاج السنة (ج ١/ ص ١١١) ومجموعة الرسائل الكبرى (ص ٣٦٥/ الجزء الأول) لتؤمن بأن شيخ الإسلام ابن تيمية كان ذا عقلية فلسفية ناضجة تمام النضج، وعلى أنه استوعب بعقله الجبار كل نظريات الفلسفة، ثم رد على باطلها ردودًا عقلية محكمة ودينية رشيدة، رضي الله عن شيخ الإسلام وأرضاه.

(١) انظر الجزء الثاني من كتاب: «الجانب الإلهي» تأليف الأستاذ الدكتور محمد البهي ص (٤٣) وما بعدها، فقد صور ما سماه الفلاسفة مشكلة الوجود تصويرًا رقيقًا، وانظر كتاب المدخل للفلسفة الإسلامية تأليف جوتييه وترجمة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى.

ولكن لما كان الوجود المطلق لا يمكن أن يكون إلا صورة في الذهن، فقد لجأوا - لكي تنسجم نظريتهم - إلى القول بالتعينات الإلهية، أو التنزلات، أو فيوضات حسب اختلاف أذواق الصوفية ومواجيدهم، وإلى القول بالعماء^(١)، وحضرة الواحدية^(٢)، والأحدية^(٣)، والهوية^(٤)، والإنية^(٥)، نعم اخترعوا هذه الأسماء الأسطورية؛ ليفسروا كيف تكثر الواحد، وكيف أصبح المطلق متعيناً، ولماذا نفهم أن هذا الكون هو بذاته الله - تعالى جد ربنا -، وكيف صار الحق

(١) هي الحضرة الأحدية عند الصوفية، وتتعين هذه الحضرة بالتعين الأول وبها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية، أو بمعنى أصرح: العماء هو حيث كان الله لم يظهر في مادة عند الصوفية.

(٢) هي مجلى الذات فيها صفة والصفة فيها ذات، أو هي اعتبار الذات من حيث انتشاء الأسماء منها وواحديتها بها مع تكثرها بالصفات، فالواحدية هي إذن حيث تعين الله، ووصف بوصف مع اشتراط أن تكون الصفة هي عين الذات، والذات عين الصفة.

(٣) عبارة عن مجلى الذات ليس للأسماء ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر، والفرق بين الأحدية وبين الواحدية أن الأحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات، والواحدية يظهر فيها صفات وأسماء مع اشتراط الموصوف عين الصفة، وقد فرق الجيلي بين العماء والأحدية وسوى بعضهم بينه وبينها ولا داعي لذلك هنا.

(٤) هوية الحق: غيبه الذي لا يمكنه ظهوره، فهي باطن الواحدية.

(٥) إنية الحق: تحديد بما هو له، فهي إشارة إلى ظاهر الحق، فالهوية: باطن الحق، والإنية: ظاهره.

خلقاً؟، إن إلههم كان وجوداً مطلقاً (بل يقول النابلسي^(١) نفسه: إن الله منزّه حتى عن قيد الإطلاق)؛ لأن وصفه بالإطلاق تعين له، والله بدء أمره عندهم كان غير متعين.

أقول: كان إلههم وجوداً مطلقاً، أي: عماء، ثم أراد أن يتعين فصار واحداً فبدت الحضرة الواحدية، ثم تكثرت فظهرت حضرة الهوية؛ وحضرة الإنية، أي: باطن الذات وظاهرها، وهذه الحضرة الواحدية يسمونها: الحقيقة المحمدية؛ لأن إلههم تعين أول ما تعين في صورة الحقيقة المحمدية، فالحقيقة المحمدية عند الصوفية تشبه العقل الأول عند الفلاسفة.

التثليث عند الصوفية:

مما مضى نشم رائحة أسطورة التثليث عند الصوفية، فالذات كانت عماء، ولا بد - لكي تخرج من بساطتها وتجردها - من مرورها بثلاثة مراحل: الأولى: مرتبة الأحدية. الثانية: مرحلة الهوية، الثالثة: مرحلة الإنية.

ثم إن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - يتجلى حسب وثنية الصوفية في الإنسان بجميع صفاته، ومعنى هذا: أن الحق يتحقق وجوده الكامل في النشأة

(١) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني الدمشقي النابلسي الحنفي النقشبندي القادري، أديب صوفي، ولد بدمشق في ٥ ذي الحجة سنة (١٠٥٠هـ)، ثم رحل إلى بغداد وتنقل في فلسطين ولبنان، ومصر والحجاز ثم عاد إلى دمشق، توفي في ٢٤ شعبان سنة (١١٤٣هـ)، له مصنفات كثيرة جداً من أشهرها: «الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية»، و«شرح لفصوص الحكم لابن عربي في جزئين». [انظر «الأعلام» (٤/ ٣٢)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ٢٧١)]. (ض).

الإنسانية، أن يصبح الحق والخلق عيناً واحدة تتحقق في صورة ولي أو نبي، والإنسان الكامل إذن هو أنموذج للذات الإلهية عندهم، لهذا كان ثلاثي الطبيعة، كما أن الله ثلاثي الطبيعة عندهم.

ولهذا يقول الجيلي:

إن قلت واحدة صدقت وإن تقل
أو قلت لا بل إنه لمثلث
اثنان حقاً إنه اثنان
فصدقت ذاك حقيقة الإنسان
ومن هو ذلك الإنسان عند الجيلي؟ إنه ربه، ولهذا يقول بعد هذا مثبتاً
الصفات الإلهية، بل بمعنى أدق، مثبتاً حقيقة الذات الإلهية للذات الإنسانية في
جوهرها وعرضها، في أحديتها، وهويتها، وإنيتها، شارحاً تلك المراتب الثلاثة
التي تمر بها الذات الإلهية، أو التي تتركب منها الذات الإلهية التي تعينت إنساناً،
فيقول:

انظر إلى أحدية هي ذاته
ولئن ترى الذاتان قلت لكونه
وإذا تصفحت الحقيقة والتي
تختار فيه فلا تقول لسفله
بل سم ذلك ثالثاً لحقيقة
قل واحد أحد فريد الشان
عبداً ورباً إنه اثنان
جمعه مما حكمه ضدان
عال ولا لعلوه هو دان
لحقت حقائق ذاتها وصفان^(١)

معنى هذا: أن الذات الإنسانية التي هي في حقيقتها الذات الإلهية إنما هي

واحد في ثلاثة، أو ثلاثة في واحد، أو حسب تعبير المسيحيين الضالين: (أحدية في تثليث، وتثليث في أحدية)، فالصوفية على لسان الجيلي قد اعترفت بالأقانيم المسيحية، اتحدت المسميات واختلفت الأسماء، وكما اجتمعت الأقانيم في المسيح عند المسيحيين اجتمعت الطبائع الثلاثة في أحمد عند الصوفيين، ولهذا يقول الجيلي بعد هذه الأبيات معقبًا:

فهو المسمى أحمد من كون ذا ومحمد لحقيقة الأكووان
ولذا يقول المستشرق «نيكولسون»: (وهذه عقيدة في التثليث من الغريب حقًا
أن يعتنقها مسلم، ولكن يجب ألا ننسى أن الصوفية في جملتهم يعتبرون محمدًا
كلمة الله)^(١)، ويقول: (وصف الرسول في القرآن بأنه بشر فيه كل ما للبشر من
صفات، وأنه ينزل عليه الوحي من ربه بين آن وآخر، ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن
الله، بل بواسطة الملك، وأنه لم ير الله قط أو يطلع على أسرارهِ، وأنه لا يتنبأ
بالغيب، ولا يفعل المعجزات، وخوارق العادات، بل هو عبد من عباد الله
ورسول من رسله)^(٢) ص (١٥٨) من كتاب: التصوف الإسلامي وتاريخه
لنيكلسون. أرايت فهم مستشرق لما ورد في القرآن عن الرسول؟ وفهم من

-
- (١) ص (٨٧) من كتاب: في التصوف الإسلامي وتاريخه، تعريب الدكتور أبو العلا عفيفي.
(٢) نحن لا نستشهد بقول هذا المستشرق إلا لكي نقارن بين قول هذا المستشرق مع كفره
وبين قول هؤلاء الصوفية الزاعمين أنهم خلاصة المسلمين، ولا ريب في أن المقارنة مؤلمة
جدًا للنفس، إذ نرى ذلك المستشرق المعترف بكفره خيرًا من أولئك الزاعمين أنهم
وحدهم أرباب الحقائق في الإسلام.

يزعمون أنهم زعماء الحقيقة في الإسلام؟ ألا يخزى الصوفية؟

ألا يعترفون بأنهم جانبوا حقيقة الإسلام في أخص خصائصه، وأظهر ما فيه من حقائق؟ لعلمهم سيكابرون من صدمة الحق فيقولون: رموز رموز أيها الشاب الضال وأنت لا تفهمها... ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

التثليث عند ابن عربي:

والجلي في وثنيته مقلد لسيدته وشيخه ابن عربي، فابن عربي في كتابه: الفصوص، وبالذقة في الفص المحمدي من كتابه هذا يقرر عقيدة التثليث، ويبني هذا الفص كله على هذه الأسطورة الوثنية، ويستدل على أسطوره بالعدد فيقول: (وأول الأفراد الثلاثة، وما زاد على هذه الأولية من الأفراد فإنها عنها)، ويستدل عليها بالقياس المنطقي فإنه مركب من ثلاثة حدود: الحد الأكبر، والحد الأصغر، والحد الأوسط، مثل العالم متغير، هذا حد، كل متغير حادث، هذا حد ثان يتج عنهما حد ثالث هو: العالم حادث. ويستدل أيضًا ابن عربي على هذا بالحديث: «حب إلي من دنياكم ثلاث»^{(١)(٢)}

(١) الحديث: «حب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة». يقول عنه الشيباني: رواه الطبراني في الكبير، والنسائي في سننه عن أنس مرفوعًا بهذا اللفظ، والحاكم في مستدركه بدون لفظ جعلت، وقال: إنه صحيح على شرط مسلم. وأما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث، فقال شيخنا: لم أقف عليها إلا في موضعين من الإحياء، وفي تفسير آل عمران من الكشف للزخشري، وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث. وبذلك صرح الزركشي فقال: إنه لم يرد فيه لفظ ثلاث، قال: وزيادة محيلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا... انتهى نص كلام الشيباني. وهو حق ولكن الصوفية دائمًا يحرفون كل كلام.

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٨٤) وليس فيه كلمة (ثلاث)، وكذا النسائي، كتاب: عشرة النساء،

يريد ابن عربي بهذه الأساطير التي يؤمن بها أن يثبت أسطورة التثليث، وأدع للقاشاني الصوفي شارح فصوص الحكم لابن عربي شرح هذا الكفر؛ حتى لا أتهم بتحريف كلم الصوفية عن مواضعه.

يقول القاشاني^(١) تعليقاً على عنوان الفصل المحمدي، الذي وضعه ابن عربي وهو: (فص حكمة فردية في كلمة محمدية) يقول القاشاني ما يأتي: (إنما خصت الكلمة المحمدية بالحكمة الفردية؛ لأنه أول التعينات الذي تعين به الذات الأحادية قبل كل تعين، فظهر به من التعينات الغير المتناهية... وليس فوقه إلا الذات الأحادية المطلقة المتزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت، فله الفردية مطلقاً. ولشموله كل تعين سماه الشيخ أيضاً هذا الفصل فص الحكمة الكلية، ولا فرق بينهما إلا بالاعتبار)^(٢).

يعني من هذا التحريف الوثني كله أن الذات الإلهية تعينت أول ما تعينت في الحقيقة المحمدية، فانتقلت بهذا من مرتبة العماء أو الأحادية المطلقة إلى مرتبة الواحدية، فالإله عندهم كان هو العماء. ثم انتقل إلى الواحدية، لا فرق بين المرتبتين إلا بالاعتبار. واسمه في المرتبة الواحدية الحقيقة المحمدية، ولا اسم له

برقم: (٣٩٣٩)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني بدون كلمة (ثلاث) في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(١) هو جمال الدين عبد الرزاق بن أحمد القاشاني، شارح «ديوان ابن الفارض»، و«فصوص الحكم». مات سنة (٧٣٠هـ). [انظر: «الأعلام» (٣/ ٣٥٠)]. (ض).

(٢) ص (٤٢٧) من شرح القاشاني لفصوص الحكم، طبعة حجر بإستامبول سنة ١٣٠٩هـ.

حين كان في الأحدية المطلقة.

ثم يدلف القاشاني إلى بيان أسطورة التثليث، فيشرح رأي ابن عربي شرحاً دقيقاً، لقوله: (وأول الأفراد الثلاثة) فيقول القاشاني: (فتحقق أن أول التثليث الاعتباري إنما هو بالعلم والعالم والمعلوم، ومظهره في الوجود هو هذا الأكمل بجامع الأحدية والشفعية والوترية، أي: الواحدية التي هي الذات والصفة والاسم، ويسمى باصطلاحهم: حقيقة الحقائق الكبرى، والبرزخ الجامع، وآدم الحقيقي، والعين الواحدة)^(١).

يريد أن يقول: إن الصورة التي تعينت فيها الذات الإلهية كانت ثلاثية؛ لأنها كانت في صورة العلم، والعلم ثلاثي؛ لأنه يتطلب عالماً ومعلومًا، وبإضافتها إلى العلم تصير ثلاثة، فالعلم والعالم والمعلوم حقيقة واحدة... وكان التعين الأول أيضًا في صورة الحب.

فالحب يتطلب محبوبًا ومحبة، وبإضافتهما إلى الحب تصير ثلاثة، فالحب

(١) ص (٤٢٨، ٤٢٩) من شرح القاشاني لفصوص الحكم. وحقيقة الحقائق هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق، وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود، والبرزخ الجامع هو حضرة الواحدية، والتعين الأول الذي هو أصل البرازخ كلها، ولهذا يسمى البرزخ الأعظم. وإذا عرفنا أن الصوفية يصفون الحقيقة المحمدية بأنها هي الذات الإلهية في التعين الأول، فهمنا أنهم يجعلون الحقيقة المحمدية هي حقيقة الحقائق، وهي البرزخ الجامع، وهي آدم الأول، وهي العين الواحدة، يعنون أنها هي بعينها الذات الإلهية. تعاليت يا رب سبحانه عن هذه الوثنية.

والمحب والمحبوب حقيقة واحدة ثلاثة أقانيم: إله واحد... تمامًا تمامًا كما عند المسيحية.

وما أقول ذلك من عندي، بل إن ابن عربي يصرح بهذا في قوله:
ثلاث محبوبي وقد كان واحدًا كما صيروا الأقانم بالذات أقتنًا^(١)
ونفس حضرات الذات كانت ثلاثة هي: الذات والصفة والاسم.

أرأيت تصريح ابن عربي بالأقنوم؟
أعتقد أن هذا صريح الدلالة جدًا على ما يريد ابن عربي أن يقوله، إنه يريد
مضاربة المسيحية في آرائهم، فكما قالوا بالأقانيم الثلاثة، يقول هو بها أيضًا، ولكن
يسميتها بأسماء أخرى.
خاتمة:

هذه لمحات عن أسطورة التثليث عند الصوفية، وهي دليل قوي واضح على
وثنية هؤلاء الصوفيين الذين يرفعهم قوم إلى مرتبة الألوهية، بل إلى ما فوقها،
وهو موضوع شائك البحث، ولكننا اكتفينا الآن منه بهذه اللمحات وتلك
الإشارات؛ حتى نستوعب ما ورد عنه في كل كتب الصوفية، ثم نعود لتجليته
وإظهاره؛ ونعتذر لقرائنا عن غموض بعض ما ورد في المقال، فقد أردت
الاحتفاظ بكثير من اصطلاحات القوم؛ حتى لا أتهم بتخريج كلامهم تخريجًا لا
يريدونه!

وما على قرائنا الأعزة إلا الصبر على قراءته ثم قراءته، حتى يستوعبوا ما ورد

(١) ص (٤٢) ترجمان الأشواق طبعة بيروت ١٣١٢ هـ، الفتوحات المكية (ص ١٧١ / ج ٣).

فيه، ولعل الله يمد في أجلي فأكتب عنه مرة ثانية ببيان أوضح بعد أن بيناه بنفس
مصطلحات الصوفية، فنكون قد أدينا للحقيقة واجبها الأقدس.
والله تعالى ولي التوفيق ونعم المولى ونعم النصير.



ثمانية ملايين. ماذا؟؟^(١)

زعم الفرزدق أن سيقتل مَرْبَعًا أبشر بطول سلامة يا مَرْبَعُ!
 جاء في بعض الصحف أن شيخ مشايخ الطرق الصوفية، توجه - ومعه بعض
 أعضاء مجلسه الأعلى - إلى الرئيس السابق علي ماهر، محتجين، راغين مزبدين
 متوعدين، منذرين بالويل والثبور^(٢). لماذا؟ لأن رئيس الحكومة السابق
 استشعرت بصيرته أن هناك بدعًا منكرا تقترب باسم الدين يوم المحمل، وكان في
 مقدور الرئيس السابق أن يضرب ضربته فيطيح بهذه البدع، بيد أنه أبى إلا أن
 يستفتي في الأمر أهله قبل أن يفعل، فأفتاه الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر،
 وفضيلة الأستاذ الجليل مفتي الديار المصرية، وفضيلة الأستاذ الكبير رئيس
 المحكمة الشرعية العليا. أفتاه هؤلاء الشيوخ الكبار بما فرح به المؤمنون، عن بينة
 من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أفتوه بأن المحمل بدعة، وما يقترب فيه بدعة، وما
 يأتيه الصوفية فيه بدعة.

(١) (١/١٣٧٢هـ).

(٢) لعل القراء لا يعرفون أن شيخ الصوفية رفع ثلاث عرائض إلى رئيس حكومة سابق
 يشكو فيها من كاتب هذا المقال، وينذر ويتوعد بأن وكلاء المشيخة العامة في جميع أنحاء
 القطر سيعتدون علينا نحن أنصار السنة، ما لم يوقف رئيس الحكومة كاتب هذا المقال وجماعته
 عند حدهم!!! ولكن الرئيس السابق لم ير في شكوى الشيخ ما يستحق أن يسمع!! هذا غير ما
 استصرخ به النيابة وغيرها. أما نحن فالله وحده هو مولانا، ونعم المولى، ونعم النصير.

وعز على الشيوخ - شيوخ الطرق الصوفية - أن ينتصر الرئيس السابق لدين الله، وأن يفتي علماء الدين الأجلاء بالحق من دين الله، ولم لا، وقد مستهم من الفتوى صاعقة، وأصابتهم حالقة؟!!

ولم لا يثورون، وهم يعيشون على حساب البدع، ففي القضاء عليها قضاء عليهم؟؟.

ولقد شاء الله سبحانه أن ينطق الحق من حقيقة هؤلاء على ألسنتهم، فاحتجوا باسم ثمانية ملايين صوفي!!

وكان الناس يظنون أنهم يحتجون باسم ثمانية ملايين مسلم!! ولكنهم رغبوا عن هذا الاسم الذي رضىه الله وسَمَّانا به، أو لعلمهم ضلوا عنه، وهم يكتبون احتجاجهم باسم الموتى، وباسم الأضرحة، وباسم المآثم التي تقترف فيها ابتدعه الصوفية، وسموه الموالد!!

وشُده كثير من المؤمنين من هذا الاحتجاج، إذ كانوا يحسنون الظن قليلاً بالصوفية، فيخالون أن فيهم بقية تحتضر من الحياء، تحول بينهم وبين أن يستعلنوا مظاهرين الباطل، محاربين الحق.

وما لأحد أن يعجب من هذه الجرأة الوقاح. فإن القضاء على الوثنية، وعلى الفساد الخلقي والاجتماعي، وعلى التحلل من فضائل الدين والأخلاق، في القضاء على هذا قضاء على التصوف، لأنه ردغة الوثنية، ومغدى ومراح الفساد في الدين والأخلاق، لو قضي على الوثنية فمن ذا الذي سيعبد أصنام القباب، وطواغيت الكهنوت، ورسم الموتى؟!!

لو قضي على الوثنية فمن ذا الذي سيطعم السحت، ويجرد الأرامل مما يسترون

به عوراتهن، والأيتام مما يمسكون به الرمق الذهل الواله؟!
لو قضي على الوثنية فمن ذا الذي سيدبر مواخير الموالد، ويحمي فيها كل جريمة، وينشر فيها كل إثم، وأها للمجوسي يتراءى بأنه القديس الرباني!!
وللوثني يدعو الناس إلى التوحيد!! وللزندق يتلو آيات الله!!
وللمشرك يهتف: لا إله إلا الله. بل وأها للصوفي يحتج على الحق البين من دين الله!!
قولوا لكل من يلبس اليوم غير لبوسه: ما للنفاق بعد اليوم سلطان يحميه، ولا جاه يلوذ به، ولا طاغوت يعبدون من دون الله طغواه.
كنا نحسب الصوفية ممن يخضعون رَهَبًا للحق أحيانًا، ولكنهم أثبتوا باحتجاجهم أنهم أجرياء على الحق جرأة لم يُسود التاريخ يومًا بمثلها صفحة خفية له.
كنا نحسبهم سيّدّعون الاحتجاج على أنفسهم أو تطهيرها، ليلائموا بينها - ولو رياءً - وبين هذا العهد الجديد، ولكنهم راحوا يحتجون لأن رئيس الحكومة السابق عمل بالحق من دين الله، ثم اهتبلوها فرصة ليناشدوا رئيس الحكومة أن يجعل لهم وحدهم حق الإذن في إقامة الموالد، لا لوزارة الشؤون الاجتماعية!!
حتى في هذه الأيام البيض التي بدأ الحق يسودها ويقوم الحياة فيها بقيمه، ويعلنها حربًا صادقة على الفساد والرشوة، والاكْتِسَاب الحرام، والسحت الدنيء. حتى في هذه الأيام يطالب الصوفية بهذا!!
ولو علمت أن إقامة المولد عند من سيقميه أحب لديه من الحياة في الجنة، لتبينت أي هدف يرمي إليه الصوفية من وراء هذا السعي الصوفي!
ألا فاسمعوا يا شيوخ الطرق قولة العامي التي يقولها في مثل هذا الظرف: كان زمان!!

أما اليوم، فنحن لكم بعون الله - كما كنا في عهد الطاغية الذي كان لكم سندًا، والذي لقبتموه بالسيد - بالمرصاد إن شاء الله، نكشف للناس عن معتقدكم، وعن أهدافكم وعن وسائلكم، وكما عودناكم سيكون كشفنا لهذا عن بينة وحق، لا عن جهالة أو تعصب.

فرعون وفاروق إله الصوفية:

يرى الصوفية أن ابن عربي كان قطب وقته، ويؤمنون بأنه أكمل العارفين بالله، ولذا يلقبونه: بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، ومن دين ابن عربي: أن الله سبحانه هو عين كل شيء، وأن العارف المكمل: هو من يعبد كل شيء. ومن دينه: أن عجل السامري كان هو عين الله تجلى في صورة العجل، وأن أصنام الجاهلية كانت هي الله؛ لأنها أساء الله في صورة هذه الأصنام، ومن دينه أيضًا: أن المؤمن هو الله، وأن الكافر هو الله، وأن الزنديق هو الله، وأن المشرك هو الله!! وتعالى الله عما يافك ابن عربي وأحلاس!! ومن دينه: أن فرعون كان هو الله، وأن الله الذي تعين في صورة فرعون، كان له التحكم في الله الذي تعين في صورة موسى. وتستطيع أن تستطرد فتقول: إن الصوفية يؤمنون بأن فاروق كان أحد تعينات الذات الإلهية. هذا هو سر عبادتهم للأصنام، وللأموات، وللطغاة، وللفجار. وكيف يكفرون بشيء، وهم يدينون بأن كل شيء هو الله؟! فلا تعجبوا إذا رأيتم صوفيًا يحلّ الفساق، ويعبد المجرمين، ويسير ذليلاً في ركاب الطغاة؛ لأن من خصائص إله الصوفية: أن يفسق، ويقتل، ويقترب كل جريمة، ويأتي كل منكر. يقول شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي: (ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص، وبصفات الذم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها - وكلها حق له - كما هي

صفات المحدثات حق للحق) ص (٨٠) فصوص الحكم ط الحلبي.. يقرر الزنديق الذي يراه الصوفية أنه شيخهم الأكبر. يقرر في جراءة الزندقة أن الله جل شأنه يظهر بصفات المخلوقات، وزادها زندقة، فزعم أنه يتجلى موصوفاً بكل نقص، وبكل مذمة. وزادها فزعم أن المخلوقات لها صفات الخالق من ربوبية وإلهية!!!

ومع هذا يقول الصوفية: إنهم طالما حاربوا البدع!! أتصدق زعمهم وهم أحلاس ابن عربي وعباده؟! بل يدين ابن عربي بأن الغواني هن أكمل وأجمل تعينات الذات الإلهية، يقول ابن عربي: (شهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله) (ص (٤٢٧) فصوص ط تركيا)!! بل يدين ابن عربي بأن أسعد وألذ لحظات تجلي إلههم هي حين يتجلى في صورة فاعل ومنفعل: أي في صورة رجل وامرأة يقترفان، بل يزيدها فيزعم أن الإله المتعين في صورة المرأة المنفعلة أتم وأكمل من الإله المتعين في صورة الرجل الفاعل. (انظر ص (٤٢٦) من الفصوص ط تركيا). ويدين ابن عربي بأن الله لا يتجرد عن المواد أبداً، أعني لا تراه إلا متعيناً في مادة إذ يقول: (لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً) ص (٤٢٧) فصوص ط تركيا. هذا بعض معتقد الصوفية في الله سبحانه!! وهذه أول قائمة ننشرها عن آلهة الصوفية، وإلى العدد المقبل إن شاء الله..



رأي ابن خلدون في الصوفية

منذ عام وأنا عاكف على كتابين مخطوطين لم يطبعوا قبل ذلك، أحققهما، وأعلق عليهما، أولهما: (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)، والثاني: (تحذير العباد من أهل العناد)، وكلاهما من تصنيف العلامة برهان الدين البقاعي، من أعلام القرن التاسع الهجري^(١).

وقد أتممت تحقيق الكتابين والتعليق عليهما، وسبقدهما بمشيئة الله إلى المطبعة قريباً، وعن الكتاب الأول نقلت هذه الفتوى لابن خلدون وما علقته به عليها:
قال البقاعي - وهو بصدد ذكر المكفرين لابن عربي وابن الفارض -: (ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام^(٢) صاحب المغني وغيره من المصنفات البديعة، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص^(٣): (هذا كتاب فصوص الظلم، ونقيض الحكم، وضلال الأمم، كتاب يعجز الذم عن وصفه، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيتاً؛ لأنه مخالف لما أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وفطر عليه خليقته) انتهى.

وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون^(٤): (إن طريق

(١) طبع الكتاب في مجلد واحد بعنوان: «مصرع التصوف». (ض).

(٢) ولد سنة ٧٠٨ هـ، وتوفي سنة ٧٦١ هـ.

(٣) يعني فصوص الحكم لابن عربي.

(٤) ولد سنة ٧٣٢ هـ، وتوفي سنة ٨٠٨ هـ.

المتصوفة منحصر في طريقتين، الأولى: وهي طريقة السنة؛ طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة، والاعتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين^(١).

(١) ما كان من الصحابة، ولا من التابعين صوفي، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق؛ والصوفية منذ نشأوا، وحيث كانوا عصابة تنابذ الكتاب والسنة، لا يفرق في هذا سلفهم عن خلفهم، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته ووثنيته، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الغادرة، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب، ولكنه خُدعَ كغيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة، وابن خلدون نفسه، يصف التصوف بأنه بدعة، إذ يقول في مقدمته:

(هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة)!

فكيف يصفه أنه حين نشأ كان طريقه الكتاب والسنة، اللهم إلا إن قيل: إن الصحابة شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله!

ثم هل في الكتاب والسنة أن الصوفية غياث الخلق، وأن قبر الكرخي يُقسَم به على الله، فيستجيب الدعاء، ويستشفى به، فيهفو الشفاء، كما زعم القشيري في رسالته، وهو من سلف الصوفية المتقدمين، وأقلهم شناعة؟

أفي السنة أن العزوية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة؟! وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم المكّي في قوته، والسهروردي في عوارفه، ونسباً هذه المانوية إلى الرسول ﷺ؟!

أفي السنة أن الدين شريعة وحقيقة، وأن هذه أفضل من تلك؟
أفيها أن المريد لا بد له من شيخ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان؟
أفيها أن قلب المريد بيد الشيخ يصرفه بهواه؟

أفيها أن غضب الشيخ من غضب الله، وأن المرید يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل؟

أفيها أن الولاية أفضل من النبوة والرسالة؟

أفيها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى، وأن الذرات تسبح بحمد الأولياء، فيفقهون تسبيحها؟

وهذان افتراهما الغزالي الذي يقال عنه: إنه حجة الإسلام، وإنه أول من صالح بين السنة والتصوف!!

تلك بعض مفتریات سلف الصوفية الأقدمين، أو المعتدلين - كما يقال عنهم - بهتوا بها الحق والهدى منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي، في منتصف القرن الثاني للهجرة، وتلك بعض ضلالات أولئك الذين خدع فيهم الذكي ابن خلدون - وغيره - فزعم لهم أن طريقهم طريق الكتاب والسنة، أنتنسم على روحك مما نقلته عنهم نسمات حق أو عبر هدى؟!!

كلا، بل إنه يحموم وثنية ومجوسية، ثم قل لي بربك: لم سموا أنفسهم بالصوفية، هذا الاسم الذي لا ينتسب إلى الإسلام، ولا إلى لغة القرآن؟

ألا تستشعر بالذات من وراء تميزهم بهذا الاسم، أنهم قوم لا يحبون أن يوصفوا أبدًا بأنهم مسلمون؟! ثم ألا تراهم اليوم يسمون أنفسهم، وينسبون دينهم إلى طواغيتهم لا إلى الله، ولا إلى رسوله ﷺ؟! فتش في الأسماء تجد: (رفاعية، أحمدية، برهامية، نقشبندية، ضيفية، شاذلية، سلامية، وغير هذا)، إياها إلى أن قدوتهم في الدين وإمامهم، وكتابتهم وستتهم، لا تستمد إلا عن طريق من انتسبوا إليه، ولذا تجد كل طائفة تنسب قدرة الله وعلمه إلى شيخها وحده، ولا ترضى بشيخها - وإن كان في القبر يتصرف فيه دوده وسوسه - بديلاً، هذا؛ لأن الشعراني زعم لهم أن من أشرك بشيخه شيخاً آخر، فكأنما أشرك بالله!!

وحذرهم طواغيت الصوفية قديماً وحديثاً من الاعتراض - ولو سراً في القلب - على الشيخ، =

والطريقة الثانية، وهي مشوبة بالبدع، وهي طريقة قوم من المتأخرين يجعلون

وإلا كان المحق والتدمير والإهلاك!!.

فأية فئة هذه التي تصرف الناس عن عبادة الله إلى عبادة الموتى، ويخوفون دراويشهم بالذين هم من دون الله؟!.

أية فئة هذه التي تعمل على استعباد القلوب لأهوائهم ونزواتهم، وتقيم في أعماقها الأصنام تطيف بها آمالهم وأحلامهم؟ وعجيب أن أسألك وكل امرئ يعرف بأنهم هم الصوفية!!

ألا فلنقل الحق الذي خدع عن بعضه ابن خلدون: ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده، من سلف ومن خلف.. والتقسيم الصحيح للتصوف هو أن يقال: التصوف قسمان: عملي، ونظري. وأن هذا وليد ذاك - فالنظرية وليدة التطبيق ثم نبين خصائص كل من القسمين مقارنين بينهما، وبين الحق من الكتاب والسنة، وسنرى بعد هذه المقارنة أن التصوف في نشأته وتطوره، في سلفيته وخلفيته، لا ينتسب إلى الإسلام برحم دانية أو نائية، والسمة الغالبة على العملي عبادة القبور، وبخاصة الزائف من قبور آل البيت، والسمة الغالبة على النظري ادعاء أن الخلق هم الله سبحانه وتعالى.

لقد زعم الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، ابن عربي في فصوصه وغيرها: (الإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء).

وهذه آخر كلمة في الفصوص، ومن الأشياء: الميكروبات، والجيف، والخنازير، ويقال عن السارق، وعن الباغي، وعن القاتل: شيء يقال عن كل وغد تسفل في دناءته، عن كل طاغية بغى في تجبره. فيا أيتها البشرية المسكينة، ها هو ابن عربي الشيخ الأكبر للصوفية يناديك ملحقاً ملهوفاً أن تنحدري إلى حيث ترعين من كل حميم، وتتلطخين بكل جريمة، وتتمرغين بأوحال الإثم، ولا تخافي أيتها البشرية شيئاً!! فابن عربي يزعم أن كل امرئ منك هو الله!! ألا وليطب المستعمرون نفساً، فالتصوف على لسان ابن عربي يزعم أن كل مستعمر هو الله!!.

الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس، لأنها من نتائجها، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين، وابن برجان^(١)، وأتباعهم ممن سلك سبيلهم، ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة بصريح الكفر، ومستهجن البدع، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة، أو عدها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة، ولو بلغ المثني ما عسى أن يبلغ من الفضل؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً، أو شهادة من كل أحد.

وما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس؟ مثل الفصوص، والفتوحات المكية لابن عربي، والبد لابن سبعين، وخلع النعلين لابن قسي^(٢)، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض. فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها، متى وجدت بالتحريق بالنار، والغسل بالماء؛ حتى ينمحي أثر الكتابة، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلة، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق.

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، أبو الحكم اللخمي الأفريقي الصوفي، المعروف بابن برجان، له مصنفات منها التفسير ولم يكمله، وشرح الأسماء الحسنی، توفي سنة (٥٣٦هـ). [انظر: تاريخ الخلفاء (١/ ٣٧٨)]. (ض).

(٢) هو أحمد بن قسي الأندلسي أبو القاسم، صوفي له كتاب: «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعین»، توفي سنة (٥٤٥هـ). [انظر: لسان الميزان (١/ ٢٤٧)]. (ض).

مصرع التصوف^(١)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله،
والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم
أجمعين؛ وبعد:

فإنه كانت لي بالتصوف صلة، هي صلة العبرة بالمأساة، فهناك حيث كان
يُدرج بي الصُّبا في مدارجه السَّحَرِيَّة، وتستقبل النفس كلَّ صُروفِ الأقدار
بالفرحة الطروب، وتستنشئ الروح رَيًّا الجمال والحب من كل معاني الحياة،
هنالك تحت شُغُوف الأسحار الوَرْدِيَّة من ليالي القرية الوادعة الحاملة، وفي هيكَل
عَبَقِ بغيوم البخور جَثَمَ على صدره صنمٌ صغير يعبدُه كثير من شيوخ القرية،
هنالك في مطاف هذه الذكريات الوَلَهِي كان يجلس الصبي بين شيوخ تَغَضَّنتْ
منهم الجباه، وتهدَّلت الجفون، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينَّة راعشة، وفي
أجسادهم الهزيمة نحولاً ذابلاً، يَتَرَاءَوْنَ تحت وَصُوصَةِ السراج الخافت أو هامَ
رجاءٍ ضَيَّعَتْهُ الخيبة، وبقايا آمالٍ عصفت بها اليأس.

وتتهدَّح ترانيمُ الشيوخ تحت السَّحَرِ نَوَّاحًا، بينها صوت الصبي بالتراتيل
الوثنية، وما زال يذكر الصبي أن صلوات ابن بشيش، ومنظومة الدردير كانتا
أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق
بالدموع، وتتن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى: (اللهم انشلي من

أوحال التوحيد!!) ومن الثانية: (وَجُدْ لِي بِجَمْعِ الجمع منك تفضلاً). يا للصبي
الغريب التعس المسكين!! فما كان يدري أنه بهذه الصلوات يطلب أن يكون هو الله:
هُوِيَّةٌ وماهِيَّةٌ وذاتًا وصفة!!

ما كان يدري ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أوحاله!!

ولا ما جمع الجمع الذي يبتهل إلى الله أن يمن به عليه!!

ويشب الصبي، فيذهب إلى طنطا ليتعلم، وليتفقه في الدين، وثمَّت يسمع
الكبار من شيوخه يقسمون له، ولأصحابه أن البدوي قطب الأقطاب، يُصَرِّف
من شئون الكون، ويدير من أقداره وغيوبه الخفية.

ويجرؤ الشاب مرة، فيسأل خائفاً مرتعداً: وماذا يفعل الله؟!

ويهدر الشيخ غضباً، ويزجر حنقاً، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت، وقد استشعر

من سؤاله، وغضب الشيخ، أنه لَطَخَ يديه بجريمة لم تكتب لها مغفرة!! ولم لا؟

والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر، وما كان يستطيع الشاب أبداً أن يفهم
أن مثل هذا الحُبْرِ الأشيب الذي يسائل عنه الموت يرضى بالكفر، أو يتوهك مع
الضلال والكذب، فصدق الشابُ شَيْخَه، وكذَّب ما كان يتلو قبلُ من آيات الله:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]!!

ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها أن فلاناً غسلته الملائكة، وأن فلاناً كان

يصلي كل أوقاته في الكعبة في حين يسكن جبل قاف، أو جزائر وواق الواق!!!

وأن رسول الله ﷺ مد يده من القبر وسلم على الرفاعي، وأن فلاناً عذبت

الملائكة؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيها، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة

في التوحيد!!

وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده؛ لأنه أحاديث حذفت أسانيدھا!!!
ويصدق الشاب بكل هذا ويؤمن، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا. إذ قال
في نفسه: لو لم تكن هذه الكتب حقاً ما درست في الأزهر، ولا درسها هؤلاء
الهمرون من الأحبار، ولا أخرجتها المطبعة!!
وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلاً مثل هذا السؤال، وأين من الحق البين
من كتاب الله، هذا الباطل العرّيد في هذه الكتب؟!
لا، فلقد جيء به إلى طنطا ليتفقه في الدين، وها هو فقه الدين يسمعه من
الشيخ، ويقرؤه في الكتب، وحسبه هذا!!
وتموج طنطا بالوفود، وتعج بالأمّين بيت الطاغوت الأكبر من كل حدب،
ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بخنّات الأنوف، ورجّات
الأرداف، ووثنية الدفوف، وثمّت يسمع منشد القوم يصيح راقصاً: (ولي صنم في
الدير أعبد ذاته)، فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات: (إيوه كده اكفر،
اكفر يا مربى)، ويرى الشاب على وجوه القوم فرحاً وثنيّاً راقص الإثم بما سمعوا
من المنشد الكافر، فيسأل شيخاً ممن وفدوا من أهل قريته: يا سيدي الشيخ، ما
ذلك الصنم المعبود؟!
فيزم الشيخ شفّيته، ثم يجود على الشاب الواله الحيرة بقوله: (إنت لِسَه صُغِير)!!
ويسكت الشاب قليلاً، ولكن الكفر يضحج في النعيق، فيسمع المنشد يقيء:
(سلكت طريق الدير في الأبدية)، (وما الكلب والخنزير إلا إلهنا)، ويطوي الشاب
نفسه على فزع وعجب يسائل الدهول: ما الكلب؟ ما الخنزير؟ ما الدير؟! وأنى
للدهول بأن يجيب؟!!

ولقد خشي أن يسأل أحد الشيوخ، ما دام قد قيل له: (إِنَّتَ لِسَهْ صُغَيْرٍ)، ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحُمَاتِ يشربون «القرفة» ويهتئون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم السيد!!!
وتُكفَّن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات، فيصبح طالبًا في كلية أصول الدين، فيدرس أوسع كتب التوحيد - هكذا تُسمَّى -، فيعي منها كل شيء إلا حقيقة التوحيد، بل ما زادته دراستها إلا قلقًا حزينًا، وحيرة مسكينة، ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صوفيٍّ أُمِّيٍّ، فيسألها عن معاني بعض حكم ابن عطاء الله السكندري: (إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وأخذك في الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية).

ويحار الطالبان، ولا يدریان بم يحیان هذا الأمي عن هذه الحكم المزعومة - وقد عرفا بعدُ أنها تهدف إلى تقرير أسطورة رفع التكليف - فتمتلئ نفساهما بالغم المهموم، إذ رسبا في امتحان عقده لهما أُمي صوفي!!.

ويدور الزمن، فيصبح الشاب طالبًا في شعبة التوحيد والفلسفة ويدرس فيها التصوف، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته رأي ابن تيمية في ابن عربي، فتسكن نفس الشاب قليلًا إلى ابن تيمية، وكان قبل يراه ضالًّا مُضِلًّا كما نعته الدردير!!

وكانت عنده لابن تيمية كتب، بيد أنه كان يرهب مطالعتها خشية أن يرتاب في الأولياء، كما قال له بعض شيوخه من قبل!!
وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية... ويقرأ الشاب؛ ويستغرق في القراءة،

ويتدبر ما يقرأ، وثُمَّتَ رُؤَيْدًا رُؤَيْدًا ترتفع الغشاوة عن عينيه فيبهره النور السماوي، وعلى أشعته الهادية يرى الحقائق ويبصر القيم، يرى النور نورًا، والإيمان إيمانًا، والحق حقًا، والضلال ضلالًا، وكان قبل - بسحر التصوف - يرى في الشيء عين نقیضه؛ فيؤمن بالشرك توحيدًا، وبالكفر إيمانًا، وبالمادية الصماء من الوثنية روحانية عليا.

ويدرك الشاب - وهو لا يكاد يصدق - أن التصوف دين الوثنية والمجوسية، دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق، وكل مجرم، وكل جريمة!!

دين يرى في إبليس وفرعون وعجل السامري وأوثان الجاهلية، يرى في كل هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله، بل لعنتهم حتى العقول، يرى فيهم أربابًا وآلهة تهيمن على القدر في أزله وأبد، دين يرى في كل شيء إلهًا يجب أن يُعبد، وربًا يخلق ما يشاء ويختار، دين يقرر أن حقيقة التوحيد فيه هي الإيمان بأن الله سبحانه عين كل شيء، دين لا تجد فيه فيصلاً بين القيم ولا بين حقائق الأشياء، ولا بين الضد والنقيض، وبين ضده ونقيضه، دين يقول عن الجيف يتأذى منها النتن، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية، إنها هي الله سبحانه!! عن القاتل، عن السارق، عن الباغي، عن كل وغد تسفل في دناءته، عن كل طاغية بغى في تجبره، يقول عن كل هؤلاء أنهم تعينات الذات الإلهية!!

فأي إله هذا الذي يقتل، ويبغي، ويفسد في الأرض؟

أي إله هذا الذي يدب تحت جناح الليل تتلظى في عينيه، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية؟

أي إله هذا الذي يلحق دم الضحايا يبرد به غلته، ويخضب بدم الأعراض التي

سفحتها يديه الظالمتين؟

أي إله هذا الذي مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشًا وظلمًا وجبروتًا، يدمر ويخرب، ويصنع القصة الأولى لكل خريمة خاتلة؟!

ومن يكون إلا إله الصوفية الذي ابتدع أسطوره ابن عربي، وابن الفارض وغيرهما؟!!

أيتها البشرية التي تهاب القانون، أو ترهب السماء!!

ها هو دين التصوف يناديك ملحقًا ملهوف النداء أن تنحدري معه إلى حيث تنزعين من كل خمرة مخمورة، وتتلطخين بكل فسق، وتتمرغين في أوحال الإثم، وأنتم أيها العاكفون في المساجد، لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه، وترجونه، ولا إلى إله تعبدونه.

لم هذا الكدح والجهاد والنصب والعبودية؟

لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب، وهو الإله كما يزعم الصوفية؟!!

ألا فأطلقوا غرائزكم الحبيسة، ودعوها تعيش في الغاب والدغل وحوشًا ضارية، وأفاعي فتّاقة.

وأنتم يا بني الشرق! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخسف والهوان، ويلطخ شرفكم بالضعة، وعزتكم بالذل المهين، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغي، وبغيه الظلوم.

دعوه يهتك ما تحمون من أعراض، ويدمر ما تشيدون من معال، وينسف كل ما أسستم من أمجاد، ثم الثموا ضارعين خناجره وهي تمزق منكم الحشاشات، واهتفوا لسياطه، وهي تشوي منكم - أذلاء - الجلود، فما ذلك المستعمر عند

الصوفية سوى الله تعين في صورة مستعمر.

دعوا المواخير مفتحة الأبواب ممهدة الفجاج، ومبءات البغاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر، وحانات الخمر تطفئ على قدسية المساجد، وأقيموا ذهبي الهياكل للأصنام، وارفعوا فوق الذرى متنن الجيف، ثم خروا ساجدين لها، مسبحين باسم ابن عربي، فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة!!

ذلكم هو دين التصوف في وسائله وغاياته، وتلك هي روحانيته العليا!!
ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلّة، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح: إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان، ليسخر معه المسلمين في حربته لله ولرسوله، إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو دنيء العداوة للدين الحق.

فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية، وديسانية، تجد أفلوطينية، وغنوصية، تجد فيه يهودية ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدى الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده، تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفرًا جديدًا مكحول الإثم، متبرج الغواية، مُتَقَتِّلُ الفتون.

ثم سباه للمسلمين: «تصوف» وزعم لهم - وأيده في زعمه الكبار الملتحون من الأحبار والرهبان - أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام.

أقولها عن بينة من كتاب الله وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله سأظل أقولها، لعل أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب

هذا الوحش المثلث بوشاح الدعة الحانية العطوف، ولكن سلوا الصوفية سودًا وبيضاء، وخضرًا وحمراء، سلوهم: ما ردكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق؟

سيقولون ما قالت وثنية عاد: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّ﴾ [هود: ٥٤]، وألهتهم هي قباب أضرحه الموتى وأعتابها.

دمغناهم بالحق فراخوا يعوون عواء اللص الحذر وقع في قبضة الحارس، وجأروا بالشكوى الدليلة إلى النيابة فلم تر النيابة فيمن يمسك بالمجرم مجرمًا، وشكوا إلى رئيس حكومة سابق، وختموا الشكاية بهذه الضراعة الدليلة: (والله نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسداد في ظل حامي الدين حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم صان الله عرشه، وأيد حكومته الرشيدة، وألهمها التوفيق)^(١).

فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرمًا، وطاح الحق ببغي إلههم وملاذهم حامي دينهم كما كانوا يلقبونه.

وما زلنا - بعون من الله نستلهمه - بكتاب الله نتحداهم، وبسنة رسوله ﷺ نحاججهم، والله على كل شيء شهيد.

سيقول الناعمون من ذوي الألسنة التي استمرت كلمات الذل والعبودية، وليونة النفاق ومن يتملقون الجماهير على حساب الحق، ويزعمون أنهم لا يحبون إثارة شقاق أو جدال، ولا الطعن على أحد، سيقول هؤلاء: ما هكذا يكون النقد، ولا هكذا يكون البحث العلمي!

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١.

لا، أيها المدللون الخانعون للأساطير، فإننا لسنا أمام جماعة مسلمة، فنخشى إثارة الشقاق بينهم، ولو خشي الرسول مثل هذا لما لاقى قريشاً على حساب الحق، ولكنه ﷺ أطاع أمر ربه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، ووعى قلبه المشرق المؤمن الطهور التقي نصيحة ربه فيما قال له العلي الكبير: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَاكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [٧٢] وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذِقْنَكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]، فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربه: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت»^(١)، فكيف بنا نحن الذين أمرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة؟! ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل، بل تزدريه وتحقره، ثم تهب في قحّة طاغية الجراءة لتشتتم الله، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة، وسيرد على القارئ عشرات النصوص من فصوص ابن عربي، وتائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت، وابن عربي وابن الفارض قطبا التصوف، وإماما الصوفية المعاصرة، فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله، وأنا نقول للشيطان: إنك أنت الشيطان؟!!

ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربي - يفترى أدناً البهتان على الله، فيصوره بصورة رجل وامرأة يقترفان الإثم، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين هما في الحقيقة ذات الله سبحانه؟! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم.

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل؛ ليبصره المخدوعون به،
ليبصروه مسخاً ثانياً للشيطان؟

إننا في ميدان مستحر الأتون، يقاتلنا فيه عدو دنيء يتراءى أنه الأخ الشفيق
الحنو، الندي الرحمة، فلا أقل من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره، ويحول بينه وبين
القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من
الجماعة الإسلامية.



سراب دعاوى الصوفية وأدعيتهم^(١)

غَشَّتِ الصوفية بصائر عشاقها بما تسحر به من فنون الخيال الغزليِّ، والشاعريَّة الحاملة، وتأتق الفتنة في الصور البيانية المكحولة الروعة. ذلك ما جعل بعضهم يجادلنا في شأن الصوفية، فيأتينا بأدعية ونجاوى صوفية فيها وَشْيُ السحر الشاعر وفتنته، ثم يقول: أَوْ مَنْ يَقُولون مثل هذا تفترى عليهم أنهم غير مسلمين؟! لهؤلاء الذين خلبهم عشق الصوفية أقول: ما من كهان نحلة ضالة، أو أحبار دين زائف إلَّا وناجوا معبودهم بأروع مما ناجت به الصوفية أربابها، ودَعَوْهُ بما يخيل إليك من سحره أنه ضراعة نبوة في فجر الوحي، فهل نعدهم مسلمين بتلك النجاوى، وهذه الأدعية؟!

سلوهم قبل الفتنة: لمن هذه النجاوى؟ ولمن تضرعون بهذا الدعاء؟ سلوهم عن صفات من يعبدونه، وعن أسمائه الحسنى، وعما أمرهم به، وهناك - حين يَصُكُّ سمعكم ما يجيئون به - تؤمنون أنهم لا يناجون الله، ولا يدعونه، وإنما يفعلون ذلك لآلهة متباينة وأرباب شتى.

ومما يجادلنا به عشاق الخبل الصوفي قولهم: ألم تر إلى ابن الفارض كيف ناجى ربه: وإن خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوماً حكمت بردّي وعلى ما في هذا البيت من غلو الإسراف في التجرد^(٢)، وحقارة الكذب، فإن

(١) (٤/١٣٧٥هـ).

(٢) للإرادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتي كإرادة الزواج وإرادة كسب العيش،

هؤلاء ينسون أن ابن الفارض لا يناجي بهذا البيت ربَّ محمد، وإنما يناجي به ربًّا افتراه هو لنفسه ولحزبه، ربًّا يتعيَّن في صورة كافر ومؤمن، وثن وإنسان، ينسون ما طفحت به تائيته الكبرى من زندقة صريحة، وحسبك منها قوله.

ولولا لي لم يُوجَدُ وجودٌ، ولم يكن
شهودٌ، ولم تُعْهَدْ عهودٌ بذمة
فلا حيٍّ إلا من حياتي حياته
وفيَّ شهدت الساجدين لمظهري
وطوع مُرادِي كلُّ نفس مريدة
فحقَّقْتُ أَنِي كُنْتُ آدَمَ سَجْدَتِي

بل حسبك قوله: (وطوع مرادي كل نفس مريدة) لتعرف أن ابن الفارض حين يناجي ما يسميه ربًّا، فإنما يناجي ابن الفارض الذي تجسَّد فيه ذلك الرب، يناجي ربًّا افتراه هواه، ووصفه بشهواته، فهل تُحسُّ في شعره نفحة واحدة من روحانية الإسلام؟

ويجادلوننا بقولهم: ألم تر إلى رابعة العدوية، كيف خلَّق بها الحب الإلهي إلى الذروة العليا، فجعلها تهتف من وهج الحب وسعيه: (ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك وإنما عبدتك لذاتك) تعني أنها تجردت من كل رغبة ورهبة، أو طمع وخوف!!

وهؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفي الخلوب، تستشرف مقام

وإرادة التمتع الروحي بما أبدع الله من جمال رائع في جنات الأرض، وما على من يريد لها جناح من الله ذي الرحمة الواسعة، ألم يقل عليه الصلاة والسلام: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»، وهل هذا الحب إلا إرادة مصممة

قاهرة؟

الألوهية، وتجعل من نفسها ذاتاً تسمو في مقامها عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه رغباً ورهباً، أو طمعاً وخوفاً.

يقول الله عن عبده زكريا وآله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وتأمل هذه الآيات التي يهديك الله بها إلى الحق، وتنجيك من سحر رابعة: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] يصف الله من يدعونه خوفاً وطمعاً، بأنهم يسارعون في الخيرات، وبأنهم خاشعون، وبأنهم المحسنون، والإحسان أسمى مراتب العبادة، وأكمل مقامات العبودية، والعبودية غاية الحب، مع غاية التذلل.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] في مقام الدعوة إلى التوحيد الخالص يدعونا الله أن نرهبه وحده ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٦]

دعاء الله خوفاً وطمعاً جُعِلَ في الآية من أصدق الدلائل على الإيمان الحق، بل من أخص صفات المؤمنين الذين هم جديرون بحب الله، تدبر وصف الله لهؤلاء القديسين من أوليائه بأنهم الداعون الله خوفاً وطمعاً، المتجافية جنوبهم عن المضاجع لدعائه، فما لرابعة؟!

من أخص خصائص البشرية التي لا تفارقها، إلا بسكر أو جنون أو موت أنها ترغب وترهب، حتى بشرية الأنبياء، وبشرية الرسل، ترغب وترهب وهي في

أسمى مقاماتها ومن أصدق الدلائل على الحب أن ترغب في رضا^(١) المحبوب، وأن ترهب غضبه، فإذا لم تكن ثم رغبة فقد سئمته، وإذا لم تكن ثم رهبة فقد احتقرته، وإذا تسامى الحب قويت الرغبة واشتدت الرهبة، إذا قوي الحب، وابتليت وجدت الرغبة والرغبة جناحيه اللذين يخلق بهما فإذا حرمت أحدهما، فأنت في الحب دعيّ.

ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية بشرية القديسين، بشرية النبيين، بشرية الرسل، فماذا وراء هذا الزعم؟

وراءه زعم آخر هو أنها أسمى مكانة من أولئك المصطفين الأخيار وأنها ليست بشرًا بل إلهًا، فالملائكة أنفسهم يرغبون ويرهبون، بل وراء اتهام لمن نزل هذا الكتاب بأنه أخطأ - وتعالى الله عن إفك رابعة - حين أمرنا أن نعبده خوفًا وطمعًا.

ودعواها أنها تجردت في حبها عن الرغبة في الجنة والرغبة من النار تحقير لشأن الجنة، وتهوين من شأن النار.

دعواها التجرد من الخوف والطمع في الحب شعور منها - وما أخبث هذا الشعور وأكذبه - بمساواتها لمن تحبه، إن لم تكن أسمى منه!

ثم من رابعة هذه؟

أليست هي التي جدّفت على الكعبة بهذا البهتان (هذا الصنم المعبود في

(١) دليل الرضا في الآخرة الجنة، ودليل غضبه سبحانه في الآخرة النار، فإذا لم ترغب في جنته، وترهب ناره، فأنت من أذعياء الحب.

الأرض) (١)؟!

ويتنفّض هؤلاء إعجاباً بمعروف الكرخي (٢)؟ إذ يروون عنه أنه بال على شاطئ نهر، وتيمم ولم يتوضأ على حين كان الماء تحت يده فقيل له: يا أبا محفوظ!! الماء منك قريب، فقال: لعلي لا أبلغه (٣).

ويهلل الصوفية ويكبرون لهذا الخبال الصوفي!! ألا يذكر هؤلاء أن الله فريضة اسمها الوضوء، وأخرى اسمها الغسل، وأن الله لم يبح لمسلم أن ينصرف عنهما إلى التيمم إلا بشروط ليس منها أن يكون الماء قيد أنملة!! قولوا إذن للمسلمين: اتركوا الوضوء، واهجروا الغسل، فهذا معروف الكرخي يتيمم والماء منه تحت يده!! قولوا لهم: اهجروا شرعة الله، ولوذوا بهوس الكرخي!! والله أبر بعبد، وأرحم من أن يجزيه بسوء، لو أنه قبض روحه قبل أن يبلغ الماء ليتوضأ.

(١) انظر ص (٣٨) وما بعدها من كتاب شهيدة العشق الإلهي للدكتور بدوي.

(٢) هو معروف بن فيروز أبو محفوظ الكرخي. توفي سنة ٢٠٠ هـ. وكان أستاذه السري السقطي، وقد قال له: (إذا كانت لك حاجة إلى الله: فأقسم عليه بي)، فتأمل منذ متى كفرت الصوفية!! انظر ص (٩) الرسالة للقشيري مطبعة التقدم.

(٣) ص (٨٣) طبقات الصوفية للسلمي، وقد نسبه أبو طالب المكي في القوت إلى الرسول. انظر (ص ٢٩ ج ٣) من القوت ط ١٣٥١ هـ. ولقد كان رسول الله ﷺ يطوف على نسائه جميعاً ثم يغتسل منهن بغسل واحد، فلماذا كان لا يتيمم أو يغتسل عقيب كل واحدة؟ بل كان ينام أحياناً جنباً أكان معروف أشد من الرسول خوفاً من الله؟

ويبهتون ابن حنبل أنه سأل بشرًا الحافي^(١) عن الزكاة، فقال له بشر (عندنا أم عندكم؟) فقال له ابن حنبل (عندنا).

فقال بشر: (أما عندكم، فالعشر)، فقال ابن حنبل: (وعندكم؟).

قال بشر: (العبد وما ملكت يده لسيده) وتبرق عيون الصوفية بالسرور السكران، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفي!!

هؤلاء ينسون الإثم الكبير، بل الخطيئة الآثمة في قول الصوفي الحافي: (عندنا أم عندكم) فإنه وحي أسطورتهم التي يفترون بها أن الدين سريعة وحقيقة!! وأن الأولى دين أهل الظاهر، وأن الأخرى دين أهل الباطن!!

ويتناسون أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذي قرره (العبد وما ملكت يده لسيده) هو دين الصوفية، أو من دين الباطن.

إن هذا الحق الذي خلبت روعته ألباهم، ونسبه بشر إلى الصوفية إنما هو قيس واحد من نور القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْرَأُونَ وَيُقْرَأُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

(١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي، المشهور ببشر الحافي، ولد سنة (١٥٠هـ)، كان أول عمره يمشي حافيًا ويطلب العلم فاشتهر بذلك، صحب الفضيل بن عياض، توفي سنة (٢٢٧هـ). وقيل: أنه حلف أن لا يلبس نعلًا. [انظر: «طبقات الأولياء» ص (٢٠٩)، السير (١٠/٤٦٩)]. (ض).

هذا هو الحق الإلهي في جماله وجلاله: فلم تنسبون ضياء الشمس إلى عتمة الليل؟ تنسبون الحق إلى مؤتفكي الباطل؟
ثم مَنْ سيد بشر؟^(١) لقد عرفتم سيد الصوفية الذي يعبدونه، فاعرفوا إذن سيد بشر!

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوى الصوفية، إذ يفترون (كلامنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) وكذلك زعمت كل فرقة نجمت في الجماعة الإسلامية حتى تجد لها أنصارًا وأعوانًا من الأغرار، قالتها من قديم الشيعة التي تؤله أئمتها، وقالتها المعطلة وقالتها المجسمة، وتقولها في الحديث البهائية والقاديانية، وقد زعم النابلسي - وهو صنم صوفي - أن وحدة الوجود دليلها الكتاب والسنة. إنك لا تستطيع أن تمنع إنسانًا من أن يدعي ما يشاء، ولكن الذي تستطيعه هو أن تبطل دعواه، وتزنها بميزان الحق، وثمت تستطيع أن تحكم عن بينة عليه بالصدق أو بالكذب فيما ادعاه، وقد ابتليت معتقدات الصوفية وآهتها، فهل ترى لها أثارة من نسب إلى الكتاب والسنة؟

ليس المهم أن تقول، بل الأهم أن تعمل بما تقول، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة؟

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التي تتبرج فيها أنوثة البيان الفاتنة، وتنوح فيها دموع الحب وتئن جراحه، ولكنني أذكر هؤلاء بأن البرهمية أو البوذية^(٢)

(١) بشر بن الحارث أبو نصر الحافي. مات سنة ٢٢٧ هـ.

(٢) البرهمية: نسبة إلى (برهما) الكائن الأوحد، كما سمي في (الفيدا) كتاب الهند القديم المقدس،

ناجب ربها بصلوات من الدعاء يغازل الروح شعُرُها بالروعة الآسرة، شفافة
الترانيم عن نفس دَهْأَ العشق وقلب تبلة الغرام، وكذلك صنعت الزرادشتية
والمانونية^(١)، وكذلك الفرعونية واليهودية والمسيحية والبهائية والقاديانية^(٢)،
وأنت - إذ تتلو من أدعية هؤلاء دون أن تعرف نسبتها - لن تشك في أنها ضراعة
قديس في فجر المحراب الطهور، فهل تشفع لهم عند الله هذه الأدعية؟ وهل
نعدهم بها دعاة حق وجنود إسلام؟

- وتؤمن هذه النحلة بثلاثة آلهة (براهمان) الرئيس الأعلى، و(فيشنو) إله الحياة، والثالث:
(سيفا) وهو إله التدمير والخراب، وتؤمن هذه الطائفة بقدسية كهنة الدين لأنهم في
نظرهم الذين يملكون الشفاعة لهم عند الآلهة والتأثير عليهم.
- أما البوذية: فنسبة إلى «بوذا» متنبئ هندي، ولد في القرن السادس قبل ميلاد المسيح، وقد تطورت
البوذية حتى اعتقدت في بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية بأن تحمل عنها عبء خطاياها.
- (١) الزرادشتية: نسبة إلى زرادشت، متنبئ فارسي، ولد في القرن السابع قبل المسيح، وكتاب
الزرادشتية المقدس هو (زند أفيستا) وتؤمن بإلهين، أولهما إله الخير واسمه (هو رمازدا)
وثانيهما إله الشر واسمه (أهرما) إلا أن زرادشت يؤمن بتغلب الخيرية على الشرية في
الدنيا، لهذا كانت ديانتة تفاؤلية لا تشاؤمية كما في ديانة ماني.
- (٢) القاديانية: نسبة إلى غلام أحمد أو ميرزا علي محمد الذي ولد سنة ١٨٢٠ م، وقد ادعى
غلام هذا أو ميرزا علي أنه المسيح الموعود أو المهدي المنتظر، وقد انشطر أتباعه شطرين،
أحدهما: الأحمدية، والآخر: القاديانية، والأولى أقل غلوًا من الأخرى، والبهائية: نسبة
إلى ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء، وخلاصة دينه: أن الله يظهر في دورات متعاقبة في
صور الرسل وأنه أي البهاء أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهي.

ما للصوفية من سحر تغوي به النفوس سوى تلك الأخيلة التي تُؤشِّي بها نجاواها التي تعتلج بسعير العشق، ولكنه عشق مَنْ؟ إنها لا تعبد الله، ولا تؤمن بربوبيته ولا بإلهيته ولا بصفاته، ولا بأسمائه، ولا بوحيه، فكيف بنا نخدع فنظن أن أدعيتها السحرية تضرع إليه؟ إن الصوفية بدعائها تناجي ربًّا افتراه هواها وابتدعت صفاته وأسماءه، ولكنها تقنعت بالرياء الخاتل فسمته باسم الله^(١).

وهاك أنماطاً من الأدعية فاقراها، وتدبرها، وثمت تشعر بقلبك، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية متبtle، أو نبوة تدعوها السماء، بيد أنك حين تعرف حقيقة من بث دموع الحب في تلك الأدعية، وإلى أي دين هو ينتسب، إنك حين تعرف ذلك سيرود بك العجب كل مراد له، وستأسى على هذا الحلم الجميل الذي نعم به خيالك لحظة، بل ستشعر كأنها تهوي من قمة السماء إلى غور جب سحيق عميق. بيد أن هذا سينجيك من السحر الصوفي الذي يفتنك عن الحق بما يوشع لك من أدعية، فتظن بالصوفية ظن الخير، وتحسبها مع المسلمين في محراب! اسمع هذا الدعاء: (اللهم لتكون مشيئتك أن أسير في طريق شريعتك، وأن أرتبط ارتباطاً وثيقاً بوصاياك. اللهم احمني من الذنوب والعصيان وإغراء الشيطان، ولا تجعلن للشهوات سلطاناً علي ولتكن إرادتي خاضعة لك، أعني على التمسك

(١) اسم الرب الصوفي عندهم: (العماء، أو الوجود المطلق) هذا في حال تجرده أو إطلاقه، أما في تعينه فاسمه (الحقيقة المحمدية) وما له من صفة خاصة به، ولا اسم واحد يطلق عليه فكل صفة خلقية هي صفته، وكل اسم يطلق على مسمى فهو اسمه لأنه عين كل مسمى في الوجود من حيوان وإنسان وجهاد ونبات غير ذلك.

بالخير، واشملني برعايتك آمين اللهم آمين^(١).

أترى في هذه النجوى إثارة من باطل؟ أم تجدها صالحة لكي تدعو بها الله، وأنت حول بيته؟

وتأمل قوله: اللهم، اللهم، وقوله: (لتكن إرادتي خاضعة لك)^(٢) ولكن أتدري لمن هذا الدعاء؟ إنه ليهودي!.

والله تعالى يقول عن اليهود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يَوْمَهُمُ الْغَوَابُ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثِقَفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، فهل شفع ذلك الدعاء وغيره عند الله لليهود؟

كلا، وإن راحوا يملئون به سمع الوجود، لأنهم لا يدعون به الله، وإنما يدعون به ربًّا آخر اختلقته أوهامهم المادية الصماء، فقد رفعوا أيديهم إلى السماء، وهي ملطخة بدم النبيين، وقلوبهم تستعبد لها أرباب مادية!!.

(١) ص (٢٤٦) كتاب الفكر اليهودي جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد يلوز.

(٢) قارن بهذا قول ابن الفارض: (وطوع مرادي كل نفس مريدة) لتحكم أي الرجلين أخبث دينًا.

وهاك آخر: (إلهي عليك توكلت، فلا أخزى إلى الأبد، عرفني يا رب طرقك، وسبلك، علمني أرشدني إلى حقك، وعلمني لأنك أنت هو إلهي ومخلصي، وإياك رجوت اليوم كله^(١)، إذا تصورت كثرة أفعالي الرديّة أنا الشقي، فإني أرتعد من يوم الدينونة الرهيب، لكن إذ أنا واثق بتحنن إشفائك أهتف إليك مثل داود: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك)^(٢).

وتلك النجوى الحنون، ألا تجدها رَفَافَةً بروح الحب الأمل في رحمة المعبود؟ ألا ترى فيها الهتاف بدعاء «يا الله»؟.

ولكن أتدري ما هي؟ إنها صلاة رومية أرثوذكسية، والله تعالى يقول عن هؤلاء ومن دان دينهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] ويقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧٨] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩-٨٧]، فهل شفع، أو يشفع هذا الدعاء ومثله لهم؟ أترأه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون؟

كلا، وإن تجاوبت بأصدائه جنبات الوجود!!

وتأمل الدعاء تجد مفتره يقول: (يا الله) فهل يضعه هذا مع المسلمين؟

كلا، فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة، فلم يناجوا بها (الله) حقاً، وإنما ناجوا ربّاً

(١) ص (٢٦٧، ٢٤١) كتاب خلاص النفوس في الصلوات والطقوس.

(٢) ص (٢٦٧، ٢٤١) كتاب خلاص النفوس في الصلوات والطقوس.

تجسد في ثلاثة مظاهر.

وكفر الصوفية، أشد شناعة فقد آمنت برب هو عين كل شيء، أو كما يقولون في تسبيحتهم: (المظاهر عين الظاهر) يعنون بالمظاهر أنواع الخلق، وبالظاهر الله تعالى وتقدس وهاك دعاء آخر: (السلام عليك أيها الإله العظيم، لقد أتيت إليك يا سيدي في سلام، فكن بي عطوفاً، فأنت صاحب العطف، واستمع لندائي، ولَبَّ ما أقوله، فإني أنا واحد من عابديك)^(١).

أتنكر من هذا الدعاء شرگاً، أو تستنكر منه وثنية؟

ولكنك إذ تبثلي معتقد صاحبه تفر مذعوراً منه بعاطفتك، فإنه لوثنية فرعونية عبدت ربها في صورة عجل أو كوكب، وكذلك الصوفية، بل إنها مرغت تلك الوثنية الفرعونية في رذعتها، ثم خرجت بها زندقة تعبد كل شيء!!

ثم استمع إلى هذا الدعاء: (ربنا إنا نتوجه إليك، ونتضرع بين يديك، ونذكرك بالتهليل والتكبير، ونثني عليك بالتسبيح والتقديس، إلهي وملاذي، وكَهْفَ صَوْنِي وعوني في شدائدي وبلائي، إني أبسط إليك أكف الضراعة، وأمد إليك أيدي الابتهاال، يا ربي المتعالي، ويا ذا الجلال والجمال أن تنزل كل بركتك وموهبتك، وسابغة رحمتك، وسابقة نعمتك على أحببتك الذين شملتهم لحظات أعين رحمانيتك)^(٢).

فهذه المُصَمَّحَةُ بالعبر سكران الروح، غرامي النفع، أتحس فيها شيئاً يرغب عنه إخلاص توحيدك؟ ولكن أتدري لمن هي؟

(١) ص (٣٤١) مصر تأليف أدولف إرمان وزميله، ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر.

(٢) ص (٢٢٠، ٢٦٥) مكاتيب عبد البهاء.

إنها للزنديق القزم القميء عبد البهاء^(١) يناجي بها ربه، فهل تجعل منه هذه الصلاة مسلمًا ناسكًا في الفجر؟! كلا؛ فإنه لا يناجي بها الله، وإنما يناجي بها أباه ميرزا حسين علي الذي آمن به زنادقة الشيعة أنه أتم وأكمل وأسمى مظهر تجسدت فيه الذات الإلهية فقد زعم لهم ذلك، فأمنوا بما زعم!!

وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة، فافترت ربًّا يتجسد بهوئته وإنبيته وماهيته، أو بباطنه وظاهره وحقيقته في كل شيء!!



(١) اسمه عباس، فلما أن ادعى أبوه ميرزا حسين علي الربوبية، وأطلق على نفسه لقب (بهاء الله) لقب عباس نفسه بعبد البهاء.

سراب صوفي نعرفه^(١)

الصوفية غير الإسلام، كما أن الظلام والباطل والكفر، غير النور والحق والإيمان... هذه حقيقة نؤمن بها؛ لأنها حَقٌّ يُلْهِمُهُ الدين، ويقرره العقل، وتوحي به الفطرة الخالصة من شوائب التقليد الأصم الأبكم، ومنذ نشأت الصوفية وهي في حرب مأكرة مع الإسلام، إذا فترت حرارة في القلوب وسلك المسلمون سبيل الهوى، استعلنت الصوفية بحربها، فقضت على الرmq الشاحب من صفاء العقيدة في كثير من القلوب، وراحت تنشر كتبها تحت سمع وبصر كثير من الحكام الذين كانت قلوبهم وسيوفهم وأموالهم مع المجوسية، وسرابُ نفاقهم مع اسم الإسلام، بيد أن الله سبحانه سخر لهذه الأمة فريقًا من المؤمنين، وعلى رأسهم زعيمهم شيخ الإسلام ابن تيمية، يبصرها من كيد الصوفية، وثمت راحت الصوفية تلوذ بِشَفٍّ من النفاق لا يخفى ما وراءه إلا على عُمى البصيرة، فتارة تبرا مما تقول إذا شامت الطعنة النجلاء من الحق تكاد تمس منها الشُّغاف، وتارة تحاول تأويل ما تقول تأويلاً يُدْنيه من لمحات الحق إذا شامت بعض العقول التي يستعبد لها سحر القول، وتسحرها خديعةُ السراب، ويقودها نفاقه الكلم المعسول، وأحياناً تزعم أنه قد دُسِّي عليها غير ما تدين به، إذا شامت بَعْض مَنْ ليسوا على بصيرة بمعتقد الصوفية، وأحياناً تزعم أن لما تقول معاني لا يفقهها إلا ذوو البصيرة التي تصلها الأشعة الربانية بأسباب السماء، وذلك إذا شامت بعض

من يؤمنون بأن الجهل خير من المعرفة.

هذا شأن الصوفية قديماً، وشأنها حديثاً مع الناس جميعاً، نعم هو شأنها في الحديث منذ قامت دعوة الحق يبشر بها أنصار السنة، مستمدة عونها من الله وحده، وحجتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولقد حاولت الصوفية هذه المحاولة المتهافئة معنا فيما ترد به أحياناً علينا، أو فيما تجادلنا به في المجالس^(١) فعلها أحدهم فيما ردَّ به على ما نشره لنا الأستاذ التابعي في جريدة الأخبار، وفعلها أخيراً أستاذ كبير على حظ كبير من الثقافة الأدبية، وذلك في محاضرة ألقيناها بنادي رمسيس ببور سعيد، وخلاصة ما قاله الأستاذ الكبير دفاعاً عن الصوفية حين تلونا على المستمعين من كتب الصوفية نفسها نصوصاً تدمغها بالزندقة الملحدة!! خلاصة دفاعه قوله:

أن للصوفية أحوالاً من السكر بالجمال الإلهي، فيهتفون فيها أحياناً بأقوال قالوها في حال من السكر.

ويقول الحق ردّاً على هذا الزعم: أيجوز في شرعة العقل - فضلاً عن الدين - أن نأخذ ديننا عن السكارى؟!

أيجوز أن نجعل قدوتنا في الدنيا قومًا يسكرون، فيكفرون؟!

(١) ضمني وشيخ التيجانية مجلس في منزل رجل كبير كريم، فكان أن أقسم الرجل - حين فجأته أمام دراويشه بنصوص ابن عربي - أنه لم يقرأ كتاب الفصوص وسألناه رأيه في هذه النصوص، فحكم بكفر قائلها، فطالبت به بأن يسجل لي بخطه هذا الحكم بعد أن أكتب له هذه النصوص فيمهرها بإمضائه وحكمه، ولكنه كعادة الصوفية لاذ بالفرار.

وأى عقل هذا الذي يجعل الصحو اليقظان حِلْسًا مستعبدًا لِلْهَوَسِ السكران؟! ثم هل من يجلس، ويأتي بالمحبرة، ويمسك بالقلم ويقضي في تسجيل هذه الأساطير ساعات وساعات ثم يمضي لينشرها بين الناس في كتاب ينسخه هذا وذاك، هل من يعمل ذلك يعتبر سكرانًا أو مجذوبًا كما يحاول الأستاذ الكبير، ليدفع عن قلب الصوفية الطعنة القاتلة؟!

هذا بعض ما يقوله الحق ردًّا على محاولة الدفاع عن الصوفية تلك التي تزعم أنهم سكارى!!

والمحاولة الثانية التي مهَّد لها الأستاذ الكبير بأشتاتٍ من القول تزعم أن الصوفية قد دُسَّ عليها الكثير كما دُسَّ على النبي ﷺ، وهذا زعمٌ تلوذ به الصوفية حين تُرهبُها من الحق صولتُه، وحين ترى عوارها، وقد انتهك للناس، فبدت في صورة أمها الأصلية المجوسية.

وإلا فليقل لنا دعاة هذا الزعم: ما المدسوس؟ وأين هو؟ وهل فصل أحدهم بين الزائف والأصيل من الصوفية أو المدسوس من غير المدسوس؟! لقد وفق الله سبحانه رجال هذه الأمة من الأبرار، ففصلوا لنا بين الخبيث والطيب فيما نسب إلى رسول الله، بينوا الكاذب من الصادق لأنهم مؤمنون، فأين ما فعله السادة الأخيار الصوفية؟! وليعذرونا إذا وصفناهم بصفات المؤمنين.

وأقول لهم مرة أخرى: هل الفتوحات المكية، وفصوص الحكم.

وعنقاء مغرب وذخائر الإغلاق، وكلها لابن عربي هل هذه الكتب مدسوسة؟

هل فيها شيء مدسوس؟

ما أظن أنهم في هذه الجرأة، وإلا جردوا ابن عربي من تاجه الصوفي، فهو ما

سمي عند الصوفية بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر إلا لأنه مؤتفك هذه الكتب التي جعل فيها الزندقة الصماء دينًا للصوفية وهل الإنسان الكامل للجيلي، والديوان لابن الفارض، وهياكل النور وفلسفة الإشراق للسهروردي، هل هذه الكتب مدسوسة؟

قولوا لنا أيها السادة: أين هو المدسوس؟ وما هو؟ لنزداد في نقدكم إنصافًا ولنعلن على الملأ في غير مخادعة أننا كنا مخطئين!!
قولوها بصدق غير متجانف لإثم، قولوها بألستكم وأقلامكم لنسجلها لكم شجاعة ومغفرة.

ومما قاله الأستاذ الكبير - دفاعًا عن الصوفية - أن لكلامهم معاني بعيدة الغور لا يفقهها غير السادة من الصوفية ممن تصلهم بالله نوافح الإلهام!!
يا سبحان الله!! أصبح إذن فهم أعمق أسرار الدين وتكاليفه وقفًا على فئة صغيرة، وتبقى الأمة بدينها على جهالة؟!

أليس هذا معناه أن تصبح الفئة الكثيرة على عبودية خانعة لهؤلاء الذين يفقهون تلك المعاني، لعلهم يومًا يفقهون عنهم ما يعبدون به الله، أو ما يصفون به الله؟
أيرضى مسلم لنفسه أن يظل رهنَ هذا الإسار الظلوم، وأن يظل معطل العقل والفكر، بل أن يظل بهيمة عجماء يقودها سيدها الظلوم إلى الهلكة؟!

ترى أكان رسول الله ﷺ يفقه هذه المعاني أم لا يفقهها؟ إن كانت الأولى، فكان الواجب عليه تبيانها، وإلا خالف عن أمر ربّه وهو لم يُبينها فعلاً بزعمكم، فمعنى هذا اتهامكم له ﷺ بخيانة رسالة ربه!!

وإن كانت الأخرى، فمعنى هذا أنكم تتهمون بالعي والقصور عن إدراك

معنى ما أنزل الله عليه من ربه إذا كذبنا أنفسنا وصدقناكم فيما تزعمون من أن لأقوال شيوخكم معاني لا يفقهها سواهم.

أما إذا صدقنا الحق وكذبنا كذب الصوفية فإننا نقول: إن الصوفية في قولها ودينها وكتبها بينة جلية، حتى تستطيع الحكم على دينها بأنه مخالف كل المخالفة للإسلام بمجرد تصويره دون حاجة إلى برهان عقلي، أو دليل منطقي مطلقاً!! واقرأوا معي أيها السادة هذه النصوص الصوفية^(١)، وبينوا لنا معناها إن كنتم حقاً صادقين في قولكم أن لها معاني عليية يفهمها الصوفية وحدهم، وما أظن أن الأستاذ الكبير يرضى لنفسه أن نفهم فيه أنه لا يفهم كالسادة الكبار من الصوفية، وإلا جعله ذلك مظنة أنه يعبد الله بشيء مجهل معناه.

يقول عبد الكريم الجيلي متحدثاً عن الذات الإلهية - وهو من أكبر زعماء

الصوفية -:

ذات لها في نفسها وجهان	للسفل وجه، والعلال للثاني
ولكل وجه في العبارة والأداء	ذات وأوصاف، وفعل بيان
إن قلت واحدة صدقت وإن تقل	اثنان حقاً إنه إثنان
أو قلت: لا. بل إنه لمثلث	فصدقت. ذاك حقيقة الإنسان
انظر إلى أحدية هي ذاته	قل: واحد. أحد فريد الشان
ولئن تُرى الذاتان، قلت: لكونه	عبداً ورباً. إنه إثنان
وإذا تصفحت الحقيقة والتي	جمعه مماً حكمه ضدان

(١) لم ترد هذه النصوص في كتابي: «هذه هي الصوفية».

تختار فيه، فلا تقول لسفله عال ولا لعلوّه هو داني
بل سمّ ذلك: ثالثاً، حقيقة لحقت حقائق ذاتها وُصفان
فهي المسمّى أحمد من كون ذا ومحمد لحقيقة الأكوان^(١)
وهو المعرّف بالعزیز وبالمهدى من كونه ربّاً فداه جناني

يقول: الذات الإلهية ثلاثة أقانيم: إله واحد، الأول: الذات، الثاني: الربوبية، الثالث: العبودية، فالذات الإلهية: كانت أولاً في مرتبة الأحدية، أي الوجود المطلق ثم تعينت في ذاته، فكانت ربّاً، ثم تكثرت الذات في مظاهر عديدة، فسميت باعتبار تكثراتها، أو مظاهرها: عبداً.

فالذات الإلهية تسمى ربّاً، باعتبار باطنها، وعبداً باعتبار ظاهرها؟

فما ذلك الظاهر؟ إنه مظاهر الوجود السفلية، والعلوية!!

فليس هنالك خالق ولا مخلوق، وإنما هنالك ذات واحدة، هي الخالق وهي

الخلق في آن واحد!!

وقد ظهرت هذه الذات بربوبيتها وعبوديتها في أتم مظهر لها، وهو محمد!!

وفي ذلك يقول ابن عربي:

الرب حق، والعبد حقُّ ياليت شعري: مَن المُكَلَّف؟!
إن قلت: عبداً، فذاك نفْيٌ أو قلت: ربُّ أني يُكَلَّف؟!

فليفسر لنا الصوفية هذا الشعر الوثنى، ليبيّنوا لنا تأويله وتفسيره، لعلنا نعود

على أنفسنا باللائمة!!

ثم يفسر الجيلي لنا صفات الذات الإلهية، أو جوهره المفرد: (وكونها تجمع بين النقيضين المتقابلين تقابلاً حقيقياً في صفتها وأسمائها، ولهذا الجوهر غرضان.

الأول: الأزل، الثاني: الأبد، وله وصفان:

الوصف الأول: الحق، والوصف الثاني: الخلق، وله نعتان: النعت الأول: القَدَم والنعت الثاني: الحدوث، وله اسمان: الاسم الأول: الرب.. والاسم الثاني: العبد، وله وجهان الوجه الأول: الظاهر. وهو الدنيا. والوجه الثاني: الباطن، وهو الأخرى، وله حكمان: الحكم الأول: الوجوب والثاني: الإمكان^(١).

الله: هو كل شيء، الله: هو هذه الأشياء، فهو واجب ممكن، قديم حادث، حَقٌّ، خَلْقٌ، رَبٌّ، عبد، هو الدنيا، وهو الآخرة. تعالى الله، وإنما هو الوهم الصوفي الذي عبدوه. فانظروا إلى إله الصوفية، هذا المسكين التعس، المنكود، يَعْبُدُ، وَيُعْبَدُ، يحيا ويموت، يوجد ويُعَدَم!!!.



عبر وذكريات^(١)

ألح عليّ إخواننا في أن نعيد طبع رسالة صوفيات فعدت إليها أكتبها من جديد، وأحشد فيها من النصوص ما يصعق وأزيد موضوعات لم تطرق من قبل، حتى أربت على ضعفي حجمها الأول، وهذه هي مقدمتها:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين؛ وبعد:

فما زلت أذكر وأنا طالب في معهد طنطا الديني ذلك الشيخ الشيبة، يقسم لنا - وعينه محضلتان بالدموع، ونبرات صوته أصداء عميقة بعيدة الغور من الشَّجْوِ الولهان، والحنين الهائم، والحرمان الجريح - يقسم لنا أن في ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوي شعره من رأس الرسول!!

وأنها معين خير، وفيض بركة ويؤمن، ومطاف آمال، ومهوى رجاء!!

وأذكر أنني حين سمعت حديث الشيبة يؤكد بقسم غليظ شعرت بقلبي وكأنما يود أن ينشق عنه الصدر؛ ليهفو في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها، ويكنها في مهجته، بل شعرت كأنما حملت إلى الملائكة بشري الخلود.

وما زلت أذكر أيضًا، أنني سألت الشيخ - ليطمئن قلبي على هذا الأمل الحلو الساحر الفتنة - عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم؟ فأجاب - تولاه الله بما قدّم - لقد وضعناها في زجاجة، وأقمنا حولها حلقة ذكر

وإنشاد، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين، على ديف الدف، وحنّات الناي،
والنغم المطرب المرقص من الأناشيد!!

وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنها هي برهان من الله.

وأذكر أن الشيبة تداركنا - حتى يُحكم القيد - بحجة أخرى، فزعم أنهم
وضعوا الشعرة تحت أشعة الشمس، فلم يجدوا لها ظلًا!!
وكان هذا الوهم الوثني الجديد حجة عندي تدحض كل ريبة.

وأذكر- ويا رب غفرانك - أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سكرى
خلت فيها أنني أرى الجنة، أو أنني صحابي يتلو عليه الرسول وحي الله!!
فكنت أهفو إلى هيكل الشعرة خاشع الطرف، رَيَّان القلب بالرهبة والولاء،
أُصَلِّي لها بنجاوى الحب العابد، وألثم خشب هيكلها وحجره في شغف نائر
الأشواق عريبد التلهف، وأُنَهِّتُه بالأرواح العطرية التي أخال أنها تناسمني منها
دموعي المسكوبة لوعة عشق وظمأ غرام!!.

وتعال معي أذكرك بأنني كنت أطوف حول صنم البدوي حتى إذا مثلت أمام
الكوة الصغيرة في وثنه النحاسي البراق، أنفذت منها يدي - في رعشة التقديس -
حتى ألمس ستر القبر، ثم أخرجها رويدًا رويدًا في حرص وحذر بالغين، وقد
ضممت قبضتها على... على ماذا؟... كنت أوقن حينذاك أنني أضمها على بركات
سماوية تفيض من روح الله على القبر^(١).

(١) يزعم الصوفية أن الله قد جعل فوق كل ضريح طاغوت طاقة مفتوحة في السماء يفيض
منها بركته ورحمته على القبر وزواره.

ثم أبسط يدي في جيبي، وأمسخ بها وجهي، رجاء أن أكون مُيسَّر الرزق، داني
قطوف النجاح، مشرق الوجه بنور الله!!

وتعال - ولا تسأم من ذكرياتي، فإنها عبرة ضحية، وعظة مأساة - أذكرك
بذلك الذَّوي ترجف منه الأرض، وترتعد جدر المعهد حين كانت تُوزَّع أسئلة
امتحان آخر العام الدراسي، أتدري ماذا كان يحدث؟

تهب هذه الآلاف المؤلفة من الطلبة رافعة أكفها في ضراعة ناعقة بما لا يسمع
أو يبصر، حتى ليبح صوتها وتتمزق حناجرها إذ تنعق ضارعة: يا سيد!!
ويا ويل الأسماع من طول «ياء» النداء، لقد كانت تطول وتطول حتى ليخيل
إليك أنها دخان مارد يحترق، فيلمس دخانه قبة النجم، ولعلمهم كانوا يفعلون
ذلك لتصل أصدااء ضراعتهم إلى حيث جثمت على الأرض في غيابة القبر جيفة
مَنْ دَعَوْه!!

ولعلك تسألني: وماذا كان يفعل بكم شيوخكم؟!

كانوا يرفعون في سكرة الحب، وذل الخشية أيديهم المعروقة يمسحون بها
وجوههم، أو يمشطون لحاهم، ومن بين الشفاه الذوابل تنساب هذه المهمة:
(ﷺ)!!، ثم يلتفتون إلينا، وعلى وجوههم ألق الرضى ناصحين في تأييد وإعجاب:
(كفاية، ما خلاص سمعكم!!)

وتعال - وناشدتك الله إلا ما أصغيت غير مأل ولا كاره - أذكرك بهذا الشيخ
الكبير، والذي كان يَشْرِك الدهماء في يوم «الكنسة»!!

وكان يمزق عمامة صنم البدوي إربًا إربًا، ثم يهديها إلى مريديه بركة - في
زعمه - من روح الله التي يغرق صبيها ذِيَالِك الوثن.

كان الشيخ له شيخ آخر هو تاجر خيط في المدينة، قد أعطاه العهد، وألبسه خرقة التصوف، وكان التاجر على أمية وجهالة، بيد أنه كان خبيرًا بزندقة الصوفية مؤمنًا بها، يبثها ويجمع الهالكين حولها.

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر يخفض من رأسه عبودية للتاجر الصوفي!!

ثم يلثم يده في خشية ورهبة وإجلال!!

وكنا نهتف إعجابًا بصنيع الشيخ؛ إذ نراه دلائل قوية على إيمان عميق، وتواضع كريم!!

كذلك كنا نحرص كل الحرص على أن نتشي بمشهد الشيخ، وهو يطوف حول ضريح البدوي يتلمس نحاسه وستره حتى إذا بلغ فمه موضعًا منه، راح يشويه بسعير القبل من شفثيه الناريتين!!

ونحرص كل الحرص على أن نفيض من منازلنا سراعًا إلى مولد البدوي، لنشهد سرادق الشيخ الذي ضربه على ساحة طويلة عريضة من الأرض، احتفاءً بمولد الوثن الأكبر، ولنطعم طعامه وشرابه ثم نخرج من السرادق الضخم الفخم مهرولين صوب النصب الكبير، أو ما يسميه الدراويش: «العمود، أو الصاري»^(١) نفعل هذا لعلنا نصيب بركة من القطب الغوث الذي قيل لنا أنه لا يحرص على شيء، كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة للمولد، هو والأقطاب الأربعة والأوتاد والأبدال والأنجاب!!

(١) هكذا يسميه عبيد البدوي، وهو عمود طويل مفرط في الطول من الخشب مثبت في قاعدة من الأسمنت.

أو لعلنا نبصر واحدًا منهم فيما تشكل من صور^(١)!!

ثم تعال معي إلى الجامع الأحدي الكبير، أو هيكل الطاغوت الأكبر، لنرى هذه الحشود التي يمور ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال، وفدوا إلى الصنم من كل فج عميق، وقد أشعلوا مواقدهم يطهون الطعام، أو يصنعون الشاي «والقرفة» وأمام كل منهم «شوال» خبزه، ووعاء «دُقَّتَه» وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون، أو يتبرزون!!

وهنا، وهناك حانات ذكر يرقص فيها الدراويش، وتتخلع الدراويشات ويزور بي شيخ من أهلي - وأنا صغير - مصر، فيجوب بي الصحراء، ويجتاز الأودية، ويسلك المفاوز نشدانًا لضريح ابن الفارض.

وهناك حيال الوثن الفارضي، يغني مرافقي قصيدة ابن الفارض: (نسخت بحبي آية العشق من قبلي) فتذرف عيناى الدموع، ويحترق قلبي شجنًا على هذا العاشق المحروم، عصف به الغرام، وأضناه الحرمان.

(١) كان قد حدثني نقيب صوفي من قريتي أنه رأى القطب، وألقيت بسمعي كله إليه وهو يقص كيف رآه، قال: «كنا بمولد البدوي مرة دون الصاري، فسمعت من بعيد فحيح مزمار فرأيت شيخي يهرول إلى باب السرادق، ثم يكسر من قامته، حتى لتكاد تمس رأسه الأرض، ويرفع يديه في رعب شديد يحیی بهما - رجلًا أشعث أغبر منهتك السوء، ويده عكاز طويل يدب به على الأرض؛ وأمامه رجل مثله ينفخ في مزمار طويل)، ثم يتنهد الرجل وهو يستعيد ذكرياته، ثم يقول: (وهكذا رأيت القطب، فقد سألت شيخي عن الرجل الأول، أليس هو القطب، وصاحب المزمار حاجبه؟ فأجاب: بلى، ولكن اكنم السر!!).

كل هذا كان!! ثم ماذا؟

ثم هداى الله سواء سبيله، وسلكت بي رعايته مسلك التوحيد والإيمان، فماذا حدث بعد؟

تطلعت نفسي إلى الماضي الوثني وهي تهب حسرة حزينة، وخميل أفراح معطرة، تطلع الناجي من السعير ما زالت في أتونه المتأجج ضحايا تعسة منكودة جنت عليها الصوفية ما جنته عليّ.

وتطلعت إلى الريف الحزين يستعبد أهله شيوخ الطرق، ويغصبون أيتامه ما يوضوئ فيهم من رمق خابي الشعاع وأرامله ما هنّ في حاجة ملهوفة إليه؛ ليسددن خلة، أو يسترن عورة، ومساكينه حتى الذبالة المحترقة من حشاشتهم.

تطلعت إلى الريف تجعل الصوفية منه فساد عقيدة، وضلالة فكر، وذلة ومهانة في الأخلاق، ورذغة بدع وجهالة وخرافة، وعبودية خانعة لهوى الأبحار، وسدانة يعكف فيها السدنة على بغي الكهان يبشرون بسماحة بره، وأريحية رحمته.

وتطلعت إلى المدينة يعيث في أرجائها الصوفية، فتحيل أهلها - حتى المثقفين منهم - عبيد قبور، وعبداء جيف، وأحلاس منكر وزور، وموالي أدلاء لكل طاغية باغية!.

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك، وذكرت ما كابדתه، فصرخت موجعا من هول الفاجعة، أحاول إنقاذ الضحايا المغمدة السرى وراء الذئاب الضواري من الصوفية.

وأكتب ما أكتب، ضارعا إلى الله أن يمد بالعون - فمنه وحده يستمد - أن يتبين لهذه الضحايا المسكينة أنها تتجرع الغسلين تحسبه رحيقا، وتطعم الوزين تظنه فاكهة الخلد، وتدين بوثنية هي شر ما ابتدع الشيطان لأولياءه من وثنيات،

وتخالها توحيداً مُطِيباً بِرُوحِ الله!!.

وهبت الثورة، بل قل: انبثقت روح البعث الجديد في كيان الشرق كله، وراحت تهدم، وتبني، تهدم معاقل الشر، وتذك صياصي البغي، وتشيد صروح العدالة الكريمة، والمساواة النبيلة، وتأسو جراح الشرق، وتغرس في كل واد ربيع الخير والمحبة والجمال.

إنها كانت إعصاراً راعد الدوي، ونسائم عطرية كريمة الأنداء.

إعصاراً على الظلم الاجتماعي، والفساد السياسي، ولكن بقى الفساد الديني. ويقيني أن أبطال الثورة المغاوير يؤمنون أن الخلق الطيب نور من الدين الطيب، وأن الجماعة الصالحة هي التي يقودها دين صالح، وأن المسلمين لم يبلغوا أمجادهم إلا بدين الحق، وأن البشرية لم تسعد، ولم تبلغ كماها إلا به، وأن الإنسانية لم تنعم بمجتمع صالح كذلك المجتمع الكريم، الذي أقام الإسلام أسسه، وشيد صرحه، وأعلى ذراه.

وأن المسلمين حين زاغوا عن هدي دينهم أزاع الله قلوبهم، فحالت أمجادهم، ودالت دولتهم، وتنابدوا شيعاً تلعن كل شيعة منهم الأخرى.

ويقيني أن أبطال الثورة يعملون ليكتب التاريخ مرة أخرى - لا لمصر وحدها، بل للعروبة والإسلام - قصة المجد الأعظم، والحضارة الوريقة، والعلل رفاف اللواء فوق أمجاد الخلود.

يعملون؛ ليجعلوا من ذلك الماضي المقدس حاضراً ومستقبلاً للشرق العربي والإسلامي.

وإني لأرجو كما قضت الثورة على الجور الاجتماعي والسياسي أن تعمل

جاهدة - والله يعينها - في سبيل القضاء على البغي الصوفي، فتقضي بهذا على ما يفسد العقيدة والفكر والأخلاق، وتجعل من هذه الأمة أفق إيمان صحيح، وحمى حق لا يستباح، ومنار فكر يشع بالهدى لكل حيران.

إنها بقضائها على ذلك الشر المستطير تقضي على جرثومة الاستعمار وتراثه، فما جاء بالصوفية، أو ما عمل على التمكين لشرها، وأصنامها وطواغيتها سوى الاستعمار القديم، وعلى نمطه سار الاستعمار الحديث.

لقد حاول المستعمر في العصر السالفة القديمة أن يطيح بالإسلام وأبطاله ودعائه عن طريق القوة المادية، بيد أن المسلمين - على قلتهم، وكثرة عدوهم - حطموا كل هذه القوى الباغية، إذ كانوا مع الله، فكان الله معهم يدافع عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

فكان أن لجأ الاستعمار إلى دهاء المكر اللئيم، فرماهم بالبدع والأساطير، تبشر بهما المجوسية على أنها روحانية وربانية، على أنها دين سماوي خص به محمد بعضاً دون بعض، فكانت هذه الصوفية، بل كان أن ذهب المسلمون بدداً، بل كان أن بحث الإسلام عن وطنه، فلم يجد سوى ما يجده من وراء التيه السحيق من شعاع فجر بعيد بعيد.

فكروا فيما صنعت الصوفية بكل أمة، تردوها عون البغاة الطغاة من المستعمرين، حسبكم من شرها صرفها الناس عن عبادة الله، إلى عبادة الرمم والصخور، والعقول عن الإيمان بالحق، إلى الإيمان بالباطل!!

إن تلك الأمنية - أمنية القضاء على بغي الصوفية - أمنية تهفو بها نفس كل مسلم إلى أبطال الثورة المجيدة؛ ورعاية الله سبحانه كفيلة بأن تصبح هذه الأمنية

حقيقة ينعم بها قلب كل مسلم.

وإني لأمل أن تكون هذه الرسالة دعاء صادقاً في سمع الثورة التي عودتنا أن تصغي في إخلاص إلى الحق، وأن تعمل في صدق وجد على أن تنصر الحق. وما بهذا أستعديها على خير، إنما أستعديها على شر نجتاحه، وباطل تُزهِقه، ووثنية تدك أصنامها، ليخلص للحق صراطه المستقيم، وللجماعة الإسلامية سبيل مجدها، وللإخاء والحب أفقه ساطع النجم، متألق النور.

هذا الكتاب:

لهذا الكتاب الذي نصره بهذه المقدمة قصة، فمن أعوام قليلة خلت، شكا سماحة شيخ الصوفية إخواناً لنا من أنصار السنة بدعوى أنهم ينالون من كرامة الصوفية، فكان أن رجوت وكيل النائب العام، أن أقض وحدي موقف المتهم، فلم يجد المحقق ما يأخذنا به، وقد قدمنا له الأدلة الدامغة من كتب الصوفية.

وعلى صفحات مجلة الهدى النبوي، نشرت بعد التحقيق خطاباً مفتوحاً إلى سماحة الشيخ، فيه ما فيه من حق يصعق باطلاً، وتوحيد يقضي على وثنية، ليعلم الشيخ ومن خلفه أنهم مهما كادوا، أو مكروا بنا، فإننا لن نسكت، ولأحققه، فيضرب بكل سهم في جعبته فتكون فرصة أهتبلها؛ لكشف خفايا الصوفية أمام كل جهة يشكو منا إليها، وألح إخواننا أنصار السنة هنا وفي السودان وغيره في طبع الخطاب، فطبعنا منه الآف النسخ، فكان أن صودر في السودان بأمر الحاكم العام السابق، ولما أن نفدت نسخه، طبعه إخواننا في سوريا الشقيقة، فصادرته حكومة «الشيشكلي».

وألح إخواننا مرة أخرى في طبعه، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد، وأزيده

كثيراً من النصوص وموضوعات جديدة لم تكن في طبعته الأولى، حتى أربى الكتاب على ضعف حجمه الأول مرتين وأكثر، ولذا لم يكن افتتاً على التاريخ أن أسميه: (هذه هي الصوفية)، بدلاً من اسمه الأول: (صوفيات)، وسيرى القراء كما عودتهم - إنني لم أرم الصوفية بغير ماتدين به، وأنا لم نعتمد على قول أحد في الصوفية، وإنما اعتمدنا على ذكر نصوص كثيرة بينة الدلالة من كتب الصوفية، مقارنة إياها ببعض آيات الكتاب الكريم، وأحاديث خاتم النبيين ﷺ، هذا لكيلا يفتروا علينا أننا نرميهم بغير ما يفترون على الله.

كنا نستطيع أن نصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً، فنأتي بفتاوى أئمة المسلمين في شأن الصوفية، أو ننقل ما نقلوه هم عن الصوفية من نصوص، بيد أني رأيت أن يكون للعدل والحق الرعاية الأولى، فنقلت دين الصوفية من نفس كتبهم، ذاكرًا كل كتاب صوفي نقلت عنه، وتاريخ ومكان طبعه، ورقم الصفحة التي نقلت عنها، لأرمي الظن والريب بالحق الواضح، ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم أو نبهتهم، وليكون كل قارئ مفتياً لنفسه بالحق، وحكماً بيننا وبينهم.

وقد يعيب علينا بعض من سحرتهم طقوس الصوفية وشاعريتها الكهنوتية العنف في البيان والمحااجة، لكننا نقول لهؤلاء: رويدكم!!

فإننا نسمي الأشياء بأسمائها، ونصفها بما هي عليه، فلا نقول عن الزقوم: إنه تفاح الجنة، ولا عن الغسلين: إنه رحيق الفردوس، ولا عن الشرك: إنه إيمان، بل لا نحب أن نداهن فنزعم أن شرك الصوفية خطأ فحسب، كما ينافق بعض الشيوخ الذين مردوا على النفاق، ومرنوا على المخادعة والمداجاة؛ ليحسبوا مع

الكافرين، ومع المؤمنين!!

وعجب مُغْرِب في العجب أن غضب، بل نرتجف من الحق، إذا دعينا نحن بغير أسمائنا، ونحقر من يدعي لنفسه نسباً غير نسبه، ثم لا غضب من نعت الحق بأنه باطل، ولا من وصف الباطل بأنه حق!!

وعجب ذاهل الدهشة أن نرمي بالعمى والجهالة من يسم الليل بأنه نهار مشمس، أو من يقول عن المر: إنه حلو، أو من يقول عن الثلاثة: إنها واحد!! ثم لا نرمي بهما - بالعمى والجهالة - من ينعت الصوفية بأنها إسلام صحيح، ومن يقول عن الطائفين حول القبور اللاتذنين بأحجارها الصم: إنهم مسلمون!! ثم يمكر ليحسب مع المسلمين، فيقول عن أولئك: ولكنهم مخطئون. عجب أن نكفر القائلين أن الله ثالث ثلاثة، ثم نحكم بالإيمان المقدس لمن يفتر أن الله عين كل شيء.

وأنه مليون ملايين، لا شيء سوى أن لهم أسماء تشاكل أسماء المسلمين!! إن الحق والدفاع عنه يجهلان علينا أن نسمي كل شيء باسمه، ونصفه بصفاته، وإلا افترينا عليه، وجعلنا للباطل السَّوْرَةَ والصولة، وداجينا في الإيمان، أما هذه النعمة والطراءة والرخاوة في الذِّيَاد عن الحق، والجهر بكلمة الحق، أما ذلك فَشَرُّ أنواع الجبانة، والخداع والرياء والعجز الدليل!!

قولوا عنا ما شئتم!! فإن للحق صولة تحتاج كل صولة أخرى، ولن ينال منها أن ترموا بعض جنوده بالعنف في البيان والمحااجة، وعجب أن تُرمَى بالعنف، أو يُتَقَد علينا هذا والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَاهِدُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

قولوا ما شئتم!! فليس بنافع ما تقولون به في الذايد عن الصوفية، أو الإبقاء على رمقها الشاحب وهي تحتضر، بل ستبقى رغم ما تقولون تلك الحقائق الصاعقة العاصفة المدمرة لهياكل الصوفية، ستبقى شاهد عدل قوي وحق ساطع البرهان على أن الصوفية عدو الإسلام الألد الخصام، بيد أن هذا العدو يسحرك بفتنة التقبيل، ويسرك بخمرة العناق حتى إذا أغمضت عينيك النشوة الحاملة، أنفذ إلى صميم قلبك خنجره المسموم!!.

وما نشترى بما نكتب رضاء الناس وإنما نبتغي به وجه الله ورضاه، فله ما بذلت من جهدٍ وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لي جهدًا في سبيله، وألا يضيعه، وهو مولانا ونعم النصير.



مفتريات وأساطير

رد على مجلة صوفية تصدر في السودان^(١)

بعث إلي الأخ الكبير الأستاذ صادق عرنوس بمجلة اسمها: «الروضة الإسلامية»، وهي تصدر بواد مدني سودان، وقد أرسلها إليه بعض إخواننا الأعزة من جنوب الوادي، فقرأت فيها مقالاً عنوانه: «الرد الموجز على أنصار السنة كما يتسمون»، دبجه قلم الشيخ صديق الأزهري، وقد لقبته المجلة بالعالم المشهور، وإمام مسجد رفاعة، وقد حشا الشيخ مقاله بالطعن على أنصار السنة، وكم طاعن على أنصار السنة وجد في النهاية أنه إنما كان يطعن نفسه، ويهوي بمعوله على ما بقي من أطلال بنائه.

ونحن في مقالنا هذا سنرد على الشيخ سهمه، وسيصيب منه المقاتل، غير أنا سنقسم ردنا إلى قسمين:

أولهما: الرد على مفترياته التي بهت بها أنصار السنة.

وآخرهما: بيان ما ورد في مقاله من وسوسة الزندقة ونزوات الشرك.

يقول الشيخ مخاطباً أحد أنصار السنة: (ارفق بإخوانك المسلمين، واحتفظ بهم خير لك من حمر النعم، ولا تكن عليهم غليظ القلب فظاً، لأنه ينبغي لمن ينصر السنة أن يكون كصاحبها، اللهم إلا أن يقال: إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر)^(٢).

(١) (٩/١٣٦٨).

(٢) من جميل الصدف^(*) أن الطابع أخطأ، فكانت الكلمة في المجلة الرجل الفاجر، وأعتقد

يعرض الشيخ في قوله هذا بأنصار السنة وينعتهم بالفجور.
ولم لا يقول الشيخ ذلك، وقد قال شيخ طريقتهم لربه عن آدم: «أنا خير منه»،
ولا أدري أي فجور يأخذه الرجل على أنصار السنة؟
أدعوتهم إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله فجور؟!
أتعريض نفوسهم للمخاطر والمهلك انتصاراً لدين الله فجور؟!
أدعوتهم إلى نبذ الشرك والتقليد والاعتصام بالهدى الإلهي فجور؟ لئن كان
هذا عندكم فجوراً فكم أتمنى أن يكون الناس جميعاً فجاراً بهذا المعنى!!
ومن عجب قولك: ينبغي لمن ينصر السنة أن يكون كصاحبها... وقولك هذا
على أنه مضحك، ولكنه ضحك كالبكاء! فهل كان صاحب السنة العظيم داعي
شرك وزندقة أيها الشيخ، أم كان داعي توحيد وإيمان قويم؟
أدعا سيد الخلق إلى اتخاذ الشفعاء والأنداد ومشايخ الطريق أرباباً من دون الله؟
أدعا رسول الله ﷺ - خاتم النبيين - إلى تقليد الآباء والشيخوخ؟
إنكم تفعلون كل هذا، وتزعمون أنكم تقلدون وتقتدون برسول الله،
ورسول الله بريء - براءة نفسه الشريفة من الشرك - من كل من يزعم أن له
وسيلة إلى الله سوى عمله، وأن له من يتوسط في شفاعة دنيوية بينه وبين الله، ومن
يزعم أن له شريعة يتبعها لا تؤخذ من كتاب ولا سنة.

أن الشيخ لو ظفر بمثلها لراح يدق الطبول معلنا عن هذه الكرامة بل هذه المعجزة،
وهكذا يا شيخ أبي الجماد إلا أن يلقبنا بغير ما أردت، بالفاخرين لا الفاجرين.
(*) يقصد الشيخ رحمه الله: جميل القدر.

وأنتم يا شيخ تقلدون في الفقه مذهباً بعينه، وتوجبون تقليده وجوباً شرعياً، وتقلدون في العقيدة فلائناً وعلائناً، وتجعلونه وسيلتكم إلى الله وقائدكم وقدوتكم وإمامكم، وتجعلون قوله الفصل ليس بالهزل، فهل ذلك من دين الله؟

والرسول صلوات الله عليه كان دائماً يدعونا إلى الاستمسك بكتاب الله وسنته حتى لا نضل ولا نشقى، وهذه دعوتنا، فبم أنتم مستمسكون؟

ويقول الشيخ في معرض كلامه: (ولا سيما السلف الصالح الذين أنتم بصدد الرد عليهم وإبطال طرقهم، وتفرقة كلمة المؤمنين وإيقاع الشحناء بينهم).

وإليك الرد الموجز أيها الشيخ: فقد جاء في قانون جماعة أنصار السنة من المادة رقم (٢) ما يأتي نصه: (مبادئ الجماعة ومقاصدها هي إحياء العمل بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ ونشر مذهب السلف الصالح اعتقاداً وعملاً وخلقاً، من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين عليهم السلام).

فبربك قل لي أيها الشيخ: أي بهتان وراء هذا البهتان الذي سطره قلمك السكران؟!

أي سلف صالح نرد نحن عليهم ونحن إنما نريد إحياء مآثر السلف، لا لأجلهم هم أنفسهم، وإنما لأنهم كانوا على الجادة من صراط الله المستقيم، ثم من هم السلف أيها الشيخ؟

لعلك تريد ابن عربي وطيفور البسطامي والحلاج والجيلاني والبيهقي.. لا ريب في أنك تعني هؤلاء، فإن كان كذلك فقد صدقت في وصف أنصار السنة بأنهم بصدد الرد عليهم وإبطال طرقهم.. ولكن كذبت يا شيخ في تسمية هؤلاء الزنادقة سلفاً صالحاً..

أو في أن أنصار السنة يردون على أولئك باعتبارهم سلفاً صالحاً؟
يا للعجب العجيب فإن تهمة أنصار السنة عندكم هي أنهم سلفيون.
فماذا جرى أيها الشيخ؟ وهل نحن الذين نفرق كلمة المؤمنين؟
أتعرف بم وحد الرسول كلمة العرب، وكانوا شيعاً وأحزاباً؟
بدعوتهم إلى عبادة إله واحد لا شريك له وجعلهم كتابه لهم إماماً وسراجاً في
الظلمات.

ونحن يا شيخ إنما نقتدي بهذه الدعوة النبوية العالية، دعوة الناس إلى
التوحيد، والتوحيد روحه المساواة والعدل والإخاء والتراحم والتحابب، إذ
يشعر البشر جميعاً أنهم إخوة يعبدون رباً واحداً يحبهم ويحبونه.
إن الجماعة البشرية أيها الشيخ تبحث اليوم عن الرباط العام الذي يجعل كل
إنسان مواطناً عالمياً وأخاً إنسانياً يرى الناس كلهم له إخوة.

والتوحيد الإسلامي وحده هو الذي يجعل البشر جميعاً أسرة واحدة ربها
واحد ونزعتها واحدة واتجاهاتها الشعورية واستجاباتها الروحية واحدة، لأن
الدين واحد والرب واحد لا شريك له. التوحيد يهدم الفروق الحسية والنسبية
والشيوخية، ويجعل الكل وحدة إنسانية عامة ترى المعزة في الذل لله، وترى الحب
أصدق الحب أن يكون لله، وترى الخير كل الخير في أن يكونوا جميعاً إخوة أمام الله.

وهذه دعوتنا يا شيخ... دعوة التوحيد الخالص، لا تكدر صفاء شائبة من
الشرك حتى نرى العالم كله أمة واحدة، تتجاوب كلها بدعوة واحدة لا إله إلا الله
محمد رسول الله، أما أنتم يا شيخ فإنكم المفرقون للكلمة، العاملون على القطيعة،

الداعون إلى الجفوة.. وإلا فأرني تيجانيًّا يحب رفاعيًّا، أو نقشبنديًّا يتجاوب مع أحمدي؛ إن كل طائفة منكم تدين لشيخها بالولاء والعبادة وترى في الشيخ الآخر مجرمًا ملحدًا كافرًا حتى إن الشعراني ليجعل من يبدل شيخه كمن يبدل ربه^(١).

أما نحن فنقول ربنا الله ونبينا محمد عبد الله ورسوله، فتعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبد إلها غيره، ولا نتخذ ربًّا سواه.

أفمن يفعلون ذلك هم المفرقون للكلمة وإيقاع الشحناء بين المسلمين، أم من يتخذون لهم أربابًا من دون الله؟ وكل جماعة تلعن أختها، جماعة تؤمن بربها ورحمته وكرمه فلتجأ إليه وحده، وجماعة تحسب ربها ظالمًا بخيلًا، فتتخذ لها وسطاء يسألونه عدله وكرمه، فأَيُّ الجماعتين خير مقامًا وأحسن دينًا وأبر أخلاقًا؟

إن أنصار السنة يا شيخ ربهم الله وحده، وإمامهم رسول الله، وقانونهم كتاب الله وسنة رسوله، أفمن كان هذا معتقدهم يفرقون كلمة المسلمين؟ أم المفرقون هم الداعون إلى الإيمان بفلان، وبذو علان، وقراءة هذا الحزب، والكفر بذلك الورد، فكانوا بذلك شيعًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون، وكلهم ظالمون..

ويقول الشيخ: (إنكم نبذتم التأليفات القديمة وشرعتم في التجديد). أي تجديد تعني أيها الشيخ؟ إن أنصار السنة لا يجددون شيئًا ولكنهم يذكرون الناس بما

(١) يقول ذو النون المصري: (طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه) تذكرة الأولياء (ج١/

نسوه من هدى الله الذي جاء به محمد ﷺ، يذكرونهم بدين الله، يذكرونهم بكتابه الذي لا يبلى ولا تنقضي عجائبه، فتحسب ذلك أنت وقومك تجديداً، وما هو بالجديد ولكنه موجود منذ بعث الله محمداً ﷺ بالرسالة العالمية العظمى، أما نبذنا التأليفات القديمة، فقد أخطأت في التعميم، ولكنك تكون صادقاً لو خصصت.

فنحن لا نبذ من التأليفات القديمة إلا ما كان غير متبع كتاب الله، أو غير داع بالحق إلى كتاب الله، أو غير مستمد دعوته وبيانه من كتاب الله، أما كل كتاب فيه الحق وفيه الهدى وفيه الصدق من الكتب فنحن نرحب به ونعمل على نشره، وكم من كتاب قديم عفى عليه الزمن ما كان يعرف نور البعث حتى قيض الله له نصيراً للسنة ينشره ويذيعه موضحاً في سبيل ذلك بجهد وماله..

ويقول عنا الرجل: إننا نتهم بالكفر من لم يوافق ميولنا..

لا أيها الشيخ، لا أيها الظالم وهو يعلم.. إننا لا نكفر إلا من عده الله ورسوله من الكافرين، وأنتم يا شيخ تكفرون أنصار السنة؛ لأنهم يكفرون بشياطينكم من الصوفية. فكيف بكم وأنتم تنابذون الله وتعادون رسول الله، وتجعلون غير كتاب الله إماماً لكم وحكماً بينكم، وتجعلون بعض خرافات زعمائكم قرآناً تتلونه وتؤمنون به أكثر من كتاب الله؟!!

فمن أولى بنعت الكفر أيها الشيخ المسكين؟ إن صلاة الفاتح عندكم تعدل الآلاف من أي القرآن. وإن التيجاني عندكم يوحى إليه.. وإن وإن وإن... فماذا نقول؟

ويتهمنا الشيخ بأننا سميناً بأنصار السنة المحمدية نسبة إلى محمد بن

عبد الوهاب.. ألا تحزى أيها الشيخ؟

آية فرية ضالة خاطئة هذه التي تزعمها؟

ما لمحمد بن عبد الوهاب وهو الإمام العظيم ﷺ سنة نصرها، وإنما نعتبره نصيرًا عظيمًا للسنة في زمن كانت السنة فيه مهضومة الحقوق، مهیضة الجناح نزافة الجراح.

كان محمد بن عبد الوهاب أعظم رجل مجاهد في عصره، بل كان مجددًا للدين الذي جنى عليه الشيوخ المجرمون والفقهاء الضالون والصوفية الملحدون، إنما الإمام محمد بن عبد الوهاب ونحن معه نصر سنة رسول الله ﷺ.

وكان ينبغي أن تدع سواك يتهمنا بمثل هذه التهمة، ذلك لأنكم أنتم الذين تنتسبون في كل شيء إلى ضال مضل، فنرى مثلاً طريقة التيجانية والرفاعية والدسوقية والنقشبندية والبرهامية و و و. آلاف الطرق نسبة إلى بشري تقمصه الشيطان كما يعبر الأدباء.

فلو فرضنا أننا ننسب أنفسنا حقًا إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ، لكننا في ذلك خيرًا منكم بما لا يحصيه عد، فإن هذا الإمام العظيم ممن يعتز بهم الإسلام والمسلمون في كل بقاع العالم؛ وهأنذا بالأدلة القاطعة أنهم زعماءكم بالمجوسية المقنعة، فهل في قرارة نفسك أثارة من شك في أن محمد بن عبد الوهاب لم يكن غير إمام مجاهد؟ إن واحدًا منكم لم يجرؤ - رغم مقتكم له - على اتهامه بشيء سوى أنه كان متشددًا في الدين، وأنه لثناء ومدح لو تعلمون عظيم، أرني زعيمًا واحدًا من زعماء الصوفية مستمسكًا بكتاب الله وسنة رسول الله؟ أرني المسلم الحق بينكم؟

نحن أنصار السنة المحمدية، أنصار سنة رسول الله ﷺ، أما أنتم فخدام بل عبيد مثل التيجاني وسواه من زعمائكم بل أهتكم، وليس أدل على افتراءك فيما

ذكرت من أن اللقب التاريخي لدعوة الإمام العظيم محمد بن عبد الوهاب هو الوهابية؛ ولكننا نحن أنصار السنة المحمدية، وهذا روح الدعوة الوهابية نصره سنة رسول الله لا سنة محمد بن عبد الوهاب كما تكذب على علم.

وإلى هنا انتهى القسم الأول من ردنا على الشيخ، وهو رد ما افتراه على أنصار السنة، أما القسم الثاني فهو رد على ما ورد في مقال الرجل من خرافات وأساطير كافرة، ولكن لا على كل ما جاء فيه ففي ذلك مشقة أي مشقة، فالشيخ في كل سطر بل في كل كلمة إنما يصدر عن عقيدة!، لست أدري ماذا أقول عنها؟

يقول الرجل الذي وصف بأنه العالم المشهور والإمام الكبير في مسجد كبير متحدًا عن أحباب الله أنه: (أمدهم من نقطة دائرة الحقيقة المحمدية).

فما هي تلك الحقيقة المحمدية؟ ما هذه الأسطورة المتزندقة؟ ما هذه الفرية الملحدة؟ في أي كتاب سماوي ذكرت هذه الحقيقة؟

أرني حرفاً من كتاب الله يومئ إلى الحقيقة المحمدية؟

دلني على موضع من السنة ذكرت فيه هذه الحقيقة تصريحاً أو تلميحاً؟! أرني فيها قول صحابي أو تابعي، أرني قول إمام من الأئمة المشهود لهم بالفضل والتقوى، أرني أي زعيم من زعمائكم القدامى تحدث عن الحقيقة المحمدية؟، أوردت في كتاب التوهم في التصوف للحارث المحاسبي؟ أوردت في الرسالة القشيرية.. وهما من أقدم ما كتبه لكم زعماءكم عن التصوف؟

إنها لم تأت لكم إلا حين أصبحت الجماعة الإسلامية خليطاً من أجناس شتى، واندس فيها الخانقون على الإسلام يشيعون الأساطير، ويحكون الدسائس الفكرية الهدامة.

إنهم كانوا يريدون هدم الدولة الإسلامية، فقتلوا عمر وطاحوا بالدولة الأموية، وأشاعوا الرجس والفساد في الدولة العباسية، فلما لم يتيسر لهم هدمها أرادوا هدم الأس المتين الذي لا تكون الأمة عزيزة عالية إلا به ألا وهو الإسلام، فراحوا يشيعون الفوضى ويشككون السذج من المؤمنين في عقائدهم، ويفسرون لهم ما تشابه من الآيات تفسيرًا باطنياً ملحدًا.

فمجوسية الفرس وفلسفة يونان، وبوذية الهند وبرهمتها، وطقوس النصرانية وشرك اليهودية كل هذه تجمعت تيارًا متدفقًا يجرف أمامه المسلمين ليقذف بهم في هوة ماله من قرار، فكان مما افتنوا في الكيد للإسلام تلك الصوفية، ومن طقوسها بل من دينها نظرية: «الحقيقة المحمدية»، وحسبنا هنا الإشارة إلى معناها عندكم أيها الشيخ أي عند الصوفية الذين أنت أحد عبادهم فإليك هو: (الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعيين الأول وهو الاسم الأعظم)^(١).

معناه: أن ربهم كان مطلقًا فأراد أن يتعين في صورة حتى يعرف ويرى، فظهر في صورة هي الحقيقة المحمدية، فذات الله^(٢) عندهم تعينت أول ما تعينت في الحقيقة المحمدية، ثم كانت لها تعيينات أخرى. ولذلك سموها بالاسم الأعظم؛ لأنها أول

(١) من كتاب التعريفات للجرجاني ط ١٣٢١ هـ تحت المادة.

(٢) أشار علينا مرارًا أستاذنا الجليل فضيلة رئيس الجماعة^(*) أن نكتب دائمًا: ربهم تنزيهاً منه لرب العالمين، ولكنني أكتب اسم الله ليكون أوقع في أذن السامع، وأشد دلالة على قبح تصورهم وتصويرهم وإلحادهم، كما قال رب العالمين: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١].

(*) يقصد الشيخ محمد حامد الفقي رَحْمَةُ اللَّهِ. (ض).

تعين للذات، أي تجسد وتحقق في صورة حسية مادية. وكذلك ذكرت بهذا التعريف في كتاب جامع الأصول ص (٩٩)، وفي كل كتب الصوفية المتأخرين، وهذه الحقيقة المحمدية هي النبي عندهم قبل أن يظهر في صورة البشر، وإليك ما يقوله النابلسي في شرحه للصلاة الفيزية لابن عربي التي يقول فيها: (اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليمتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني).

يقصد بهذا أن الله كان في عماء ثم أراد أن يظهر فتعين في صورة محمد: وهاك ما يقوله النابلسي^(١): (وكون النبي ﷺ أول التعينات، لأن الحق تعالى وهو الوجود المطلق منزّه مقدس أزلاً وأبداً عن التعين، فلا تعين له مطلقاً حتى أنه منزّه عن تعين الإطلاق فلا يعرف أصلاً، وهذا التعين المحمدي أثبتته تعالى بقوله الثابت في نفس وجوده تعالى الوجود الحق، ولم يكن قبله تعين أصلاً وهو حضرة علم الله المحيط بكل شيء)^(٢).

هذه هي لمحة عن الحقيقة المحمدية^(٣) التي تزعم يا شيخ أن الله يمد أحبابه

(١) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني الدمشقي النابلسي الحنفي النقشبندي القادري، ولد بدمشق سنة (١٠٥٠ هـ)، ونشأ بها ثم رحل إلى بغداد، وتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر بدمشق، توفي بها سنة (١١٤٣ هـ)، له مصنفات كثيرة جداً منها: «الحضرة الإنسانية في الرحلة القدسية» و«جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص».

[انظر: الأعلام (٤/ ٣٢)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٧١)]. (ض).

(٢) مجموعة الأحزاب طبعة حجر بتركيا ص (٧) ط ١٢٩٨ هـ.

(٣) بعون الله ومشيتته سأكتب مقالاً وافياً عن الحقيقة المحمدية وصلتها بالمسيحية والأفلوطينية وحسبنا هنا الإشارة.

من دائرة نقطتها، فبالله أية دائرة وأية نقطة؟ وبالله أهذا إيمان أيها الشيخ؟
 ويزعم الرجل في جرأة بالغة أن الله يكرم بعض عباده من غير الأنبياء بكتاب
 من الله على صحيفة من نور بقلم القدرة الذي كتب على فخذ الإمام مالك
 بالشعر: مالك حجة الله في أرضه. فهل عليّ حرج إن قلت: قال الله تعالى: (مالك
 حجة الله في أرضه)، يريد الرجل أن يثبت أن هناك كلاماً لله ينزل بعد القرآن، وأن الله
 ما زال يوحى إلى بعض البشر، توصلاً منه إلى غرض كافر سافر، وهو إثبات أن
 بعض أورادهم بوحي من الله وحيّاً حقيقياً كوحي النبوة سواء.

ولهذا يقول الرجل: «إن صلاة الفاتح وردت من حضرة الغيب على صحيفة من
 نور، فهل عليّ جناح إن قلت: إنها من كلام الله). وأوقن أن زندقة هذه الأساطير في
 غير حاجة إلى تعليق، غير أنني أسألك الشيخ: من حدثه عما كتب على فخذ مالك؟
 ومن ذا الذي حدثك أن صلاة الفاتح من كتاب الله؟ ألا يجوز أن تزعم غداً
 أنت أن مقالك هذا الكافر من كلام الله؟ ألا يجوز للبهائيين إذاً أن يوقنوا بصدق
 بهائم غضب الله عليه ولعنه؟

أرأيتم أيها القراء إلى أي حد بلغ كفر هؤلاء الصوفية؟ يا من تأخذون على
 قسوتي على الصوفية!! هل يوجد في ألوان الكفر أسود من هذا اللون؟ وهل
 يوجد بين أعداء الإسلام من هو أشد ضرراً عليه من الصوفية؟ إنهم يزعمون
 للناس أنهم هم المثل العليا للحقائق الروحية المجردة التي اتحدت بالروح الإلهي
 الأعظم، ويزعمون أنهم هم الذين شافهم الله بالحديث الإلهي المقدس، (اقرأ
 تعريف الكلمة الفهوائية عند الصوفية).

ويزعمون أنهم هم الذين فهموا الإسلام كما أراد الله لا كما فهم محمد، وبين

غير الحق عندهم - لعنهم الله - فهل تعيرون على قولي عنهم: إنهم المجوسية المقنعة ولا تعيرون عليهم قولهم: إن ربهم خنزير وكلب وجيفة!!

ماذا بقى من مقدسات الدين لم يدنسها هؤلاء الزنادقة؟ أساطير الشرك يتحدثون عنها أنها من كلام الله، وجيف قدرة يعافها الدود يزعمون أنها أبعاض الله؟ وملاحظة مشركون يجعلونهم في حضرة الله ينادمونهم ويناجونه؟ فماذا بقى؟

ألا أيها النوام ويحكموا هبوا! والله لن ينتصر هذا الشرق إلا إذا عرف ربه حق معرفته عن طريق كتاب الله وسنة رسوله، وما دام المسلمون مع هؤلاء الأوتاد والأنجاف والأقطاب فلن تقوم لهم قائمة.

ويقول الرجل: (ولم يزل النبي ﷺ مبلغاً في حياته وبعد مماته)، ولكن الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فكيف ينقلبون على أعقابهم إذا كان وجوده بينهم ميتاً كوجوده حياً، ولكن أين العقول؟

والرسول يقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»^(١). ليس من بينها التبليغ يا شيخ، اللهم إذا شئت أن تقول: إن الرسول ليس من أبناء آدم.

ويقول الشيخ في تمجيد علم الصوفية: (والصوفية يقولون لعلماء الظاهر: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت). يقصد تحقير الأنبياء ونبوتهم، ورسالاتهم ومتبعي الرسل، ويقصد أن الصوفية خير من الرسل لأن الصوفية يأخذون علمهم عن الله مباشرة، أما الرسل فيأخذون علمهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الوصية، برقم: (٤٣١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن الله بواسطة؛ وأتباع الرسل يأخذون دينهم عن الأموات وهم الرسل...!!
 أرأيت أيها الأخ العاتب على حرب هذه الطائفة، كيف أن صوفيًا يجهر بهذا
 علانية في صحيفة تنشر بالسودان، أفيرضيك أن يقال هذا عن ربك ورسلك ربك
 وأنت ذو القلب الطيب والنفس المؤمنة؟

ثم يقول الرجل: إن بعض الصوفية صحح الأحاديث الضعيفة على الرسول:
 هذا هو الهدف، إذ لا يجد هؤلاء سترًا لهم من الناحية الدينية إلا في تلك الأساطير
 الموضوعية التي دسها الزنادقة وسموها أحاديث نبوية.

وينكر الرجل أنهم يقولون عن صلاة الفاتح: إنها من القرآن، غير أنه يعترف أنها
 من كلام الله على صحيفة من نور، فأبي فارق يا شيخ ما دمت تؤمن أنها من كلام الله!!
 وما هي صلاة الفاتح هذه: (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح
 لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم)
 إلخ، أي سمو بياني أو ديني في هذه الصيغة حتى يزعم الصوفية أنها من كلام الله؟
 وما معنى أنه فاتح لما أغلق؟

أذكرون أيها القراء حديثي معكم عن العماء، وعن التعيين الإلهي كما يزعم
 الصوفية، وعن الحقيقة المحمدية؟ إن هذا هو ذلك.

ويقول صاحبكم يوسف النبهاني^(١) عنها: قال بعض سادات المغرب: إنها

(١) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، صوفي غال، ولد بفلسطين سنة (١٢٦٥هـ) ثم رحل إلى
 مصر وانتسب إلى الأزهر، تولى القضاء في عدة أقاليم. توفي سنة (١٣٥٠هـ) له مؤلفات
 كثيرة، منها «جامع كرامات الأولياء».

[انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٢٧٥)]. (ض).

نزلت عليه في صحيفة من الله. وقال: إن صاحبها الأستاذ قال: من قرأ هذه الصلاة مرة واحدة في عمره ودخل النار يقاضيني بين يدي الله تعالى^(١). ويقول الصاوي عنها - نقلاً عن بعض أتباع صلاة الفاتح -: إن قراءتها مرة واحدة تعدل ثواب ست ختمات قرآنية، وأن النبي أخبر بذلك^(٢). هذا هو رأيكم يا شيخ وحسبك وقومك زندقة وكفرًا أن يكون هذا رأيكم، وحسب القراء معرفة ذلك دون حاجة إلى شرح أو إفاضة. وسلام على الإسلام إذا بقينا نعطف على مثل هؤلاء الزاعمين أن كلام بعض البشر أفضل من كلام الله. اللهم ألهمنا السداد والرشاد، وانصر دينك الذي بعثت به سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه.



(١) ص (١٤٣) من كتاب أفضل الصلوات، جمع يوسف إسماعيل النبهاني.

(٢) ص (٣٧) من كتاب الأسرار الربانية؛ للقطب الوتد أحمد الصاوي الخلوئي أحد الطواغيت

الذين ينسبون أنفسهم إلى الإمام مالك رحمه الله.

وجهاً لوجه مع الصوفية^(١)

دعت «الرابطة الإسلامية» إلى محاضرة عن التصوف يقوم بها شيخان من شيوخ التصوف، أحدهما الأستاذ محمد زكي إبراهيم^(٢) رائد العشيرة المحمدية، وذهب للاستماع إلى هذه المحاضرة وفد كبير من الجماعة، ومضى المحاضر الأول يسبغ المحامد والثناء على شيوخ التصوف، دون أن يذكر الأسباب التي استحقوا بها هذه المحامد وهذا الثناء، اللهم إلا حين نأذن للعقول أن تقلب معايير القيم، ودلائل المفهومات، ثم قام الأستاذ محمد زكي إبراهيم، وراح ينعي على من ساهم «المتصوفة»^(٣)، ويعتذر عن شطحات الصوفية بأنها مدسوسة عليهم.

وذكر فيما ذكر سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقده الهادف القيم «للمتمصوفة»، وأعلن الأستاذ أنه لا يتثبت مطلقاً باسم «صوفية» ليمتاز به فريق من الناس، وكان في أغلب ما تناوله يحاول التنصل مما أثر عن الحلاج وابن عربي وغيرهما من القول بالحلول ووحدانية الوجود، حتى لقد ظن كثير من الحاضرين أن

(١) (٨/ ١٣٧٩ هـ).

(٢) ولد الشيخ محمد زكي إبراهيم في ٢٢ من أغسطس لعام ١٩٠٦، بحي بولاق أبو العلا بمدينة القاهرة، وكان والده هو الصوفي الشيخ إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، أحد أبرز شيوخ التصوف في مصر في ذلك الوقت، ثم كان المسجد مجاوراً لمدفنه، فقد توفي في جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ، الموافق ٧ من أكتوبر ١٩٩٨ م. (ض).

(٣) يعني بهم من يتسبون إلى الصوفية وهم ليسوا من رجالها ولا على بينة من رسومها.

الأستاذ المحاضر إنما يحارب الصوفية، ولا يدعو إليها، ثم دعا الحاضرين إلى حرب الصهيونية، والوجودية، والشيوعية.

وعقب انتهاء المحاضر قام الأخ الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل، وعرض نبذة يسيرة من تاريخ الصوفية، ثم ألقى من حفظه نصوصًا دامغات عما يدين به الحلاج وابن عربي وابن الفارض من دين وثني يخالف روح الإسلام وحقيقته. وقال: كيف يزعم أتباع هؤلاء أنهم يجاهدون الصهيونية وابن عربي وابن الفارض يصوبان كل دين؟! كيف يزعمون أنهم يحاربون الوجودية وهي شقشقات من دين الصوفية؟! ثم قال للشيخ محمد زكي إبراهيم: لئن كنت تقر بأن ما أقوله هنا عن أولئك مدسوس عليهم فأعلن هذا في صحيفتك وبين جماعتك، حتى لا يتعبد به أتباع أولئك.

لا يكفيني أن تقول هنا، بل نحب أن نقوله هناك أيضًا كما قلته هنا تمامًا.

ثم إنك أيها الأستاذ الكبير، قلت عن ابن تيمية إنه حارب المتصوفة، والذي نراه في كتب ابن تيمية حربه للحلاج ولابن عربي ولابن الفارض، وللجيلي وللقونوي^(١)، ولابن سبعين^(٢).....

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي الرومي، تلميذ ابن عربي، صوفي، غال

متعصب لشيخه. مات سنة (٦٧٢هـ). [انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٤٣)]. (ض).

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي.

درس في الأندلس، ثم رحل إلى سبتة ثم إلى تونس ثم إلى مصر، ورجع إلى مكة وأقام بها، ومات بها سنة (٦٦٨هـ) متحرًا مسمومًا، ترك العديد من الكتب الطافحة بالشركيات.

...والصدر الرومي^(١) وغيرهم.

فهل تلقب هؤلاء بالمتصوفة أيضًا؟

لئن قلت إنهم لا يمثلون رأي الصوفية، فأنعم بقولك هذا وأحب به، لأنه معول يهدم كل بناء صوفي، فما شيد صنم الصوفية غير هؤلاء.

ثم عرض الأخ الأستاذ الشيخ عبد الرحمن لما اعتذر به الشيخ المحاضر عن الشعراني، وذكر الأخ عبد الرحمن بعض ما في كتب الشعراني من تمجيد للخطايا واعتبارها كرامات للأولياء، وكان مع الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الكتب التي يستند إليها في كل ما يقول، حتى لم يستطع صوفي من الحاضرين أن ينسب بنت شفة من معارضة.

ثم قام الأخ الأستاذ رشاد الشافعي^(٢)، وكان مما قاله: لقد جئت متحفزاً

وقد جمع د: عبد الرحمن البدوي رسائله (رسائل ابن سبعين).

[انظر: «الأعلام» (٢٨٠ / ٣)، «معجم المؤلفين» (٩٠ / ٥)].

وصفه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ بقوله: «من أكابر أهل الشرك والإلحاد، والسحر والاتحاد، وكان من أفاضلهم وأذكياهم، وأخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة» [«الفتاوى» (٣٠٦ / ٢)]. (ض).

(١) وهو الصدر القنوني يوسف تلميذ ابن عربي، سبقت ترجمته، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنه كان متفلسفاً، فهو أبعد الناس عن الشريعة والإسلام» [«الفتاوى» (٤٧١ / ٢)]. (ض).

(٢) هو محمد عبد المجيد الشافعي، ويلقب برشاد الشافعي، ولد سنة (١٩١٩) بمنوف محافظة المنوفية، تتلمذ على يد العلامتين محمد عبد الحليم الرمالي، ومحمد حامد الفقي رَحْمَةُ اللَّهِ، وهو من أعلام أنصار السنة المحمدية، وهو من أعاد إشهار الجماعة مرة أخرى في السبعينات من

متوثبًا ضد ما سيقال هنا، ولكن الشيخ زكي إبراهيم كان لبقًا، فأدار الدفة وجهة الحق، وتنصل من كل تراث أولئك الذين تحدث عنهم الأخ عبد الرحمن، وهذا ما كنا نحب أن نسمعه، ولهذا أسجل على الأستاذ المحاضر ما قال، ثم أقول له: إذن نلتقي. وقام الأستاذ المحاضر الشيخ محمد زكي إبراهيم، وكان مما قاله: هل إذا تركنا ما قال أولئك السبعة الذين ذكرهم الأستاذ عبد الرحمن نلتقي معكم؟ وصاح الكثير: نعم نلتقي.

وقال الأستاذ الشيخ عبد الرحمن: لأنك إذا تركتهم تركت كل التراث، أو بمعنى آخر لن تكون صوفيًا، فهؤلاء هم الكبار، الكبار جدًّا، من مشايخ الصوفية، بل هم المرجع والمآب للصوفية.

ولقد كان هذا القول من الأستاذ محمد زكي إبراهيم قبضة من حديد تهوي على رأس الصنم الأكبر، أو كان تجريدًا للصوفية من محل مقوماتها.

ثم قام الشيخ محمود حسن ربيع - وهو من علماء الأزهر - وقال: إن الأقوال التي قالها هؤلاء المشايخ صدرت عنهم في لحظات من الجنون.

فقال الأستاذ الشيخ عبد الرحمن: ولا يجوز أن نتخذ المجانين أئمة لنا في الدين.

وقال الشيخ ربيع أيضًا: أو هي مدسوسة عليهم أيضًا، كما قال الأستاذ محمد زكي إبراهيم.

القرن الماضي.

تولى رئاسة أنصار السنة، وله مقالات في مجلتي الهدى النبوي، والتوحيد، كما كان خطيبًا ومحاضرًا. توفي رَحْمَةُ اللَّهِ سَنَةَ (١٤١١هـ)، (١٩٩٠م). (ض).

وقال الأستاذ الشيخ عبد الرحمن: ولا يجوز أن نجعل من دسائس الوثنية ديناً لنا.
ثم انصرف الكثير، وبقي بعض الإخوان ليستمعوا إلى ما سوف يقال بعد
انصراف الأخ الأستاذ الشيخ عبد الرحمن والإخوان الذين انصرفوا معه.



كباثر ابن عربي^(١)

رئيس تحرير «مجلة الهدي النبوي» القاهرة؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛
وبعد:

فقد اطلعت في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٥، من أعداد المجلة على شعر ابن عربي، الذي يسوي فيه بين الإسلام واليهودية والنصرانية والمجوسية ص (٤٣) من العدد المذكور، ومما لا شك فيه أنه لا يوجد عقل سليم يقبل هذا الضلال، وقد رأيت في هامش الصفحة:

«الهدي النبوي»: من كباثر ابن عربي حكمه بإيمان فرعون، وبأنه رب حق، وبأنه كان أعظم من موسى، وبأنه لا عذاب في الآخرة، وبأن الله هو عين كل شيء. فهل من الممكن أن تذكر لنا الدليل من كلامه هو، أو من كلام أحد الأئمة المتفق عليهم أنه قال ذلك؟ لأنه لا يزال بعض الأصدقاء يستدلون بكلامه، وهم معجبون به، وكلامكم ولا شك أعظم دليل يساعد على نصحتهم وبعدهم عن مثل هذا المنحرف؛ ونسأل الله أن يلهمنا الصواب، وتقبلوا تحياتنا.

عبد الرحمن عثمان

من قراء المجلة

«الهدي النبوي»:

هناك بعض الضلالات تحتاج إلى جهد فكري، ونسق بياني لإثبات ضلالها

ومجانبتها للحق وللصواب، أما ديانة ابن عربي وأتباعه فيكفي في إثبات أنها باطل يعربد على الحق القرآني مجرد تصورها، فهي لا تحتاج إلى إعمال فكر، ولا إلى غمس قلم، وإنما تحتاج فقط إلى أن نعرف ما يقول القوم، وقد كتبنا عدة مقالات في هذه الصحيفة، وأصدرنا عدة كتب لم نحتج فيها إلى بذل الجهد، وإنما احتجنا إلى مطالعة كتب القوم، ونقل ما فيها من سفه الضلالة، وحمالة الباطل، وأجهدنا فقط الاختيار!! ففي كل صفحة من كتبهم كنا نعثر بباطل لا يباريك في أنه باطل!!.

ولسنا - شهد الله - نصدر فيما نقول عن حمالة عصبية، أو لجلجة مذهبية، وإنما نصدر عن إيمان وثيق بأن القرآن غير دين ابن عربي، وأن المسلمين غير أتباعه!!

وهي مغايرة الضد للضد، والنقيض للنقيض، ونصدر فيما نقول أيضًا عن حُبِّ الخير للناس، إذ نبصرهم بَعْدُ فأتك يترأى أنه من الملائك. نبصرهم بالشر الذي يقسم بأنه نضارة الخير، ولسنا ننتهي أبدًا أن يكون هؤلاء الناس من أصحاب النار، وإنما نود أن نكون وهم من أصحاب الجنة؛ إذ نلتقي على حب الله ورسوله ﷺ، كما لا نحارب الموتى كما يزعم بعض الذين يخشون أن ينكشف عوارهم، ولا نحارب قومًا ذهبوا، وزال تاريخهم، وإنما نحارب ما لهؤلاء الذين ذهبوا من تراث يتمثل في كتب كثيرة يحتشد الباطل لطبعها ونشرها ودعوة الناس إلى الإيثار بها، والإذعان الخاشع لما فيها، والإلحاح عليهم ليدينوا بأنها هي المعبرة عن روحانية الإسلام.

نحن نحارب «فصوصه»، و«فتوحاته المكية»، وغيرها من كتبه التي حشاها بفحش الزندقة، وخبث الإلحاد.

ونحن لا نحارب «الغزالي»، وإنما نحارب كتبه التي صرفت الألوف عن الحق وعلى رأسها كتاب «الإحياء».

ونحن لا نحارب الشعراني، وإنما نحارب «طبقاته».

لا نحارب ابن عربي ولا الغزالي ولا الشعراني؛ لأنهم قد أفضوا إلى ربهم، والله سريع الحساب، ولا نضرع إلى الله أن يزج بهم في النار، وإنما نأمل أن يكونوا قد أفضوا إلى توبة نصوح قبل أن يموتوا.

غير أن هذا لن يحول بيننا وبين أن نحذر المسلمين من هذه الكتب التي تجد الألوف من الجنيهاً؛ لتطبع وتنتشر، والألوف من الأيدي، لتباع وتشتري، والألوف من القلوب لتتورد على الله.

ونشتد في التحذير من هذه الكتب، ونخلص في صدق الحملة عليها؛ لأنها تفسد العقيدة والخلق، والإنسان بلا عقيدة حيوان، والإنسان بلا خلق وحش غدور.

ثم إننا لا نقلد غيرنا فيما نكتب، وإنما ننقل في صدق وأمانة من كتب القوم مشيرين إلى الصفحات والطبعات التي عنها ننقل، حتى لا ندع ذوي الباطل وأحلاسهم أن يقولوا لنا: من أين؟ من أين جئتم بهذا القول؟

ثم لا يجوز لامرئ أن يسألنا بعد اليوم: وهل هذه الكتب منسوبة نسباً صحيحاً إلى أربابها؟ وهل أنتم واثقون أنهم المؤلفون لها؟ لماذا؟ لأننا قلنا: نحن لا نحارب موتى، وإنما نحارب التراث الحي، ولا يهمننا مطلقاً أن تكون هذه الكتب صحيحة، أو غير صحيحة، وإنما يهمننا أن كل تابع لابن عربي بها يؤمن، وعنها يصدر في اعتقاده، ويترضى عن أصحابها، ويثق في طوايا نفسه - كما نثق نحن -

أن هذه الكتب هي لأصحابها المنسوبة إليهم.

من كبار ابن عربي:

ولقد سأل القارئ الكريم عما دمغنا به ابن عربي، وسنأتي بالدليل من كتاب واحد له ضارين صفحاً عما دمغه به الأئمة، فحسبنا ما يقوله هو، لا ما يقوله عنه الناس.

حكمه بإيمان فرعون:

يتحدث في كتابه فصوص الحكم فيما سماه: «فص حكمة علوية في كلمة موسوية» عن امرأة فرعون: (ف قالت لفرعون في حق موسى: إنه قرّة عين لي ولك، فبه قرّت عينها بالكمال الذي حصل لها كما قلنا، وكان قرّة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجب ما قبله) تراه في صراحته الكفرية يحكم بأن فرعون مات طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث!! ضارباً صفحاً عن قوله سبحانه: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٧: ٩٩].

ثم تدبر قول ابن عربي عن فرعون: (فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه، ونجى بدنه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ بُدْنَكَ لَأَشْكُوتَ لِمَنَ خَلَقَكَ ۖ أَيُّهَا﴾ [يونس: ٩٢] لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه: احتجب، فظهر بالصورة المعهودة ميتاً، ليعلم أنه هو قد عمته النجاة حساً ومعنى^(١)).

(١) (ص ٢٠١، ٢١١ / ج ١) فصوص الحكم لابن عربي، طبعة عيسى البابي الحلبي.

حكمه بأن فرعون هو الرب الأعلى:

زعم فرعون موسى أنه هو رب قومه الأعلى واستدل على ربوبيته بأن له ملك مصر، وأن له جنات تجري من تحتها الأنهار، ولعنه الله بما قال، فقال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥].

أما ابن عربي الذي يصفه أتباعه بأنه الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، أما هذا فيقول: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] (أي: وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك)^(١) فهو هنا يقرر أن كل إنسان هو رب، أما فرعون فكان هو الرب الأعلى، بل حكم بأنه هو «عين الحق» كما جاء في ص (٢١١) من الكتاب، أي: عين الله.

فرعون هو عين موسى:

فرعون عدو الله، وموسى كليم الله، ومع وضوح هذه الحقيقة من القرآن، فإن ابن عربي يزعم في جرأة بالغة فيقول مثلاً: إن فرعون قال لموسى: (مرتبتي الآن المتحكم فيك يا موسى بالفعل، وأنا أنت بالعين وغيرك بالرتبة، فلما فهم ذلك موسى منه أعطاه حقه في كونه يقول له لا تقدر على ذلك، والرتبة تشهد له بالمقدرة عليه وإظهار الأثر فيه)^(٢).

يزعم ابن عربي أن الله هو عين كل شيء - كما سيأتي بيانه - وأنه هو عين موسى

(١) ص (٢١٠) المصدر السابق.

(٢) ص (٢٠٩) المصدر السابق.

وعين فرعون، وعين محمد ﷺ، وعين أبي لهب!! لكنه تختلف مراتبه في الصور التي يتجلى بها؛ فقد ظهر في موسى في صورة نبي، وظهر في صورة فرعون في صورة ملك له التحكم، ولهذا يقول عن فرعون إنه قال لموسى: (أنا أنت بالعين وغيرك بالرتبة) أي: حقيقتي هي حقيقتك فكلانا مظهر لحقيقة واحدة هي الربوبية، ولكننا مختلفان في الرتبة!! فأنت نبي وأنا ملك لي التحكم فيك!.

لا عذاب في الآخرة:

لقد حكم ابن عربي بأن الله هو عين خلقه، وبأن الإسلام هو عين اليهودية، فكان لا بد له من الحكم بأن الجنة عين النار؛ ليكون منسجماً عين باطله؛ يقول:

فلم يَبْقَ إلا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عينٌ تُعَايِنُ
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم	على لذة فيها نعيم مُبَايِن
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد	وبينهما عند التجلي تباین
يُسَمَّى عذاباً من عذوبة طعمه	وذاك له كالقشر والقشر صائِن ^(١)

الوعد هو النعيم، والوعيد هو العذاب؛ ولهذا يحكم ابن عربي بأنه ليس للوعيد وجود يوم القيامة كما يبدو في البيت الأول، وأن العذاب ما سمي عذاباً إلا لعذوبة طعمه كما يبدو في البيت الأخير!!.

الله عين كل شيء - ومعاذ الله -:

والنصوص في كتب ابن عربي تكاد لا تحصى ويكفي قوله: (الإله المطلق لا

يسعه شيء؛ لأنه عين الأشياء، وعين نفسه^(١).

وقوله: (تحقيقنا بالمفهوم، وبالإخبار الصحيح، أنه عين الأشياء، والأشياء محدودة، وإن اختلفت حدودها، فهو محدود بحد كل محدود، فما يُحدّ شيء إلا وهو حدّ الحق، فهو الساري في مُسمّى المخلوقات والمبتدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، فهو عين الوجود... فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير^(٢)). وهذا أوقع تعبير في الصراحة وألّعن تصريح، والحدّ هو التعريف، وهو يحكم بأن ما نُعرّف به الأشياء يجب أن نعرّف به الله سبحانه، فإذا عرّفنا الإنسان والحيوان والجماد، كان هذا من تعريف الله؛ لأنه عين هذه الأشياء. هذا بعض ما يذكر، فإننا كتبنا كثيرًا عن هذا؛ وأضرع إلى الله أن يهب لنا الصدق في القول، والعمل بما يقول الله.



(١) ص (٢٢٦) المصدر السابق.

(٢) ص (١١١) المصدر السابق.

الباب الخامس

هل تجنيت على الغزالي؟! ^و

هل تجنبت على الغزالي؟! (١) (٢)

في القلق الروحي العاصف، وفي غمرة الشك الحزين كدت أتردى في هاوية التمرد على الوجود وربّه، والثورة على الدين في حقيقته القدسية تناسمنا منها أرواح السماء، وأوغل الفكر في التيه فإذا لياليه كلها الريب والضلال والتعاسة، وإذا الحق المحض وهم أسطورة باطلة، وإذا الحقائق الروحية العليا في وهم الشريد أكاذيب لجت في دناءة الكذب فهتفت في ضلّالتي الحيرى، وفي حيرتي الضالة: يا من سار في شعاب الفكر الحيران؟ أفي بُلهنية^(٣) الشباب أتمرد على ربي؟ يفيض على الروح من هداه النور فأغمض العين عتوّاً، وألج في غرور الحرية الفكرية؛ فأتنكر للحق وأكفر بالصدق، فأين اليقين الذي يسكن إليه الثائر ويقليل من عشرة العاثر؟

هذه قصة ضال اهتدى، ومشارك وحد، وكافر آمن، أذكر منها أثارة لعل فيها عبرة ولعل فيها عظة...

(١) (٥/١٣٦٧هـ).

(٢) أرسل لي بعض إخواننا من أنصار السنة نقدًا عفيفًا لما أكتبه عن الغزالي، وأرسل لي آخرون يطلبون زيادة الكتابة عنه، ولما كنت أخشى أن يكون بين القراء من هم كإخواني هؤلاء، فقد كتبت هذا المقال ردًا كريماً على الناقدين وإشباعاً لغرض الطالبين وتجلية للموضوع، وشرحاً لموقف ابن تيمية من الغزالي، إذ يفهم بعض إخواننا أن ابن تيمية كان يحترمه، وكذلك شرحاً لموقف السيد رشيد؟ من دفاعه عن الغزالي ضد ابن تيمية.

(٣) أي في غفلة عن الشر. (ض).

صحوت على طفولة مؤمنة؛ لأنها كانت تشعر بفطرتها النقية أن لي رباً يرعاني، ويجب أن أحبه، ثم قذفت بي في حمايتها جنة الشباب، فرأيتني أكاد لا أجد ما به أؤمن حتى بحقائق الحس المشهودة، والبدائه العقلية الساطعة، فتلمست الحق فيما بين يدي من كتب كلامية زعم أصحابها أنها تمثل العقيدة الإسلامية في روحيتها وقداستها فإذا بها تأتي على الرmq الواهي من يقيني الذابل، قرأت في الكتب كل شيء أيد ما ظمئت إليه نفسي من اليقين المطمئن، الجدل الموغل في المحاورة والمداورة والسفسطة التي لا تنتهي إلا بسفسطة؛ أما أن تظفر بحق، أما أن تصل إلى حقيقة، فذلك أبعد من اللجنة عن الكافر، وكان من دراستي المقررة الفلسفة^(١) فدرست منها ما درست.

فيا لله ما أجمل تصاريف القدر!! من زندقة الإلحاد استهل علي نور الإيمان، ومن ردغة الشرك ناسمتني روح التوحيد، وبين موابق الضلال رأيت سبيل الهدى، وإذا بي أتلو كتاب الله في نهم روحي غامر، وإذا بي أستشعر كأنها أتلوه أول مرة، وما تغير الكتاب، ولكني أنا الذي تغيرت، كانت على عيني عصابة، وعلى سمعي ختم أصم، فلما رفعا رأيت الحقيقة وسمعت الحق.

قرأت الفلسفة فأيقنت بأن كتب علم الكلام أحاج منها لا تهدف إلا إلى الجدل والمراء، وأيقنت أن الصوفية في نهايتها هي شر ما في الفلسفة من إلحاد وزندقة، وآمنت كذلك وبعد ذلك أن ما في كتب علم الكلام، وما في ضلالات الصوفية لا يمثلان الإسلام في شيء، وآمنت أن الحق والخير والهدى والجمال في

(١) وذلك في شعبة التوحيد والفلسفة من كلية أصول الدين تخصص المادة.

كتاب الله؛ آمنت أنه لا يوجد حق لذاته ولا خير لذاته إلا فيما شرع الله وأوحاه إلى رسوله؛ آمنت أن المثل العليا للسمو الإنساني الأعظم إنما هي فيما يدعو إليه القرآن من فضائل، وما يهدف إليه من غايات، آمنت أن هذا الوجود لن يشيع فيه النظام ولن تأتلف فيه الجماعات على الحب والسلام، ولن تجد فيه الإنسانية المعذبة الحائرة نعيمها وهداها إلا إذا آب الوجود إلى القرآن مستمدًا من شرعته نظمه وقوانينه، ثم رأيتني - على قصور في الفكر - أفهم كتاب الله... وكانوا يقولون لي: إن دون فهم كتاب الله وحدك في هذه السن آماد وآباد.. فإذا سمعت اليوم آية من القرآن، أو حديثًا صحيحًا أسلمت لهما يقيني وإيماني دون إعمال الفكر ودون تهويم^(١) الروية، فليس أصدق من الله قليلًا ولا من نبيه حديثًا؛ ذلك لأن الفكر - في نهايته - لو اتبع الصراط السوي لوجد الحق وحده، والصدق في إشراقه العلوي في القرآن خلقًا وتشريعًا وعقيدة، ولذا تراني تكاد تخرجني الثورة عن طوري إذا ما قرأت في الكتب التي يدين بها الزاعمون أنهم زعماء الإسلام ما يخالف آية أو حديثًا صحيحًا، وهل يلام الغاضب لدين الله على غضبه؟

لقد عرفت الشرك فأنا أخشاه، ونجوت من الكفر فأنا أخافه، وكنت في الهاوية فأنا أصرخ لسمع من ستردى فيها وهو لا يراها.

كان لا بد من هذه المقدمة لأقول للعاتبين علي من رفاقي الأعزة ما كتبه عن الغزالي: رويدكم بعض عتابكم والمثل العامي يقول: (من لدغته الحية يخاف

(١) التهويم: النوم الخفيف. (ض).

الحبل)، وإني أحذرکم من أراقم^(١) فتاكة خلقتها حبلاً، ومن سموم قاتلة حسبتها قبلکم دسماً، تلك مفازة موحشة اجتزتها وأخاف عليّ غيري أن يهلك فيها، ولو قرأ العاتبون من الرفاق الأحبة ما كتب الغزالي لعتبوا عليّ نفوسهم الطيبة أنهم عتبوا عليّ.

الرفاق العاتبون:

هم فريقان فريق فهم في الغزالي مفكراً حرّاً ظلّمته بيئته، فهو مجتهد مخطئ في بعض ما اجتهد فيه، وفريق يرى أن الغزالي إمام لا ينبغي لنا أن نهاجمه؛ حتّى لا نزيد الناس نفوراً منا نحن أنصار السنة^(٢)، وهناك فريق غير عاتب، بل حائق غاضب يلعن الكاتب ومن ينشرون له، وهذا ليس لنا معه من سبيل، وعسير، بل محال أن يجتمع الخلق عليّ كلمة واحدة... وهناك فريق كنت أحب أن لا أشير إليه حتّى لا يظن بي حب الثناء، هذا الفريق يلح في الطلب أن أكتب وأكتب حتّى تتحطم هذه الطواغيت.

وقد أشرت إلى هذا تبياناً لاختلاف الفكر ونسبية الحق بين العقول، وإني في هذا المقال أبين للكرام العاتبين من الأخوة أننا لم نتجن عليّ الغزالي، وأننا ما اتهمناه بغير ما فيه، ولا بهتناء بغير ما سجل في كتبه، وإني لأحب من إخواني هؤلاء أن يراجعوا ما سجلته عليّ الغزالي، ولينظروا في كتب الغزالي نفسها، فإن

(١) أراقم: حيات، والأرقم من الحيات الذي فيه سواد وبياض. (ض).

(٢) وهل يسمى نصيراً للسنة من يخاف في تقرير الحق لومة لائم؟

ليس هناك يا قوم حق ونصف حق: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ﴾ [يونس: ٣٢]؟

رأوا فيها غير ما كتبه حق علي غضب الله...

وإني في كل ما أنقل عن الغزالي أشير إلى اسم الكتاب ورقم الصفحة والطبعة، حتى يطمئن القلب ويتحقق غاية الأمانة العلمية، فماذا يراد مني غير هذا؟

سبب نقدي للغزالي:

سمعت ذات مرة واعظاً يعظ الناس، فكان مما قاله لهم مفترياً كذباً: أن موسى عليه السلام سأل رسول الله ﷺ ليلة الإسراء: أنت القائل علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: أرني عالماً من أمتك هو كذلك. فنادى الرسول: أقبل يا غزالي فأقبل فصدق موسى...

وقرأت في كتاب: (لو كان للإسلام نبي بعد محمد ﷺ لكان هو الغزالي)، وكل امرئ يعرف أن لقب الغزالي: (حجة الإسلام) أمسى لدى الناس أكثر شهرة من اسمه الغزالي، هذه الصورة الفخمة الضخمة التي صورت^(١) في عقول الناس للغزالي هي التي دفعتنا إلى نقده، فلماذا؟

فالغزالي عند عابديه كأنبياء بني إسرائيل، وكل قول الأنبياء حق وصدق وإيمان وتشريع إلهي، فسيأخذ المسلمون قوله حجة دامغة! والغزالي كان يكون نبياً لو قدر أن يكون للإسلام نبي بعد محمد ﷺ، ورجل هذه مكانته عند الناس فسيكون قوله الدليل الساطع وسبيله هو الصراط المستقيم! والغزالي حجة الإسلام... فكل كلمة ينطق بها فهي الفصل، وكل حكم يقضي به فلا مرد له، وكل تفسير يذهب إليه

(١) أو التي صورها لهم أولئك السادة الذين يزعمون أنهم القوام على دين الله، ودين الله

وقعت عنده العقول ساجدة!

وهذه كتابتنا عن الغزالي دلت على عزة مكانته وسمو مقامه عند الناس، فحتى عند رفاقنا الأحبة ذوي الفكر الخالص الحر مازال الغزالي إماماً يجب أن يصان عن لساني ونقدي.

إن الغزالي أيها الإخوة له خطره وخطورته، فهو حجة الإسلام، وكثير من العلماء يفسرون كتاب الله في ضوء ما يكتب الغزالي ويقرر، بل قد يخضعون الآية لتأويل فاسد ليلائموا بينها وبين ما ذهب إليه الغزالي في كتبه، فالغزالي إذن أخطر رجل في الإسلام وعلى الإسلام؛ لأن زلة واحدة منه تطيح بالكثير، وخطأ واحد منه يودي بالأكثرية، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يبين الخطأ من الصواب، وأن يميز الشر من الخير، وأن يبرز للناس أن الغزالي ما كان للإسلام حجة، بل حتى ولا شبه حجة، وأن ليس للإسلام من حجة إلا كتاب الله وسنة رسوله العظيم، فأنا لا أنقد الغزالي لأنه أبو حامد الغزالي، بل لأنه عند الناس «حجة الإسلام»، إن الخطأ من الغزالي خطيئة، واللمم من الغزالي إثم كبير، والصغيرة منه أكبر الكبائر. لماذا؟

لأنه عند الناس حجة الإسلام، ولو أنني أخطأت ألف خطأ ما وزنت أخطائي كلها عند الحق خطأ واحد من الغزالي.

فعلى قدر مكانتك في النفوس يكون مقدار محاسنك ومساويك والناس تردد (حسنات الأبرار سيئات المقربين) فكيف والغزالي عند الناس هو أول المقربين.

هل تغفر للغزالي أخطاؤه؟

يقول بعض الأحبة العاتيين: إننا يجب أن نغفر للغزالي أخطائه فهو مجتهد

أصاب وأخطأ.

كنت أحب هذا يا أخي الكريم، ولكن ياليت كان خطأ الغزالي في الفروع، أو حتى في بعض الأصول، ذلك لأن أخطاء الغزالي في أهم أسس بني عليه الإسلام وهو التوحيد^(١)، وفي البدائه الأولى التي يفهمها العامي من الإسلام، بل إن الغزالي في كثير من كتبه أنجد واتهم في الغلو الفلسفي الذي يبعد بالنفس بعداً سحراً عن الإسلام، فلو كانت أخطاء الغزالي أخطاء مجتهدين لتناسيناها، ولكنها أخطاء رجل غرته الصوفية فسلك سبيلها فشطت به، فإذا بحجة الإسلام يصبح عند الحق حجة على الإسلام، وحقاً يجب أن نتغاضى أحياناً عن أخطاء العلماء، ولكن متى؟

إذا كانت تلك الأخطاء ليست في الصميم الروحي من العقيدة، ليست في الأسس الأولى، وإذا كانت لا تضر من يعتنقها من ناحية دينه، والغزالي أخطأ فيما يجب أن نتحاشى الخطأ فيه، فوجب حسابه على قوله، بل إنه - وتلك مكانته في النفوس - يجب أن يحاسب على أصغر صغيرة؛ لأنه حجة الإسلام!!^(٢)

(١) انظر ما كتبه أنا عن مراتب التوحيد عند الغزالي، وسيأتي أيضاً أن توحيد الخواص هو:

(لا هو إلا هو)، أما (لا إله إلا الله) فتوحيد العوام! بالحجة الإسلام!

(٢) لأن واجب النصح في الدين فوق كل شخص مهما كان، فعن سعيد بن عمرو البردعي

قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: إياك وهذه

الكتب. كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب.

قل له: في هذه الكتب عبرة.

قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

هل تجنيت على الغزالي؟ (٢) (١)

ابن تيمية والغزالي:

ويقول أخ طيب كريم هدفه الوصول إلى الحق: كان يجب أن نتسامح مع الغزالي كما نتسامح أحياناً مع ابن تيمية في أخطائه التي وقع فيها، وضرب مثلاً لذلك (بكتابه الفرقان)... لا يا صديقي لا، وألف مرة لا، فأخطاء ابن تيمية لا تقاس جميعها بجانب غلطة واحدة من أغاليط الغزالي، فالغزالي عند الأكثرين من السادة العلماء هو حجة الإسلام^(٢)، أما ابن تيمية: فعندهم ملحد مارق زنديق، ومن هنا كان خطر ابن تيمية في خطئه قليلاً، فما لابن تيمية من يغتر به، الغزالي في الأزهر هو الإمام حجة الإسلام، أما ابن تيمية: فيلقبه الدردير الذي تدرس كتبه في الأزهر بأنه ضال مضل، فهل يوجد من هؤلاء من سيعتق لابن تيمية أخطاءه؟ كلا، بل إنهم ليتمنون خطأً واحداً لابن تيمية ليرجفوا به ويشنعوا عليه. وأمر آخر أهم من ذلك كله، أنك تجد كل أخطاء ابن تيمية فيما ليس من العقيدة،

بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي والأئمة المتقدمة صنفوا هذه الكتب والخطرات والوساوس، وهذه الأشياء هؤلاء خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديلمي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق.

ثم قال: «ما أسرع الناس إلى البدع» [تلبس إبليس ص (١٦٧)]. (ض).
(١) (١٣٦٧/٦).

(٢) بل لقد قيل: (كاد الإحياء أن يكون قرآناً) تطور العقيدة ص (١٦١) جولدزيهر. فتأمل إلى أي حد بلغت الثقة بالإحياء الذي أحرقه فقهاء الأندلس لزيغه.

بل فيما ليس من الدين، وما أخطأ ابن تيمية أبداً في أصل ولا فرع، اللهم إلا بعض بعض هنات في فروع الفروع من الدين، وأخطاؤه لو اعتقناها فلن تضرنا في ديننا، بربك قل لي أينقص من دينك شيء لو اعتقدت أن الجن تتجسد وتظهر في صور بعض الناس؟ وهذا هو كل خطأ ابن تيمية^(١)، تعال يا أخي وضع كل هذه الأخطاء بجانب خطأ واحد من الغزالي، وهو: أن السالك الصوفي في نهايته يسمع الخطاب كما سمعه موسى، وهذا أهون ما أخطأ فيه الغزالي، أخال أن الأخ الكريم يرى مدى بعيداً بين الخطأين. أستغفر الله. بل بين خطأ ابن تيمية وخطيئة الغزالي!! ولا تنس أن الأول عند العلماء^(٢) زنديق، وثانيهما حجة الإسلام فهو مصدق في كل ما يقول... وهل اجتهد الغزالي في دينه؟

لنطالع تاريخه الفكري الذي سجله هو بنفسه في كتابه المنقذ من الضلال، ستجد فيه أنه كان أشعرياً لأن السلطان كان كذلك؛ ولأنه كان يبغى الجاه والصيت، ثم نجد أنه في النهاية أصبح صوفياً، وأنه وجد الحق عند الصوفية،

(١) للجن قدرة على التشكل بأشكال الإنسان والحيوان، فقد جاء الشيطان المشركين يوم بدر في صورة سراقه بن مالك فوعد المشركين بالنصر، وفيه أنزل الله: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ...﴾.

[الأنفال: ٤٨]

وفي البخاري وغيره أن شيطاناً جاء أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صورة إنسان وجعل يسرق من طعام الصدقة.

وقد نهى النبي ﷺ عن قتل حيات البيوت خشية أن يكون المقتول جنياً كما في حديث أبي السائب الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري في قصة الغلام الأنصاري، وهذا ما أراده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. (ض).

(٢) يقصد علماء التصوف من أهل الضلال. (ض).

فالغزالي لم يكن مجتهداً، بل إنه كان مقلداً شر تقليد؛ لأنه قلد الصوفية.
قال الغزالي إنه ابتغى الحق في علم الكلام فلم يجده وفي الفلسفة فلم يجده، وأخيراً
وجده في الصوفية، والغزالي نفسه يقول: (ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير
خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت)^(١).

ويقول عن طريق الصوفية: (إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون
لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق،
وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمعوا عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم
الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه
بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم
وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة)^(٢) ومن هم هؤلاء الصوفية؟ ياليتهم كانوا
من كانوا مقيدين بالشرع، ولكن اسمع له: (أقبلت بهمتي على الصوفية، وابتدأت
بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي^(٣)،
وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات الماثورة عن الجنيد^(٤) والشبلي وأبي يزيد

(١) ص (٢٦) من كتاب: المنقذ من الضلال طبعة المكتبة المحمودية.

(٢) ص (٢٨) المنقذ من الضلال المكتبة المحمودية.

(٣) هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، له تصانيف في
التصوف، منها: «قوت القلوب»، قال عنه الخطيب البغدادي: ذكر فيه أشياء مستشعة في
الصفات، توفي سنة (٣٦٨هـ). [انظر «تاريخ بغداد» (٣/٨٩)، الأعلام (٧/١٥٩)]. (ض).

(٤) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم البغدادي الحزاز، أصل أبيه من نهاوند، يعرف
بشيخ الطائفة الصوفية، توفي سنة (٢٩٧هـ). انظر الأعلام (٢/١٣٧-١٣٨). (ض).

البسطامي، وغير ذلك من كلام مشايخهم)^(١) فالغزالي لم يكن مجتهدًا يا أخي، وإنما كان مقلدًا، ومن أئمته؟ المحاسبي الذي أبى ابن حنبل أن يشيع جنازته!! وأبو يزيد الذي كان يقول: (سبحاني ما أعظم شاني) فهل يجوز لنا بربك يا أخي أن نغتفر للغزالي أخطاءه لأنه كان مجتهدًا.

حجة الإسلام:

مما يجب أن يكون عليه حجة الإسلام أن يجعل كتاب الله حجته وسنة رسوله هديه، وأن يكون عظيم الفهم لكتاب الله، غير مؤول إياه تأويلًا يخرج عنه حقيقة، بصيرًا بسنة رسول الله رواية ودراية، منافحًا زائدًا عن الإسلام عدوه، هذا أقل ما يجب أن يكون عليه حجة الإسلام، وأظن أن الأخ الحبيب يوافقني على هذا.

فتعال نشهد أمر الغزالي، فهل جعل كتاب الله حجته؟

كلا، بل حجته كتب الصوفية كما اعترف على نفسه، هل جعل من سنة الرسول سراحه في الظلمات؟ كلا، بل جعل أساطير الصوفية، هل كان بصيرًا بسنة رسول الله؟ كلا، وهذه كتبه وبخاصة الإحياء مشحونة بالموضوعات والمفتريات، بل إليك شهادة تلميذ من أحبائه عليه وهو: السبكي، إذ يقول في كتابه طبقات الشافعية:

(فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة، وعامة ما في الإحياء

(١) ص (٢٤) من: المنتقد من الضلال طبعة المكتبة المحمودية، أين كتاب الله وسنة رسول الله؟ ألم

يجد فيها حجة الإسلام الحق الذي تهتدي به نفسه، فراح يبحث عنه فوجده عند البسطامي والشبلي. أهذا بربكم قول يصح أن يصدر من حجة الإسلام؟

من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء، ولم يسند الرجل لحديث واحد^(١) وشهد شاهد من أهله، فالسبكي ممن يعترفون للغزالي بأنه حجة الإسلام، وقد شهد عليه تلك الشهادة، فرجل هذا شأنه في معرفته بالسنة، أيجوز لنا أن نجعل منه حجة الإسلام؟

فهو صوفي النزعة والتفكير غير بصير بالسنة، غير متخذ كتاب الله حجة له، فهو إذن قد فقد كل خصائص من يجوز له أن يتسمى بحجة الإسلام.

رأي ابن تيمية في الغزالي:

ولعل الأخ الكريم لم يطلع تمامًا على حقيقة رأي ابن تيمية في أبي حامد الغزالي، فقال لي يجب أن أكون كابن تيمية في عفة نقده للغزالي ولطفه، فليكن يا أخي، وإليك رأي ابن تيمية في الغزالي: (إنه لم يعرف ما قاله أحمد ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب، ولا ما جاء به القرآن والحديث)^(٢)، ويهمننا من هذا أن ابن تيمية ينفي عن الغزالي حجة الإسلام معرفته بالقرآن والحديث ومذهب السلف، فهل قلت أنا مثل هذا؟

وإليك أيضًا ما يقوله ابن تيمية: (كلامه برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة، ففيه فلسفة مشوبة بإسلام، وإسلام مشوب بفلسفة)، ويتابع ابن تيمية في الصفحة نفسها قوله عن الغزالي: (كان يعظم الزهد جدًا ويعتني به أعظم من

(١) (ح-٤/ص ١٢٧) من طبقات الشافعية، والغزالي نفسه يقر على نفسه أنه لم يكن جيد

البضاعة الحديث، اقرأ مقدمة الأستاذ محمد الخضر حسين لكتاب الإحياء.

(٢) ص (١٠٢) من تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، طبعة منير الدمشقي.

اعتنائه بالتوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه^(١).

هذا القول صريح غير محتاج إلى تعليق، ولكن تنبه جيداً إلى تقرير ابن تيمية أن الغزالي كان يعتني بالزهد أكثر من التوحيد!!

أفيجوز ذلك من حجة الإسلام، وإليك أيضاً كلام ابن تيمية: (ذاكرني مرة شيخ جليل له معرفة وسلوك وعلم في هذا، فقال: كلام أبي حامد يشوقك فتسير خلفه، ويشوقك فتسير خلفه منزلاً بعد منزل، فإذا هو ينتهي إلى لا شيء)^(٢).

ويقول في ص (٨٢) من كتاب: النبوات أيضاً: (ولهذا صنف الكتب المضمون بها على غير أهلها، وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا)، ثم إليك هذا النص في كتاب: النبوات ص (٨١) متحدثاً عن أقوال الغزالي في كتابه المضمون به على غير أهله: (وهو فلسفة محضة، قول المشركين العرب خير منه، دع قول اليهود والنصارى).

أرأيت إلى ابن تيمية وهو من هو دراية وعلماً كيف جعل كلام المشركين خيراً من كلام حجة الإسلام الغزالي؟

وهل قلت أنا يا أخي ذلك؟ ما جرؤت على أن أقولها كما قالها ابن تيمية الجريء في الحق، المكافح بحق وعزم عن دين ربه، لا يخاف لومة لائم.



(١) ص (٧٩) من كتاب: النبوات، لابن تيمية، طبعة منير الدمشقي.

(٢) صحيفة (٨١) من كتاب: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مصر.

هل تجنيت على الغزالي؟ (٣) (١)

تابع آراء ابن تيمية فيه

ويقول ابن تيمية رحمه الله في كتاب الاستغاثة ما يأتي: (وقد ظن بعض من تكلم في الشفاعة على طريق الفلاسفة كابن سينا وأشباهه أن الشفاعة تنفع لتعلق الشفيع بالمشفوع، وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، ومثبه ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرأة، والمرأة تطرح شعاعها على الماء، والشعاع الذي على الماء يظهر في الحائط، وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ما ينزل عليهم من الرحمة ينزل عليه من ذلك بتوسطهم، كما ينتفع أتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمنزلة، وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين، وهذه هي الشفاعة التي أبطلها الله ورسوله ﷺ، وابن سينا ذكر هذه الشفاعة جرياً على منهاج سلفه المشركين الصابئين^(٢)، وهذا الذي قرره ابن تيمية عن ابن سينا^(٣) في الشفاعة،

(١) (٧/ ١٣٦٧هـ).

(٢) ص (٦٣) من كتاب: الاستغاثة لابن تيمية ط سنة ١٣٤٦هـ بالمطبعة السلفية.

(٣) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، ولد سنة (٣٧٠هـ)، توفي سنة (٤٢٨هـ)، له تصانيف على طريقة الفلاسفة والمتكلمين، كالشفاء والإشارات وغيرهما، قال عنه شيخ الإسلام: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه... وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين، كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد» اهـ. [الرد على

ووصمه بأنه شر من قول المشركين، وأنه جارئ فيه الصابئين، وقرر أن هذا ما أبطله الله ورسوله.

أقول: هذا الذي ذكره ابن تيمية قال الغزالي بمثله صراحة، بل يكاد يكون هو بعينه في كتابه المضمون به على غير أهله، وإليك نص ما يقول الغزالي في الشفاعة مقتدياً بابن سينا.

قال الغزالي الذي هو حجة الإسلام!! : (وأما شفاعة الأنبياء والأولياء فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة، وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة).

إلى أن يقول: (ومثاله نور الشمس إذا وقع على الماء، فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط لا إلى جميع المواضع)، ثم يقول: (ومن استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الإلهية، فأشرق عليه النور من غير واسطة، ومن استولت عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه ولم ترسخ قدمه في ملاحظة الوجدانية لم تستحكم مناسبته إلا مع الواسطة، فافتقر إلى واسطة في اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذي ليس مكشوفاً للشمس).

إلى واسطة الماء المكشوف للشمس. وإلى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة في الدنيا، فالوزير الممكن في قلب الملك المخصوص بالعناية قد يغضي الملك عن هفوات أصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة بين الملك وأصحاب الوزير، لكن لأنهم يناسبون الوزير المناسب للملك، ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بأنفسهم،

ولو ارتقت الوساطة لم تشملهم العناية أصلاً^(١) هذا هو رأي الغزالي في الشفاعة، وهو يكاد يكون بعينه رأي ابن سينا الذي جعله ابن تيمية شرّاً من قول المشركين والصابئة. أما وقد تساوى الرأيان، أفليس من العدل أن نطلق على رأي الغزالي ما أطلقه ابن تيمية على رأي ابن سينا؟

ولهذا قال ابن تيمية بعد تقريره ذلك في كتاب الاستغاثة ص (٦٤) ما يأتي: (وفي كلام أبي حامد الغزالي في المضمون به على غير أهله ونحوه ما مشى فيه منهاج ابن سينا، ولهذا اشتد نكير العلماء على أبي حامد لما في كلامه من أصول الفلاسفة الملحدّين) صدق ابن تيمية فقد نقلنا من كتاب: (المضمون به على غير أهله) للغزالي ما جارى فيه ابن سينا وأضرابه.

يا رفاق العقيدة اقرءوا واقراءوا، ولا يهولنكم أن تروا الغزالي في غير ما صورته لنا الأخيلة الضالة الكاذبة، إننا لن نقدر غير القرآن وهدى النبوة. أما الغزالي وغيره فلن نحترم منه غير قول حق أو رأي صدق... غير أن الغزالي كان باطله أكثر من حقه، وكذبه أكثر من صدقه، وإليك ما يقوله فيه تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي^(٢):

(١) ص (٢٨ - ٢٩) من كتاب: المضمون به على غير أهله للغزالي ط سنة ١٣٠٣ هـ بالمكتبة العلامة. (٢) هو طبعاً غير محيي الدين بن عربي المتصوف، ولهذا سمى المؤرخون القاضي أبو بكر: بابن العربي، وسموا محيي الدين: (ابن عربي) للفرقة بينهما.

قلت (محمد): هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، إمام من أئمة الفقه والتاريخ ولد بإشبيلية سنة (٤٨٦ هـ)، رحل إلى المشرق، ودرس على الغزالي، وتولى قضاء إشبيلية، وتوفي سنة (٥٤٣ هـ). [انظر: الأعلام (١٠٦/٧)، وفيات الأعيان (٤٢٣/٣)]. (ض).

(شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر)،
وأبو حامد نفسه كان يقول:

(أنا رديء البضاعة في الحديث)^(١) فهل قلت أنا يا رفاقي مثل ذلك؟
إن ابن تيمية فيما طالعت له حتى اليوم أصدق نقدًا للآراء وأعدل وأحكم،
وهو فيما حكم به على الغزالي أصدق الناقلين، لا عن تعصب أو تجن وإنما عن
بصيرة دقيقة حكيمة نفاذة الإدراك علوية الإشراف سماوية الإشعاع، فرضي الله
عن شيخ الإسلام وأرضاه.



(١) نقلًا عن كتاب: موافقة صريح العقول لصحيح المنقول المطبوع سنة ١٣٢١ على هامش
منهاج السنة لابن تيمية.

هل تجنيت على الغزالي (٤)؟

آراء الغزالي

لم يكن الغزالي يثبت على رأي واحد، بل ينقض اليوم ما يبرمه بالأمس، ويقول في الإحياء مثلاً غير ما يقوله في كتاب آخر له، فمثلاً تراه يقول في كتاب معارج القدس ص (١٧) طبعة الكردي: (صفات الباري كلها اعتبارات وإضافات وسلوب، فليست زائدة على الذات ولا توجب كثرة في الذات).

وفي كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص (٦٥) طبعة الخانجي يقول: (إن الصفات السبعة - يعني صفات المعاني - ليست هي الذات بل زائدة على الذات).
فما سر هذا التناقض؟ أو التضارب بمعنى أدق.

كان الغزالي في قرارة نفسه يؤمن بعقيدة أخرى غير ما يظهر للناس، ولهذا ألف كتاباً سماه المضمون به على غير أهله أودعه آراءه الفلسفية التي يؤمن بها. ولقد حارب الفلاسفة بكتابه التهافت الذي أثبت ابن رشد^(١) تهافته، بينما الغزالي قد آمن بكثير من هذه الآراء التي حاربها، وقد أودعها كتابه المضمون به على غير أهله، وغير ذلك ألف الغزالي كتباً أخرى أطلق على مجموعها المضمون بها

(١) هو محمد بن أحمد بن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، ويميز بالحفيد تفریقاً بينه وبين جده، ولد سنة (٥٢٠هـ)، وبرع في الفقه والطب والفلسفة، مات محبوساً في داره بسبب أقواله الردية أواخر سنة (٥٩٤هـ).

[انظر: سير الأعلام (٣٠٧/٢١)]. (ض).

على غير أهلها، أودعها حقيقة رأيه وعقيدته التي يعتنقها، والقارئ لهذه الكتب يروعه أشد الروعة أن يرى الغزالي الذي سمي حجة الإسلام فيلسوفًا ينزع في تفكيره إلى تأييد الآراء الفلسفية التي عابها على الفلاسفة في كتابه التهافت^(١)، فلماذا؟ إنه ألف كتاب التهافت طوعًا لأمر السلطان ليهدم به الفلاسفة، فهو لم يؤلفه عن عقيدة أو عن غرض كفاح عن الدين، وإنما ليطيع به أمر السلطان!

أما كتبه المضمون بها على غير أهلها فألفها لنفسه وللخواص الذين يدينون برأيه، فترى فيها ما يجعلك تؤمن بأن الغزالي كان يؤمن بقدم العالم، وبغير هذا من الآراء التي شنع بها على الفلاسفة، وما أنا ممن يلقون القول هكذا بل أصرخ بأعلى صوتي، اقرأوا كتب الغزالي المضمون بها على غير أهلها ثم احكموا... ولا يجوز لنا في عصرنا هذا التقليد في الآراء؛ وكتب الغزالي بين أيدينا فليطالعها من شاء أن يعرف الحق، وبخاصة كتابه المضمون به على غير أهله ومشكاة الأنوار ومعارج القدس، وسواها من الكتب التي لم يقصد بها الغزالي الجمهور من المسلمين، وإنما قصد بها الخواص الذين يدينون برأيه، فليقرأ الكرام من الرفاق وسيجدون الخير!!

الغزالي وعبادة القبور:

لقد كنت فيما بيني وبين نفسي من قبل أكبر الغزالي عن أن ينحدر إلى هوة عبادة القبور كسادته الصوفية، فلما قرأت له دعوته إلى عبادة القبور كدت أكذب عيني، ولهذا أنقل من كتابه رأيه وأسائل القراء هل يدعو فيها الغزالي إلى عبادة

(١) قال أبو بكر بن العربي قاضي إشبيلية: (شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلسفة، ثم أراد

أن يخرج منها فما قدر) شرح الشفا لعلّي القاري ص (٥٩) ط استنبول.

القبور أو لا فإني مازلت أكذب عيني.

ثم إن إخواننا الناقدين لي يكفرون من يتوسل بصاحب قبر، فيا ترى هل سيحكمون على الغزالي بمثل هذا؟

قال حجة الإسلام الغزالي^(١): (أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة، وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام)، ثم يقول بعد ذلك حجة الإسلام عن نبي الإسلام الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه: (والتقرب بمشاهدة ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته... موجب للتقرب إليه مقتض لشفاعته، فإنه لا فرق عند الأنبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة إلا في طريق المعرفة، وأما الأحوال الأخرى في التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير، والركن الأعظم في هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة الممد وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد، فإنه لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنّب نجا ذلك المذنّب ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلده لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتهما بلاء).

ثم يقول عفى الله عنه!! ولا أدري أمصيب أنا أم مخطئ في تلك الدعوة: (ينفع الموتى أن توضع على قبورهم المصاحف ويكتب القرآن في قراطيس

(١) ص (٤١) وما بعدها من كتاب المضمون به على غير أهله للغزالي ط سنة ١٣٠٣ هجرية بالمطبعة العلامية.

وتوضع في أيدي الموتى).

الله الله لحجة الإسلام!! يدعونا إلى أن نطلب قضاء الحوائج من قبور الموتى!.
تلك واحدة، ويدعونا إلى أن نطلب غفران الذنوب من الموتى وتلك ثانية...
ويدعونا إلى أن نبحث عن نعال الأنبياء والأولياء لكي نضعها على قبور
موتانا العاصين لينجوا من العذاب وتلك رابعة... ثم خامسة وسادسة ثم مئات
من الأخطاء بل الخطيئات...

فما رأي قرائنا الأحبة في هذه الوثنيات الغزالية؟ أهى أخطاء تغفر؟ إنها لم
تغفر لي وقت إشراكي، وقيل عني بسببها إنني مشرك وحقاً كنت كذلك.
فهل لأن الغزالي قالها تغفر له ونعفو عنه؟ آه آه من كيد الشيطان، وآه ما كنت
أحسب الغزالي من عباد القبور!!



هل تجنيت على الغزالي (٥)؟^(١)

القرآن له ظاهر وباطن:

وللغزالي - وهو عند الناس حجة الإسلام - عقيدة صوفية تهدم الإسلام من أساسه وهو أن للشرعية ظاهراً وباطناً، تلك عقيدة ابتدعتها زنادقة الصوفية ليستحلوا بها الكفر والإثم، وليبينوا أن ليس الإسلام فيما أظهر القرآن، بل فيما وراءه من معان وضعت ألفاظ القرآن رموزاً غامضة عنها. لهذا يقول الغزالي مفترياً على رسول الله قوله: (ما من آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن)^(٢)، (وللقرآن ظاهر وباطن)^(٣)، فما دام الغزالي وهو حجة الإسلام يؤمن بهذا، فماذا تريد أكثر من ذلك هدماً للشرعية؟

رأي الشيخ رشيد رَحِمَهُ اللهُ:

ويذكرني الأخ الكريم بالأستاذ الجليل الشيخ رشيد رضا، وهو من هو علماً وثقة ومعرفة بكتاب الله، يذكرني بدفاعه عن الغزالي... والشيخ رشيد رَحِمَهُ اللهُ وجزاه كفاء ما جاهد من أجل دينه دافع عن الغزالي، ولكن الحق في جانب ابن تيمية لا في جانب الشيخ رشيد.

وهكذا أخطأ الشيخ رشيد رَحِمَهُ اللهُ في دفاعه عن الغزالي كما أخطأ ابن تيمية في

(١) (٩/١٣٦٧).

(٢) ص (٢٨) من مجموعة رسائل الغزالي سميت الجواهر الغوالي ط الكردي.

(٣) ص (١٣٣) من كتاب الجواهر الغوالي ط الكردي.

مسألة تشكل الجح، وتقديره لبعض الصوفية و (كفى' المرء نبلاً أن تعد معاييه). ولنضرب لذلك مثلاً في الجزء الخامس من مجموعة الرسائل والمسائل ص (٨٧) يقول ابن تيمية: (ومنهم - يقصد الصوفية - من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء، وأبو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة).

علق عليها الأستاذ الكبير الشيخ رشيد رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُول: (ولكنه - يعني الغزالي - لم يزعم أنه حصل أكثر مما حصل للأنبياء ولا مثله) فهل هذا صحيح؟

أصحح أن الغزالي لم يزعم أنه حصل له كما حصل للأنبياء؟

يقول ابن تيمية في نفس الصفحة السابقة: (وأبو حامد يقول إنه سمع الخطاب كما سمعه موسى) هذا القول لم ينفه الشيخ رشيد بدليل أنه لم يعلق عليه بشيء، وهو قول يدل على أن صاحبه يزعم أنه حصل له كما حصل للأنبياء، وسكوت الشيخ رشيد عن هذا يدل على أنه يعلم أن الغزالي قال هذا!!

ومما يؤيد كلام ابن تيمية أن الغزالي قال في كتابه الإملاء الملحق بكتابه الإحياء: (لعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العز تنادى بها نودي به موسى: إني أنا ربك)^(١) فإذا الغزالي يزعم أن السالك الحقيقي أيضاً يحصل له مثل ما حصل لموسى، ويقول في ص (١٥) من كتاب الجواهر الغوالي ط / الكردي: (إذا جلست في مكان خال قائلاً بقلبك: الله الله. ظهرت لك أرواح الأنبياء والملائكة، وانكشف لك ملكوت السموات والأرض كما قال الرسول: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها»^(٢))، وكما قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِىْ

(١) ص (٤٤) طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشرط الساعة، برقم: (٢٨٨٩ / ١٩)، من حديث ثوبان رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الأنعام: ٧٥]﴾، فيقرر الغزالي وصول السالك إلى مقام إبراهيم.

يثبت من هذا أن الأستاذ الشيخ رشيد رضا رحمه الله رحمة واسعة لم يصب الحق في نقده لابن تيمية دفاعاً عن الغزالي، وما شهدت لابن تيمية فيما نقله عن الغزالي وسواه من الصوفية والفلاسفة كذباً عليهم، بل إنه لأشد تحريماً للصدق في نقوله من الكثيرين جدّاً، والحكم في هذا تتبع ما ينقله ابن تيمية عن الغزالي في كتب الغزالي، وبهذا التتبع نجد ابن تيمية أصدق ما يكون في هذه النقول.

نقدي للغزالي:

قرأت آراء ابن تيمية في الغزالي وآراء غيره ممن دمغوا الغزالي بالهرطقة، وقرأت غير ذلك، فما همست ببنت شفة حين ذلك، إذ رأيت أن لا بد من قراءة كتب الغزالي نفسه حتى أكون على بينة من أمري، فتلوت منه ما أقدرني الله عليه: (كتاب الإحياء، معارج القدس، مشكاة الأنوار، كيمياء السعادة، الرسالة اللدنية، المصنوعون به على غير أهلهم، المنقذ من الضلال).

فرأيت فيها ما يجب أن يؤخذ عليه الغزالي أشد المؤاخذه، ولعل فيما ذكرت قسوة في اللفظ يغفرها لي أي فجعت في حجة الإسلام، فقد كنت أمعن أن لا يسف هنا الإسفاف كله، ولقد تعمدت في نقدي للغزالي ألا أذكر تلك المواضع التي نقده فيها ابن تيمية مخافة الاتهام بالبغاوية، بل نقدته في كثير مما لم يذكره ابن تيمية، والفيصل في النقد هو أن تراجع ما كتب الناقد في كتب المنقود فإن رأيته صادقاً كان لك تأييده في نقده. وإن وجدته كاذباً كان لك أن تفعل معه ما تشاء،

فليراجع رفاقي الأعزاء نقدي للغزالي، فإن وجدوا فيه أثارة من التجني فليدلوني عليها أكن لهم من الشاكرين.



هل تجنبت على الغزالي؟ (٦) (١)

بعض آراء الغزالي

أثبتنا في مقالنا الذي نشر في العام الماضي عن الإحياء ودلائل الخيرات وفي مقالنا هذا (الوثنية في الصوفية) أن الغزالي يفضل الغناء بالشعر على القرآن في تصفية النفس، وأن الذرات تسبح ويسمع الأولياء تسبيحها، وأن الله أنطق كل ذرة في مدح الأولياء، وأثبتنا أنه يقول بالاطلاع على الغيب، وأن السالك ينال ما نال موسى، وأنه وأنه... فليرجع من شاء الوصول إلى الحق إلى ما ذكرنا (٢).

واليوم نذكر بعض آراء الغزالي غير التي مضت.

يقول الغزالي في ص (١٤) من كتابه الجواهر الغوالي: إن القلب له بابان أحدهما يطلع على اللوح المحفوظ، ويشبه القلب بالمرآة، واللوحة المحفوظ بالمرآة يتقابلان، فينتقش ما في اللوح المحفوظ في القلب، ويقول في ص (١٥) ما نصه: (إذا جلس في مكان خال وعطل طريق الحواس وقال دائماً: الله الله بقلبه دون لسانه أبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الأنبياء والملائكة، وانكشف له ملكوت السموات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها» وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ

(١) (١٠/١٣٦٧).

(٢) العدد (١١، ١٢) من السنة العاشرة، والعدد الأول والثاني من السنة الثانية عشرة من

الهدى النبوي. [انظر ص (١١٧) من هذا الكتاب].

نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الأنعام: ٧٥]﴾^(١).

أرأيت إلى الغزالي يزعم هذا الزعم الباطل، ويقرر أن الإنسان يصل عن هذا الطريق إلى ما وصل إليه الرسول وجده الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام؟ يريد منا اعتزال العالم في مكان قفر، مرددين بالقلب الله الله لنصل إلى ما وصل إليه سيد الخلق وإبراهيم عليهما السلام، ومن يقول هذا؟ حجة الإسلام. وفي ص (١١) من كتاب الجواهر الغوالي يقول مؤولاً للآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥٦) معناه: وإنا خلقنا القلب وأعطيناه الملك والعساكر، وجعلنا النفس مركبه حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين^(٢).

أرأيت إلى الدقة في التفسير؟! ومن يقول هذا؟ حجة الإسلام؟

ويقول في ص (٢٦): (للقلب عيان يدرك بهما الغيب) والله يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ولكن الغزالي يخالف الله، فمن نصدق؟

وفي ص (٣٤) يتحدث عن النفس الطيبة فيقول: (والله يقبل على تلك النفس إقبالاً كلياً ويتخذ منها لوحاً ومن النفس الكلي قلماً ينقش فيها جميع علومه) يا الله!! يجعل نفوس عبيده أقلماً له!! هكذا يقول حجة الإسلام.

وفي ص (١٢٢) يقول: (العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، فصاروا كالمبهوتين، ولم يبق فيهم متسع

(١) سبق تخريجه.

(٢) أليس في هذا تحريفاً للكلم عن مواضعه؟!

لغير ذكر الله، فسكروا سكرًا وقع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأنني، وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى).
 بالله اقرأ هذا يا أخي وما بعده من الكتاب لترى كيف يعتذر الغزالي حجة الإسلام عن زنادقة الصوفية في زندقتهم؟!!

وفي ص (١٢٥) يقول: (لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص). والرسول يقول: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»^(١) والله يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ولم يقل: لا هو إلا هو. أتريد أن تعرف معنى لا هو إلا هو؟ ارجع إلى مقالي عن مراتب التوحيد عند الصوفية^(٢)، تجد فيه ما يجعل الغزالي بقوله هذا من النافين للإثنية في الوجود، بمعنى أن الوجود الإلهي عندهم وسواه وجود واحد.

وفي ص (١٤٠) يقول: (إن الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته) فما معنى تجل الله في ذاته؟ وما معنى تجليه لذاته؟ آه يا غزالي منك أفصح عن عقيدتك أفصح، إنك من أرباب وحدة الشهود.

وفي ص (١٤٢) يتحدث عن المحجوبين، فيقول عن عبدة الأوثان: (هؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله وأنواره).

وعن عباد الأشجار ص (١٤٣): إنهم محجوبون بنور الجمال مع ظلمة

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)؛ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

(٢) العدد الثاني عشر من السنة الحادية عشر من مجلة الهدي النبوي. [انظر ص (١٢٣) من هذا الكتاب]

(الحس).

ويقول عن عباد النار: (وهؤلاء محبوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من أنوار الله تعالى).

ويقول في ص (١٤٣) عن عباد النجوم: (هؤلاء محبوبون بنور العلو والإشراق والاستيلاء، وهي من أنوار الله تعالى).

أرأيت إلى حجة الإسلام كيف يعبر عن أخط ما تقدرت به النفس من شرك ووثنية إنه بسبب حجب من نور العزة أو البهاء أو الاستيلاء من الله؟

أقول هذا مسلم، فضلاً عن حجة الإسلام؟

ومن شاء زيادة فليقرأ مشكاة الأنوار للغزالي، وليقرأ كتاب الدكتور عبد الدايم أبو العطا البكري: (اعترافات الغزالي) فقد دمغ الغزالي بالنفاق والرياء وغيرهما، وليقرأ كتاب الحقيقة في نظر الغزالي، للأستاذ سليمان دنيا مدرس التوحيد والفلسفة في كلية أصول الدين.

خاتمة:

مما قدمت أظن، بل أوقن أن العاتبين من كرام الإخوة سيعتقدون معي أنني ما تجنيت على الغزالي، وأن زلات الغزالي لا تغفر لأمرين: لفهم العامة فيه، والمسمين بالعلماء أنه حجة الإسلام، ولأنها بذاتها كبيرة كبيرة، لا يعفى عنها، ونحن في حاجة إلى النظر الثاقب فيما خلف الماضون من تراث ديني، حتى نصحح بعض القيم التي سجلها التاريخ لأناس ثبت أنهم لا يستحقون تلك القدسية التي أضفاها عليهم التاريخ المضلل.

نحن في حاجة إلى تصحيح القيم الفكرية والذاتية؛ يجب أن لا نجعل القيمة الحقة إلا لكتاب الله وسنة رسوله، وعلى ضوءها يجب أن نسير، وبهذا يجب أن نفتدي، لا بالغزالي، بل ولا بابن تيمية. أفرضيت يا أخي؟

وإني فيما أكتب لا أبتغي إلا التحذير حتى لا يقع غيري فيما كنت متردياً فيه، فمثلي مثل من كان في حمأة قدرة نجاه الله منها كُتِبَ على بابها أنها مسجد لله، فأنا أنادي: يا قوم، إنها للشيطان مباءة، وللهوى معبد...

إني شربت من سموم الزندقة ما كان يقدم لي في كاسات من البلور كتب عليها رحيق من الجنة؛ فأنا أخشى على غيري أن يتعاطاها، فلا تغضبوا لإنسان أيها الرفاق، بل ليكن غضبكم للحق من دين الله وحده، ولتكن قلوبكم مشرقة بهدي الله ورسوله، ولا يهولنكم أن نحطم معاً تلك الطواغيت الوهمية، واسمعوا قول الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فلن نتخذ لنا ولياً من دون الله، ولن نغضب لامرئ ننقده مهما عزت مكانته إذا وجدنا من حديثه ما يخالف كتاب الله وهدي رسول الله، ولا سيما أولئك الذين اغتر بهم التاريخ وخلع عليهم ألقاب القدسية والتمجيد.

جعلني الله وإياكم ممن يتخذون الله ولياً، ومن الذين إذا سمعوا قول الله آمنوا به وصدقوا به: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وإني أجعل كتاب الله حكماً بيني وبينكم

فيما ذكر الغزالي، فإن وافق قوله القرآن والسنة آمنت معكم، وإن خالفها حقت عليكم كلمة الحق، بل حتى لو خالف قوله القرآن والسنة مخالفة هينة كنت معكم.

وسترون أن بين ما يقرر القرآن والسنة وبين ما يقرر الغزالي بُعد المشرقين، بل بُعد ما بين الطيب والخبيث.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.



فهرس موضوعات الجزء الأول

فهرس موضوعات الجزء الأول

- ٥..... مقدمة مجموع مقالات العلامة عبد الرحمن الوكيل
- ١٦..... ترجمة الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ
- ٢٣..... الباب الأول: أثر التصوف في العقيدة
- ٣١..... قصة الكيد للإسلام
- ٨٣..... الباب الثاني: طواغيت
- طاغوت الإسكندرية (١): ضريح أبي العباس المرسى: بمناسبة تأليف شيخ
مسجده كتاباً عنه ٨٥
- ٩٤..... طاغوت الإسكندرية (٢): ضريح أبي العباس المرسى
- ١٠٢..... طاغوت الإسكندرية (٣): ضريح أبي العباس المرسى
- ١٠٨..... طاغوت الإسكندرية (٤): ضريح أبي العباس المرسى
- ١١٧..... طواغيت (٢)
- ١٢٣..... طواغيت (٤): الوثنية هي الصوفية
- ١٣٠..... طواغيت (٥): الوثنية هي الصوفية
- ١٣٨..... (٦) الوثنية هي الصوفية
- ١٤٢..... طواغيت (٧): الوثنية هي الصوفية
- ١٤٨..... طواغيت: الإحياء... دلائل الخيرات... مجموع الأوراد
- ١٥٧..... الباب الثالث: هدم طاغوت التصوف
- ١٥٩..... القطب عند الصوفية (١)

- القطب عند الصوفية (٢)..... ١٦٦
- القطب عند الصوفية (٣)..... ١٧٦
- أساطير صوفية: القطب وأعوانه..... ١٨٦
- صوفيات (١)..... ٢٠٢
- صوفيات (٢): أو خطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية..... ٢٠٧
- صوفيات (٣): أو خطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية..... ٢١٣
- صوفيات (٤): أو خطاب مفتوح لشيخ مشايخ الطرق الصوفية..... ٢٢١
- سيد الخلق بشر (١)..... ٢٢٨
- سيد الخلق بشر (٢)..... ٢٣٦
- سيد الخلق بشر (٣)..... ٢٤١
- أنصار السنة وأشياع التصوف (١)..... ٢٤٦
- أنصار السنة وأشياع التصوف (٢)..... ٢٥٦
- الشيوعية تعانق الصوفية (١)..... ٢٦٩
- الشيوعية تعانق الصوفية (٢)..... ٢٩١
- الشيوعية تعانق الصوفية (٣)..... ٣٠٢
- نظرات في مجلة الصوفية (١)..... ٣١٧
- نظرات في مجلة الصوفية (٢)..... ٣٢٣
- نقدات (١)..... ٣٢٩
- نقدات (٢): وحدة الأديان عند الصوفية..... ٣٣٨
- نقدات (٣): وحدة الأديان عند الصوفية..... ٣٤٥

- الباب الرابع: متفرقات صوفية ٣٥١
- زندقة الجيلي ٣٥٣
- دراسات في التصوف الإشرافي: البوادر الغيبية في النوادر العينية للشيخ
عبد الكريم الجيلي ٣٧٥
- سموم تصدرها المطابع إلى العالم الإسلامي ٣٨١
- التثليث عند الصوفية ٣٨٨
- ثمانية ملايين. ماذا؟؟! ٤٠٢
- رأي ابن خلدون في الصوفية ٤٠٧
- مصرع التصوف ٤١٢
- سراب دعاوى الصوفية وأدعيتهم ٤٢٢
- سراب صوفي نعرفه ٤٣٥
- عبر وذكريات ٤٤٢
- مفتريات وأساطير: رد على مجلة صوفية تصدر في السودان ٤٥٤
- وجهًا لوجه مع الصوفية ٤٦٨
- كباثر ابن عربي ٤٧٣
- الباب الخامس: هل تجنيت على الغزالي ٤٨١
- هل تجنيت على الغزالي؟! (١) ٤٨٣
- هل تجنيت على الغزالي؟! (٢) ٤٩٠
- هل تجنيت على الغزالي؟! (٣): تابع آراء ابن تيمية فيه ٤٩٦
- هل تجنيت على الغزالي (٤)؟! : آراء الغزالي ٥٠٠

- هل تجنيت على الغزالي (٥)؟! ٥٠٤
- هل تجنيت على الغزالي؟! (٦): بعض آراء الغزالي ٥٠٨
- فهرس موضوعات الجزء الأول ٥١٥



لكتابة الرسائل العلمية وصف وتحقيق كتب التراث وغيرها

القاهرة - هاتف: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣

البريد الإلكتروني: EBADALRHIMAN_SFEF@YAHOO.COM

EBADALRHIMANSFEF@GMAIL.COM



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

ثناء العلماء على المؤلف

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه دروس في شرح نوافل الإسلام: «وغلالة الصوفية - وما أكثرهم اليوم - في كتبهم من الخرافات والأكاذيب التي الكثر. وقد رد عليهم أهل العلم وأطلقوا ترهاتهم وشبهاتهم، ومن أقوى ممن رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ورد عليهم جماعة من العلماء المعاصرين تعبد الرحمن الوكيل بتأليفه، فله كتاب اسمه: «مصرع التصوف».

قال العلامة أحمد بن يحيى النجدي مفتي جنوب المملكة العربية السعودية سابقاً بتأليفه في كتابه: المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال. «وللشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقاً كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، اقتبته قبل سنوات، ولما قرأته كتبت عليه هذه العارضة، وإن لأعدها من صالح عملي، وهذه هي العارضة: «رحم الله يا عبد الرحمن، لقد سجلت حقاً في هذا الكتاب، وكشفت السر المفعول على تلك الأصنام الخوفاء، التي كانت وما زالت بقاياها تقذف أخبث الكفر وأقذره وتزعم أنه عين التوحيد، وتضفي هالة من القداسة على قائله الضلال، معتدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد، حتى بين الله أمرهم على يدك». اهـ.

وإن لأحدث جميع طلاب العلم على اقتناء هذا الكتاب وقراءته واسم هذا الكتاب: (هذه هي الصوفية).

قال العلامة محمد حامد القصي بتأليفه في مقدمة تحفيظه لكتاب نقض المنطق: ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق عبد الرحمن الوكيل - وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية - عمل مقدمة له، لأنه متخصص في الفلسفة، وله بصيرة نافذة فيها، وهو من خالصاء شيخ الإسلام ابن تيمية بتأليفه.

قال الشيخ محمد علي عبد الرحيم بتأليفه الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية في مقدمة دستاب دعوة الحق: كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحفظ من اللغة، وجمال البلاغة، ووضوح المعنى، وسعة الأفلاخ، وشرف الغاية، كما جمع علماً مصقفاً من شوائب البدع والخرافات، وكان حسن اللغة، قليل اللحن. فصيح العبارة، له اجتهاداته الواعية، وكان في ذلك نمطاً فريداً.

قال الشيخ محمد صادق عرنوس بتأليفه: إن أئمانا الأستاذ النابعة عبد الرحمن الوكيل، المعروف بين قراء الهدى النبوي بهادرم الطواغيت قد أصبح أخصائياً في شريح التصوف، والإحاطة بوظائف أعضائه. والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ للمرفق، ويكون سبباً في الشفاء.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دار أسبيل المؤمنين
عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٧٦١٠٠٩٩
www.darsabilmominien.com
E-mail: Dar_Sabilmominien@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilmominien@hotmail.com

مَجْمُوعُ مَقَالَاتِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلِ

رحمه الله تعالى

مُعَوِّذٌ وَرَتِّبٌ عَالِيَةٌ

سُبْحَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَوْضٍ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَصْرِيِّ



دار سينما التراث
للطباعة والنشر

دار سينما التراث
للطباعة والنشر

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

مجموع مقالات
فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن الوكيل
رَحِمَهُ اللهُ
الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٤٧٩ / ٢٠١٠ م

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩

البريد الإلكتروني: Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com

موقعنا على الإنترنت: www.darsabilelmomnen.com

دار سبيل الرشيد
للنشر والتوزيع

(١٢) زنقة (٣٨٦) حي الخيام (٢) - أغادير - المملكة المغربية

جوال: ٠٠٢١٢/٦٧١٩١٦٣١٤ - ٦٦١٣٨٧٧٧٢

E.mail: Sabil_Rachad@hotmail.com

مجموع مقالات
فضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن الوكيل

رحمته الله

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر
وأستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى
بمكة المكرمة

الجزء الثاني

جمعها ورتبها واعتنى بنشرها

محمد عوض عبدالغني المصري

شعبان عبد المجيد عباس

قال تعالى

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

[النساء: ١١٥]

الباب السادس البهائية

البهائية وليدة التصوف وريبة الاستعمار (١)^(١)

نشر المصري في عدده الصادر بتاريخ ٩ / ٤ / ١٩٥٤ ما يأتي: (محكمة القضاء الإداري تقول: البهائية ليست ديناً، ومن اعتنقها من المسلمين كان مرتدّاً)، ثم قال المصري: (هل البهائية دين؟ أو هي مذهب؟ إن معتنقيها - وهم قلة - يصرون على إنها دين يتفانون في سبيله، ويذهبون في تفانيهم كل مذهب، بل إنهم يصرون على ضرورة ذكرها في خانة الديانة في شهادات الميلاد والوفيات، ولا يرضون بغيرها بدلاً، بل إنهم يعملون على نشرها بشتى الوسائل).

وإن كانت البهائية ديناً، فما حكم هذا الدين الذي لم ينزل به كتاب؟ وما حكم معتنقه عند أئمة الإسلام الذين لم يدلوا برأيهم فيه رغم قربه من الدين الإسلامي؟ إن وزارة الصحة رفضت الاعتراف بهذا الدين المستحدث، ومحكمة القضاء الإداري ذكرت أن معتنقه مرتد^(٢)، وإلى أن نسمع كلمة علمائنا الأجلاء، نكتفي بذكر هذا الحادث.

فقد تلقت وزارة الداخلية كتاباً من وزارة الصحة بتاريخ ٣ مارس الماضي، يتضمن أن بعض الأشخاص من معتنقي مذهب البهائية ممن يبلغون عن

(١) (٩/١٣٧٣هـ).

(٢) حكمت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة في مصر في القضية رقم (١٩٥) بتاريخ ٢٦ / ٥ / ١٩٥٢، برفض دعوى أقامها بهائي وجاء في هذا الحكم تقريرها: أن البهائيين مرتدون عن الإسلام. (ض).

مواليدهم، أو موتاهم، لقيد أسمائهم في سجلات المواليد، أو الوفيات يصرون على أن يكتب في خانة ديانة المولود، أو المتوفى «بهائي»، كما يطلبون تحرير شهادات الميلاد والوفاة متضمنة هذه الديانة.

وذكرت وزارة الصحة أن هذا المذهب - أو الدين - لا تعترف به الحكومة، وأنها تخشى أن يتخذ هؤلاء من هذه الشهادة الرسمية دليلاً على الاعتراف بدينهم، وأضافت أنها استطلعت رأي إدارة الشعبة الاجتماعية والثقافية بمجلس الدولة، فتلقت كتاباً بتاريخ ١٨ مارس الماضي جاء فيه: إن موضوع الدين البهائي، سبق أن عرض على محكمة القضاء الإداري، بمناسبة زواج أحد أفراد هذه الطائفة، وعدم صرف العلاوة الاجتماعية له، فرفع دعوى يطالب فيها بمنحه العلاوة من تاريخ عقد الزواج، وصرف المتجمد له، وقد رفضت المحكمة الدعوى ذاكراً في حكمها أن هذا الدين ليس له وجود قانوني، وأن من يعتنقه من المسلمين يعتبر مرتدّاً عن الدين، والمرتد عن الدين زواجه باطل شرعاً.

ولذا قررت الشعبة أنه لا يجوز إدراج أي بيان في الخانة المخصصة للديانة، إذا ما أصر المبلغ على ذكر ما أسماه بالدين البهائي، كما طلبت وزارة الصحة إصدار التعليمات اللازمة إلى المحافظات والمديريات للتنبيه على المختصين بمراعاة ذلك عند التبليغ عن الميلاد أو الوفاة، أو عند طلب مستخرجات رسمية بأن يعمل خط أفقي في خانة الديانة، دون ذكر اسم أي دين، هذا وقد أذاعت وزارة الداخلية كتاباً على المديرين والمحافظين والهيئات الإدارية المختلفة بضرورة العمل بهذه التعليمات عند قيد المواليد أو الوفيات في السجلات الرسمية).

هذا نص ما نشره المصري، ومنه يتبين لنا أن هذه الفئة تحتال - ما وسعتها الحيلة - لترغم الدولة على الاعتراف بما طفحت به زندقة ميرزا حسين علي، كدين سماوي، يقف على قدم المساواة مع الأديان الأخرى، وثمت تلتزم الدولة بحماية معتقدتهم ومعابدهم، ومن ثم يعلن البهائيون ما يُسرُّون، ويظهرون ما يبطنون، ويهتكون عن وجوههم ذلك القناع الذي يخادعون به الناس، والذي يتوارون خلفه مخافة أن يبطش جند الحق بهم، فإذا ما وجدوا سندًا من قوة الدولة استعلنوا في غير ما حذر ولا تقية.

ويحزنني أن بعض الشباب، ممن لم يسيطر دين الحق على قلوبهم، قد تردوا في حماة البهائية، إما لأن امرأة اعترضت طريقه، وإما لأن بريق الذهب ورنينه جعل على سمعه وبصره غشاوة، وإما لأنه خدع فظن أنها جماعة تدعو إلى الإخاء العالمي، وليس لدعوتها صلة ما بدين من الأديان.

فتلك هي وسائل البهائية في نشر دعوتها الهدامة، وأساطيرها الصوفية، وكيدها الاستعماري الذي يعمل جاهدًا في سبيل استعباد الشرق العربي والعالم الإسلامي لإلحاد الغرب وطغيانه.

جلست يومًا في بيت صديق، وإذا بشاب يسألني في حذر عن البهائية، ورحت أحدثه عنها، وأنا أحرق النظر في عينيه لعلمي أستشف من نظراته ما يعتمل في نفسه، ونَدَّت عن الشاب المسكين كلمة، فضيقت عليه الخناق، في غير تشف ولا حنق، وإذا به يقص علي مأساته:

قال: ماتت أمي، فلم يعوضني الأب عن حنانها العذب، فأُكرِهت على أن أُلجأ إلى أخي... ثم تنهد قلب الشاب، فخیل إلي أن صدره يكاد ينشق عن قلبه مما

يكابد من حسرة تتلظى، فقلت: وما قصة أخيك؟ قال: كان أخي موظفًا صغيرًا؛ لأنه يحمل شهادة متوسطة، وثمت اعترضت طريقه امرأة، لها من أنوثتها الجياشة بالفتنة، ومن دنياها المترفة بالغنى، ومن ثقافتها التي تفسد الخلق، وتجعل من الشيطان امرأة جميلة، كان لها يا سيدي كل هذه الأسلحة الفتاكة، وفارت نفس أخي بشهوة الوحش الساغب المنهوم، وقد راحت تغريه الفريسة بأن يأكلها، فامتدت مخالبه ليأكلها، ولكنها - ويا أسفاه - أكلته!!

فقد كانت هذه المرأة التي تقمصها الشيطان بهائية، فاستطاعت بكلماتها التي ينفث فيها الشيطان سحره وفتنته أن تنتزع من أخي رجولته، وأن تستذل كرامته، وأن تجعل منه عبدًا لشهواته بما تجيع به، وتظمئ غرائزه إليها، فسهل عليها أن تنتزع منه دينه، وأن تردّيه في نفس الحمأة التي تلوث بها عقيدتها وأخلاقها وفطرتها، فما هي إلا أن تَقَتَّلَتْ له بمفاتها حتى صار من كبار دعاة البهائية.

ويصمت الشاب قليلاً، وقد استثار من قلبي كوامن أساه وشجونته، ثم يتابع قصته هذه المبكية المحزنة، وقد شرقت كلماته بالدموع، وغص صوته بأناث الجراح: (وئمت ماتت أمي، وجفتني رحمة أبي، وأزوّرت عني رعايته، فلجأت إلى بيت أخي، لكي أتمم دراستي الثانوية، ثم الجامعية، وتكشفت لي زوج أخي عن صدر حنون، ونفس تذوب حنواً وإشفاقاً، وراح تحيل مأساتي أغاريد بشرى، وبسمات سعادة، فأُنْسيت أمي وأبي، ورويداً رويداً راحت تغازلني أنوثتها ببهائيتها، فما أدري أبهائي أنا اليوم أم مسلم؟).

وكان تساؤل الشاب دليلاً قوياً على أنه تردى في الهوة، وبدأ حدسي يحول يقيناً مما بذهني به من جدال بهائي.

كان مما قلته: إن البهائية تؤمن بالبهاء ربًّا، وبابنه إلهًا، وما أدري كيف تؤمن برب يموت، ونعبد إلهًا يهلك؟ فكان رده: وأنتم أيها المسلمون تعبدون محمدًا! قلت: لك أن تقول هذا عن كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام، كأولئك الصوفية، ومن يسلك سبلهم، أما المسلمون الذين يدينون بكتاب الله، فلا يعبدون إلا ربًّا واحدًا هو الله رب العالمين، ولا يعتقدون في محمد إلا أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، قال: قول يخالفه العمل، وظاهر ينازعه الباطن، ألا ترى المسلمين يدعونه، ويدعون آل بيته إذا ألت بهم ضائقة، بل إذا هموا بعود، أو قيام؟

ألا تراهم يحجون إلى قبره في كل عام مرتين، ألا تراهم يقولون حين يدعون لك بالحج: وعدك الله بحج قبر النبي؟

ألا تسمعهم يقسمون بمحمد، وبشباك ضريح محمد؟!

ومالك تعيب البهائية بعبادة عباس أفندي؟ وعندكم مئات الآلهة والأرباب؟! مَنْ السيد البدوي؟ وَمَنْ هذا، ومن ذاك؟ وما علاقة المسلمين بهذه القباب؟ أليست علاقة العبيد بالمعبود؟ ألا ترى الملايين تحج إلى قبر البدوي ثلاث مرات في كل عام.

لمن هذه الأعياد تُفترى، وباسم من شيدت تلك النصب والقباب؟ وإلى أية قبلة صلاة تتوجه وجوه هذه الملايين في ضراعة وذل وعبودية؟

ألستم تؤلهون الحجر، وتعبدون الخشب والنحاس، وتستغيثون بمواطئ الأقدام، فتخر جباهكم سجدًا عليها أحيانًا ابتغاء وجه امرأة ماتت، أو رجل هلك؟!

اصغ جيدًا، وأنت في الطريق، أو في الترام أو السيارات، اصغ إلى الناس حين

يدعون أو يصلون، أفتسمع منهم داعياً باسم الله؟

إنك لو استغرقت في الإصغاء، فستسمع يا سيدي كل شيء ولكنك لن تسمع أبداً اسم الله يدعى، أو هداه يستهدي، أو رحمته ترجى، ولكنها أسماء موتى، تمجدها ضراعات القلوب، وتسبح بحمدها النفوس، آه يا سيدي حنانك لا تلحني، وعذراك لا تلمني، وحذارك أن تغضب فتنكر.

وتركت الشاب ينفس عن غليل صدره، وينفث أحقادها، ثم قلت له: ما زلت تحكم على الإسلام بعمل المنتسبين إليه؟ وتحمل عليه جناية الزاعمين أنهم أهله، وتظنه أنه هو ما ترى وما تسمع، لا لا يا أخي. فإن الإسلام من كل هذا براء، خذ الإسلام من نبيه الصافين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واحكم عليه بما فيها، واقدره قدره بما يفصلان لك من شرعة الله، أنا لا ألومك على ثورتك، ولا أجد ما تقول، ولكن ما أكذبه وأرميه بالبهتان الفاسق أن تظن بالإسلام مثل هذا الظن، أو تنسب إليه هذه الوثنية الصماء، التي تلطخ برذعتها أولئك الذين تراهم وتسمعهم، ألا تقرأ قول الله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٤-٦].

ثم ألا تقرأ قول الله سبحانه الذي أنزله على رسوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩].

ثم ألم تسمع من فم نبي الإسلام الحق نفسه قوله: «إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١)، هذا من دعاء الإسلام إلى إخلاص التوحيد، وتقويم الذوات بقيم الحق، التي تفصل في جلاء بين صفات الربوبية، وخصائص البشرية، ثم ألا ترى الآية التي تقرر في وضوح الحق وجلاء البيان بشرية محمد ﷺ كيف جاء فيها: ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]، لا: «أنتم بشر مثلي» إن كلمة: ﴿مِثْلُكُمْ﴾ هذه يا بني كافية وحدها في الهداية والدلالة على مقدار سمو التوحيد الخالص في الإسلام. فكأنما البشرية التي فينا بعواطفها وغرائزها، وتجاوبها مع الحياة والوجود، وخصائصها التي تستجيب لما تُقَوِّم به أمور معاشها، كأنما بشرتنا هذه التي نعرفها جيداً بإحساساتنا، ووجداناتنا، كأنما هي القاعدة، كأنما هي المقياس، الذي قيس به بشرية محمد ﷺ.

إنها تؤكد لك أنه ما كان إلا بشرًا، وما تسامى إلا وهو متصف بهذه البشرية، وما صعد إلى الرفيق الأعلى إلا وهو بشر أيضًا، ولكنها البشرية التي لم يبلغها بشر في سموها، وإيمانها وهداها وجهادها، البشرية التي تسامت بعواطفها الشريفة، وغرائزها القدسية عن كل شائبة تمس كرامة الإنسان بعب وواحد، هذا لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ثم ألا ترى كيف وصفه الله بالعبودية في أسمى مقام حلقت فوق ذروته البشرية، في ليلة الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ليت أولئك يفهمون، وليتك أيضًا لا تصرفك البهائية، أو الصوفية الاستعمارية عن الفهم لكلمة ﴿بِعَبْدِهِ﴾، فما كان روحًا إلهيًا، وما حال في هذه الحال إلهًا، ولا

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، برقم: (٣٤٤٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نزع إلا عن عبوديته وإنسانيته، كلمة تضع لك اليقين نورًا هاديًا بين عينيك، ولكنك تغلقهما، وتزعم أن الدنيا ظلام، رأيت لو أن هذه الكلمة لم تكن، لشاب ضلال الناس أثارة من عذر، ولكنها في مكانها من الآية حجة تضيء وتتألق إشراق هداية سماوية.

وشعرت بالشاب يتضاءل جحوده، شعرت به يرتفض كالغريق امتدت إليه فجاءة يد تنقذه، وإذا به يرجوني ويلح في الرجاء أن ألقى أخاه ليسمع مني، وأسمع منه، ليؤمن عن بيعة بصدق أحدنا أو كذبه، وقال: عدني. قلت: وعدًا صادقًا. قال: ألفت نظرك إلى أن أخي عنده مكتبة حافلة بكل المراجع الدينية والتاريخية، فاحذر. قلت: سأتيه وليس معي إلا كتاب واحد، هو القرآن الحكيم، قال: سأتيك لتلقاه، قلت: مرحى.

وظللت أنتظر الشاب، وما زلت حتى اليوم أنتظر، وما أدري، أكان حقًا يطمع في أن يهتدي أخوه، أم كان يطمع في أن يقذف بي أخوه في هوة البهائية، فالشاب كما فهمت منه لم يبق له بالإسلام معرفة سوى أنه يقرأ في كل يوم جمعة سورة يس لأمه الميتة، ويهب لها ثواب قراءته في قبرها!!

هذه مأساة أقصها، لم يوشعها الخيال، ولم تنمقها التهاويل، ولكنها حق وقع هذه، مأساة أقصها ليعلم من لم يكن يعلم، أو لأصك بها أذن من لا يجب أن يسمع، فيؤمنوا أن الصوفية هي التي صورت الإسلام في تلك الصورة التي راح ذلك الشاب يصفها لي، وأن الصوفية هي التي تسلم شبابنا إلى الحقد المرير على الإسلام، وإلى الكفر به، وإلى الهوي عن طوعية واختيار إلى الدرك الأسفل من كل عقيدة ضالة، أو نحلة مارقة، أما لو فهم هذا الشاب - ومثله كثير - دين الله،

ووعاه من كتاب الله وسنة رسوله، لما أضلته ابتسامة بهائية عن الحق، ولما أغوته لمسة بهائية بأن يكفر بالله، ويعبد ميرزا حسين علي^(١)، وابنه عباس أفندي^(٢)، ولكنها الصوفية، الصوفية التي جعلت الشك يعصف بيقين الشباب، فيدفع بهم إلى تلمس الحق بزعمهم في دين آخر، فتتلقفه الشيوعية، أو البهائية، وما ثم إلا صوفية، بيد أنها تلبس قناعاً آخر.

ولعلك مشوق إلى أن تعرف شيئاً عن تاريخ البهائية، ومعتقد البهائية، حديث هذا إن شاء الله في العدد القادم، وأسأل الله أن يمد لنا في العمر حتى ننتك القناع عن زندقة هذه النحلة وأمثالها من القاديانية والتيجانية.



(١) هو الملقب ببهاء الله.

(٢) هو الملقب بعبد البهاء.

البهائية

وليدة التصوف وربيبه الاستعمار (٢) (١)

نشرت مجلة «روزاليوسف» في عددها رقم (١٣٥٤) ما يأتي:
(الرجل الخفي الذي طلق الزوجين) الدين البهائي يفرق بين الزوج والزوجة المسلمين!..

فوجئ الزوجان بإعلان المحكمة الشرعية لحضور نظر الدعوى المقامة ضدتهما..
وتساءل الزوجان عن سر الدعوى... وسر تدخل المحكمة الشرعية وليس بينهما خلاف أو خصام، ولم يشتركا في إرث.
وسأل الزوج عن الشخص الذي رفع الدعوى عليهما، فذكر له اسم لم يسمع به قبل.

واعتقد الزوجان أن في الأمر خطأ، ولكنهما ذهبا إلى المحكمة وتأكدتا أنها المقصودان.. وفي يوم الجلسة عرفا القصة كاملة ولأول مرة.
فقد رفع أحد المسلمين الذين لا تربطهم بهما صلة دعوى أمام المحكمة الشرعية، يطلب فيها أن تفرق المحكمة بين الزوجين؛ لأنها بهائيان... أي أنها يعتنقان المذهب البهائي...

وسألها القاضي: هل تؤمنان بالبهائية؟

ورد الزوجان: نعم..

وأصدر القاضي الشرعي حكمه فوراً بالتفريق بين الزوجين، وقالت المحكمة

في أسباب حكمها:

(إن البهائيين يعتقدون بالوهمية بهاء... وأنه هو الذي يبعث الأنبياء والرسل، وأن موسى وعيسى ومحمدًا أنبياء الله إنما كانوا يبلغون أحكامه ويبينون آياته، وأنه مظاهر أوامره هو وابنه عباس... وليس لأحد أن يدعي هذا الحق من بعده قبل ألف عام على الأقل).

وقال القاضي في هذا الحكم:

(إن هذا الاعتقاد فيه خروج على الدين، وقد أجمع الفقهاء على أن البهائية كفروا؛ لأنهم يمرقون من الدين، ويحللون ما حرم الله، والحكم الشرعي هو التفريق؛ لأن الزوج قد ارتد باعتناقه المذهب البهائي وأصبح كافرًا، ولا يصح للمسلمة أن تكون زوجة لكافر، ولو كفرت بالإسلام مثله...) (١).

وخرج الزوجان من المحكمة يتساءلان عن السر في تقدم الإنسان المجهول بهذه الدعوى ضدهما... هل هو حبيب مجهول للزوجة؟ هل هو إنسان حاقد على الزوج؟ ما زال السر باقياً...

ولكن لم لا تقول المجلة أيضًا: لعله مسلم اهتبلها فرصة لسمع المسلمون كلمة الحق في شأن هذه الطائفة؟!

نعم، فإن فضيلة القاضي الجليل فيما حكم به، وفيما ذكره من أسباب حكمه إنما نطق بكلمة الحق عالية مُدَوِّية، فلفظيلته حق الشكر نؤديه خالصًا إليه في ود وتقدير وإعجاب.

(١) وهو حكم محكمة المحلة الكبرى الشرعية في (٣٠/٦/١٩٤٦م) بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية باعتباره مرتدًا. (ض).

ونعود إلى ما وعدنا به قراءنا الأحبة.

تمهيد:

قضى الإسلام على الوثنية الصماء في جزيرة العرب، ثم أдал من سطوة المجوسية في فارس، وخضد من شوكة اليهودية الحقود والحلولية النصرانية، وراح دعائه وأبطاله، يركزون ألوية التوحيد الخالص، والعدالة المطلقة والمساواة النبيلة على ساحق الذرى، وشامخ القمم.

ترى أئحمد جذوة الحقد، أو يخبو أواره من قلوب أولئك الناقمين من الإسلام ظفره المجيد وانتصاره الرائع، وجمعه لشتات الإنسانية المعذبة الحيرى في وحدة قدسية الروح، سماوية الإخاء علوية المثل، خالدة القيم، تتجاوب مع الحياة عملاً يرفع عمد الحق والفضيلة. وحدة آمن كل من فيها أنهم عباد الله وحده، وأنهم إخوة إذا أشرقت على الشفاه البسمات، أو ناحت بين الجفون الدموع، وحدة لم يعد فيها مكان لظالم ولا باغ ولا حقود ولا حسود، ولا كهنوت يستعبد الخلق لأساطيره ونزواته، ولا صوفية تجحد ربوبية الله وإلهيته، وتجعل مثلها العليا عبادة الرمام، وتقديس

هياكل الوثنية، والخضوع الدليل المقيت لفاجر الشهوات من طواغيتها الباغية؟

لقد تحالفت الصوفية في شتى صورها، ومختلف أسمائها ضد الإسلام، صوفية المجوسية من مانوية وزرادشتية ومزدكية وديسانية، صوفية اليهودية ابتدع فتنها فيلون^(١)، وصوفية المسيحية فتن ببدعتها أفلوطين^(٢)، وصوفية الغنوصية التي

(١) فيلسوف يهودي. (ض).

(٢) فيلسوف يوناني. (ض).

تجمعت فيها كل هذه الزندقات، تحالفت كل هذه الصوفيات التي تمجد الباطل، وتجد الحق، وتُسِفُّ مع الأساطير، وتستعبد لها الخرافة، وتحفل بالوثنية، وتدين بوهم جعلته ربًّا، وما هو إلا أهواء وشهوات جمع بها الحقد على الله، والإفك في تيه باطله وضلاله.

يقول كارل هينرسن بيكر: (في اللحظة التي تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول بدأ الصراع والتصادم، وكان الاعتقاد السائد من قبل أن هذا الصراع قد ظهر في صورة مناظرات جدلية مع المسيحية... أما اليوم فيستطيع المرء أن يدرك أن المانوية والزرادشتية كانتا له عدوتين خطيرتين كالمسيحية على أقل تقدير، وأن «غنوص» المانوية والمذاهب الشبيهة بها كانت خطرة على الإسلام خطرًا مباشرًا)، ويقول: (ولقد سادت روح الغنوص فرق صدر الإسلام كلها، ثم ساد التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين... وظل الإسلام منذ أن قوي قوة كافة يهدده نتاج الغنوص الجامع بين أصول قديمة يونانية وأصول شرقية)، ثم يقول: (ليس من شك في أن الآراء الغنوصية كانت مادة خصبة انتفع بها الفاطميون في دعوتهم الشيعية أولًا، ثم الإسماعيلية من بعد).

ثم يقول: (فالغنوص إذاً كان يحارب الإسلام دينيًا وسياسيًا)^(١).

ويقول جولدزهر: (كان التصوف خصوصًا هو الذي عني بتصوير الكثير من الأفكار الأفلاطونية المحدثه والغنوصية في صورة إسلامية، فعن دوائر الصوفية صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التي قصد بها إلى تبرير قواعد هذا الاتجاه

(١) انظر ص (٨، ١٠، ١١) من التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.

الديني، وهو التصوف^(١).

تحالفت هذه الصوفيات ضد الإسلام، فراحت تكيد له، ورأت أن كيده بالحيلة أنجع، فلم تجد خيرًا من بث أساطيرها وبدعها وخرافاتهما تسمم بها أفكار المسلمين، وتحول بينهم وبين فهم كتاب الله وتَدَبُّر هداياه.

وإذا فسدت عقيدة المسلم فسد خلقه وضميره ودينه، واستعبده الهوى، وساق بعد عبدًا ذلولًا بين يدي عدوه، وإذا فسدت عقيدة الجماعة الإسلامية، فلا تعجب إذا رأيتها تخر ساجدة لكل غاصب، مسبحة باسم كل ظلم، عابدة لكل طاغية، وهل هَوَى بالمسلمين اليوم وقبل اليوم في هذا الحضيض إلا هذا؟ سوى أنهم صوفية يستحبون العمى على الهدى، والموت على الحياة!! ولم لا وأربابهم موتى، وألقتهم جيف وصخور؟!

ونجحت حيلة الصوفية المجوسية اليهودية النصرانية الغنوصية، ولكنها لبست رداءً جديدًا، واتخذت لها اسمًا جديدًا، فذلك دأبها في حربها لكل دين

(١) التراث اليوناني ص (٢١٨)، والغنوص كلمة يونانية معناها في الأصل: المعرفة، أما معناها الاصطلاحي: فهو النزعة إدراك الأسرار الربانية بوساطة ما سماه الصوفية «الكشف».

والذي وضع لها هذا المعنى جماعة عاشوا في القرون الأربعة الأولى من ميلاد المسيح، ومنهم من كانوا مسيحيين، ومنهم من كانوا يهودًا، ومن كانوا وثنيين، وقد خلط أنصار هذا المذهب الحقيقيون إيمانهم بأمشاج من التفكير الشرقي القديم، وبخاصة الفارسي والسريري وباللاهوت اليهودي، وبعض المذاهب اليونانية الفلسفية، وهي الأفلاطونية والفيثاغورية والرواقية، وكونوا من هذا كله نوعًا من الصوفية انظر ص (٨) التراث اليوناني.

سماوي، ذلك الرداء هو التشيع، وذلك الاسم الجديد هو الشيعة، لقد زعمت الصوفية لبعض ضعاف الأحلام، ولبعض من لم تسكن إلى الإسلام نفوسهم سكوناً مؤمناً، أنها قامت لتزود عن حق آل بيت النبوة، ولتأخذ الحق من غاصبيه أبي بكر وعمر وعثمان لعلي، فكان أن زعمت أن علياً هو الوصي، ثم زعمته نبياً، ثم زعمته رباً، ثم خلعت هذه الربوبية على أبنائه وأحفاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، بل قالت على لسان بيان بن سمعان النهدي في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]: أراد به علياً فهو الذي يأتي في ظل من الغمام^(١)، ثم غالت غلوّاً آخر، فزعمت أن الله سبحانه جل شأنه هو الذي تجلّى في صور الأنبياء السابقين، وأئمة آل البيت من بعدهم، يقول ابن حزم: (وأما الغالية من الشيعة، فهم قسمان، قسم أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ لغيره، والقسم الثاني: أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل)^(٢)، ثم يقول: (وفرقة قالت بإلهية آدم عليه السلام والنبين بعده نبياً نبياً إلى محمد ﷺ، ثم بإلهية علي ثم بإلهية الحسن ثم الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، وأعلنت الخطابية بذلك نهراً في الكوفة في ولاية عيسى بن موسى)^(٣).

(١) انظر الملل والنحل (ج١/ ص٢٤٦) ط توفيق، وأرجو أن يحفظ القراء هذا النص فهو عين تفسير البهائية ودعواها في ميرزا حسين علي.

(٢) المفصل (ج٤/ ص١٨٣) ط ١٣٢٠.

(٣) يقول جولدزير: (ووجد الاعتقاد بوجود محمد وجوداً سابقاً أعظم صورة وصل إليها في النظرية القائلة بأنه هو كل التجليات التي تجلت فيها الروح القدسية فلا خلاف بين الأنبياء إلا في المظهر الخارجي، أما في الحقيقة فإنه رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة

وهكذا فضحت الصوفية كل مكنوناتها، ألا تراها في اسمها الجديد عينها في اسمها القديم، عينها فيما كتب ابن عربي وابن الفارض؟ عينها فيما تدين به الصوفية المعاصرة، وإن كانت قد جعلت اسم القطب بدلاً من اسم الإمام. وهكذا استقر في أذهان الشيعة أن ربهم كان وجودًا مطلقًا، ثم تعين أو تجسد في صور متعاقبة، وقفت بها فرقة عند هذا، وأخرى عند ذاك...

ونجحت الصوفية في اسمها الجديد، اسم الشيعة في انتقامها من المسلمين، فقتلتهم وذبحتهم عند بيت الله الحرام، وخلعت الحجر الأسود^(١)، ونجحت مرة أخرى فأقامت لها دولة كبيرة في إفريقيا ضمت جانبها الشمالي كله، وبنت في مصر الأزهر؛ لتدرس فيه عقيدة الفاطمية^(٢) ثم التي سميت بعد ذلك بالدرزية^(٣)،

مختلفة وفي مظاهر جسمية متباينة، وما آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد بمختلف الواحد منهما عن الآخر، ولكنهم جميعًا روح قدسية واحدة متجلية في صور ومظاهر جسمية مختلفة فجوهرهم جميعًا واحد وليس الاختلاف إلا شيئًا ظاهريًا فحسب، وهذه النظرية ترجع في أصلها إلى الغنوصية المسيحية). ص (٢٣٥) التراث اليوناني.

(١) هم القرامطة نسبة إلى قرمط، واسمه: حمدان بن الأشعث، ولقب بذلك لقصر قامته وساقه وهو من «خوزستان» في الأهواز، ثم رحل إلى الكوفة، وكانوا يظهرن التشيع لآل البيت، وحقيقتهم الإلحاد والإباحية عليهم من الله ما يستحقون. [للمزيد انظر الموسوعة الميسرة (١/ ٣٨١) ط: دار الندوة العالمية]. (ض).

(٢) المسماة بالفاطمية كذبًا وزورًا، فهم بنو عبيد القداح الملحد المجوسي، انظر مقال: «عقيدة المعز ونسبه» ص (٦٣٩). (ض).

(٣) الدروز هم أتباع أبي محمد الدّرزي - بفتح الدال المشددة - كانوا أولًا من الإسماعيلية ثم

وأقامت دويلات أخرى في آسيا، وعجيب أن يحتفي المسلمون بذكرى هؤلاء حتى بلغ الأمر حد أن تمثل بعض الجماعات على المسارح روايات تمجد بها هؤلاء، كما صنعوا مع من سموه المعز لدين الله الفاطمي!!

ثم قام المسلمون مرة من كبوتهم، فانتزعوا من الصوفية تلك الدويلات وتلك الدول، وقد ابتدعت الشيعة أو الصوفية حين غلبت على أمرها أول مرة، معتقداً يعززون به خيالاتهم، ويطمئنون به أتباعهم، ذلك هو ادعاء غيبة الإمام ثم عودته، ليجعل كلمة الشيعة هي العليا، وكلمة المسلمين هي السفلى!!!

وسادت عقيدة عودة الإمام المنتظر^(١)!! تلك العقيدة التي افترتها الشيعة؛ لتثبت بها قلوب الضعفاء الذين كانوا يرتابون كلما دالت الشيعة، وغلب المسلمون، وظل الشيعة يترقبون عودة الإمام حتى استبدت بهم اللهفة، وأضنتهم الأشواق، حتى طلع عليهم دجال جديد استغل هذه اللهفة الداهلة، وليث في القلوب كفرًا

خرجوا عليهم ويسكنون سوريا ولبنان.

تقوم عقيدتهم على تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي، وبرجعته، ويتخذون سنة (٤٠٨ هـ) مبدأ لتاريخهم الذي أعلن فيه الدعاة ألوهية الحاكم، وهم يقولون بالتقية، ليس لهم مساجد بل خلوات خاصة، ولا يصومون رمضان، ولا يحجون إلى الكعبة، صدرت فيهم فتوى عن دار الإفتاء المصرية في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤ م: «أنه لا يحل إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا غيرها، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم». [الفتاوى الإسلامية (١/ ٣٠٢)]. (ض).

(١) وهكذا تسربت عقيدة المهدي المنتظر من الشيعة إلى العوام من المسلمين، واختلقت لها أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان.

جديد الاسم.

الشيخية:

ذلك الدجال هو أحمد الأحسائي الذي ولد عام ١٧٤٤م الموافق ١١٥٧هـ، وعلى يد هذا الدجال تطورت عقيدة الإمام المنتظر، فقرر أن الإمام سيوجد بالولادة، يعني ليس الإمام شخصاً، اختفى في بئر أو سرداب كما تزعم الإثنا عشرية، وإنما هو إنسان سيولد بعد، وبهذا استحق الأحسائي لعنة الإثنا عشرية وإعلان الحرب منهم عليه.

وأعان الأحسائي على زعمه بعض أتباع الشيعة، وهكذا نشأت فرقة الشيخية، ويتلخص معتقدهم كما يقول جولدزير في: (أن الصفات الإلهية قد حلت في أشخاص الأئمة وتجسدت، وأنهم القوى الخالقة).

ويعقب جولد زير على هذا بقوله: (وبهذا بلغوا بالأسطورة الإمامية المعروفة إلى مدى بعيد)^(١)، ومات الأحسائي، فتولى زعامة هذه النحلة كاظم الرشتي، فاختلف بسحر بهتانه كثيرًا من الناس، فدانت له الشيخية بالانتشار والذيع؛ وقد راح الرشتي يبشر أتباعه بقرب ظهور الذات الإلهية متعينة في صورة الإمام الذي ينتظرونه، يقول: (في أواسط القرن الثالث عشر للإسلام ينال العالم نعمة تأويل القرآن وتظهر وتتألاً أسرار التنزيل، وبواطن هذا السفر الجليل)، ويقول: (إن أوقات بقائي بهذه الدنيا قد انتهت، وساعة الرحيل قد دنت،

(١) انظر ص (٢٤١) من كتاب العقيدة والشرعية لجولدزير وكتاب عقيدة الشيعة ص (٣٥٠) للمستشرق رونلدسن.

فلماذا تحزنون من نبأ وفاتي؟ ألا ترضون أن أذهب، والحق يظهر؟^(١).

وهكذا استقر في أذهان أتباعه أن مظهر الله، أو المهدي المنتظر، قد قرب ظهوره، ودنا يوم طلوعه، وكان ممن سمع من الرشتي ووعى تبشيريه بقرب ظهور المهدي الشاب علي محمد الشيرازي^(٢).

البابية:

ومضى الشيرازي يحاضر في المساجد بدعوة الشيخية، ولا يزال صدى قول الرشتي: (في أواسط القرن الثالث عشر للإسلام أي سنة ١٢٦٠ هـ) يرن في ذهنه، ويصنع له خيالاته وأوهامه، ويثير فيه جرأة الباطل ليزعم أنه هو الموعود، ومات الرشتي، فمضى أتباعه يبحثون عن رئيس جديد لهم يقوم مقام الرشتي منهم، فحبسوا أنفسهم في مسجد الكوفة يبتهلون أن يوفقوا إلى هذا الرئيس، أو إلى أن يطلع عليهم مظهر الله.

ووصلت أنباء هذه الלהفة الواهة إلى الشيرازي، وجاء عام ١٢٦٠ هـ، العام الذي قرر الرشتي أن مظهر الله سيتجلى فيه، فأعد الشيرازي العدة، ليخدع الشيخية عن بقايا عقولهم، فيزعم لهم أنه هو هذا المظهر الذي بشر به الرشتي، وكان مما يؤمن به الشيخية أن من علائم المهدي المنتظر أنه يكتب تفسيراً لسورة يوسف^(٣)، فأعد الشيرازي هذا التفسير وسماه أحسن القصص، ودفنه في ثيابه

(١) انظر ص (٥٠) وما بعدها و (ص ٥١ / ج ١) الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية، وقد ولد الرشتي عام ١٢٠٥ هـ وهلك سنة ١٢٥٩ هـ.

(٢) ولد عام ١٢٣٥ هـ بشيراز.

(٣) فسر قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]،

للحظة المقررة عنده.

وكان ممن أعجب بالشيرازي الملا حسين البشروي أكبر زعماء الشيعة، أعجب به حين رآه في مجلس الرشتي من قبل، ففكر البشروي في اختياره رئيساً للشيعة؛ وفي اليوم الخامس من جمادى الأولى عام ١٢٦٠هـ، وكان البشروي جالساً مع الشيرازي يرمقه بعين العبودية الذليلة، بغت الشيرازيُّ صاحبه البشروي بأنّه هو المهدي المنتظر!! وريع البشروي روعة الفرحة المفاجئة، ولكنه قال للشيرازي: «إن من علائم المهدي أن يكتب تفسيراً لسورة يوسف»، ويُدخل الشيرازي الذكي الخاتل الذكاء يده في ثيابه، ثم يخرجها وفيها ما دفنه وأعدّه لهذه اللحظة من قبل.

وينظر البشروي، فيرى تفسير السورة، فيخر ساجداً بين يدي الشاب الذكي!! وهكذا استلب دهاء الشاب كل تفكير البشروي الذي دلل بهذا على أنه مأفون عاش للخرافة وحدها يعبدها ويمجدها، فدان به، وكان أول الناعقين بمهديته، ولهذا سمي بباب الباب، بعد أن لقب الشيرازي نفسه بالباب، (وكان مقصوده من كلمة بابية أنه واسطة الفيوضات من شخص عظيم محتجب للآن خلف ستار العزة ومتصف بكمالات لا تعد، ولا تحصى وأنه متحرك بإرادته

بأن المراد من يوسف هو الحسين بن علي، والمراد بالشمس فاطمة، والمراد بالقمر محمد، والمراد بالكواكب الأحد عشر أئمة الحق في زعمه فهم الذين سيكون سجداً على يوسف!! وما جاء الشيرازي بجديد فقد تواصلت الشيعة من قبله بمثل هذا اللون من البهتان المكذوب.

وتمسك بحبل ولايته^(١)، هكذا فسرت البهائية من بعد هذه الكلمة إذ زعموا أن الباب إنما كان يتلقى الوحي من البهاء، والبهاء لم يخلق بعد، أما الباب نفسه، فيشير إلى الحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها^{(٢)(٣)}.

وهذه اللفظة بالذات قد استعملتها الإسماعيلية في الدلالة على الأساس الذي يعلم الناس أسرار الدين^(٤).

ويقول صاحب كتاب بهاء الله والعصر الجديد وهو من البهائية ص(٢٤): (الباب لم يكتف بدعوة المهدوية بل تلقب بلقب النقطة الأولى، وهذا لقب لقبه المسلمون لحضرة محمد^(٥) أي النقطة المحمدية حتى أن الأئمة أنفسهم كانوا

(١) انظر ص(٢٢) من كتاب بهاء الله والعصر الجديد.

(٢) رواه الحاكم في المناقب من مستدركه عن ابن عباس به مرفوعاً، والترمذي في المناقب من جامعه عن علي مرفوعاً بمعناه، وقال إنه منكر. وكذا قال البخاري، وقال: إنه ليس له وجه صحيح، وقال ابن معين: إنه كذب لا أصل له. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي على ذلك، انظر تمييز الطيب من الخبيث للشيباني.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم: (٣٧٢٣)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٣١٣): موضوع.

(٤) انظر ص(٦٨) وما بعدها من كتاب قواعد عقائد آل محمد.

(٥) هذا افتراء فما صنع هذا سوى الصوفية يقول كازل هينزسن: (إن الغنوص قد أثر في إيجاد هذه الصورة التي صورتها العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سبباً أيضاً في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة). ص(١٢) تراث، هذه كلمة مفكر ما يظن به أنه يحابي الإسلام!!

يعدون لأنفسهم مقامًا بعد مقام النقطة وكانوا يستمدون منها قوتهم وأحكامهم، وباتخاذ هذا اللقب، ادعى الباب أنه من عداد كبار مؤسس الأديان كمحمد).

والباب نفسه يقول: (كنت في يوم نوح نوحًا، وفي يوم إبراهيم إبراهيمًا، وفي يوم موسى موسى، وفي يوم عيسى عيسى، وفي يوم محمد محمدًا، وفي يوم علي قبل نبيل علي ولاكونن في يوم مَنْ يظهره الله مَنْ يظهره الله، وفي يوم من يظهره من بعد من يظهره الله من بعد من يظهره الله.. إلى آخر الذي لا آخر له، مثل أول الذي لا أول له، كنت في كل يوم ظهور حجة الله على العالمين^(١))

(١) ص (٢٣٧) التراث اليوناني، وقارن بين هذا وبين قول كليانس المسيحي الإسكندري:

(ليس ثمة غير نبي صادق واحد، هو إنسان خلقه الله وزوده بروح القدس يمر خلال عصور العالم منذ البدء بأسماء وصور متغيرة). ص (٢٣٥) التراث اليوناني، وقارن أيضًا

ما ذكره الشعراني في طبقاته من قول إبراهيم الدسوقي:

نعم نشأ في الحب من قبل آدم	وسرى في الأكوان من قبل نشأتي
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد	على الدرة البيضاء في خلوتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه	بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا	وأسكن في الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهدي ناطقًا	وأعطيت داودًا حلاوة نغمتي
أنا كنت مع نوح بما شهد الوري	بحارًا وطوفانًا على كف قدرة

ص (١٥٨) الطبقات ط صبيح. قارن بين قول الباب وقول الدسوقي فلن تجد فرقًا إلا في أن هذا شعر، وذاك نثر، ثم قارن كليانس بالدسوقي والباب لتؤمن أن الصوفية حديثًا

وهكذا اعتقد الشيرازي في نفسه كما يقول جولدزير: (أنه هو أرفع مراتب الحقيقة التي حلت في شخصه حلولاً مادياً جثمانياً، وقد اختلفت في شكلها الظاهري فحسب مع المظاهر السابقة لهذه المادة الروحانية المنبعثة من الله تعالى، ولكنها في حقيقتها وجوهرها تتماثل معها تماماً، فموسى وعيسى اتخذوا من شخصية الباب سبيلاً إلى العودة إلى الدنيا، كما تجسد في شخصه غيرهما من الأنبياء الذي تجلّى العقل الكلي الإلهي في صورهم الجثمانية منذ أقدم العصور والأحقاب، وكما أنه فيما بثه من التعاليم رأى في شخصه الممثل الحقيقي للأنبياء السابقين والمعبر عن رسالاتهم - وهي فكرة ترجع في أصلها إلى الغنوصية، وجاءت بها الفرق المسيحية التي خرجت على الكنيسة قبل ظهور الإسلام - فقد أعلن كذلك أن هذا التجلي للروح الإلهي الذي تجسد في شخصه لهداية أهل عصره سوف يتجدد في المستقبل)^(١).

وقد ضمن الباب آراءه ومزاعمه كتابه الذي سماه «البيان» والذي زعم أنه أوحى إليه به، وأنه أجلى وأوضح وأجل هداية من القرآن، وإن تعجب فعجب استشهاد هذا الدجال على زعمه بقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٢) [القيامة: ١٩]. يريد

كادت لدين الله بعين ما كادت به القديمة.

(١) العقيدة والشريعة لجولدزير ص (٢٤٢) وما بعدها.

(٢) كذلك زعم ميرزا حسين علي الذي لقب نفسه بالبهاء، زعم الدجال في قوله سبحانه:

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾^(٣) [البينة: ٢]، بأنه هو هذا الرسول، وأن الصحف هذه

هي صحفه التي افتراها.

أن كتابه وحي سماوي أنزله الله لبيان معاني القرآن!! وياله من بيان!! إنه الكفر طافحًا، والزندقة فاجرة!!

وقد أعان الباب على دعوته امرأة كان لها من سحر الجمال، وجيشان الأنوثة بالفتنة الصاخبة، وانسياب الغريزة تعطي كل وارد، كان لها من كل هذا أسلحة فتاكة تأسر لفتنتها الخلوب الألباب، وتخرجها عن كل معتقد إلى حيث يشاء هوى هذه المرأة وتبغى شهواتها الهيم، لقد فسقت هذه الغانية الهلوك عن أبيها وأهلها وزوجها، ثم انطلقت تجالس الرجال، وتغازل الحيوانات الضارية الكامنة في أعماقهم، وتراودهم عن رجولتهم وأخلاقهم وأفكارهم، حتى غدت مطاف الهوى، ومهوى الشهوة، ومراد كل فاجر.

وبتأييد هذه المرأة نال الباب شهرة واسعة، وحصل على كثير من المريدين!! وماذا يهمه!! وقد سلّح نفسه بعرض امرأة، وقد راح يجذب المريدين إليه بفتنة أنثى!! هذه المرأة التي أيدت الباب بأنوثتها القتل المتبرجة هي أم سلمى هانم، والتي سميت بعد بزّين تاج أي التاج الذهبي، إذ كانت جدائل شعرها ذهبية، وقد لقبها الرشتي بقرة العين!!

وتأمل هذا اللقب الغزلي الذي صنعتته شهوة رجل محروم، ثم لما شاعت عنها أوزارها وخلوتها بالرجال مهتوكة الحجاب، منسدلة الجداول الذهبية، لقبها الباب بالطاهرة!! وإنه لثمن زهيد يعطيها الباب إياه، وقد باعت نفسها للراغبين من أجله!! ومن أجلها حرّم الباب الحجاب على المرأة!! ولم لا، وقد رأى أثر هتك الحجاب، وشاهد ماذا صنع الوجه المكشوف، والشعر المسبل على الصدر العاري؟! وظل الباب يدعو سادرًا في غيه، بل لقد ذهب بنفسه إلى الحج في مكة

ووصلها في ديسمبر سنة ١٨٤٤ ميلادية، وثمت أعلن دعوته أمام جم غفير من الحجاج.

وقد أعلن الباب دعوته وهو في سن الخامسة والعشرين، وقد أثار بدعوته شيوخ الشيعة الإثنا عشرية!! ولا ندري بأي حق يثورون عليه، وهم أنفسهم متلطفون بهذه الردغة، ولكنه الكفر يحاول أن يكون هو الأشد كفرًا من غيره! ولو أن الشيعة لم تبتدع أسطورة الإمام المنتظر، وبينوا عليها دينهم ودنياهم، ما كان يجيء مثل هذا الأفك ويزعم هذا الزعم. إنهم أعطوه سلاحهم المغلول، فضرب به أول ما ضرب صدورهم هم!! فعلى من تقع التبعة أولاً؛ لقد علمته الشيعة الكفر من ألفه إلى يائه، وأترعته من حميمه وغسلينه، فلماذا تلومه إذا وقف يقيء أمامهم أدناسه وأقذاره؟! فلا تعجب إذا سمعت أن الباب استطاع أن يظفر بكثير من شيوخ الشيعة في كثير من منازلته؛ إذ كان ضلاله وباطله أشد طغيانًا من باطلهم وضلالهم، وكان سم كفره أشد فتكًا من سم كفرهم!! إنهم دانوا قبله بخرافة هذا المنتظر، ومنهم استمد هذه الأسطورة، ثم غلفها هو بهواه وسحره، وقدمها لهم في صورة جديدة، أو وجه جديد، هذا هو فرق ما بينه وبينهم. إنه كفر كفرهم وبإلحادهم ألحد، ثم ضم هواه إلى ذلك ذكاءً شيطانيًا، فألزمهم الحجة؛ لأنهم سادته الأولون فيما اعتنق من كفر فماذا يقولون له؟ لو أنهم كانوا مسلمين حقًا لألزموه الحجة من أول منازلة، ولصرعوه من أول ضربة، ولكنه بخرافتهم احتج عليهم، فغلبهم مرة، وغلبوه هم أخرى.

وأثار الباب بدعوته هذه فتنة كبيرة، فاختل أمن الدولة، واضطرب نظامها، فعقد له مع شيوخ الشيعة مجلس مناظرة في شیراز، وفي هذا المجلس قرر مناظروه

وجوب قتله، إذ وجدوه مصرّاً على كفره رغم ظهور الحجة عليه، بيد أن الحكومة الإيرانية لم تسارع إلى تنفيذ الحكم رجاء أن تهدأ القلاقل والفتن، بيد أن أصحاب الباب أثاروها فتنة شعواء، فقبضت الحكومة عليهم، وزجت بهم في السجون، ثم خزمت أنوفهم وطيف بهم في الأسواق في شيراز، وأرسل أحد الحكام ثلة من الجنود إلى «بوشهر» التي كان الباب قد سافر إليها، فقبضت عليه، وعادت به إلى شيراز، ثم أُدخل إلى مجلس مناظرة عقد له، فكان أن ابتدر الحاضرين بقوله: (أما أن لكم أيها العلماء أن تنبذوا الهوى، وتتبعوا الهدى، وتركوا الضلال، وتدعنا لأوامري، فإن نبيكم لم يخلف بعده غير القرآن، فهاكم كتابي البيان، فاقرأوه تجدوه أفصح من القرآن، وأحكامه ناسخة لأحكام الفرقان، فأمنوا بي قبل أن تسل السيوف وتوضع في رقابكم).

وانتهى المجلس بإصراره على معتقده، فأفتى البعض بقتله، وأفتى آخرون بجلده، ولكن ضمنه خاله على أن يعتقل الباب في البيت، ولا يتصل بأحد. بيد أن شاه إيران أرسل إلى واليه في تبريز أن ينفذ أمر الإعدام في الباب، فسيق إلى ساحة الإعدام بعد أن تبين إصراره على معتقده في مناظرة أخيرة له مع رئيس المشيخة في تبريز الملا محمد الممقاني، سيق إلى ساحة الإعدام مع اثنين من أتباعه، أما أحدهما واسمه حسين التبريزي فبريء إلى الله منه، وراح يلعنه ويصق في وجهه، وبعد إعدامه هو وصاحبه محمد علي المازندراني، أمرت الحكومة بسحب الجثتين، وجرحهما في الشوارع والأزقة، ثم ألقيتا ليلاً بأحد الخنادق طعمة للطيور الجارحة، وكان إعدامه في شعبان سنة ١٢٦٥ هـ الموافق يوليو سنة ١٨٥٠ م وكان سنه إذ ذاك يقرب من إحدى وثلاثين سنة، وأعدم كثير من أتباعه.

ويقول البهائيون عن الباب: أنه: (كان مثل يوحنا المعمدان مصرًا على أنه لم يكن سوى البشر الذي أرسله الله لتهيئة الطريق أمام شخص أعظم منه يأتي بعده، فكان ينادي بقرب ظهوره العظيم وبأن شمس الحقيقة ستظهر للناس في الهيكل البشري بالعظمة والإجلال)^(١).

ويقول الباب نفسه: (أنا حرف من ذلك الكتاب الأعظم. وقطرة من ذلك البحر الذي لا ساحل له، وعند ظهوره تظهر حقيقتي وبواطني وأسراري وألحاني، وينمو جنين هذا الدين في مراتب الوجود والعلا، ويصل إلى مقام أحسن تقويم، ويتزين برداء تبارك الله أحسن الخالقين)^(٢).

وهكذا قرر الباب أن سيجيء من بعده إنسان تتجلى فيه الذات الإلهية في كمالها، وظهورها الأعظم، وسيتلقف الميرزا حسين علي هذه الأكذوبة الضخمة، ليعلم للناس أنه هو الله ذاتًا وصفة وفعلاً، وسبحان الله رب العالمين.

القيامة والجنة والنار عند الباب:

يقول البهائي البرفسور ج (١٠) أسلمنت: (إن جزءًا مهمًا من تعاليم الباب خاص بتفسير القيامة ويوم الجزاء والجنة والنار. ومعنى القيامة كما يقول هو: ظهور مظهر جديد لشمس الحقيقة^(٣) ومعنى القيام من الأموات هو اليقظة الروحية لمن هم نيام في قبور الأوهام والجهالة والشهوات، ويوم الجزاء هو يوم

(١) صـ (٢٨) كتاب بهاء الله والعصر الجديد.

(٢) صـ (٢٨) كتاب بهاء الله والعصر الجديد.

(٣) أي: ظهور الذات الإلهية في صورة بشرية جديدة.

الظهور الجديد الذي فيه يحصل الفصل بين أغنام الله الذي يقبلون وحيه، وبين الذين لا يقبلونه، واللجنة هي السرور بمعرفة الله ومحبه كما بينها مظهره، وأما النار فهي الحرمان من معرفة الله^(١)، ويتج عنها عدم الوصول إلى الكمال الإلهي، وقد قرر بصراحة أن هذه الكلمات: «القيامة واللجنة والنار» لم يكن لها معنى غير ذلك و أن الأفكار السائدة الخاصة بقيام الجسم المادي، وباللجنة والنار المادية وأمثالها إنما هي اختراع وهمي^(٢).

ونحن ننقل هذا القول عن البهائيين أنفسهم، حتى لا يراوغوا، كما راوغوا جبهة علماء الأزهر في ردهم على بيانهم الذي أصدره تحذيرًا للمسلمين منهم^(٣). ننقله لنقرر هذه الحقيقة وهي أن الباب ينكر إنكارًا بآثا القيامة واللجنة والنار والجزاء بالمعنى الصحيح، وبالصورة التي جلستها كل الكتب السماوية، وهذا أحد أنواع كفر الباب، وهو كفر غير مبتدع، بل إنه مقلد فيه غيره ممن سبقه من الباطنية والقرامطة، وغيرهم.

ولياخذ المسلمون من قصة هذا الدعي لهم عبرة، هذا شاب مفتون استطاع أن يفتن الآلاف عن معتنق آبائهم وأجدادهم، لماذا؟ لأنهم كانوا عبيد خرافات، وأحلاس أساطير، وشيع ضلال، فاستطاع أن يغرر بهم، وأن يفتنهم بسحره، وأن

(١) يعني: معرفته وهو متجسد في صورة مظهره الجديد من البشر.

(٢) ص(٢٨) وما بعدها من كتاب بهاء الله والعصر الجديد.

(٣) يقصد الشيخ رحمه الله فتوى لجنة الأزهر الصادرة في ٢٣/٩/١٩٤٧م، وفي ٣/٦/١٩٤٩م، والتي جاء فيها تقرير ردة من يعتنق البهائية. (ض).

يخلعهم من كفرهم إلى كفر أشد شناعة، وأخبت طوية، فليحذر المسلمون. فما ثم لشبابنا نجاة من الآراء المنحرفة، والعقائد الزائفة، والمذاهب الهدامة، إلا إذا تبين هذا الشباب حقيقة هذا الدين الإسلامي من نبعيه الصافيين وحدثهما، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلا إذا تجاوب مع دينه الحق توحيداً خالصاً، وإيماناً صادقاً وعملاً صالحاً وجهاداً دائماً.

ليحذر المسلمون في مصر وغيرها فإن الاستعمار يضع في كل بلد إسلامي فخاً من فخاخه، وعصابة من عصاباتة تترأى دائماً بأنها عصابة الإسلام الحق، كما يزعم الصوفية، وإنما تدعو لوحدة المسلمين، كما تأفك جماعة التقريب^(١) التي

(١) يقول مؤرخو حركة التقريب المعاصرة بين أهل السنة والشيعة: إنها بدأت في مصر سنة ١٩٤٨م، بقيادة شيخ الأزهر وقتئذ عبد المجيد سليم، وتشكلت جماعة التقريب من مجموعة من الشخصيات البارزة في ذلك الوقت، وهم: الشيخ محمود شلتوت الذي صار شيخاً للأزهر فيما بعد، ومحمد تقي الدين القمي، وقد تقلد منصب الأمين العام للجماعة، وكان الشيعي الوحيد في الجماعة، والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين عضواً، والأستاذ حسن البنا المرشد العام الأول لجماعة الإخوان المسلمين عضواً، واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين عضواً، ومحمد علي علوبة باشا عضواً.

وأصدروا مجلة «رسالة الإسلام» التي استمر صدورها ستة عشر عاماً، ولم تتوقف إلا سنة ١٩٦٤م.

ثم نأتي للفتوى:

أولاً: قصة الفتوى يحكيها الشيخ محمد حسنين مخلوف رَحِمَهُ اللهُ - المفتي الأسبق، وأحد الذين عاصروا هذه الفتوى، يتحدث فيقول: (بدأت فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة حين كان بمصر رجل شيعي اسمه «محمد القمي»، وسعى في تكوين جماعة سماها جماعة

التقريب، وأصدر مجلة التقريب، وكتب فيها بعض الناس، وأنا لم أكن موافقاً لا على التقريب ولا على المجلة، ولذلك لم أكتب في المجلة ولم اجتمع مع جماعة التقريب في مسجد ما، وقد سعى «القمي» لدى شلتوت في أن يقرر تدريس مادة الفقه الشيعي الإمامي في الأزهر أسوة بالمذاهب الأربعة التي تدرس فيه، وأنا حين علمت بهذا السعي كتبت كلمة ضد هذه الفكرة وأنه لا يصح أن يدرس فقه الشيعة في الأزهر، ألا ترون أن الشيعة يميزون نكاح المتعة ونحن في الفقه نقرر بطلان نكاح المتعة وأنه غير صحيح، وقد أبلغت هذا الرأي لأهل الحل والعقد في مصر إذ ذاك وأصدروا الأمر لشيخ الأزهر بأنه لا يجوز تدريس هذا الفقه ولم ينفذ والحمد لله اهـ.

[نقلًا عن «مسألة التقريب» للدكتور ناصر القفاري (٢/ ٣٥٨)].

ثانيًا: ما ذكره الشيخ محمد حسنين مخلوف المفتي الأسبق رَحِمَهُ اللهُ أَكْده الشيخ شلتوت نفسه حين سئل عن زواج المتعة - وهو جزء من الفقه الشيعي - فأجاب الشيخ شلتوت بأن أمثال هذا الفقه الذي يبيح زواج المتعة لا يمكن أن يكون شريعة الله.

ففي «فتاويه» ص (٢٧٥) يقول عن زواج المتعة: (إن الشريعة التي تبيح للمرأة أن تتزوج في السنة الواحدة أحد عشر رجلًا، وتبيح للرجل أن يتزوج كل يوم ما تمكن من النساء دون تحميله شيئًا من تبعات الزواج؛ إن شريعة تبيح هذا لا يمكن أن تكون هي شريعة الله رب العالمين، ولا شريعة الإحصان والإعفاف!!) اهـ.

فما الحال لو تكلم الشيخ عن عقائدهم المنحرفة؟!

ثالثًا: لم يتعرض الشيخ شلتوت في فتواه للعقائد، وإنما كان كلامه منصبًا في العبادات والمعاملات، ويؤكد هذا قوله: (ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات) اهـ. ولم

يتحدث عن الأصول والعقائد؟

ومن المعلوم أن ببيان العبادات والمعاملات لا بد له من أساس سليم هو الاعتقاد الصحيح! =

خدعت كثيرًا من شيوخنا، والتي أفلحت في أن تجعل الشيعة مسلمين، بل في أن تجعل كثيرًا من المسلمين وواأسفاه شيعة.
اللهم قد بلغت... اللهم فاشهد.

والناظر في عقائد القوم يرى العجب العجائب!! فالمشكلة عندهم لا عندنا!
والذي يطالع فتاوى شلتوت في ذم البدع والإنكار على المبتدعة وخاصة بدع القبور والأضرحة والغلو يجد كلامًا قويًا فما هو الحال لو اطلع الشيخ على ما هو موجود في أصول المذهب الإمامي من عقائد منحرفة؟!

وبوضوح شديد نقول: إنه من المستحيل التقريب بين السنة والشيعة في الاعتقاد؟
يقول الشيخ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ: (إن استحالة التقريب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول). اهـ.
رابعًا: الشيخ شلتوت يتحدث تحديدًا عن الشيعة الإثني عشرية الإمامية، ومن الثابت تمامًا أن ركن الإمامة يعد أصلًا من أصول المذهب، ولهذا سمووا بالإمامية.
وهذا الركن يتناقض تمامًا مع دعوى التقريب!!

فأهل السنة لا يعترفون بما يسمى بركن الإمامة والولاية لاثني عشر إمامًا معصومين.
ولم يقل أحد منهم: أن من فضل عليًا على أبي بكر أو قدَّمه في الخلافة يكفر ويخلد في النار.
أما الشيعة الإمامية، فحسب ما في أصول مذهبهم: أن منكر ولاية واحد من هؤلاء كافر مخلد في النار.

وعلى هذا فالشيخ شلتوت نفسه وباقي المسلمين الذين لا يدينون بهذا المعتقد في الإمامة كفار على ضوء أصول مذهب الشيعة الإمامية!! [لمزيد فائدة انظر: كتاب مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د: ناصر القفاري]. (ض).

البهائية

وليدة التصوف وربية الاستعمار (٣) (١)

زعم الميرزا «علي محمد الشيرازي» الملقب بالباب لأتباعه أنه ليس الظهور الخاتم لظهورات الذات الإلهية، وإنما هنالك إنسان آخر سيكون هو المظهر الأتم الأكمل لحقيقة الربوبية والإلهية، إذ تتجسد فيه بكل صفاتها الكاملة، وأفعالها التامة، وعلمها المحيط، وإرادتها القاهرة، وقِيُومِيَّتِها الشاملة (٢)، وقد سجل الميرزا هذا الهراء الأحق، أو الهوس المأفون في كتابه: «البيان» (٣).

كل هذا ليشد أتباعه إليه، وليثير في نفوسهم شهوات الهوى، ونزوات الطمع في أن يكون واحد منهم هو هذا المظهر الذي يبشر الباب به، أو يهرف بأساطيره الخادعات!!

وكان ممن كفروا بالله، وآمنوا بالباب أخوان غير شقيقين، أحدهما هو «يحيى» والآخر - وهو الأصغر - «ميرزا حسين علي» ورأى الباب أن يحيى أجدر بأن يكون مناط عهده وخليفة أمره، فألقى عليه ظله، وزمزم باسمه، ولذا لقبه بألقاب (١) (٤/ ١٣٧٤هـ).

(٢) انظر ص (٤٠٥) وما بعدها، ص (٤١١) من كتاب: الكواكب الدرية في تاريخ البابية والبهائية الجزء الأول، ص (٢٧) من كتاب: بهاء الله والعصر الجديد.

(٣) هو ما زعم الباب أن الله أوحى إليه به، وقد سماه بذلك ليجعل من قوله سبحانه:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ﴾ [الرحمن: ٣ - ٤] حجة له!! وإها له من

احتجاج.

منها «الأزل، الوحيد، المرأة».

وأمر الباب أصحابه أن يمجّدوا اسم يحيى بين الناس، وأن يبشّروا به في المتديّات على أنه ولي عهد الباب، أما ميرزا حسين علي، فلم يعهد الباب إليه بشيء، ولهذا يزعم البهائيون أن الباب عهد إلى يحيى في الظاهر، وإلى حسين علي في الباطن، ليصرف أعداء الدعوة عن حسين، ويوجههم إلى يحيى!!! ولا ندري من أين جاءوا بهذا الإفك؟ ولكن فيم التساؤل، ودينهم هو الإفك الظلوم المفترى!! ولقد كان حسين ألمع ذكاء، وأدهى دهاء، وأجلى وضوح جمال من يحيى، فصابر طاويًا نفسه على دَخل، يترقب اللحظة التي يستطيع فيها أن يضرب ضربته. فيطيح بأخيه يحيى من على عرش المظهرية الإلهي المزعوم!! فراح يبيث الدعاية لنفسه بين أتباع الباب، ويخلبهم بسحر نجاواه الناعمة الرقيقة، ويغدق عليهم من ماله، إذا ألت بهم كارثة، فلا عجب أن يستحيل الأكثرية الغالبة الساحقة من أتباع الباب، وأن يحيلهم أبواق تمجيد له، ومزامير ثناء عليه، بل عبيد شهوة، وسدنة طاغوت.

ومن ناحية أخرى راح حسين يوثق صلاته بسفراء الدول الأجنبية، ووجد من السفير الروسي^(١) مطية ذلولًا ونجي إثم، ومستودع سر لما يكيد لإيران، فحنا عليه، وقربه منه، وأمدّه بعونه ليجعل منه ومن أتباعه سهامًا يوجهها إلى صدر

(١) كانت إيران حينذاك مسرحًا للنضال الخفي بين روسيا وإنجلترا، وكان سفير كل دولة منها يحاول ما أمكنته المحاولة وما واثته الفرصة أن يوسع بها رقعة دولته، فكان الباب ورديفه البهاء المطية الأولى للاستعمار.

إيران إذا حانت اللحظة!! وهكذا الاستعمار دائماً يتخذ مطاياها من أدعياء التدين الزائف، ورهابين الصوفية، ودراويش الوثنية العمياء!! ليصل عن طريقهم إلى ما يريده من استعباد شعوبهم لبغيه وهواه.

وفي عام ١٨٥٢م - أي بعد إعدام الباب بعامين - اعتدى أحد أتباع الباب على شاه إيران تنفيذاً لوصية استعمارية - بأن أطلق النار عليه، فلم تصب منه مقتلاً، وقبض على المعتدي، وعلى كثير من البابيين، ومنهم ميرزا «حسين علي» وزج بهم في السجون.

واليك ما يقوله حسين علي عن هذا: (أخذونا، وسيرونا مترجلين، عاريي الرأس والأقدام، مقيدين بالسلاسل من نياوران إلى أن أوصلونا لسجن طهران، لأن أحد السواري الظلمة أخذ القلنسوة من رأسي، وألجأنا المأمورون والجلادون للسير بسرعة زائدة، وأما السجن الذي كان محل ورود المظلوم والمظلومين فكان في الحقيقة أفضل منه قبر مظلم ضيق، وعند ورودنا فيه، أدخلونا سرداباً مظلماً إلى أن وصلنا إلى المقر المعين لنا، أما ذلك المقر فكان مظلماً ظلاماً حالكاً ويشغله نحو مائة وخمسين مسجوناً من السارقين وقطاع الطريق والقاتلين، ولم يكن له نافذة مع اشتداد هذا الزحام سوى الطريق الذي دخلنا منه، وتعجز الأقلام عن وصفه، وتقصّر العبارة عن بيان روائحه المنتنة، وكان ذلك الجمع أكثرهم من غير لباس وفراش).

ثم يخفض الرأس ذلة وعبودية، ويتوجه إلى من بيدهم الأمر يستدر عطفهم، ويتنصل من تبعة الجريمة وحده، فيقول: (وكنا نفكر في ذلك السجن في الأيام والليالي في أحوال البابيين وأعمالهم وحركاتهم، ومع علو وسمو إدراك هذا الحزب نعجب كيف ظهر منهم هذا العمل، يعني تلك الجسارة، والتهجم الحاصل من هذا

الحزب على ذات الشاه، وبعد ذلك عزم هذا المظلوم بعد خروجه من السجن، أن يقوم بتمام المهمة على تهذيب هؤلاء النفوس^(١)!!

نقلت هذه الشكاة الآسية التي انهارت فيها عزيمة الميرزا حسين علي، وخارت إرادته، ووهى جلده، حتى ليصف عمل حواربي سيده ومولاه الباب بأنه أمر منكر!! بل فيه تهجم على ذات كريمة هي ذات الشاه!! ويصف البابين بأنهم غير مهذبين!!

أقول: نقلت لك هذا الصريخ الحيواني، لأسألك، ثم لتجيب: أهذا كلام رب قدير؟! لقد زعم الأفاك ميرزا حسين علي هذا أنه رب الأرباب وأنه أفضل وأتم وأجل مظاهر الحقيقة الإلهية التي تجلت على التعاقب في صور الأنبياء والرسل!! وأن هراءه وهوسه وإفكه في كتاب «الإيقان» خير ما تكلمت به الذات، وخير ما أوحى به ربوبية الله وإلهيته، وأنه أذكى شريعة، وأسمى هداية، وأهدى بيانا وأقدس إشراقا من القرآن!!

لقد أكد الميرزا المأفوك لأتباعه أنه هو المشرق الأعظم للذات الإلهية أزلا وأبداً، وأنه هو رب الوحي إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد!! فاقراً ما كتبه هنا، وقارن بين ما كتب وبين زعمه الباطل المجنون!!

اقرأ ما كتبه وفيه رائحة البشرية التعسة المنكودة المقهورة المغلوبة، المنتنة الذل، الوضيعة الحقارة، ثم قارن ما كتب بما زعمه من أنه رب قهار قدير قيوم، أزلي الوجود وأبدي في علمه، ومن قدرته، ومن خلقه!!

يقول ميرزا هذا: (تعجز الأقلام عن وصفه^(١))، وتقتصر العبارة عن بيان روائحه المتننة، أخذونا، وسيرونا مترجلين، عاربي الرأس والأقدام مقيدتين بالسلاسل).
 أينفج عليك من هذا رَوْحُ الكلام الإلهي؟ إنه أنين الذلة المهينة أو حشرة البشرية المستعبدة، وآهات المسكنة المستذلة!!

وإنه لجميل أن نستروح هنا نفحات من ريا الإيمان الخالد، تسمو بأرواحنا إلى حيث نشهد المثل العليا للبطولة المجيدة والإيمان الذي ترجف الدنيا حوله، وهو في المحراب قانت الضراعة، ريان الخشوع.

انظر إلى سيد الخلق وخاتم الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه، حين جحدته الطائف، وردّه بنو ثقيف، رد الباطل الغشوم للحق المسالم، إن محمداً هنا - ككل أيامه الخوالد - يبلغ ذروة القمة العليا للإنسانية في إيمانها الأعظم وقوة روحيتها التي تجرف أمام تيارها الدافق مرارة الألم، وعتو اليأس وشجون العذاب، يقول: «إلهي أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلمي»^(٢) ويخشى النبي الأعظم أن يكون في هذا التساؤل ما يمس جلال اليقين الروحي بظن

(١) اقرأ يازاء هذه البشرية المستخذية المستجدية قول ربك القدير: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقوله جل شأنه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا يَمْثِلُهُ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

(٢) عزاه الهيثمي في المجمع (١١ / ٦) إلى الطبراني، وأخرجه ابن عدي في الكامل (١١١ / ٦)، وغيرهما، من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣): ضعيف.

شائبة، فيهتف بها من أعماق أعماق روحه المؤمن، فيصغى إليها الوجود كله في إعجاب وصلاة وإكبار: «إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي»^(١)، هذا هو الإيمان، إن شئت قبساً من أفق نوره الأعظم!

ظل ميرزا حسين في السجن أربعة أشهر، يرى أصحابه يعذبون ويقتلون، ويُنكَلُ بهم شر تنكيل، أما هو فكان مطمئناً ينتظر نتيجة ما كان قد سعى إليه من قبل، إنها عبوديته الصاغرة، وصغاره الذليل للاستعمار الروسي!! ولم يخيب المستعمرون ظنه، وكيف وقد عبّذوه وطأء لهم؟! فسعى السفير الروسي في شأنه، فكان أن أطلق سراح ميرزا حسين أو البهاء كما لقب نفسه من بعد!!

وانظر إلى المكر الخفي، والدهاء المكير من الاستعمار كيف خلفه في السجن أربعة أشهر!! إنه يطمع من وراء هذا أن يلقي غشاوة على الأبصار - بترك ميرزا حسين سجيناً - فلا ترى ما بين العبد ومن اشتراه، أو ما بين الاستعمار وحمولته، وهكذا أنقذ المستعمر الروسي أحد عبيده؛ ليمهد له في القلوب الذل له، والخشوع لطغيانه، أنقذ ميرزا حسين، فخرج من سجنه، بعد أن قتل فريق كبير ممن كانوا معه.

بيد أن الشاه - وقد بدا له ما خفي عليه من كيد الاستعمار - وجد في بقاء ميرزا حسين خطراً عليه، فأمر بنفيه إلى عراق العرب فيما بين النهرين، فألقى هو وأسرته وبعض أتباعه عصا التسيار^(٢) في بغداد، وأبى الميرزا إلا أن يوغل في المكر والدهاء الخفي الخاتل ليوقع العراقيين في حبائله، فغادر بغداد خلصة إلى المناطق

(١) هو جزء من حديث عبد الله بن جعفر السابق، وانظر التخريج السابق.

(٢) أي: الترحال. (ض).

الشمالية الكردية، وثمت بدا للناس في زي شيخ صوفي، وهن صوته من كثرة ما ذكر الله، وكلت أجفانه من طول ما تهجد لله!! واتخذ من جبل هناك مقرًا له يؤدي فيه طقوس مجوسيته!! أو يستلهم فيه الشيطان ما يكيد به لدين الله الحق، فسقط في شراكه من سقط.

أما أخوه يحيى، فظل مستخفيًا بإيران مدة لحق بعدها بأخيه، فوجده قد استأثر بالسلطة الروحية على أتباع الباب، فطالبه بتنفيذ وصية الباب، والقيام بعهدده في أن يكون يحيى هو ولي الأمر من بعد الباب، بيد أن ميرزا حسين علي استبد دونه بالأمر، فثارت بينهما المشاحنات والمخاصمات، فاضطرب الأمن، مما جعل الحكومة التركية - تنفيذًا لرجاء الحكومة الإيرانية - تستدعيه إلى الآستانة، ووقع هذا النبأ على الميرزا وقوع الصاعقة، إنه لم يعلن بعد أنه صار إلهًا وربًا!! وكان يمهد لهذا الإعلان بما قدم من تهاويل وشعبدات، ولكن ما زال في الزمن بقية، فليتهبها فرصة، وليعلن النبأ الخطير على أتباعه.

وإليك ما يقوله أحد البهائيين: (في السنة التاسعة عشرة بعد ظهور دعوة الباب بشر بهاء الله الكثيرين من أتباعه بأنه هو الموعود الذي أخبر عنه الباب، وسماه بمن يظهره الله، وأنه هو الموعود أيضًا من جميع الأنبياء السابقين، وقد عرفت تلك الحديقة التي أعلنت فيها الدعوة بحديقة الرضوان، وعرفت الأيام التي صرفها بهاء الله فيها بعيد الرضوان، ويحتفل البهائيون به سنويًا مدة اثني عشر يومًا^(١)).

(١) يريد الدَّعِيُّ بهذا مشاكلة محمد ﷺ في تحنثه بالغار (٢/ ص ٣٧، ٣٨) من كتاب «بهاء الله والعصر الجديد».

وهكذا أفصحت الجريمة عن غايتها، وهتكت المجوسية عن مستورها القناع، فأعلن ميرزا حسين علي ربوبيته، ألا تراه يقول فيما سماه سورة الهيكل: (قُلْ: لا يُرَى في هيكلي إلا هيكل الله، ولا في جمالي إلا جماله، ولا في كينونتي إلا كينونته، ولا في ذاتي إلا ذاته، ولا في حركتي إلا حركته، ولا في سكوني إلا سكونه، ولا في قلبي إلا قلمه العزيز المحمود. قل: لم يكن في نفسي إلا الحق، ولا يرى في ذاتي إلا الله) بل سيأتي لك من النصوص نبأ أن ميرزا حسين علي زعم لأتباعه أنه هو الذي كان يوحى إلى الرسل في مختلف العصور، ومشاحط الأحقاب. ولسنا ندري لماذا لم تظهر أعراض هذه الرسالة، أو الإلهية إلا حين استدعته حكومة تركيا إلى السفر؟! إنه شاء إعلانها بين قوم فتكت بهم الأساطير، واستدلتهم الخرافات، فدانوا بالموعود، يتشفون إليه، ويتلهفون عليه فإذا جاء صاحب هذا الوجه الناعم البض، وضح جماله، وزيف حيائه، ورنين العذوبة في موسيقى صوته، ووصوة الشهوة تراءت ضراعة تقوى، وخشوع زهادة في عينيه العميقتين، لقد اندكت هذه النفوس التي عششت فيها الخرافة لسطوة هذا الدجال الآثم، فأمن كثير بأنه رب الجمال والجلال والبهاء، فكان أن سمي بهاء الله. وكان أن سمي أتباعه البهائيين؛ وكان أن وجد لهم في مصر محفل كبير يجعلون الشراك التي توقع بالمصريين فيه، رنين ذهب أمريكي، أو بسمه تختلج على شفتي امرأة مستباحة الأنوثة^(١).

(١) بعد أن نشرت هذه المقالات في مجلة الهدى النبوي في أعداد متتالية، صدر عن رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالقانون رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠، في شأن حل المحافل البهائية؛ وقد أرسلت رئاسة الجمهورية وقتها شكرًا في خطاب رسمي للشيخ عبد الرحمن الوكيل عن كتابه البهائية، تجدد صورته في الوثائق.

عقيدة البهائية، وأهدافها الصهيونية^(١)

(هذا هو الفصل الأخير من كتاب أعده للطبع الأستاذ رئيس الجماعة عن «البهائية: تاريخها وعقيدتها»^(٢) وقد سأل كثير من الإخوان عن هذه النحلة الملحدة بمناسبة اعتراف شاه إيران^(٣) بإسرائيل.

إذ قيل في تبرير خيانة الشاه: إنه اعترف بها من أجل وجود ستين ألفاً من الإيرانيين - وكلهم بهائيون - في إسرائيل؛ لهذا - رأينا أن ننقل من كتاب الأستاذ رئيس الجماعة هذا الفصل الأخير من كتابه الذي لخص فيه عقيدة البهائية وأهدافها، أما بسط الأدلة ونصوصها الدامغة، ففي الكتاب الذي سيبلغ عدد صفحاته أربعمائة تقريباً، وقد رجع فيه الأستاذ كعاداته إلى أوثق المصادر من كتب البهائية نفسها).

يقول الأستاذ: لقد رفعتُ من شأن الحقيقة وحدها في دراستي للبهائية، والذي أعتقده - وتؤيدني الأدلة - أنني أنصفتها، بل لعل غلوت في هذا الإنصاف حين أكثر من ذكر النصوص الوفيرة من كتب البهائية المقدسة لديهم، وكان يمكن إنصاف الحقيقة ببعض القليل منها، وحين حرصت أيضاً على ذكر هذه النصوص بنفس ألفاظها وأرقام صفحاتها وأسماء كتبها، وحين فسرت

(١) ١٣٨٠/٤ هـ.

(٢) طبع هذا الكتاب سابقاً، وسيصدر بإذن الله تعالى قريباً في طبعة جديدة. (ض).

(٣) شاه إيران هو محمد رضا بهلوي، الهالك الذي سقطت دولته على يد الرافضي الخيث

الخميني. (ض).

رموزها ومصطلحاتها بما تفسره بها البهائية، حتى 'أُسَدُّ النافقاء' ^(١) التي يهرب منها الضب، وحين أقللت من ذكر رأي الآخرين في البهائية، وحين جعلت عمدي في التأريخ لها ما سجلته أقلام بهائية إلا في بعض مواضع قليلة تجلّ لي فيها أن البهائية تغلو غلوًّا فاحشًا في ستر الحقيقة بحجب مُصمّنة.

وإنصافًا للحقيقة أيضًا، أذكر هنا خلاصة دين البهائية، بعد أن فصلته بنصوصه في الكتاب.

تدين البهائية بأن الله سبحانه غيَّب منيع لا يُسمَّى ولا يُوصَف، ولا يستطيع أن يفعل إلى حين يتعيَّن في جسد بشري، وبأنه سبحانه ظل يتنقل في تَعَيِّناته من جسد إلى جسد حتى تعيَّن في جسد ميرزا حسين علي، الذي لقب نفسه بهاء الله، فكان هو الإله الأعظم والرب الأكبر، وقيوم السموات والأرض، ومالك يوم الدين؛ لأن الحقيقة الإلهية - في زعم البهائية - تعيَّن فيه بأتم وأكمل وأعظم صفاتها وأسمائها.

وتدين بأن الأنبياء والرسل جميعًا كانوا يستمدون الوحي من روح ميرزا حسين علي الأزلي القديم.

وتدين بأنه هو المعبود الذي يجب أن تتوجه إليه البشرية جمعاء بكل نوع من أنواع العبادة.

(١) جحر الضب واليربوع، وقيل هي موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا هوجم في جحره ضرب النافقاء برأسه وخرج، ومن النافقاء أخذت كلمة منافق، وكذلك البهائية، فإنها إذا أخذت من ناحية خرجت من ناحية أخرى.

وتدين بأن الرسل جميعًا حقيقة واحدة، فأولهم عين آخرهم، لأنهم تعينات الحقيقة الإلهية، غير أن اللاحق منهم أفضل وأكمل من السابق، لأن الحقيقة الإلهية تتدرج في تعيناتها من النقص إلى التمام.

وتدين بأن كل رسول هو ربٌّ باعتبار باطنه ولاهوته، وهو بشر باعتبار ظاهره وناسوته، لهذا يكون الرسول هو الإله المعبود في زمانه، ويطلق عليه في الوقت نفسه إنه عبد؛ لأنه بشريته يعبد الحقيقة الإلهية المتجسدة فيه.

وتدين بأن ختم النبوة أمر اعتباري، أو نسبيٍّ، فأدم مثلاً هو خاتم النبيين وأول النبيين. لماذا؟ لأن آدم هو الله في صورة بشر، ولما كان من أسماء الله الأول والآخر، فإنه يقال عن الرسول أيضًا باعتباره تعينًا لله: إنه الأول والآخر.

وبهذه النظرة الضالة تنظر البهائية إلى محمد ﷺ، فتكفر صراحة بأنه خاتم النبيين كما بين القرآن وكما يعتقد كل مسلم يؤمن بالقرآن.

وتدين بأنه يحرم العمل بشريعة القرآن؛ لأن ميرزا حسين علي قد حكم بنسخها، وأنزل كتبًا هي أفضل وأكمل من التوراة والإنجيل والقرآن، وهي المهيمنة على كل ما نزل الله على رسله من كتب، وهي المصدقة لها، ولولا ما نَزَلَ ميرزا حسين علي من كتبٍ ما ثبت من صدق كتاب إلهي، ولا رسالة رسول أرسله الله!!

وتدين بأن الكتب الإلهية السابقة كانت كلها مرموزة مستورة المعاني، فلم يفقهها سابق ولا لاحق، ولم يهتد إنسان إلى ما بث الله فيها من هدى وحكمة، وتحكم على صفوة سلف هذه الأمة بالضلال؛ لأنهم دانوا بظواهر الآيات، وهي التي لا يُراد بها إلا بواطنها!! وقد ظل شأن الكتب الإلهية كذلك حتى ظهر الميرزا

حسين علي، فحل رموز التوراة والإنجيل والقرآن، وبين المقصود من آيات الله في كتبه، وبهذا البهتان الأعور الأحق يستشهد البهاء على أنه رب الأولى والآخرة، هذا لأن تأويل هذه الكتب - كما يزعم - لا يكون إلا في يوم القيامة، والذي يملك تأويلها حينئذ هو الله، وقد قام ميرزا حسين علي بهذا التأويل، فهو إذن رب القيامة!!

وتدين بأن الكعبة المقصودة التي يجب أن يحج إليها الناس، ويولوا وجوههم شطرها في الصلاة^(١) هي قبر معبودهم الهالك ميرزا حسين علي المشيد فوق جبل الكرمل في أرض فلسطين التي تحتلها الصهيونية.

وتدين بأن قيامة العالم الكبرى قد قامت، يوم أن قامت الحقيقة الإلهية في جسد ميرزا حسين علي، وظهر الله سبحانه في هيكله، فحاسب ميرزا حسين علي الناس على ما قدموا، وأدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار.

وتدين بأن المسلمين جميعًا كفرة مشركون؛ لأنهم يكفرون بالطاغوت ميرزا حسين علي، وتكفر بالبعث كما بين الله في القرآن، وبالجنة التي وعد المتقون، وبالنار التي أوعده الكافرون.

وتؤول جميع قصص القرآن تأويلًا هو شر من صريح الكفر^(٢)؛ لأن الغاية من

(١) صلاة البهائية تسع ركعات في اليوم عند الشروق تمامًا والزوال والغروب، وهي من غير سجود، ويتلو البهائية فيها فقرات من كتب ميرزا حسين علي، وصيامهم تسعة عشر يومًا تقع دائمًا في مارس من الشروق إلى الغروب.

(٢) أخذت البهائية هذا عن الباطنية، وقد صرح إخوان الصفا في رسائلهم بكفرهم بجميع قصص القرآن، وقد ذكرنا في الكتاب النصوص المؤيدة لما نقول.

هذا التأويل هي إنكار كل ما تدل عليه هذه القصص، والجحود الأصم بكل حقيقة فيها.

وتدين بالتناسخ، فالؤمنون الذين كانوا في عهد محمد ﷺ هم عين المؤمنين الذين كانوا في عهد نوح، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكفار!!

وتدين بوجوب عزل العقل عن تدبر آيات الله، وتوجب الأخذ بنتائج المكاشفة والشهود، وإن خالفت صريح النقل وصحيح العقل وبداهة الحس!!

وتدين بوجوب بقاء الشعوب الشرقية تحت سطوة الاستعمار وسلطانه، وتدعو الاستعمار إلى قمع كل شعب شرقي يعمل في سبيل حريته واستقلاله، وقد أنحت البهائية باللائمة على الاستعمار؛ لأنه ترك لبعض الشعوب الشرقية حريتها واستقلالها. وتدين بأن ميرزا حسين علي، هو «المسيح» الذي كانت تحلم الصهيونية بظهوره، ليعيد إليها ملك سليمان!!

وتدين بأن الصهيونية هي الدين الأقدس وملكوت الروحانية الأعظم، وبأن العالم كله سيدين بها وبأن أرض فلسطين لن تخرج من يد إسرائيل، بل ستظل تحت يدها أبداً، وستصبح «حيفا»^(١) - وهي تحت بغي الصهيونية - كعبة العالم، وعاصمته الكبرى، لأن مقاد العالم كله حينئذ سيكون في يد عصابة الصهيونية النجسة الملعونة الباغية!!

هذه هي البهائية في خلاصة موجزة، ومنها يتبين لنا في وضوح وجلاء أن البهائية أمشاج شتى من ضلالات وزندقات، وأنها صهيونية فاجرة اللؤم والكيد

(١) مقرر البهائية الآن. (ض).

والدنس، وأن معبودها ميرزا حسين علي لم يكن إلا دعياً زنياً عشق شهواته، وفي سبيل هذا العشق الماجن كفر بالله وسفك الدماء^(١)، وخان البشرية، وأكل السحت، واقترب أفحش الخطايا، وعاش للصهيونية وللصلبية عبداً ملعوناً يطعم بعرضه وأعراض قومه، ويغرس الحداثق، ويشيد القصور!!.

شبهات:

إذا لقيت بهائياً، وجادلته، فسيزعم لك أنه مؤمن بالله، وبخاتم النبيين، وبالقرآن وبالقيامة، وبالجنة، وبالنار، وسينطق أمامك بالشهادتين، وسيذكر لك من نصوص كتبه المقدسة ما يؤيد ما يقول، وسيمضي معك إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة^(٢)، وسيؤكد لك أن البهائية ليست ديناً، وإنما هي دعوة إنسانية عالمية غايتها وحدة الإنسانية!!.

ولكنني أوقن أن القارئ قد تبين مما فصلته في كتابي أن البهائية تأخذ بالتقية، وتضع للكلمات معاني لا صلة لها بلغة القرآن مطلقاً، فالمعبود الذي تتحدث عنه في كتبها، وتسميه نفاقاً «الله» ليس هو الرب الذي دعانا القرآن إلى تقواه وإخلاص الدين كله له وحده سبحانه، وقرأ ما كتبناه عن المعبود عند البهائية. وخاتم النبيين الذي تصلي عليه البهائية ليس هو خاتم النبيين الذي نزل الله

(١) من الثابت أن ميرزا حسين علي كان زعيم المؤامرة التي دبّرت لاغتيال شاه إيران في زمنه، وأنه دس السم لأخيه يحيى وهما منفيان في أرض أدرنه، وأنه اغتال أخيه ليلاً بالسواطير وهو منفي في أرض عكا.

(٢) حكم ميرزا حسين علي بنسخ صلاة الجمعة والجماعة!!

عليه القرآن، فمحمد البهائية رَبُّ تجلّي في صورة بشر.

والقرآن الذي تتلوا البهائية من آياته أمامك تزعم هي أنه من تأليف محمد، وأنه منسوخ، وأن كتب^(١) ميرزا حسين علي أجل منه وأعظم، وأنه - أي: القرآن - لا يُراد به ظاهره، وإنما يراد به باطنه الذي لم يبينه سوى ميرزا حسين علي^(٢).

والقيامة التي تؤكد لك البهائية أنها مؤمنة بها ليست هي القيامة المذكورة في القرآن، وإنما يعنون بها قيام الحقيقة الإلهية في جسد ميرزا حسين علي، واللجنة التي تزعم أنها مصدقة بها هي السعادة النفسية التي يشعر بها من يدين بأن ميرزا حسين علي هو الرب الذي له العرش العظيم وملكوت السموات والأرض، أما النار فهي الشقاء الذي يغمر من يكفر بميرزا حسين علي، ولعلك تدرك بعد هذا معنى الشهادتين عندهم.

وإذا قرأت في كتبها حديثاً عن البعث من القبور، فأرجو أن تفهم أنها تقصد البعث من قبور الأوهام والجهالات، وإذا قرأت عن الكعبة والمشعر الحرام، فاعلم أنها تقصد قبر الملعون ميرزا حسين علي والأماكن التي عاش فيها!!
أوضح لك هذا، لعلك تلقى بهائياً، فتسمع منه شيئاً مما ذكرت، فترتاب في

(١) له كتب عديدة أهمها عند البهائية «الإيقان والأقدس»، والثاني هو كتاب شريعته المزعومة.

(٢) ترى البهائية أن المقصود بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ

وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] هو ميرزا حسين علي، فهو الذي جاء في ظلل من الغمام

والملائكة؛ وقد سرقت البهائية هذا من «بيان بن سمعان اليهودي» وغيره فقد زعم بيان

أن الذي يجيء في ظلل من الغمام والملائكة هو علي بن أبي طالب.

حقيقتها فتظن أنها تنزع إلى إسلام أو خير!! وما هي يا أخي إلا صهيونية ملعونة!!
خاتمة:

يستبد بي القلق الرهيب حين أتصور أبناءنا التلاميذ، وقد رُزئوا لبهائي قُدِّر عليهم أن ينصتوا إليه في حجرة الدرس!! ترى ماذا سيقوله لهم عن تاريخ العروبة والإسلام، وعن محمد ﷺ؟! وبماذا - يا ترى - سيفسر لهم كتاب الله سبحانه؟ وما ثمَّ للبهائي من دين ولا خلق ولا ضمير!! ما ثمَّ له شيء من هذا يحول بينه وبين اقتراف هذه الخطيئة التي تدفعه إلى المكر بهؤلاء الصغار، وإلى صرفهم عن الحقيقة!! إن له هدفًا هو أن يكفر هؤلاء الأبرياء بالقرآن، ويسخر من أمجاد الأمة الإسلامية، فإن رآه بعيدًا اكتفى بتشكيكهم في كتاب الله.

وما للبهائي أيضًا مِنْ سِمَةٍ بارزة تدل هؤلاء الصغار على حقيقة هذا الأستاذ ودينه!! فاسمه مثلاً «محمد» أو «عبد الرحيم^(١)»، وللاسف سحر وخداع يفتنان عن حقيقة المسمّى أحيانًا!! فاسم الأستاذ وسلطانه وهيمنته، كل هذا سيدفع بهؤلاء الصغار إلى أن يثقوا بأن الأستاذ مسلم، وبأنه يحدثهم عن دينهم وتاريخهم حديث الحق والصدق عن بصيرة!!.

ويستبد بي القلق الرهيب حين أتصور فرقة عُقِد لواؤها لبهائي، وقد أُمِرَت بأن تقضي على بغي إسرائيل!! ترى ماذا سيحدث، والقائد يدين بالبهائية التي تعمل في سبيل أن تسود الصهيونية وتحكم وتسيطر، وتبسط جورها على العالم كله؟

(١) يسمي البهائيون أنفسهم بأسماء خادعة فاتنة لا تشي بدين أصحابها، بل إنها على عكس ذلك توحي بأنهم مسلمون.

ويستبد بي القلق الرهيب حين أتصور أسرارًا للدولة يقوم على حفظها بهائي، ومن هذه الأسرار ما يتعلق بالقضاء على كيد الصهيونية!! ترى ماذا سيكون؟! لعلمكم تظنون أنه سيكون لهؤلاء عاضم من وطنيتهم!! ولكنكم قد علمتم أن البهائي لا يرى له وطنًا غير إسرائيل، وأنه لا يحلم إلا بالأعجاد تلو الأعجاد تبلغها إسرائيل!!.

وأنه لا يدين بشيء كما يدين بأن العالم كله سيخضع لإسرائيل، وأنه لا يعمل إلا في سبيل إسرائيل، ففيها معبوده، وفيها كعبته التي يحج إليها، وقبلته التي يولي وجهه شطرها!! وقد ذكرنا العديد من النصوص التي تؤكد هذه الحقيقة الرهيبة. تعبر هذه الصور وغيرها بخيالي، فتبدد سكينتي وطمأنيتي، وأتخيل كأن الليل كله مآتم وفاجعة ومأساة، ولكن يحيله صبحًا وضيئًا تدبري لقول الله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)، ولن يتخلف أبدًا وعد الله.



مجلة الأزهر وكتاب «البهائية»^(١)

نشرت مجلة الأزهر في عدد رجب سنة ١٣٨٢ نقداً لكتاب «البهائية» نشره هنا كما ورد في المجلة.

البهائية: للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

نشرت مكتبة أنصار السنة بعابدين هذا الكتاب والمؤلف هو فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وكتابه دراسة واسعة عن البهائية، تلك الطائفة المعروفة بخروجها عن دائرة الإسلام، وبمزايعها العقيدية التي تفضح نفسها بنفسها.

وبعد أن يمهد المؤلف لكتابه بتمهيد يقع في أكثر من عشرين صفحة، أوضح مظاهر الشرك في هذه النحلة، وجنایات التصوف، وعلم الكلام والمذهبية في قضيتها. بعد هذا التمهيد المسهب، قسم دراسته إلى فصول ستة: من السبئية إلى البابية، وهو الفصل الأول الذي حاول فيه أن يرد البهائية إلى السبئية التي تزعمها عبد الله بن سبأ، الذي وضع الخطوط الأولى لفكرة الشيعة وحركتها.

والمؤلف يجول بنا جولة تاريخية، يعرض فيها المجتمع الإسلامي الأول سليم البناء قوي الأساس، ثم كيف استطاعت الأحقاد أن تتآمر عليه، وكيف وجد كل من الشيعة والخوارج، فتنة الحسين، أسطورة المهدي المنتظر، الدولة العباسية، البرامكة.

وفي الفصل الثاني: «الباب والبابية»، تناول نشأة الباب (ميرزا علي محمد)

وحركته في أواسط القرن الثالث عشر الهجري وادعاءه المهدية، وشرعية حركته، ونهايته المؤسفة، والأساطير التي ابتدعها الخيال حولها بعد أن خر صريع الرصاص وألقيت جثته في العراء.

وفي الفصل الثالث: «البهاء والبهائية» يواصل المؤلف دراسته، فيقدم لنا البهائية كوريث للبابية وامتداد لها، والبهاء هو (حسين علي) ابن الميرزا عباس، المولود بطهران، تراجع عام ١٣١٠^(١)، ويكشف عن أساطير هذه النحلة، وحركتها، واستنادها إلى المؤامرات والدسائس الدموية، إلى أن هلك البهاء المذكور بجرثومة الحمى، بعد أن صنع منه الاستعمار الروسي اليهودي إلهًا وبطلًا.

وفي الفصل الرابع: «عبد البهاء والبهائية» حدثنا المؤلف عن ابن البهاء وكيف استطاع بدراسته للفلسفة اليونانية، وكتب الباطنية والصوفية المنحرفة، أن يسيطر على والده سيطرة واسعة، ثم استمرأ هذه السلطة في ظل الكفر والإلحاد، فواصل نشاطه في خدمة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، وجمع المال والثروات بغير حساب، إلى أن انتهت حياته عام ١٣٤٠هـ، وخسرت الإمبراطورية الإنجليزية أخلص عبيدها.

وفي الفصل الرابع: «الحقيقة الإلهية في رأي البهائية» مناقشة دقيقة لعقيدة البهائية - إن جاز أن تسمى عقيدة - ويرى المؤلف أنها على زندقته مسبوقه بزندقة الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية^(٢) والدرزية، وهي زندقة حيرى

(١) هي في نقد المجلة ٣٢٣هـ ولعله خطأ مطبعي.

(٢) الإسماعيلية نسبت لإسماعيل بن جعفر الصادق، وهم أجداد الفاطميين والقرامطة،

بين عبادة عدم وعبادة صنم فالمجرد الصرف والكلي البحث، وجوده ذهني لا عيني، أي لا حقيقة له خارج الأذهان، وللبهائية آراء على قمة الفساد، وهم يرون الرسول - أي رسول - ربًا وعبداً، ويؤمنون بوحدة الوجود، ويفسرون «ختم النبوة» تفسيراً يحقق أن الوجود لا ولن يخلو من رسل، ويكفرون بالمعجزات ويأعجاز القرآن، ولا يرون معجزة إلا في النسخ وحده.

والفصل الخامس: عقيدة البهائية في البهاء، تؤمن البهائية بربوبية البهاء، وتطعن على أدلة الرسل، وبراهين الإسلام، وتزعم أن نحلته ناسخة للإسلام. أما الفصل السادس والآخر (دين البهائية): فهو عرض مسهب لهذا الدين المبتدع، فالبهائية كفر جبان، والتوحيد عندها هو: معرفة الأجساد البشرية التي حلت فيها «الحقيقة الإلهية»، ولا بد من وسائط في الدين هم شيوخه، ولبهاء وحده يصلي البهائيون، وإلى قبره وحده يحجون، وقد قال لهم: (من توجه إليّ، فقد توجه إلى المعبود) والصلاة تسع ركعات فقط، والقبلة هي قصر البهاء، والزكاة ١٩٪، وأشهر

يعتقدون التناسخ والحلول، وبعضهم يدعي ألوهية الإمام بنوع من الحلول، وهم الآن فرقتان: (البهرة) بالهند، (الأغاخانية) نسبة إلى زعيمهم أغاخان، وهم يستباحون المحرمات والمحارم، وصفهم الشيخ حسنين محمد مخلوف - مفتي الديار المصرية - قائلاً: هذه الطائفة من الطوائف الخارجة عن الإسلام في عقائدهم وعبادتهم وتعاليمهم، فعقائدهم كُفر بواح، وعبادتهم لله أسرار كاذبة، وتعاليمهم باطلة، تنتهي بإباحية صارخة، فليسوا من الإسلام في شيء، ومن ثم لا تجوز مناكتهم، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين. [فتاوى شرعية ص (٧٢)]. (ض).

السنة ١٩ شهرًا والشهر ١٩ يومًا، والميراث تشريع جديد، والربا مباح، والجهاد محرم، وعقوبة الزنا دية مسلمة إلى بيت العدل، أي: بيت ماله.

وبعد: فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة، ولا ريب في أن الأستاذ عبد الرحمن الوكيل بذل جهدًا يشكر عليه، فقد جعلنا نلم إمامًا شاملًا بالبهائية ومفترياتها في أسلوب فيه روعة البيان، وإن لم يخل من الحدة التي كنا نود أن يجنب أسلوبه منها في هذه الدراسة العلمية الموضوعية، ولست أدري لم أتعب نفسه، وكتب الفصل الأول في حدود أربعين صفحة، استعرض الإسلام منذ نشأته إلى الخلافات التي نشبت في أساليب دموية بين الشيعة والأمويين، ليبرر مسلك الأمويين في كثير من أحوالهم جنوح آل البيت إلى الفتنة والهوى، كان من الممكن أن يركز لنا صفحات قليلة محدودة المنابع الأصلية للبهائية، دون أن يحاول إلصاقها بالحركة السبئية والحركة اليهودية منذ ضحى الإسلام.

ولقد استعمل من أول دراسته - وهو يحدثنا عن الفتنة في عهد عثمان - كلمة الصهيونية وهي كلمة مستحدثة معاصرة، وكان الأحرى أن يستعمل مكانها «اليهودية» مثلاً، والمعروف أن مؤسس البابية التي كانت فيما بعد «البهائية» ولد عام ١٨١٩م، فكيف تربط حركته بالسبئية^(١) المنتمية إلى عبد الله بن سبأ المعاصر

(١) وهم الذين نادوا بالوهية علي (عليه السلام)، وقالوا له: أنت أنت. قال: ومن أنا؟! قالوا: الخالق

البارئ. فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم نارًا ضخمة وأحرقهم. وقال مرتجزاً:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً

[انظر: الفصل، لابن حزم (٢/١٤٢)]. (ض).

للخليفة الثالث (عليه السلام)، إني أرى بعداً عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية، وإن كان من السهل مثلاً أن نرد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية في مسألة المهدي المنتظر.

وإني لأحمد بعد ذلك للمؤلف اتجاهًا جديدًا هو عدم المساس بأقدار علي وبنيه، وتأويله لكل ما حدث في فتنة الحسين وغيرها، بأن الخطأ في اجتهاد الرأي، وأحمد له أيضًا أن قلمه قد أمتعنا بدراسة قيمة عن هذه النحلة الحديثة التي لا زالت تستهوي بعض المأفونين من الشباب الذي يجد لذة في التحلل والانحلال.

تعقيب:

وشكرًا لمجلة الأزهر الغراء، وللكتاب الكريم الأستاذ محمد عبد الله السمان على هذا النقد الذي حرص فيه على التجرد والإنصاف، فعرض موضوع الكتاب عرضًا موجزًا، ولكنه عرض دقيق يشهد للكتاب الكريم بأنه قرأ قبل أن يكتب، وهذه ميزة قد لا تتوفر إلا لقلّة قليلة ممن يتصدون لنقد الكتب، غير أن لي تعقيبًا على ما أخذه علي الناقد الفاضل، فقد ذكر أن في أسلوب الكتاب روعة البيان غير أنه لم يخل من الحدة...

ومسألة الحدة هذه مسألة نسبية، فقد يراها البعض لنا لا حدة، وقد تكون في مقاييس الحق كلمة حق يجب أن تقال في صراحتها وقوتها، ولنتدبر قول الله سبحانه لموسى وأخيه هارون: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّسَانًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ﴾ ٤٤ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ﴾ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۚ﴾ ٤٦ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ۚ﴾ ٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ

وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ [طه: ٤٣-٤٨]. ثم يقول الله: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ ﴿٦١﴾ [طه: ٦١].

هذا الذي قاله موسى لفرعون من القول اللين رغم ما فيه من شرح لكفر فرعون، ورمي له بما يقتضيه من ظلم وتكذيب وقول عن دين الله، وتعريض به. وإني لوائق من أن الكاتب الكريم لو عاش مع كتب هؤلاء البهائيين تلك السنوات التي عشتها معها لأتت بأسلوب فيه كل ما للحق من حدة وحول وطول، ولقد قرأت له هو بعض ما نقد به التصوف، وبعض ما نشر هو من نقد للتصوف وللتعصب المذهبي، فرأيت الحق في حميته وغضبه الملتهبة.

كما أقول للكاتب الكريم: ماذا نقول لفئة تعتقد أن أقدر وأخس جاسوس كان هو الله رب العالمين؟!

إنني يا أخي أكتب، وأنا مسلم، فلن أزعم أنني كنت متجردًا من ديني وأنا أكتب، فذلك ليس في ملكي، ولا يمكن أن يكون، ولا يصح أن يكون!! من إسلاميتي اندفعت كلماتي تجاهه الكفر القذر الوضيع، ومن إسلاميتي انبثقت تعبيراتي تدمغ الباطل بما يجب أن يدمغ به، والله يقول: ﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ويقول: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

إن ما أضرع به إلى الله ألا أكون افترت على هؤلاء الناس ما لم يقوله، ولقد بذلت - بعون الله - كل ما يمكن أن يبذله كاتب في سبيل الكشف عن حقيقته، ومن الله التوفيق.

أما الفصل الأول: فكان لبيان أثر الإسلام العظيم في بناء هذه الأمة، ثم لبيان

مؤامرة الأحقاد الطاغية ضده، ليتبين لنا بجلاء أن البابية والبهائية امتداد لهذه المؤامرات، وأن ما كاد به الشيطان قديماً لدين الإسلام هو عين ما يكيد به حديثاً، ولم أكتب للدفاع عن الأمويين، بل للدفاع عن تاريخ هذه الأمة الذي حاولت الأهواء تزييفه، ولم أرم آل البيت الأوفياء بالجنوح إلى الفتنة والهوى، والأستاذ الكاتب نفسه قال في مكان آخر: أنه يحمد لي عدم المساس بأقدار علي وبنيه!! إنما رميت بالحق من يستحق الرمي.

ثم يقول الكاتب: إنني استعملت كلمة «الصهيونية»^(١)، وهي كلمة مستحدثة معاصرة، وأنا أتحدث عن الفتنة في عهد عثمان، ويكفي أن أذكر الكاتب الفاضل بما يقوله الأستاذ العقاد: (الواقع أن الصهيونية الحديثة كأختها القديمة، كلتاهما وليدة السياسة والسياسيين أيّاً كان السبب الذي تستند إليه).

وبقوله: (فالصهيونية في الزمن القديم لم تكن عقيدة دينية، بل كانت نزعة سياسية) فهو يؤكد - والواقع يؤكد - أن الصهيونية حركة سياسية قديمة، ولقد كتب الأستاذ العقاد فصلاً كاملاً بعنوان: «الصهيونية قبيل الميلاد»، ثم فصلاً آخر بعنوان «الصهيونية من الميلاد إلى القرن التاسع عشر»، ثم فصلاً آخر بعنوان: «الصهيونية منذ وعد بلفور»، لعل الجديد المستحدث هو كثرة دوراتها على

(١) الصهيونية: هي منظمة يهودية سياسية عنصرية تهدف إلى جمع اليهود في فلسطين، وإلى تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل، ثم السيطرة على العالم من خلالها تحت مُلك يهوذا المنتظر المزعوم.

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جبل صهيون الذي يقع جنوب بيت المقدس، ويقده اليهود. (ض).

الألسنة، وَتَسَمَّى جماعة يهودية بعينها باسم «أبناء صهيون»، أما هي كحركة سياسية نشأت بين اليهود فهي قديمة؛ ولها أهدافها وغاياتها الدينية منذ نشأت. ومن هذا يرى الكاتب الفاضل أنني لست بدعاً في هذا الاستعمال، ولقد كتبت في الكتاب فصلاً كاملاً عن الصهيونية عبر التاريخ، وأشارت إلى شيء من هذا.

ثم أخذ عليّ الأستاذ أنني ربطت معركة البهاء بالسبئية، ولست أدري ماذا في ذلك من بعد عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية؟! إننا كما يجوز لنا أن نربط أصول الإيمان الصحيحة في عصر متأخر بأصول الإيمان في عصر متقدم، ونبين أن هذه هي تلك أو امتداد لها، كذلك يجوز لنا أن نربط الكفر بأصوله الأولى، والبهاية كما نرى ما هي إلا امتداد للسبئية، وإذا لم نفهم السبئية، فلن نفهم الباطنية، وبالتالي لن نفهم البهاية، بل ربما ظننا أن ما جاءت به من الكفر جديد مستحدث، وقد قرر الأستاذ الكاتب نفسه أنه من السهل رد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية في مسألة المهدي المنتظر!!

وأين زمن البهاية من زمن الباطنية؟

لقد بينت أصول السبئية، ثم بينت تسرب أساطير السبئية وتطورها وظهورها بأسماء أخرى تخادع بها المسلمين عن حقيقتها، ليتبين لنا بجلاء أن البهاية نحلة تنتسب إلى السبئية الأولى عقيدة وهدفاً وغاية.

ونحن في بحثنا في أمور التصوف والفلسفة نرد كثيراً من الأفكار الفلسفية والصوفية الحديثة إلى أصولها اليونانية أو الشرقية، وفي بحثنا عن البدع نرد كثيراً مما ينتشر بيننا من بدع الجناز إلى أصولها الفرعونية الأولى، ولا نرى في شيء من هذا مخالفة للمقاييس المنهجية الصحيحة، بل نراه واجباً لا يعذر من يهمله.

والمشابهات بين ألوان الكفر وأنواعه واضحة كل الوضوح، وقد نجد أصول الكفر التي كانت في قوم نوح هي عين أصول الكفر التي نحاربها اليوم. والبهائية يا أخي لم تأت بكفر جديد، ولا بتصوير جديد له، ولا ببيان مستحدث عنه، وإنما هي سارقة للكفر بأصوله وفروعه وشروحه وأسلوبه ومعانيه وألفاظه، وقد بينت بجلاء أن تحريفها لكلام الله هو بعينه تحريف السبئية الأولى، وتحريف ما نشأ عنها من فرق، فكيف نلام حين نربط بين ردغات الكفر، أو حين نؤكد عن بيّنة أن البهائية ما هي إلا امتداد للسبئية؟ وأخيراً: أكرر شكري الجزيل للأستاذ الكاتب الفاضل محمد عبد الله السمان على موقفه الطيب من كتابي: «البهائية - تاريخها وعقيدتها»، وعلى حفاوته البالغة به في الإذاعة وفي مجلة الأزهر، وأضرع إلى الله أن يجعل الكاتب الكريم من جنود الحق البررة الأوفياء لكلمة الله سبحانه.



رأي نقاد الصحف في كتاب البهائية

نشرت صحيفة «المساء» في عددها الأسبوعي رقم ٢٢٠٤ الذي صدر بتاريخ ١٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢، ١١ من نوفمبر سنة ١٩٦٢ بقلم الأستاذ الناقد «فاروق منيب» ما يأتي:

البهائية

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

لعل من أسباب تفرق كلمة المسلمين منذ القديم هو ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة، ولكن مهما تناقضت هذه الفرق فيما بينها، فإنها في النهاية تصب في مجرى الإسلام العام، تؤمن بأركانه الأساسية، وقيمه ومثله الروحية التي جاء بها القرآن الكريم والحديث الشريف. ولكن المذهب الذي تعدى هذه الأصول والقواعد الإسلامية جميعها هو مذهب البهائية.

والكتاب الذي ألفه الأستاذ عبد الرحمن الوكيل يبين اتجاهات ذلك المذهب وتياراته، مدلاً على رأيه بالتطبيقات العملية، والآراء والحجج المنطقية التي استقاها من تاريخ البهائية، والظروف التاريخية التي نشأت في خلالها دعوتهم.

إن أهم خطر ينبع من الدعوة البهائية هو ارتباطها التاريخي بالاستعمار، فلقد روج الاستعمار لهذا المذهب واحتضنه منذ البداية، ومنذ عام ١٨٩٣م ظهرت

البهائية في أمريكا التي افتتحت لها المراكز العديدة، وحشدت لها كل الإمكانيات اللازمة لبث دعوتها المزيفة، وأيضًا انتشرت هذه المراكز العديدة وحشدت في روسيا القيصرية وانجلترا، ووجدت بهما أنصارًا لها يروجون دعايتها الفارغة الطنانة، واستعملت البهائية في نشر دعوتها أساليب التضليل والمظاهر الكاذبة حتى غلفت أهدافها الحقيقية وراء هذه المظاهر الخادعة.

والدعوة البهائية لم تقتصر على الاتصال بالاستعمار، وإنما كان لها شأن أيضًا في سرقة أفكار الآخرين، وتشويش عقائدهم، فعلى حين يقول سفر متى: (لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضًا)، وورد أيضًا: (أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل من يسيئون إليكم ويطردونكم)، في حين يقول سفر متى هذا، يقول البهاء: (البهائي يحب جميع العالم كأنهم إخوته، فإذا ضربه أحد، فلا يعامله بالمثل ولا يتكلم عنه بسوء).

إن البهائية تنافق وتكذب وتدعي في سبيل أن تكسب أنصارًا ومؤيدين بأي ثمن، حتى ولو كان ذلك التأييد على حساب عقائد الإسلام الأساسية ومثله وقيمه الرئيسية.

وفي لندن تتركز البهائية، إن عبد البهاء يقول: (إن لندن ستكون مركزًا لنشر الأمر) يقصد البهائية طبعًا.

ويناقش الأستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتابه فلسفة البهائيين، ويكشف عن تضليلهم لعقول مريديهم الذين يستهويهم البريق الزائف لكلامهم المعسول.

إن البهائية تدعي أن الميرزا «حسين النوري» هو ذلك الجسد الذي تجسدت فيه الحقيقة الإلهية بكمالها الأعظم، أما موسى وعيسى ومحمد وكل الرسل فلم تكن لهم من مهمة سوى التبشير بظهور الله في جسد البهاء، وإعداد القلوب، وتهيئتها لقبول تجلي الله الأتم الأكمل الأبهي في الميرزا «النوري».

«فاروق منيب»



الباب السابع القاديانية

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حول القاديانية^(١)

أرسل لي الأستاذ «حسين محمد الزين» - ويلقب نفسه بسكرتير عام رابطة الثقافة الدولية في إسكندينايا - خطابًا يؤكد لي فيه أنه مسلم، وأنه تزوج بسيدة دانهاركية أسلمت هي الأخرى، وأنه يسعى إلى توحيد كلمة المسلمين، وأنه لهذا يتعاون مع القاديانيين في بناء مسجد في كوبنهاجن، وفي سبيل ترجمة القرآن إلى الدانهاركية...

وأقول للأستاذ الفاضل: تذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]. كيف مع هذا نتعاون مع قوم يعتقدون أن كل مسلم لا يؤمن بغلام أحمد فهو كافر، وأن من يرفع السيف في وجه الإنجليز كافر؟! يرفع السيف في وجه الإنجليز كافر؟!!

راجع يا حضرة السكرتير دين القاديانية^(٢)؛ لتعرف إلى أي شيء يستدرجونك؟؟ ونحن أيضًا أنصار السنة أشد الناس إيمانًا بأن القرآن هو السبب الأول في توحيد الكلمة، كما نؤمن إيمانًا وثيقًا بأن «القاديانية» منذ نشأتها وهي وليدة إنجليزية صليبية هدفها وغايتها ووجودها ودينها أن يكون الصليب فوق القرآن، وإلا ما حرم (غلامها) الجهاد في سبيل الله، وفرضه في سبيل إنجلترا، وقالت مجلته: إن

(١) الهدي النبوي (٤/ ١٣٨٦هـ).

(٢) وهي تسمي نفسها الآن «الأحمدية» كذبًا وزورًا، وهي في الحقيقة القاديانية، تلك الفئة الخبيثة عميلة أعداء الإسلام. (ض).

الجنة تحت ظلال سيوف الإنجليز!!

لا يا سيد حسين!!

لن نستهدف توحيد كلمة المسلمين هذا الاستهداف الذي غايته خدمة أغراض الاستعمار، والخنوع الدليل للصليبية.

لأن نكون عشرة مسلمين خير من أن نكون ملايين من المنافقين، والقاديانية سم زعاف من أدنا نفاق عرفته الإنسانية هي والبهائية، فاحذرها يا أخي إن كنت مسلماً. وفقنا الله إلى رضوانه.

عبد الرحمن الوكيل

وكنت قد أشرت إلى الأخ الطيب الكريم الدكتور أمين رضا^(١) في مقال حول القاديانية؛ وأقول: لقد كان الأخ الكريم في رحلة علمية والتقى بالدانماركي عبد السلام مادسن، ففرح به أعظم الفرح إذ حدثه أنه مسلم، وحين تأكد أنه قادياني أرسل إليه هذا

(١) هو أمين محمد رضا - الأستاذ الدكتور -، والده: دكتور محمد بك رضا رَحِمَهُ اللهُ، أستاذ الجراحة، وقد كان من أوائل من ناصر فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي بعلمه وماله وأهله، والدته: هي السيدة الفاضلة نعمت صدقي رحمها الله، صاحبة كتاب «التبرج» وغيره كثير، كانت من نصيرات السنة بهاها ولسانها وقلمها، كانت تكتب في مجلة الهدى النبوي، ثم في مجلة التوحيد، وشكلت جمعية سميتها نصيرات السنة، وهي التي جاءت بالشيخ عبد الرحمن الوكيل إلى جماعة أنصار السنة المحمدية، في هذا الجو نشأ الدكتور أمين رضا، عمل في مجال الطب ونبغ فيه إلى أن صار وكيلاً بكلية الطب جامعة الإسكندرية.

كان من الدعاة إلى التوحيد وإلى السنة، ومن الكتاب بمجلة التوحيد، ثم مجلة الهدى النبوي توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٩٩٨ م). (ض).

الخطاب الذي نشره بعد باللغة الإنجليزية، وقد تفضل الأخ الكريم فأرسل إليّ نسخة منه، ثم ترجمة له بالعربية، نشرها فيما يلي، سائلين الله أن يجعل من الدكتور أمين رضا الأستاذ المساعد بكلية طب جامعة الأسكندرية جنديًا من خير جنوده.

عبد الرحمن

عزيزي عبد السلام ماسن:

وبعد: فيمكنك أن تطمئن إلى أن خطابك وصل للأستاذ عبد الرحمن الوكيل بسلام بعد أن ترجمته، ويمكنك الاطلاع على الترجمة في النسخة المرسلة رفق هذا الخطاب. وفي الحقيقة أن الدهشة التي أصابتني عندما علمت أنك أحمدي كانت أكبر من دهشتي السابقة حين عرفت بأنك مسلم.

لقد كان مدهشًا لي حقًا أن أجد في هذا الوسط الملحد مسلمًا مثلك، كون نفسه تكوينًا ثابتًا لدرجة كبيرة، واعتنق العقيدة الإسلامية بهذه الدرجة الكبيرة في الحرارة، لقد أعجبت بشخصيتك حقًا، لقد شعرت بنفسي صغيرًا ضعيفًا يحيا معكم في وسط إسلامي تسهل المعيشة فيه.

وفي أية الأحوال فإنني أتساءل لماذا يقحم المسلم نفسه - بعد أن اعتنق هذه الديانة الإسلامية الحنيفة القويمة النقية - بأن يختار إحدى المجموعات التي تسمي نفسها: «مذهبًا أو طريقة» أو تعاليم إلخ، والسبب أنني لا أعرف إلا الإسلام ولا أعرف له فروعًا.

الإسلام هو ذلك الدين الذي فيه الإله المعبود هو نفسه خالق هذا العالم وربّه، هو هذا الدين الذي ينشئ علاقة مباشرة بين العباد وبين الإله من غير وسيط أيّا كان، لا يوجد قديسون يعملون كوسطاء، لا يمكن أن يكتسب الحجر

أو الحديد أو القماش أية قوة خارقة بتأثير القديسين والأولياء، كل نفس توزن حسب أفعالها، والله بناء على علمه بكل ما يحدث، فحكمه إذاً ليس مبنياً على تقارير أو توصيات أو وساطات بل على علمه.

هذا هو ملخص الدين القويم، وإذا أضيف إلى تنظيم النواحي الأخلاقية والاجتماعية وغيرها من الجوانب المختلفة لحياة الإنسان، فهو يكون أكمل طريقة للسعادة في الدنيا والآخرة.

ومحمد نبي هذا الدين الكامل بلغ مبادئ هذه الديانة السماوية لأصحابه الذين تمكنوا من إذاعتها في جميع أنحاء العالم، وجميع المسلمين عندهم ما يثبت أن هذا النبي أدى واجبه كاملاً كرَسُولِ الله، وهذا معناه أنه لم يترك من شيء إلا وبلغه للمؤمنين جميعاً. فإذا كان هذا هو أمر النبي العظيم؛ فماذا يمكن لأي رجل من بعده أن يفعل إذا أراد أن يفعل شيئاً؟ إنه لا يمكنه أن يخترع مبادئ جديدة فليس ذلك بدين، كما لا يمكنه أن يلغي بعض المبادئ الدينية، لأن ذلك هو الدين، إنه يمكنه أن يفعل شيئاً واحداً فقط، وهو أن يقوم بدعوة الناس باتباع الدين الموجود فعلاً، وهذا واجب على كل مسلم، وكل مسلم لا يؤدي هذا الواجب ليس مسلماً كما يجب.

فإذا استيقظ مسلم من سباته، وجعل يدعو الناس لاتباع الإسلام، فهل هذا كاف أن تؤسس له مذهباً، لمجرد أنه يؤدي واجبه؟ إذا كان الأمر كذلك؛ فإن كل مسلم يجب أن يكون له مذهب منفصل، ويا للفوضى الناشئة عن هذا المبدأ.

إذا تكلمنا عن أي من أئمة المسلمين القدامى أو المستقبلين، فقد يكون معقولاً أن نحترمهم، وأن ندرس آراءهم، وأن نعجب بهم إذا أردنا ذلك، ولكن أن تكون فرقة، فهذا عين الخطأ في الإسلام.

من كفر القاديانية^(١)

انتهى الأخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الوكيل - رئيس الجماعة - من تأليف كتاب عن القاديانية وعقيدتها^(٢) وصلتها الوثيقة بالإنجليز، مستمداً ما كتب من نفس كتبهم، ولا سيما أقوال منشئها: (غلام أحمد القادياني الذي ظهر في قاديان من إقليم البنجاب، قبل تقسيم الهند إلى «الهند وباكستان»، وقد اخترنا من الكتاب ما يبين للمسلمين الصلة الوثيقة بين القاديانيين والإنجليز؛ ليحذر العرب والمسلمون وقد زعم الغلام أنه المسيح الموعود^(٣)).

فرضه الولاء للإنجليز وتحريمه الجهاد:

منذ سيطر الاستعمار الصليبي على الشرق، وهو يجد في عمله لأمرين: تجريد قلب المسلم من عقيدته، أو تشكيكه في دينه، الأمر الآخر: نزع سلاحه من يده، أو تبغيض حمل السلاح في سبيل الله إلى هذه اليد، أو إضعافها حتى لا تستطيع حمل سلاح، ولهذا نجد البهائية التي ظهرت في إيران، ثم استقرت في فلسطين - وكانت تعاصر القاديانية - تحرم الجهاد، وتجعل من تحريمه أول بشارة صدرت من معبودها الخائن ميرزا حسين علي المللقب بالبهاء، وعلى هذا المنوال نسج

(١) (١/١٣٨٦هـ).

(٢) فُقِدَ قبل الطبع، وتبقى منه هذه المقالات وقد جمعت مع مقالات أخرى للشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ محمد خليل هراس، رحم الله الجميع في كتاب واحد، طبع بدار الاستقامة بمصر، فله الحمد والمنة. (ض).

(٣) هذه المقدمة من مجلة الهدى النبوي في ذلك العدد. (ض).

عنكبوت القاديانية، فحكم غلامها بأن الله أرسله بنسخ الجهاد، ووجوب الولاء للإنجليز، ولست بحاجة إلى أن أقيم الدليل على أن هذا الوحي الدنيء وحي استعماري صليبي لعبيده!! وإذا كانت البهائية قد أكلت سحت الإنجليز والروس في إيران، ثم ربطت مصيرها بالصهيونية في فلسطين، أو اتخذت لها الصهيونية سنداً وديناً، وكانت بالغة الصراحة في صهيونيتها، حتى لقد جعلت أن من آيات ربها سيطرة اليهود على العالم كله بعد أن يعود إليهم كل ما كان يملك سليمان!! إذا كان ذلك كذلك فإن القاديانية قد ربطت مصيرها بالصليبية الاستعمارية، أو بالإنجليز!! وإنك لتجد الدعوة إلى الإيمان بإنجلترا، ووجوب الجهاد معها، والحفاظ على كيان إمبراطوريتها وسلطانها، وإيجاب الولاء لها، وتحريم الجهاد ضدها.. إنك لتجد كل هذا في المكانة الأولى من دعوة الغلام.

هكذا في زمن واحد يسلط الاستعمار على المسلمين في الهند وغيرها القاديانية، ويسلط عليهم في إيران وغيرها البهائية، ثم استقر بها في فلسطين، وكانت كما يرجو من المعاول التي هدمت كيان فلسطين!! فهل يعتبر المسلمون!!

هل يعتبر حلفاء القاديانية، وحلفاء البهائية من أبناء هذا الشرق؟ وهل يسأل كل واحد منهم نفسه هذا السؤال في هدوء ليحجب عنه في هدوء: لماذا قامت القاديانية والبهائية في عصر واحد؟ كان الغرب يسعى فيه لتقسيم العالم الشرقي كله؟؟

وإنك لترى الغلام - وهو يتكلم عن وجوب الولاء لإنجلترا - يغرق في الإطناب، ويسرف في التفصيل القادياني والتكرار المخل المخجل، ويستعين بكل مؤكد وقسم يعرفه في كل لغة يعرفها في سبيل إثبات أن لإنجلترا الفضل الأكبر

على المسلمين، واليد الطولى والمنن البيض على الإسلام، وفي سبيل الإفصاح عما يكنه لإنجلترا من حب أو عبودية.

وإليك عديدًا من النصوص التي تثبت وتؤكد ولاءه للإنجليز وأنه يرى الجهاد منسوخًا!!

(جرت عادة هذه الحكومة^(١) أن تفعل - كلما تفعل - بكمال الحزم والتؤدة، وأنها تتعهد رعاياها كالأبناء، ولا ترضى بأمر فيه مظنة الإيذاء؛ ولذلك وجب شكرها بما تساعد مساعدة الأمهات، وأين كمثل هذه الحكومة؟ فاطلبوا في الأقطار والجهات، وأرى كل عاقل يشني عليها لمنتها، ويفديها بمهجته وذلك لإحسانها، وكثرة حسناتها، فالحمد لله على هذه النعمة ولذلك وجب على كل مسلم ومسلمة شكر هذه الدولة فإنها تحفظ نفوسنا وأعراضنا وأموالنا بالسياسة والنصفة، وحرام على كل مؤمن أن يقاومها بنية الجهاد، وما هو جهاد بل هو أقبح أقسام الفساد، وهل من شأن فتوة الإسلام أن نعتاض إحسان المحسن بالحسام؟).

ويقول: (أخذت على عاتقي، وفرضت على نفسي أن أرسل حتمًا إلى البلاد الإسلامية تلك الكتب التي عارضت فيها فكرة الجهاد، وخالفت فيها تلك الفكرة، لذلك اشتهرت في البلاد العربية تلك الكتب).

ويقول: (لا أزال منذ حادثة سنّى أنشر بالحماسة القلبية كتبًا باللغة الفارسية والعربية والإنكليزية والأردية، تكرر فيها مرة بعد مرة أن المسلمين من واجبهم الذي يكونون آثمين عند الله إن تركوه أن يكونوا أولياء مخلصين وفين لهذه

(١) يعني الحكومة البريطانية التي كانت حاکمة الهند قبل أن تنقسم إلى: هند وباكستان.

الحكومة، ويكفوا أيديهم عن الجهاد والانتظار للمهدي السفاك للدماء.. وإنهم إن أبوا الإقلاع عن هذا الخطأ، فمن واجبهم على الأقل ألا يكونوا كافرين لنعمة هذه الحكومة المحسنة).

(يمر بخاطري أيضًا هذا الطيف اللطيف مرارًا من غير شعور واختيار، هو أنني ألفت بضعة كتب في منع الجهاد ومخالفته، ووجوب طاعة الحكومة البريطانية ناويًا الخدمة لها؛ ونشرتها في العالم، وكسبت كفرًا عوضًا عنها... أي اتهموني بالكفر، ومع الأسف الشديد أن الحكومة لا تعترف الآن ما أخدمها ليلاً ونهارًا به).

«أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعي، وكثر عددهم، قل المؤمنون بالجهاد إلا أنه يلزم عن الإيمان بأني مسيح^(١)، أو مهدي إنكار الجهاد».

(أخذ يخفف الله تعالى شدة الجهاد - أي: الحروب الدينية - رويدًا رويدًا بعد أن كانت شدة القتل وحدته في عهد موسى على نبينا وعليه السلام، بدرجة لم يكن الإيمان ينقذ المؤمن من القتل الذريع، وكان الرضيع أيضًا يقتل، ولما جاء عهد نبينا محمد ﷺ فحرم قتل الأولاد والشيوخ والنساء، ثم قبلت الجزية بدل الإيمان، وفي عهد المسيح الموعود أوقف حكم الجهاد مطلقًا للأبد).

يقول: (كل من سل السيف على الكافر، ويصف نفسه بالغازي فهو يخالف أمر ذلك الرسول ﷺ الذي أخبر قبل ثلاثة عشر قرنًا بأن جميع الجهاد الجهاد بالسيف سينتهي بعد مجيء المسيح الموعود؛ لذلك بعد ظهوري لم يكن الجهاد

(١) زعم أنه المسيح الذي ينزل آخر الزمان، بل زعم أنه خاتم النبيين، بل زعم أنه هو روح الله سبحانه أو هو هو، كما بين الأخ في كتابه.

بالسيف، ورفع من جانبي العلم الأبيض).

وبهذا فضح نفسه وسريته، وبين لماذا زعم أنه هو المسيح الموعود، وكشف القناع عن أولئك الذين دفعوه إلى هذا، ورفع العلم الأبيض كناية عن الاستسلام!! استسلام المسلمين للإنجليز وهذا ما يريده القاديانيون!.

ويقول: (إن ديني الذي أنا أبديه للناس مرة بعد مرة هو أن الإسلام منقسم قسمين، الأول: أن نطيع الله تعالى، والثاني: أن نطيع الحكومة التي أقامت الأمن، وأظلتنا بظلمها، وحمتنا من الظالمين، وهذه الحكومة هي الحكومة البريطانية). رأيتم أية هو سحيفة تردى فيها القاديانيون، حتى ليجعل نيهم المزعوم طاعة الإنجليز شطراً من شطري الإسلام!!

القاديانية جواسيس الإنجليز وجنودهم:

إن تاريخ القاديانية يؤكد لنا أنهم جواسيس الإنجليز القذرون في هذا الشرق، فمن الحقائق التاريخية التي يؤمن القاديانيون بصحتها أن إنجلترا أرسلت إلى الأفغان جاسوسها القذر «صاحب زاده عبد اللطيف القادياني»، ومضى الأفغان الحُبُّ يدعو إلى الإيمان بنسخ فريضة الجهاد، ونشط في دعوته نشاطاً محموداً بالأحقاد حتى أفرع حكومة الأفغان، إذ رأت في دعوته الخبيثة قضاء على روح الجهاد، فأصدر الأمير حبيب الله خان أمراً بإعدامه.

وفي سنة ١٩٢٥م أعلن وزير داخلية أفغانستان القبض على جاسوسين قاديانيين هما: الملا عبد الحليم الجهار آسياني، والملا نور شلبي دوكاندار الحانوتي، إذ تبين أنهما كانا يدبران مؤامرة ضد حكومة الأفغان بوحى من الإنجليز - ومنها اغتيال الملك - وقد عثر معها على رسائل تثبت أن لهما بالإنجليز صلة وثقى.

ومما قاله أحد الجواسيس الذين أرسلت بهم إنجلترا إلى روسيا: (كنت كلما دعوت الناس إلى فرقتي أرى من الواجب على نفسي أن أخدم الحكومة البريطانية). وقد نشر هذا في صحيفة الفضل الصادرة بتاريخ ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٢٢ بتوقيع «محمد أمين القادياني»، كما نشرت هذه الصحيفة في أول نوفمبر سنة ١٩٣٤ خطبة للخليفة القادياني جاء فيها: ترى الدنيا فينا أننا وكلاء للإنجليز، عندما اشترك أحد وزراء ألمانيا في افتتاح البناء الأحدي بألمانيا سألته حكومته: لماذا اشتركت في مناسبة تخص جماعة هم وكلاء للإنجليز؟ وكان هذا الوزير وزيراً للمعارف في ألمانيا، وقد أثار ما فعله الشعب الألماني، ودفعه إلى اتهامه بأنه تعاون مع فرقة معروف عنها أنها تعمل للإنجليز.

وحينما استولت إنجلترا على العراق في أثناء الحرب العالمية الأولى بجيش هندي عبر القاديانيون عن بهجتهم بما يأتي: (قال المسيح الموعود: إني المهدي، والحكومة البريطانية سيفي المسلول، الذي لا يقف أمامه أولئك العلماء المعروفون، فالآن وقد جاء مقام التفكير والجد، فإننا نحن الأحديين - لماذا لا ننتهج بهذا الفتح المبين، سواء أكان ذلك الفتح في عراق العرب، أو الشام، وأنا أريد أن أرى بريق السيف في كل مكان. عند فتح بغداد دخلت جيوشنا من المشرق، فكروا متى تنبئ بهذا الفتح والانتصار! حكومتنا البريطانية التي هاجمت من جهة البصرة وأرسلت الجيوش من هذه الناحية بعد أن جندتهم من أفراد الأمم المختلفة، وكان محرك هذا الإرسال، وذلك التجنيد في الحقيقة تلك الملائكة التي أنزلها الله تعالى، لكي تهيم لتقديم جميع أصناف المساعدة مستمليين قلوب الناس نحو هذه الحكومة في

حينه^(١) أخبار الفضل قاديان المجلة السادسة. رقم ٤٢ بتاريخ ٧/١٢/١٩١٨م أو صدق مسلم أن الملائكة تقاتل في نصر إنجلترا؟ وهل يقترب هذه الكبيرة الآثمة مسلم في قلبه لمحة نور من إيمان؟

وقال خليفة الغلام: (أراق الأحاديون دماءهم في فتح العراق، وجندوا آلافًا مؤلفة، وذلك بناءً على تشجيعي إياهم، وسافروا إلى ساحة القتال معي شاهرين سلاحهم، وشاركوا فيه). من خطبة جمعة ألقاها خليفة الغلام وقد نشرتها صحيفة أخبار الفضل المجلة الحادية عشرة بتاريخ ٣١/٨/١٩٢٣.

ولقد أسفّت القاديانية في وضاعتها حتى جعلت من نفسها عينًا للصليبية ضد المسلمين خاصة، وإليك نص ما قاله الغلام: (حيث إن العلاقة الخاصة بالمصلحة والأمنية للحكومة تقتضي أن نضع قائمة جدول أسماء أولئك المسلمين الأغرار الذين يؤمنون سرًا بأن الهند البريطانية دار حرب؛ لذلك أنشئت هذه القائمة بأمرى، لكي يحفظ فيها أسماء أولئك الذين لا يقدرّون الحق، ولا يعرفونه، وللذين جبلوا على إثارة الفتنة - وإن كان من حسن حظ الحكومة - أنه يمكن أن يعرف بعض المسلمين الذين لهم إرادة خفية أشد الخفاء ضد الحكومة البريطانية في الهند البريطانية، لذلك أردت أن يضبط أسماء أولئك الأشرار الذين يكتبون على أنفسهم أحوالًا مفسدة مبينة على عقيدتهم الفاسدة بهذه المناسبة المباركة الأمانة السياسية لحكومتنا المحسنة، غير أننا نقدم لحكومتنا بأدب واحترام.

(١) يحرم الجهاد على المسلمين، ويقّس بريق السيف الإنجليزي الذي خضبتّه دماء الأيتام والأيامى والشيوخ من المسلمين!!

إن مثل هذه القائمة تكون محفوظة لدينا كسر من الأسرار السياسية إلى أن تطلب منا، ولذلك نرجو من حكومتنا الرشيدة، أن تحافظ على هذه الأسرار كسر سياسي في مكان محفوظ). اقتراح من الغلام أدرج في الرسالة التبليغية؛ انظر المجلة الخامسة ص (١٨) لمير قاسم القادياني.

وجاء في نفس الصحيفة أخبار الفضل: (ولما اشتعلت نار حرب الأفغان ساعدت جماعتنا فوق طاقتها علاوة على ذلك، فقدمت للحكومة طابورًا مزدوجًا لأداء أصناف من الخدمات، وقد أوقف تجنيدها لأجل الهدنة، وإلا فقد كانت قدمت طلبات من المتطوعين أكثر من ألف طلب - المجلة التاسعة رقم (١)، بتاريخ ١٩٢١/٧/٤ قادياني^(١)).



(١) الهدي النبوي:

ما رأي الذين شتموا الأخ الأستاذ عبد الرحمن من أجل كلمة حق قالها عن القاديانية في بعض أعداد هذه الصحيفة، هل يجزؤ أحد أن ينسب القاديانية إلى المسلمين، وهذا بعض ما ذكره الأخ الكريم عنهم من حقائق؟

ومرة أخرى: من كفر القاديانية^(١)

كتبت في العدد السالف مقالاً عن القاديانية تحت عنوان: «من كفر القاديانية»، وقد نقلته كما هو من كتاب ألفته عن هذه النحلة ولم يطبع بعد، وأضرع إلى الله أن يعين على طبعه حتى يتبين المسلمون ما وراء القناع الزائف من وجه يسجد صاحبه للشيطان، غير أن ما نشرته من الحق أثار قادياناً يعيش في «الدانهارك»، وقد كتب لي مراراً من قبل، وفي أحد خطابه يتهمني بالضلالة والجهالة وغيرهما. وكان الأخ الكريم الفاضل الدكتور «أمين رضا» الأستاذ المساعد بكلية الطب بجامعة الإسكندرية قد التقى بهذا القادياني في إحدى رحلاته ودار بينهما مناقشة ومراسلة، فكان أن أرسل إلى الأخ العزيز كتاباً يشكو فيه مما كتبت زاعماً أنه كله أخطاء.

ويشهد الله منذ كتبت عن الضلالات أنني لم أبح لنفسي رَمِيها بغير ما فيها، فما استطاع صوفي واحد مثلاً - على تحفزهم واحتشادهم لإبطال ما أقول - أن يجد لي نقيصة تزوير قول عليهم، أو افتراء شيء لم يقوله، لقد رموني بسوء فهم ما يقولون، لكن لم يرمني أحدهم بافتراء ما أقول، أو أنسب إليهم شيئاً لم يقوله، وكذلك فعلت بالبهائية، وكذلك فعلت بالقاديانية وعندى كثير من كتبها.

وجماعة أنصار السنة أحرص ما تكون على وحدة المسلمين، ولكن أي مسلمين؟؟ المسلمون الأعزة الأبرياء الذين لا يرتبطون بعجلة الاستعمار، ولا يكونون أبواباً للاستعمار، ولا يعيشون على الفتات القدر من نفايات الاستعمار، وإذا كان

القادياني الدانمركي يقول: (لقد جاء الإنجليز إلى الهند وخلصوا المسلمين من حكم السيخ والهندوس الاستبدادي، وضمنوا الحرية الدينية أفلا يجب عليه - أي على غلام أحمد - وعلى كل مسلم نزيه أن يكون شاكرًا).

أكاد أجزم أن هذا القادياني يوقن في طوايا نفسه أنه يكذب، فالإنجليز لم يضطهدوا قومًا في الهند كما اضطهدوا المسلمين الحقيقيين، وسنبرز في كتابنا الأدلة الدامغة على ذلك، ثم متى كان المسلمون يحسبون أنفسهم مسلمي بقاع معينة لا صلة لهم بالمسلمين في بقاع أخرى، ففي الوقت الذي كان فيه الإنجليز يطعمون غلام أحمد القادياني كُبود أرامل المسلمين وأيتامهم، ويزعمون أنهم بهذا يبرون المسلمين في شخص غلام أحمد، كان الإنجليز يبغون على المسلمين في كل بلد استعمروها، وساموا أهلها الخسف والهوان.

ثم ليُرني القادياني الدانماركي آية من قرآن أو قطعة من حديث توجب شكر عبدة الصليب والخنازير؟ ثم متى كان «النبي» مستضعفًا هكذا حتى يفرض على نفسه وعلى أتباعه شكر أمة قامت على البغي والعدوان واستنزاف دماء الشعوب؟!، اقرأ تاريخ النبي محمد ﷺ وموقفه من كسرى وقيصر وغيرهما؛ لتعرف كيف تكون رجولة الأنبياء، لا خنوثة صاحبك الذي ما عاش إلا ليمجد الإنجليز!! ولقد زادني خطاب القادياني الدانماركي ثقة في أن هؤلاء القوم حمائل استعمار إنجليزي خبيث، تحاول أن تلبس أقنعة تراءى بها أنها مسلمة.

ولهذا ينشط الأحمديّة أو القاديانية في كل مكان، لعلهم يستطيعون إيجاد أمة تسمى «مسلمة» وتدين بالولاء الخالص للإنجليز، فهل يعرف المسلم لماذا ينشط القاديانيون، وهذا أحدهم دانماركي يفرض علينا الشكر للإنجليز؟

لنقرأ ضحايا الإنجليز من المسلمين، لنقرأ الخسف والهوان الذي أوقعه الإنجليز بالمسلمين في مصر وفي العراق، لنقرأ ما فعل الإنجليز بفلسطين وتمكينهم منها حثالة الدنس والبغي والنجس، ظناً من الإنجليز أن الصهيونية إذا سيطرت على فلسطين ثم من الفرات إلى مصب النيل، فإن يسوع سينزل، وحينئذ يؤمن الصهيونيون بشارة الإنجيل، ويكرزون به في أنحاء المعمورة!!
أنشكر هؤلاء؟؟

هل يذكر الكاتب ضراوات الصليبية وأحقادها حينما اقتحمت بيت المقدس؟ أذكرك برتشارد ملك الإنجليز الملقب بقلب الأسد، وبالمؤرخ الأمريكي الكبير ول ديورانت، فهذا يقول عن ذاك في كتابه الكبير: «قصة الحضارة الجزء الخامس عشر من الطبعة العربية من ص (٢٥، ٤٢)»: (أمر رتشارد أن تضرب رءوس ٢٥٠٠ من الأسرى المسلمين أمام أسوار المدينة لينبه بذلك الأهلى إلى وجوب الإسراع في تنفيذ الشروط).

وإني لأرجو أن يقارن القادياني بين فريضة الجهاد في الإسلام وبين ما هو مذكور في شرعة اليهود والنصارى عن القتال: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسلمك بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك) الإصحاح المتمم للعشرين من سفر التثنية، هؤلاء هم سادة الغلام في شريعتهم، أفيجب علينا شكرهم؟

إن للنبي - أيها القادياني - كرامته وعزته وشممه وإباء نفسه ورجولته وبطولته وفدائيته، إن النبي إيمان ورجولة وبطولة وفدائية يقودها إلى المثل الأعلى وحي من الله سبحانه، لا يفرض عليه شكر كافر، ولا مدهانة غاصب ظلوم.

وحينما استولى الإنجليز على العراق في أثناء الحرب العالمية الأولى بجيش هندي عبر القاديانيون عن فرحتهم بما نصه: (قال المسيح الموعود: إني المهدي والحكومة البريطانية سيفي المسلول الذي لا يقف أمامه أولئك العلماء المعروفون، فالآن وقد جاء مقام التفكير والجد، فإننا - نحن الأحمديين - لماذا لا نبتهج بهذا الفتح المبين. سواء أكان ذلك الفتح في عراق العرب أو الشام، وأنا أريد بريق السيف في كل مكان، عند فتح بغداد دخلت جيوشنا من المشرق، فكروا متى تنبئ بهذا الفتح والانتصار؟

حكومتنا البريطانية التي هاجمت من جهة البصرة وأرسلت الجيوش من هذه الناحية بعد أن جندتهم من أفراد الأمم المختلفة، وكان محرك هذا الإرسال وذلك التجنيد في الحقيقة تلك الملائكة التي أنزلها الله تعالى، لكي تهين لتقديم أصناف المساعدة مستميلين قلوب الناس نحو هذه الحكومة في حينه^(١).

أيصدق مسلم أن الملائكة تقاتل في سبيل إنجلترا؟

وهل يقترب هذه الكبيرة الخاطئة مسلم؟ وهل يباح الغزو الحقود والفتك والتدمير للإنجليز، ويحرم الجهاد على المسلمين؟

ظفر الله خان:

ويزعم القادياني - دفاعاً عن القاديانيين - أن ظفر الله خان القادياني دافع عن

(١) أخبار الفضل قاديان. المجلة السادسة رقم (٤٢) بتاريخ ٧/١٢/١٩١٨

فلسطين في هيئة الأمم المتحدة، وهو الذي كان وزيراً للخارجية الباكستان حين استقلت وزكم الوزارة والسفارات والمفوضيات بالقاديانيين، وجعلهم يتغلغلون في جيش الباكستان.

وأقول: دافع لأن الباكستان تريد هذا، أما هو فكان ستاراً يريد به جعل الباكستان كلها قاديانية، وإليك ما تقوله عنه صحيفة قاديانية: (أوفدت الفرقة القاديانية الأحمدية وفدًا لاستقبال وتبريك وتهنئة حضرة صاحب الفخامة الحاكم العام للهند «اللورد رودريك» في قصره في ٢٣/٦/١٩٢١ ميلادية، شرف حضرة صاحب الفخامة الحاكم العام أعضاء الوفد بعد أن جلسوا في أماكنهم، ثم قدم السكرتير الخاص لفخامته سكرتير الوفد الشودري ظفر الله خان، ثم قام سكرتير الوفد بتقديم أعضاء الوفد لفخامته، ثم ألقى الشودري خطاب التمجيد بين يديه ذكر فيه أن هذه التهنئة من الجماعة الأحمدية القاديانية، وبين فيه أحوال أسرة المسيح الموعود وتعاليمه، ثم لفت نظر فخامته إلى ما قامت به الجماعة والفرقة من الخدمات لأجل إقرار السلام والنظام والأمن العام) أخبار الفضل قاديان المجلة الثامنة في ٢٧/٦/١٩٢١.

موقف القاديانيين من المسلمين:

لا يحقد القاديانيون على أمة حقدهم على المسلمين، لا شيء إلا لأن المسلمين أخذتهم الغيرة الصادقة على كتاب الله، فثاروا على فتنة الغلام، ودمغوه بصفاته، وجاهدوا ضلالاته.

أما الإنجليز في صليبتهم وخنزيريتهم وبغيهم السفیه على القرآن، فلم ينالوا من القاديانية سوى التقديس والتمجيد، ألم تر إلى الغلام يحرم الجهاد تحت ظلال

سيوف الله، ويفرضه تحت سيوف الإنجليز، ويستحث أتباعه على هذا؟! ألم تر إلى القاديانيين يصبون نقمتهم على كل مسلم، ويستحث بعضهم بعضاً على قطع كل صلة، وفصم كل عروة بينهم وبين المسلمين؟! وإليك النصوص: (إن جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون عن دائرة الإسلام، ولو كانوا لم يسمعوها باسم المسيح الموعود)، (كل رجل يؤمن بمحمد، ولا يؤمن بالمسيح الموعود، فما هو بكافر فحسب، بل هو راسخ في الكفر، وخارج عن دائرة الإسلام)، («كل رجل من غير الأحمديين كافر إذ أن الكفر ولو بنبي واحد هو الكفر»^(١))، (قال المسيح الموعود: إن إسلامهم غير إسلامنا، وإلههم غير إلهنا، وحجهم غير حجنا، وهكذا نخالفهم في كل شيء)، (من الخطأ بأننا لا نخالف المسلمين إلا في مسألة وفاة المسيح، أو غيرها من المسائل الأخرى، إننا نخالفهم في ذات الله تعالى، وفي الرسول، وفي القرآن والصلاة والحج والزكاة). ولهذا لم يُصَلِّ ظفر الله خان على محمد علي جناح الرئيس الأول لدولة باكستان، والذي أرغمه الإنجليز على أن يكون ظفر الله خان وزيراً لخارجيته!! (النصوص ص ٣٥ مرآة الصدق) ص (١١٠) ريو يراف ريلجنتر، الفضل ٢٦، ٢٧ يونية سنة ١٩٢٢، الفضل ٣٠ يولية سنة ١٩٣١. وهو من كلام الغلام وولده.

هذا بعض من بعض ما عند القاديانيين، ولقد بذلت بعض ما يجب في سبيل إقناع من يحسن الظن بهؤلاء وجئته بالأدلة من كتب غلام أحمد. وحسب القاديانيين خطيئة

(١) هذه حقيقة، ولكنهم يريدون من ورائها إثبات أن غلام أحمد القادياني نبي، ولهذا يكون كافراً من لا يصدق بنبوته، أي أن تكون أمة القرآن كلها كافرة ما عدا الأحمديين!!

أن يحيا نبهم المزعوم على الولاء للطغاة البغاة - أكلة أكباد الشعوب - الإنجليز وهم بعض من قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ولست من الذين يمقتون أن يدخل الناس في الإسلام، بل ممن يحبون أن يصير العالم كله أمة مسلمة، ولست أسعى أبداً إلى التفريق بين مسلم ومسلم، أو ألعن مسلماً، أو أكفره، ولكننا نحارب البدع والنفاق وأن يدخل الناس في الإسلام بغية القضاء عليه وعلى أمته. لقد علمنا الرسول بوحى من الله أن نقيم وجوهنا لله ونحن حنفاء، ولكن غلام أحمد يريد منا أن نقيم القلب والوجه والسيوف للإنجليز. ومن يقرأ ما كتبه غلام أحمد للإنجليز يتبين له جيداً ما كان عليه الغلام من خسة ووضاعة ودناءة زلفى، حسبنا الكتاب الذي أرسل به إلى فيكتوريا ملكة الإنجليز، إن هذا الكتاب وحده يدمغه بأنه دَعِي لا نبي، وقد نشره في كتابه التبليغ تحت عنوان: «ذكر الدولة البريطانية وقيصرة الهند جزاها الله عنا خير الجزاء»، ومما جاء فيه عن الملكة: (اللهم بارك لنا وجودها، واحفظ ملكها من مكائد الروس، ومما يصنعون، قد رأينا الإحسان الكثير، والعيش النضير، فإن فرطنا في جنبها، فقد فرطنا في جنب الله... ومن عصاهم منا، أو خرج عليهم، وحاربهم، فأولئك الذين اعتدوا حدود الله ورسوله، وأولئك هم الجاهلون).

خاتمة:

هذا بعض ما عندكم - أيها القادياني - وإنه لعزيز على نفسي، أن يخدعك القاديانيون وأنت في الدانمارك، فتظن بالإسلام ظنهم، وإنه ليسعدني اليوم الذي أراك فيه متدبراً للقرآن، آخذاً بهداه فاتحاً له قلبك، متدبراً في وعي تام سيرة خاتم النبيين محمد ﷺ؛ لترى كيف تكون حقيقة النبوة في إيمانها وكبريائها النفسي

العظيم الذي يستعصي على كل شائبة من ذلٍّ لغير الله.

أدعوك باسم الله إلى تدبر القرآن بفهمك لا بفهم قادياني، ولعلك ترى حقيقة النور وبهائه وجماله، أنا لا أحقد عليك، وإنما والله أحب أن أراك على طريق محمد ﷺ طريق الحق والخير والكرامة، أو كان القرآن في حاجة إلى نبي آخر يأتي به؟ أو كان المسلمون في حاجة بعد القرآن إلى كتاب آخر؟

ثم بوعي تام أرجو أن تبين لي: الجديد الذي جاء به غلام أحمد القادياني؟ أولاً: أنه المسيح الموعود، أو غير ذلك مما ادعاه.

ثانياً: بل هو الهدف كله من دعواه: وجوب الولاء للإنجليز.

ثالثاً: وهو مرتبط بما قبله: الحكم بنسخ الجهاد إلا تحت علم الإنجليز.

تدبر قليلاً بهدوء بسكينة، وأنت غير متعصب إلا للحق، وأنت غير ناقم مني شيئاً، تدبر جيداً وقارن بين دعوة القرآن وبين دعوة غلام أحمد.

أضرع إلى الله أن يبين لك طرق الحق.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].



الباب الثامن

الدفاع عن الإسلام والتوحيد والسنة وأهلها

كفاح في إفريقية ضد الاستعمار^(١)

نشرت صحيفة «الأهرام» في عددها الصادر بتاريخ «٣٠/١٠/١٩٦٠» تحقيقاً صحفياً عن جمهورية «غينيا» وعن كفاح رئيس جمهوريتها الشاب «سيكوتوري» في سبيل دعم استقلال وطنه، وقد عدد صاحب التحقيق الأستاذ «محمد حقي» المعارك التي خاضها «سيكوتوري» في سبيل ذلك، ومما جاء في مقاله: (وانتقل سيكوتوري بعد ذلك من معركة الأنااس، والبن والنقد، إلى معركة ثانية، وهي ليست بأقل أهمية، معركة ضد القبليّة ومشايخ الطرق، وهم يتمتعون بنفوذ كبير، وخطرهم يكمن في أن فرنسا كانت تشتري ذممهم لخدمة الاستعمار، والمعركة تستلزم أن يطارد الحزبُ الخرافات، والتقاليد البالية من كل بيت وكل أسرة وكل عقل).

وهكذا يأتينا الدليل تلو الدليل، على أن الصوفية أوكار استعمارية، وعلى أن الخرافات التي تبثها عدو مبين للأمة التي تريد أن تنهض، وأن تسمو، وأن تحقق أمجادها، والصوفية تقوم على أساس من «الكهنوت» الذي يستبدل كرامة الجماعة في سبيل تحقيق شهوات فرد، وعلى أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الله إلا حين يأخذ بيده «شيخ»، وعلى أن الشيخ قد يقترف الخطايا استجابة لما رآه مسجلاً في كتاب القدر!! وأنه لا يجوز «للدرويش» أن يعترض على شيخه حتى بقلبه حين يراه عاكفاً على المصيبة!

ولقد قال الزعيم الوطني مصطفى كامل في كتابه «المسألة الشرقية»^(١) ما يأتي:
 (ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان «في تونس» أن رجلاً
 فرنسائياً دخل في الإسلام وسمى نفسه: «سيد أحمد الهادي» واجتهد في تحصيل
 الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية، وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان، فلما
 اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها، وجاءوا يسألونه أن
 يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه، فدخل سيد أحمد الضريح، ثم
 خرج مهوَّلاً لهم بما سينا لهم من المصائب، وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم؛
 لأن وقوع البلاد صار محتماً، فاتبع القوم البسطاء قوله، ولم يدافعوا عن مدينة القيروان
 أقل دفاع، بل دخلها الفرنسيون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١).

وحق ما يقوله الأستاذ عمر فروخ تعقيباً على هذه القصة: (فليس ببدع أن
 تكون الصوفية قد أثارت منذ أول أمرها مخاوف سياسية مُزدوجة: أن تكون ستاراً
 لحركات هدامة، وأن تكون شَرَكاً للعامة بصرفهم عن أهدافهم القومية العليا، من
 أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يصدقون على الصوفية الجاه
 والمال، فرب مَفْؤُض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من
 وجوه البلاد، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر، ويقضي هنالك
 زيارة سياسية تستغرق الساعات!!، أليس التصوف يقتل عناصر المقاومة في
 الأمم؟! وتكثر التآليف الصوفية في أمم أوروبا على نسبة اهتمامها بالاستعمار،
 ولذلك عندهم هدفان:

أولهما: تثقيف قومهم بأسلوب من أساليب الاستعمار.

وثانيهما: إغراق المثقفين من سكان الشرق بكتب الصوفية لصرفهم عن عمود القومية وعرين العزة وميادين الكفاح الوطني^(١) وكلما بحثت عن أحد المؤلفين في الصوفية رأيته ينتمي إلى دوائر في بلاده تهتم بالاستعمار مباشرة، أو غير مباشرة^(٢). وما قاله الأستاذ «عمر فروخ» حق يؤيده الواقع، وأحداث التاريخ الصادق. وإننا حين ندرس تاريخ الأمة الإسلامية يتبين لنا بجلاء أن التصوف كان لا ينتشر، ولا يقوى باعه وسلطانه إلا في عصور الجهالة والضعف، والتحلل من قيم الدين وشريعته، ولقد فهم زعماء التصوف هذه الحقيقة، فأرادوا سترها بزيف من الباطل، إذ ينسبون إلى المتصوفة بعض أبطال الإسلام، بل زادوا فزعموا أن خلفاء رسول الله البررة كانوا صوفيين، والثابت أن بدعة التصوف بين المسلمين لم تولد إلا في القرن الثاني، ثم شَبَّتْ وطغت بعد ذلك في القرون التي غزا فيها التتار والصليبيون دولة الإسلام، وكما كان التصوف حرباً على الإسلام والمسلمين، في أمة عبد الله ورسوله محمد ﷺ، كذلك كان في أمم الرسل من قبل، كموسى وعيسى عليهما السلام، فهو الذي ظل يكافح حتى حُرف التوراة والإنجيل؛ وأحال مسلمي هاتين الأمتين إلى وثنيين، وإنك لترى التشابه التام القوي بين التصوف الذي نجم من قبل، وبين التصوف الذي نجم في الأمة الإسلامية، مما يحقق قول الله

(١) التعبير الصحيح الذي كان يجب أن يذكره المؤلف هو «لصرفهم عن الإسلام الصحيح»،

الإسلام الصحيح يهب لأصحابه القوة والعزة، ويدعوهم إلى التضحية والفداء في سبيل الله.

(٢) ص (١١) التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ.

عن أعدائه في كل أمة: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

ولقد لمح هذه الحقيقة، حقيقة أن التصوف يوهن من مقاومة الأمة، ومن مُقَوِّماتها ويصرفها عن مثلها العليا إلى الضعف والخمول، والتواكل الذليل، لمح هذا المستشرق «جولدزير» فسجله في كتابه: «العقيدة والشريعة في الإسلام»، فقال: (أثر الصوفيون أثراً قوياً على الجماهير الخاضعة لنفوذهم؛ فقلَّ إعجابُ الناس بتلك السِّمة العسكرية التي كانت لأبطال الإسلام وكُمَّاته - والشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئة المجاهدين - فانصرفوا عنها، وولوا وجوههم نحو صور الزُّهاد، وأجسام العُباد الهزيلة، والرهبان، المنقطعين في الصوامع، بل إن الأبطال الأقدمين في عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثلاً يحتذى، صار لزاماً أن يحصلوا على صفات البطولة الجديدة، أي أنهم جُرِّدوا من سيوفهم، وألْبِسُوا أُرْدِيَةَ الصوف) (١).

وما بنا من حاجة إلى أن ننص على أن «جولدزير» لا يحابي أهل السنة، فهو حريص على تمجيد التصوف في كثير من الأحيان، غير أنه كان أحياناً ينجح إلى احترام عقله واحترام الحقيقة، وقد بين المستشرق في جلاء - وتاريخ التصوف وكتبه يؤيدان ما ذهب إليه - أن التصوف جنى على المسلمين جناية فانتزع منهم الإعجاب بالقوة والبطولة، وصرفهم إلى الإعجاب بالضعف والجبانة، وانتزع منهم حُبَّ الاقتداء بأبطال الإسلام في الإيمان والجهاد والفتح، وصرفهم إلى الاقتداء بأولئك الذين انطوا على أنفسهم في غيابات المغاور، والكهوف!! بأولئك العاكفين

على الرهبانية الخائفة المذعورة من الحياة والعمل في سبيل إعلاء كلمة الله فيها. كما بين المستشرق الجناية الكبرى التي اقترفها مؤرخو المتصوفة ضد تاريخ الأمة الإسلامية، وأبطالها الأشاوس المغاوير، إذ نسبوهم في تواريخهم الزائفة إلى المتصوفة، وجردوهم من سمات القوة والكفاح الجليل في سبيل الله، ونسبوا إليهم صفات تجعل منهم «دراويش» يرتدون أردية الصوف التي يسرح فيها العقل، ويؤدي نيتها الريح، وقد غُيِّبَتْ وجوههم وأقفيتهم تحت شعورهم القدرة، ليجعلوا من هذه الأشباح مثلاً علياً، ويدعون أن الاقتداء بها، أي يدعون إلى الاستكانة والعبودية للخرافات، والخنوع لكل طاغية جبار. بيد أننا نعيش في ثورة!!.

ثورة ضد الضعف، ضد الخمول، ضد الذل والاستكانة للاستعمار، ثورة ضد هذه «القطارات» العفنة التنتة التي يدعونا بعض الناس إلى الإيمان بقدسياتها وروحانياتها، وإنا لواثقون أن هذه الثورة ستكتسح هذا الركام من البدع والخرافات، وسيجرف تيارها القوي هذا الغناء! لتخلص منه القلوب ولتتجاوب العقول مع الحق والعلم الصحيح.



ابن بطوطة يفتري الكذب على ابن تيمية

مما افتراه الخراصون على شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية (رحمته الله) ^(١)، أنه كان يوماً

(١) هو شيخ الإسلام، الإمام أبو العباس: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي . ولد يوم الإثنين العاشر من ربيع الأول بحران سنة ٦٦١ هـ، ولما بلغ من العمر سبع سنوات انتقل مع والده إلى دمشق؛ هرباً من وجه الغزاة التتار، وتوفي ليلة الإثنين العشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ، وعمره (٦٧) سنة.

نشأته:

نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوته وكثير من أعيامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى - الرابع - محمد بن الخضر، ومنهم عبد الحليم بن محمد ابن تيمية، وعبد الغني بن محمد ابن تيمية، وجده الأدنى عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف التي منها: المنتقى من أحاديث الأحكام، والمححر في الفقه، والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك أبوه عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، وأخوه عبد الرحمن وغيرهم.

ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة صاحب الترجمة، وقد بدأ بطلب العلم أولاً على أبيه وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها، واجتمعت فيه صفات المجتهد وشروط الاجتهاد منذ شبابه، فلم يلبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة، قبل بلوغ الثلاثين من عمره.

خصاله:

بالإضافة إلى العلم والفقه في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد وهبه الله خصالاً حميدة، اشتهر بها وشهد له بها الناس، فكان سخياً كريماً يؤثر المحتاجين على نفسه في الطعام واللباس وغيرهما، وكان كثير العبادة والذكر وقراءة القرآن، وكان ورعاً زاهداً لا يكاد يملك شيئاً من متاع الدنيا سوى الضروريات، وهذا مشهور عنه عند أهل زمانه حتى في عامة الناس، وكان متواضعاً في هيئته ولباسه ومعاملته مع الآخرين، فما كان يلبس الفاخر ولا الرديء من اللباس، ولا يتكلف لأحد يلقاه، واشتهر أيضاً بالمهابة والقوة في الحق، فكانت له هيبة عظيمة عند السلاطين والعلماء وعامة الناس، فكل من رآه أحبه وهابه واحترمه، إلا من سيطر عليهم الحسد من أصحاب الأهواء ونحوهم. كما عرف بالصبر وقوة الاحتمال في سبيل الله، وكان ذا فراسة وكان مستجاب الدعوة، وله كرامات مشهودة، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

عصره:

لقد عاش شيخ الإسلام رحمه الله في عصر كثرت فيه البدع والضلالات، وسادت كثير من المذاهب الباطلة، واستفحلت الشبهات وانتشر الجهل والتعصب والتقليد الأعمى، وغزيت بلاد المسلمين من قبل التتار والصليبيين - الإفرنج -. ونجد صورة عصره جلية واضحة من خلال مؤلفاته التي بين أيدينا؛ لأنه اهتم بأجلّ أمور المسلمين وأخطرها، وساهم في علاجها بقلمه ولسانه ويده، فالتأمل في مؤلفات الشيخ يجد الصورة التالية لعصره:

- كثرة البدع والشركيات خاصة حول القبور والمشاهد والمزارات المزعومة، والاعتقادات الباطلة في الأحياء والموتى، وأنهم ينفعون ويضررون ويدعون من دون الله.
- انتشار الفلسفات والإلحاد والجدل.

- هيمنة التصوف، والطرق الصوفية الضالة على العامة من الناس، ومن ثم انتشار المذاهب والآراء الباطنية.

- توغل الروافض في أمور المسلمين، ونشرهم للبدع والشركيات وتثيبتهم للناس عن الجهاد، ومساعدتهم للتتار أعداء المسلمين.

- وأخيرًا نلاحظ تَقَوِّي أهل السنة والجماعة بالشيخ وحفزه لعزائمهم مما كان له الأثر الحميد على المسلمين إلى اليوم في التصدي للبدع والمنكرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

وقد وقف الشيخ رحمته الله في عصره إزاء هذه الانحرافات موقفًا مشهودًا، أمرًا وناهيًا، وناصحًا، ومبينًا، حتى أصلح الله على يديه الكثير من أوضاع المسلمين، ونصر به السنة وأهلها، والحمد لله .

جهاده ودفاعه عن الإسلام:

الكثير من الناس يجهل الجوانب العملية من حياة الشيخ، فإنهم عرفوه عالمًا ومؤلفًا ومفتيًا، من خلال مؤلفاته المنتشرة، مع أن له مواقف مشهودة في مجالات أخرى عديدة ساهم فيها مساهمة قوية في نصرة الإسلام وعزة المسلمين، فمن ذلك: جهاده بالسيف، وتحريضه المسلمين على القتال، بالقول والعمل، فقد كان يجول بسيفه في ساحات الوغى، مع أعظم الفرسان الشجعان، والذين شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالعدو.

أما جهاده بالقلم واللسان فإنه رحمته الله وقف أمام أعداء الإسلام من أصحاب الملل والنحل والفرق والمذاهب الباطلة والبدع كالطود الشامخ، بالمنظرات - حينًا - وبالردود - أحيانًا - حتى فند شبهاتهم، ورد الكثير من كيدهم بحمد الله، فقد تصدى للفلاسفة، والباطنية، من صوفية، وإسماعيلية ونصيرية وسواهم، كما تصدى للروافض والملاحدة، وفند شبهات أهل =

البدع التي تقام حول المشاهد والقبور ونحوها، كما تصدى للجهمية والمعتزلة والأشاعرة في مجال الأسماء والصفات، وبالجملية فقد اعتنى ببيان أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ورد الشبهات حول هذه الأنواع.

والمطلع على هذا الجانب من حياة الشيخ يكاد يجزم بأنه لم يبق له من وقته فضلة، فقد حارب وطورد وأوذى وسجن مرات في سبيل الله، وقد وافته منيته مسجوناً في سجن القلعة بدمشق.

ولا تزال - بحمد الله - ردود الشيخ سلاحاً فعالاً ضد أعداء الحق والمبطلين؛ لأنها إنما تستند على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف الصالح، مع قوة الاستنباط، وقوة الاستدلال والاحتجاج الشرعي والعقلي، وسعة العلم، التي وهبها الله له، وأكثر المذاهب الهدامة التي راجت اليوم بين المسلمين هي امتداد لتلك الفرق والمذاهب التي تصدى لها الشيخ وأمثاله من سلفنا الصالح؛ لذلك ينبغي للدعاة المصلحين أن لا يغفلوا هذه الناحية؛ ليستفيدوا مما سبقهم به أولئك.

ولست مبالغاً حينما أقول: إنه لا تزال كتب الشيخ وردوده هي أقوى سلاح للتصدي لهذه الفرق الضالة والمذاهب الهدامة التي راجت اليوم، والتي هي امتداد للماضي، لكنها تزيّت بأزياء العصر، وغيّرت أسماءها فقط، مثل البعثية، والاشتراكية، والقومية، والقاديانية، والبهائية، وسواها من الفرق والمذاهب.

المجالات العلمية التي أسهم فيها:

ولم يترك الشيخ مجالاً من مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة، وتخدم الإسلام إلا كتب فيه وأسهم بجدارة وإتقان، وتلك خصلة قلما توجد إلا عند العباقرة النواذر في التاريخ.

فلقد شهد له أقرانه وأساتذته وتلاميذه وخصومه بسعة الاطلاع، وغزارة العلم، فإذا تكلم في علم من العلوم أو فن من الفنون ظن السامع أنه لا يتقن غيره، وذلك لإحكامه له وتبحره فيه، وإن المطلع على مؤلفاته وإنتاجه، والعارف بما كان يعمل في حياته من

الجهاد باليد واللسان، والذب عن الدين، والعبادة والذكر، ليعجب كل العجب من بركة وقته، وقوة تحمله وجلده، فسبحان من منحه تلك المواهب .

إنتاجه العلمي:

وفي مجال التأليف والإنتاج العلمي، فقد ترك الشيخ للأمة تراثاً ضخماً ثميناً، لا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه معيناً صافياً، توفرت لدى الأمة منه الآن المجلدات الكثيرة، من المؤلفات والرسائل والفتاوى والمسائل وغيرها، هذا من المطبوع، وما بقي مجهولاً ومكنوزاً في عالم المخطوطات فكثير .

وفاته:

إن من علامات الخير للرجل الصالح، وقبوله لدى المسلمين، إحساسهم بفقده حين يموت؛ لذلك كان السلف يعدون كثرة المصلين على جنازة الرجل من علامات الخير والقبول له؛ لذلك قال الإمام أحمد: «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز. أي: أن أئمة السنة أكثر مشيعين يوم يموتون، ولقد شهد الواقع بذلك، فما سمع الناس بمثل جنازتي الإمامين: أحمد بن حنبل، وأحمد ابن تيمية حين ماتا من كثرة من شيعهما وخرج مع جنازة كل منهما، وصلى عليهما، فالمسلمون شهداء الله في أرضه.

هذا وقد توفي الشيخ رحمه الله وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الإثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، فهبَّ كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشيع جنازته، وقد أجمعت المصادر التي ذكرت وفاته أنه حضر جنازته جمهور كبير جداً يفوق الوصف، رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

مصادر الترجمة:

١ - انظر مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص (٥٠٥)، تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

يعظ الناس على منبر جامع دمشق، فكان من جملة كلامه أنه قال: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر)، ومن العجب المقنع بالأعاجيب أن هذه الفرية المفتراة وجدت من يصدقها ويذيعها، ويدب بها صلاً غداراً جبائاً ينفث بها سمومه، فليس في كتب الإمام ابن تيمية، ولا في فتاويه التي خلفها شية من ذلك البهتان، ولا آثاره تنم عن هذه الفرية في ظنونها الآثمة.

فابن تيمية المؤمن الصادق الموحد من أعلم الناس بربه، وما ينبغي لجلاله، إن ابن تيمية كان نداء الإيثار القوي الذي دوى، فأيقظ المسلمين من سبات الغفلة الجاهلة، كان نوراً شعاعاً يمزق عن العقول أسداف التقليد.

إن ابن تيمية وجد القلوب يتنازع هواها جيف فهم فيها الضالون الربوبية من دون الله، فحاول جمعها على محبة الله الحي القيوم، وجد المسلمين قد لوثت عقولهم الفلسفة الحيرى، ومزق اعتقادهم علم الكلام المضطرب، وأضلت قلوبهم الصوفية الزنديقة، وشتت دينهم الفقهاء المتنابدون، فأعلن في جرأة الحق وصولة الإيثار القوي - غير هباب ولا وجل - أن كلمة الله هي العليا، وأن

٢- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للحافظ عمر البزار، تحقيق زهير الشاويش. ٣- البداية

والنهاية، لابن كثير جزء (١٤) ص (١٣٥ - ١٣٩). ٤- شذرات الذهب، لابن العماد، جزء

(٦) ص (٨٠ - ٨٦). ٥- فوات الوفيات، لمحمد بن شاکر الكتبي، (ج١ / ص ٧٤ - ٨٠).

٦- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي،

ص (٣٨٧ - ٤٠٨). ٧- الأعلام، لخیر الدین الزركلي (ج١ / ص ١٤٤). ٨- مناقب

الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .

الدين تَبَعُ من كتاب الله، وإشراق من سنة رسول الله.

أعلن أن الدين ليس فلسفة ولا كلامًا ولا صوفية، ولا (فقهنة)، بل إن الدين هدي يستهل إشراقًا من الذكر الحكيم، ومن سنة النبي الكريم، فأني لابن تيمية الخاضع الضارع الخشوع لله أن يُشَبَّه نزول ربه بنزوله هو من على منبره؟! آه لو تجردت العقول من الهوى، ولو رفع عنها حجب التقليد العمياء الصماء، لرأت الحق أبلغ البرهان، ولشهدت الهدى علوي البيان!!.

بدهنتي هذه الفرية من زمن، فطالعت من كتب شيخ الإسلام ما ثبت يقيني أن الشيخ بريء من هذه الفرية، ولكني ساءلت نفسي: أيقنا بكذب الفرية، ولكن أين؟ ومن هو المفترى؟! ومن ذا الذي تسرب بها في ثنايا التاريخ أفعوانًا يدب على ختل وغدر؟ وما زلت تصرفني الصوارف، ثم يعود بي الفكر كلما ناقشني مجادل مقلد، ومضئ يُرْجَف بهذه الفرية، ويبدھني بهُجره: حسبكم ضلالًا يا أنصار السنة قولكم وقول ابن تيمية: إن الله ينزل من فوق عرشه كنزولكم من على منابرکم. وثم أحيّله على كتب شيخ الإسلام فينفر مذعورًا غبي الخوف قائلاً: أقرأ في كتب ابن تيمية ليهدم عقيدتي؟! كلا!! إنها سم زعاف!!

نعم يا رجل: سم زعاف لطاغوتك، وصاعقة تدمر على رءوسها أصنامك!! وما زلت حتى أعثرني الله على المفترى الكذوب، وبدهي أن أشنع الكذب ما كانت الماديات المحسنة تكذبه، وما كانت حقائق التاريخ الجلية ترميه بالبهتان.

ها هو كتاب: (مهذب رحلة ابن بطوطة)^(١) في يدي، وهأنذا أطلع من جزئه الأول ما يأتي: (وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام)^(٢)، ثم أطلع بعدها فأجد ابن بطوطة يقول: (وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شيئاً)^(٣)، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظمهم على المنبر)، ثم يقول: (حضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا. ونزل درجة من درج المنبر)^(٤).

هذا هو بيت القصيد كما يعبرون، فابن بطوطة الحقود على الإمام يريد رميه بما

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، الشهير بابن بطوطة، ولد في طنجة (٧٠٣هـ)، طاف البلاد، ورحل في الآفاق، رحل ثلاث رحلات، توفي سنة (٧٧٧هـ)، وقيل سنة (٧٧٩هـ)، أملى رحلاته هذه على الكاتب أبي عبد الله بن جزي، وسميت: (تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار)، والصحيح فيها أنها مذكرات، وليست مصدرًا تاريخيًا يعتمد عليه. (ض).

(٢) ص (٦٨) من مهذب رحلة ابن بطوطة (ج١ / ص ٩٣٩).

(٣) تأمل حقد ابن بطوطة على شيخ الإسلام حيث يفتري عليه هذه التهمة، ولست أدري كيف يكون ابن تيمية مخبولاً ثم يعظمه أهل دمشق هذا التعظيم؟ إلا أن يكونوا جميعاً مخبولين، وكيف يخلف من في عقله شيء هذا التراث الأدبي الديني الفكري الرائع الذي يسمو به العقل البشري إلى الآفاق العلوية الذرى في العقيدة الناصعة والعمل الصالح؟

(٤) (ص ٧٧ / ج١) المرجع السابق.

ابتدعه المبتدعة: بالتجسيم، يريد رمية بأنه يشبه صفات الخالق بصفات المخلوق، وأن هناك حركة متجسدة محسة يتحركها الإله، وبأن هنالك مسافات تطوى وتجشمه جهداً كالإنسان. سبحانه ربنا وتعالى.

تلك هي فرية الحقد وبهتان الحسد، و يقيني أنها المصدر الأول لكل حاقد مبغض لابن تيمية ولمقدره، ولكن الله الذي يؤيد بالنصر أولياءه، و يقيم بالحق أود الحق، ويشيع نور العدل في حوالك الجور، أقول: إن الله العدل الخبير جعل لنا من الحقائق المادية التي يكاد يلمسها الحس حجة على ابن بطوطة تدمغه بالإفك، وتجعل من بهتانه فرية (مُسَيِّلِمِيَّةً)^(١) النسب، (بهائية) الدعوى.

يقول ابن بطوطة: إنه وصل دمشق في يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية، فهو يحدد تحديداً دقيقاً باليوم، وبالشهر وبالسنة، وقت دخوله دمشق، ولا ريب في أنه سمع ابن تيمية - كما يفترى - بعد ذلك؛ لأنه سمعه يوم جمعة، فلا ريب يكون مراده أنه سمعه في اليوم العاشر من رمضان، إن لم يكن بعد ذلك، وإنه بهذا التحديد الدقيق قد أقام الحجة على كذبه الكذوب، وإليك الدليل:

ها هو كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية^(٢) بيدي، وهأنذا أقرأ فيه: (فلما كان في سنة ست وعشرين وسبعمائة، وقع الكلام في مسألة

(١) نسبة إلى مسيلم الكذاب الذي ادعى النبوة كذباً وزوراً. (ض).

(٢) تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية بتحقيق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حامد الفقي ط ١٩٣٨ ص (٣٢٧).

شد الرحال، وإعمال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين، وظفروا للشيخ بجواب سؤال في ذلك كان قد كتبه من سنين كثيرة يتضمن حكاية قولين في المسألة وحجة كل قول منهما، وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير ذكره في كتاب: (اقتضاء الصراط المستقيم)^(١) وغيره وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به).

ويقول في صفحة تسع وعشرين وثلاثمائة: (ولما كان يوم الإثنين بعد العصر السادس من شعبان من السنة المذكورة (٧٢٦هـ) حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق مشدُّ الأوقاف، وابن خطير، أحد الحجاب، وأخبراه: أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون في القلعة، وأحضرا معها مركوبًا، فأظهر الشيخ السرور بذلك، وقال: أنا كنت منتظرًا ذلك، وهذا فيه خير عظيم، وركبوا جميعًا من داره إلى باب القلعة، وأخلت له قاعة حسنة، وأجري إليها الماء، ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورسم له بما يقوم بكفايته وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجوامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك وبمنعه من الفتيا).

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب له في فعل ما يقتضيه

(١) طبعت مطبعة السنة المحمدية هذا الكتاب القيم الجليل بتحقيق العالم المحقق الشيخ محمد حامد الفقي، طبعة متقنة فخمة بفهارس جيدة هذا العام. والكتاب كله علم وحق وحكمة، فانظر فيه الحجة والدليل على ما يذكر ابن عبد الهادي في أكثر من صفحة.

الشرع في أمرهم، وأوذي جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعزر جماعة، ونودي عليهم، ثم أطلقوا، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية فإنه حبس بالقلعة وسكنت القضية).

ويقول ابن عبد الهادي^(١) بعد ذلك: (ثم إن الشيخ رحمته الله بقي مقيمًا بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأيامًا. ثم توفي إلى رحمة الله ورضوانه، وما برح في هذه المدة مكبًا على العبادة، والتلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين)^(٢).

ويقول ابن عبد الهادي - راويًا عن الشيخ علم الدين - ما يأتي: (وفي ليلة الإثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمئة، توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، أحمد ابن شيخنا الإمام المفتي شهاب الدين، أبي المحاسن عبد الحلیم، ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة دمشق، التي كان محبوسًا^(٣) فيها).

من هذه النصوص نفهم أن ابن تيمية سجن في شعبان سنة (٧٢٦)، ونفهم أنه دخل سجنه بالقلعة في دمشق، ومكث فيه عامين لم يخرج فيها مطلقًا حتى

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله، الفقيه المحدث الحافظ الناقد، ولد في شهر رجب سنة أربع، وقيل: خمس، وقيل: ستة وسبعمئة، لازم شيخ الإسلام مدة، وكان من جملة أصحابه، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٧٤٤هـ).

[انظر: البداية والنهاية (١٤ / ٢١٠). (ض)]

(٢) ص (٣٦١) من كتاب العقود الدرية.

(٣) ص (٣٦٩) من كتاب العقود الدرية.

توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة (٧٢٨)، والذي يقص لنا كل هذا تلميذه الصدوق ابن عبد الهادي، ومن أرخوا لابن تيمية حددوا هذه التواريخ المذكورة من قبل. بعد تقرير هذا نعود لمناقشة ابن بطوطة على ضوء مشرق من هذه الحقائق التاريخية الثابتة اليقين.

يقول ابن بطوطة: إنه دخل دمشق في تسعة خلت من رمضان عام (٧٢٦هـ)، وأنه سمع يوم الجمعة بنفسه وأذنه ابن تيمية يخطب على المنبر في الجامع بدمشق مشبهًا نزول الله - جل الله وسبحانه - بنزوله من على منبره.

والثابت من تاريخ ابن تيمية أنه سجن في ٦ شعبان سنة (٧٢٦هـ) بالقلعة، وأنه ظل في سجنه حتى مات، لم يخرج منه بعد عامين وثلاثة أشهر وأيام سنة (٧٢٨) هـ. يثبت من هذا أن ابن بطوطة دخل دمشق بعد أن سجن ابن تيمية بشهر يزيد قليلاً، فابن تيمية سجن في ٦ شعبان وابن بطوطة سمع ابن تيمية حسب زعمه وكذبه في عشرة من رمضان أي سمعه بعد أن مضى على سجنه أربعة وثلاثون يوماً، يا للكذب الفاضح المفضوح؟!

ابن تيمية سجين القلعة حين دخل ابن بطوطة دمشق!.

فمتى سمع ابن بطوطة خطبة ابن تيمية؟! إن ابن تيمية ما كان يغادر محبسه مطلقاً، لعل شيطان ابن بطوطة تمثل بابن تيمية فخطب على منبر الجامع فسمعه ابن بطوطة!!

من هذا التحقيق الجلي لوقائع التاريخ يعلن التاريخ في قوة وجلاء، بل يصرخ في وجه ابن بطوطة رامياً إياه بالافتراء والكذب على ابن تيمية. فمن المستحيل المادي المحس الواقعي أن يكون ابن بطوطة قد سمع ابن تيمية.

بقي أن نعرف سر حقد ابن بطوطة على شيخ الإسلام ابن تيمية وافترائه عليه هذه الفرية، لو قرأت رحلة ابن بطوطة لفهمت السر.. إن ابن بطوطة كان ممن يعبدون من يسميهم أولياء، ويستشفع بقبورهم، ويثبت لأوليائه علم الغيب، والقدرة على التصرف، وكتابه مشحون بأمثال هذه الوثنيات وما من بلد نزل فيها إلا ويثبت لقبر فيها كرامة وتصريفاً، وأنه استشفع بالقبر فأجيب شفاعته، ولو نقلنا عنه بعض ما ذكر لطال بنا المقام فحسبنا الإشارة إلى ذلك.

وابن تيمية كان في عصره المعول القوي الذي دك هياكل الأصنام والطواغيت على سدنتها وعبادها، لقد أشعلها لظى تمور على البدع والأساطير والخرافات، وابن بطوطة من السدنة العباد، فلم لا يشنع على ابن تيمية بهذا؟؟!

ها نحن كذبنا من الناحية التاريخية تلك الفرية، بقي أن نكذبها من الناحية الموضوعية، ولو ذهبنا نتقصي كل ما كتب ابن تيمية عن النزول وسواه من صفات الله وأسمائه في كتبه لطال بنا الوقت، ولطال المقال كثيراً، والسطر اليوم في المجلة بقدر وحساب، فنكتفي بذكر ما يأتي وأمرنا إلى الله.

يقول شيخ الإسلام: (مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوق، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه، منزّه عن صفات النقص مطلقاً، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله، فهذان المعنيان جمعا التنزيه، وقد دل عليهما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، فالاسم «الصمد» يتضمن صفات الكمال، والاسم «الأحد» يتضمن نفي المثل... فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله).

أفمن يقول هذا يشبه نزول الله إلى سماء الدنيا بنزوله هو؟! أم هو الحق
الحقود من ابن بطوطة وعبد الطاغوت على شيخ الإسلام؟! .
ولعلنا لا نجد بعد ذلك من قوم يبغضون كل حق على لسان عربي، ويقصدون
كل باطل على لسان أعجمي، تعلات أسخف من عقول أصحابها، فيزعمون أن
ابن تيمية سجن في رجب، يقولون ذلك من افتراءاتهم ليثبتوا صدق ابن بطوطة
وإنها لحجة جديدة على كذب ابن بطوطة، فشهد رجب - بالبديهة - سابق لشهر
رمضان، فلئن كان ابتداء حبس شيخ الإسلام في رجب أو في شعبان، فقد كان من
المحقق الذي لا شك فيه محبوساً في رمضان، الذي يدعي ابن بطوطة وقوع فريته
فيه. وإنا لمنتظرون لما يأفكون.



من شرفات التاريخ

من صراع الإسلام ضد المجوسية^(١)

أهوئى أبو جعفر المنصور^(٢) على أبي مسلم الخراساني فقتله، فقضى على المجوسية التي حالفها الصهيونية، قضى على النمر الأحمر المتوثب الذي كان يعمل، لتستبدل المجوسية ديناً، ولغة وتقاليدها وسلطاناً بالدولة الإسلامية، ولتسيطر عليها سيطرة رهيبة ماجنة العدوان، ولكن المجوسية التي تلهب أحقادها الصهيونية لم تنس ثاراتها عند أبي جعفر، فحشدت جنودها من كل صقع، وألهبت أحقادهم، وسعرت أضغاثهم على دولة الإسلام وخليفته المنصور، وبثت في نفوسهم تلك الأسطورة التي توارثتها الصهيونية من قديم، تلك التي تزعم أن روح الله سبحانه تحل في بعض البشر، فتجعل منه إلهًا تسبح باسمه السماء والأرض، وقد أسبغت الصهيونية هذه الأسطورة الملحدة على عليٍّ عليه السلام، ثم من بعده على أولاده وأسابطه وأحفاده.

ثم جاء دور أبي مسلم، لتدخله الصهيونية في مُتحف الآلهة، حتى يعلم ذئابها أنهم يقاتلون في سبيل إله قتل، ويفتكون باسم إله سُفح دمه، والقتال في سبيل إله غير القتال في سبيل بشر؛ إنه يكون قتالاً وراءه عقيدة مصممة، وإرادة يلهبها

(١) (١٠/١٣٧٨هـ).

(٢) ولد أبو جعفر المنصور سنة ٩٥هـ في شهر ذي الحجة، وبويع بخلافة الدولة العباسية في ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ، ٨٨٥م وتوفي ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة، وقد مات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

الحماس الديني، قتلاً مريراً يَسْتَحِبُّ التضحية والاستشهاد، ويتَّسِم بالفدائية التي تحرص على الموت أكثر مما تحرص على الحياة.

هذا ما دبرته الصهيونية قديماً، لتقضي على كل مجتمع لا يدين بالصهيونية، ولتجعل ممن يؤمنون بأساطيرها، أناساً تستخفهم لما تريد هي من سلب ونهب وقتك وتدمير.

وشاعت في المجوسيين ألوهية أبي مسلم، فصمموا على أن يثأروا لهذه الألوهية التي استُبيحَ جسدُها، وبقيت روحها في قدس الخلود تشع إشراقها السماويَّ هدياً وإلهاماً، والتي تتحين الفرصة، لتختار جسداً آخر قسيماً وسيماً، فتحل فيه، فتعود إنساناً إلهياً أو إلهاً إنسانياً.

وخرج بهؤلاء «سبأذ»^(١) في ثورة جامحة، قبل أن ينسوا ثأر الألوهية المسفوحة الدم، ألوهية أبي مسلم!! ومن أين؟

من نفس المكان الذي ربت فيه الصهيونية نمرها الأحمر: أبا مسلم، خرج من خراسان. خرج مطالباً بدم الإله القتل، واستجابت له الأحقاد المغلوبة على أمرها، فاستولى على «قومس والري»، وهناك خلع على نفسه لقب «فيروز أصبهبذ»، واستولى على خزائن أبي مسلم بالري، وراح يُعمل كل كراهيته وبغضائه، فيسبي النساء، ويسلب الأموال، ويدمر الحرمات، ملهياً أفواج الصهيونية بالحماس؛ إذ أعلن لهم أنه سيهدم الكعبة.

(١) كان خروجه في سنة ١٣٧هـ، أي في السنة التي قتل فيها أبو مسلم، وهو من إحدى قرى نيسابور، وفي بعض الكتب يسمى «سبأذ»، وفي مروج الذهب يسمى «بسنفاد».

وعلم أبو جعفر المنصور، فوجه إليه جهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فارس، فالتقى الجمعان بين همدان والري على طرف المغارة، ورأى جهور أن لا بُدَّ من مطاولته حتى يضمن النصر؛ إذ حشدت الصهيونية كل قواها لهذه المعركة، لتنتقم من الإسلام ودولته، ورأى سنباذ أن يخزي المسلمين، وأن يكيد لهم، فجعل على مقدمة جيشه السبايا من المسلمات على الجمال.

وهنا يسجد التاريخ لقهر القدر وغلبه^(١)، وهنا يسجل التاريخ لأولئك المسلمات موقفًا بطوليًا رائعًا، فإنهن لم يبالين بمن وراءهن من جيش سنباذ، أو بأنهن معرضات للحتوف والهلاك، إن فعلن شيئًا فيه استشارة لهنم المسلمين، ولكن هؤلاء المسلمات لم يتذكرن إلا شيئًا واحدًا، هو الإسلام، هو التضيحة في سبيل أن يكون له ولدولته الغلب، فقمن في محاملهن، وصحن صيحةً توقظ الحمية، بل تسعرها حتى في الجهاد، إذ نادين من أعماق الجراح، ومن أبعد أغوار المأساة التي عايننها، والتي رأين المسلمين فيها، وهي أن تُسبى نساؤهم، وكان أمرهم غير ذلك. صحن: (والمحمداه!! ذهب الإسلام).

ورحم القدر هذه الصيحة، فاستجاب لها، فكشفت الريح عن أثواب النساء، مما جعل الجمال التي تحملهن تنفر، وتتقهقر إلى الوراء في فزع وخوف، فتشير ارتباكًا وخللاً في نظام جيش سنباذ، ويتفرق عسكره، وينتهز المسلمون الفرصة فيهمجمون على جيش سنباذ، وقد ثارت فيهم حمية صادقة، وعزيمة مصممة على النصر، فكان أن هُزمَ هذا الجيش الذي حشدته الصهيونية؛ لتحطم به بناء

(١) هذا تعبير بلاغي من الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ وَلَا يَحْمِلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. (ض).

الإسلام الضخم، هزم هزيمة منكرة، وبعد قليل قتل قائده^(١).

وخنست الصهيونية إلى أن تمكنها الفرصة من الوثوب، حتى سنة ٧٤٠ هجرية، فخرجت تتقنع بالحيلة وتحتال بالمر، وقد تسمت باسم «الراوندية» ومن دين هذه الطائفة الإيمان بتناسخ الأرواح^(٢)، وبأن روح الله سبحانه تتجلى على مدى الأعقاب فيمن يختارهم ليكونوا مظهرًا لذاته.

وأراد هؤلاء أن يخدعوا أبا منصور عن دينه، فزعموا أنه هو «ربهم» الذي يطعمهم ويسقيهم، وأن عثمان بن نهيك قائد حرسه هو جبريل، ثم اندفعوا يطوفون حول قصر المنصور في الكوفة صائحين: (هذا قصر ربنا)، ولكن المنصور لم تخدعه هذه الصيحة الكافرة عن دينه، لم يسعده أن تُخلع عليه صفة الربوبية، بل نفر منها سمعه وقلبه، فأمر بالقبض على هؤلاء، واستحوذ سجن المنصور على مائتين من زعمائهم، ووجد الراوندية أن دين المنصور لم يزل يعصمه من الفتنة، فطاشت أحلامهم، فاندفعوا يحملون نعشًا زاعمين أنهم يشيعون جنازة ميت، ولم يتبين أحد حقيقتهم، حتى إذا حاذوا السجن قتلوا حراسه، وأطلقوا سراح زعمائهم،

(١) قتل من جيش سباز ستون ألفًا غير من سبي من ذرايهم، فما بالك بالجيش كله، أما سباز قائده، فقصد والي طبرستان ملتجئًا إليه، فأرسل إليه عاملاً من قبله، اسمه طوس، بيد أن سباز تعالى عليه، فقتله طوس.

(٢) الإيمان بتناسخ الأرواح: دين قديم يزعم أن الروح لها عودة إلى الدنيا، فإن كانت سالحة ظهرت في صورة إنسان صالح، وإن كانت طالحة ظهرت في صورة حيوان حقير، أو إنسان شرير، ولهذا يقول الواحد من المؤمنين بهذه الأسطورة: لقد كنت موجودًا من قبل عدة مرات، أو منذ آلاف السنين!!

ثم زحفوا مهرولين نحو قصر المنصور، وقد صمموا تصميمًا لا يرهبه بطش، ولا يثنيه وعيد، على قتل ذلك الذي قتل إلههم أبا مسلم.

ولم يرض أن يكون لهم بعد أبي مسلم ربًّا يعبدونه، أو قل لم يرض أن يكون خنجرًا تغيبه الصهيونية في صدر الإسلام، وكان عدد هؤلاء ستمائة رجل، في كل رجل منهم تلتهب الأحقاد وآلاف الأضغان، في كل رجل منهم تاريخ عتيق قديم للصهيونية يستحثه أن يعيد إليها هيكلها وملكها ومبكاها!!

وتنادى الناس، وغلقت أبواب المدينة على من فيها، وساد الرعب والفرع في صفوف سكان المدينة، وعلم أبو منصور، فاحتشد تاريخ الإسلام كله في قلبه، وثارت كل حمية عربية مسلمة في نفسه، ومرت بخاطره بطولات وبطولات، فأبى إلا أن يضع للتاريخ مثلاً أعلى آخر للبطولة العربية المسلمة، فصمم على أن يخرج بنفسه هؤلاء الذين يريدونه وحده، وقد خافهم الناس وهربوا منهم، وتركوهم لأبي جعفر، وتركوا أبا جعفر.

وهنا يسجل التاريخ موقفًا لا ينسى للشهامة العربية، والمروءة العربية، والنجدة العربية بعد أن صقلها الإسلام، فجعل منها درةً تضي في تاج أمجاد التاريخ والأخلاق. كان ثَمَّتَ معن بن زائدة الشيباني^(١)، وكان المنصور قد هدر

(١) أبو الوليد، معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن الصلب - عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان.

أدرك العصرين الأموي والعباسي، وهو أحد أبطال الإسلام، وأحد الشجعان الفصحاء، جزل العطاء، ومن أشهر أجواد العرب، حتى بلغ كرمه إلى أعدائه، فأدهش الناس بعطائه فقصدوه. تمتع معن بن زائدة الشيباني برجولة نادرة، وشهامة عربية عزيزة المثال، فقد كان مكرماً عند

بني أمية ينتقل بين الولايات، ووقف إلى جانبهم في أثناء صراعهم مع العباسيين، وبقي معهم حتى انهارت دولتهم.

فلما استتب الأمر للعباسيين خاف منهم، وظل معن في البلاد مستترًا عنهم هائمًا في الأرض، ينتقل من مكان إلى آخر، حتى لوّحت الشمس، وكان يتتبع الأحداث وهو متخفّ حتى لا تصل إليه يد العباسيين، فلما استقام الأمر للخليفة المنصور، رأى معن بن زائدة أن من حسن السياسة أن ينضم إليه لكنه تمهل في الأمر حتى تحين له الفرصة المناسبة، وجاءته الفرصة سانحة يوم الهاشمية، وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور سنة ١٤١هـ، بعد مقتل أبي مسلم الخراساني فحاصروا قصر المنصور وأرادوا قتله، فجرت موقعة بينهم بالهاشمية - وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة - وكان معن متواريًا بالقرب منها، فخرج متنكرًا ملثمًا وانضم إلى جماعة المنصور، وقاتل قتالًا فيه نجدة وشهامة، ودافع عن المنصور حتى فرّق الثائرين وهزمهم، فسأله الخليفة المنصور: من أنت ويحك؟! فكشف لثامه في عزة وقال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة، فأثّمت المنصور وعفا عنه وأكرمه، وصار بعد ذلك من خواصه بعد أن كان قد جعل لمن يجده مالا جزيلًا.

بعد يوم الهاشمية تحسنت علاقة معن بن زائدة بالخليفة العباسي، فولّاه اليمن لقمع فتن الخوارج وإخضاعهم بعد هرب عبد الله بن الربيع عامل العباسيين عليها. وتذكر المصادر أن معن بن زائدة لاحق خوارج اليمن وأعمل القتل فيهم، وقتل أحد زعماء الخوارج عبد الله بن يحيى الحضرمي وخمسة عشر ألفًا معه. وبعد فرض السيطرة على اليمن قصده الناس من كل مكان لاشتهاره بالجوّد والكرم، ففرق فيهم الأموال، فسخط عليه الخليفة المنصور، فوجّه معن بن زائدة وفدًا من قومه فيهم مجاعة بن الأزهر وسيرهم إلى المنصور ليزيلوا غيظه وغضبه، وتمّ له ذلك.

دمه لقتاله مع ابن هبيرة ضد المنصور.

ورأى معن الرواندية، وقد احتشدوا بباب المنصور، ورأى المنصور في هذه الواقعة التي خلد التاريخ ذكرها، رآه، وقد خرج بنفسه، وقد شرع سيفه، وعلى وجهه التصميم القاطع، وعلى سيفه تتوعد المنايا السود من يدنو منه، رآه يندفع إلى الرواندية غير هباب ولا وجل، بل رأى الإقدام البطوليّ المستشهد، رأى ستمائة حقد، ستمائة لؤم، ستمائة مكر دنيء، ستمائة بغضاء تتلظى في قتلها لرجل واحد هو المنصور، ورأى المنصور وقد صمد وحده لهؤلاء المهاجمين.

ونسي معن بن زائدة نفسه، نسي أنه مهدور الدم من المنصور، وذكر تمامًا أنها معركة الإسلام، وليست معركة المنصور، فاندفع مُتَلَكِّمًا، يقاتل دون المنصور، قتالًا مريّرًا مُسْتَلَكِّمًا، ترتجف من صولته قلوب وقلوب، حتى دنا من المنصور، فأمسك بلجام بغلته قائلًا للربيع حاجبه: (تَنَحَّ فَأَنَا أَحَقُّ بِهَذَا اللَّجَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتُ وَأَعْظَمُ غَنَاءً). لقد أراد البطل العربي أن يفتدي عدوه المنصور بنفسه، راضيًا سعيدًا، أن يفتدي كرامة الإسلام وعزة الإسلام ومجد الإسلام، وقال المنصور لحاجبه: (صدق

وعلى الرغم من كل الصعوبات التي واجهها معن في قتال الخوارج، ظل واليًا على اليمن تسع سنين، ثم استدعي إلى بغداد حيث عهد إليه المنصور بولاية سجستان أواخر سنة ١٥٠ هـ، فأقام في بُسْت واشتد في قتال الخوارج، كما قاد عدة حملات ناجحة إلى بلاد الأفغان وخاصة إلى الرُخج وزابلستان، وفرض على الملك رُئْبِيل أن يدفع المال المفروض عليه كل سنة. قتل معن في أثناء ولايته على سجستان، ففي سنة ١٥٢ هـ، وبينما كان في منزله عمال يبنون له بيتًا، اندس بينهم قوم من الخوارج فدخلوا عليه وقتلوه، لأنه كان قد اشتد في قتالهم وأفنى منهم خلقًا كثيرًا، فثاروا منه. (ض).

فادفعه إليه) وأطاح سيف معن برقاب الكثير من المعادين، فحال بينهم وبين المنصور، وأبعد الخطر الداهم عنه، وقال المنصور للبطل المقنّع: من أنت؟ وقال معن بن زائدة: طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة!!

فقال المنصور وقد استبدت بفرحته وعجبه روعة المفاجأة، وهذه الأريحية العربية المسلمة الرائعة: (آمنك الله على نفسك. ومالك وأهلك، مثلك يُصْطَنَعُ)^(١).

ورأى الناس إقدام المنصور، واستهانت الموت، فهفوا سراعاً، وقد استيقظت نخوتهم، وتذكروا ربهم ودينه الذي هداهم به، وما زالوا بهؤلاء الرواندية حتى قتلوهم... وانجلت المعركة عن نصر حاسم.

وصلى المنصور الظهر، ثم دعا بالعشاء^(٢)، وأحضر معن بن زائدة، ورفع منزلته، ثم قال المنصور لعمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس: (يا أبا العباس، سمعت بأشد رجل؟) قال: نعم.

فقال المنصور: (لو رأيت اليوم معن بن زائدة لعلمت أنه منهم)، وقال معن: (والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيتك، وإني لَوَجِلُّ القلب، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم، رأيت ما لم أره من خَلْقٍ في حرب، فَشَدَّ ذلك من قلبي، وحملني على ما رأيت مني).

(١) قال مروان بن حفصة يمدح معنًا في هذه الموقعة:

معن بن زائدة الذي زیدت به	شرفاً على شرف بنو شيبان
ما زلت يوم الهاشمية معلناً	بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حورته وكنت وقاءه	من وقع كل مهند وسانان

(٢) طعام ما بعد الظهر.

تلك معركة خاضها الإسلام ضد الصهيونية التي تتقنع في كل حقبة من حقبة التاريخ بأقنعة مختلفة الصورة. معركة خاضها رجل بقوة وعزيمة وإيمان، فخاضها معه آلاف المتحمسين لدينهم، فانتصروا، ثم مسحوا الدماء عن سيوفهم، ليخوضوا مع الصهيونية معارك ومعارك.



عقيدة المعز ونسبه^(١)

وبعد نقلتم عن ابن كثير في العدد الصادر^(٢) من مجلتكم الغراء في شهر رجب^(٣)

(١) (٧/ ١٣٦٥هـ).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٩٧/ ١١) في حوادث سنة ٤٠٢: «وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين، وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء والمحدثين، وشهدوا جميعاً أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار - ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب، وأنه منزّه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة. وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشرًا انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهمٌ إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفّار فسّاق فجّار ملحدون زنادقة معطلون للإسلام جاحدون، ولما ذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية» اهـ.

(٣) يشير الشيخ رحمه الله إلى مقالة «الإخوان المصريون بين أمس واليوم» التي نشرت بالمجلة، وكانت صادرة عن الجماعة في عدد (٦/ ١٣٦٥هـ)، انظر كتابنا «لمحات عن دعوة الإخوان المسلمين».

نبذة عمن يسمى 'المعز الفاطمي' لم تتحدث عن حقيقة نسبه، ولا عن عقيدته، التي هي أمشاج من المجوسية والغنوصية والأفلاطونية الحديثة... ولذا رأيت تمييزاً للفائدة المنشودة - وهي كشف القناع عن عدو هو العدو للإسلام - كتابة هذه الكلمة، التي تتحدث في إيجاز من الحق والصدق عن نسب ذلك الدعي وعقيدته... لقد تطامنت القلوب لسلطانها، ودانت النفوس لصولجانه؛ إذ كانت تظنه قبساً شعاعاً من نور النبوة، أو غصناً ناضراً من دوحة آل البيت القدسية، وظنته بطلاً إسلامياً، جاء يركز في كل سهل أعلامه، وفي كل واد رماحه، وما هو في حقيقته إلا زعيم تبرأ منه دوحة النبوة، ومجوسي تقنع بالإسلامية ليهدم الإسلام.

نسب المعز:

أجمع الثقات من المؤرخين على أن المعز دعي النسب، والكثرة الغالبة منهم على أنه من نسل ميمون القداح المتوفي حوالي عام ٢٦١هـ، وميمون هذا زعيم القرامطة الذين شنوها شعواء على الإسلام والمسلمين، والذين كانوا يدينون بالمجوسية ويتقولون بالإسلامية. وحسبي في التعريف بحقيقة نسبه أن أنقل هذه الوثيقة التاريخية، وفيها حكم أصدره قاضي قضاة الدولة العباسية أبو محمد بن الأكفاني، وقد وقع على هذا الحكم معه شهود عدول لا يطيف حتى الوهم بعدالتهم، منهم الشريفان الرضي والمرتضى، وابن الخزري، وأبو حامد الأسفرايني، وأبو جعفر النسفي...

وهاك الوثيقة: (هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد، الذي ينسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم بمصر وهو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والدمار - ابن

معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله -، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل، وأن هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج وأحلوا الخمر. وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية. [وكتب في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمئة].

شهادة عدول تقرر أن المعز دعي النسب وأنه ملحد، وشهادة العدول فصل الخطاب.

عقيدة المعز:

المعز زعيم داهية، كبير الخطر من زعماء الإسماعيلية... والإسماعيلية مذهب هدام للعقيدة الإسلامية.

فمن خصائصه:

(١) اعتقاد ألوهية بعض البشر.

(٢) إيمانهم بأن لبعض أئمتهم رسالة أعظم من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) التحلل من جميع تكاليف الشريعة الإسلامية إذ يزعم أرباب هذا المذهب أن القرآن له ظاهر وباطن، فالظاهر للدهماء من عامة المسلمين، والباطن للخواص الذين سقطت عنهم التكاليف.

بنت الإسماعيلية نظاماً فلسفياً على أساس نظرية الفيض الأفلاطوني، وأساسه اعتقاد أن العقل الكلي له أدوار متعاقبة يظهر فيها، فظهر أول ما ظهر في آدم، واختتم بمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فآدم والأنبياء بعده وأئمة الإسماعيلية السبعة

لا يختلفون إلا في الاسم والمظهر، فالمسمى واحد، والحقيقة واحدة. فكل فرد منهم مظهر للعقل الكلي، أو مجلى للروح الإلهي.

كل فرد كان يومًا آدم، وكان يومًا غيره محمد... فمن قال من أئمة الإسماعيلية أنه محمد فهو صادق عندهم.

ولما كانت دورات العقل الكلي تتطور نحو الكمال والرقى، اعتقدت الإسماعيلية أن إمامًا منهم بعد الإمام السابع سيأتي برسالة، هي أسمى غاية، وأعظم رقيًا من رسالة محمد ﷺ، إذ يكون العقل الكلي قد بلغ الغاية العظمى من دوراته المتعاقبة.

هذا أساس المذهب الإسماعيلي... تأليه لبعض البشر، إباحة المآثم، تحلل من التكاليف الشرعية؛ لزعمهم أن الصوم والصلاة والحج وسواها ما هي إلا كلمات مجازية، يدركون هم وحدهم معناها، ولولا ضيق المكان لذكرت الكثير من تأويلاتهم. فمن شاء أن يعلم المزيد فليطالع كتاب «كشف أسرار الباطنية» للفيقيه العظيم أبي الفضائل الحمادي. وابن الجوزي ينقل عن الطبري في كتابه «تلبس إبليس» ما يأتي: (وكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم «أي: الخمر»، ويحملهم على امرأته).

تلكم نبذة عجلت عن نسب المعز وعقيدته... أفبعد هذا يجوز لمسلم أن يحفل بذكره أو يعلي من شأنه؟ إنه بتعظيمه يعظم الشرك ويقدس المجوسية. إن الواجب علينا أن نبين - في صدق وحق - حقيقة كل امرئ دعت غاياته الدنيئة إلى أن ينتسب يومًا إلى الإسلام ليبدو - وهو الذئب - حملًا وديعًا... ما يجوز لنا أن يعز علينا الأشخاص ويهون الإسلام. إن الإسلام مظلوم ممن يدعون أنهم أهله، وقد آن له أن يناقش ظالميه الحساب.

مُفْتَرِيَات (١)

مقدمة:

لا يجد الباطل ما يحارب به الحق سوى طريق الجبناء، فيشيع عن الحق بين الناس قالة السوء، ويبهته بالمُفْتَرِيَاتِ السود في الظلام، فما يستطيع البوم أن يتطلع إلى النهار، ولا الخفافيش أن تجابه النور، ولطالما دعونا الحاقدين على أنصار السنة المحمدية كفاحهم في سبيل الله، والعودة بالمسلمين إلى الكتاب والسنة، فما كان منهم سوى التقنع بالرياء ونفث السموم في الخفاء.

قالوا: إننا مُجَسِّمَةٌ!! قالوا: إننا نبغض الأولياء والأئمة، قالوا: إننا وهابيون، قالوا: إننا نكرر ونعيد في الدعوة إلى التوحيد، كأنها التكرار في الدعوة إليه سُبَّةً، وقالوا غير ذلك مما يكشف عن سوء الحقد، ومرارة الهزيمة أمام الحق، وخبث الطوية التي تزعم أنها نفحات من الطيب، وهي نتن الرياء ويَحْمُومُ النفاق. وفي هذا المقال ردٌّ مجمل على هذه المفتريات، لعل الذين يفترون يرتدعون، وليؤمنوا - إن كانوا يعرفون الإيثار - أن الله مُتِمُّ نوره، ولو كره الكافرون.

لقيته بعد زمن، فهفوت إليه ظمآن الشوق ملهوف الحنين، فقد كان أستاذي الذي يدرس لي الأخلاق عند فلاسفة المسلمين، وقد عرض علينا فيما عرض في كتابه رأي الإمام الجليل ابن تيمية مثنيًا عليه، حامدًا لشيخ الإسلام حكمته الهادية، وبصيرته المشرقة، وكفاحه في سبيل نصرته الحق وغلبته بالحجة الناصعة

الدامغة، فاستشرفت نفسي حينذاك إلى كتب شيخ الإسلام التي كنت أتجنبها مخافة أن أزيغ فأهلك، فقد كان مما أدرسه في بعض كتب الفقه: أن هذا الإمام العظيم ضالٌّ مُضِلٌّ.

وآمنت - بعد أن شرح الله صدري للحق - أن ابن تيمية في دينه وعقيدته وعلمه وجهاده مثل أعلى، وقمة من المجد الشامخ تتلأأ بأضواء الخلود. وظللت أكرن في نفسي الاعتراف بالجميل لأستاذي هذا الذي أخذ بيدي إلى المنبع، وأنا أعاني الحيرة والظماً في التيه السحيق!! ولكنني دهشت دهشة الابن البار يتنكر له أبوه دون ذنب اقترفه؛ إذ رأيت أستاذي الكبير يزور عني بوجهه!! فلبثت أجلو له صدق الحب وولاء التلمذة، حتى جعلته يقبل عليّ، ويصغى إليّ، فسألته عما جعله يشيح بوجهة عني، فقال: (انتسابك إلى جماعة أنصار السنة المحمدية) وقلت للأستاذ الكبير في ابتسام لا يخادع، ولا يسخر: (أتعرف أنك أنت الذي جعلتني أخطو أول خطوة في طريقي إلى هذه الجماعة؟) فقال الأستاذ محتدًا غاضبًا: (إذن لا كنت أنا، حتى لا أفقدك، فأراك مع هذه الجماعة).

فقلت للشيخ الكبير: (أما أنا، فأحمد الله على أن كنت يا أستاذي الكبير). ثم قلت للشيخ بعد حوار ما عرف العنف إلا من جانب واحد: (وما يغضبك من جماعة أنصار السنة المحمدية؟).

دعوة الجماعة:

قال: (دعوتها).

قلت: (إنها تدعو إلى كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، كما دعا الصدر الأول من المسلمين).

قال: (كل الجماعات كذلك).

قلت: (يستطيع كل امرئ أن يدعي ما يشاء، ولكن المهم هو أن يقيم الحجة البينة والبرهان القاطع على أنه كذلك. فابن سبأ اليهودي الصهيوني كان يزعم أنه يدعو إلى الكتاب والسنة، والمُقَنَّعُ الدجال، وأبو الخطاب الأسدي، والقرامطة، كل هؤلاء كانوا يزعمون أنهم يدعون إلى الكتاب والسنة، وهم أشد الناس بغضاً للكتاب والسنة بما يكيدون، وبما يفعلون.

إننا ندعو إلى الكتاب والسنة فيما نقول، وفيما نفعل، وأهدافنا وغاياتنا كلها تعبيرٌ صادق عن إخلاصنا فيما ندعو إليه. نقول لا إله إلا الله، بقلوبنا وألستنا وأعمالنا، فنعبده وحده، ونحبه وحده، ونرهبه وحده، ونتقيه وحده، ونتوكل عليه وحده، وندعوه وحده، ونستعين به وحده، لا نجعل بيننا وبينه حجباً، ولا نتخذ من دونه أنداداً، لا أولياء ولا شفعاء ولا وسطاء، فالله هو الولي، وهو على كل شيء قدير.

ماذا تعيب علينا؟ أتعيب علينا أننا ندعو إلى صدق التوحيد والإخلاص فيه، ونعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله وحده هو الذي بيده الأمر، وملكوت كل شيء، فلا نتوجه بأية عبادة إلا إليه سبحانه؟!

أتصدقني إذا قلت لا إله إلا الله، وأنا أقول معها: أغشنا أدركننا يا فلان؟ أتطابق استغاثتي هذه شهادتي بأن الله واحد؟ أم هي تصفني بالكذب في الشهادة؟

أتصدقني إذا شهدت بأن محمداً رسول الله، وأنا فيما أعتقد وفيما أقوم به من عبادات أخالف رسول الله؟ أدعو غير الله، وأقرب إلى سواه النذور، وأقسم بالنبي أو الولي أو مقابر الآباء والأجداد، وأؤدي صلاة هي مَزَقٌ من كسل وخلاعة وسرعة مجنونة، وأتعصّب لأحكامٍ أتعبّد بها دون أن أعرف مصدرها، وقد يكون مصدرها

هوى عارماً وشهوةً مجنونة ورأياً فاسداً!! الجماعةُ التي تدعو إلى الكتاب والسنة كما صورتُ لك تعييبها، وتأخذ عليها طريقها؟ ولا تعيب أولئك الذين يؤدون 'الشهادتين' بألسنتهم، وفي قلوبهم شتى' أرباب وآلهة؟ يخرجون على عتبات المقابر سُجَّداً، ويطوفون حولها خاشعين خائعين، ويعربدون بالموالد على كل قُدْسِيَّة، ويستعبدون خَلَقَ الله لشهواتهم، إذ يكلفونهم خدمة النعال، وتوجيه القرايين إلى الموتى، وحبس الأموال على الموالد؟

هل نحن مجسمة؟

وابتسم الشيخ، وابتسامته مزيج من إشفاق، ثم قال: (ولكنكم يا بُنَيَّ مُجَسِّمَةٌ). وقلت للشيخ الجليل: (أعذك - وأنت صاحب العلم الكبير والعقل الفيلسوف - أن ترمينا بقالة السوء التي يفتريها العوام أو علماء السوء، فما يصف أنصارُ السنة ربَّهم إلا بما وصف به نفسه، ولا يسمونه إلا بما سَمَّى به نفسه، ولا يقولون عن ذاته سبحانه إلا ما قاله هو جَلَّ شأنه، مقتدين في هذا برسول الله ﷺ، سالكين سبيل البررة الأخيار من الصحابة والتابعين، لقد قال سبحانه: إنه سميع بصير. فقال المسلمون: آمنا. قال: إنه استوى على العرش. فقال المؤمنون: آمنا^(١)).

(١) دون أن يسألوا كيف استوى، فما سأل مثل هذا السؤال أحد من أصحاب الرسول على كثرة ما سألوا، ودون أن يحددوا للاستواء كيفية، لأنهم أبعد من أن يقولوا على الله بغير علم، ودون أن يؤولوا استوى باستولى: إذ لو كان معناها كذلك، لبين الله، حتى لا يضطرب عباده، ولبين الرسول طاعة الله، فمن مهمته الكبرى بيان ما نزل إليه، ثم إنه لا يمكن أن يكون معناها كذلك، لأن الاستيلاء يفيد المغالبة، فلو أننا قلنا عن استوى أن معناها استولى، لأدَّى هذا إلى الإيذان بأن عرش الله كان في حوزة غيره سبحانه، وبأن الله =

قالوا ذلك مخبتين خاشعين مطمئنين إلى أن الله لا يقول إلا الحق والصدق، ولا يقول عن نفسه إلا ما يليق بجلاله وكماله، أما غيرنا فيرفض الإيمان بأن الله سميع بصير استوى على عرشه، وفي هذا الرفض الجاحد الكافر اتهام خطير فاسق لله الحكيم العليم بأنه لم يعرف كيف يصف أو يسمي نفسه، في هذا الرفض رَفُضٌ للإله الذي دعانا القرآن إلى عبادته، ودَعْوَةٌ لعبادة إله آخر تصنعه الأوهام والأساطير. يا للعجب البالغ من أن يؤمن الزاعمون بأنهم مثقفون بما قال أرسطو وأفلاطون وابن سينا والفارابي وابن عربي، عن الله!!، ويكفرون بما جاء به محمد ﷺ، وأولئك دعاة زندقة وأمشاج من ضلالات وهو ﷺ خاتم المرسلين وأعظم هداة البشرية على الإطلاق.

لقد صورت الفلسفة ربّها في صورة وجودٍ مطلق لا يعي ولا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يرضى ولا يغضب، ولا صلة له بالكون وظلت هكذا تجري وراء السُّلوب لاهتة الأنفاس، حتى جعلت ربها عَدَمًا مَحْضًا، فما يوصف بالسلب الصرف موجود، وإنما يوصف به المعدوم.

ثم يا للعجب البالغ أن يؤمن من يدّعون أنهم رُوحِيون بما قال ابن عربي وابن الفارض وأضرابهما من أن الله سبحانه هو عين كل شيء جسمًا وذاتًا وصفه واسمًا!! ولا يقال عن هؤلاء المغرقيين في التجسيم والتشبيه والمادية التي تنشب

كان مغلوبًا على أمره، ثم قوى، فاستولى على عرشه ممن كان قد استولى عليه منه، وجل جلال الله القوى القدير المهيمن، فلتقل أيها المسلم مطمئنًا كما قال سبحانه إنه استوى على عرشه، واحذر أن تنحرف، فتنحدر، فتتهوى إلى قرار سحيق.

أظفَارَهَا فِي الطين أَنهم مجسمة!!، بل يقال عنهم أَنهم مثل عليا للروحانية!!.

أما نحن أنصار السنة فيرمينا هؤلاء بأننا مجسمة. لماذا؟ لأننا نؤمن بقول ربنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فننفي عنه سبحانه ما نفى هو عن نفسه، ونثبت له جل شأنه ما أثبت هو لنفسه دون تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل، لأننا لسنا آلهة حتى نضع للمعبود من عندنا أسماء وصفاته!!

ثم أسألك: هل رأيت في كتاب أو مقال أو سمعت في خطبة عن أنصار السنة قولهم عن الله جل شأنه أنه جسم، أو أن صفاته تشبه صفات الأجسام أو صفات خلقه؟ إنني أتحدى - ولعنة الله على المفترين - أتحدى كبار المؤتفكين للبهتان على أنصار السنة وصغارهم أن يذكروا لي كلمة واحدة قالها واحد من أنصار السنة يُشتمُّ منها رائحة التجسيم، أو تمثيل صفة من صفات الله بصفة أحد من خلقه!! اللهم إلا إذا عدوتم وبغيتم على الله نفسه، فاتهمتموه بأنه هو الذي جسم نفسه، لأنه هو الذي ذكر في كتابه هذه الصفات والأسماء التي يعبد بها أنصار السنة. لقد قال ابن سينا عن الله: إنه عاشق ومعشوق، ولَاذٌ ومُلْتَدٌ ولذة، وقدستم ابن سينا، وقال ابن عربي: إن الله عين المؤمن وعين الكافر، ورفعتم ابن عربي بهذا إلى أفق القداسة!!

أما نحن أنصار السنة، فقلتم عنا إننا مجسمة، لأننا نَحْذَرُ ونخاف أن نقول على الله إلا ما قاله هو جل شأنه، وقاله رسوله ﷺ؟ فهل تريدون منا أن نعبد أولئك الفلاسفة والجهمية والمعطلة، والصوفية من دون الله، فندين بما اختلقوا لله من صفات هي نقص وشهوات!!

هل تريدون منا أن نكفر بقول الله؛ لترضوا عنا؟ معاذ الله، معاذ الله أن نسعى

إلا في سبيل الله، وأن نؤمن إلا بقول الله، وأن نشترى رضاءكم بالكفر بالله.
نزول الله:

وقال الشيخ: ألم يقل رئيس الجماعة^(١) أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا؟ ثم نزل درجتين من على سلم المنبر.

وقلت للشيخ: أما الشطر الأول، فقد قاله الشيخ الجليل، نقلًا عن رسول الله الذي ذكر لنا أن ربنا ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا^(٢)، أما الشطر الأخير الذي زعم لك الناس فيه أنه شبه نزول الله بنزوله من على المنبر، فهذا لم يقله، وما كان له أن يقوله؛ لسبب بسيط تستطيع أن تدركه، وهو أن الشيخ الجليل رَحِمَهُ اللهُ كان صادقًا في دعوته إلى الكتاب والسنة، وليس فيهما تشبيه نزول الله بنزول أحد من خلقه.

ستجد من يقسم لك بالسيد البدوي أو بالطلاق أنه سمع بأذنه هذا من فم الشيخ، ولكن اذكر قول الله: ﴿وَلَا تُطْعَ كُلُّ حَلَالٍ مَّهِينٍ ۖ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]. ثم إنني أرجوك - وقد علمتني أن أبحث عن الحق - وأنت صاحب فكر ودارس فلسفة - ومن مَقَوِّمَاتِهَا البحثُ عن الحقيقة كما تزعمون - أن تقر ما كتب الشيخ، وما طبع من كتب، وما علق به على هذه الكتب؛ لتدرك أنه رَحِمَهُ اللهُ كان شديد المحاسبة لنفسه وقلمه ولسانه في التزام الكتاب والسنة اعتقادًا وقولًا وعملاً.
ربنا ينزل إلى سماء الدنيا. آمنا بقول رسول الله ﷺ.

-
- (١) يعني بهذا فضيلة الإمام الراحل الجليل الشيخ محمد حامد الفقي، أسكنه الله فسيح جناته.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، برقم: (٧٥٨/١٦٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولكن كيف ينزل؟ لا ندري، ولا نتكلم أبدًا عن هذه الكيفية، فليس ربنا بشرًا حتى نقيس ما يتصف به، أو يفعل على صفاتنا وأفعالنا، وما في الكتاب والسنة ما يبين عن هذه الكيفية.

فرية ابن بطوطة على ابن تيمية:

ثم إن هذه الفرية قديمة مهلهلة، افترها ابن بطوطة على الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية، إذ يقول عابدُ القبور عن محطم الأصنام شيخ الإسلام في عصره: (حَضَرْتُهُ يعني ابن تيمية - يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر)^(١)، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضربًا كثيرًا)^(٢).

(١) يقول الشيخ رحمه الله:

تأمل حقد ابن بطوطة على شيخ الإسلام حيث يفترى عليه هذه التهمة، ولست أدري كيف يكون ابن تيمية مخبولًا ثم يعظمه أهل دمشق هذا التعظيم، إلا أن يكونوا جميعًا مخبولين، وكيف يخلف من في عقله شيء هذا التراث الأدبي الديني الفكري الرائع الذي يسمو به العقل البشري إلى الآفاق العلوية الذرى في العقيدة الناصعة والعمل الصالح؟ [مقال بعنوان: ابن بطوطة يفترى الكذب على ابن تيمية مجلة الهدي النبوي صـ (٣١) العدد (٤) سنة ١٣٧٠ هـ]. (ض).

(٢) (صـ ٧٧ / جـ ١) مذهب رحلة ابن بطوطة، ثم لماذا قام العوام، وضربوا من عارض ابن تيمية؟ ألا يدلك هذا - على فرض تصديق القصة - أن ابن تيمية لم يقل شيئًا يغضب الله، وأن هذا الفقيه قام ليفترى على الشيخ، ويبهته بما لم يقله، فضر به الناس؟!.

وابن بطوطة مفتر كذوب بنفس عن مرير حقه ضد شيخ الإسلام، فابن بطوطة من عبدة القبور، تراه في كتابه يتحدث عن معجزات أصحاب القبور، واستشفائه بأصحاب القبور، وشهوده كرامات القبور!! وابن تيمية عدو مبين لهذه الوثنية الصماء، ويأبى الله سبحانه إلا أن يفتضح كذب ابن بطوطة افتضاحاً يسجله التاريخ ويسجل خزيه وعاره، ويثبت بالحجة الحسية أن ابن تيمية بريء من بهتان شائتيه، وإليك البيان:

يقول ابن بطوطة: (ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام)^(١).

يثبت من هذا أن ابن بطوطة دخل دمشق عام ٧٢٦ في شهر رمضان!!
فأين كان ابن تيمية رحمته الله في هذا التاريخ؟

كان رحمته الله سجيناً في قلعة دمشق!! فمتى سمع ابن بطوطة من ابن تيمية؟ ترى هل انتقل المسجد الكبير إلى السجن، أو انتقل السجن إلى المسجد؟ بل الحقيقة تدمغ ابن بطوطة بأنه مفتر كذوب؟!.

وإليك الدليل على أن ابن تيمية كان سجيناً يوم دخل ابن بطوطة دمشق.

يقول صاحب العقود الدرية^(٢): (قال الشيخ علم الدين: وفي ليلة الإثنين

(١) ص (٦٨) مهذب رحلة ابن بطوطة ج(١)، وكان يوم ٩ من رمضان في تلك السنة هو يوم السبت لا يوم الخميس انظر التوفيقات الإلهامية.

(٢) الشيخ محمد حامد الفقي رحمته الله، والاسم الصحيح للكتاب: «الانتصار في ذكر أحوال قامة المبتدعين وآخر المجتهدين: تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية»، وبهذا الاسم نشره الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند، وانظر منه ص(٩-١٣) في تحقيق صحة =

لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه.. ابن تيمية)، ثم يقول في مكان آخر عن ابن تيمية: إنه بقي مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً^(١)، وفي مكان آخر يذكر أنه سجن يوم ٦ من شعبان سنة ٧٢٦هـ^(٢)، وهكذا يثبت التاريخ الصحيح أن ابن تيمية دخل السجن في شعبان، أو آخر رجب سنة ٧٢٦هـ وظل سجيناً لم يخرج من سجنه حتى مات في ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ.

سجن ابن تيمية في شعبان، ودخل ابن بطوطة دمشق في رمضان من السنة نفسها، فمتى سمعه وأين؟

هذه هي الفرية^(٣)، وقد ظلت تدور على ألسنة عبدة القبور حتى رمي بها رائد

«الانتصار» دون غيره. (ض).

(١) انظر صـ (٣٦١، ٣٦٩) العقود الدرية.

(٢) انظر صـ (٣٢٧، ٣٢٩) العقود الدرية.

(٣) يقول الشيخ رحمه الله: يقول شيخ الإسلام: «مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفي

مماثلتها لصفات المخلوق، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه، منزّه

عن صفات النقص مطلقاً، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله، فهذان المعنيان جمعا

التنزيه، وقد دل عليهما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢)﴾

[الإخلاص: ١، ٢] فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال، والاسم «الأحد» يتضمن

نفي المثل... فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا

في صفاته ولا في أفعاله». أفمن يقول هذا يشبه نزول الله إلى سماء الدنيا بنزوله هو؟!

أم هو الحق الحقود من ابن بطوطة وعبد الطاغوت على شيخ الإسلام؟!

جماعة أنصار السنة الأول^(١) رحمه الله وغفر له!!.

وخشيت وقد انقاد الشيخ تحت سطوة الحق، أن يدفعه هذا إلى العناد المقيت، وأكره أن أراه في مثل هذا الموقف، فظللت أمارس هزيمته بالمجاملة حتى تخيل أنني لا أعرف أنه يكابد مرارة الهزيمة.

موقفنا من أولياء الله وأولياء الشيطان:

ثم قال: (ولكنكم تكرهون أولياء الله وتُجِدُّون بهم، وتطعنون عليهم).

وقلت للشيخ: (معاذ الله أن نكره ولياً لله أو نطعن عليه، ونحن نؤمن بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [يونس: ٦٢-٦٣]، فَمَنْ وَالِيَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَنَحْنُ مَعَهُ حُبًّا وَتَأْيِيدًا، وانتصاراً له في كل معركة، غير أننا نحارب من يعبد الأولياء. من دون الله، نحارب من يزعم أن الأولياء بيدهم الأمر والحل والعقد والتصريف^(٢)، والله يقول لخاتم النبيين: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ويأمره بأن يقول: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠-٢٢].

[مقال بعنوان: ابن بطوطة يفترى الكذب على ابن تيمية - مجلة الهدي النبوي صـ(٣٥)]

- العدد (٤) - سنة ١٣٧٠ هـ. (ض).

(١) يقصد الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ. (ض).

(٢) حسبك أن تسمع من الدراويش: مدد يا أهل التصريف.

وهل تنسى يوم دعا الرسول أحبَّ الناس إليه، وأمسَّهم به رحماً: هم عمه العباس، وصفيه عمته، ومعهما ابنته فاطمة التي وصفها ﷺ بأنها بضعة منه يُريبه^(١) ما أراها، ويؤذيه ما أذاها، ثم قال لكل منهم: «اعملْ فإني لن أغني عنك من الله شيئاً!!»

وإلى هذا الهدى ندعو الناس، فهو نجاة وحياة وكرامة وعزة وخلود. نحارب هذه القباب التي تبنى بأموال اليتامى والأرامل مذكرين الناس بقول الرسول ﷺ «لعلي: «لا تدع قبراً مشرقاً إلا سَوَّيته»^(٢)، وبكيفية دفن الرسول في عهد أعظم المؤمنين به، فلا قبة، ولا مقصورة، ولا سندس، ولا ثريات كهربية، واسمع قول فاطمة لأنس، وقد دُفن خاتم النبيين: «أَوْهَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُهِيلُوا التُّرَابَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ أَنْسُ: لَوْلَا أَنَّنَا أُمِرْنَا بِهَذَا مَا فَعَلْنَا»^(٣).

نحارب هذا الإسراف الأحمق المجنون على أجساد الموتى، وهذا التقتير الشحيح على الأحياء!! إن ما تتكلفه مقصورة من المقاصير^(٤) يكفي لبناء

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، برقم: (٣٧١٤)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، برقم: (٢٤٤٩/٩٤) من حديث المسور بن مخرمة.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، برقم: (٩٣/٩٦٩)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، برقم: (٤٤٦٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟!».

(٤) ورد في تقرير لوزارة الإرشاد القومي أن عدد الأضرحة في سنة ١٩٥١ كان (١٩٢) وفي عام ١٩٥٩ أصبح عددها في بعض المناطق ٥٦٨ ضريحاً، ومع زيادة الأضرحة زاد عدد الموالد حتى وصل عددها ٨٩٢ مولداً!! ثم يقول التقرير: (ولا بد من محاربة هذه البدعة، =

مستشفى أو مدرسة، أو تسليح كتيبة من الجيش تذود عن حياض الحمى!!
 نحارب هذه الموالد العفنة التي يُستباح فيها الإثم باسم الدين، ويتراقص فيها
 الشيطان باسم ذكر الله، طبول ودفوف ونساء على مدارج الطريق ومراقص،
 وردغات قمار وميسر، وانطلاق مع الفساد الخلقي والديني إلى آخر مدى.
 نحارب هذه المرقعات التي يلبسها أولئك الشُّعْثُ الغُبُرُ القذرون المناكيد
 الأنجاس باسم الولاية الدينية. نحارب هذه الأساطير والشعبدات الخاتلة^(١)
 التي تزعم أنها كرامات ومعجزات. نحارب هذه الكتب التي تمجد الخطايا،
 وتدعو إلى المجانة، وتصف الله بأنه تحت إمرة البشر.

اقرأ كتب ابن عربي، لتجد الرب فيها موصوفاً بكل نقيصة دنسة، اقرأ شعر
 ابن الفارض لتراه كزميله هذا يمجد الصليبية واليهودية^(٢) والمجوسية، اقرأ كتب
 الشعراني، لتجد الخطيئة الوقحة تستعلن على لسان الشعراني وقلمه كرامة ولي
 مقدسة، وأقل هذه الخطايا التي تحتسب كرامات اقتراف الفاحشة على قارعة
 الطريق!! فهل نلام على حرب هذه المنكرات التي تفسد الدين والخلق والفكر
 والأمة، وتعين عليها كل فتنة قاتلة، ومذهب مهلك هدام؟!

وإلا فإنها مع مضي الزمن سوف تشيع بين الناس روح الكسل) انظر الأهرام بتاريخ
 ١٩٦٠ / ٢ / ٨.

(١) يقال: السَّحَابَةُ الْمُخَيَّلَةُ، التي تحسبها ماطرة، والخال: سحاب لا مطر فيه. انظر: «القاموس
 المحيط» مادة: (خال) ص (١٢٨٧). (ض).

(٢) اقرأ ترجمة علي وحيش وأبو خوزة في كتاب: «طبقات الشعراني». (ض).

إننا في حرب مع الصهيونية من أجل سلامنا وسلام العالم كله، ولكن ابن عربي وابن الفارض يمجداها فيما يكتبان؟ فيكف نستعين بمن يقدسونها في حربها؟! وكيف نأمن لهم جانباً؟

أنا لا أدعوك إلى الإيمان بما أقول قبل أن تتبين، فناشدتك الله إلا ما قرأت شيئاً من هذه الكتب التي يحيطها كثير من الناس بالقداسة، ويمرغون الجباه ذلاً وعبودية لمن ألفوها، وأنا بعد هذا الرّضي، لأنني ما زلت أعتقد أنك تميز بين الحق والباطل.

هل نكره الأئمة؟

وقال الشيخ وقد ارتعد من هول ما سمع، أو من هول هزيمة أخرى، فما بالكم تكرهون الأئمة؟

وقلت للشيخ: لقد راعني دعوتك في كتبك إلى فقه الكتاب والسنة، أفإن جاءت على لسانك كانت حلالاً، وإن جاءت على ألسنتنا كانت حراماً؟ ثم متى سمعت منا طعنًا على إمام من هؤلاء؟ إنما نطعن على العصبية المذهبية التي جعلت من المسلمين شيعةً وأحزاباً، نطعن على من يجعل هؤلاء أرباباً وآلهة، نطعن على من افتروا كتباً نسبوا ما فيها من أقوال ضالة إلى هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم!.

نقول للناس: اجعلوا الكتاب والسنة مصدرًا لدينكم، وخذوا عن رسول الله ﷺ هديكم، وانظروا في أقوال هؤلاء الأئمة فما رأيتموه موافقًا للكتاب والسنة، فبه اعملوا، وإلا فاهجروا.

وما طلب أبو حنيفة، ولا مالك ولا الشافعي، ولا ابن حنبل من أحد أن يقلده، فكل قد ورد عنه التحذير من هذا، وحسبك قول الشافعي: ما رأيتموه موافقاً

للكتاب والسنة فاعملوا به، وإلا فاضربوا به عرض الحائط!!.

خذ كتابًا واحدًا من هذه الكتب التي ألفت في القرون الوسطى، وسيروك ما فيها من غموض وإيهام، واستعصاء على الفهوم، إذ كان أربابها يريدون هذا؛ ليشدوا حاجة الناس إليهم دائمًا!!، اقرأ مثلاً باب الوضوء في كتاب من هذه الكتب، وستجد نفسك في حاجة إلى شهر إن لم يكن إلى شهرين، حتى تفهم بعض الفهم ما يراد منك التعبد به، ثم اقرأ ما ذكر الله عن الوضوء في سورة المائدة، وكيفية وضوء الرسول ﷺ في كتب السنة، وثمت تجد الوضوح والإشراق واليقين والطمأنينة، وما إخالك إلا فاعلاً هذا، بل لقد فعلته في كتبك، وضربت عرض الحائط في كثير من صفحاتها بالموروث عن المذهبية المتعصبة!.

وأصغيت إلى الشيخ وهو يثني على كتبه، لعله ينسى أنه يتجرع الغصص على يد الحق يبعثه به من كان تلميذه.

الوهابية:

وما إن أفاق من خمرة الغرور حتى قال: إذن لماذا - وأنتم تحاربون العصية المذهبية -

تدينون بمذهب الوهابية!!؟

وقلت للشيخ: معاذ الله أن نجعل التناقض من سماتنا، أو من خصائص تفكيرنا ودعوتنا!!، فما قام الإمام الجليل المجاهد الشيخ الكبير محمد بن عبد الوهاب داعياً إلى نفسه، ولا إلى دين ابتدعه، ولا إلى مذهب اقترفه، وإنما قام - وقرأ تاريخه وكتبه - داعياً إلى الله ورسوله، داعياً إلى الكتاب والسنة؛ داعياً إلى نبذ البدع والخرافات، وما دان به الناس من تقاليد تناهض روح الإسلام، وتجاذبها العداوة والبغضاء!!

وقد تحمل ما تحمل في سبيل الله. تحمل مفتريات سوء يبهته بها عبدة الطواغيت وأحلاس البدع، تحمل مناهضة الوثنيين في صبر كريم، وجلد قوي لا يلين، حتى انتصر الحق الجليل على الباطل الخسيس العرييد، حتى آمن الكثير بأن ما يدعو إليه الشيخ الجليل هو الحق والهدى والنور الذي يشرق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأتحدى كائنًا من كان أن يثبت أن هذا الإمام الجليل صرح أو ملح أو رمز أو لوح إلى أحد يطلب منه أن يكون «وهايًّا»، فالثابت أنه كان يدعو الناس إلى أن ينتسبوا بدينهم إلى رسول الله ﷺ اعتقادًا وقولًا وعملاً.

أما هذا اللقب فما أطلقه الإمام الجليل على من ناصروه أو أيدوه، ودعوا إلى الله معه، فما كان ﷺ بالمتناقض في دعوته، وإنما كان الواضح الصريح الذي يلتقي أول ما يدعو إليه بآخره في مطابقة تامة واعية، إنما أطلق عليه هذا اللقب شائئوه انتقامًا لباطلهم المصروع من سلطان الحق الذي جرد الإمام الجليل سيفه بل انتقامًا من حربه المنتصرة التي دك بها طاغوت العصبية المذهبية، يريدون من وراء هذا أنه يدعو إلى مذهب خامس، ومضى أعداء التوحيد وعبدة الأصنام يشنعون على دعاة التوحيد بهذا اللقب، وإنه لكريم في دلالة إلا عند ذوي العقول العوراء، لسنا وهابيين، وإنما نحن والشيخ الجليل ومن ناصروه: المسلمون، وإلى هذا دأب الإمام الجليل ابن عبد الوهاب.

وأبى الشيخ إلا أن ينبذنا بالحق الذي ندعو إليه، إذ قال: (ولكنكم لا تدعون إلا إلى التوحيد فحسب دون أن تدعوا إلى شيء آخر).

فقلت: يا سبحان الله!! أتعابُ الشمس أنها تشرق، أو أنها ترسل الدفء على المرقور! أتعيب دعوتنا إلى التوحيد، وهو الدين أصله وفرعه؟!.

أتعيب دعوتنا وهي دعوة كل الرسل؟، اقرأ كتاب الله وثمت تجد أن جميع الرسل كانوا يبدأون دعوتهم بالتوحيد، ويظنون يدعون الناس إليه إلى أن يصعدوا إلى الرفيق الأعلى. ندعو الناس إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته هو الدين والهدى والحياة والاستقامة في العواطف والفكر والخلق والسلوك، وإذا استقام للمرء هنا استقامت حياته كلها. ماذا يجدي الدعاء، وماذا تجدي الصلاة والصيام والحج وغير ذلك مما

فرض الله، ماذا يجدي ذلك كله، وفي القلب معبود غير الله، أو إله مع الله؟!

ثم إنك ترانا ندعو إلى توحيد الله، وإلى كل ما شرع الله لتثبيت عقيدة التوحيد في قلوب عباده، اقرأ ما نكتب واسمع ما نقول، لتؤمن أننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، نأمر بما أمر به الله، وننهى عما نهى الله. فهل يعد ذلك عيباً؟

ندعو الرجال، وندعو النساء، ندعو هنا، وندعو هناك!!

ونحارب كل دعوة هدامة، وكل مذهب ضال، وكل بدعة منكرة، نحارب الاستعمار؛ لأننا نرى الخنوع له خنوعاً للكفر، وقبولاً لولاية الكفار.

نحارب الصهيونية في شتى صورها، ونكشف عن أساليبها الماكرة الدنيئة التي ظهرت في صور مذاهب تنتسب إلى أسماء إسلامية!!

نحارب الشيوعية؛ لأنها عدو الله وعدو الإنسانية، وعدو الحياة. نحارب الوجودية؛ لأنها تجذّف على الله، وتحتقر الأديان، وتكفر بالقيم.

نحارب دين ابن عربي ومن دانوا بدينه، لأنه فسوق وإلحاد أصم.

نحارب المجانة والانحلال الخلقي الذي ابتلانا به الغرب، فظهر جريمة على شفتي المرأة اللتين تلعان دم الخطايا، وعلى جسدها العاري الذي عربدت عليه المعصية.

نحارب كل منكر، وننصر كل معروف وندعو إليه، هذا لأننا لا نجعل القرآن
 عضين، فنأخذ جزءاً ونترك جزءاً آخر!! لأننا ندعو إلى الإسلام أصله وفرعه، نراه
 وحدة متجانسة متكاملة، وبناءً واحداً لا يصح أن نهدم لبنة!! ولأننا نجاهد في
 سبيل أن يكون المسلمون أمة واحدة يصدق عليها قول الله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
 وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

تحت راية التوحيد ندعو إلى الوحدة الكبرى.

هذا عهدنا مع الله ونضرع إلى الله أن يعيننا على الوفاء بعهده.

وطال الحديث بيني وبين الأستاذ الكبير، وفهمت من كل ما قال شيئاً واحداً:
 هو أنه يريد أن يكون رئيس جمعية كبيرة أنا معه فيها، ولكني لم أتبين منه أهداف
 جماعته، لأنه هو نفسه، لم يكن يعرف لها أهدافاً!! كان الهدف أن يكون رئيس
 جماعة فحسب!! ولهذا كان سمعه مغلقاً، وقلبه مغلقاً، غير أنني أظن أنني أخذت
 للحق بحقه ممن حاول اغتصابه!!

تذكرت هذا الحوار الذي احتد منذ مدة بيني وبين أستاذي هذا الذي لا يزال
 يقتعد كرسيّاً ضخماً في إحدى الجامعات. تذكرته وسجلته ليعتبر به المفترون،
 وليتعض به من يبهتوننا بالكذب الحقير.



بيني وبين صديق^(١)

لقيته بعد زمن، فعرفت في وجهه الغضب مني. وعهدي به العطوف الودود. فسألته عما به، ففهمت أن سر غضبه مني يرجع إلى صلتني بجماعة أنصار السنة المحمدية، فقلت له: وما الذي يغضبك من هذه الجماعة؟ فقال: أسألك وتجيّب؟ قلت: حباً وكرامة، أيها الأخ العزيز.

قال: إنكم وهابيون.

قلت: لسنا كما تزعم، إنما نحن أنصار السنة المحمدية، نريد أن نخرج الناس من ظلمات الجاهلية والتقليد الأعمى، إلى نور هداية الفطرة السليمة، وهداية العلم الصحيح، ونرفع من الطريق العقبات أمام الكتاب والسنة، حتى يعود لهما وحدهما السلطان على القلوب والعقول، حتى يصبح المسلمون أعزة كما كان سلفهم الذين آمنوا بالله ورسوله، على هدى وبصيرة، حتى يصبحوا مسلمين قولاً وعملاً وعقيدة.

على أنه إن كانت النسبة إلى الأسبق في الدعوة إلى خلاف الموروث عن الآباء والشيوخ، فكان الأولى نسبتنا «تيمين»؛ لأن ابن تيمية أسبق، بل كان الأولى: صحابيي؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أسبق، بل مسلمين؛ لأن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإخوانه المرسلين من قبله إلى خلاف الموروث من الآباء والشيوخ، وإلى الاهتداء بهدي الفطرة وهدي الوحي، أسبق وأسبق.

ثم إنه لا يوجد ما يسمى بالوهابية إلا على السنة أعداء الله ورسوله الذين غاظهم وأحنقهم أن يقوم الإمام محمد بن عبد الوهاب لتجديد شباب الإسلام، ودعوة الناس إلى توحيد عبادة الله توحيداً صادقاً، وأخذ الأحكام الشرعية من نبعها الصافين: كتاب الله وسنة نبيه المعصوم ﷺ، وليس من المعقول أن يحارب الإمام محمد بن عبد الوهاب التعصب المذهبي، ثم يدعو الناس هو إلى أن يكونوا وهابيين، فصلتنا إذن بالإمام هي الصلة التي حددها الله بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

فكل داع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أخ لنا في الله، نحبه الله، ونؤيد دعوته الله، ما دامت على هدي إمام الجميع رسول الله ﷺ.

والإسلام ليس ديناً زمنياً أو مكانياً، بل هو دين عالمي، يدعو إلى انتظام المسلمين جميعاً في وحدة متحدة قوية، حتى يتحقق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]؛ فكل داع إسلامي على بصيرة نراه أخاً حبيباً لنا، ما دام يدعو إلى الله على بصيرة.

قال الصديق: ألا ترى أن دعوتكم تشيع الفرقة في صفوف المسلمين؟

قلت مشفقاً: حدد مفهوم كلمة «المسلمين» أيها الصديق، فها نحن أنصار السنة بحمد الله آلاف مؤلفة في مصر شهاها وجنوبها وكثير من الأقطار الإسلامية: نشعر بشعور واحد، وندين بدين واحد، سدى علائقنا: الإيمان بالله، ولحمتها: الحب الصادق في الله؛ لأن الله ألف قلوبنا بهداه؛ وجمعنا على الحق من كتابة الحق المبين.

أما الذين يضارون بدعوتنا ويخافون جهادنا في سبيل إعلاء كلمة الله: فهم أولئك الذين يحبون أن تدين لهم بالذل رقاب الناس، وهم الذين يخشون على الجاه

الزائف القائم على استعباد بعض البشر لسلطانهم الكذوب، فهل ترانا خارجين على الجماعة، لأن قومًا لا يحبون الله ورسوله يزعمون ذلك؟

لقد اتهمت قريش رسول الله ﷺ بهذه التهمة الزائفة، اتهمته بأنه فرق كلمة قريش، فرق بين الأخ وأخيه، وبين المرء وزوجه، والابن وأبيه، في حين أنه كان يريد توحيدها على كلمة الله، وعبادة الله وحده لا على عبادة الأصنام والطواغيت.

والقرآن سماه الله منزله: «الفرقان»، كيف نتهم بتفريق كلمة المسلمين، ونحن ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم؟ وفيهما أعظم الحث على الاتحاد والتحابب والتآلف والإيثار، والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ومبدأ دعوتنا للناس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وهل يحيي الناس الحياة العزيزة الطيبة، إلا الإيمان بالله وبنعمه وآياته وسننه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إيمانًا صادقًا على هدى وبصيرة، يبعثهم على العمل الجاد ولما يحييهم الحياة الطيبة؟ وإلى قوله: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَزُ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا شُركَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آزْيَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا إِنَّا سَلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فإنه ما ألمات الناس، وقتل فيهم كل عناصر الحياة والعزة والكرامة إلا اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، فبغت طبقة، وذل الجمهور والدهماء، فهل يلام الداعون إلى أن يكون الناس أمة واحدة كما يحب الله، وأن يكون الله وحده هو المعبود؟

قال الصديق - وقد بدأ يسكت عنه الغضب -: إنكم تبغضون الأئمة الأربعة وتسبونهم قلت - مقاطعًا -: معاذ الله أن نسب مؤمنًا، فضلًا عن أئمة الهدى

رحمهم الله ورضي الله عنهم، والمؤمن ليس بسباب ولا فحاش ولا لعان، كما بين رسولنا المعصوم ﷺ.

ثم إني أسالك أيها الصديق الغاضب: أترى الأئمة متبعين لسنة الرسول ﷺ أم لا؟ قال: إنهم كذلك.

قلت: إذن فلنقل: إننا نتبع رسول الله ونتأسى ونقتدي به، وذلك هو الذي ثبت وصح عن مالك والشافعي وإخوانهما من أئمة الهدى عليهم السلام، كما هو مسجل في الصحف، وأعتقد أن اتباعهم في ذلك - أي في وجوب الاقتداء برسول الله وحده - خير من أن نقول: إننا أحناف أو شافعية أو مالكية أو حنابلة.

وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، والأئمة بشر قد يخطئون، ولذلك فقد ألقوا عن عواتقهم التبعة ونصحوا الناس أمناء: أن لا يتبعوا إلا رسول الله الذي لا يخطئ ولا يزل ولا يضل.

ولكم عانى المسلمون من هذا التفرق والتعصب حتى أصبح الأحناف لا يزوجون بناتهم من أبناء الشافعية في عهد من العهود، وحتى تقاتل المسلمون وسالت بينهم الدماء، عصبية لمذاهبهم وأشياخهم، والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ونحن نرى الدين بيناً واضحاً في كتاب الله وسنة نبيه الكريم، فالله ما قرط في الكتاب من شيء، وقد أمر رسوله بالبيان؛ فبين ونصح، وتركها محجة بيضاء.

ونحن نجل الأئمة ونحترمهم، وندين أنهم أئمة هدى، فنرجع إليهم وإلى فقهم، ولكن نأخذ من قولهم ما وافق الكتاب والسنة، فالحق واحد لا يتعدد.

ولكن الحنفي يرى الحق في مذهبه وحده، وكذا المالكي، وكذا الشافعي، وكذا الحنبلي، فهل ترى الحق يتعدد إلى أربعة، أم تراه في واحد من هؤلاء والباقي على ضلالة؟! فنحن إذن نحارب التعصب المذهبي، لا الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الصديق: حجة طيبة ولكنكم تسبون الأولياء وتبغضونهم.

قلت: فرية كاذبة وبهتان آثيم، وشنشنة نعرفها من أخزم؛ فالله يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٣) [يونس: ٦٢، ٦٣] فنحن ندين بما أمرنا الله أن ندين به؛ فنعتقد أن كل مؤمن تقي ولي لله، نواليه ما والى الله، ونحبه ما أحب الله، ندعوه بالخير ما دعا إلى الله وحده، ونعطيه حقه الذي أمرنا به الله ورسوله حيًّا وميتًا، فندافع عنه، ونعاونه على البر والتقوى، ونصح الحائد عن الصراط السوي، ونعود المريض، ونشيع الجنازة، ونصلي على موتى المؤمنين، ندعوه لهم بالمغفرة والرحمة.

أما أدعياء الولاية، أما الداجلة المشعبدون، الذين يخدعون العامة؟ ليأكلوا أموالهم بالباطل: فنحن حرب عليهم نناذبهم العداء؛ لأنهم أعداء الدين، بل أعداء الإنسانية الذين ينبغي أن تحاربهم كل حكومة رشيدة، قبل أن تحارب اللصوص وقطاع الطريق.

قال: أو تنكرون كرامة الولي؟ قلت: الله كريم يكرم أوليائه بما شاء من عنده، مما يدخل في مفهوم التكريم من رب قوي قادر لبشر ضعيف فقير يحتاج إلى نصر الله؛ لإيمانه بالله وولايته إياه بالمحبة والطاعة، كما كان الصحابة رضي الله عنهم، لا بما يدعيه الدجالون مما يدخل في مفهوم خصائص الربوبية والإلهية، كمعرفة الغيب،

والتصرف في الوجود بالقدرة المطلقة، والتحكم في أقداره، وإحياء الموتى^(١).

قال الصديق: عجباً!! ليت يسمع أعداؤكم قولكم.

قلت: أسمعناهم فكابروا، وهكذا يصدق قول الله لرسوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال الصديق: ولكن كيف تنقمون من الغزالي دعوته؟

قلت: يا صديقي إن لهذا الدين كتاباً واحداً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: هو القرآن؛ ورسولاً واحداً: هو محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وكل إنسان غيره ففي قوله الحق، وفي قوله الباطل، ولقد خلع الناس على الغزالي لقباً لم يمنحوه لرسول الله ﷺ، وهو قولهم عنه: «حجة الإسلام»، فأصبح قول الغزالي كله حجة في الإسلام عندهم.

والحق أن أكثر ما كتبه الغزالي عن الإسلام لا يؤيده الكتاب ولا السنة، فقد أخطأ الغزالي - ولا تنس أنه بشر - في فهم التوحيد، وفهم الناحية العملية في

(١) يقول عبد الرؤوف المناوي: (وقد عد بعض الأئمة الأنواع الواقعة من الكرامات عشرين، وهي أكثر بكثير. النوع الأول: إحياء الموتى وهو أعلاها) ص(١١) كتاب «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية».

ويقول الدباغ عن أوليائه: (ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، وحتى في عالم الرقا، وهو ما فوق الحجب السبعين، فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهلهم، وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش، فما ظنك بغيره) (ص٩/ج٢) الإبريز.

الإسلام، كما نقرأ في الإحياء والإملاء عليه، ومشكاة الأنوار، والمضنون به على غير أهله، ومعارج القدس، وسواها من الكتب.

قال: قد حارب الغزالي الفلاسفة وكفرهم.

قلت: قال الغزالي في نهاية أمره، وفي كثير من كتبه بما كفر به الفلاسفة، حتى لقد قال عنه ابن تيمية في كتاب النبوات: (وكلام الغزالي في المضنون به على غير أهله خير منه كلام مشركي العرب)، وقال أبو بكر بن العربي المالكي تلميذ الغزالي: (قد دخل شيخنا في بطن الفلسفة، ثم حاول أن يخرج منها فلم يقدر).

قال: ما هدفك؟ حدده.

قلت: أن يكون كتاب الله هو الحجة، ورسوله هو القدوة، وأن يؤخذ الدين من القرآن والسنة، لا من إحياء الغزالي، أو مشكاة أنواره، ولا من غيرهما مما أبعد الناس عن هدي القرآن والرسول، وهانحن نبرز ما خفي من كتب الغزالي ونعرضها على كتاب الله.

فهل نلام إذا بينا ما في كلام الغزالي من مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله الكريم؟

قال: أو عندك الحجة والبرهان؟

قلت: ها هي كتبه فيها ما فيها، فطالعها وستعذرنا، بل ستؤيدنا.

قال: لعلها مدسوسة عليه؟

قلت: بل هي ثابتة النسبة، ولنفرض جدلاً ما تقول؛ فنحن نفصح دخائل هذه الكتب بذاتها حتى لا ينخدع بها المسلمون.

قال: ما لكم تعادون الصوفية؟

قلت: بالله أيها الصديق ما نعادي إلا عقائدهم لا أشخاصهم، فليس بيننا

وبين واحد منهم ما يدعو إلى عداة شخصي ولا خصومة.

قال: ما عقائدهم؟

قلت: اقرأ الفتوحات لابن عربي، والفصوص له، واقرأ الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، وأشعار ابن الفارض، ففي هذه الكتب يؤكد الصوفية لأتباعهم: أن ربهم بذاته هو هذا الكون المادي المحس بما فيه من خبث وفسوق، أو أن ربهم - وسبحان ربنا وتعالى - حالٌ حلولاً ذاتياً في كل ذرة من ذراته، وأن اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية: كلها أديان حقة تقرب إلى الله، وتضمن لصاحبها الجنة، وأن عابد الصنم ما عبد إلا الله.

ثم اقرأ كتاب الطبقات للشعراني، فسترى فيه العجب العجاب من تمجيد للجريمة والإثم واللواط والزنا.

ففرع الصديق قائلاً: حرام عليك. فأخرجت له الكتب، وقرأ فيها، قرأ في كتب زعماء الصوفية كل ما حدثته به وأخبرت منه، وإذا به يرمي بهذه الكتب ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

قلت: آمنت؟ قال: آمنت. ولكنه عاد يقول: لعلها مفسوسة على هؤلاء؟

قلت: دعونا الصوفية أيها الصديق إلى نبذ هذه الكتب، واستنكار ما فيها، فكان جزاؤنا أنهم شكونا إلى النيابة بل إلى كل جهة.

قال: وما صلة الصوفية الحاضرة بهؤلاء؟

قلت: يمجدونهم ويقدسونهم، ويأخذون عقائدهم من كتبهم.

قال: وإذا فرض وأنهم أنكروا هذه الكتب، واستنكروها ونبذوها، وأخذوا

دينهم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ودعوا إلى هذا كل إنسان بالنية والقول والعمل؟

قلت: إذن فهم لنا إخوة، ونحن لهم الإخوة.

قال: وهل ستظلون دائبين على دعوتكم؟

قلت: عجباً أيها الصديق، فالله يقول: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [٧٨] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، وهل هناك منكر أكبر من الشرك؟

قال: ولم لا تجتمع بهم وتناقشهم؟

قلت: دعوناهم مراراً، فكان ردهم السب واللعن والاعتداء علينا، ونحن سلام وأمر بالمعروف، ودعاء لهم بالعطف والرحمة والخير.

قال: فإلى من نحتكم إذن؟

قلت: إلى ما دعا الله إلى الاحتكام إليه: ﴿فَإِنْ نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال: هل أدعوهم لمناقشتكم حتى يتبين لهم الحق؟

قلت: هاتهم، وسأقول لهم قول الله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

قال الصديق: - وقد بدا كمن نسي قولاً - ما تقولون في الصفات؟

قلت: قول الله ورسوله.

قال: تقولون ﴿أَسْتَوَى﴾ أي جلس؟

قلت: فرية وبهتان، بل كما قال الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، على ما

يليق بعظمته وجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لا في ذاته ولا في صفاته.
 قال: صدق الله العظيم. ثم بدأ الليل يوغل في الظلام، فقام الصديق: وهو
 يردد قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحُوا
 عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قلت: قد تبينت؟ قال: نعم.

قلت: إلى اللقاء وشكرًا.

قال: إلى اللقاء وعذرًا. فودعته على أن يعود.



هيمنة القرآن

يفصل لنا الإمام الصبار الشكور ابن تيمية هذا المعنى تفصيلاً جليلاً شافياً، إذ يقول في كتابه جواب أهل الإيمان: (فإنه «أي: القرآن» قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله، وعن اليوم الآخر، وزاد على ذلك بياناً وتفصيلاً، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم، ونصره المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة. فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخته، فهو شاهد في الخبريات؛ حاكم في الأموريات).

ثم يقول ﷺ: (ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين والعلوم الإلهية، وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحتها وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات، وأهل الرأي كالمفلسفة وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابتها إلى نبي آخر وكتاب آخر فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه).

وإذا كان هذا هو شأن القرآن بالنسبة إلى الكتب السماوية، فما بالك بالكتب

الوضعية التي يتدعها البشر ليحكم بها المسلمون في دينهم ودنياهم؟ ما بالك بالكتب التي يزعم أصحابها أنها تفصل أحكام الدين، وفقه الشريعة الإسلامية؟ ألا يجب أن يجعل المسلمون - كما أمر الله - للقرآن الهيمنة على كل كتاب يشرع قانونًا، أو يفصل بزعم واضعه أحكامًا في الدين؟ بل يجب عرض كل كتاب قانوني، أو ديني على حق كتاب الله وهداه فإن كان ما في هذه الكتب يطابق ما جاء به القرآن، ويشرف بالانتساب إليه، والغاية منه الدعوة إلى الله، فهو حق وخير، وإلا فهو شر يجب استئصاله، والتحذير منه، والمتدينون لا يفتنون بكتب القوانين الوضعية، كما يفتنون بالكتب الدينية. فالأولى معروف نسبها وغايتها ومصدرها، أما الثانية فينسبها أصحابها إلى الكتاب والسنة، ويزعمون أنها تمثل الناحية الروحية في الإسلام، أو تفصل الحقائق العليا في شريعته الخالدة!! في حين أنك لو ابتليت ما في تلك الكتب لوجدتها قناع مجوسية، ولثام إلحاد ينافق بالرياء، ولا سيما كتب هذه الإمعات التي فتنتها امرأة، ومن أجلها فسقت عن أمر الله، وآمنت معها أن المرأة قوامة على الرجل، وأن الدين عمل فردي لا شأن له بالجماعة، ولا ينظم الحكم، ولا بشئون الحياة. قالوا ذلك من أجلها، فمهدوا لها بهذا إلى الجريمة المستعلنة التي كانت تخفيها ببقية من خوف، وشف رقيق من الحياء.

ولكنها وجدت من يعينها على أن تهتك الستر كله، وعلى أن تعلن الحرب - دنيئة مُلتأثة البغي - على سنة الله وفطرته التي فطر الناس عليها، وعلى دينه ترميه بالجمود والعدوان الظالم على حقوق المرأة، وجدت من يعينها على ذلك، وكانوا - ويا أسفاه - ممن يفترون أنهم من رجال الدين وعلمائه!!

وجوب الرقابة على الكتب الدينية:

يجب مراقبة كل كتاب ديني، وعرضه على الكتاب والسنة، والحكم عليه بعد ذلك حكمًا عادلاً مجردًا من كل هوى وعاطفة، حكمًا لا يرعى غير وجه الله ذي الجلال، وذلك حتى نحول بين الناس - وبخاصة الشباب في هذا العصر العرييد المجون والإلحاد - وبين الزيغ والضلال والفتنة، وسيتهمنا بعض من يعيشون على افتراء الكذب، والدجل باسم الحرية، أننا بهذا نقيد حرية الفكر المطلقة المقدسة ونعاديها!!.

ولسنا والله من أعداء الفكر ولا حريته، وكيف ونحن دعاة إطلاق الفكر من إसार التقليد الوثني لتراث الجاهلية، وأغلال العبودية لإباحية الغرب وإلحاده حتى يستطيع الفكر أن ينعم بصيرًا بالنور الإلهي يهديه إلى الحق، وحمى الحقيقة؟! ولكننا أعداء المجون والإلحاد يسميان حرية فكرية.

الحرية بين التقييد والإطلاق:

ليس في الوجود، ولا عند العقل ما يسمى حرية مطلقة، بل كل حرية مقيدة بقيد قد يكون ظلمًا أو عدلاً، أما القيود الظالمة فنحن أول الدعاة إلى تحطيمها، أما العادلة فنحن أول الدعاة إلى بقائها وحراستها حفاظًا على الفكر نفسه، وعلى الأخلاق، وعلى الدين، فليست حريتك مطلقة في جمع المال، بل هي مقيدة بوجوب اتباع السبل المشروعة لجمعه، وإلا كان الغصب والنهب والسلب والسرقة، وليست حريتك مطلقة، وأنت تسير في الطريق، بل هي مقيدة بوجوب مراعاة آدابه، وإلا كانت ضعة الأخلاق، ألا ترى الصحف في كل ساعة تلح على حماة الآداب من الشرطة أن يبالغوا في مراقبة الشباب الماجن المستهتر من أحلاس

العريضة في الطريق، وأن يأخذوهم بالشدة الرادعة حماية للأخلاق وللأعراض؟! فهل حماية هذين أولى عند حرية الفكر من حماية الدين القيم وعقائد المؤمنين به، وهو الدين الذي تسمو به الأخلاق، ويجعل المقاتل دون عرضه من الشهداء؟! أحمية المرأة السافرة الماجنة السفور من ذئب تقتل له الشاة ليأكلها أولى من حماية الدين ممن يدسون له السم، وهم خاشعو النفاق في المحاريب؟!

لقد أذنت الحرية المطلقة للمرأة أن تسفر بالفتنة الآثمة في الطريق، وأن تبيح لحمها لشهوة كل ذئب منهوم، وأذنت الحرية المطلقة لهذه الحيوانات أن تتدين بما شاءت، وأن تتخلق بما تهوى، فكيف تريد الحرية المطلقة من شبابها المائع الماجن أن يكون على جوع الغريزة صبوراً، ونهمها جلدًا، فلا يأكل من لحم المرأة ما يريد؟! أتوجب النار، وتلهب السُّعار، ثم تقول: اخمد أيها اللهب، واعقل أيها الكلب المسعور؟! يا للحرية المطلقة تلطخ بدم الجريمة يديها، ثم تسميه أصباغ وجنات وشفاه!!.

فإذا حاولنا حماية المرأة بما حماها به الدين، وتكريمها بما كرمها به، وسما بشأنها، وإذا حاولنا دعوة الشباب إلى حمى الدين يحتمي به من فجور الغي، ويجني من مجانيه العزة والكرامة والسمو، إذا حاولنا ذلك قالت الحرية المطلقة: رجعية وجمود في القرن العشرين!! فلا تطيق الحرية المطلقة وذئابها أن يسمعن كلمة الله، ولو أن الإسلام دعاها إلى الخير لسمته بغي الشر، ولو دعاها «مستر فلان» إلى أن تلحق دم الرذيلة لبشرت بدعوته على أنها روح الفضيلة!

تلك هي الحرية المطلقة، وهذا هو هدفها، وتلك وسيلتها في تحطيم الأخلاق، وتدمير الفضائل! وليست حريتك مطلقة في الملكية، بل هي مقيدة بوجوب مراعاة

ما يملك غيرك، وإلا كان البغي والجور، بل ليست حريتك مطلقة في التصرف فيما تملك، بل هي مقيدة بوجوب الإحسان فيه، وإلا كان السفه والخبال، وأقيم عليك قيم يتصرف لك في مالك، وما تملك، وليست حريتك مطلقة في الأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، بل هي مقيدة بوجوب مراعاة ما سماه الله معروفاً، وما سماه الله منكراً، هذا قيدها العادل، أما قيدها الظالم الذي يجب أن يتحطم، فشهوات الباغين ممن يضارون بالدعوة إلى المعروف، والنهي عن المنكر، وهكذا لو فكرت في كل معاني الحرية لوجدت بجانب كل حرية قيداً عادلاً رحيماً حكيمًا يقيد إطلاقها، ويخصص عمومها، ويحددها بحدود ينبغي أن لا تعتد بها، وإلا كانت الفوضوية المطلقة، وإلا كان عالم وحوش انفلتت غرائزها، وجمحت شهواتها، فاندفع كل وحش منها ليجعل الآخرين بعض صيده!! وهذا فرق ما بين الغاب بحيوانه، والعالم بإنسانه، فالإنسان له عقل يقيده، وضمير يحكمه، ودين يحدد له ما يسلكه من سبيل، وكل هذه السلطات المعنوية تحد من حرية صاحبها وتقيدها، أما الحيوان المسعور، فهو زعيم أولئك الذين ينشدون الحرية الفكرية المطلقة!

فإذا كانت الجماعة البشرية قد تواضعت على ذلك، واستكانت لما قيدها به العقل، والضمير، والعرف الخاص، أو العام من قيود، فلم نتعالى على الحق الذي يوجب أن تكون الدعوة إلى الله في حدود ما أمر الله به، وبينه رسوله، لا كما يريد الشيوخ وتنمق الشهوات، وتشهى امرأة الأساطير!!

فإذا طالبنا بجعل الهيمنة للقرآن على كل كتاب يؤلف في الدين، وبوجوب عرض هذه الكتب على هداة، حتى لا يصل إلى أيدي الشباب ما يحيل يقينهم

ربيّاً، وما يتليهم بالشبهات فوق الشبهات، وما يزلزل فيهم الثقة في أن هذا الدين هو خير الأديان، وأسماها هدىً وحَقّاً وحكماً وعدلاً.

أقول: إذا طالبنا بذلك فلسنا بدعاً في هذا الأمر، ولسنا أعداء حرية الفكر، إذا ثبت لك مما قدمته أن حرية الإنسانية، حتى وهي في ذروة مدنيّتها، وحضارتها العليا رضخت لقيود العقل والعرف راضية، فكيف تتعالى هذه الحرية اليوم على الحق، وتأبى إلا أن تقول في الدين الإسلامي ما تشاء؟ وإخال لو أن كتاباً ألف بحرية مطلقة في الناحية الجنسية لتعالت أصوات دعاة الحرية الفكرية تلح في مصادرتة وإحراقه، والبطش بصاحبه، والتنكيل به ادعاء الحماية للفضيلة!! أما الدين الإسلامي؟!

ألا إنهم لا يدعون في الحق إلى الحرية الفكرية، وإنما يهدفون من وراء ذلك إلى الإلحاد والتشكيك في الإسلام باسم الحرية الفكرية.

[نقلاً عن كتاب دعوة الحق]



خواطر

بين الصليبية وبين الإسلام^(١)

في حشجة الزنديق المحتضر، وفي سُعار النابح المخبول، وقف ناعب الصليبية الوثني «سلوين لويد» وزير خارجية إنجلترا، يحذر وثنية الغرب الجاحدة من النور الذي بدأ يستهل من أفق الشرق المجيد، يحذر الصليبية التي توغل في الجمود الأصم من قائد مصر، لأنه وَحَد قوَى العرب والمسلمين، ليذك بها سطوة الغرب الجائرة، فإذا ما كُتب له الغلب، فسيقضي على الحضارة المسيحية!!

قال «سلوين لويد» هذا؛ ليؤلب الصليبية مرة أخرى ضد الإسلام، بل لتخسف هذا النور الوليد الحبيب قبل أن ينتشر، وتهتدي الإنسانية بإشراقه الجميل، وهكذا يلوذ هذا الغاصب الأحق بما تلوذ به الصليبية دائماً، وهي العصية الحمقاء^(٢) التي تستعر حقداً متأججاً، وغلاً مُحْتَفأً، وحسداً مقيتاً تأثر البغي ضد الإسلام.

ولست أدري ما تلك الحضارة الصليبية التي يقيء دنسها على شذقيه؟! إن الحضارة في معناها الأصيل عند مبتدعيها تستهدف تحقيق السعادة للفرد وللمجتمع، وتعيد السبيل للإنسانية؛ لتبلغ غايتها من الكمال المنشود، فهل حققت الحضارة الصليبية أثارة من ذلك؟! إنها عملت وتعمل على توطيد سطوة البغي

(١) (٢-٧/١٣٧٦).

(٢) من عبيد الغرب في الشرق شرذمة تعيب علينا أن نعتصم بشريعة الإسلام وتتهمنا بالتعصب!! يفعل ذلك رعاية لشعور سادته الإنجليز فما بالهم بهذه العصية.

الجائر، واستعباد الشعوب التي لا ذنب لها سوى أنها تنشد الحرية والسلام، فليس لها من هدف إلا شقاء الإنسانية، وتعاستها، وإن كان يعني بقوله ما سخره العلم من قوى الكون للإنسان، أو هذا العلم نفسه، فليس أحدهما من نتاج الحضارة الصليبية المدعاة، وإنما هو نتاج العقل الإنساني العام.

سل الشعوب في آسيا وإفريقيا وأوربا، سل هذه الجماجم التي تعوي فيها الرياح ويطل العدم من محاجرها فزعاً ورهبة، سل تلك الأشلاء المنتثرة على الربوات والنجود في السهول والصحاري، إنها الصليبية الباغية التي تأبى إلا أن تعب الدم المسفوح، وتطعم من لحوم الموتى، وتبني هياكل جورها وشهواتها بجماجم الأرامل، وأرماق اليتامى.

أما الحضارة الإسلامية، فسلوا المشرقين، وسلوا المغربين، فإن الإنسانية في شتى مواطنها ومختلف نزعاتها لم تنعم بحياة رائعة وريفة النعيم، كتلك الحياة التي غرس الإسلام ربيعها اليانع، وأطلع شمسها الدافئة، وقمرها الوضيء، وجعل لياليها أعراس سعادة، وأفراح آمال، وصباحها إشراق بشائر، وأغاريد مجد يشع من سماته جلال الخلود، فكأنما اتصل أزها بأبدها على ربوة من ربى الفردوس. إنها حققت السعادة النفسية والمادية للفرد والمجتمع، وبسطت سكينتها الآمنة على العالم في دعة وسلام ومحبة.

ترى هل أنشأت الحضارة الصليبية مجتمعاً كذلك المجتمع الذي أنشأه وقومه الإسلام في عهد محمد ﷺ، أو في عهد خلفائه؟ لقد كان المجتمع المثالي الذي تحققت فيه أسمى المثل، وأرفع وأجل القيم، وأرقى ما تصل الإنسانية من كمال ومجد ومحبة تلوذ بالإيثار الزكي والفدائية الملهمة، وكان الضمير بسيطرة

الإيمان عليه، هو الحاكم والقيم، فلم تعرف الجريمة الفردية أو الجماعية لها رَدْعَةً، ولم يجد الإثم العائد له حمأة، بل كانت الأرض كلها قُدْسًا تَرَفُّ عليه روح الحب الطهور، والربانية المقدسة، أو محرابًا تنزل في فجره الملائكة.

كان الفرد فيه يعرف حقه ويؤدي في صدق وعزيمة وحماس واجبه، لا يستلهم في ذلك إلا هدى ربه، ولا يرجو من وراء ذلك إلا رضوان ربه، فإن استهوته خطيئة أو غام قلبه بإثم، استهلّت في جوانب نفسه أنوار السماء فبددت ظلماتها. وثمّت يدفع بنفسه - وهو رَيَّان الرضا - إلى أن يؤخذ بحق الله منه، دون أن يلوذ بيمين كاذبة، أو اختلاق شاهد زور يدرأ عنه حدود الله.

إنه داعب الفتنة، أو غازلته الخطيئة في غيابة الليل دون أن تلاحظه حتى نظرة حَيْرَى، أو تَسْمَع به أذن واعية، ولكن نور الإيمان يهتك عنه الحجب، فيدرك بحق أن هناك من كان يراه، وقد رآه، إنه ربه السميع البصير، وهو يحب ربه، يحب رضاه، ويخاف غضبه، فيغمره الحياء من الله، فيهفو مسرعًا لكي يقام عليه الحد الذي ربما أهلكه، ولكنه أعظم الناس سعادة بذلك، لأنه طهر الروح من لوثة الجسد، لأنه عاد إلى الله.

وتلك فرنسا في دعارتها المُسِفَّة في الصغار، وإنجلترا في جحودها المنكر، وأمريكا في ماديتها الحمقاء، إنها في ذروة حضارتها ومدنيتها تسفك في كل لحظة عشرين جريمة، وتقترف آلاف الخطايا الفردية، ولديها قوى الشرطة المنبثة بطائراتها ودباباتها في كل مكان، فهل استطاعت أن تحمي المجتمع منبغي الفرد، وهل استطاعت أن تنشئ مجتمعًا ينعم بالدعة؟! بل أنشأته يستبد به القلق المدمر، ويعصف به الخوف القاتل، ولن تعرف السعادة طريقها إلى نفس قلقة، أو قلب خائف.

أما في المجتمع الإسلامي الحق، فما كان ثمَّ إلا الإيمان حارسًا يقظًا وقاضيًا عدلًا، يحرس الفرد، ويقضي في أمره إذا زلَّت به قدم، ولقد استفاض نور الإسلام حتى غمر المشرقين، فلم تنعم الإنسانية بمثل ما نعمت به، وهي في حرمه وحماه، بل لقد عاشت في ظله المسيحية^(١) واليهودية تنعمان بالأمن والرفاهية.

اسمعوا إلى هذا المستشرق المسيحي الإنجليزي، وقد غلبه الحق، فأنصفه بعض الإنصاف: (لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين، لاكتسحوا المسيحية).

بل إن الصليبيين - وقد ضمد المسلمون جراح ذلهم - أبوا إلا أن يكونوا حربًا دنيئة مستلثة الكيد في استخفاء ضد من آووا أحلامهم الطريدة الشريدة، فيقول ذلك المستشرق نفسه عنهم: (إنهم استغلوا مناصبهم العالية في سلب أموال المؤمنين ومضايقتهم ومعاملتهم بشيء كثير من الغلظة والقحة وتجريدتهم من أراضيهم وأموالهم، كما تعرضوا أيضًا لبغض كثير من المسلمين، وفي عصر متأخر اتهم المسيحيون في زمن الحروب الصليبية باتصاهاهم بالصليبيين اتصالاً ينطوي على الخيانة)^(٢)، هذا قول مستشرق يفخر بصليبيته، يشهد بأن قومه، أو سدنة الحضارة الصليبية في زعم «سلوين لويد» قد خانوا ذمة المسلمين الذين حنَّوا عليهم في رفق، بل يشهد مرة أخرى أن المسلمين كانوا أبر بالمسيحيين من الصليبيين

(١) في عرف أهل مصر أنهم يطلقون على النصرانية هذه الكلمة فتنه! (ض).

(٢) هذا والنص الذي قبله عن كتاب: «الدعوة إلى الإسلام» تأليف أرنولد ص (٧٣).

أنفسهم، فيقول عن الحروب الصليبية: (لقد اشترى بعض المسلمين النقود الفرنسية التي ابتزها الإغريق «وهم مسيحيون» من الحجاج «يعني حجاج النصارى» بالقوة والخداع ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم، فكان البون شاسعاً بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من المسلمين، وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة)^(١).
هذا شاهد منهم!!.

ونحن نقول: لن تبلغ الإنسانية أملها المنشود في السلام والحب والخير والعدالة الشاملة المطلقة، والإخاء الإنساني العام إلا حين يسيطر عليها الإسلام مرة أخرى.

لا ندعى وهابيين:

من أجل الأئمة الذين منَّ الله بهم على المسلمين الشيخ الجليل «محمد بن عبد الوهاب»، إذ قام هذا الشيخ يدعو إلى ربه على بصيرة تستلهم الحق من الكتاب والسنة، وكانت الوثنية في طغواها العاصفة والشرك في سطاه الجائر يحتاجان رمق النور الذابل، أو البقية اليتيمة من الخير في نفوس المسلمين، وكانت العصبية المذهبية في حماقتها وسفاهتها تغرس العداوة والبغضاء في قلوب المسلمين، وتضرب بهم في تيه من الشقاق الأثيم، وتجعل منهم أشتاتاً واهنة، فكافح هذا الشيخ الجليل الملهم كفاحاً لا يرحشه أن ترجف الأرض من حوله، ولا أن يرعد الشرك بشياطينه حيال سمعه، حارب الشرك في سطوته الباغية،

والعصبية المذهبية في سفهها الأحق، حتى كتب له الله النصر والغلب، فإذا أنوار التوحيد تشرق في جلال وعزة من الجزيرة العربية مرة أخرى وأحنق هذا النصر طواغيت الشرك وكهنة المذهبية، فكان مما ظنوا أنهم يكيدون به له، هذه الفرية البلقاء الشوهاء التي زعموا بها أن شيخ الإسلام يريد أن يصنع مذهباً خامساً هو «الوهابية»، افتروا هذه الفرية ردّاً على الهزيمة النكراء التي دكت على رؤوسهم هياكل الوثنية العصبية المذهبية، وسموا كل من آمن بما ذكره به الشيخ من الكتاب والسنة «وهابياً» ويشهد الله أن شيخ الإسلام وإخوانه يبرأون من هذه الفرية براءة التوحيد من الشرك، وبراءة الإسلام من الصوفية، فما دعا الناس يوماً إلى نفسه، ولا إلى مذهب جديد، ولكن دعاهم إلى الله ورسوله، ما أمرهم بشيء مفترى، ولكن ذكرهم بما أمرهم الله به ورسوله، دعاهم إلى الكتاب والسنة، لا إلى كتب صنعتها الشهوات أو افترتها الأهواء أو ابتدعتها كهان المذاهب.. ما دعاهم إلى أن يكونوا حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة، وإنما دعاهم إلى أن يكونوا مسلمين!

وظلت هذه الفرية المفتراة يتواصى بها مشرك عن مشرك حتى رمانا بها المشركون المحدثون، أي الصوفيون - فالاسمان مترادفان معنى وغاية - اختلقوا ذلك ردّاً على الساحق الماحق الفاتك من البراهين التي دمغتهم بالوثنية المادية الجاحدة الجامدة، والتي هتكت الأقنعة السحرية عن وجوههم، فإذا بها الشرك في أبشع وأحقر صورته، والتي جلت للمخدوعين حقائق هؤلاء الذين كانوا يزعمون أنهم أحباء آل البيت، فإذا بهم - وقد هتكنا عنهم الستر - أعداء رب البيت، والمطهرين من آل البيت، وإذا بهم سدنة أصنام يأتفكونها، ليطعموا سحت نذورها، وينتهكوا حرمة الله في ساحتها، ويسفكوا جريمة الغواية في باحاتها!!

يا هؤلاء!! لسنا والله بوهابيين، ولكننا مسلمون، فما يحل لمسلم أن ينزل عن التشرف بهذا الاسم الذي سماه به الله رب العالمين وينتحل اسمًا غيره أو يقبله ممن يحاول إلصاقه به.



هذا ما يراد بكم أيها المسلمون فاحذروا...!!

شرعة اليهود في الحرب^(١)

أحفاد الأبطال المغاوير، الذين باعوا الله نفوسهم، فأورثهم الدنيا، يعلنون فيها كلمته، ويطبقون عدله، ويغرسون في أوديتها ربيع الخير والمحبة، ويركزون على قممها ألوية الكرامة والعزة.

أحفاد الصناديد الأفاضل، الذين ساروا في الحياة نورًا وسلامًا وهدى ورحمة. أحفاد جند الله، الذين أورثهم كتابه الحق، يأخذون الناس بشرعته، ويطبقون في نفوسهم أمره وحكمه وحكمته.

أحفاد الكهنة ذوي البأس يحكمه الخلق النبيل، والإرادة يوجهها العقل الرشيد، والعزم توجهه إلى أهدافه قوة الإيمان الحق، والحياة تسلم أمرها إلى الله وحده، وتبتغي رضاه وحده.

أحفاد المسلمين الراشدين، دان لهم - بنصر الله - الغرب والشرق، هؤلاء الأحفاد ساهون عن دينهم، نائمون عن أمجادهم، أرقاء الهوى، عبيد الشهوات، يستحبون العمى على الهدى، والدنيا على الآخرة، والذل على العز، والضعف على القوة، والخنول الأسوان على العمل الدائب في سبيل تحقيق أسمى القيم وأرفع المثل، يستحبون إلحاد الغرب وطغيانه وفجوره، على الإيمان بما هدى الله إليه وبه. سلوهم، من أورثكم الوهن والعبودية؟!!

سلوهم من ضرب وحدثكم فحالت أشتاتًا واهنة؟!
 سلوهم من أعطاكم الكفر بدلًا من الإيمان، والذلة بدلًا من العزة؟!
 سلوهم من حَطَّم أمجادكم، ومن دَكَّ صروحكم، ومن راح يكيد لكم كلما
 انتويتم قيامًا أو نهضة من موتكم؟!!

إنه هذا الغرب الذي فتنكم عن إيمانكم وكتابكم وربكم، فجعلكم تدينون
 بشرعة الغرب، وتعبدون طواغيته، وتمجدون أصنامهم، وترون فيما يرميكم به من
 بدع سنن الحياة التي تستهدف غايات الخلود.

سلوا أهلي بالعراق، وسلوا أبناء الخثولة والعمومة في باكستان، سلوا أولئك
 وهؤلاء، ما غرَّكم بالغرب، فتبيعون له أبناءكم وإخوانكم من العرب المسلمين؟
 وغيرهم؟

اذكريا ابن عمي في كل مكان، واذكريا ابن الخال في متأى بعيد، اذكر دائمًا
 هذا الغرب، وكيده لك، وعمله دائمًا على محو دينك من الوجود، اذكر قول
 الشاعر حين سقط بيت المقدس في يد الصليبيين^(١):

(١) سقط في سنة ٤٩٢ هـ الموافقة سنة ١٠٩٨ م، ويقول ابن كثير في البداية والنهاية: (أخذت
 الفرنج - لعنهم الله - بيت المقدس - شرفه الله -، وكانوا في نحو ألف مقاتل،
 وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا
 ما علوا تتييرًا. وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلًا من فضة، زنة كل واحد
 منها ٣٦٠٠ درهم، وأخذوا تنورًا من فضة زنته أربعون رطلًا بالشامي، وثلاثة وعشرين
 قنديلًا من ذهب، وذهب الناس على وجوههم، هارين من الشام إلى العراق مستغيثين
 على الفرنج إلى الخليفة». (ج ١٢ / ص ٦) مطبعة السعادة.

أَحَلَّ الكُفْرُ بالإسلام ضِيًّا يطول عليه للدين النَّحِبُ
فَحَقُّ ضَائِعٍ، وَجَمِيٌّ مُبَاحٌ وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مَسْجِدٍ جعلوه دِيرًا على محرابه نُصِبَ الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق وتحريق المصاحف فيه طيب

اذكروا أيها المسلمون ثاراتكم، حتى لا تتركوا لحظة إليه!!

اذكروا تاريخكم جيدًا، بل ذاكروه في كل حين، حتى لا يفتنكم عدوكم اليوم، وهو يتراءى في زيف الصداقة الحفية بالمودة والوفاء، ثم اعتبروا بمن يقتل أبًا أو أخًا لواحد منكم؟ فهل تطيب لكم الحياة إلا بعد أن تقتصوا منه؟

ثم تعالوا إلى تاريخكم الحديث أيها المسلمون، واذكروا جيدًا ما صنع بكم هذا الغرب. ألم يأتكم بأوشاب الصهيونية، الحثالة المحتقرة، المضغة المتنتنة التي مضغها الحنث والرجس، ثم تفل بها في وجوهكم!!

إن الصليبية الغربية ما زالت تعمل عملها في الماضي، ولكن بوجه جديد، وجه خدع بعض أبناء عمومتي في العراق وغيرها، فظنوه وجه الحب والخير والسلام.

إن الصليبية الغربية ما زالت تأتمر بكم أيها المسلمون، بل بكم أنتم أيضًا أيها المسيحيون في الشرق، لا شيء إلا لأنكم عرب!!

وأشد ما يعجب له المرء أن يسكت الغزالي إمام الصوفية الأكبر - أو حجة الإسلام كما يزعمون - يسكت عن هذا الحادث الجلل، فلا يذكره في كتاب من كتبه، ولا يشارك في قتال، ولا يدعو غيره إلى قتال. فقارن بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية في معاركه مع التتار والنصيرية، ووقوفه موقف الموت في كل معركة خاضها ضد الأعداء!!

لقد كفت يدها هي، ثم جاءت لكم بيد نجسة باغية، تعاف الطهر، وتتعشق
الرجس والدنس والرذيلة، جاءت لكم بالصهيونية الغادرة، وهي من ورائها
عون وإمداد، وتأييد لها في كل ما تفعل بكم!!

ترى من فتح لها باب الهجرة إلى أولى القبلتين؟

ترى من أمدّها بالسلاح والعتاد، حتى صارت شوكة تحت جنوبكم، وشجى
في حلوقكم، وسُلاً في رثاتكم؟

أليست هي الصليبية الغربية، يا أبناء العم؟!

ألا تذكرون ما فعلت بكم هذه الصهيونية، منذ بدأ تاريخهم الأعظم؟ ثم ألا
تذكرون ما جنت عليكم به أمس؟!.

واهاً لك يا ابن العم حين تُقْبَلُ يَدَ قَاتِلِكَ، وحين تلثم الخنجر الذي سفك به
دم ابنك أو أمك؟!

واهاً لك يا ابن العم، تسمع دعاء الوحدة معي، فتأبى إلا أن تسير في ركاب
من لوث شرفك، وسخر من تاريخك، ويعمل دائماً لهدم دينك!!

أين حمية الإسلام فيك؟! بل أين حتى نخوة العروبة منك؟!. أهكذا تجردت
حتى من عصبيتك العربية التي حمتك أحياناً من الغزاة والطغاة؟!

أتعرف يا ابن العم المسلم، ويا ابن الخال العربي، ماذا يراد بك؟!

اسمع إلى نيا اليهود وشرعتهم في الحرب، لتعرف جيداً واجبك، بل لتعرف
من الآن مصيرك، إن بقيت بالضمير رَضِيّاً، وبالصليبية الغربية حَفِيّاً، إن بقيت على
عداوتك لي وأنا أخوك، إن بقيت على بغضك لي، وأنا أعتز بحبك، إن بقيت على

حب الغرب وصليبيته وصهيونيته ومقت الله وشريعته!!

استمع إلى ما جاء في سفر التثنية من كتاب الصهيونية والصليبية المقدس: (حين تقرب من مدينة، لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها، يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء، والأطفال، والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا).

هذا ما يزعم اليهود أن الله سبحانه شرعه لهم في الحرب!! مع من؟ مع المدن البعيدة منهم جدًا؟ حتى لو أنهم - أي أعداء اليهود - أجابوهم إلى الصلح، فإنهم يعيشون عبيدًا مسخرين لليهود ونزواتهم الفاجرة!!

فهل يفهم أولئك الذين نكثوا عن دينهم، عن عروبته، ورضوا أن يكونوا عبيد أحلاف الغرب، وأحلاس، وأن يصدقوه فيما يزعم وهو أن الخير في أن نعيش في سلام مع اليهود؟!

أرأيتم إلى شرعتهم!! إنهم يرون من صالحوهم وسالموهم عبيدًا مسخرين لهم!! ويزعمون أن هذا هو ما قاله لهم الرب!! وما قاله الرب، فلا بد من تنفيذه!! أما المدن القريبة من اليهود، أو الشعوب التي تتاخم أراضيها أرض اليهود، فاسمعوا موقف اليهود منها: (وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك، فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا. الحوثيين، والأشوريين، والكنعانيين، والغرزيين، والحويين، واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك، لكي

يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لأهتهم، فتخطئوا إلى الرب إلهكم^(١) هذا هو هدف اليهود أيها المسلمون.

وقد آمنت الصليبية الغربية أن الصهيونية تعمل جادة لتحقيق هذا الهدف فأعانتها لكي تبيدكم أيها المسلمون!!

فضلاً عن أن الصليبية الاستعمارية تزعم أن نبوءة الكتاب المقدس تؤكد أن ملك سليمان سيعود إلى اليهود مرة أخرى، فهي تعمل إذن، لتحقيق نبوءة هذا الكتاب، لكي يصبح الشرق كله - ومنه العراق الذي يأبى بعض زعمائه إلا أن يكونوا مطية للصليبية الغربية والصهيونية الفاجرة - لكي يصبح الشرق كله ساحة لليهود، ولا يستبقون فيه نسمة واحدة!!

فماذا أيها المسلمون؟!

لقد قرأتم ما يدبر لكم، قرأتم مصيركم، إن بقيتم هكذا شيعاً متنازعة، وأشتاتاً واهنة، وتفرقاً ذليلاً، وسيراً وراء ركب الاستعمار، تلهب ظهوركم سياطه؟!

فماذا أيها المسلمون؟!

إنه النذير المدوّي، وإنها الصيحة الراجفة، فهل تستيقظون من سباتكم؟! إنها الحياة الكريمة، أو الموت الكريم، فصمموا على أن تنالوا إحدى الحسنيين.



(١) هذا النص والذي قبله من الإصحاح العشرين من سفر التثنية من كتاب العهد القديم، أو «التوراة» كما يزعمون ص (٢١٥) من طبعة جمعية التوراة الأمريكية، وجمعية التوراة البريطانية، والأجنبية سنة ١٩٤٥ م.

دين الدولة هو الإسلام^(١)

أصدر أبطال الثورة الدستور، وقد نُصَّ فيه على أن دين الدولة هو الإسلام، وبهذا قضت الثورة على أراجيف الاستعمار وأذنابه، ممن راحوا يزعمون أن الثورة في جانب، والإسلام في جانب آخر، ولقد كان أذئاب المستعمرين يثون هذه الأراجيف بين الشعوب الإسلامية كلها، ويؤكدون لهم أن الثورة لن تنص مطلقاً في دستورها على أن دين الجمهورية المصرية هو الإسلام، يريدون بهذا القضاء على ما بين مصر وبين الشعوب الإسلامية من أرحام المودة والقربى والأخوة، وإظهار أبطال الثورة في مظهر المتنكرين لدين الحق، القاضين على مبادئه، العاملين على هدمه، فجاء الدستور ضربة قاضية لأولئك، ونوراً يبدد ضلال هذه الأراجيف، ويثبت أن أبطال الثورة يؤمنون بأن مصر ليست لفرعون، وإنما هي لمحمد عليه الصلاة والسلام، ليست للوثنية التي تؤله الإنسان، أو الحجر، وإنما هي للتوحيد الحق الذي يدين بربوبية وإلهية خالق البشر، ليست لشريعة الغرب، وإنما هي لشريعة الله سبحانه، ولقد كان بعض الذين خدعتهم هذه الدعاوى من الشعوب الشرقية، يعيروننا بما مشى به الاستعمار من أراجيف، فكنا نؤكد لهم أن هؤلاء القادة الذين يحرصون على أن يقفوا بين يدي الله خاشعين، لا يمكن أبداً، أن يتنكروا لهذا الدين الذي يقفون بين يدي الله على نوره وهداه.

ولقد كان المستعمر يعمل بوجهين مختلفين، وإن كانا عند البصر البصير ذَوَي

صورة واحدة!! كان يدعو هنا في مصر إلى أن تترك الثورة النص على هذا، ويوحون إلى بعض الأقلام بهذا، زعمًا منهم أن النص على أن دين الدولة هو الإسلام رجعية تعود بنا القهقري، وتعوق سيرنا قدمًا في سبيل الحضارة، وإغضاب لطائفة من المصريين!! وقد صدّق بعض الكتاب هذا الزعم، فراحوا - جهلاً أو بسوء نية - يثيرون الحرب خفية، أو مستعلنة ضد النص على أن دين الدولة هو الإسلام!! ويذهب المستعمر - وهو الذي أوحى بهذا إلى كتابه - يذهب إلى الشعوب الإسلامية، ويربهم ما كتب أولئك، ويؤكد لهم أنهم ما كتبوا إلا بوحى من رجال الثورة!! هكذا كان يفعل الاستعمار، فجاءت الثورة، ونصت على الحق الذي تؤمن به، وهي أن الإسلام هو دين الدولة!! حتى أنها حذفت كلمة «الرسمي» تطهيرًا للنص مما يشوبه، وتجلية له في سمو غاياته وأهدافه، فقضت بهذا على آمال أولئك الذين كانوا يودون أن تكون مصر مباءة للصليبية الغربية، وأن يتقطع ما بين شعب مصر، وإخوانه من الشعوب الإسلامية، وأكدت لكل من يطوي قلبه على دَخَلٍ ضد الإسلام، أن الثورة للدين تحمي حماه، وتذود عن عرينه، وتعلي كلمته.



من شرفات التاريخ

بطولة عربية تنقذ الإنسانية^(١)

(في التاريخ عبر خوالد تنير للمكافحين الطريق، وتبين لهم سبيل النصر، وتكشف لهم عن أسباب الهزيمة، إنها للدعاة الذين يستلذون المخاطر، ويقتحمون فجاج المخاوف في سبيل تحقيق مثلهم العُلّيا، إن عبر تاريخهم كتاب مفتوح لأبصارهم وبصائرهم يطالعون فيه ما يهديهم إلى السبيل السوي في الكفاح، وإلى الطريق الذي يوصل - بعون الله - إلى النجاح، ونحن إذ نكشف عن تاريخنا المجيد أستار النسيان، إنما نستهدف من وراء ذلك أن يتذكر المسلمون، وأن يتذكر العرب أن سجل التاريخ تشرق فيه حقائق النصر بوحدتهم، وأنه - ويا أسفاه - يسجل عليهم عار الهزيمة كلما ضربت الأهواء بهم في تيه التفرق وفي ظلمات الشقاق والاختلاف، فلا يعرفون ليلهم صباحاً هادياً، ولا لصحرائهم واحةً نديّة، وتنساب عليهم في سَمَائِم الهجير أفاعي العدو تنهشهم، وفي ظلمات ليلهم الحائرة ذئاب الاستعمار تغرق عظامهم، فليطالع دعاة الحق، دعاة التوحيد حقائق التاريخ الصادق، ليحذروا، وليعتبروا، وليتأكدوا أن الوحدة الصادقة هي العودة التي تبني أمجادهم، وهي السد الذي يحول بينهم وبين أن يجرفهم الطوفان، وهي العدة التي سلحهم بها الدين الحق، ليكون لهم النصر دائماً والغلب).
ظلت أحقاد الصهيونية ملتهبة ضد الإسلام الذي قضى على ماديتها الصماء،

ومجانتها الخلقية الفاسدة التي تتاجر في شرف الأعراض، وتدمر كل القيم الخلقية الرفيعة؛ لأنها تقوم كل شيء في الحياة بما يساوي من «دراهم»؛ لهذا كانت الفضائل عندها لذات وشهوات، لقد ظفرت الصهيونية بفهدها الماكر «عبد الله بن سبأ» فمضى اللئيم يؤجج أوار العاطفة المشبوبة بحب آل بيت الرسول، حتى استزل هذه العاطفة بمكره ودهائه فأخرجها إلى الإسراف الذي يجعل من بعض البشر آلهة. واحتشدت معه كل الأحقاد التي أثارها الانتصار الساحق للإسلام على كل مذهب هدام ودين وضعي زائف يؤله النار، أو يعبد الشيطان، أو يجعل من كواكب الليل أرباباً معبودة، كل هذه الأحقاد المضطربة تجمعت واحتشدت، واندفعت بكل ما فيها من غل وحق، لتكيد للإسلام، ولتدمر أمجاد المسلمين واتخذت لها اسماً خادعاً خلاباً ساحر الوشي، ماكر الفتنة يزعمون به أنهم شيعة علي وأنصاره، أثاروا الفتنة الشعواء في عهد عثمان ذي النورين الشهيد المظلوم، فكان أن سفك دمه البريء، وأثاروا الفتنة بين علي عليه السلام ومعاوية، فاضطربت بينهما الخصومة، حتى إذا همت الطائفتان أن تفيئا إلى السلام أثاروا فتنة الخوارج، لتحطيم قوة علي الذي يزعمون أنهم أنصاره!! حتى لا يسحق جند معاوية، فيخلو الجو لعل، أي للإسلام مرة أخرى. وأثاروا الخوارج، فقتلوا علياً وكادوا يفتكون بمعاوية وعمرو بن العاص لولا أقدار الله الغلبة القاهرة وجاء الحسن عليه السلام بكل ما فيه من إيمان وخشية، وحب للوحدة الشاملة يلقي على نار الفتنة صيباً من حكمته، فيتنازل راضياً لمعاوية حرصاً على الوحدة الإسلامية، ولكن الصهيونية وأحقادها، وأحقاد الذين شايعوها، ظلت تخادع ريمانة اللجنة الحسين عليه السلام، وتزيّن له أنهم جنوده وأنصاره، وأنهم يملأون البصرة والكوفة، وما زالوا به حتى

قتلوه، وكان الذين دعوه إليهم لينصروه في مقدمة الكتيبة التي قتلته.

وانصدعت الجماعة الإسلامية صدعاً خطيراً، وراح قتلة الحسين الذين لبسوا قناع أنصاره يذكون الفتنة، ويثيرون الشحناء، ويتخذون من دم الحسين الزكيّ الطهور مناحة دامية، على حين قد سفكت من قبله دماء غالية أعز وأغلى، دم عمر، دم عثمان، دم البطل المغوار عليّ!!

ولكن تلك الدماء لا تلهج الصهيونية بالمناحة عليها، وإنما تلهج بطلب الثأر لدم الحسين وحده!! وانهار بناء الدولة الأموية تحت ضربات الصهيونية الساحقة الماكرة، وجاءت دولة بني العباس التي أقام ركنها مجوسيٌّ خادعُ النسب هو «أبو مسلم الخراساني» الذي وجدت فيه الصهيونية فتاها المرجئ بعد عبد الله بن سبأ. فحقق رجاءها، ولكن المنصور أدرك بفطنته هدف أبي مسلم، أدرك أنه يريد دولة بني العباس، فارسية الدين، فارسية اللغة، فارسية التقاليد، فارسية الحكم، لتستعلن المجوسية مرة أخرى في قوة طاغية جبارة، أدرك المنصور هذا فقتله^(١)

(١) قتل في ٢٥ شعبان سنة ١٣٧هـ: ١٩ فبراير سنة ٧٥٥م: وقد انهار الطاغية أبو مسلم أمام

المنصور، فكان مما قاله له: استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين، فقال أبو جعفر: لا أبقاني الله إذا أبقيتك؟ وأي عدو أعدى لي منك؟ وأخذ الحرس بسيوفهم حتى قتلوه، وهو يصيح العفو،

فقال المنصور: يابن اللخناء!! العفو والسيوف قد اعتورتك، ثم قال المنصور بعد أن قتل:

زعمت أن الدين لا يقتضي فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كأساً كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولة المنصور ستمائة ألف «انظر الطبري وابن الأثير في حوادث

قبل أن يقتل الجماعة الإسلامية وأمة العرب، وخنست الصهيونية تكيد في الخناء، وتدمّر في الخفاء، تكيد كما صنعت من قبل للعقيدة الصحيحة بها تزئين من أساطير، وبها تدبج من وثنية، فما أمدّ المسلمين بشوكتهم القوية إلا عقيدتهم القوية الصحيحة فإن قضاوا على قوة عقيدتهم، قضاوا على قوتهم.

وظلت تكيد، وتستعلن بالكيد في صور توارث تستهدف تقويض أركان الدولة العباسية، وفي صور مجادلات رعناء حول ما صوروه أنه من حقائق الدين، فكان النزاع الفكري المشبوب المتشعب الذي انشعبت به الجماعة الإسلامية. وأتت الفتن الدولة الإسلامية من أطرافها، فراحت تنقسم إلى دويلات صغيرة، لا تتسب إلى الخلافة في بغداد إلا بالاسم فحسب، لقد تمزقت الوحدة، وأصبح العالم الإسلامي منقسمًا على نفسه يخضع لأمراء مختلفي الأهواء متنازعي المشارب.

وأفاق العالم الإسلامي على دويّ رهيب من براكين تتفجر، فتجرف أمامها كل ما يعترض طريقها، إنهم التتار، لقد انحدروا كالسيل العرم لا يبقى ولا يذر، انحدروا كالمنايا الرهيبة تقضي على كل شيء. لقد أغرى التتار ما عليه العالم الإسلامي من ضعف، وما هم فيه من تفتت، فراخوا يلتهمون الإمارات الإسلامية واحدة بعد أخرى دون أن يوقف بطشهم الباغي المدمر قوة، وأين هي القوة؟ لقد ملأ الرعب الطائش كل قلب، ففر كل إنسان يبغي النجاة لنفسه، لا يلوي على دين يكافح عنه، ولا عرض يحميه، ولا وطن يقاتل دونه، واهتبلتها الصهيونية فرصة سانحة، فراخوا يمدون الغزاة من التتار بكل عون وراءه حقد مصمم على الانتقام واثارات لم تهدأ تحلم بالتدمير، تدمير المسلمين والقضاء على الإسلام، حتى وقف الغزاة على مشارف بغداد، وأخافتهم تلك القداسة التي لما

تَزَلُّ ترف من الخلافة الإسلامية في بغداد.

فوقفوا قليلاً يعدون العدة لتحطيم مقر الخلافة يهدفون من وراء ذلك إلى القضاء على كل مقاومة، فإنهم ظنوا أن القضاء على عاصمة المسلمين الكبرى، بغداد، سيجعل اليأس يستبد بالقلوب، فلا يندفعون إلى مقاومة، بل يحتجبون وراء الخوف القاتل، والرعب الشديد تاركين البلاد الإسلامية للتتار يعيشون فيها فساداً كما شاء الهوى.

وكان على كرسي الخلافة في بغداد عبد الله أبو أحمد المستعصم بالله^(١)، وكان كما يقول صاحب الفخري: (مستضعف الرأي، ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة، مطموئعاً فيه غير مهيب في النفوس، ولا مطلع على حقائق الأمور)^(٢) وهجم هولاءكو قائد التتار على بغداد^(٣)، فسقطت في يديه، وأعملَ فيها النهبَ والسلبَ والتخريبَ والفتكَ الذريعَ، وقتل الخليفة نفسه، حتى امتلأ الجوُّ برائحة الجثث العفنة التي زكمت الطرق، حتى اضطر هولاءكو إلى أن يتعد عن بغداد أياماً فراراً من الرائحة الكريهة، وخرب التتار مكتبة بغداد، فأحرقوا بعضها، ورموا البعض الآخر في نهر دجلة بغية القضاء على التراث الفكري الإسلامي، وقطع صلة المسلمين بتاريخهم الماضي المجيد، ثم انحدروا سراعاً - وقد قضوا على المعقل الكبير - إلى سورية، ففتك بخمسين ألفاً من سكان حلب،

(١) بويغ له بالخلافة سنة ٦٤٠.

(٢) ص(٢٤٤) الفخري ط سنة ١٩٢٧.

(٣) كان ذلك في سنة ٦٥٦ هـ، ١٢٥٨ م.

واستولى على أكثر مدن سورية، وطمع هولاء في مصر، المعقل الأخير القوي للإسلام وللعروبة، فأرسل إلى ملك مصر سيف الدين قطز المعزي سنة ٦٥٨ هـ هذه الرسالة المتعجرفة التي تمتلئ غرورًا فجًا وقبحًا: (من ملك الملوك شرقًا وغربًا القان الأعظم باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء.

يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتمتعون بأنعامه، ويقتلون من كان سلطانهم بعد ذلك.

يعلم الملك المظفر، وسائر أمراء دولته، وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال.

إننا جند الله في أرضه، خَلَقْنَا مِنْ سَخَطِهِ، وسلطنا على مَنْ أَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبَهُ. فسلموا إلينا أموركم تسلموا قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا وقد عرفتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد، فلکم حقًّا الهرب ولنا خلفكم الطلب، فما لكم من سيوفنا خلاص، خيولنا سوابق، وسيوفنا قواطع، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، ومن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم، فلکم ما لنا وعليکم ما علينا، فقد أعذر من أنذر، وقد ثبت عندكم أننا كفره، وثبت عندنا أنكم الفجرة، فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تُضْرِمَ الحَرْبُ نارها، وترميكم بشرارها، فلا يبقى لكم جاه ولا عز، ولا يعصمكم منا جَبَلٌ ولا حِرْزٌ، فما بقي لنا مقصد سواكم.

والسلام علينا وعليكم، وعلى من اتبع الهدى، وخشى عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى^(١).

(١) (ص ٦٤ / ج ٨) صبح الأعشى، وقد أخطأ صاحبه - ولعله خطأ مطبعي - فجعل تاريخ

وقد حمل هذا الكتاب الوقح «كتبغا» أحد أمراء هولاكو، ومعه أربعة من التتار، ويقول ابن إياس: (فلما أن سمع الملك المظفر قطز مضمون ما في كتاب هولاكو، أحضر الأمراء واستشارهم فيما يملكون من أمر هولاكو، فقال الأمراء: نجمع العساكر من سائر البلاد ونخرج إليه ونقاتله أشد ما يكون من القتال، ثم إن الملك المظفر قطز نادى في القاهرة بأن النفير عام إلى الغزو في سبيل الله تعالى^(١)؛ واشتعلت القلوب حماسة وحمية، واندفع الشعب العربي كله في أنحاء مصر يبذل من ماله الشيء الوفير عونًا على القتال، وحمل كل قادر على حمل السلاح سلاحه، لقد صمموا على أن يأخذوا بثأر الإسلام من هؤلاء الغزاة الطغاة البغاة، لم يرهبهم أن هولاكو سحق من قبل كل مقاومة، ودمر كل حصن، ورد على أعقابه مدحورًا كل جيش، لم يخفهم بطش التتار ولا بغيتهم الفاجر على كل شيء وانتقامهم الرهيب من كل بني الإسلام، لم يخافوا هذا ولم يفكروا فيه، بل كان كل همهم أن يردوا هذا الطوفان عن العالم الإسلامي، بل عن الإنسانية كلها، كان همهم سحق هؤلاء الذين طحنت القسوة كل ما في القلوب من رحمة أو حنان، إنهم يعلمون أن التتار ينحدرون كالموت القاصف والريح العاصف، ولكنهم يعلمون أيضًا، ويؤمنون أيضًا بأنها المعركة الفاصلة بين الإسلام والكفر المتوحش، لقد عَزَمَ التتارُ وسحقوا كل من لاقاهم، ولم يبق إلا المسلمون في مصر، إلا العرب الذين ملأوا التاريخ أبحادًا وفتوة وإقدامًا وأريحية وفداية وتضحية،

هذا الكتاب سنة ٧٥٨هـ على حين أرسل في سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م، والسلوك للمقريزي

جـ (١) القسم الثاني س (٤٢٦).

(١) انظر (ص ٩٦ / ج ١) تاريخ مصر لابن إياس ط ١٣١١هـ.

فإذا حاقت الهزيمة بالمسلمين في مصر غرب نجم الإسلام وراء الأبد، واندكت عمده تحت الهوى التائهة السحيقة، لهذا صمم المسلمون في مصر على القضاء على هذا الخطر الداهم الذي يتهدد الإنسانية كلها بالدمار والفناء.

ورد «قطز» على هولاء حينما زلزل من غروره، فقد رفض الإنذار وقتل رسله، واندفع الجيش العربي المصري بقيادة القائد المظفر الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري. يقول ابن إياس: (ثم رحل - أي قطز - من الصالحية وجد في السير إلى أن وصل إلى عين جالوت^(١) من أرض كنعان، فتلاقى هناك عسكر هولاء، وعسكر السلطان قطز، فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصي، وقتل من الفريقين ما لا يحصى عدده، فكانت الكسرة على التتار فكسروهم وشتتوهم إلى «بيسان»^(٢)، وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة^(٣)، ثم وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان أعظم من الأولى، فقتل من التتار نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك، فلما جرى ذلك توجه السلطان قطز إلى نحو الشام، فدخلها في موكب عظيم، وجلس للحكم^(٤)).

وتتبع قطز بجيشه العربي المصري جموع المغول حتى طردهم من بغداد، وأبى إلا أن يعسكر في منطقة الفرات ليصد عن بغداد غارات المعتدين.

(١) عين الجالوت بلدة بين نابلس وبيان مهرة عمال فلسطين.

(٢) مدينة بالأردن بالمغور الشامي «مراصد الاطلاع».

(٣) أي: ٦٥٨ هـ.

(٤) ص (٩٧) تاريخ ابن إياس ج (١).

وهكذا أنقذ الجيش العربي المصري الشرق والغرب من خطر ماحق، فلو أن المسلمين في مصر هزموا في هذه المعركة لاندثر الشرق ولعبرت هذه الجموع التترية البحر الأبيض، ودمرت أوروبا نفسها، إنها كانت معركة الحياة بالنسبة للمسلمين بخاصة، وللإنسانية كلها بعامة، وهكذا يثبت الدين الرحم القوي بين أهله، وأنه الموجّه إلى الغايات، تتألق فوق قباب النجوم، والذي يجب أن يتصور قيمة هذه المعركة يجب أن يتصور قوة التتار التي اجتاحت آسيا، وكلّ الشرق حتى دقت أبواب حدود مصر، وأن هذه القوة الطاغية العنيفة أبادت كل مقاومة!! ثم يتصور ماذا كان يحدث لو أن التتار انتصروا؟

هذه عبر التاريخ، تاريخكم أيها المسلمون، تاريخكم أيها العرب، والاستعمار يحاول اليوم أن يفعل بكم كما فعل التتار، فهل تتعظون؟



خيانة ملعونة^(١)

اعترف شاه إيران^(٢) بإسرائيل!!

اعترف بأنه ربيب الصهيونية ووارث أحقادها! وعبد الاستعمار وحولة أوزاره!

اعترف بالخطيئة الملعونة، والجريمة الفاسقة، والخيانة الآثمة!

اعترف بأنه لا يكن إلا العداوة والبغضاء للإسلام!

اعترف بأنه «ابن سبا» آخر لا غاية له إلا تدمير قواعد الإسلام، والقضاء على

الأمة الإسلامية، وإلا فأَي مسلم ينسى خيانة الصهيونية على المسلمين عبر

تاريخهم وكيدها لهم، وأضعافها التي توارثتها ضد كل ما هو حق وخير وسلام؟!!

أَي مسلم ينسى الجرائم الملعونة التي اقترفتها وتقترفها الصهيونية ضد

العروبة والإسلام في فلسطين؟!!

أَي مسلم ينسى مآسي الأيامِ واليتمى والأرامل في فلسطين؟

أَي مسلم ينسى أولئك الإخوة الكرام الذين شردتهم العصابة الباغية عن ديارهم؟

إني لا أستطيع أن أتخيل مسلماً ينسى أثاره من ذلك، أو يحاول نسيانه، أو

يسكت عن ثار الإيمان عند الكفر، وثار الخير عند الشر، وثار الحق عند الباطل،

وثار الإسلام عند الصهيونية.

فكيف استباح الشاه لنفسه ما استباح؟

(١) (٣/ ١٣٨٠هـ).

(٢) هو محمد رضا بهلوي الرافضي الخبيث الذي خلعه الخميني عدو الله ورسوله. (ض).

إن هذه الخطيئة الملعونة إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن هذا الشاه إنما يصدر فيما يقترب عن حقد محموم، وحسد موروث، وبغضاء متلظية ضد العروبة والإسلام، وإلا فهل تجد مسلمًا يتخيل أن للصهيونية أثارة من خير، أو شية من فضيلة، أو أنها تنزع عن شعور بالإنسانية أو تهدف مرة إلى السلام؟!!

لقد عاشت الصهيونية عبر الأجيال والقرون وهي لا تعمل إلا للشحناء والبغضاء وإثارة العداوات والأحقاد والحروب.

أثارها حربًا مسعورة العداوة ضد دين الإسلام منذ بعث الله رسله بينهم، وما زالت حتى اليوم تعينها الصليبية والاستعمار.

ولقد أبى الشاه إلا أن يؤكد أنه لا يعيش إلا للعمل في سبيل الصهيونية والاستعمار. لقد باع نفسه للشيطان، باع نفسه لهواه.

والذين يظنون أن لهذا الشاه نزعة إسلامية، ويعجبون لما صدر عنه إنما يظنون الماء في السراب والخير في النفاق والرياء!!

فما في قلب الشاه للإسلام إلا كراهية مقبلة وحقد مرير!

كما وإنه ليشهد بنا العجب أن نرى بعض الحكومات الإسلامية تترث في الحكم على الشاه بما يحكم به الله على أمثاله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١]، والصهيونية لا تكفر بشيء كما تكفر بالإسلام، وهل اعتراف الشاه بها إلا موالاة لعدو الله، وهل مساندته لها في بغيتها إلا كيد للعرب والمسلمين!!

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١) [المتحنة: ٩] لا تقولوا: إنها خاصة بالمشركون،

وإنما هي حكم عام يحكم به الله على كل جماعة تقترف ضد المسلمين هذا المنكر الملعون. وقد قاتلتنا الصهيونية في الدين، وأخرجتنا من ديارنا في فلسطين، وظهرت على إخراجنا من كل أرض مسلمة.

﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠]، وهل الصهيونية إلا أولئك الذين لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴿٨١﴾ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، فكيف يوالي مسلم أشد الناس له عداوة، أو يظاهرهم على دينه وقومه؟!

ويشتد بنا العجب أيضًا إذ تلوذ بعض الحكومات الإسلامية إلى نفاق السياسة وخذعها الملعونة فتحاول التفرقة بين «الاعتراف القانوني» وبين «الاعتراف بالأمر الواقع».

إن من يلودون بهذا إنما يساندون الخائن في خيانتة، ويدافعون عن المجرم في جريمته، ويؤكدون لكل مسلم أنهم لا يفقهون شيئًا من أمر دينهم، فالإسلام لا يفرق بين الموالاتة للصهيونية وقد سميت اعترافًا قانونيًا، وبين هذه الموالاتة نفسها وقد سميت اعترافًا بالأمر الواقع، إنها الموالاتة لأعداء الله سبحانه أيًا كان اسمها، ويشتد بنا العجب كذلك أن يلود بعض الشيوخ بالصمت المريب، قد يعلنونها صريحة مُدَوِّية توقظ أولئك الغافلين، وتدلهم على الخطر الداهم من موالاتة شاه إيران للصهيونية، وهو الملك المحسوب على المسلمين.

إن هذه المحنة لتؤكد لنا أننا نحن المسلمين في حاجة ماسة إلى التبشير بديننا نحن، حتى نكون على بينة مما يدعو إليه، فقد يما كانت استغاثة المرأة المسلمة - لا الرجل فحسب - كفيلة بأن تتدافع لنجدتها كل الجيوش الإسلامية، ذلك يوم كنا نفقه ديننا، ونفقه كيد العداوات لنا، ونعتز كل الاعتزاز بأننا مسلمون، واليوم نرى ملكاً يعترف علانية في شماتة حاقدة بموالاته للصهيونية، فنسمع بعض الأصوات المنكرة تلو منّا في الحكم على الطاغية بما يحكم الله عليه به!! ويخنس بعضنا قليلاً حتى يغضب لا المستعمرون ولا يغضب الصليبية الكنود.

اهتبلوها فرصة يا رجال الإسلام في كل دولة، وهبوا ضد هذه الفتنة الطاغية الباغية التي تتلمظ أحقاداً وأضغاثاً، وتعمل في سبيل أن يجتاحكم إعصارها، ويغتالكم كيدها، وتدمر مقدساتكم مؤامراتها.

إن موالاة الشاه للصهيونية نذير بخطر داهم وكيد لئيم مبيت ومؤامرة خبيثة تسفر في وضح النهار عن خبث طويّتها، لا تظنوا أن الشاه قد أتى بجديد، كل ما فعل أنه أظهر ما كان يطن، وأعلن ما كان يسر، وأبدى ما كان يكتم، كل ما فعل أنه نبه ذوي الغفلات أن الصليبية والصهيونية لن يدعا لليقظة الإسلامية سيلاً إلا ويسدانه عليها، ولا طريقاً إلا ويضعان العقبات فيه، لا تريد الصليبية أن تكونوا، ولا الصهيونية أن تسودوا!!

ومن خبث الكيد، وضراوة الحقد ولؤم العداوة أن يحاربكم الاستعمار وأعوانه بملك محسوب عليكم!! وأن يتخذوا بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام سترًا يستترون وراءه، فيظن الغافلون أن الطعنة توجهها يد مسلمة!! ومعاذ الله أن يكيد مسلم لمسلم.

هُبُّوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَصِيحُوا صِيحَةً وَاحِدَةً تُفَرِّعُ الْاِسْتِعْمَارَ، وَتَرْجِفُ مِنْ هَوْلِهَا مَكَائِدَهُ وَمُؤَامِرَاتِهِ، وَتُؤَكِّدُ لَهُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَفْدِي دِينَهُ بِدَمِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ. كُفَّاكُمْ خَمُولًا أَوْ خَمُودًا، أَوْ جَمُودًا أَوْ قَعُودًا عَنِ الْجِهَادِ، كُفَّاكُمْ إِخْلَادًا إِلَى الدَّعَةِ الَّتِي تَقْضِي عَلَى حَيِّتِكُمْ، وَالتَّرَفِ الَّذِي يَفْسِدُ عَلَيْكُمْ نَفُوسَكُمْ وَعَقِيدَتَكُمْ ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١).

[التوبة: ٤١]

لَا تَظَنُّوا أَنَّهَا مُؤَامِرَةٌ جَنْسٍ ضِدَّ جَنْسٍ، إِنَّمَا هِيَ مُؤَامِرَةٌ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَاذْكُرُوا أَنَّ الصَّهْيُونِيَّةَ تَعْمَلُ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ هَذِهِ النُّبُوَّةِ الْمَدْسُوسَةِ فِي كُتُبِهِمْ، تِلْكَ هِيَ أَنْ يَجِيءَ «الْمَوْعُودُ»، فَيَقْضِي عَلَى أَعْدَاءِ الصَّهْيُونِيَّةِ جَمِيعًا، وَحِينَئِذٍ يَمْسُكُ كُلُّ عَشْرَةٍ بِذِيلِ صَهْيُونِيٍّ، قَائِلِينَ: نَحْنُ مَعَكُمْ، لِأَنَّا آمَنَّا أَنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ^(١).

هُبُّوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي إِيرَانَ وَغَيْرِهَا فِي وَجْهِ هَذَا الطَّاغِيَةِ الْمَاجِنِ، وَقُولُوا لَهُ: مَكَانَكَ أَيُّهَا الْخَائِنُ، فَلَنْ نَدْعَكَ أَبَدًا نَتَعَمَّ بِشِمْرَةِ خِيَانَتِكَ.

وَالْإِلا تَفْعَلُوهَا أَيُّهَا الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ. وَمَا إِخَالَكُمُ إِلَّا فَاعِلِينَ، مَا إِخَالَكُمُ إِلَّا مُثْبِتِينَ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ أَنَّكُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْحَقِّ وَجُنُودُهُ الْأَوْفِيَاءُ، وَكِمَاةُ هَذَا الدِّينِ وَأَبْطَالُهُ وَحَمَاتِهِ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ.



(١) بهذه النبوة يبشر البهائيون أيضًا.

هذا هو اليقين بك يا شبل الجزيرة

جازت على بعض الصحف فرية خبيثة نفث سمها أفعوان الاستعمار، فنشرت أن هناك مشروع حلف بين أمريكا وبعض الدول العربية، ومنها المملكة العربية السعودية، فجزع لهذا النبأ المفترى من جزع، وبنى عليه مؤتفكو الباطل ما بنوا من تحرصات وأباطيل، أما نحن الذين عشنا في ربوع هذه المملكة الشقيقة عامًا، وشهدنا كيف يسيطر الدين على القلوب والعقول، وكيف يأخذ منها بالأزمة الطيعة يسلك بها صراطه المستقيم، ولمسنا حب إخواننا هناك لمصر وقادتها الأبطال، ولكل مسلم أو عربي، وسعدنا بلقاء الملك الجليل شبل العروبة والإسلام الملك سعود^(١) أيده الله ورعاه، ولمسنا كيف تجيش نفسه الأبية الكريمة العالية بحب المسلمين والعرب جميعًا، وكيف يتوقد غيرة على أمجادهم، وكيف يستلهم ربه الحق في كل ما يعمل أو يذر، وكيف يعمل جلالته على توحيد كلمة المسلمين والعرب.

أقول: أما نحن فلم نصدق هذه الفرية الخبيثة التي تصمي أول ما تصمي إباء المسلم وأنفته وعزته، بل تخرجه عن موالاته لله وحده إلى موالاته عدوه سبحانه، وظللنا على هذا المعتقد، وظل الذين لا يعرفون على قلقهم العاصف، وخشيتهم الحزينة، حتى نشرت الصحف هذا البلاغ الرسمي عن ديوان جلالة الملك سعود أعزه الله بدينه، ونقتطف منه ما يأتي: (وإن الحكومة العربية السعودية تعلن بتأكيد

(١) الملك سعود بن عبد العزيز رحمته الله ملك المملكة العربية السعودية. (ض).

أنها لم تدخل في أي مفاوضات مع الولايات المتحدة لبحث أي حلف من هذا القبيل، وهي تربأ بنفسها أن تدخل في أي حلف يوقع الضرر بوطنها، أو يوقع الضرر في أي موطن إسلامي أو عربي، وإذا كانت هناك مباحثات مع الولايات المتحدة، أو غيرها من الحكومات تتعلق بالتسليح، فليست إلا مباحثات للحصول على الأسلحة بثمنها بغير شرط ولا قيد، وإن حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية تأبى عليه غيرته الإسلامية ومروءته العربية وشرفه وشهامته أن ينفرد بعمل دون إخوانه العرب يمس كيان بلاده أو كيان أي بلد إسلامي أو عربي).

وقد عقب سمو الأمير الشاب الجليل عبد الله الفيصل على هذا البيان بقوله: (أليس هذا البيان كافيًا ليطمئن العرب إلى كذب الأنباء الاستعمارية، وإلى وضوح موقف المملكة العربية السعودية، وإخلاص مليكها للشعوب العربية جمعاء) ثم قال: (إن سياستنا لن تتغير، وإنها تستهدف مصالح العرب أولاً وأخيراً).

وما يحتاج هذا البيان الحق البين الصريح إلى تعليق، بيد أنا نقول للملك الجليل أيده الله: هذا هو اليقين بك يا شبل الجزيرة. ونقول للأمير الكريم: بلى؛ فقد اطمأن الذين لم يكونوا يعرفون، وازداد يقيناً أيها الأمير الجليل من يعرفون.



أفسحوا الطريق للإسلام يشرع ويحكم^(١)

تكاد الجماعات الدينية^(٢) في مصر أن تسيطر على الغالبية العظمى من الشباب، الشباب الذي تفتحت عيناه على مصر، فرآها مشخنة بالجراح، منهوكة القوة من ذلك التطاحن السياسي الوثني القائم على تأليه الزعماء، وعبادة الشهوات، والقتال الدنيء والكيد في سبيل المناصب والدرجات والحزبية المقيتة التي أفسدت الأخلاق، وجنت على المشاعر، وقطعت ما بين القلوب من أرحام الأخوة والمودة، وفرقت بين الأخ وأخيه والولد وأبيه، لا في سبيل الله - وسبيل الله محبة وإيمان - بل في سبيل الشيطان، في سبيل الطاغوت ألبسه الوهم ثوب الزعامة، وصورته الوثنية في صورة البطل، وغلفته الأسطورة بوشي الجهاد الوطني العبقري. وأنت إذا استبطنت ما وراء المظاهر، وأرسلت النظرة الكاشفة إلى الأعماق، وجدت كل هذه الأحزاب لها منهاج واحد، وغاية واحدة تسعى إليها، هما الحكم بغير كتاب الله، وجعل المنصب الوزاري وقفاً على هذا الحزب أو ذاك، فما ثمت ما يفصل بين هذه الأحزاب إلا أسماءها، وأسماء زعمائها.

وكان لهذه الحزبية الجاهلية أثرها بل خطيئتها وجنايتها على نفوس المصريين. تذهب حكومة فيرجمها الشعب الساخط باللعنة، ويسوطها بالنقمة! ولماذا؟ لا يدري!! ثم يسير في موكب الحكومة الجديد صخاب الهتاف بحياتها، عرييد

(١) (٤/ ١٣٧١هـ).

(٢) يقصد الشيخ رحمه الله الجمعيات الدينية الرسمية المشهورة من قبل الدولة كجمعية أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية، وجمعية الشبان المسلمين، وغيرها في ذلك الوقت. (ض).

البشائر بعدالتها، راعد الأكف من التصفيق لها! فلماذا، وهي صنو الذاهبة؟! لا يدري! وما هي إلا لحظات ينشط فيها الزاهبون حتى يهب الشعب مطالبًا بغيرها، فإذا ذهب شيعها بما شيع به الأولى، فوار مراجل الغضب، لاعتنا إياها بنفس الشفاه التي سبحت بحمدها، هادرًا متوعداً بنفس الأكف التي أدامها التصفيق في بهرج مواكبها، ناعتًا حكمها بالجور بنفس الألسنة التي نصبت من كثرة ما بشرت بعدالتها. لماذا؟ لا يدري!! وهكذا دواليك في كل مرة!!

حتى غدت القلوب دُولَةً بين المحبة والبغضاء دون أن تعلم لماذا أَحَبَّتْ، ولماذا أَبْغَضَتْ!!

ولكن أتعلمون لماذا؟ لأن هذا الشعب المظلوم ضحية أحباره وكهانه وزعمائه، أفسدت عليه عقائده وثنية الكهان، ورماء في الفتنة أساطير الأحبار، وضل به عن قدس الحق الطواغيت الزعماء، فلا هو بدينه الحق يحفل، ولا بقيمه العليا يؤمن، ولا هو ينظر إلى ما حَوَالَيْهِ النظرة الإسلامية الصائبة المسددة، فلا يعنيه من حكومته أقيم الدين، أم تدك قواعده!!

أتحيي أمجاد الإسلام ومآثره، أم تجهز على زهرتها اليتيمة، وهي لَمَّا تَنَسَّ دفء الأكماء!!

أتعين على الدعوة إلى الآخذ بشريعته، أم تكبت بطغواها حتى الهمسة الحاملة، والهتفة المذعورة من سطوة الإرهاب!!

فيا للجريمة النكراء التي اجترحها كهان هذا الشعب عليه وطواغيته، ويا لهذا الشعب من قتيل تحسب عليه جناية قاتله!! في حين أن القوة الدينية مستقرة في أعماق هذا الشعب، ولكنها تريد التوجيه الصحيح، وأقرب شاهد على وجود هذه

القوة موقف الشعب من تلك الأشربة الأجنبية، فما إن ارتفع صوت العلماء المخلصين قواد الجماعة الدينية المخلصة ينادي بأنها خبث حتى مات سلطان هذه الأشربة على النفوس.

فليت القادة والعلماء يلتفتون بالعظة إلى هذه العبرة، فيقودون الشعب بالدين الحق، ويعلمه الأحبار ما يكتُمونه من الحق، وهو أن لا دين إلا ما أخذ من الكتاب والسنة، وأن لا شريعة إلا شريعة الإسلام، وأن لا قانون إلا ما كان أقباساً مضيئة من نور القرآن، وأن لا حكم يصلح العالم إلا حكم الإسلام.

رأى الشباب المثقف جناية الحزبية الوثنية على النفوس، فراح يتوجه إلى الدين ينشد منه البلسم للجراح، والدواء للداء، والحق والنور في هذه الظلمة الساجية، وإذا بالزمام يفلت من يد الأحزاب، وإذا بها ترى الجماعات الدينية توجه الأعنة، وتقود الشباب، وتكتسح الميدان، وإنا لنستبشر نفوساً بهذا، ونكاد نلمح العاقبة - التي نسأل الله أن تكون خيراً وحققاً - عاقبة عودة الشعب كله إلى حظيرة الدين، ومحراب العبودية الخالصة لله رب العالمين وحده، والجهاد في سبيل أن يكون التشريع من هدي القرآن والسنة، وفي سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا.

ولكن على الجماعات الدينية تبعات ثقال خطيرة، وأي انحراف قليل من أية جماعة عن الحق المبين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ستكون له جنايته الخطيرة، وخطره الجاني على الإسلام والمسلمين، لتحذر هذه الجماعات أن تسلك مسالك الأحزاب.

فبدل تأليه الزعماء، يؤلهون تراث الوثنية من الشيوخ والآباء، فيضعون في يد وألسنة المتربصين بالإسلام الشر، وبالجماعات الدينية الكيد، خناجر مسمومة

يطعنونها بها، ومفتريات يبهتون بها الإسلام، هي أنه لا يصلح لقيادة العالم إلى الخير والحق والهدى والسلام والعزة، إلى المثل العليا لكل القيم السماوية من الإيمان، والتشريع والنظام، ويقين الحق لو أن كل جماعة دينية توجهت وجهة الحق والهدى من الكتاب والسنة، فسنكون جماعة واحدة هم «المسلمون»، وقوة تسير إعصاراً على الشرك، وتنزل صاعقة على الإلحاد والوثنية، وتحل العدل محل الظلم، والحق مكان الباطل، والتوحيد والإيمان محل الشرك والكفر، والله بالعون يمدّها، وبالنصر يرعاها، والله سبحانه القدير على أن يكلاً كل جماعة دينية بالخير، وأن يوجهها وجهة الحق من دينه، فتسلك في سبيل الدعوة إلى الله ما سلكه رسول الله ﷺ، وأصحابه الأئمة المهتدون ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان للناس^(١)

لقد قامت الدعوة الإسلامية من أول أمرها على أساس مكين من الوضوح والصراحة والبعد عن الغموض والالتواء، ونازلت الباطل وجهاً لوجه حتى أزهرته وقضت عليه، وكان سلاحها الذي لم يفل أبداً هو الإقناع بالحجة من غير إكراه، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة دون مواربة أو مداجاة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقد أمر الله المسلمين أن يبسطوا العدل حتى مع أعدائهم، وحذرهم من أن يدفع بهم بغض هؤلاء الأعداء إلى الظلم والعدوان، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

هذا هدي الإسلام وموقفه من أعدائه، فكيف به من أوليائه وأبنائه؟ وإنه ليدل على روح الإسلام القوية السمحاء، وعلى أنه دين يأبى الخيانة ولا يرضاها خلقاً ولا سلوكاً لأهله، بل يدمغها بأنها جبن غدور ونذالة حقود، لا تعرفها الإنسانية إلا في المنافقين واليهود وأحلاسهم ممن ينتسبون زوراً إلى الإسلام.

(١) (٦/ ١٣٨٥ هـ).

قلت: صدر هذا البيان تحديداً في عام ١٩٦٥ م، بعد الكشف عن تنظيم سيد قطب لقلب نظام الحكم بمصر ومحاولة اغتيال قادة الدولة، كما اعترف هو بنفسه في كتابه الأخير: (لماذا أعدموني؟!)، واعترف بقية قادة التنظيم في مذكراتهم كعلي عشاوي، وأحمد عبد المجيد. (ض).

ولقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان قيد الفتك»^{(١)(٢)}. وهذا الحديث في مسند طلحة بن عبيد الله، وكان أحد جنده في أيام الفتنة قد استأذنه في أن يقتل عليًا، فقال له: كيف تقتله؟ فقال الرجل: «أغتاله» فنهاه طلحة وروى له الحديث.

فالمؤمن لابد أن يكون له من إيمانه ما يحجزه عما لا يليق بأحرار الرجال، وعما نهى الله عنه من الفتك والاعتيال والسعي في الأرض فسادًا، ومعاونة أعداء الإسلام ومظاهرتهم ضد أبنائه وأوليائه، وجاء في حديث آخر رواه أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان»^(٣).

ولهذا حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ أسست على تقوى من الله، واعتصام بالكتاب والسنة أن تدعو إلى الله بالحجة والبرهان وهي بمنأى عن الحزبية العمياء والعصبية الحمقاء، ظاهرها كباطنها وعلنها هو سرها، ليس لها ما تخفيه أو تخاف منه إلا غضب الله، دعوتها سلمية علنية، قوامها الإقناع بالحجج البيض من الكتاب والسنة، تجهر بالحق وتخلص النصيح في صراحة وصدق وإخلاص، دون أن يلوي زمامها حقد غادر أو حسد فاجر، شعارها في دعوتها قول الله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

(١) ذكر ابن الأثير في مفرداته ما يأتي: (الفتك أن يأتي صاحبه وهو غافل فيشد عليه فيقتله). والمعنى:

أن الإيمان يمنع عن الفتك كما يمنع القيد صاحبه عن التصرف فكأنه جعل الفتك قيدًا.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، برقم: (٢٧٦٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤١٧/١)، وهو عند مسلم، كتاب: الجهاد والسير، برقم: (١٢/١٧٣٦)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ ﴿[الأنعام: ١٥٣] وقوله تعالى: ﴿قَدْ هَدَاهُ سَبِيلَ آدَعُوهُ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولهذه - فهي عن صدق وإيمان - تستنكر بشدة هذه الأساليب التي لجأت إليها بعض الجماعات باسم الدين فحملت الإسلام وزر جنایاتهم وإثم حماقاتهم وكادت بجريمتها البشعة أن تقضي على كل ما حققنا من أمجاد وبنينا من عماد. والله نسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل، وأن يحقق للإسلام على يد البطل الإنسان القائد «عبد الناصر» ما كان له من عز وسؤدد ودولة.

جماعة أنصار السنة المحمدية



إلى جمال عبد الناصر^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين؛ وبعد:

فقد كانت كل كلمة من بيانك تعبيراً صادقاً كاملاً عن سمو الحب، وروعة التضحية، وجلال الفداء، وكبرياء الجرح، كان في بيانك أعز ما يحرص عليه العرب من تاريخ، وأنبأ ما تهفو إليه الإنسانية من مثل، وما تمتاز به من خلق، وما تحققه حكمة القيادة من قيم.

كان فيه أجل ما للأبوة من حنان وحكمة، وأجل ما للأخوة من صفاء ورحمة، وأسمى ما للبنوة من بر كريم، وأعظم ما تتصف به الزعامة الرشيدة من تفان في خدمة الأمة.

لقد جاشت قلوبنا بالدموع ونحن نسمع صوتك، فقد كان في نبراته جلال الألم، وجمال القوة، وسماحة العزة، وأريحية الكرامة، وإشفاق الأبوة العظيمة على مصير المتمردين من الأبناء.

كان الكثيرون يعتقدون أنك ستدمر بقسوة القوة أوكار الخيانة، وتقذف بالحمم بوم الخرائب.

ولكن أبت إنسانيتك السامية، وبرك العظيم بهذه الأمة إلا أن تكون فوق ما حدست الظنون، وإلا أن تحقق المثل العليا للحكمة وضبط النفس، ونكران الذات.

كان في مقدورك أن تقتل وتدمر، ولكنك ادخرت كل قطرة دم عربية لليوم الموعود يوم النضال الأكبر والنصر الأعظم على عدونا، وتحقق وحدثنا الكبرى تحت راية الحق الذي دعا إليه النبي العربي محمد خاتم النبيين ﷺ.

ما شعرنا - وأنت تتكلم - بأنك الزعيم العظيم وبأنك الأخ الحبيب - فحسب - وإنما شعرنا مع هذا بأنك تحقيق متجسد جليل لحب العرب وآمالهم وأحلامهم العذاب في المجد والعزة.

وإننا لنتق بأن ما حدث سوف يدفعنا - نحن أبناء العروبة والإسلام - إلى الحفاظ القوي المتين على مثلنا وغاياتنا، وإلى أن تمتلئ قلوبنا بالإيمان بالوحدة الجلية الشاملة التي فرضها الله سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولن نهادن عدوًا لنا، ولن نفرط بإذن الله في أمر فرضه الله علينا. وسنظل ننادي، وندعو بما دعا إليه المرسلون جميعًا: ﴿أَقِمْوَا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وإننا لنصارحك بأن قلوب العرب جميعًا تشفق كل الإشفاق من فداحة العبء، وقسوة الخطب، ومن قلبك الكبير الرحيب الذي يحمل بالحب آلام العرب وأحزانهم، ولهذا نضرع إلى الله بقلوب تجيش بالإخلاص والصدق أن يمدك الله يا جمال بنصره وعونه، وأن يكلائك، وأن يحقق على يديك وحدة العرب والمسلمين، وأن يهب لك الحياة المديدة في طاعة الله ورضوانه والجهاد في سبيله.

إنه جل شأنه سميع مجيب.



يا قومنا أجيئوا داعي الله^(١)

آن الأوان لكي نسلك السبيل القويم الذي سلكه سلفنا الصالح في الدعوة إلى الله، فهدوا بالقرآن العرب والعجم، ووجدوا له من الفرس والروم ومن ذوي الأديان المختلفة والثقافات المتباينة آلاف الأنصار المؤمنين به، الذائدين عنه، المقاتلين في سبيله، فما نجح سلفنا في الدعوة إلى الله بين العرب فحسب، وإنما نجحوا كذلك بين الأمم الأخرى نجاحًا لا يزال هو المثل الأعلى لكل نجاح، ولكل انتصار.

بهذا النداء الحار، الشائق الفعال، نادى رئيسنا العالم العامل الأستاذ الموفق الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية في كتابه الجديد: «الصفات الإلهية ص (١٦٥)» وعلى هذا الحديث القيم، صغت هذه الأبيات اقتداءً بما قدمه لنا في مؤلفه هذا من عظات بالغات، وآيات بينات متبعاً هذا البيان الشافي الصادر من الأعماق، عسى أن يكون في ذلك عظات وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وللحديث بقية إن شاء الله.

القصيدة

وكم فتكت بسيف اللحظ شجعانا	الله في الخلق كم هيَّجتِ أشجانا
موله القلب يشكو منك هجرانا	كم عاشقٍ راح مأسور الهوى شغفاً
رُحماك من مدنف لم يلق سلوانا	ملكيت بالحسن ألباباً وأفئدة

أبيت ليلى حليف الشجو حيراناً
على معانيه، هل تلفيه إنساناً؟
وإنما كان أنواعاً وألواناً
يسير نحو حماء أينما كانا
يقبّل الأرض، والراحات أحياناً
حفظ الذمار وإلا مات وجدانا
قيّارة الحب تذكى فيه نيرانا
من كان بالشرعة الغراء، ولهانا
يومًا ولا غدرت ظلمًا وعدوانا
ولا أقامت له للحرب ميداناً
مدت له كفّها بالخير ملاناً
وعاد ممتلئاً خسرًا وكفراناً

أنا الأسير ومالى فيك مصطبرٌ
ويح الخليل الذي تسمو جوارحه
ولست تلقى الهوى في الناس متحدًا
فمن ثريٍّ يحب المال مرتين
ومن محبٍّ بعشق الغيد مفتن
ومن شجاع كميّ جلّ بغيته
ومن طروب بأنغام ترددها
وخير أهل الهوى في الناس منزلة
هي الوفية ما كلّت عزمته
ولا أرادت به سوءًا ومنقصة
من مدّ كفّها كيما يصفحها
ومن جفاها جفته وهي ما خسرت



علياء إن كان يحوي القلب إيماناً
فقنا الثريا علًا والبحر طوفاناً
وإن نسيناه فالجبار ينسانا
به أفاض عليها النصر هتاناً
لا تجعلوا صنعمكم إثمًا ومهلاً

دين السلام له في القلب منزلةٌ
ونحن إمّا تدبرنا أو أمانه
وإن نصرناه فالرحمن ينصرنا
وإن تعلقنا الأبواب مخلصه
فأيدوه بأعمال مطهّرة

أنتم بنوه فما نؤتم بتضحية
 فاقضوا على البدع الشنعاء واتبعوا
 سقوا ثراه بما قد عزّ من دمهم
 إن زاد أعداؤهم في ظلمهم عتّا
 وكان من خيرة الآباء إحساناً
 نهج الذين اتقوا سرّاً وإعلاناً
 إذ أبصروه غداة الرّوع ظمّاناً
 زادوا ثباتاً وإخلاصاً وإيماناً



يا قوم سنّة شرع الله تنشدكم
 هبّوا جميعاً وذودوا عن قداستها
 وحاسبوا النفس في قولٍ وفي عمل
 ذودوا عن الدين أوزاراً وفاحشة
 وآزروا بعضكم بعضاً لترتفعوا
 وسدّدوا السهم بالآراء صائبة
 وقلدوا الناس سيف الحق منتصرًا
 لا تملأوا الدين آراء معقّدة
 لا تلصقوا برسول الله محدثة
 إن البناء إذا قامت دعائمه
 إن التنازع بين المسلمين فشا
 إن الجهالة بين الناس شائعة
 تفرّقوا شيعاً في الدين واختصموا
 فناصروها زرافات ووحدانا
 وابنوا لها فوق هام النجم إيوانا
 لا تجعلوا لهوى الشيطان سلطانا
 لا يأمر الله بالفحشاء إنسانا
 شأنًا؛ وكونوا عباد الله إخوانا
 وشيدوا بقلوب الشعب عرفانا
 وأقروا ضعفاء الدين قرآنًا
 لا يقبل الدين تعقيدًا وطغيانًا
 عن الفسوق كتاب الله ينهانا
 على الفساد؛ وهى أَسَا وبنيانا
 ولم يقيموا العدل الله ميزانا
 وزائف القول ترجو منه إحسانا
 من غير حق ولم يرعوا له شأنًا

ذو الجهل يعمل في تضليل أمته
يلقي على الناس أقوالاً ملفقة
إنّا اتخذنا كتاب الله حجّتنا

ما يفعل الحين والشيطان أحياناً
يدس فيها أباطيلاً وعصياناً
وسنة المصطفى المختار برهاناً

نجاتي عبد الرحمن^(١)

الجيزة



(١) من شعراء أنصار السنة القدامى، وله أشعار كثيرة، نشر بعضها بمجلة الهدى النبوي، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٣٨٩هـ). (ض).

بدعة المولد ومظاهرها الوثنية^(١)

الوليد الحبيب:

في مثل هذا الشهر تهلّل بالإشراق الروحي محيي الوليد الحبيب، تناسمه من الله روح حكيمة، وتغمر وجوده الإنساني بالحفظ رعاية من الله هادية. وفي المهد - ناح من حوله اليتيم - راح يدرج الوليد، يباكره الحب، ويناغيه الحنو من كل من حوله، إذ شاء الله أن تكون تلك القلوب الوثنية، حراساً لهذا الوليد الذي سيدمر الأولياء المعبودة من دون الله، وينكس ذليلاً على رأسه كل طاغوت، فيا لقدرة الله، ويا لحكمته البالغة!!

من غياهب الكفر، ومغاوير الشرك، يتألق نور الإيمان، ويتنضر روح التوحيد، فأبراهيم من بين الأصنام يدعو القلوب إلى إخلاص العبادة لله، وموسى من بيت فرعون يذكر المستكبرين بملكوت الله، ومحمد: هذا الرسول العظيم الكامل ﷺ يختم الرسالات، ويتم في الوجود الإنساني دين الله، وكان أهله ومن حوله يتخذون مع الله آلهة أخرى!!

محمد بن عبد الله في رجولته:

ويصبح الوليد الحبيب رجلاً كملت فوق الكمال معاني رجولته، وتنضرت فيه رَقَافَةُ النضرة، عوارف إنسانيته العليا، وتطهرت عقيدته الصافية من كل ما يشوبها، فما تفتحت حواسه كلها إلا عن آيات رحمة الرب وحكمته، وما عرف

للوجود ربًّا يربيه ويدبره غير الله، ولا استرحمت في هواجر الحياة غير الرحمن، ولا أنابت - حين يغشى الليل الظلوم - إلا إلى الواحد الديان... ويستشعر الرجل الإنسان الكامل في نفسه غلة الشوق إلى الله، ويحس باللهف الملهوف يعصف بسكونه الشعوري لكي يعلم ويسمع... يعلم حقيقة الإيمان تجليها كلمة الله مفصلة لسنن الله، ويسمع نداء التوحيد من غيب السماء، ها هي عيناه المشوقتان تتطلعان إلى السماء كقلبه المشوق، وها هي روحه تنساب رفاة تطوي أمد الآزال والآباد تطلعًا إلى نبيٍّ من ربه الأول والآخر، والظاهر والباطن.

محمد يوحى إليه:

وها هو ذا في ليلة القدر من رمضان، وقد شغفه ربه حبًّا، إذ أراه جبريل متبدِّيًا في الأفق يلهب قلبه بالشوق: «أنت رسول الله وأنا جبريل»، وأضناه الشوق والحنين إلى روح من عند ربه يحيي بها ما أماتت الجاهلية العمياء من نفوس الإنسان الظالم لنفسه بعبادة الأوثان، حتى ليكاد يستشعر الصلْد لفحة الأشواق في هذا القلب السماوي الرقيق، والسموات ومن فيها إصغاء وخشوع لما سيكون، والوجود في سكونه الشاعر ترف على آفاقه قداسة علوية، ها هو ذا محمد العظيم يتلقى عن الله، فإذا به في لحظة رسول من الله للإنسانية جمعاء.

وكان أول ما أوحى إليه تعريف بالله وعظيم ربوبيته: ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وتعريف بالإنسان في حقيقته وضعفه وحاجته: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، فيصل حكيم دقيق خبير بين صفات الله، وصفات البشر، بين الرب والمربوب، الخالق والمخلوق، ليكون ذلك أول ما يقرع السمع من وحي السماء، اسمع واسمع: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ١-٥].

تذكير بالربوبية الخالقة المربية، التي تعلم وتعلم، ثم تذكير بالإنسان، وحاجته وفقره وجهله، أرأيت كيف يضيف كلمة «الرب» مرتين إلى ضمير خطاب محمد مثال البشرية في سموها، أرأيت كيف يذكر من صفاته: الخلق والعلم بالنسبة إلى ذكر الإنسان؟ حتى لا يستعلي ذلك الضعيف أو يستكبر فأخص صفات الربوبية الخلق، وأخص صفات الإنسان أنه مخلوق، وأكمل الصفات وأسماها غاية: العلم... فتأمل كيف يبدأ الوحي بهاتين؟

جهاد الرسول:

وجاهد محمد الرسول ﷺ وما في البطولات - عزت جهادًا وسمت عزائم، وشرفت غايات - ما يدنو من بطولة الرسول الأعظم... ناضل الأعزل من السلاح بالكتاب الذي أنزل عليه، لأنه حق من الحق، وقوة من القوي، فانتصر المجاهد الأول.

انظر إلى الكعبة المشرفة... أين منها وحوها أرباب ذلت لها الجباه، ودان تحت الذل الجبابرة! إن نور القرآن سطع هنا، ودعا بآياته رسوله، فزلزل الشرك، ولاذ بالرعب المشركون، فإذا اللات العاتية لقي مهان، وإذا العزى وراء الذل صاغرة، وإذا مناة تلوذ بالمنية فتستعصي عليها.

دعوة الرسول:

دعا الرسول ﷺ إلى الله لا إلى نفسه، والله العليم الخبير جعل مهمة محمد الأولى والآخرة تأدية رسالة ربه، فأداها خاشعًا قانتًا في كنف الله بالذل العزيز من العبودية النقية المطمئنة...

ولقد كان يلمح الرسول - الذكي اللماع الذكاء بفطرته، اليقظ، القوي اليقظة
 لنزعات الشيطان - يلمح من بعض العيون نظرة تكاد تؤلهه كما ألهت مَنْ قبله من
 الأنبياء، ويسمع على الشفاه همسات توحى بأنهم سيغلون فيه كما غلوا فيمن قبله من
 الرسل المعظمين، وهنا يجلجل صوتَه القوي: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى
 ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١) هكذا وبذلك الأسلوب البليغ
 القوي في تأدية معناه يقيم الحجة قاطعة ماحقة لدعوى الزيف والبهتان: أنه النور الأول
 أو الخلق الأول الذي فاض من الله، ويعلو بيان القرآن يعلن كلمة الحق: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا
 بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. فتصفو
 القلوب، وتسكن النفوس، وتتطامن العقول، ويتسمع أنا همسة يغلغلها الشيطان بغلو
 الحب، أن الرسول يعلم الغيب، فيرشد القرآن بهداه، فيكبح جماح الظنون ويقشع
 أوهام التخيل إذ يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]،
 وتتهامس الخواطر، يلونها الشيطان بفنون سحرية من الخيال، وتهاويل وثنية من
 الأساطير، أن محمداً لا يعتريه الموت فهو الحي وإن بدا للعين جسداً يواريه التراب، فإذا
 بالقرآن الهادي يعلن الحقيقة السرمدية للإنسان: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]،
 ويعلن: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
 أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ويتأنق الشيطان في نزغاته فيهمس أن محمداً بيده من الأمر
 شيء، وأنه ينفع بها ينفع به الله وحده، غير أن القرآن يعلن في جلاء وإشراق مخاطباً
 الرسول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

ثم يعلن الرسول هادمًا ركنًا من الوثنية التي توقن بالحسب والنسب، وتقول: إنه نافع شافع عند الله. يقول الرسول موجهًا خطابه إلى أحب وأعز بضعة منه، ابنته فاطمة: «يا فاطمة بنت محمد، اعملي؛ فلن أغني عنك من الله شيئًا»^(١).

ويؤمن أصحابه بكل هذا، ويوقنون ويثبت يقينهم أن محمدًا البشر له دنياه وعيشه وملبسه وطعامه وشرابه، فهو ببشريته في الدنيا لا يلزم كائنًا من كان بأن يكون مثله، أما محمد الرسول، فالواجب التأسي والافتداء به فيما يأخذ وفيما يذر، ويحيا محمد ﷺ في الدنيا حياة البشر، طعامًا وشرابًا ولباسًا، ونكاحًا يقظة ونومًا، وإعسارًا آنا وإيسارًا آخر، إنه ينساب بفطرته النقية الصافية في الدنيا يرمقها الدين، وتوجهها تقواه، ويسددها إلى الغايات القدسية عبودية لله طاهرة، ولم يمت محمد ﷺ حتى جعل العقول تفصل فصلًا حكيماً دقيقاً، بين الخصائص الربانية، والخصائص البشرية، فلا تخلط بين صفات الله وبين صفات البشر.

وإذا كان هذا البشري محمدًا بن عبد الله، لم يمت الرسول حتى جعل بالقرآن وبيانه العبودية تقف برجائها وخوفها، وذها وضعفها، بإيمانها وتوحيدها، في رحاب الله الفساح مؤمنة مخبئة تقية، لا تطرف لها عين إلى غيره، ولا يهمس لها خاطر أمل في سواه، ولا ينزع بها خيال رجاء إلى من دونه، فإذا المؤمنون: إلههم واحد، هو الله رب العالمين، وإذا هم أمة واحدة هم المسلمون الإخوة، وكتابهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، برقم: (٣٥٢٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، برقم: (٣٤٨)،

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واحد هو القرآن ورسولهم المقتدى به واحد، هو محمد رسول الله، يقتدون به في رسالته لا في بشريته، في دينه لا فيها تناول به من دواعي العيش دنياه.

صحابه وصديق:

ويسجل التاريخ في سجل الصدق والحقيقة حباً وصداقة بين رجلين، أما أولهما: فقد بلغ الرسالة عن ربه، وهو محمد ﷺ.

وأما الثاني: فقد صدق بما جاء الرسول عن ربه، وهو أبو بكر الصديق. يسجل التاريخ هذه المحبة وتلك الصداقة، وتطل القلوب إليها مشغوفة ملهوفة، لعل أقباساً منها تضيء سبيل الصداقات للقلوب، ولعل إشعاعاً منها يهدي روحية الحب في متاهات الحياة إلى ربيع الخلود، ويعلن التاريخ في صدق أنه لم يعطر الوجود الإنساني بمثل رياء تلك الصداقة، ولا تسامت الروح ولا تألقت الإنسانية في صفائها الرقراق كما حدث في تلك المحبة، ولا أشرفت أخوة في الحياة يباركها الله مثل ما أشرفت هذه الأخوة بين الرسول وبين صاحبه ووزيره أبي بكر الصديق.

ها هما تحت غلائل الليل، أتت عليه الوحشة الرهيبة، يلفهما صوت عميق سحيق لا تسمع فيه إلا هينات الروحين بالتسبيح والخشوع، هذا هو الصديق يخلف وراءه من يخلف من الأحبة، ويدع وراءه ما يدع من الدنيا، ويمتطي الهول والرعب، ويقتحم الليل والقفور، ويجوب الدياجير تعوي رياحها النكب الزعازع، بين ماضٍ لم يذق فيه راحة أو هدوءاً، أو مستقبل في كنف الغيوب المجهولة لا يدره، ولكن كان يسعده ويجعل الحياة من حوله فردوساً: أنه مع رسول الله، هما في الغار حيث يترصدهما الموت أمامه... أرأيت إلى الصديقين هنا في الغار تدب هوامه وتحشن صخوره، ويطغى عليه من ظلم الليل ركाम؟!

أرأيت إليهما هنا؟! ماذا جمعهما؟! وفي سبيل من اجتماعا؟

إن الدنيا بمفاتها ومباذها المكحولة الآثام كانت هناك، والشرك في طغواه وصولته الصائلة يعج أمام باب الغار، ولكنها من كل ذلك في حصن قوي من الإيمان والثقة واليقين، وحسب أبو بكر أنها وحدهما، ولكن المؤمن الأول محمدًا ﷺ يذكره، فيطمئن الصديق إلى قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

ألم تر إلى تلك العاطفة الإيمانية في قلب أبي بكر لمحمد شبت، ثم إذا بها تجعل الرسول ﷺ عنده قبل النفس والمال والأهل والولد؟! أحدثك التاريخ أن رجلاً عظيماً كريماً نبياً أحب صاحبه كما فعل أبو بكر الصديق؟! ماذا بعد موت الرسول:

ويدور الفلك دورته، وينزل بمحمد ﷺ ما ينزل بكل بشر، ينزل به الموت، أليس محمد نفساً؟! و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، كما بلغه ربه وبلغ هو عن ربه؟ ترى ما حال ذلك القلب الرقيق البكاء، قلب الصديق إذ يفجعه الموت في أعز من يحب في دنياه؟! وما حال تلك العاطفة تتلظى شغفاً وتلهب حيناً إذ ترى عيني محمد ﷺ يغمضهما الموت وكانتا صفاء قدسياً، ونوراً علوياً، وإيماناً نقياً، كانتا تبثان اليقين في المريب، والطمأنينة في القلق، والأمن في الخوف، والأمل في اليأس؟!!

وتلفت التاريخ رائع الإعجاب ليمجد بطولة قلب عظيم كبير، لا يهوله الهول، ولا يذهله الروع، ولا تزلزله الداهية، ويتلمظ الشيطان لاعتقا باللهب المحرق شفثيه، ويصيخ بسمعه وهو يتفجر وسوسة يَحْتَل بها إيمان القلوب، ولكن الشيطان يسمع الصديق الرفيق الرقيق المؤمن القوي يقول للجازعين من حوله:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ويذكرهم بالآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، والصحابة جميعًا ينصتون لقول أبي بكر فيؤمنون بموت الرسول ويطمئنون؟

ولو تكشف لك الشيطان يومها يحثو على رأسه الغبار حسرة وغمًا، لرأيتَه يحاول إغواء القلوب أن تنسى محمدًا البشر، ليبعث فيها ما وسوس به لعباد عيسى، فتوهم أن محمدًا ﷺ لم يمت، لأن الآلهة لا تموت...

ولكن أبا بكر وأصحاب محمد ﷺ معه لم ينسوا، ولم يهنوا، ولم يستكينوا، ومضوا في سبيل الله ينشرون النور، ويبددون غياهب ظلمات الأوهام، هالوا التراب على رسول الله، ولولا أنهم أمروا بذلك ما فعلوه، كما قال أنس لفاطمة، ومضوا مضاء عزيمة، وصلابة إرادة، وقوة إيمان يحاربون الشرك والمشركين، والردة المرتدين، إعلاءً لكلمة الله، ما صرفهم قبر الرسول عن ربهم مرة، ولا غزهم خيال بالغلو في ذكره بعد الموت إلا بما شرع الله.

إن الرسول ﷺ علمهم أن عظمة محمد في رسالته، وأن حبه هداها، لن يكون إلا باتباع ما جاء به، إذ قال لهم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»^(١) هذا هو الحب، وميزانه وبرهانه: محمد ﷺ مات، والله هو الحي القيوم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والبغوي في شرح السنة (١٠٤)، والسلفي في معجمه (١٢٦٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في المشكاة (١٦٧).

المنفرد وحده بالبقاء، وحب الله وحب رسوله في العمل بكتاب الله وسنة رسوله، أما ذلك القبر، أما تلك الذكرانات، أما تلك الدموع التماسيحية المصطنعة والتهاويل والخيالات، أما ذلك كله فليس من تمجيد محمد ﷺ في شيء، إن حب الله هو الأول في القلوب، وقد حدد الله السبيل الذي يصل بالقلب إلى حبه تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فسبيل حب الله اتباع رسوله، لا الطواف حول قبره، ولا التمسح بستره، ولا إقامة حفل كلما عبرت على الخواطر ذكره، بهذا آمن أصحاب الرسول، فلم يطوفوا حول القبر، ولم يقيموا في ربيع الأول له عيداً ولا مولداً.

ويتلفت التاريخ مرة أخرى ممجداً، وتتلظى عينا إبليس حقداً وبغضاً، فأصحاب محمد وأتباعه مازالوا على العهد ينشرون النور، ويهتكون بالحق سجن الظلام، وتُستدَلُّ التيجان الطاغية، وتُثَلُّ العروش الباغية، وتستعلن كلمة الله في الآفاق في قوة سماوية عالية، وفي إيوان كسرى بعد النار يعبد الله نور السموات والأرض، ويتردد في جوانب الصدى المقدس في جلال وجمال من شفاه المؤمنين، إذ يقولون: «الله أكبر»... ويمر ربيع وربع وربع، ولكم من ربيع وربع مر على الأصحاب والأتباع... فماذا فعل أصحاب محمد وأتباع محمد؟! أقاموا لذكره حفلاً؟! مولداً؟! عرائس مولداً؟!

أتلوا له قصصاً ينطلق منها صارخاً شيطان الغريزة!! لم يفعلوا ذلك لأنهم مؤمنون موحدون، وتمضي حقبة طويلة، ليس فيها «مولد» ولا احتفال بذكرى المولد، ولا قصص تتلى، ولا عرائس ولا حكومة تُعين على البدعة الوثنية، وعلى هذا مضى السلف الصالح عليهم السلام، وكانوا أعرف بالرسول، وأصدق حباً للرسول؛

لأنهم كانوا يمشون على هدي وبصيرة كتاب الله وسنة الرسول، ولكن خَلَفَ من بعدهم خلف هجروا القرآن، وعَمُّوا عن هدي الرسول فاتبعوا الظنون والأوهام، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وزينها لهم الشيطان باسم البدع الحسنة، وباسم الحب والتعظيم لرسول الله، وما هو إلا المحاربة لهدي ورسالة رسول الله، ولكن أكثرهم لا يعقلون.

المسلمون اليوم ونبيهم:

وبعد أحقاب وأحقاب يرنو التاريخ بعينه الحزنتين يمنة ويسرة، ويصيح بسمعه، ليرى ويسمع ما بقي من دين الله الذي أنزله على خاتم الرسل محمد ورسالة عبد الله ورسوله محمد، وذعر التاريخ وولولت أجماده، ونكس رأسه، وفي إطراره ذل اليتيم يسومه الخسف ظلم عات جبار، وفي عينيه الداميتين مأس دامية، وعلى فمه الراعش فاجعة وَلَهَى نواحة الدموع، وجد التاريخ كل شيء إلا دين عبد الله ورسوله محمد في حقيقته، وسمع كل اسم تهتف به القلوب إلا اسم الله مالك الملك، وفي المحاريب أوثان وفي المساجد أصنام، وعلى المآذن بدع ناعقة، وجد القرآن عند المسلمين تيمة تباع، وغناء ماجناً في المآتم وعلى القبور.

وجاء ربيع والتاريخ محزون أسوان^(١)... فرأى هنا وهناك أوثاناً من الحلوى تصنع باسم سيد الإنسانية وهاديا محمد، وسمع وزيراً كبيراً خطيراً يقول: إنه سيزيد من كمية السكر، ليفرح به الناس في مولد محمد.

ويسأل التاريخ ولهان السؤال: وأين من كل هذا دين محمد؟

(١) أسوان: حزين. (ض).

أهّا لك يا أمجاد الماضي السحيق!!

دعيني أقل للتاريخ الجواب: إنها أمة مسلمة الأسماء^(١) يا تاريخ، جاهلية الحقيقة والأعمال^(٢)، مشرقة القلوب والعقائد يا محزون، لم يبق عندهم لمحمد من ذكريات غير عرائس من السكر، ودمى يعاف أجملها الذباب، وتهتكات من أغاريد تناجي الشهوات، وتتملق الغرائز، وتقف بالرغاب الهيم عندها أسيرة ذلولاً..
عجباً لهذه الأمة الماجنة الهازلة!!

من ذا الذي زعم لهم أن الاحتفال بمولد الرسول سنة حسنة؟!
إني لأسائل هؤلاء العباد بالبدعة وللبدعة: إما أن يكون الاحتفال بالمولد بدعة أو غير بدعة، أو بمعنى آخر: من الدين أو ليس من الدين... هم لا يقولون بأنه بدعة، ولا أنه ليس من الدين، فلم يبق إلا قولهم إن الاحتفال بمولد الرسول - في أية صورة - من الدين أو ليس بدعة...

ونحن لو قلنا بهذا رمينا أصحاب محمد بالقصور وبالتقصير؛ بالقصور عن إدراك معاني الدين، وعن سبيل تكريم محمد وتمجيد رسالته، وبالتقصير في حق الدين وحق محمد، أو بمعنى أصح: نتهمهم بأنهم كانوا قاصري الفكر والدين، ونقول: إننا أحكم وأزكى عقيدة، وأبعد نظرًا في الدين، وأسلم بصيرة في الدين،

(١) حتى هذا المظهر بدأ يضيعه المسلمون فترى من يسمى: كوكو، كيكي، من هذه الأسماء التي ترمي بالتخنت أصحابها.

(٢) يرى أهل السنة أن الجاهلية العامة المطلقة قد انقطعت ببعثة النبي ﷺ، ولكن هذه جاهلية مقيدة من باب قوله ﷺ: «إنك امرؤا فيك جاهلية». (ض).

وأشد حُبًّا لمحمد ﷺ من أبي بكر وأصحابه، وما يقول بكل ذلك إلا وثني، أو من في عقله دخل.

من ذا الذي أحب الرسول حب أبي بكر وأصحابه؟! لا أحد.

أفستطيع القول قائل: إننا نكرم بهذا المولد محمداً أكثر مما كرمه أصحابه؟! أفندرك نحن اليوم ما يجب له وما ينبغي لرسوله أكثر من أولئك الأعماد الأعبة الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله، وقاتلوا وقتلوا ابتغاء رضوان الله!! أين نحن من هؤلاء القوم الأعزة المؤمنين الموحدين؟! أنقول: إن أبا بكر قصر في حق صاحبه فلم يصنع له مولداً، ولا احتفل بذكرى مولده؟

أنقول: قصر عمر فلم يجيء بمنشد ماجن متكسر متخلع سكير عربيد يتلو له قصه محمد ويتغزل في «بطن ووجنات وحواجب وعيون» محمد؟؟ أنقول: قصر عثمان ذو النورين وعلي الرضي، فلم يصنع عرائس مولد أو «أحصنة» ولم يقيم احتفالاً حكومياً بمولد محمد!!

لو قلنا: إن الاحتفال بمولد الرسول دين أو سنة حسنة، رمينا القرآن بالقصور، فهو لم يبين لنا ذلك، والله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ورمينا الرسول إما بالقصور وإما بإخفاء ما أمر بإبلاغه، لأن السنة لم تأمرنا بالاحتفال بمولده، بل حذرت من ذلك كل التحذير؛ أفيجرؤ إنسان عنده أثارة من إسلام على القول بما ذكرناه؟؟

يقول قائل: وماذا في الاحتفال بمولده؟؟

إن من يتجاهل فيسأل هذا السؤال كأنها «يهذ» على الله ورسوله. قل لهما:

لماذا لم تأمرا به، ولماذا لم تحتفلا به؟! أنا أعلم منكما بم يجب...

إن الله كرم الرسول أجل تكريم في أمرنا بالصلاة عليه، وهذا أسمى وأعظم وأبعد غاية في معاني التكريم من كل ما يتخيل البشر ويفتن في تصويره الوهم الشعري، وتفكر فيه العبقريّة النفاذة اللماحة تستدني ما خلف النجم.

ويقولون: جرت العادة أن نكرم العظماء بمثل هذا!! نعم جرت عادتك، وعاداتكم وثنيات الجاهلية، أو وثنيات الغرب، فتنكم شيطانه الأثيم، أفتحكّمون في دين الله عاداتكم، ومحمد ليس كعظمائكم يا قوم، بل هو فوقهم وأسمى وأجل، إنه رسول عظيم ختم الله به الرسالات والرسول جميعاً، والله كرمه بإيجاب طاعته وبالصلاة عليه حياً وميتاً، فلنقف عند ما أمر الله، فهو يحب رسوله أكثر مما نحب، أسغفر الله من كلمة «أكثر» فما ينسب حب الله إلى حبنا نحن، ولا يقاس أبداً حبنا إلى حبه، والله أحكم وأعلم.

مظاهر الاحتفال بالمولد:

لم يبق لمحمد ﷺ عند هؤلاء إلا ما لا يحبه محمد، وإلا ما لا يرضاه رب محمد، ولم يبق من أثاره تمجيد لمحمد، أو شية من تكريم له في قلوب هؤلاء وعملهم سوى ما يافكون به من مظاهر وثنية نذكر بعضها:

أولاً: في كل ربيع تصنع أصنام من الحلوى باسمه!!

إن مَنْ حَطَّم الوثنية في شتى صورها، ومتباين مظاهرها، وأذل طواغيتها، ودمر أصنامها، يحتفي الزاعمون حبه واتباعه بذكراه بأوثان من الحلوى يلعبها الذباب، ثم يعافها من كثرة ما سلح وبال عليها، ومن عجب يسمونها بمثل هذه الأسماء «عروسة المولد، حصان المولد، كلب المولد، قرد المولد».

أرأيت ما يقرنونه بمولد نبهم كما يأفكون؟؟ ولو أن هذه الأوثان، لو أن هذه العرائس الصماء، لو أن هذه الدمى التي تصور الغرائز مجنونة النزوات والأخلاق آبهة من الدين وسلطان الضمير، أقول: لو أن كل هذا أنفق ثمنه في سبيل البائس المحروم، أو اليتيم المظلوم في سبيل إعلاء كلمة الله، في سبيل بناء دور للعلم، مشاف لعلاج المرضى، في سبيل تسليح الجيش يدفع عن الوطن غوائل العدو!! في سبيل الفقير يكاد يسلمه الجوع إلى الشيوعية الهدامة لكل معاني القيم الشريفة العالية، في هذا الشهر وأمثاله من كل عام يأكل الذباب آلفاً تتأبى على العد من الجنيهاً، أفهذا خير أم ذاك؟!

إن الحياة الاجتماعية في مصر تنهار إن لم تكن قد تناهى انهيارها، لأن الحياة الدينية الحق لا وجود لها، وتلك مرتبطة بهذه ارتباطاً وثيقاً، فعندي - بل عند الحق - أن كل معاني الحياة ومقوماتها وقيمها يجب أن تنبع من الدين.

الأخلاق الفردية، الأخلاق الاجتماعية، غاية الفرد، غاية الجماعة، الأوضاع الاقتصادية، المثل العليا للفكر والوجود، القيم الأخلاقية، والجمالية، والفكرية، والوجودية، كل هذه وتلك يجب أن تشع من الدين، وتستهدف هدفاً واحداً، هو صلاح الإنسانية حتى تستطيع المثول والنهوض صافية مشرقة بين يدي الله، تؤدي له ما أمرها به لخيرها من صلاح وإصلاح وخير وبر، وفضيلة وطاعة، وهو بالرضى يغمرها، وبالعناية يسد خطاها، وبالرعاية يكلاً أيامها، فيكون رب واحد وإمام واحد وسبيل واحد وأمة واحدة، والله راض والأمة سعيدة برضاه، فلماذا لا نقيم بضمن هذه الأوثان - وقد تطهرنا من شوائب الوثنية - ما يعين الداعين إلى الله لتقويم الحياة الدينية والاجتماعية، فلنسخر هذه النقود في نشر الرحمة

والعطف، وتأسيسية جراحات القلوب، ورصد غائلة الأساطير الهدامة لعقيدة الشعب وأخلاقه، بهذا نظهر عقيدة المسلمين، ونندي بالحنو الرقيق غليل عواطف القلوب، فما دام المسلمون يربطون مولد رسولهم بالوثنية فلن يقوم لهم بناء، ولن يرضى عنهم رب الأرض والسماء، وما دام المسلمون يعبدون البشر، ويشركون برب البشر، ويقدسون محمداً ويخلعون عليه وآله من صفات الألوهية، فلن يكون ثمَّ صلاح ولا خير ولا إيمان ولا توحيد.

لنفهم جيداً قول الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فالإقتداء يكون بالرسول، والأسوة بالرسول، أما محمد في بشريته ودواعيها في الحياة فما أمرنا أن نقتدي بها ولا أن نتأسى.

المظهر الثاني القصص والأنشيد:

ويحتفل المسلمون بالمولد بقراءة قصص وترتيل أناشيد، يا للتمجّن الأخرق!! ليت القصص كان مبنياً على أسس من الصدق والحق من سيرة الرسول، ولكن العجب المثلث بالعجب: أن ترى قصصهم هذه، تمنمها الأساطير، وتزبرجها الخيالات، ويهيم بها في شتى الضلالات وتيه الأباطيل صور وثنية الأنساب، تبحث في قصصهم عن محمد البشري فلا تجد، وعن الرسول فتحار أين هو؟! ولكنك واجد أحياناً إلهاً يسمونه محمداً، أو فتى جميلاً أنيقاً أزج الحواجب أكحل العينين متخثاً، يسمونه محمداً، فاللناوي يقول عن محمد هذا: (لولا ما كان ملك الله منتظماً، ولولا ما كان شمس ولا قمر ولا دنيا ولا أخرى).

ويصف محمده بأن «حواجه نونية» إلى مثل تلك الصفات المختثة...

إنك واجد في قصصهم صفات ما لمحمد الرسول بها صلة، وسجاياء ليس

للنبي الكريم بها نسب، وأخلاقاً إما هي سمات إله متجسد في صورة بشر، أو أنثى تردت كساء رجل، ويا للعهد الفاسق يتنزى من أناشيدهم، هذا نشيد يتغزل في «حاجب» محمد، وذاك في «بطنه» ذات الثنايا، وذاك في ظلم الشيم الحلو الذوق، وذاك في وجنتيه اللتين تتلهف عليهما شهوات القبل العريضة، وذاك في وصاله الذي هفا تحت الليل وغلائل السحر يدعوه إليه، صيغ كل هذا في كلمات تجرح الحياء، وتدمي الفضيلة، وتؤذي العقّة، وتثخن بالجراح التصون^(١)، وينشد هذا بصوت توهجت فيه غلة الشهوة الفاجرة، وعربدت فيه نشوة الغريزة الآثمة، وتناوحت فيه الآثام أغرتها ظلمة الليل، ويذاع كل هذا على الملا من محطات الإذاعة، وينشد في المحاريب، وتبدأ به وتختتم صلوات الفجر من ربيع ومن رمضان.

أرأيت أية مكانة لمحمد عند أمة زعمت أنها أمته؟!!

يعيرون على غواني الإثم صرخاتهن إليهم بالهوى والفتون، ولا يعيرون على أولئك الذين يلحدون في أسماء الله، ويفخرون باسم محمد، لئن غنت فاجرة، فستثير نزوة، وإن غنى فاجر باسم محمد فماذا يكون؟!!

عقيدة تطيح، وقدسية تهوي، وفضيلة تذبح، وفوق ذلك رسول كريم يستهزأ به ويسخر منه، كثيراً ما نقد الناقدون أغاني الإثم، وما سمعت من ينقد تلك التي يسمونها قصة المولد النبوي تذاع على الملا من محطة الإذاعة، ومن المساجد، وفي تلك القصة بأناشيدها وما فيها من الأساطير، والغي والإثم والتحلل من كل معاني الدين والتدين عجباً! نغار على الفضيلة كما نزع من أغاني الفواجر، ولا

(١) لم نر داعياً للاستشهاد، فما أكثر ما لهم من أناشيد، وكل قارئ لا بد سمع يوماً هذا.

نغار على الدين ورسوله من أناشيد الفجرة الملحدين!!

احتفال الحكومات:

وتأبى الحكومات المتعاقبة^(١) إلا أن تعين على آثام هذه البدعة النكراء، وتصلح من سلطان الوثنية، لأنها تتملق الجماهير، لا يهملها غير سمع الهتاف، وعلمناؤنا يا رب ماذا أقول؟!؟ راضون ناعمون نشاوى قلوبهم...

أقول: كل ربيع تقيم الحكومة فيما يسمونها ساحة المولد محفلاً كبيراً يهرع إليه سدة الطواغيت، وعباد الأصنام من الصوفية، فيقيمون ثم السراقات، وينحرون فيها الذبائح باسم محمد، ويقدمون الطعام باسم محمد، والشراب باسم محمد، ويشهد الله الذي حرم السحت، من أين جاءوا بذلك السحت الذي يسحت الإيمان.

ولا تدري أنت أية أعراض انتهكت في سبيله، ولا أية فضائل جرحت ابتغاء جمعه، إن الصوفية يجمعون ذلك السحت أحياناً باسم محمد، أو سيدهم، أو دسوقيهم، أو رفاعيهم من أتباعهم المساكين «الغلابة» والدرويش الغلبان، قد يبيع قوت أبنائه، وثيابه، وما يستر عورة امرأته، حتى يؤدي لشيخه عوائده.

وفي هذه الساحات والباحات تقوم سوق الفسوق، ويدعو إليها شياطين الجن والإنس كل حزبهم الأخرسين، وتقذف المدينة والريف بفساقه وعرايبه، وهناك تحت أروقة الليل ترى الباغين والبغايا، والمحششين والمحششات، ويتتهكون

(١) كل الحكومات غرقت حتى أذنيها في تلك الضلالة الوثنية، فما برئت من داء ذلك إلا الحكومة العربية السعودية.

كل حرمة، ويجترحون كل إثم، كل ذلك الإثم الداعر في حب... في حب «صاحب المولد»!!

على قارعة الطريق يفجؤك الإثم في صولته، وصوب عينيك الفسوق ينزو في خمرته، فإذا ناديت أو دعوت، ضاع صوتك في ضجة صخب الشهوات المجنونة، ثم يعود الفساق العرايب، يطعمون ويشربون من سرادقات «الشيخ الكبار» طعام وشراب صاحب المولد، فيستعينون بالطعام وبالشراب على معاودة ما كانوا فيه!!
عذراً قارئى العزيز، إذا أثرت نفسك، أو لمست بالخدش رقيق حيائك، فإنها يجب بيان حقيقة الداء، حتى يعرف على حقيقته وينفع له الدواء.

ثم يا ويل العفاف، يا رحمتي للفضيلة الأسيانة^(١)، وللدين!
كم ذا يستغيث من الليلة الكبرى للمولد!!... بأصوات النيازك تختلط أصوات الإثم تلعه الشفاه، وكأنها أنت في مكان تتكشف فيه الحيوانية عن أحط غرائزها..
وثم في ناحية أخرى يقوم شيخ وخطه الشيب، وعلى جبينه تجاعيد الزمن، يقوم يتأدُّ به حطامه الفاني، ليتلو ما يسمى قصة المولد في حضرة «الأكابر» وينصت الأكابر الذين لا ينصتون للقرآن، وتقشعر جلودهم، وتهينم مشافهم^(٢) بالصلاة على نبيهم، إذا «ولّدوا» نبيهم هبوا وقوفاً إجلالاً للمولود الجديد وللقابله، وأطلقوا البخور تحية «لِعَمَّارِ» المكان، حتى لا يؤذوا الوليد الجديد، وتنطلق

(١) أسيانة: حزينة. (ض).

(٢) جاء في لسان العرب: المشفر للبعير كالشفة للإنسان، وقد يقال للإنسان مشافر على سبيل الاستعارة. (ض).

حناجرهم - وقلوبهم آتمة - بالصلاة على نبيهم صلاة لا تعرف لها حرفاً من جُرف،
ثم... ثم ماذا؟!!

يدخلون ويشعبدون أن ربهم في هذه اللحظة التي «وَلَدُوا» فيها محمدهم من
جديد يستجيب الدعاء! واحرّ قلباه!!...

حتى على الله ذي الجلال يكذبون!!
وهكذا «يولّدون» آلاف المحمدات في كل عام ثم يميتونهم، حتى يجيء ربيع
مرة أخرى!!

كنت أحسب الحكومة تحتفل بميلاد محمد - ولنفرض أنه جائز - فتحارب ما
كان يحارب رسول الله، وتحبي ما كان يحبي، فتحارب المنكر وتهدم المواخير،
وتحطم أصنام الجاهلية، وتحبي علم رسالته وعقيدته الصادقة في إيمانه بربه،
وحكمه الصالح بما أنزل عليه ربه، ولكن الحكومة تحتفل بالميلاد، فتعين على بدعة
وثنية، وآثام تهلك أوزارها الدين والفضيلة والحياء، تحتفل الحكومة بالميلاد
والاحتفال به شر بدعة منيت بها الأمة، وبهذه الصور الماجنة المسرفة في المجون...
في العقيدة يا حكومات المسلمين خلل وفساد، فأصلحيه بسلطان من دين الله
الحق وهداه، يشرق من القرآن ويرف نوره من السنة، وفي الأخلاق عوج أعوج،
فقوميه بالأخلاق الإسلامية الصافية.

الوثنية مستعلنة مستعلية الكلمة، والفجور يتلظى شواظُه قوي السلطان،
والمنكر البغيض الكالح يستذل تحت نعليه المعروف، والبدع تجتاح نارها كل
مكان، والأساطير والخرافات! و... و... وأشياء كثيرة، كل ذلك يجب أن يوجه
إليه الجهد... يا عجباً!!

أفعلنا كل شيء لمحمد ﷺ حتى لم يبق إلا الاحتفال بمولده فنقيمه!!
 الاحتفال يكون لرسالة محمد، وهداية محمد، وسنة محمد، بالكتاب الذي نزل
 على محمد، فهل حفلنا بالدين؟
 أحفلنا بالقرآن، أم تلوكة الأشداق في المآتم، وعلى القبور تشتري به «القرص»
 وعلى الطريق «يُشَحَّت» به المليم؟ أحفلنا بالسُّنة؟
 أم مازلنا نجافي الصادق - وكلها صدق - منها، ونحتفي بالموضوع المكذوب
 مما دسّه أعداء الله!!..

يجب أن نحتفي بالدين نقيمه، ونطهر عقائد المسلمين من وثنيات الجاهلية،
 أما أن نحتفي بالإثم، ونحتفل في مولد الرسول بالوثنية، ونقيم لذكرى المولد
 حفلاً شُرْكِيًّا فاسقًا، فذلك يبين أننا أمة ما زالت في الأغوار البعيدة من نفسها
 وسوسة الوثنية الأولى ورثناها من آلاف الأحقاب! فهي تتحين كل فرصة لتستعلن
 وتستعلي؛ ودليلنا على ذلك: أننا نرى أن كل واجب ديني مهجور، وأن كل بدعة
 شريرة يُحتفى بها ويذاد عنها، ويستमित علماء كبار في سبيل الدفاع عنها.

كلمة خاتمة:

ترى هل نجد من حكومتنا عونًا، ومن علمائنا شد أزر، ومن المتعلمين فهمًا،
 ومن المقلدين فرارًا من التقليد الأعمى وتصديقًا للحق؟!
 ليس الاحتفال وحده بدعة، فهناك مئات البدع لوثت عقول المسلمين
 واعتقادهم، لأن الوثنية متأصلة، تمتد شعاب جذورها في الأعماق، فلنستأصل
 شأفتها من القلوب والعقول، وذلك لن يكون إلا بإعلاء كلمة القرآن تبينه السنة
 الصحيحة، وقد استعرضنا فيما كتبناه مظاهر الاحتفالات بالمولد، وكلها أمشاج

من الإثم والوثنية الأولى، ودللنا على أن الاحتفال بالمولد نفسه بدعة سيئة ممقوتة، وكل بدعة ضلالة، فنسأل الله أن يعيننا على قول الحق نبتغي به وجهه، وأن يهدينا والأمة إلى سواء السبيل.



مولد العتاب (١)(٢)

قال الشعراني في طبقاته: (أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي: أن شخصاً أنكر حضور مولد السيد البدوي، فسلب الإيمان!! فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد عليه السلام، فقال: بشرط أن لا تعود.

فقال: نعم، فرد عليه ثوب إيمانه، ثم قال: وماذا تنكر علينا؟

قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له سيدي أحمد: ذلك واقع في الطواف، ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي، ما عصي أحد في مولدي إلا وتاب، وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضاً، أفيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي؟

ووقع ابن اللبان^(٣) في حق سيدي أحمد البدوي، فسلب القرآن والعلم والإيمان،

(١) (٢/ ١٣٧٢ هـ).

(٢) أحب ألقاب السيد البدوي عند الصوفية.

(٣) هو عبد القادر بن محمد أبي الفيض، المعروف بابن قضيب البان، ولد في مدينة حماة من بلاد الشام سنة (٩٧١ هـ)، سافر إلى حلب ثم إلى مكة، ثم إلى القاهرة، وفيها تتلمذ عليه القاضي يحيى بن زكريا وأخذ عنه الطريقة النقشبندية والقادرية والخلوتية، توفي بحلب سنة (١٠٤٠ هـ). من مؤلفاته: «الفتوحات المدنية»، وكتاب «نهج السعادة»، وكتاب «المواقف الإلهية»، وله من الشعر ثائية كتائية ابن الفارض، وكان على مذهب أهل وحدة الوجود - والعياذ بالله - وقد ادعى في كتابه «المواقف الإلهية» أنه رأى الله سبحانه وتعالى جهرة - تعالى الله عما يقول علواً كبيراً - (ض).

فلم يزل يستغيث بالأولياء، فلم يقدروا أن يدخلوا في أمره، فدلوه على سيدي ياقوت العرشي، فمضى إلى سيدي أحمد البدوي وكلمه في القبر، وأجابه، وقال له: أنت أبو الفتیان، رُدَّ على هذا المسكين رِسْمًا له. فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رِسْمًا له^(١).

ويقول في موضع آخر: (سبب حضوري مولده كل سنة: أن شيخي العارف الشناوي، قد كان أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح، وقبضت على يدي، وقال سيدي - يعني الشناوي - : يكون خاطرك عليه، فسمعت سيدي أحمد من القبر يقول: نعم... ولما دخلت بزوجتي أم عبد الرحمن وهي بكر، مكثت خمسة شهور لم أقرب منها، فجاءني وأخذني وهي معي، وفرش لي فرشًا فوق ركن القبة، وطبخ لي حلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه، وقال: أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة)^(٢).

هذه هي عقيدة الصوفية في مولد إلههم الأكبر العَطَّاب، يُغَلِّفها بهذه التهاويل المجوسية القطب الرباني والهيكل الصمداني الشعراني!! وفيها يفترى الكذوب الصوفي:

أولاً: أن من لا يحضر مولد البدوي يسلب الإيمان، أعني يكفر!!

ثانياً: الإلحاح في الدعوة إلى اعتراف المعصية في المولد!!

ثالثاً: بيد البدوي توبة من يريد التوبة، وقبولها.

رابعاً: بيده سلب الإيمان ممن يشاء!!

خامساً: الحياة السرمدية للبدوي، إذ كان يكلم الناس في قبره، ويدعو إلى

(١) (ص ١٦٢ / ج ١) ط صبيح الطبقات للشعراني.

(٢) (ص ١٦١ / ج ١) ط صبيح الطبقات.

موالده الأحياء والأموات.

سادسًا: حماية السيد البدوي للوحوش والسمك في البحار!!

سابعًا: قبوله أن تُفَضَّ بكارّة فوق قبته!! فما رأي علماء الأزهر في هذا؟

ثامنًا: الطواف حول صنم البدوي كالطواف حول بيت الله سبحانه.

تاسعًا، وعاشرًا: اقرأ أنت واستخرج ما تشاء فلن تجد غير الكفر، لعلك تدرك

سر حرص الصوفية على إقامة المولد للعطاب، والإنابة إليه من كل فَجٍّ عميق، فقد

أكد لهم القطب الصمداني الشعراني، أن كل عاصٍ فيه سيتوب الله عليه!! وأن النساء

والرجال يباح اختلاطهم في المولد كما أبيع في الطواف حول بيت الله!! ولم لا؟

وصنم البدوي أعز مكانة - عند الشعراني ومخائشه - من بيت الله رب العالمين.

ماذا في المولد؟ خَنَّتْ الأنوف وارتجاج الأرداف على دق الدفوف، يعبثون

فيها باسم الله، ويسمونها حلقات الذكر!! ماذا في المولد؟ طواف خاشع الضراعة

حول الطاغوت، وسجود واله الخشوع على أعتاب الصنم.

ماذا في المولد؟ نساء مع رجال، درويشات مع دراويش، يَهْتَبِلُونَهَا فرصة

مجوسية لكي تنطلق فيها الحيوانية الحبيسة، فتنزو على كل فضيلة باسم الله!!

ماذا في المولد؟ صَرَفُ للناس عن عبادة الحي القيوم إلى عبادة ميت ينتسب

تاريخه على ما يذكر الشعراني إلى الجهالة، وقذارة الثياب، والمكوث أعوامًا لا

يقرب جسده الماء، ولعلك الآن تمسك بأنفك إذ تتصور رجلًا يلبس الصوف

ويظل اثنتي عشرة سنة في الشمس ولا يغتسل!!

ماذا في المواخير، أعني الموالد؟ كل ما في المواخير من دنس ورجس وآثام،

وتزيد هذه شَرَكًا ضالعا مع الجريمة!!

ماذا في الموالد؟ أساطير تُروى للناس تُثَبِّتُ في قلوبهم الإيمان بهذا الجاسوس الفاطمي، من أنه القادر من دون الله على كل شيء، وتمسك بقلوبهم عبيدًا، وبنفوسهم إماءً لشيوخ الطرق، يسخرونها لما اشتتت شهواتهم من مآرب، سلوا أهل الريف من البائسين المساكين: ماذا يصنع بهم هؤلاء قبل الموالد؟! على هذا «زَوَادَةُ» المولد، وعلى غيره «دُقَّةُ» المولد، وعلى سواه «سجائر» المولد، وعلى النساء «خدمة الشيوخ» في المولد!!

أفتنتظرون من قوم يعبدون الموتى، ويستعبدهم كهان الصوفية أن يتجاوبوا مع العهد الجديد، عهد الحرية الكاملة، والإخاء العطوف، والمساواة العادلة؟ أنتظرون منهم هذا، ونحن نقيم لهم في كل شهر مَوْلِدًا يعبدون فيه الشيطان، ويقدمون القرابين له، وهي الكفر بالله!! ونتركهم في هذه الموالد للكهان يسلبونهم أعز ما يملك المرء في دنياء، وهو الإيمان بالله رب العالمين؟ قولوا للصحابة: لَمْ لَمْ تقيموا للرسول مولدًا؟ وسيحدثكم عنهم التاريخ الصدوق، لأنهم كانوا يطيعون الله ورسوله، يقتدون بالرسول ﷺ وحده، ويعبدون الله وحده.

أروني مصلحة واحدة، في إقامة الموالد!! يا لعلماء الأزهر لو كانوا ينطقون!! وأنت يا بطل الثورة المجيدة^(١): لقد اعتزمت إلغاء ما كان الوثنيون يسمونه احتفالاً بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فلم لا تأتي على هذه البدع التي تفتك بعقائد المسلمين وأخلاقهم؟!

(١) يخاطب جمال عبد الناصر. (ض).

هنا يجب أن تتوجهوا بالتطهير، بل بالتدمير، تدمير الأصنام، وتدمير الطواغيت، وأخذ عابديها بأمر الله وحكمه، وثق يا بطل الثورة العظيم أنك بقضائك على هذه البدع الوثنية تستلهم الله رضاه، وتستنزل عليك في جهادك المجيد عونَه ونصره، فوالله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنتم أيها العلماء: لا عذر لكم بعد اليوم!!

فَلْيَبْطُلِ الثَّوْرَةُ أَذُنٌ تَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْحَقَّ، وَعَيْنٌ تَحِبُّ أَنْ تَرَى الْخَيْرَ، وَيَدٌ تَتَوَجَّهُ إِلَى الْبَطْشِ بِالْشَّرِّ وَالظُّلْمِ، وَقَدَمٌ تَسْعَى مُسْتَهْدِفَةً فِي سَعِيهَا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا تَهَابُوا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَلَا تَرْهَبُوا، كَمَا هَبْتُمُ الطَّاغِيَةَ، فَحَلَلْتُمْ لَهُ الْحَرَامَ، وَكَمَا رَهَبْتُمُ الطَّاغُوتَ، فَلَثَمْتُمْ يَدَهُ الْمُخْضِبَةَ بِدَمِ الْأَعْرَاضِ، قُولُوا لِهَذَا الْبَطْلِ مَا يَحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَقَالَ، وَسْتَرُونَ آذَانًا وَاعِيَةً، وَيَدًا عَامِلَةً، وَقَلْبًا رَضِيًّا بِأَمْرِ اللَّهِ. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]؟.



موقعة الجمل
بدعة المحمل
مظهر من مظاهر الوثنية^(١)

عرض موجز:

استفتى حضرة النائب المحترم السيد خليل أبو رحاب علماء المسلمين في شأن الاحتفال بالمحمل، وما يحدث فيه من تقبيل لمقود الجمل وطواف سبع مرات بجمل المحمل.

وقد بادر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف^(٢) فأفتى بأن كل ذلك بدع منكرة مستحدثة في الدين، وفرح المؤمنون بهذه الفتوى، وحمدوا الله على أنه لا يزال من السادة العلماء من يستطيع بشهاب من الحق رجم الباطل... غير أن هذا الفرح الروحي ما عثم أن شابه أسى بالغ الحسرة حين رد الشيخ الكبير مفتي مصر ردًا أجال فيه خيال الشاعرية، يجعل فيه من البدعة السيئة سنة حسنة، ومن

(١) ١/ ١٣٧٠ هـ.

(٢) هو الشيخ حسنين محمد مخلوف ولد بالقاهرة سنة (١٣٠٧ هـ)، وكان والده مديرًا للجامع الأزهر، عين قاضيًا بالمحاكم الشرعية، ثم رئيسًا لمحكمة الأسكندرية، ثم عين مفتيًا للديار المصرية، وعضوًا بجماعة كبار العلماء بالأزهر، كما عمل رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر، وعضوًا بمجمع البحوث الإسلامية، من أشهر مؤلفاته: تفسير وبيان لمعاني القرآن، وقد جمعت فتاواه وطبعت، وله الكثير من المؤلفات، توفي (١٤١٠ هـ). [انظر تنمة الأعلام (١/ ١٤٠ - ١٤١). (ض)].

الوثنية توحيداً...

وقرأنا الرد المردود نبتليه بدقة وبصر وهدوء، فما وجدنا فيه غير القول بالظن مقنعاً بأوهام الشاعرية مجنّحاً بتهاويل الخيال، وجدنا قولاً جريئاً على الحق والدين، وما إن نشر هذا الرد حتى بادر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مخلوف فرد عليه ردّاً قوياً محكماً يفحم بالحجة البالغة.

وكان مما جاء فيه: (لا خلاف بين المسلمين في أن ما يقع في حفلة المحمل السنوية من الطواف بالجمل سبع مرات في الدائرة التي ترسم أمام السرادق وتقيل مقود الجمل، وما إلى ذلك مما يتصل به بدع مستحدثة لا أصل لها في الدين).

وكان من أجلّ ما جاء في رد الشيخ الكبير قوله الصدوق: (إن الأمور التعبدية التي لا تدرك العقول سرها ليست موضعاً للقياس عليها كما بينه علماء الأصول). وقوله الحق: (وهل يعد عاقل من تعظيم المساجد مثلاً أن يقبل الناس أعمدتها ومحاريبها وعتبات أبوابها)^(١). هذا عرض موجز لما دار بين الشيخين الكبيرين في شأن هذه البدع المنكرة، وليت مثل هذا يدور في كل البدع، وما أكثر البدع.

مناقشة فضيلة المفتي الحالي:

ونحب في هدوء وسكينة أن نناقش فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ علام نصار^(٢)، وقبل المناقشة نذكره - وهو ذكور - بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا

(١) نعقب على هذا بقولنا: وهل يعد مؤمن من العبادة ومحبة الأولياء الطواف حول

أضرحتهم والتمسح بأركانها ونداء من فيها والتوسل به وتقيل الأستار والأحجار!

(٢) هو الشيخ علام نصار ولد بمركز قويسنا بالمنوفية بمصر سنة (١٨٩١م)، تخرج من الأزهر، وعين قاضياً شرعياً، ثم رئيساً للتفتيش القضائي الشرعي، ثم مفتياً للديار المصرية،

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٥١]،
 وقول رسول الله ﷺ: «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله
 وسنة رسوله»^{(١)(٢)}، وقوله من بيناته: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة
 بدعة، وكل بدعة ضلالة»^{(٣)(٤)}. وقوله: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن
 الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها»^{(٥)(٦)}، وقوله: «من أحدث في أمرنا
 هذا ما ليس منه فهو رد»^{(٧)(٨)} وأذكره بوعيد الرسول ووعده: «من دعا إلى هدى
 كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا

توفي سنة (١٩٦٦م). (ض).

(١) رواه مالك في الموطأ.

(٢) أخرجه الحاكم (١/١٧١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في
 صحيح الترغيب والترهيب (٤٠).

(٣) رواه أبو داود في حديث طويل.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، برقم: (٤٣/٨٦٧)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رواه البخاري في الصحيح.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، برقم: (٦٠٩٨)، من قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه ابن ماجه (٤٦) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن
 ابن ماجه.

(٧) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه بنحوه.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب: الأقضية، برقم:

(١٧/١٧١٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

إلى ضلالة فإن عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً^{(١)(٢)}. من تلك الآية القدسية وهذه الأحاديث المشرقة نؤمن - يا سيدي - أن الدين أمر الله، وأنه اتباع لنصه فيما دقّ أو جلّ، صغر أو كبر، مع الدقة والتحري في الاتباع، فليس الدين إذن ابتداءً أو رجماً بالظنون أو إفتاء بالهوى.

الدين ليس رأياً ترتئيه، بل هو أمر تقف عنده وتحذيه، الدين طاعة واقتداء برسول رب الأرض والسماء، ولو وكل الدين إلى الرأي والهوى والعاطفة لما كان ديناً، بل مزقاً تمزقه البشرية، وضلالاً تهيم في متاهاته الإنسانية، وخلافاً ونزاعاً وشقاقاً يجعل الآدمية المتآخية المتآلفة شيعاً متجافية وأحزاباً متنازعة، كالزاعمين أنهم مسلمون اليوم، تركوا دين الله الواحد ففترقت بهم السبل عن سبيل الله السوي.

يقول فضيلة الأستاذ الكبير معنوياً لرده «تقيل مقود الجمل تعظيم لرب الجمل ورب الكعبة - الاحتفال بالمحمل سنة حسنة!!».

إن هذا العنوان فيه منكران. أولهما: قياس رده الشيخ كما رددته الوثنية الصماء من قبل: تقيل الحجر تعظيم لرب الحجر، أو تقيل المخلوق تقديس للخالق، أو دعاؤك للعبد دعاؤك للمعبود.

والذي نفس كل امرئ بيده ما كنت أحسب الشيخ الكبير الخطير يفتي في دينه بمثل هذا القياس، فالوثنية في جاهليتها الأولى أفتاها الشيطان بأن يقيموا لأولياهم أصناماً يستشفعون بها عند الله، فتقديس الصنم تقديس للولي، ودعاء

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: العلم، برقم: (١٦ / ٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الصنم دعاء الولي، ودعاء الولي دعاء الله، والثنية الحاضرة أفتاها الشيطان بأن الطواف حول أضرحة أوليائهم يتمثل فيه الطواف حول بيت الله، والسعي إلى ضريح الشيخ سبع مرات حج إلى بيت الله، وتقبيل الحجر والستر وتمريغ الخدين على العتبات خشوع وخنوع لله.

يا صاحب الفضيلة: إن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأنت تقول: تقبيل مقود الجمل تعظيم لرب الجمل، وتعظيم الرب من الدين فيكون تقبيل المقود من الدين لأنه وسيلة، فإذا قلت بهذا كذبت قول الله أنه أتم الدين، فلم يكن ثم محمل، ولا مقود، ولا وزير يقبل المقود، وإذا لم تقل إنه دين نقيت قولك أن تقبيل مقود الجمل تعظيم لرب الجمل، فأيهما تختار يا سيدي الشيخ؟!

وإمام دار الهجرة مالك رحمته الله يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون ديناً»^(١).

وأنت تزعم يا سيدي الشيخ أن المحمل بدعة حسنة، فهلاً قرأت قول الله مرة ومرة وتأملته؟! وما إخالك ترضى لنفسك ما هناك.

ولعل الشيخ الجليل الكبير يرى أن ردّه، بما فهمناه من كلامه، وفسرناه به، وسجلناه من قبل، إذ يقول: (فإذا قبل أمير الحج أو غيره مقود الجمل في هذه اللحظة فإنما هو تعظيم لرب الجمل) يلزمه منه ما لا نظنه يرضاه، وهو جواز

(١) الاعتصام للشاطبي (ج١/ ص٤٨) ط المنار.

تقبيل الخلائق أجمعين من حيوان وجماد وطير وشجر، بل جواز تقبيل النعال والأوثان والتماثيل والأنصاب والأزلام!!

ولنفهم من هذا التقبيل أنه تعظيم لرب الخلائق؟! أليس هذا هو بعينه هو ما حكى الله من قول عبدة الأوثان: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]؟! وعجب من الشيخ - وهو الألمي الفطن - أن يستشهد على جواز تقبيل المقود بتقبيل الحجر الأسود، وأن يقيس الأول على الثاني، ولكن الله الذي يرعى الحق وينصره أبى إلا أن يردَّ الشيخُ على نفسه إذ قال عن تقبيل عمر للحجر أنه «قبله اقتداءً برسول الله»، فتقبيل الحجر الأسود أمر من الله واقتداءً برسول الله، أما تقبيل مقود المحمل فأمر ممن واقتداءً بمن؟!!

إن استشهد الشيخ بعمر وتقبيله للحجر وقوله حين هم بتقبيله ينسف نسفاً كلَّ ما احتج به الأستاذ لنصرة فتواه، فإن عمر المؤمن الموحد حين هم بتقبيل الحجر استشعر في أبعاد الأعماق من أغوار نفسه المؤمنة ما لا يدري كنه حقيقته، لقد طافت به ذكريات من ماضيه البعيد، فأحسَّ وهو أمام الحجر يريد تقبيله بشيء بعيد، لعله إباء، لعله قلق، ولعله غير ذلك كله، ولكنه هتف - ونفسه جياشة الشعور بما فيها - بقولة المؤمن المطمئن الصادق الإيمان، لقد أرسلها مدوِّية تملأ سمع القرون، ويردها فم الأحقاب، أرسلها مضمخة الروح بروحانيته، سماوية الإشراق من نور إيمانه، كأن منها تستهل أضواء السماء: «لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»^(١).

(١) هو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (ض).

يا للجلال الأسمى يستفيض هدي من ذلك الإيمان، فليست العظمة كامنة في ذات الحجر، ولا كان الحجر مقدسًا لذاته، ولا كان تقبيله منشودًا منه غاية، وإنما الأمر كله طاعة لله، واقتداءً في هذا برسول الله، فعمر يؤكد بالقول والعمل والنية حسن الاتباع والاقتراء، يؤكد عمر وجوب الاقتداء دون همسة من خاطر أو لمسة من ريبة، أو نزعة إلى التحلل من أمر الله، فعمر بعمله مؤمن اقتدى واتبع. ثم أية صلة بين تقبيل الحجر الأسود وبين تقبيل مقود المحمل؟

لو كان الأمر بالقياس لقبّلنا جدر الكعبة كلها حجرًا حجرًا، لقبّلنا أعتاب المسجد الحرام، لقبّلنا سواريه، لقبّلنا جُدُر قبر النبي ﷺ، لأبقى عمر ﷺ على شجرة الرضوان، ولكنه اجتثها من أصولها، حين اعتاد بعض الناس الصلاة تحتها، لو كان الأمر قياسًا لجاز تقبيل كل كائن، لأنه من خلق الله.

إن بَصْرَةَ بن أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِي لما رأى أبا هريرة راجعًا من الطور الذي كلم الله موسى عليه قال: «لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأتته، لأن النبي ﷺ قال: لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»^{(١)(٢)}، هذا في شد الرحل. وإلى أي مكان؟ إلى مكان كلم الله عليه موسى، فما بالك بتقبيل مقود المحمل، وما بالك بالمحمل؟

وروى سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعروف بن سويد، عن عمر ﷺ قال: «خرجنا معه في حجة حجها، فقرأ بنا في

(١) نقلًا عن اقتضاء الصراط المستقيم ص (٣٢٨) لابن تيمية طبعة مطبعة السنة المحمدية.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضل الصلاة، برقم: (١١٨٩)، ومسلم، كتاب: الحج، برقم:

(١٣٩٧/٥١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بدون القصة، أما رواية الحديث مع قصة

أبي بصرة فقد أخرجه النسائي برقم: (١٤٣٠)، وصححها الألباني في الصحيحة (٩٩٧).

الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ﴿وَلِيَالْفِ قُرَيْشٍ﴾ في الثانية، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد، فقال: ما هذا؟ قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم: اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له الصلاة فليمض»^(١). فقد كرهه عمر رضي الله عنه اتخذ مصلى النبي ﷺ عيداً، وبين أن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل هذا^(٢).

هذا في مكان صلى فيه أفضل الخلق، وفي أمر صلاة صُلِّيَتْ فيه، فما بالك بأثر من آثار امرأة وهو المحمل ومقوده؟! وما بالك بتقييله؟!
أفعلماؤنا خير من عمر؟ أو هل مقود المحمل خير من مسجد صلى فيه الرسول؟!
قلب الحقائق: المنكر الثاني الذي اشتمل عليه عنوان رد فضيلة المفتي زعمه أن الاحتفال بالمحمل سنة حسنة!! أهكذا يزعم الشيخ أنها سنة حسنة؟!

فمن ذا الذي سنّها يا فضيلة الشيخ؟!

الله رب العالمين؟! أم رسول رب العالمين؟!

وسأتنزل معك يا سيدي، أسنّها واحد من الأئمة؟!

أقرأتها في كتاب تابع من تابعي الأئمة؟

ألا قل للناس يا سيدي قول الحق، إن من ابتدّع هذه البدعة الخبيثة المنكرة هي المرأة شجرة الدر! فهل نجعل سنة حسنة في دين الله ما ابتدّعه امرأة لعن الله من

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٧٣٤)، وابن أبي شيبة (٧٥٥٠)، وصححه الألباني في تحذير

الساجد ص (٩٧).

(٢) (ص ٣٨٦) اقتضاء الصراط المستقيم.

وَلَوْهَا عَلَيْهِمْ؟!

عجيب أن نرتضي المرأة في ديننا قدوةً ولا نرتضي رسول الله! وأعجب من العجب استشهاد الشيخ على أن الاحتفال بالمحمل سنة بمضي زمن طويل على هذا وسكوت الأئمة عليه... وهكذا يلجأ المفتي الأكبر إلى دليل المقلدة من العوام، إلى دليل الوثنية القائلة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]؟!

وتعال معي نستعرض ما مضى عليه زمن وسكت عنه العلماء:

مضى على الأمم الإسلامية أحقاب وهي تُحكم بغير ما أنزل الله، والعلماء ساكتون، بل يشاركون، أَفَيُعْتَبَرُ ذلك سنةً حسنةً يا سيدي؟

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم يتحاكمون إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويستشفعون بالرمم، ويعظمون القبور ويذبحون باسم الأولياء، ويقسمون بترب آبائهم وأمهاتهم، والعلماء ساكتون، بل منهم من يفعل ذلك المنكر، أفنجعل الشرك توحيداً؟ والكفر إيماناً، لأن العلماء راضون؟!

مضى جيل وجيل وفي مصر البغاء والقمار والربا وشرب الخمر، وفي مصر ردغات الدعارة والعهر والفسوق، والسادة العلماء صامتون ساكتون، أفيباح العهر لسكوت العلماء عليه؟!

هذه المراقص تنتهك فيها كل حرمة، وتقرب فيها القرايين إلى الداعرات الفواجر، ويرتادها السادة والقادة، وعلمائنا ساكتون، أفيعد ذلك الفجور هدىً من الله بسكوت العلماء عليه؟ وهذا التهتك الفاجر الداعر الذي يسمونه السفور، مضى عليه زمان والعلماء ساكتون، أفنرتضيه ديناً وحماية أعراض لهذا؟!

وترامت أحقاب والناس تفسق وتفجر وتكفر فيما يسمونه الموالد، والسادة

العلماء يَشْرُكون العامة فيها، أفتباح الموالد شرعاً لمشاركة العلماء فيها؟!
ماذا أقول يا فضيلة الأستاذ؟

أقول: من ذا الذي يحد لنا الحدود الشرعية؟ من ذا الذي يفصل لنا في الحكم بين سنة وبدعة؟!

من ذا الذي يَبَيِّنُ الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والتوحيد من الشرك؟
إنه الله رب العالمين، فكيف تحكم بأن الاحتفال بالمحمل سنة حسنة؟!

ثم يقول فضيلة الشيخ الكبير: (ليس كل عادة مستحدثة ينكرها الدين، بل مدار القديم والجديد على ما فيهما من صلاح أو فساد للنظام الاجتماعي).

أما الشطر الأول من قولك يا سيدي فمفهومه أن ليس كل عادة مستحدثة في الدين ينكرها الدين، ومعنى العادة هنا البدعة، ولذا أترك قول الرسول يرد قولك وينفيه: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

أرأيت الشمول الكلي في الحكم على «كل محدثة» بأنها «بدعة»، وعلى كل «بدعة» بأنها «ضلالة»؟

أنت تقول: كل محدثة ليست بدعة، والرسول يقول: «كل محدثة بدعة» والرسول أعلم بما يبلغ لأمره عن ربه.

ثم أية مصلحة اجتماعية أو فردية في تقبيل مقود الجمل؟!
وأي صلاح عام في طواف المحمل سبع مرات يضاهئون به الطواف حول بيت الله؟!

لا صلاح!! بل إنه لفساد كل الفساد، والوثنية التي تدفع إلى الوثنية.
التجديد عند الأستاذ المفتي: وليس أغرب من قوله فضيلته حين يقول:

(والدين الإسلامي بأصوله وقواعده يطالب بالتجديد الحسن في كل ما يحدث في العالم من حوادث وتطورات)، ألا فليحدد لنا الشيخ الكبير مفهوم كلمة «التجديد الحسن»، أيريد التجديد في الاعتقاد؟؟ أم يريده في العبادات؟؟ أم يريده في المعاملات؟! أم يريده في القيم الخلقية الفردية والاجتماعية؟

لقد تطور العالم في الاعتقاد، فأله بعض المادة، وأله بعض الإنسان، فهل نجدد نحن فنؤله النساء؟! لعل ذلك حدث ونحن نغمض العين قسراً حتى لا نرى!!.. وتطور العالم فجدد في معاني العبادة فأنكرها في صورها الإسلامية، بل الدينية على الإطلاق، وتطور العالم فجدد في معاني المعاملات، فأقر القمار والربا وأركز عليه اقتصادياته الكبرى كلها، وتطور العالم فأباح الرقص، بل أباح العُري أحياناً، وأباح للمرأة وللرجل ما أباح، تُرى أيريد فضيلته أن نتطور كمثّل ذلك التطور؟ أنبّيح للمرأة مراقصتها للغريب، ولعب الميسر وشرب الخمر معه، لأن العالم فعل ذلك وفعله عظماؤنا وكبراؤنا المقلدون؟!

أنبّيح السفور المتهتك الداعر الفاجر، لأن العالم تطور وفعل ذلك وفعله كبراؤنا أيضاً، ثم تبعهم الأغرار وأصحاب الشهوات.

أراني أطلت، وعذري ممد في الإطالة، ونحن ننتظر من فضيلة المفتي أن يراجع ضميره، ويدع لسلطان الدين وحده السيطرة عليه، والعودة إلى الحق أمّ الفضائل، وأختم بقول عمر بن عبد العزيز: «أوصيك^(١) بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته

(١) ذكرها أبو داود في سننه في باب لزوم السنة.

وَكُفُّوا مَوْنَتَهُ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يتتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا وبيصر نافذ كَفُّوا، وقول الرسول ﷺ: «من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بستتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة^{(١)(٢)}». ولا حول ولا قوة إلا بالله.



(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، برقم: (٤٦٠٧)، من حديث العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

من سيرة الفرق

فرق المعتزلة^(١)

قال الرازي: الفرقة الخامسة: النظامية:

أتباع إبراهيم بن سيار النظام^(٢)، ومن مذهبهم: أن العبد قادر على أشياء لا

(١) (٨ / ١٣٨١ هـ).

(٢) يقول المعتزلة: إنه لقب بالنظام لأنه كان حسن الكلام في النظم والنثر. أما غيرهم

فيقولون: إنه سمي بذلك لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها.

ويعتبر النظام ثاني قائد عسكري للمعتزلة بعد أبي الهذيل العلاف، وقد توفي سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م

صحب في شبابه الثنوية - أي القائلين بإلهين: الخير والشر أو النور والظلام - ثم خالط

الفلاسفة وهشام بن الحكم الرافضي.

ومن دينه القول بانقسام كل جزء لا إلى نهاية.

فقال أبو الهذيل: لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له، لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا

تنتهي إلى طرفها.

فقال النظام: إنها تطفر بعضًا، وتقطع بعضًا.

ومن دينه أيضًا: القول بأن الله يجب عليه أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد. والطعن في

فتاوى الصحابة، وفي أصحاب الحديث، وكثيرًا ما كان يقع في أبي هريرة، ويرميه

بالكذب الفاحش، وقد طعن أيضًا في عمر وغيره من أعلام الصحابة، وأنكر إعجاز

القرآن في نظمته، وقد كفره بعض المعتزلة كالعلاف والإسكافي والجبائي، وصنف

الأشعري في تكفيره ثلاثة كتب.

يقدر الله تعالى على خلقها؛ والإجماع وخبر الواحد والقياس ليس بحجة عند هؤلاء.

ولا يذكرون الصحابة ولا علياً عليه السلام بسوء.

الفرقة السادسة: الثمامية:

أتباع ثمامة بن أشرس^(١) - وكان في زمن المأمون - ومن مذهبهم أن الفعل يصح من غير الفاعل.

الفرقة السابعة: البشيرية.

أتباع بشر بن معمر بن عباد السلمي^(٢)، وهم يثبتون النفس الناطقة كما هو

(١) كنيته: أبو معن، ونسبته «النميري»، وهو من مواليهم، لا من نسبهم، وقد توفي سنة ٢١٣هـ. وكان زعيم المعتزلة في أيام المأمون والمعتصم والواثق، ومن دينه أن المعارف ضرورية، وأن من لا يعرف الله معرفة ضرورية فليس عليه أمر ولا نهي، وأن عوام الدهرية والزنادقة في الآخرة ليسوا في جنة ولا نار، وإنما سيجعلهم الله تراباً، وكذلك من مات طفلاً، ومن دينه أيضاً أن الأفعال المتولدة لا فاعل لها، وأنه لا يجوز سبي النساء من بلد الكفر، وأن العالم الإسلامي في عصره كان عالم شرك لغلبة المخالفين لدينه، وروى عنه ابن قتيبة والجاحظ فضائح شنيعة.

(٢) خلط الرازي بين زعيمي فرقتين فصلت بينهما أكثر كتب الفرق.

أما الأولى: فهي البشرية أتباع بشر بن المعتز، ويقول عنه الشهرستاني: إنه أفضل علماء المعتزلة، من دينه أن الإنسان يخلق اللون والطعم والرائحة والسمع والبصر، وجميع الإدراكات على سبيل التولد، وهكذا الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

مذهب الفلاسفة؛ ويثبتون في الجسم معاني غير متناهية^(١).

الفرقة التاسعة: المزدارية:

أتباع أبي موسى بن عيسى بن مسيح المزدار^(٢)، وهو تلميذ بشر، وأستاذ

لهذا يتهم بالإفراط في القول بالتولد عن المعتزلة، فهم لا يقولون إلا بالتولد في الحركات والاعتمادات. ومن دينه أن الله قد يغفر للإنسان ذنوبه ثم يعود فيها غفر له فيعذبه إذا عاد إلى معصية، وقد كفره المعتزلة بسبب بعض الأقوال التي وافق فيها السلف.

أما الفرقة الأخرى: فهي فرقة المعمرية أتباع معمر بن عباد السلمي يقول عنه الشهرستاني: إنه أعظم القدرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر خيره وشره من الله. والتكفير والتضليل على ذلك، وقد انفرد عن المعتزلة بأمر منها قوله: إن الله لم يخلق سوى الأجسام، أما الأعراض فمن اختراعات الأجسام. إما طبعًا كالنار التي تحدث الإحراق، وإما اختيارًا كالحيوان يحدث الحركة.

وقوله: إن الأعراض لا تتناهى في كل نوع، وغير ذلك.

وهنا نسخ خطية لكتاب الرازي فصلت بين الفرقتين وقد أشار إليهما محقق الكتاب، ولا ندري لماذا لم يثبت ما فيهما؟!

(١) هكذا في النسخة المطبوعة مما يدل على أنه يوجد خلط بين فرقتين كما قلنا، وقد جعله في النسخة المطبوعة فرقة واحدة، فحدث خطأ في العدد.

(٢) ترجم له البغدادي صاحب الفرق بين الفرق بقوله: (عيسى بن صبيح المعروف بأبي موسى المزدار).

وكذلك ذكره صاحب التبصير بالراء لا بالزاي، وترجم له الشهرستاني هكذا: (عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى، الملقب بالمردار) وقد توفي سنة ٢٢٦هـ. وله المكانة السامية

جعفر بن الحارث وجعفر بن المبشر.



بين معتزلة بغداد. وكان يقال له: راهب المعتزلة، إذ كان يشتغل بالترهب. ومن دينه أن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم، ولو كذب وظلم لكان إلهًا كاذبًا ظالمًا، والغلو في القول بخلق القرآن، وتكفير من قال بقدمه، والقول بأن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظمًا وبلاغة، وكان يكفر من يجالس السلاطين. ويقول عنه: إنه لا يرث ولا يورث. ويكفر من يقول: إن أعمال العباد مخلوقة لله. ومن يقول بأن الله يرى بالأبصار يوم القيامة، بل كفر كل من في الأرض إلا الذين يدينون بدينه.

خواطر

التلميذ بين المدرسة والمنزل^(١)

فِطْرٌ سَلِيمَةٌ يَفْسِدُونَهَا: لَشَدَّ مَا أَنْتَ حَائِرٌ يَا بُنَيَّ!!

إنها حيرة الأمل التعس في ضباب اليأس القاتم!!

تسمع وترى يا بُنَيَّ - وأنت في عمر الزهر النديّ - في مدرستك نقيض ما تسمع، أو ترى في بيتك، وتوصف لك الحقائق المادية أو الروحية بما يجعلك تؤمن أحياناً إيماناً يكون الخير فيه هو الشر، والحق هو الباطل، والفضيلة هي وسيلة الرذيلة؛ بما يحيلك فكراً تائهاً شريداً، يرى في غسق الليل الدامس فجراً وضياءً، رَفَافَ الطُّيُوبِ، حالم الإشراق!!

ثم يأتيك من مدرسيك مَنْ يعيد لك وصف ما آمنت به من قبل، فإذا بك - ويا أسفاه عليك - تتزع نفسك من نفسك، وتسحق يقينك الذاهل بالشك القاتل، وتُرْغِم عقلك الْمُحَيَّرَ على أن يَرَى فيما آمن به أمس وهُما كاذباً، وسراباً خادعاً، وأسطورة وشاهها سِحْرُ الخيالِ بأحلامه الكواذب!!

هنالك!! ويا رحمتي لك يا بُنَيَّ مما هنالك!!

هنالك تضطرب أمام فكرك قيم الأشياء، وتختل مقاييس الحقائق، بل تجد نفسك مسوقة بحادٍ ظلوم يدفعها إلى الكفر بكل القيم، والعدوان على كل المقاييس الدينية والخلقية والفكرية!!

ولم لا؟ لم لا؟ وأنت تسمع مَنْ يصف لك الشرك بأنه قدس التوحيد، ويقسم لك أن التوحيد ردغة الزندقة!! وما هي إلا لحظة حتى يأتيك من محور على يديه حقائق ما سمعت إلى نقائضها!!

لم لا؟ وأنت ترى مِنْ أَسْوَتِكَ - أعني من يزعم لك أنك مناط هذه الصفة - تراه في غير ما تحب أن ترى فيه مثلك الأعلى وحلمك الجميل الساحر، تراه في غير ما صَوَّرَ لك، وفي غير ما طلب منك أن تكونه؟!

فمن يهديك السبيل في حيرتك؟! يا هادي الطريق جرت!!
ومن يصل بك إلى منجاة في هذا التيه المهلك؟

سل الله يا بني أن يهدي القائمين بأمرك في البيت والمدرسة سواء السبل.
ولست بتاركك يا بني تستبد بك الحيرة، بل سأضرب لك من الأمثلة ما يكشف لك عما به يحار الفكر من زملائك ويضل، ويضطرب!!

في درس من دروس الدين وقف الأستاذ يا بني يشرح لأبنائه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وتشرق على روح الأستاذ أشعة الهدى من الكلمة القرآنية: ﴿اسْتَوَىٰ﴾، فيرغب في أن يتلي فطرَ تلاميذه، أَفْسَدَتْ من وثنية الحياة، أم لم تفسد، فيأمر تلاميذه أن يخرجوا كتاب الدين المقرر عليهم، والذي ألفته لهم لجنة وزارية!!

ويفعل التلاميذ، ويقرأ قارئ منهم ما كتب مؤلفو الكتاب عن معاني الآيات!!
وكان مما قرأه التلميذ: (استوى = استولى) ... وهنا يأمر الأستاذ تلميذه، أن يكف عن القراءة، وتلاميذه أن يفكروا قليلاً في الكلمة القرآنية، وفيما وُضِعَ لها من معنى في كتاب الوزارة، ويترك الأستاذ تلاميذه ينسابون وراء فطرهم، وقد

عَشَّاه قلق يسير كتلك النسمة الهافية التي تثير صفحة الجدول، خشية ألا تفلح التجربة، ومخافة أن يخيب الرجاء!!

وما هي إلا بارقة لحظة حتى يرفع تلميذ إصبعه مستأذناً، فيأذن له الأستاذ بين الإشفاق الخائف، والخوف المشفق، وإذا بالفطرة الصافية تلهم التلميذ قول الحق، فيقول الصغير في لهجة حلوة بريئة الغاية، عذبة الرنين، سماوية سماوية؛ لأنها من الله الرحمن مبدع هذه الفطرة المشرقة، يقول الصغير: - وأذنوا لي أن أذكر لكم نص ما قاله بلغته العامية -: (يا أفندي المعنى دِه غلط!!) الله أكبر!! إنه ميثاق الله وعهده في الفطرة الإنسانية، ما زالت تقدر رعايته هذه النفس الطيبة.

ويبتسم الأستاذ ويسأل الصغير: ولماذا يا بني؟!

ويجيب الصغير الذي جعلته هداية الله كبيراً في إيمانه وعقله: (عشان دي يبقَى معناها إن عرش ربنا كان عند واحد غيره، وبعدين ربنا غلبه وخذ العرش منه) وأترجم لكم قول الصغير، ولعلي بالغ بترجمة قوله مبلغ إشراق البلاغة في أسلوبه البين: (لأن هذا معناه أن عرش الله كان ملك غيره، ثم غلبه الله على أمره، واسترد منه عرشه!!).

أرأيت إلى صفاء الفطرة ونقاها؟!

أرأيت إليها في شرف قداستها السماوية؟

أرأيت إليها قبل أن تدنس محرابها شوائب التقليد المجوسي، قبل أن تتحول من عبادة الخلاق إلى عبادة المخلوق؟!

تعالوا أيها الشيوخ الكبار جدًّا جدًّا، لا تستكبروا أن تجلسوا بين يدي هذا

الصغير، ليعلمكم كيف تؤمنون؟!

لا تستبد بكم خيلاء الأردية الفضفاضة، واللفائف المنبجعة على الرأس الضال، فتحول بينكم وبين أن تأخذوا الحقيقة وتسمعوها من فم هذا الصغير. تعالوا إليه قبل أن تصنعه ضلالات التقليد، ووثنيات المجوسية، وزندقة التجريد الأصم، تعالوا لتؤمنوا معه، قبل أن يتحول من طفل إلى شيخ!!

الحق مَعَ مَنْ يَا رِيَاه؟!

هذا ما تهمس به نفس زميلك الآخر يا بني!!

فلقد نهاه أستاذه عن كثرة الحلف، ثم أمره أن يكون قسمه بالله وحده، إذا شاء أن يقسم.

ولقد عاقبه أستاذه عقاباً لم يبلغ مدى أن يكون بغيضاً حينما نسي مرة، وأقسم بالنبى!!

لكن هذا العقاب جعل التلميذ يتساءل في حياء رقيق وخوف قَلِق عن دين أستاذه؟ أترأه مسلماً؟ ما أظن!

وإلا فكيف ينهانا عن الحلف بنبي الإسلام الأعظم؟!

ويسمع الأستاذ فيبتسم، ولا يعاقب التلميذ على أنه شك في دين أستاذه، فله العذر!!

فكل ما حوله يؤكد له أن من أدل دلائل الإسلام أن يجعل الإنسان الله لليمين الكاذبة، وغيره ممن ألهمهم عبيده لليمين الصادقة!!! ثم يأخذ في البيان لتلميذه، حتى يستقر اليقين في نفسه، وفي نفوس زملائه أنه لا يُخْلَفُ إلا بالله وحده.

ويمضي يوم، ويدخل الأستاذ عند هؤلاء، وينسى أحدهم، فيحلف بغير الله، فيعاقبه الأستاذ بما اعتادوه منه، وابتسم التلميذ الذي عوقب، ويقول: (ولم لا

تعاقب أستاذنا فلانًا؟ لم تعاقبنا وحدنا، إنه في درسه لا يحلف مطلقًا بالله، بل بشرفه، وبذمته، وبالنبي، وقلنا له: إن أستاذنا فلانًا نهانا عن ذلك، فنهرنا قائلًا: هذا كلام فارغ). كلام فارغ!!!

هذا حكم الباطل على الحق. ترى ماذا يقول التلاميذ؟ وماذا يصنعون؟! إن بيد هذا الذي وصم الحق بأنه كلام فارغ بضع درجات تمهد سبيل النجاح (أو الرسوب) فهل يصمد التلاميذ؟

أو تراهم ينافقون ويراءون أحد الأستاذين، ليحصلوا على بضع درجات!!! ويرى الأستاذ في يد تلميذ له خاتمًا ذهبيًا، فيأمره بخلعه، فيخلعه التلميذ، ثم يتسم قائلًا: (لكن لماذا يلبس أستاذنا فلانًا خاتمًا ذهبيًا كبيرًا في إصبعه؟ ألا يعرف أنه حرام؟). هذا سؤال محرج.

ولكنه على كل حال لم يبق بلا جواب!!

وهاك يا بني مثالاً آخر:

جاء التلميذ إلى أستاذه قائلًا في لهجة البنوة المخلصة المحببة: (أنا انضربت علقه سخنة علشانك امبارح يا أفندي).

ويسأل الأستاذ تلميذه، فيقص عليه: (رأيت جدِّي ذاهبًا إلى مولد الضريح الحسيني فقلت له يا جدي: حرام عليك، وأخذت أناقشه، حتى تطور النقاش بيني وبينه إلى حد أن جعله يضربني ضربًا موجهًا، ثم يقول: - واعذرني وسامحني في أن أنقل لك عنه ما يسيء إليك - دا أستاذ جاهل إلِّي علّمك الدين!!).

سامح الله جدك يا بني!!

ويجيء تلميذ آخر ويقول لأستاذه: إن أبي كاد يخنقني أمس؛ لأنني رأيته يؤدي

صلاته في غير ما علمتنا، فرحت أدله بلطف كريم على موضع الخطأ من صلاته دون أن أحاول مجابته في صراحة بأنه مخطئ، فيقول أبي: يا بني، هذه هي الصلاة التي تعلمتها عن جدك، وجد جدك، ونرى كل الناس يصلونها!!

فقلت: ولكن يا أبي: قال لي أستاذنا!! فلم يدعني أتم قولي بل قال لي: أستاذك!! ومن أستاذك؟ من هو بجانب كل هؤلاء الشيوخ؟
ثم إني يا بني شافعي؟ ولعل أستاذك حنفي!!

فقلت له: لا لا، فإن أستاذنا نفسه يقول: إن دين الله واحد وليس أربعة، إن دين الله سبيل واحد، وليس سبلاً عديدة، إن دين الله ليس فيه مذاهب!!
فامتدت يد والدي إلى فمي ل تمنع هذا القول الفاجر في زعمه، ثم امتدت مرة أخرى إلى عنقي، بيد أني فررت منه!!
هذا حال التلميذ في المدرسة، وهذا حاله في البيت!! حيرة!! جذبة هنا، وأقوى منها هناك!!

فماذا يصنع المسكين؟

ماذا يفعل أبناؤنا؟

في عواطفهم حيرة، وفي فكرهم قلق، وفي عقولهم اضطراب.
إنهم في كل لحظة يؤمنون بشيء، ثم يكفرون به في لحظة واحدة، إنهم يتعلمون شيئاً، ثم يرون غيره من آبائهم وبعض أساتذتهم. فماذا يصنعون؟
حلوا هذه المشكلة لأبنائكم، تحل لهم كل مشكلة بعدها.



الميثاق^(١)

في خطبة الجمعة التي ألقاها رئيس الجماعة بدارها في ١٢ من المحرم سنة ١٣٨٢ (١٥ من يونية سنة ١٩٦٢) تحدث عن الميثاق الشعبي والميثاق الإلهي، وقد طالب الإخوان بنشر خلاصة وافية لهذه الخطبة، وقد استطاع رئيس الجماعة أن يتذكر جُلَّ ما قاله في الخطبة التي ارتجلها، وأن يسجلها، ولعل هذه الخلاصة تفي بغرض الإخوان. وقد قال بعد الحمد والثناء والصلاة:

«أما بعد» فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾.

[آل عمران: ١٨٧]

هذا هو ميثاق الله الذي واثق به أهل الكتاب. ولكنهم حَرَّفُوا كلام الله وبدلوه ابتغاء ثمن بخس.

دنيا غدُور! ولقب غرُور! وسلطان زائف ذاهب!

حرف اليهود التوراة، وابتدعوا «التلمود» وأحلوه محل كتاب الله! أحلوا شهواتهم الدون ونزواتهم الحقود، وأهواءهم الجائرة، وآراءهم الكافرة. أحلوا الضلالة والباطل والشر والكرامية والحقد والظلام. مكان الهدى والحق والخير والحب والنور والسلام.

وجاء الصليبيون بأحقادهم التي ورثوها عن اليهود، وحرفوا كتاب الله ليطمسوا

معالم التوحيد والبشائر بخير الرسل وخاتمهم محمد ﷺ وجاء محمد ﷺ.

جاء خاتم الرسل وأعظم النبيين، جاء النور الهادي إلى سواء السبيل.

جاء القمة الشاخنة للإنسانية في سموها الأعظم، وللرسالة في مثلها الأعلى.

جاء بالفرقان الذي لا تزيع بعده أمة، ولا تُريبها بهديه ضلالة، وقد أخذ علينا من الله الميثاق أن نبين للناس ما نزل إليهم.

ونحن - أنصار السنة - نضرع إلى الله أن يهدينا حسن البيان، وأن يعيننا على البلاغ، فلا نحجب نفحة من عبير، ولا نسدل ستراً على لمحة من نور.

ولقد حدثناكم في الخطبة الماضية عن الميثاق الذي قدمه إلى الأمة بطلها وزعيمها لترى فيه رأيها.

ولقد قلنا في الخطبة السابقة إن الميثاق الشعبي يجب أن يرتبط بميثاق الله، وأن يوجه الأمة ويحثها على أن تجعل لميثاق الله آخرتها ودنياها، وأخرها وأولها.

فإن الارتباط بميثاق أمام البشر، ليس كالارتباط بميثاق خالق القوى والقدر.

إن الارتباط بميثاق الله يحمي الباطن والظاهر، وينقي الروح والجسد، ويحول بين المرء وبين أن يخون الله سرّاً وعلانية.

وميثاق الله قد نزلته القوى القدير الحكيم الخبير السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

نزلته لهداية البشر جميعاً ولإسعاد البشرية جمعاء، فقاد ماضي هذه الأمة إلى أروع الأجداد، وحلق بها فوق أسمى الذرى وأعظم الآفاق.

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ولنعرض بعض ما جاء في الميثاق الإلهي تبصرة وذكرى لكل عبد منيب.

يقول ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، ويقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

تخلية وتخلية: تخلية من الشرك وتخلية بالتوحيد، وتطهير وتعمير، تطهير من دنس الوثنية، وتعمير بقداسة الإيمان، وهكذا يفرض ميثاق الله عليك تطهير نفسك أولاً من كل شائبة، لتسلم إلى الله وجهك.

يفرض إسلام العقل والفكر، والقلب والشعور والعاطفة والسمع والبصر واللسان، إسلام ظاهره، وإسلام باطنه؛ لتكون بالإسلام وحدة قوية يتجاوب سرها مع علانياتها وما تخفيه مع ما تبديه.

يفرض عليك توحيده في ربوبيته، ويبين لك ميثاق الله حقيقة توحيده في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴿٣﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص] الصمد الذي يصمد إليه كل كائن؛ لأنه في حاجة إليه، أليس هو الخالق المالك المسخر كل شيء لما يشاء ولما يريد؟

وما لله من ولد فيكون مربوباً لا رباً، أو يبخل بخير ما عنده؛ ليدخره لابنه، وما لله من والد فيكون مربوباً لا رباً، ويكون آخرًا لا أولاً ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وإيمانك بالله يفرض عليك توحيده في ألوهيته، وتدبر ميثاق الله في قوله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وتدبر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا يَعْْبُدُونَ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: ١-٢].

القاعدة الثانية من ميثاق الله: يفرض علينا ميثاق الله أن نجعل محمدًا خاتم

الرسول هو وحده الأسوة والقدوة؛ ليكون الناس في عبادتهم ديناً واحداً، وقلباً واحداً، وغاية واحدة، وأمة واحدة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويتبع هذا الإيمان بكل رسل الله، وبكل ما نزل الله من كتب نعتقد أن القرآن هو المهيمن عليها، فلا نعمل إلا بما فيه، والإيمان بكل ما طلب الله على لسان رسوله أن نؤمن به: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فدين الرسل جميعاً واحد، إنه هو دين الإسلام، فما نزل الله يهودية ولا نصرانية، ولكن نزل الإسلام على نوح وتعاقب من بعده الرسل مبشرين بالإسلام وحده ومنذرين حتى ختموا بمحمد ﷺ.

فموسى رسول الإسلام، وعيسى رسول الإسلام، ومحمد خاتم رسل الإسلام جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم.

القاعدة الثالثة: نحن جميعاً أمة واحدة، تدبروا قول الله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. إنها أمة تدين برب واحد، وتعتصم بتقوى رب واحد، فلا ترهبها خشية من سواه ولا يستذلها خوف من غيره.

القاعدة الرابعة: الناس جميعاً سواسية في فقرهم إلى الله، تدبروا قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

القاعدة الخامسة: الأخوة العامة هي القاعدة التي يقوم عليها بناء مجتمع هذه الأمة، وتدبر قول الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وتدبر قول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره؛ التقوى هاهنا - مشيراً إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم؛ كل المسلم على

المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»^(١).

إنها ليست تعاونية فحسب، ولا اشتراكية فحسب، فالتعاون يتحقق بأقل مفهوم يكون لكلمته وكذلك الاشتراكية، أما الأخوة فلا تتحقق إلا بكل ما تدل عليه. ومما تدل عليه البر والرحمة والمساواة، والنجدة والإيثار، إنها الأخوة التي طبق الرسول معناها على المهاجرين والأنصار!!

القاعدة السادسة: ضعفاء هذه الأمة لبنات من بنائها، فيجب العمل على أن تكون لبنات قوية، أي يجب البر بهؤلاء، والبر هو التوسع في عمل الخير، اقرأ متدبراً قول الله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إن الله لا يطلب إيتاء الزكاة فحسب، بل إنه قدم إيتاء المال على حبه. ولا ريب في أن بر الميثاق الإلهي خير وأسمى من كل نظم للدعاية الاجتماعية نستوردها.

هدى الإسلام في اللقطاء: وهؤلاء فريق مظلوم قدر عليهم أن يخرجوا إلى الحياة دون أن يعرفوا آباءهم، فماذا فعل ميثاق الله لهؤلاء؟ ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ ﴿[الأحزاب: ٥]

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، برقم: (٣٢/ ٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هذا طبعاً إذا كان آباء هؤلاء معروفين لدينا؛ ولعلك تلاحظ جيداً أن الإسلام يحرم تحريماً قاطعاً هذا التبني المعروف في أيامنا هذه.

أي نصراؤكم وحلفاؤكم. إننا نودع هؤلاء الملاجئ، فتمتلئ قلوبهم رهبة من المجتمع وحقداً عليه، أما الإسلام فيفرض أن ندمجهم في مجتمعه على أساس الأخوة الكاملة في الله.

والخدم:

لنتدبر قول خاتم رسل الإسلام محمد ﷺ عنهم: «إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس؛ ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه»^(١).

لن يشارف هذا الأفق الأعظم أرفع ما جاءت به حضارة البشر من مثل، وأزكى ما اخترعت من قيم، وأسمى ما تفخر به من بر وإنسانية.

القاعدة السابعة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، إن من لا ولي له، فالجماعة المؤمنة وليه، وكل مؤمن هو لأخيه المؤمن ولي.

إن من لا يجد له أباً أو أمّاً، أو أخاً، أو خالاً أو عمّاً فإنه سيجد له من الجماعة المسلمة الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأخوال والخالات، والأعمام والعلمات.

كل سيحمل عنه كُله، ويواسي جرحه، ويكفكف دمه.

كل سيشتيع البسمة الحلوة العذبة في أيامه العابسة.

والنور والدفء والأمل في ليلاته الباردة البائسة.

تدبر قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، برقم: (٣٠)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١]، والولاية عامة مطلقة لا يقيدتها سوى صدق الإيمان وأنعم به قيّدًا.

ولنتدبر بعض خصائص هذه الولاية في قول الرسول ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من ترك مالا ف لأهله، ومن ترك دينًا وضياعًا فإليّ وعليّ»^(١)، وقوله: «من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلاً فإلينا»^(٢) الدّين، والأولاد والأهل الضائعون، إن الإسلام يفرض على الأمة وحاكمها أن يحملوا كل ذلك بالبر والولاية الرحيمة عن أخيهم الذي مات.

فهل في موثيق الضمان الاجتماعي والجماعي ما يدنو من بر ميثاق الله في بره ورحمته؟

لماذا نستورد الصدف، وعندنا الدر؟

لماذا نستورد الحرام، وعندنا الحلال؟

لماذا نستورد بضاعة الكفر وعندنا بضاعة الإيمان التي لا تبور أبدًا؟

القاعدة الثامنة: صلتنا بغير المسلمين، إن الميثاق الإلهي يفرض علينا أن نبر غير المسلمين وأن نقسط في معاملتهم ما داموا لا يرفعون في وجه الإسلام سيفًا، ولا يدبرون له كيدًا، ولا يعينون عليه عدوًا: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، ﴿وَلَا

(١) أخرجه بهذا اللفظ، مسلم، كتاب: الجمعة، برقم: (٤٣/٨٦٧)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الفرائض، برقم: (٦٧٦٣)، ومسلم، كتاب: الفرائض، برقم:

(١٧/١٦١٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْٓا اَعْدِلُوْٓا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ﴿٨﴾ [المائدة: ٨].

وحسبك براً من دين أنه يبيح لليهودي، وللنصراني ولغيرهما أن يعيشوا في ظل أمتنا وادعين مطمئنين، لا يخاف أحدهم ظلماً ولا رهقاً فكيف نخشى أن نتهم بالتعصب؟

أو كيف يرمينا البغاة الساطون على الخير والحق بالتعصب حين نطالب بأن نستمد هدينا ومواثيقنا وقوانيننا من القرآن؟

القاعدة التاسعة: والإسلام يفرض علينا أن ننظر إلى المال النظرة الصائبة الصحيحة، يفرض علينا أن نؤمن بأن كل مال إنما هو مال الله؛ ولهذا حرم الربا، والسرقة، والغصب والإسراف، والتبذير، وغير ذلك، وأوجب إنفاق العفو، تدبر قول الله سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِى ءَاتٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩]، إن بخلت بهال الله فأنت كنود جحود، وإذا لم تعطه إلى من يستحقه أو إلى ربه، فأنت لص جائر الجحود، وإن كنزته حقت عليك لعنة الله، لأنك تسرق مال الله، وتمنعه عن عباده.

القاعدة العاشرة: الأرض لمن يصلحها، تدبر قول الله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويوم أن كانت هذه الأمة صالحة ورثها الله أرض كسرى وقيصر، فأثبتت من كل زوج بهيج.

القاعدة الحادية عشرة: المسؤولية والجزاء: يقول ربنا: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرٰٓى﴾ [الزمر: ٧] ويقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

هذا هو ميثاق الله يحدد المسؤولية، ويجعلها مباشرة ويحرم أن يؤخذ البريء

بذنب المجرم، أو يخفف عن المجرم رعاية لشفاعة، ثم هو لا يترك عملاً بدون جزاء أبداً.

القاعدة الثانية عشرة: يجب الحكم بما أنزل الله: يقول ربنا في كتابه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد ختمت مرة بقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] ومرة أخرى بقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، فمن لم يحكم بما أنزل الله، فإنه يجمع بين هذه الصفات الذميمة الملعونة الخسيسة، الكفر والفسق والظلم، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ويقول أيضاً: ﴿فَإِنْ نُنْزِعْهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥].

وأساس حكم الإسلام الشورى، يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ويقول لخاتم رسله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولا يشترط في الحاكم الإسلامي إلا أن يكون مؤمناً تقيّاً صادق الإيمان عليّاً بكتاب ربه وسنة رسوله وإن كان عبداً حبشياً، يقول الرسول ﷺ: «اسمعوا، وأطيعوا، وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(١).

وحسبك أن عمراً قال وهو يحتضر عن الخلافة: «لو كان سالم مولى حذيفة حياً ما جعلتها شورى».

ترى أيرتاب مسلم في أن ما أنزله الله هو وحده الحق والخير والحكمة؟

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، برقم: (٦٩٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولقد كنت أود لقواعد الميثاق الإلهي تفصيلاً؛ فأبين كيف بنى الإسلام الأسرة وكيف عامل الطفولة، وكيف نظر إلى العمل وغير ذلك، ولكنها خطبة جمعة، وحسبنا الإشارة إلى أثارة مقدسة من هدي الإسلام وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين.

الخطبة الثانية:

بعد الحمد والثناء والصلاة على الرسول قال الخطيب:

أما بعد: فقد قلنا نحن أنصار السنة بعض رأينا في الميثاق الشعبي، وقلنا إنه احتوى على كثير من الخير، ومجد روح الدين، واستهدف صوالح الشعب ومصالحه، غير أننا مازلنا نرجو أن ينص في الميثاق على أن دين الجمهورية هو الإسلام، وعلى وجوب استمداد قوانيننا منه، وإقامة حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أسسه، وإني لأسأل الله أن يمتع بطل هذه الأمة جمال، بسعادة انتصاره، فقد انتصر في كل معركة خاضها ضد البغي والعدوان، وأرجو من الله أن يتوج انتصاره بما يرجوه إخوانه المسلمون.

إننا هنا لا ننسى ذلك الشعور بالذلة والكآبة والضعف والحسرة الذي كنا نتلبس به حين نعبر جسر قصر النيل، أو نحوم حول القلعة، أو حول محطة القاهرة، ونرى الإنجليز بسفاهتهم وحقاقتهم وأسلحتهم، فنشعر بالخزي والعار، ونقول: كيف يحتل أتباع الصليب ديار أتباع محمد؟

وكيف يستعبد أحفاد هرقل، أحفاد عمر، وكيف يستذل أبناء ريتشارد أبناء

صلاح الدين؟

ولكننا اليوم لا نرى لهم في مصر من أثر؛ هذا بفضل الله، ثم بتوفيقه لبطل

هذه الأمة الرئيس جمال عبد الناصر.

وإني لأضرع إلى الله - كما وفقه في ذلك كله - أن يوفقه في أن يربط ميثاق هذه الأمة ربطاً محكماً بميثاق الله، ليتحقق النصر الأكبر.

(ثم رد الخطيب على كتاب الصحف الذين هاجموا الشيخ الغزالي^(١))، وقالوا بصعوبة تطبيق نظم الإسلام ودلل على أن الصعوبة إنما نحسها: لأننا لا نأخذ بالإسلام ككل وإنما نأخذ بعضه ونترك أكثره عند التطبيق، فنفسل، وبين كيف استطاع عمر تطبيق نظام الإسلام في دولته الكبرى، واستطاع خلفاء بني أمية العادلون.

ثم شكر للرئيس تصريحه العظيم بأن مساواة المرأة بالرجل ستكون في إطار العقيدة الدينية.

(١) محمد الغزالي السقا، ولد لأسرة ريفية متدينة في قرية تكلا العنب، محافظة البحيرة بمصر يوم ٢٣ سبتمبر ١٩١٧م، تخرج الشيخ من كلية أصول الدين، وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٤١، وعين إماماً وخطيباً بمسجد العتبة الخضراء بالقاهرة عام ١٩٤٢، وفي العام التالي حصل على إجازة الدعوة والإرشاد من نفس الكلية.

عمل مدرساً بالعديد من الجامعات، كما تولى الخطابة بالكثير من المساجد، وله الكثير من المؤلفات، كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين وفي مكتب الإرشاد، فصل في عهد المرشد حسن الهضيبي، أظهر وجهته الحقيقية كمعتزلي أشعري في كتابه: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، يقدم العقل على النقل، وقد رد عليه جمع من العلماء، ولعل أشهر ما كُتِبَ في الرد عليه هو: المعيار في علم الغزالي، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ، توفي يوم السبت ١٩ شوال ١٤١٦هـ، الموافق ٩ مارس ١٩٩٦م. (ض).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم لن يموت عهدنا معك^(١)

قال جل ذكره: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ^(٢) مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ^(٣) وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(٤)﴾ (١١٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا^(٥) وَمَنْ يُرِدْ

(١) العدد (٧، ٨) لسنة ١٣٧٨ هـ.

(٢) يقال: خلا الزمان أي ذهب ومضى، والمعنى: لقد ذهب الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فقتلوا أو ماتوا وسيذهب محمد مثلهم؛ لأن بشريته من بشريتهم، فيقتل، أو يموت.
(٣) أي: ارتددتم عن دينكم الحق، فبدلاً من أن تسيروا قدماً لتحقيق أنبل الغايات تعودون إلى الوراء، إلى جمود الرجعية المشركة، وظلام الجاهلية الكافرة.

(٤) الشكر ثلاثة أضرب:

شكر القلب: وهو تصور النعمة، وتطامن القلب لرب النعمة.

وشكر اللسان: وهو الثناء على المنعم.

وشكر سائر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بما يمكن كل جارحة أن تكافئ به المنعم.

وسيجزي الله الشاكرين الذين يشكرونه بكل نوع من أنواع الشكر، ولا يغني شكر عن شكر، بل لا بد من أن تشكر الله بالقلب واللسان والجوارح كلها، وقد ترك الله الجزاء مطلقاً غير مقيد تفخيماً لشأن الجزاء، وليعم كل ما أعد الله من جزاء لمن يحبهم ويحبونه.

(٥) أي كتب الموت كتاباً مؤقتاً له أجل معلوم، لا يتقدم ولا يتأخر، والأجل هو المدة المضروبة للشيء، وقد أجلت الشيء جعلت له أجلاً.

ثَوَابٌ ^(١) الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ ^(٢) كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا ^(٣) لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ^(٤) وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ^(٥) ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

(١) الثواب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء، ويقال في الخير وفي الشر، وإن كان المتعارف استعماله في الخير أكثر.

(٢) كآين: اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة، وهي تفيد التكثير غالباً كما في هذه الآية، والريبون: جمع ربي نسبة إما إلى الرب الذي هو المصدر، ويكون معناه: الذي يرب العلم، أو يرب نفسه به، وإما إلى الرب سبحانه، فيكون معناه: الذي يتسبب إلى ربه بالإيمان الحق والتوحيد الصحيح والعمل الصالح. وقال في اللسان: الربى والرباني: الخبر (العالم الكبير) ورب العلم؛ وقيل: الرباني الذي يعبد الرب زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، وقال سيويه: زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم. وقيل الرباني العالم العامل المعلم أو هو العالي الدرجة في العلم. وأقول: كلها متقاربة، غير أن بعضهم جاء بجزء من المعنى، فالكلمة تجمع كل هذا الذي ذكر.

(٣) الوهن بسكون الهاء: الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه (اللسان)، وقال الراغب: الضعف من حيث الخلق (بسكون اللام) والخلق (بضم اللام)، أما الضعف فقد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال. فيكون معنى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦] أي: ما لانت لهم عزائم، ولا جبت نفوس، ولا مستهم شكوك، ولا تخلفوا عن عمل ينصرون به دين الله، ولا تغير حالهم.

(٤) الاستكانة: الخضوع والتخضع عن ذلة، فما استكانوا أي: فما خضعوا ولا ذلوا لغير الله، وما سكتوا عن دعوة، ولا جبنوا عن قتال، ولا مست قلوبهم خشية إلا من الله.

(٥) الصبر: الإمساك في ضيق.

وَإِسْرَافَنَا^(١) فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾ فَكَانَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا

قال الراغب: الصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي: صبرًا لا غير، ويضاده: الجزع، وإن كان في محاربة سمي: شجاعة، ويضاده: الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي: رحب الصدر، ويضاده: الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي: كتمانًا، ويضاده: المذل والإفشاء. انتهى كلام الراغب.

والله يحب الصابرين الذين يجمعون بين أجمل أنواع الصبر، فلا يجزعون عند المصيبة، ولا يضرعون عند النائبة، ولا يفرون من معركة، ولا يفشون ما ائتمنوا على كتمانهم من المؤمنين، ولا ينطلقون مع أهواء النفس، بل يجسونها على طاعة الله.

(١) السرف: هو مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان. وقال في اللسان: أسرف في ماله: عجل من غير قصد، والسرف الذي نهى الله عنه هو ما أنفق في غير طاعة قليلًا كان أو كثيرًا (لأنه تجاوز به الغاية منه) والسرف بالشيء الجهل به، وقال الراغب عن السرف: إنه يقال تارة اعتبارًا بالقدر (أي: قدر ما ينفق) وتارة بالكيفية (أي: كيف ينفق)، ولهذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلًا. انتهى.

والأمر: الشأن. وقد جأر هؤلاء الربيون إلى الله يدعونه: أن يثبت أقدامهم، فلا يمسه جبن عن قتال، ولا تهلكهم ردة عن الدين، وأن ينصرهم على الكفار، وقد مهد هؤلاء لما سألوا أجمل تمهيد فيه تركية للنفس وتطهير لها، وإظهار لما انطوت عليه من خوف ومذلة وخضوع وخشية، وفيه طرق بالضراعة والاعتراف لأبواب الاستجابة، فقد أقروا عن خشية بذنوبهم وسألوا الله مغفرتها، فعلوا ذلك قبل أن يطلبوا النصر، وأقروا بإسرافهم في شئونهم، وسألوا ربهم غفرانه، فعلوا ذلك أيضًا قبل أن يطلبوا تثبيت الأقدام والنصر، ليمهدوا لدعوتهم الرقي إلى معارج القبول والاستجابة، ونلاحظ أن اعترافهم بالإسراف جاء مطلقًا غير مقيد إلا بأنه في أمرهم، ليعم كل إسراف فعلوه وهم يعلمون أنه إسراف،

وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(١) ﴿١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٤ - ١٤٨].

أو فعلوه وهم يجهلون أنه كذلك، وليعلم كل إسراف مادي أو أدبي، حسي أو معنوي.

(١) الإحسان: ضد الإساءة ويقال على وجهين - كما يقول الراغب -، أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً، والإحسان فوق العدل؛ لأن العدل هو أن تعطي ما عليك، وأن تأخذ ما هو لك، أما الإحسان فهو أن تعطي أكثر مما عليك، وأن تأخذ أقل ما هو لك، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع.

وقال صاحب اللسان: والفرق بين الإحسان والإنعام: أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، والإنعام لا يكون إلا لغيره.

وأقول: لقد عرف الرسول ﷺ الإحسان بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». وهذا هو الإحسان في عبادة الله، وهو من شرعة الإسلام لا من طقوس الصوفية كما يهولون على الناس.

وقد وعد الله المحسنين بحبه، وفي التعبير بالحب هنا وفي كل موارد إعجاز إلهي في الإنعام، وإشارة يعجز البيان البشري عن الإحاطة بمعناها الأسمى، ولكننا نؤمن بأن الله يحب، بيد أن حبه ليس كمثله حب، ثم إن الله وصف هؤلاء الذين يحبهم بأنهم محسنون، أي: المتصفون بكل ما يقال عنه في الشرع واللغة إنه إحسان، فالوصف به مطلق غير مقيد، ليفيد أنهم محسنون في كل شيء وبكل شيء يمكن أن يحسنوا به وفيه.

قالوا معللين لنزول تلك الآيات: رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ في غزوة أحد بما كسر به ربايته وشج وجهه، ثم مضى - أي: ابن قمئة - صائحاً: قتلت محمداً. وتجاوبت بصيحته الكاذبة أهواء المشركين، فشاع في الناس ما افتراه ابن قمئة، ووجدت هذه

آيات تشرق منها الحكمة الهادية التي تفيض على النفس سكية الإيمان، وعلى

الشائعة سبيلها إلى قلوب المسلمين، فإذا الحزن الساجي، والوهن المسيطر والإحجام القلق عن القتال، وقالوا أيضًا: إن رجلًا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: يا فلان، أشعرت أن محمدًا ﷺ قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل، فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم.

ثم يروون رواية صدق وحق موقف أبي بكر وتذكيره بهذه الآيات يوم وفاة الرسول: أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنع - بضم السين وسكون النون إحدى محال المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وكان بها منزل أبي بكر) حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فقصد رسول الله ﷺ وهو مغطى بثوب حبرة (على وزن عنبه وهو ثوب يمانى فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، وقبله، وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك، فقد متها، ثم خرج، وعمر يكلم الناس، فقال أبو بكر: اجلس يا عمر، ثم قال أبو بكر: أما بعد: فمن كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144] قال ابن عباس: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعرقت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض.

ذاك ما قيل - مختصرًا - عن سبب نزول الآيات، وهذا ما حدث يوم وفاة رسول الله ﷺ... وسجل التاريخ أن أبا بكر كان أثبت الصحابة جنائنا، وأن هول المصاب لم ينسه أبدًا هدى الله، وأنه بنور هذه الآيات بدد عن النفوس الخور واليأس.

القلب طمأنينة اليقين؛ آيات تغمرنا بالتأسية الفياضة بالرحمة، وتوجب على كل مؤمن أن يكون إيمانه بالله إيماناً لا ينتسب إلا إلى الحق، ولا يرتبط إلا به، ولا يدور في فلكه السماوي إلا معه، فما يزلزل قوة إيمانه، أو ينكص به أن يموت من دعاه إلى الحق، أو كان سبباً إنسانياً سخره الله لهدايته إليه.

إن الإيمان حياة وبصيرة وهدى وعزة وقوة وجهاد.

وإن الكفر موت وعمى وضلالة وذلة وضعف وجبانة ترعشها نائمة خيري.

الإيمان حياة تشرق على القلب من هداية الحي القيوم وحده، وتعمل له وحده، وتستمد أسباب سموها منه وحده، وتتوجه إليه وحده بكل ما يعمل فيها من مشاعر وأحاسيس وعواطف؛ لأنها تجد السعادة التي تنشدها في أن تبلغ رضاه، فلا يرعش إيمان المؤمن مصاب فادح يَبْغْتُهُ على غِرَّة، أو خطب مُذْهِمٌ يأخذ ظلامه بكل ما حوله؛ لأن المؤمن لا يؤمن بالموتى آلهة، ولكنه يؤمن بالله الذي خلق الموت والحياة، وله ملك الأولى والآخرة.

نعم تهيم في عينيه الدموع الخواشع، وتَرْمِضُ قلبه الأحزانُ المُسْتَعْبِرَة، بيد أنك تجد دموعه تعبيراً رقيقاً عن الإيمان الرضي، وتجد أحزانه بياناً رحيماً عن الإخبات التقى. تجد في شفق الأحزان على مُحْيَاه، وفي حيرة الدموع بين عينيه دليلاً قوياً على الإيمان الذي يثبت دائماً - إذا ألمَّ بالقلب ما يُريب أو يُحْزَن - أنه هو القوة الإلهية التي تثب به إلى القمة، والروحُ الربّاني الذي يستعلي بالإنسان عن أن يَهِنَ، أو يرتاب أو ينكص على عقبيه، وأنه هو النور الذي يبدد عن آفاق النفس ظلام اليأس، ويهدي سبحاتها إلى حيث تطمئن إلى الرجاء، ويشيع في دنياها مباحج الأمل في رحمة الله ونصره.

ونحن أنصار السنة - وقد دهمنا خطب قاصم، وعصفت في حياتنا نكبة رَعْناء بوفاة إمام التوحيد في العالم الإسلامي المعاصر، المغفور له بإذن الله، والدنا الشيخ محمد حامد الفقي^(١) - نجعل من تلك الآيات الهادية نبراسًا يضيء لنا فيما

(١) اسمه: محمد حامد سيد أحمد عبده الفقي.

مولده: ولد رَحِمَهُ اللهُ بقرية جزيرة نكلا العنب التابعة لمركز شبراخيت محافظة البحيرة في سنة ١٣١٠هـ، الموافق ١٨٩٢م.

أسرته: ولد لأبوين فاضلين، فوالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقي، بدأ دراسته بالجامع الأزهر وقطع فيه شوطًا بعيدًا، ولكنه لم يُتم الدراسة لظروف أَلَمَتْ به.

وأما والدته، فكانت السيدة الوحيدة التي تحفظ القرآن الكريم في القرية، وتحيد القراءة.

وقد ساعد هذا الجو العلمي الشيخ محمد حامد على حفظ القرآن والتفقه.

طلبه للعلم:

بدأ الشيخ بحفظ القرآن الكريم؛ حيث أتم حفظه في شهر رمضان ١٣٢٢هـ، وقد كان عمره آنذاك اثني عشر عامًا.

بدأ دراسته بالأزهر في شهر شوال ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وكان يحب أن يقيد حنبليًا، إلا أنه لأسباب ما انتسب للأزهر حنفياً، وبعد أن أمضى بالأزهر قرابة الست سنوات - أي في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م - بدأ في دراسة الحديث والتفسير.

وفي عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م تخرج رَحِمَهُ اللهُ في الأزهر حيث نال شهادة العالمية، وكان عمره خمسة وعشرين عامًا، وانقطع منذ تخرجه لخدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

أشقاء الشيخ: محمد شيبه الحمد، محمد شاكر المحاميان، والشيخ محمد النعماني من العلماء، والحاج محمد رشيد رضا التاجر، رحمهم الله.

أبناءؤه: الطاهر محمد الفقي، وسيد أحمد الفقي، ومحمد الطيب الفقي وهو الوحيد الذي عاش

بعد وفاة والده، رحمهم الله.

رفاق الشيخ: من أبرزهم:

١- العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ.

٢- العلامة محمد عبد الظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللهُ (إمام الحرم المكي).

٣- العلامة محمد عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ اللهُ، (مدير دار الحديث الخيرية).

٤- العلامة أبو الوفا درويش رَحِمَهُ اللهُ، حبر الصعيد.

٥- العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ، الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية سابقاً.

٦- العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

٧- العلامة عبد الرحمن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ.

٨- العلامة عبد العزيز بن راشد النجدي رَحِمَهُ اللهُ.

٩- العلامة محمد تقي الدين الهلالي المغربي رَحِمَهُ اللهُ.

١٠- الشيخ محمد نصيف رَحِمَهُ اللهُ وجيه جدة، وغيرهم كثير.

تلاميذه: خلق كثير من أبرزهم:

١- العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ، الرئيس العام لأنصار السنة سابقاً.

٢- العلامة محمد عبد الوهاب البنا حفظه الله، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً.

٣- العلامة حسن عبد الوهاب البنا حفظه الله، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً.

٤- العلامة سعد ندا حفظه الله، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً.

٥- العلامة محمد علي عبد الرحيم رَحِمَهُ اللهُ، الرئيس العام لأنصار السنة سابقاً.

وغيرهم...

- اعتناقه المنهج السلفي:

= اهتم بالقراءة لعلماء السلف أمثال: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ ابن القيم،

والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من علماء التوحيد وأئمة الهدى، وعنى بكتبهم ومؤلفاتهم وطبعها ونشرها بين المسلمين [جماعة أنصار السنة ص (٤)].

وهذا ما عبر عنه الشيخ رحمه الله فكتب قائلاً:

«ولقد كنت في حياتي الأولى سالكاً مع السالكين، وملبساً مع الملبسين، ومخرفاً مع المخرفين، وداعياً إلى البدعة والجاهلية، وعبادة الموتى والخشب والنصب مع الداعين، فهداني الله إلى نور الهدى، وكشف عن بصيرتي حُجُب الجهل والعمى، وبصرني بنور الحق من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى، ووفقني بفضلِهِ إلى سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأنقذني بذلك من طريق الردى».

فدقت من يومئذ حلاوة التوحيد الخالص والإيمان، وتحققت الفرق العظيم بين الحق والباطل والهدى والضلال، وبين توحيد الأنبياء والمرسلين، وتوحيد المشركين والجهمية المعطلين، وبين آيات الله وحديث رسوله، وبين شبهات المبطلين وزخارف المفترين.

وعرفت لله تعالى منته العظمى في تلك الهداية، ونعمته الكبرى في هذا التوفيق» [مجلة الهدى النبوي، العدد الثاني جمادى الأولى (١٣٥٦). السنة الأولى ص (٧٠٦)].

قال الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله - وهو أحد تلاميذه -:

«وسألت الشيخ حامداً: يا شيخ كيف صرت موحّداً على منهج السلف، وأنت درست بالأزهر؟ فقال الشيخ: درست بالأزهر، ودرست عقيدة المتكلمين، التي يدرسونها، وأخذت الشهادة العالمية، وذهبت إلى بلدي كي يفرحوا بنجاحي، وفي الطريق مررت على فلاح يفلح الأرض، ولما وصلت عنده، قال: يا ولدي، اجلس على الدكة. وهو يشتغل، ووجدت بجانبى على طرف الدكة كتاباً، فأخذت الكتاب، ونظرت إليه فإذا هو كتاب: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم، فأخذت الكتاب أتسلى به، ولما رأني أخذته وبدأت أقرأ فيه تأخر عني قدرًا من الوقت الذي أخذ فيه فكرة عن الكتاب، وبعد فترة وهو يعمل في =

حقله وأنا أقرأ في الكتاب جاء الفلاح، وقال: السلام عليك يا ولدي، كيف حالك؟ ومن أين جئت؟ فأجبتته على سؤاله، فقال لي: والله إنَّ شاطر؛ لأنك تدرجت في طلب العلم حتى توصلت إلى هذه المرحلة؛ ولكن يا ولدي أنا عندي وصية. فقلت له: وما هي؟ قال الفلاح: أنت عندك شهادة تعيشك في كل الدنيا؛ في أوروبا وأمريكا، ولكن ما علمتك الشيء الذي يجب أن تتعلمه أولاً.

قلت: وما هو؟

قال: ما علمتك التوحيد.

قلت: وما هو التوحيد؟

قال: توحيد السلف.

قلت: وما هو توحيد السلف؟

قال: إنه يوجد في هذه الكتب كتاب السنة للإمام أحمد، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب اعتقاد أهل السنة للحافظ.

وذكر الفلاح كتب التوحيد التي للمتأخرين والمتقدمين، ثم ذكر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقال له: أنا أدلك على هذه الكتب إذا وصلت إلى قرينتك ورأوك وفرحوا بنجاحك لا تتأخر ارجع رأساً على القاهرة، ادخل دار الكتب المصرية ستجد كل هذه الكتب التي ذكرتها كلها فيها، ولكنها مكّس عليها الغبار، وأنا أريدك أن تنفض ما عليها من الغبار وتنشرها.

لم ينس الشيخ حامد هذه الوصية فعاد إلى القاهرة مسرعاً وعكف على كتب السلف يخرجها من غياهب أدراج المكتبات ويقوم على خدمتها. اهـ.

جهوده الدعوية رَحِمَهُ اللهُ:

١ - خطبه بمسجد الهدارة بعابدين.

- ٢- تكوينه جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م، واتخاذ دار لها بعابدين.
- ٣- تأسيسه لمجلة الإصلاح الحجازية بمكة المكرمة؛ وكانت من أوائل المجلات التي ظهرت في العهد السعودي، فقد صدرت في مكة عام ١٣٤٧هـ وكان يتولى إدارتها والإشراف على تحريرها؛ وقد استمرت عامين حتى توقفت عام ١٣٤٩هـ بعد أن صدر منها العدد السابع عشر.
- ٤- تأسيسه لمجلة الهدى النبوي؛ وقد أسسها بعد عودته من الحجاز بحوالي ثماني سنوات عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م، وقد تولى رئاسة تحريرها إلى أن توفاه الله، وهي مدة تقارب ثلاثاً وعشرين سنة.

يقول الشيخ رحمه الله عن هذه المجلة:

«ولطالما تمت نفسي أن أصدر صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلى المصلحين، وتدعو إلى الحق والرشاد والصلاح.

ولقد حقق الله الأمانة وهو المستعان، فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة: الهدى النبوي؛ لتحقيق ما سبق ذكره من معالجة الأدواء التي تنخر جسم المجتمع الإسلامي في هذا العصر، والله ولي التوفيق» [مجلة الهدى النبوي العدد الأول، ربيع الثاني ١٣٥٦هـ ص (٣)].

- ٥- أسس مطبعة أنصار السنة المحمدية، ويتولى إدارتها الآن الشيخ الأستاذ سرور الفقي. منهجه في التفسير:

لقد ظل الشيخ رحمه الله يكتب في مجلة الهدى النبوي في تفسير القرآن بانتظام، حتى كانت آخر آية فسرهما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝﴾.

[الإسراء: ١١]

وعن منهجه في التفسير، كتب رحمه الله يقول:

«ونحن إن شاء الله تعالى سنتوخى في قولنا في تفسير القرآن الكريم أن يكون أولاً بالقرآن، =

فإن لم نجد فبسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة برواية العدول الثقات، ونقصد إلى تطبيق حوادث الزمان، وحال الأمم الإسلامية في جميع شئونها السياسية والاقتصادية، والدينية، على القرآن، لأن هذا هو أهم غرضنا من التفسير، ليعرف الناس أين هم من القرآن. وسنحرص أن يكون سهل العبارة، قريب المأخذ، بعيداً عن الاختلافات والمباحكات اللفظية، والمحاولات في غير طائل لأن نتصر به لمذهب، ولا نتعصب لقائل، وإنما نبتغي الحق قدر طاقتنا، ونطلب الدين الصحيح جهد استطاعتنا، ومحاولين بذلك توجيه المسلمين إلى كتابهم الذي أنزله الله شفاء لما في صدورهم، وإرجاعهم إلى الهدى والحق من ربهم.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

ومن الله أستمد المعونة، وأسأله الكلاءة والحفظ والصيانة من الزلل والخطأ، واتباع الهوى، وغلبة الرأي، وأن يفتح مغالق قلوبنا، ويكشف عن بصائرنا الغي والعصية، وأن يجعلنا من الراشدين، بمنه وكرمه» [مجلة الهدى النبوي، العدد الثاني جمادى الأولى ١٣٥٦ هـ ص (١٨) السنة الأولى].

ثم يعبر عن طريقته في التفسير من أين اقتبسها، وعن تعلمها، فيقول: «... هذا ولا أعرف في القديم والحديث - بعد الرسول ﷺ والصحابة - من أوتي الفقه في القرآن، ورزقه الله الفهم الصائب فيه، والحكمة في شرح مقاصده ومراميه، والغوص على درره واستخراجها من أعماق بحاره صافية مشعة: مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله وجزاها أحسن الجزاء - لأجل هذا أنا حريص جد الحرص على أن أنشر ما أجد لهما من تفسير آيات أو سور» [مجلة الهدى النبوي، العدد السادس عشر رجب ١٣٥٧، ص (٨-٩) السنة الثانية].

ثناء العلماء عليه:

قال العلامة محمد بهجت البيطار رَحِمَهُ اللهُ فِي ثَنَائِهِ عَلَى إِصْدَارِ مَجْلَةِ الإِصْلَاحِ الْحِجَازِيَّةِ:

«فمديرها سلفي المعتقد، إصلاححي المنزع، صافي المشرب، ثابت العزيمة، دءوب على العمل، =

سليم الذوق، حسن الاختيار» [جماعة أنصار السنة المحمدية ص (١٦٣)].
 قال عنه الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فقد اطلعت على الحواشي التي وضعها - يقصد في تحقيقه لفتح
 المجيد - الأستاذ العلامة الشيخ محمد حامد الفقي، فألفيتها كثيرة الفوائد قد أجاد فيها وأفاد».
 قال العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ:

«لقد ظل والدنا إمام التوحيد في العالم الإسلامي الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ لأكثر من أربعين
 عامًا يجاهد في سبيل الله، ظل يجاهد قوى الشر الباغية في صبر، مارس الغلب على
 الخطوب، واعتاد النصر على الأحداث بإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من
 تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية؛ لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من
 الناس، أو يلوذ به إذ كان الخوف من الله آخذ بمجامع قلبه، كان يسمي كل شيء باسمه
 الذي هو له، فلا يدهن في القول ولا يداجي أو يبالي، ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو
 الجهر إذ كان يسمي المجاملة نفاقًا ومداينة ويسمي السكوت عن قول الحق ذلًا وجبنًا.
 عاش رَحِمَهُ اللهُ للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كان في
 دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، كان صبورًا جلدًا على الأحداث، نكب في
 اثنين من أبنائه الثلاثة، فما رأى الناس منه إلا ما يرون من مؤمن قوي أسلم قلبه كله لله»
 [المصدر السابق].

وقال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري رَحِمَهُ اللهُ صاحب كتاب: «السنن والمبتدعات»، وهو يتحدث
 عن مجلة الهدي النبوي:

«... والحمد لله؛ فأظهر مجلة «الهدي النبوي» على يد الأستاذ الجليل، الداعي إلى سنة رسول
 الله، المحارب للبدعة الشيخ محمد حامد الفقي» [جماعة أنصار السنة المحمدية ص (١٦٠)].

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل:

«كان في دعوته هذه لا يتعصب لمذهب ما، بل كانت عصبيته وحميته للحق وحده، وكان عدو =

اذْهَبْ مِنْ خُطْبٍ، وَمَنَارًا يَهْدِينَا فِيهَا تَدَجَّيْ مِنْ مَصَابٍ، فَلَا يَسْتَبِدُّ بِنَا جَزَعٌ،
فِيْمِيلُ بِنَا إِلَى الْيَأْسِ، وَلَا يَهْوِلُنَا خُطْبٌ، فَيُعْطِفُ أَعْتَنَّا إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَا يَغْلِبُنَا الْحُزْنَ
عَلَى أَمْرِنَا، فَتَنْهَافَتْ عَلَى الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ نَصِلَ إِلَى الْغَايَةِ، وَلَكِنَّا - يَا ذَا اللَّهَ
وَبِاسْتِمْدَادِ الْقُوَّةِ مِنْهُ وَالرَّعَايَةِ - نَخْرُضُ الْهَوْلَ، وَنَقْتَحِمُ الْعُقْبَاتِ، وَنَجَاهِدُ فِي
حِمَاةِ الْحَقِّ فِي غَيْرِ هَوَادَةٍ وَلَا تَوَاكُلٍ، وَمِنْ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ نَهْتَفُ، وَنَهْتَفُ دُمُوعِنَا
الْخَاشِعَةِ، وَأَحْزَانِنَا الْمُسْتَعْبِرَةِ: (إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وَفِي مُحَارِبِنَا نَجِدُ الْعَهْدَ
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ضَارِعِينَ: (اللَّهُمَّ قَوِّنَا حَتَّى لَا يَمُوتَ عَهْدُنَا مَعَكَ، قَوِّنَا حَتَّى نَحْتَمِلَ
الصَّبْرَ كُلَّهُ، وَنَدْعُو إِلَيْكَ عَلَى بَصِيرَةٍ).

المذهبية ويرأها عن بينة وإيمان، أنها الخطر الداهم» [نور من القرآن ص(٧)].

وقال الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «عندما رأيته يدرس في مكة عند باب علي قلت: هذا ضالتي.
وكانت حلقة أول حلقة أجلس فيها في الحرم، وكان ذلك عام ١٣٦٧هـ».

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ، الموافق ١٦ يناير ١٩٥٨م على إثر عملية جراحية
أجراها بمستشفى العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بتزيف حاد، وعندما
اقترَبَ أَجَلُهُ طَلَبَ مَاءً لِلْوُضُوءِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتِي الْفَجْرِ بِسُورَةِ الرِّعْدِ كُلِّهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ
طَلَبَ مِنْ إِخْوَانِهِ أَنْ يَنْقُلَ إِلَى دَارِ الْجَمَاعَةِ؛ حَيْثُ تُوْفِيَ بِهَا، وَقَدْ نَعَاهُ رُؤَسَاءُ وَعُلَمَاءُ الدَّوْلِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ وَاشْتَرَكَ فِي تَشْيِيعِهَا مِنْ أَصْحَابِ الْفَضِيلَةِ: وَزِيرُ الْأَوْقَافِ،
وَالشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَاجٍ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَسَنِينَ مَخْلُوفٍ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ
الْحَمِيدِ، وَجَمِيعُ مَشَايِخِ كَلِيَّاتِ الْأَزْهَرِ وَأَسَاتِذَتِهَا وَعُلَمَائِهَا وَقَضَاةُ الْمَحَاكِمِ [جَمَاعَةُ أَنْصَارِ
السُّنَّةِ ص(٢٤)].

لقد ظل ﷺ أكثر من أربعين عامًا يجاهد في سبيل الله، ظل يجالِد قوَى الشر الباغية في صبر، مارس الغلب على الخطوب، وعزم اعتاد النصر على الأحداث، وإرادة تنزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، ولا تنحرف عن سواء السبيل؛ ظل يفعل هذا عن بصيرة مشرقة بنور الإيمان، ووعي نفذ إلى روح الحقائق، وإدراك لا يزيغه أبدًا شبهة ساحرة، أو ريبة مأكرة.

هذا لأنه فهم حقيقة الإيمان، وجعلها في الحياة مقياسه الذي يقيس به الأشياء، والقيمة الحقّة التي يقوم بها حقائق ما حوله، والروح التي بها يعمل ويفكر ويتدبر.

لقد آمن بأن كتاب الله هو الحق، وأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، فكشف الله له بهذا الإيمان كل راي عن بصيرته، وكل دخل عن سريره، ففقه القرآن فقهًا صحيحًا لا ينزع به عن الحق الجليّ هوى عاصف، أو هول راجف، أو ريب تتخذ سطوتها من التقليد الموروث، أو ممن يزفونها اليوم في صور جديدة فاتنة الألوان، واتخذ الشيخ - غفر الله له ورحمه - سبيل الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله، الدعوة إلى تصفية القلوب من أدران الشرك، ونوازغ الوثنية، حتى تخلص للحق وحده، فتعمل عن إيمان صادق، وتحب لله، وتبغض لله، لقد عرف ﷺ الداء، وهداه الله إلى الدواء فهب في حماس متقد، لم يحب أبدًا أوارّه حتى وهو على فراش مرضه الأخير، هب يدعو الناس جميعًا إلى التوحيد الخالص، وإلى اتخاذ القرآن إمامًا، وسنة الرسول سبيلًا.

كان يلين حين يرى اللين مجديًا، ويغلظ حين يرى ألا بد من هذا، مقتديًا بقول ربه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يُذهِن في القول، ولا يداجي، ولا يمالئ، ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو الجهر به، إذ كان يسمي المجاملة

نفاقاً مداهناً، ويسمي السكوت عن قول الحق ذُّلاً جباناً، وقال رُوَاذُ النفاق، وأدعياء الدعوة، وموالي الناس، وخدمُ شهواتهم، وعَبْدُ الطاغوت: غلظة خشنة جافية! وَدَوَى صوت الحق يصك أسمعهم: شجاعة موفورة، وصراحة مشكورة مبرورة.

لم يكن رَحِمَهُ اللهُ في دعوته هذه يعرف الخوف من الناس، أو يلوذ به؛ إذ كان الخوف من الله وحده آخذاً بمجامع قلبه، مسيطراً على دنياءه، قهَّاراً لسره وعلايته، كان في دعوته هذه لا يتعصب لمذهب ما، بل كانت عصبية وحمية للحق وحده، وكان عدو المذهبية ويراهما - عن بينة وإيمان - أنها الخطر الداهم على الجماعة الإسلامية، ويردد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وما زال بهم يجادلهم حتى انتصر، لقد عرف رَحِمَهُ اللهُ لذة النصر حينما انتصر على هواه، فكيف لا يعرف النصر على أهواء سواه؟!

عاش رَحِمَهُ اللهُ للدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، كان يؤمن بالحياة، ويؤمن بالموت، وأنه مِعْبَرٌ إلى الحياة الأبدية الخالدة، فعاش يشيّد الحياة حتى يحياه الله عنده، عاش بالإيمان الحق يُسَخَّرُ دنياءه لدينه، ويحكم دينه في دنياءه، فلم يخمله الدين، ولم تُطْغِه الدنيا.

عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كانت آلام المرض القاسي تشد إحساسه بها، فينساها وهو بيننا يذكرنا بآيات الله، كان عذاب السقم يستحوذ على جسمه، فيأبى إلا أن يسعى إلى دار الجماعة، والليل قرَّ عاصف يلفح الوجوه بالثلوج، ثم يتخذ مجلسه المعتاد وعلى وجهه السمع إشراق الرضا، وعلى شفثيه تلك الابتسامة العذبة الحنون التي تعبر عن صفاء قلبه، ثم يستغرق في التذكير بآيات الله بصوت فيه قصف الرعد، وعذوبة الرحمة، ورقة الخشية، وتُبل الإخلاص فلا يشعر الحشد

الهائل من تلاميذه بما يعاني الشيخ من داء وبيل، ولا يصدقون - وهذا صوته القوي الراعد المنذر المخوف من غضب الله - أنه مريض حتى لقد ظن الكثيرون أن مرضه الأخير دهمه فجأة، بيد أنه كان يعانيه من زمن دون أن يشعر به سوى نفر قليل من الأدنين من ذوي رحمه، كان بعض المشفقين من أهله يناشدونه أن يشفق على صحته من الجهد العنيف الذي يبذله في سُموم الصيف، وزمهرير الشتاء، وليله المدوي بالأعاصير، ولكنه كان يقول لهم دائماً: لا يا أحبة، فإن الله سائلي يوم القيامة عن هذه الدعوة.

كان في دعوته رَحْمَةُ اللَّهِ يُمَثِّلُ التطابق التام بين الداعي ودعوته، فهو في سره وعلايته، وهو في بيته وفي المجتمع، وهو بين الناس، وبين تلاميذه، وهو فيما يأمر به من معروف، وينهى عنه من منكر، كان في كل أحواله هذه المؤمن الذي يلتزم بما يدعو إليه ويطبقه تطبيقاً صحيحاً في كل معاملاته.

وكان رَحْمَةُ اللَّهِ حُبًّا للقراءة، فيعكف الساعات الطوال على الكتب ينقب ويبحث ويقارن.

يقرأ كل شيء باسم الله؛ ليستخلص العبرة، وليدل على الحق ويدعو إلى تأييده، وليبين الباطل فيما قرأ، ويحذر منه؛ كان لقراءته غاية واحدة هي خدمة دعوة الحق.

وكان رَحْمَةُ اللَّهِ خطيباً لسنًا مصقعةً، يمتاز بصدق التعبير وجزالة الأسلوب، وقوته وفصاحة المنطق، فتخالط دعوته شغاف القلوب، وتلمع فكرته أمام العقل غير مشوبة بإيهام ولا شبهة.

وكان رَحْمَةُ اللَّهِ حُبًّا للتراث الإسلامي، ينقب عنه، ويسعى جاهداً في سبيل نشره، وكان كريماً سمحاً جواداً مضيافاً، تشعر وأنت في بيته كأنه ضيفك، وأنت مضيفه.

وكان لطيف المعشر، موطأ الأكناف، باراً كل البر بأصدقائه وإخوانه.
 وكان في بيته مثلاً أعلى في الرعاية والتطبيق الصحيح لحسن المعاملة، تراه مثلاً
 مكباً على مكتبه منقّباً باحثاً، فيأتي الصغار من أحفاده يعتلون ظهره وكتفيه،
 ويعبثون بما أمامه، فلا ينفرهم منه حتى سمة زائفة من غضب، أو بادرة متوهمة
 من تأفف، وتنظر إلى عينيه وإلى محياه، فإذا السرور لامع الإشراق، وإذا البشر
 فياض العبير، وإذا الحنو الدافق جيّاش النبع، خرجت مرة معه من المسجد فلقي
 حفيده الصغير (محمد سرور)^(١) فحمله على كتفيه وحذاء الصغير ملوث ببعض
 الأوحال، فقلت للشيخ باسمًا: جلبابك الأبيض يا أستاذ، فقال في دعابته الأبوية:
 (وانت مالك يا أخي هيّه هدومك؟).

وكان صبوراً جَلَدًا على الأحداث، نكب في ابنين عزيزين فما رأى الناس منه
 إلّا ما يرون من مؤمن قوي أسلم الله قلبه كله.
 وكان صفوحًا، فلم يتسرب مرة إلى قلبه حقد أو غل أو كراهية، كان يسبق
 بالعفو إساءة المسيء، وبالعفو ذنبه، وبالحلم بوادر الطيش الغاضب منه، ويلقاه
 بعد هذا، وقد نسي كل شيء. أذكر مرة أن جماعة ثوروا عليه بهتانًا يحاولون به النيل
 من مقامه، وافترخوا لهذا مفتريات دنسة النسب، بينة الكذب، فعلوا هذا لا غير
 على حق أو فضيلة - كما تراءوا لذوي الضحالة في الفهم - وإنما هو الحسد
 المحموم لنجاح الشيخ في دعوته، وعلوّ مكانته.

(١) توفي رَحِمَهُ اللهُ منذ عدة شهور، وكان جندياً وفيّاً لدعوة التوحيد، ناشراً لتراث السلف، من
 خلال مطبعته، مطبعة دار السنة المحمدية. (ض).

وأذكر أني دخلت عليه بعد نقاش عاصف منهم، وهادئ وقور سمح منه، فماذا سمعت؟ وماذا رأيت؟ سمعته يبتهل إلى الله أن يشفيهم من أحقادهم، وأن يعفو عنهم، ورأيت على مخايل وجهه بشار الصفح والمغفرة، وكان يعلم تلاميذه الجرأة في قول الحق، ويدعوهم في حرارة الصدق وتلهب الحماس إلى مناقشته الحساب العسير إن أخطأ.

وأذكر مرة أنه نقد رأيًا للإمام الجليل ابن تيمية وتلميذه العظيم ابن القيم، ثم رأيت بعد هذا حزينًا، وسألته، فأجاب: لقد رأيت عدم الرضا في وجوه بعض أبنائي، وسمعت من بعض الشيوخ الذين نعز بأخوتهم أنهم ينقمون مني هذا النقد، وهذه إثارة يا بني تدل على أن هؤلاء لم يتطهروا بعد من كل شوائب التعصب لغير الحق، والتعصب يا بني للأشخاص مَسْرَبٌ خفي من مسارب الوثنية، ونحن أنصار السنة يا بني لا نتعصب إلا للحق وحده، نعرف الرجال بالحق، ولا نعرف الحق بالرجال.

عاش رَحِمَهُ اللهُ للإسلام، فأحب كل مسلم، لهذا كان له في كل بلد إسلامي تلاميذ وأصدقاء، وكان لهذه التلمذة والصدقة أثر عظيم في انتشار الدعوة، وإنشاء فروع لها حتى وصلت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

لقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، يذكر دائمًا أن العالم الإسلامي وحدة، ويعمل دائمًا لهذه الوحدة في جميع ما يكتب أو يخطب.

هكذا كان الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ، وغفر له - وكان فوق ما ذكرت، فما هي إلا لمحات من جهاده، أما تاريخ حياته المفصل، فسيكتبه هنا فضيلة الشيخ شعبة الحمد الفقي شقيق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، فاللهم إن حامدًا توصل إليك بالإيمان الحق بك،

والجهاد في سبيل إعلاء كلمتك، فاللهم اغفر له، وهب له جود رضوانك، وأنزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء، وأهلنا الصبر الجميل بعده.

أما نحن أنصار السنة: فبعون من الله سواصل الكفاح بعده في عزم مصمم، وتضامن قوي، ووحدة شاملة تضمنا جميعاً على الحب والصدق والإخلاص والإيثار، لن نهادن البدعة، ولن نعطف على الخرافة، ولن نجامل في الحق.

نحن نؤمن بالله، ونوقن أنه مع المؤمنين، ونوقن بصدق وعده في الدفاع عن المؤمنين به. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ﴿[الطلاق: ٣].

نحن نعلم أن الفرحة الساجية تغمر قلوب الحاقدين، وتهتف بها ألسنتهم، وتلتهم بها كوهج النار في عيونهم، ولكنها فرحة الشريد بالسراب، وفرحة اليأس بكذب الأحلام.

على القمم الشوامخ، وفوق الذرى التي تلامس قبة النجوم، مكانة الدعوة أيها الحالمون بتعاسة المصير، تعالوا اليوم وانظروا إلى الجنود المجندة من أنصار السنة، لقد احتشدوا بإيمانهم القوي، وعزائمهم التي لا تعرف التخاذل أو التواكل؛ ليفتدوا بأرواحهم دعوة الحق، وليجعلوا السلطان الأكبر لدعوة الحق، فلقد نبههم موت الشيخ المفاجئ إلى واجبهم لحظة وفاته، فهبوا سراعاً يذرفون الدموع، ويصقلون العزائم المواضي، ويتخذون العبرة من الموت؛ ليجدوا في الحفاظ على الحياة، حياة الدعوة التي لن تموت بإذن الله.

مات بطلهم الأول، فأحيا موته في قلوبهم الحماس والحمية الثائرة التي لا تخمد لها ثورة على أعداء الدعوة. إن في مصر، في سورية، في السعودية، في السودان، في العراق، في لبنان، في شرق الأردن، في ليبيا، في مراكش، في الجزائر،

في تونس، في الصومال، في أرتريا، في كل بلد عربي أو إسلامي لدعوة الحق جنودًا بررة، تتجمع اليوم قواهم كالطوفان القوي، ولكنه الطوفان الذي يجرف أمامه كل ما خلفت القرون المظلمة من أساطير، ليعود هذا الدين الحق كما كان في عهده الأول مسيطرًا على القلوب، مهيمًا على الضمائر موجهًا للحياة، فإذا الدنيا سلام ورحمة، وإذا المجتمع محبة وتعاون وإيثار.

إن المسجد اليوم لا يتسع للمصلين، ودار الجماعة على سعتها تموج بجنود الدعوة، لقد شعر كل منهم أن الشيخ وحده كان أمةً، كان سدًا منيعًا، كان قوة مكنها الله من قهر أعداء الدعوة والظفر بهم، فما أن حُمَّ قضاء الله فيه حتى آمن كل جندي من أنصار السنة بأنه يجب عليه أن يُعَدَّ نفسه للفداء، وأن يذر كل شيء ليفرغ لأعداء الدعوة، وأن يجند نفسه وماله وولده وكل جهده للدعوة وحدها.

لقد أنساني هول المصاب ما في قلوب أنصار السنة من حماس جياش متدفق، فخشيت ولكن ما إن رأيتهم، وقد ملئوا دار الجماعة، بل تكدسوا فيها حتى امتلأت نفسي ثقة و يقينًا وطمأنينة، وقلت لإخواني: كان الشيخ وحده بما وهب الله له من قوة وعزم وعلم ومهابة وحكمة. كان وحده يصد الطوفان، طوفان الشرك والزندقة والإلحاد، فما لم نحشد جميعًا، لنقف حيث كان يقف، فسيهزمنا الطوفان ونمضي مع التيار المجنون... وإذا بي ألمس أنهم جميعًا يشعرون بما هو أعمق من شعوري، وإذا بهم يثبتون في خطر المحنة، أن هذه المحنة ستزيدهم ثباتًا على الجهاد، وقوة في الجلال، وتصميمًا على النصر بإذن الله.

يا أنصار السنة في كل مكان، إننا نجاهد في سبيل الله، ونعمل على إعلاء كلمته، فاطمئنوا إلى عون الله ونصره.

يا أنصار السنة: لن تغيب شمس دعوة تستمد نورها من القرآن.

يا أنصار السنة: لن تهزم دعوة تقتدي بسنة رسول الله ﷺ.

يا أنصار السنة: إن أعداء الدعوة أكثر منكم عددًا ومالًا؛ ولكنكم أشد منهم قوة، وأعظم غنى، لأنكم تؤمنون بالقوي الذي بيده خزائن السموات والأرض.

يا أنصار السنة: سيحاولون أن يشغلوكم عن دعوتكم بما ليس لهم أن يتحدثوا فيه، وبما لا ينتسب إلى أصل من أصول الدين، فافتحوا عيونكم جيدًا، وكونوا على حذر، فألد أعداء الدعوة المنافقون، وألد أعداء الدعوة الطامعون، وألد أعداء الدعوة الانتهازيون، وهؤلاء قبل غيرهم نحن متيقظون.

والله أسأل، وإليه أجار أن يغمر الشيخ العظيم بشآبيب رحمته ورضوانه، وأن يعوضنا عنه خيرًا، وأن يثبت قلوبنا على الصبر واليقين



باسم الله

عهد وميثاق^(١)

باسم الله حُمِّلْتُ هذه الأمانة، وباسم الله أعمل في سبيل المحافظة عليها، ضارعاً إليه جل شأنه في ذل العبودية وخشيتها أن يهب لي ولإخواني السداد والتوفيق، في كل خطوة خير نخطوها، وفي كل قول نقوله انتصاراً لدينه الحق، وفي كل عمل نبتغي به رضوانه.

فحينما أسند إلي إخواني رئاسة الجماعة أشفقت على نفسي أن تُقَصِّر أو تُفَرِّط، وأشفقت على الجماعة أن يمسها من تقصيري وتفريطي، ولكني ما لبثت أن شعرت بفيض من الطمأنينة؛ إذ تدبرت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٢-٣].

تَدَبَّرْتُ هذه الآية الكريمة، فَلَذْتُ بالضراعة إلى الله أن يجعلني تقياً متوكلاً عليه، مُنِيباً إليه، مُحِبّاً له، قوي الرجاء فيه.

ليس في الرئاسة مَغْنَمٌ إلا أن يكون مَغْنَمًا يمن الله به من رضاه حين نصدق ما عاهدناه عليه من الجهاد في سبيله، والعمل في سبيل إعلاء كلمته، وإني لأضرع إلى الله أن يكون لي ولإخواني هذا المَغْنَم الكبير.

وليست رئاسة الجماعة كرئاسات الجماعات الدينية الأخرى التي يجد الرئيس

فيها حوله من يُصَفَّقُونَ له، أو يهللون باسمه، أو يُفَسِّحُونَ له الطريق، أو يجلسون بين يديه خُشَعًا مُسَكَّرَةً أَبْصَارُهُمْ من خشيته ورهبته، فما للرئيس هنا في هذه الجماعة أَثَارَةٌ من ذلك كله، لأنها جماعة تتقي الله وحده، وتخشاه وحده، وتخلص في العبادة له وحده.

وهي جماعة ترى في الرئاسة أمر تنظيم للعمل، وتكليف به، ودعوة إلى الإحسان فيه، وهي جماعة تقول لرئيسها في شجاعة غير هيابة ولا وجلة: لو رأينا فيك اعْوِجَاجًا لَقَوْمُنَاهُ بعظاتنا فإن لم تُغْنِ قَوْمُنَاهُ بسيوفنا، وهي جماعة تأخذ رئيسها بالكتاب والسنة، وتطيعه ما أطاع الله ورسوله، وتُجِلُّه بقدر ما يُجَلُّ هو دين الله الحق، وهي جماعة لا يشفع عندها للرئيس جاه ولا منصب ولا قرابة، ولا تأخذها عاطفة، فتسكت عن الجهر بالحق، ومناقشة رئيسها بقوة إن أحست منه جنوحًا إلى بدعة، أو ميلًا إلى خرافة، أو انصرافًا إلى منصبه يُوهِّج فيه جَذْوَةَ الكبر والخيلاء.

فهل ترون الرئيس في هذه الجماعة إلا عبدًا لله، وإلا خادِمًا لجماعته؟! يا رَحْمَتَهُ له إن قَصَرَ، ويا ويله من الله إن مال عمدًا عن سواء السبيل!!

هذا إلى ما شعرت به من خوف حين وازنت بين نفسي، وبين سَلَفِيَّ العُظَمَاءِ، أما أولهما، فهو أستاذي وأبي وأخي فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ وغفر له، ولقد كان - يرحمه الله - أمةً في علمه الغزير، وخلقه النبيل، والجرأة القوية الملهمة في الحق والشجاعة العالية التي يصمد بها للأحداث، والصبر الكريم الرحيب الذي يَبْذُهُ به كُلُّ مُلِمَّةٍ ونازلة؛ والكرم المبذول في سماحة وأريحية وصفاء القلب ونقاء الروح، فلم يعالج رَحِمَهُ اللهُ في قلبه حقًا ولا حسدًا، وإنما كان يعالج الإشفاق القوي على الحاقدين والحاسدين.

كانت خطبُه القوية الرصينة، توقظ الضمير، وتضيء السبيل، وتلهب الحماس وتدفع إلى النضال في قوة وشجاعة، وكانت دروسه مَعِينًا صافيًا يترشف منه الظمآن، ويعب الصديان، ما يشفي أوامه، ويبرد ظمأه، وكانت كتاباته توحى بأن وراء هذا القلم قلبًا صادقًا في الإيَّان، وفكرًا يستوعب بتدبره الفِكر فيجلِّها في بيان مُشرق فصيح بليغ، فيخيل إليك أن ما يفسره لك من كتاب الله كأنها تتلوه أنت لأول مرة! لما كشف لك من معانٍ رائعة صحيحة صادقة.

ثم طوى علمه الموت، فاستعبرنا وقلنا مؤمنين: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم تولى قيادة الجماعة بعده أستاذي وأخي الكبير فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي^(١)، فسكنت الجماعة إليه، وأيقنت أن الله لن يتخلَّى أبدًا عنها، فهو المشهود له بقوة الإيَّان، ووفرة العلم، ورجاحة العقل، وكرم الخلق، وساحة التواضع، وجمال البساطة التي توحى إليك بحبه وتقديره وإجلاله؛ غير أن الجماعة فوجئت باستقالته أمام الجمعية العمومية، كما فوجئت أيضًا بموافقة الجمعية العمومية موافقة إجماعية على ما اقترحه أخي الكريم الأستاذ رشاد الشافعي بالنيابة عن مجلس الإدارة، ذلك هو إسناد رئاسة الجماعة إليّ، وأبى بُنلُ أخي الحبيب الأستاذ الشيخ محمد خليل

(١) هو العلامة السلفي شيخ العلماء، ولد بشنشور - أشمون - المنوفية مصر سنة (١٣٢٣هـ)، وتوفي سنة (١٤١٥هـ)، عمل رَحِمَهُ اللهُ نائِبًا لمفتي المملكة السعودية، وعضوًا بهيئة كبار العلماء، أسس المعاهد والمدارس بالسعودية، تتلمذ على يديه أجيال من العلماء من شتى بقاع الأرض، لا تسعفني الكلمات في ترجمته رَحِمَهُ اللهُ، لمزيد بيان: انظر ترجمته في كتاب «العلامة عبد الرزاق عفيفي» للشيخ محمد سيد أحمد، ط: المكتب الإسلامي. (ض).

هراس^(١) إلا أن يكون أول المبايعين^(٢)، مما يدل دلالة قوية على أن جماعتنا جماعة أخوة ومحبة في الله.

كلما تذكرت سَلَفِيَّ العُظِيمِينَ شعرت بالوجل والخوف، فليس لي ما لكل منهما من علم وقوة وشجاعة في الحق، وأضرع إلى الله أن يمن على أولهما بمغفرته ورضوانه، وأن ينزله عنده منازل الصديقين والأبرار، وأن يمد في حياة أستاذنا الكبير الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وأن يفيض عليها من بركاته، وأن ينعم عليه بنصرة الصحة والعافية والشفاء القوي مما ألم به، كما أضرع إليه أن يجعل مني للحق ولياً، وللتوحيد نصيراً، وللخير فاعلاً وللمعروف داعياً، وعن المنكر ناهياً، وأن يجعل حياتي تعبير صدق عما أدعو إليه وأعظ به، وأن يبلغ الجماعة ما ترجو وتأمل، وغاية رجائها، وأعظم آمالها أن تصبح كلمة الله هي العليا، وأن يعود المسلمون جميعاً إلى وحدتهم القوية، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

(١) هو العلامة السلفي ابن تيمية المصري، ولد في الشين بالغربية بمصر سنة (١٣٣٥هـ)، والتحق بالأزهر، وعمل مدرساً بكلية أصول الدين، وحصل على الدكتوراة، وكان موضوع الرسالة: (ابن تيمية ورده على مذاهب المتكلمين)، اختير نائباً للشيخ الوكيل في رئاسة أنصار السنة، وعمل رئيساً لفرع العقيدة بقسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، له العديد من المؤلفات القوية في نصررة العقيدة النقية من أشهرها شرحه للواسطية، وشرحه للقصيد النونية، وكتابه «دعوة التوحيد»، وغيره من المؤلفات التي اشتهرت وانتشرت ومنها ما هو تحت الطبع الآن - يسر الله إتمامها -، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٣٩٥هـ). (ض).

(٢) المبايعين: الشيخ يقصد المؤيدين لانتخابه رئيساً للجماعة. (ض).

ثورة على الحق

حين انساب صوت المؤذن يدعو إلى الصلاة بهذا الأسلوب الشرعي وطريقة الأداء السننية، فرح المؤمن، وهلعت قلوب المبتدعة!! لا شيء سوى أن الحق يعلن انتصاره!!

فكيف يطيب لهم هذا، وهم سناد الباطل وأولياؤه، وسدنة أصنامهم؟! ولذا صاح صائحهم يرغي ويزبد، ويتهم محطة الإذاعة ومن وراءها بمن أعانوا على هذا الحق، يتهم هؤلاء بأنهم ييائئون مذهباً خاصاً، أو دعوة بعينها!! يا سبحان الله!! أهكذا تبلغ عداوة هؤلاء للحق مثل هذا المبلغ؟! مساكين مساكين هزتهم صيحة الحق، ففزعوا منها مخافة أن تتوالى نذره الصاعقة المدمرة، فلا يبقى لهم أثر!!

وصاح كاتب آخر، نعرف مما يكتب كيف يسخر قلمه لمظاهرة البدعة؛ صاح بباطل يحاول به دحض برهان الحق، ولا عجب فقد صاح من قبل في إحدى المجلات يطالب بالعودة إلى الاحتفال بالمحمل؛ لأنه في جميل!! هذا رجل مبلغه من الدين ومن المعرفة؛ فلا عجب من خرافته، وإنما العجب من صحافي كبير، هو في الوقت نفسه محام كبير تخدعه هذه الأباطيل فيسخر قلمه أيضاً - ويا أسفاه - لمهاجمة الأذان الشرعي، معتمداً في هذا على ما كتبه ذلك الخرافي الأسطوري!! ولو أنها كانت قضية جنحة مباشرة لراح الصحافي المحامي ينقب ويبحث في مراجع القانون!! أما في قضية قضايا الدين، فيأبى الأستاذ الكبير إلا أن يضع عقله الكبير لخرافة نعق بها خرافي، فيبذل الجهد في سبيل الدعوة إلى الإيمان بأن الحق نبع هذه الخرافة، وأن الأذان بطريقته الجديدة ربما أدى إلى كفر من آمن!! لا

أيها الصحافي الكبير، حسبك أن تكتب في الأخبار ما تكتب مما تحسن أن تكتب فيه، أما الدين، فمن الخير لك ألا تمس قدسيته بما فح به قلمك، وكنت فيه تبعًا لغيرك، أو إمعة كما شط بك خيالك الجامح، فوصفت بهذه الكلمة سيد الخلق محمدًا صلوات الله وسلامه عليه^(١)، ولتعلم أنت ومن فزعوا من صوت الحق، أن الله هو الحق، وأنهم بذلك يعلنونها حربًا سافرة على الله سبحانه، ولتعلم أن الله نصير من ينتصر له، وخاذل من يعاديه، فحاربوا السنة ما شئتم، فالله هو القوي العزيز.



(١) رد أستاذنا الكبير فضيلة المحدث الجليل الشيخ أحمد شاكر في حينها على هذا الكاتب.

المعهد العلمي بالرياض (١)(٢)

معهد أسس على التقوى من أول يوم، فكان للتوحيد الخالص منارًا هاديًا، وللدين الحق معينًا صافيًا، وللعلم الصحيح - روضًا جني الثمر، رفاف الزهر، وللحقيقة المشرقة قدسًا طهورًا كأنما تسري في نسامته تساييح الملائكة. يفيء إلى ظلاله الوريقة شباب العالم الإسلامي من كل قطر قصي، فينهلون من مشاريعه العذاب الزواخر ريّ القلب والروح والفكر، وتستقر بهم الحياة هنالك ميسورة الرزق خافضة العيش، ريانة البشائر، مغدقة الآمال، وردية الأحلام، دون أن تصرفهم عن الجادة صوارف من هو، أو تميل بهم عن السنن مفاتن الحياة، فما ثم إلا جدٌ صريح يتوقد بالعزيمة الصابرة، واستقامة نبيلة ترف بالخير المحض، فمساء يعطر المحراب بالخشوع الرّضي، وصباح يوقظه الدعاء المبشر بالصلاة، ونهار يسلك سبيل الكفاح الحق، وحياة يأخذ الدين بأعتتها، ويسلك بها صراطه المستقيم، دون أن يشغلهم الكد في سبيل مطالب العيش، فهي مكفولة لهم بفضل الله، ثم بما أجراه الله من الخير على يد الإمام الراحل العظيم الملك عبد العزيز^(٣)، ومن بعده

(١) (٦ - ٧ / ١٣٧٣ هـ).

(٢) أجلت كتابة هذا المقال عن عمد حتى نأمن من الظن أنه مشوب بهوى خاص، أو غاية لا نقصدها، وها نحن ننشره بعد أن وثقنا كل الثقة من استقرار المقام بنا في مصر، فإلى هذا المعهد الكريم الذي سعدنا بالتدريس فيه عامًا، هذه التحية المشوقة نرسلها عبر الصحراء والدأماء على صفحات مجلتنا الحبيبة «الهدى النبوي».

(٣) يتناول الطالب في كل شهر نيفًا وثلاثين جنيهاً مصريًا، أي ما يساوي مرتب الدرجة الرابعة.

شبله المظفر فخرُ العرب والمسلمين الملك سعود.

أنشئ هذا المعهد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وقد تفضل جلالة الملك سعود - وكان حينذاك ولياً للعهد - بافتتاحه في حفل كريم مهيب، تسوده روح إسلامية عالية مشرقة، وكان من دلائل توفيق الله سبحانه أن أسندت رئاسة المعهد إلى حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية الأكبر، فللشيخ الجليل - فوق إيمانه القوي، وعلمه الغزير - فكر ثاقب، وبصر نافذ وحكمة ملهمة وسداد في الأمور يحدوه التوفيق، وتسام بالكرامة إلى سنام الذروة العليا، أما إدارة المعهد فأسندت إلى شقيقه فضيلة الشيخ الكبير عبد اللطيف.

فكان لأساتذة المعهد أباً كريماً، وأخاً رحيماً، لا يستبد فيهم بهوى، ولا يشعرهم بأنه عليهم رقيب، ثقة منه فيهم أنهم يجعلون الله وحده عليهم رقيباً، وترك الأمر شورى بينهم وبينه.

أما هو لبنه الطلاب فأبوةً سابغة العطف والإشفاق، وتأديب كريم النصح ومتوجيه.

وقد اختير للتدريس في هذا المعهد نخبة صالحة كريمة من مشايخ نجد الأجلاء وشبابه الناهض من المشهود لهم بالكفاية والدراية التامة بعلوم الدين، وصفوة مختارة من أساتذة الأزهر ووزارة المعارف من ذوي الإجازات العلمية العليا، ومن بعض أساتذة الأقطار العربية.

وقد أناف عدد مدرسيه على الستين.

والدراسة فيه ثلاث مراحل، المرحلة التمهيدية، ومدة الدراسة فيها عامان،

ويقبل في هذه المرحلة من يجتاز من الطلاب اختبارًا تعقده لهم إدارة المعهد في الفقه واللغة العربية والرياضة، والمرحلة الثانوية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، والمرحلة الأخيرة، وقد سميت بكلية العلوم الشرعية، وقد بدأت فيها الدراسة في هذه السنة.

ويدرس الطلبة في المعهد العلوم الشرعية، من توحيد وفقه وتفسير وحديث وأصول وعلوم العربية وآدابها، والتاريخ الإسلامي، والتقويم والرياضة. تبدأ الدراسة في الصباح المبكر من كل يوم، وتنتهي قبيل الظهر^(١) بعد ست حصص وقد أربى عدد طلاب المعهد على السبعمئة.

ومما يجب أن نشيد به ذلك الأدب الكريم الذي يمتاز به أولئك الطلاب الأجداد، إذ يرون في الأستاذ أبا كريماً لهم يحلون به ويحترمونه، وينصتون إليه في شوق ورغبة مشغوفة بتحصيل العلم، فلا يحتاج المدرس بعد ذلك أبداً إلى تنبيه واحد منهم إلى شيء من واجبه، كما أنهم يمتازون بالذكاء النادر والقريحة الوقادة، والحرص البالغ على الدرس، واليقظة البصيرة. أذكر مرة أني أعطيتهم واجباً في قواعد اللغة لحل تمارينه من الكتاب المقرر، وكان في تأكيد الفعل المضارع، وكان في الكتاب صيغ إيمان شركية مثل: وحق الوطن لأفعلن كذا، وذمتي لأفعلن كذا

(١) الحكمة في هذا تمكين الطلاب من صلاة الظهر في المساجد، وقد اقترح إقامة صلاة الظهر في المعهد على أن تنقل بعض الحصص إلى ما بعد الظهر، ولكن رفض هذا الاقتراح حتى لا يعتاد الطلاب هجر الجماعة في المساجد، وبهذه الروح الحريصة على إقامة شعائر الله يلقي المعهد رعاية الله.

من أمثال هذه الأيمان التي غافل الشيطان كاتبها فأجراها على قلمه في الكتاب، وحين أخذت بكراساتهم وبكتبهم أشهد ما صنعوا، وجدتهم جميعاً قد حولوا صيغ هذه الأيمان إلى ما يرضي الله، ومثل ورب الكعبة، والذي نفسي بيده، وفاطر السموات والأرض، فابتسمت سعيداً، ثم ساءلتهم - لتزداد فرحتي الروحية - لم صنعوا هكذا؟ فأجابوا بلهجتهم الحبيبة البريئة: كيف ما يَعْرِفُ يا شيخ؟! - طال عمرك - هذا والعياذ بالله شرك!! وشاع السرور الكريم في نفسي حتى غمر كل ما حولي.

وللمعهد مكتبتان كبيرتان، إحداهما أنشأتها إدارة المعهد، والأخرى أنشأها الطلاب من ماله الخاص، وكلتاها تحوي نفائس وذخائر من الكتب في كل فن. ودار المعهد كبيرة فخمة تحوي حجرات كثيرة، وفي كل حجرة سبورة وعدد كبير من القماطر يجلس إليها الطلاب^(١).

وقد أعد المعهد لطلابه منتدىً أدبياً يجتمع فيه الطلبة ليلة الجمعة من كل أسبوع، ويلقون فيه ما تجود به قرائحهم من شعر ونثر وغيرها، مما يهدف إلى تقويم الحياة الدينية والاجتماعية والوحدة الإسلامية بين العالم الإسلامي، ويدعى إلى هذا المنتدى الأدبي رجال الدين والعلم والأدب وغيرهم من رجالات الرياضة، ليشهدوا ثمرة هذا الجهد المبذول الكريم، والحق أن هذا المعهد يعتبر عصباً أمم إسلامية، ففيه من كل قطر إسلامي طلبة، حتى مصر يوجد فيه منها

(١) نصصت على هذا جواباً لمن سألني من إخواني المصريين، ودفعاً لوهم من توهم أنهم يجلسون هناك على الحصير!!

طلاب، ويوجد وراء هذه الحركة الدائبة الساعية الملحة أخونا المحقق الأديب الكبير الشيخ حمد الجاسر، وصفوة ممتازة من العاملين في إدارة المعهد.

هذه كلمة عجل، نرسلها على صفحات «الهدى النبوي» ذكرى وتحية، ولعلنا بها نبلغ أداء بعض ما علينا من دين أدبي كريم لهذا المعهد، وتنفيس بعض ما يعتلج فينا من شوق، سائلين الله أن يرعى هذا المعهد برعايته، حتى يقيم بفضل الله - هو ودور العلم الكثيرة المنتشرة في ربوع المملكة العربية السعودية عماد العلم الصحيح النافع؛ وإن شقيقتنا المملكة العربية السعودية لبالغة بفضل الله، ثم بما يبذله مليكها الجليل ما تصبو إليه من آمال، وما تحبه لها مصر والأقطار الإسلامية جمعاء.



بعد تأميم القناة

ثورة الوثنية الصليبية^(١)

الوثنية الصليبية في استعار حقدتها الباغي، وتلطي بغيها الحقود، تحاول أن تناضل الحق القوي، وتجادل قوة الحق التي راحت تدك في حماس نائر مشبوب معاقل البغي، وهياكل الطغيان، وتمكن للسلام والحرية والإخاء في إباء وعزة وكرامة!!

الوثنية الصليبية - وهي تلوذ برمقها الشاحب المحتضر، وحشاشتها الذابلة الخابية - تحاول أن تحول بين روح الحياة الدافق الجياش بالربيع، وبين أن يسري حيًا في مجالي واديه الذي طالما شاقته نسمة من عبير الحياة، ونفحة من عطر الحرية! الوثنية الصليبية في جراحها النافذة، وأظفارها المقلمة تحاول أن تمنع النسر المحلق من طيرانه القوي الشجاع!!

يالنارات الحقد المتأججة الأضغان!! إنها تلون كل شيء جميل بألوانها القائمة الداكنة السواد!! فتكره النور الباهر، والخير الزاهر، وتمقت - حسدًا - صولة الحق الجريء!! وتحاول حمل الناس جميعًا على أن يروا ما ترى، ويحسون بما تحس، وتكره أن يقولوا عن الصباح الوضيء: إنه نور جميل!!

ماذا في تأميم قناة السويس؟!!

حق يملكه صاحبه ويمارسه في حرية وشجاعة وقوة، لأن القناة من أرضه،

والدماء التي سالت على جنباتها دماء آبائه وأجداده والأشلاء التي انتشرت على حفافها أشلاء الأحبة من أهله.

ماذا في تأميم قناة السويس؟!

حق يردي باطلاً غشوماً، وقوة جارفة ترد حقاً سليلاً وحمية بالحق تصون حماها، وإيمان قوي بأن هذا هو ما يجب أن يكون!

ماذا في تأميم قناة السويس؟!

لظمة قوية تهدل بها وجه الاستعمار الصفيق، وحرمان للذئاب المسعورة من أن تلعق الدم الزكي البريء، وللظلم الطاغى من أن ينشب مخالفه في فريسة أنقذها راعيها الأمين!!

ولكنها الوثنية الصليبية تفرق من هذه القوة الجديدة، وتحشى بزوغ هذا الفجر الندي الأضواء وتجاوب الشرق بصيحة الحرية التي هتف بها هذا البطل الشاب القوي، الذي يبصر الشرق في سمات جبينه الأبى النبيل آيات المنقذ المأمول المؤيد برعاية الله!!

إن الوثنية الصليبية ترضى بكل شيء، إلا أن يقوم في الشرق رجل!!

إن الوثنية الصليبية تنام عن كل شيء إلا أن يقود هذا الشرق بطل!!

إنها تبصر في جمال الرجولة التي تأبى أن تهان، والشجاعة التي بثت فيمن حولها حماسها وثورتها، والبطولة التي تحلق بإبائها فوق القمم، والفدائية التي تلهم أرفع المثل وأزكى القيم!!

والجندي القوي الذي ينفخ في الصور، صور البعث للشرق من رقدة العدم، والمسلم الذي يؤمن بقول الحق: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ

كَلِمَةٍ [الصف: ٩].

وبقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

يؤمن، ويعمل، لتكون كلمة الله هي العليا.

يؤمن ويعمل، ليقود الإسلام مرة أخرى هذه الإنسانية الحائرة إلى سعادتها النامية الحانية، يعمل ليعث أجدادنا السوالف التي ما زالت أشعتها تضيء جوانب التاريخ، وتلمع نجومها في سماء الخلود تلك هي أسباب ثورة الوثنية الصليبية، وقد رأت في فعال هذا الرجل بشائر النصر الرفافة بروحانية الإسلام، ونذر الهزيمة الصاعقة لوقاحة الاستعمار وبغيه الحقود!! رأت هذه الضربات القوية القاهرة تمتد بها يده القوية في عزة وفدائية، فتهوي بها معاقل، وتندك بها صروح، وتشرق بها آمال، وتتحقق أحلام معاقل الاستعمار وصروح الطغيان وتشرق بها آمال المسلمين، وتتحقق أحلام العروبة!!

رأت السارين وراء الليل في هتافهم العاشق بهذا الصباح الجديد البازغ من أفق المجد الوضيء، والخياري الشاردين في تهليلهم لتلك الواحة الوريقة الظلال التي راحت تغرس في الصحراء كلها حو الخمائل، وأغراس الربيع وأفراحه!! سمعت من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي تجاوب دعاء العروبة بضراعة المسلمين إلى الله أن ينصر البطل الذي أشاع في الشرق روحًا جديدًا يستنكف بعد هذا أن يذل أو يستنيم، أو يستخذى لغريب جاحد وثني!!

إنها اليقظة الكبرى بعد سبات عميق!!

إنه البعث الجديد في مجال المجد، وآفاق العزة!!

وهذا هو ما يجعل الاستعمار في وقاحته وسلطنة بغيه يثور، ويثور، حتى

ينفجر، بل ينتشر أشلاء نتنة، إنها ليست قناة السويس!!
ولكنها القناة القوية النافذة التي أنفذها جمال إلى صدر الاستعمار، فخر
صريعاً يندب في ذلة صولته وسورته على الشرق!!
إنها ليست قناة السويس ولكنه الفزع الرهيب، والقلق المدمر من اليقظة
الإسلامية التي أقضت مضاجع الوثنية الصليبية الجاحدة، صليبية أمريكا
وإنجلترا وفرنسا!!

ألا فلنفهم هذه الوثنية - إن كانت لها بقية من فهم - أن المسلمين والعرب،
قد صمموا تصميمًا لا يهن ولا يهين على أن يعيشوا أعزة، على أن يجوبوا الحياة كلها
رسل حق وهداية وحرية وسلام.

إن جمال عبد الناصر يحمل بيده الفتية القوية هذا المشعل الذي لن يخبو
بإذن الله، ومعه الملايين من أفريقيا وآسيا وأوروبا وكلهم عزيمة متوقدة وإيمان
قوي بالله.

إن هذه القوة العارمة التي يقودها جمال بعون الله لن تقف في طريقها سدود،
إنها ستدمر كل من يقف في طريقها؛ لأنها قوة الحق الذي صمم على أن ينتصر.



الباب التاسع

تحذير المسلمين من اتباع سنن السابقين

تحذير المسلمين من اتباع سنن السابقين

«لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (١)(١)

من دلائل النبوة القدسية الخالدة - وكلها حق سماوي الإشعاع، وهدى إلهي الإشراف - هذا الوحي المقدس الذي شَعَّتْ به روح النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، فجعله يقول: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ».

قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ» (٢)(٣).

ولكي يغمر اليقين المطمئن بصدق النبوة قلبك ارجع البصر والنظر ينقلب إليك البصر محزون الدموع؛ والقلب واهي الضلوع؛ والفكر داميًا منكوء الجراح. واقتبس لك من سنا القرآن قسًا يضيء لك في التيه الحزين؛ وعلى أشعته الإلهية انظر حوالبك.

فيا مؤمن القلب، هل ترى إسلامًا ومسلمين؟ أو أنك - أيا ن حل بك الركب ترى مجوسية ومجوسيين، ويهودية ويهوديين، ونصرانية ونصرانيين؟ ترى كل هذه الوثنيات التي عَرَبَدَ فيها الكفر وتنزى منها الشرك، صورة مسخًا شائها، ووثنًا معبودًا، سمي تصوفًا وصوفيين؟

(١) مجلة الهدى النبوي (٨/ ١٣٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، برقم: (٣٤٥٦)، ومسلم، كتاب: العلم، برقم:

(٦/ ٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ترى في الأمم التي تزعم أنها إسلامية زندقة المجوسية، وكفر اليهودية، وشرك النصرانية، زاعمة - عن جحود للحق - أن ذلك هو الإسلام في حقائقه العلوية الهادية، وما يقوم ببث هذه المجوسية الداعرة، وتلك اليهودية الكافرة، والنصرانية الفاجرة سوى أولئك الذين لبسوا قناعاً، اسمه التصوف. فكادوا للدين، وأتوا بنيانه من القواعد.

كل هذا والعلماء يقولون: فليتصوف من شاء أن يتذوق الحقيقة في قداستها وخلودها... ولماذا أيها العلماء؟! يجيبون: إن الدين حقيقة وشرعة. ومن أنتم أيها السادة؟! نحن أهل الشريعة. أما الصوفية فهم أرباب الحقيقة؛ نحن أهل الرسوم والظاهر؛ والصوفية أرباب المعاني والباطن المقدس. وبأيهما جاء محمد خاتم النبيين ﷺ بالشرعة أم بالحقيقة؟! ولكن كتاب الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وليس في ديننا الكامل - وقد بلغه الرسول آية نعرف منها ما تزعمون أنه شريعة وحقيقة، وإنما نعرف شريعة فحسب، هي الحق والصدق، وهي كل شيء يسير الكون بهداه؛ وهي المثل الأعلى لكل ما يسمو بالنفوس إلى أوج المجد والرقى والحضارة العظمى، والمثل العليا للأخلاق.

إنها استوعبت الخير في سماحته؛ والحق في قدسيته؛ والهدى في وضاءته؛ والسعادة الروحية التي تجعل من المؤمن إنساناً تجري تحت قدمه الدنيا وجِلَّة مذعورة؛ لأنه إنسان في حقيقته الكاملة، يفوح منها أريج الإيمان، وتسمو بذاتيتها لله عزة عبوديتها الخالصة.

ذلك بعض ما يوحيه إلينا ديننا الخالد من معانيه، فما يَبِّن لنا الكتاب الكريم ولا السنة المطهرة أن ديننا جزآن، جزء اسمه الشريعة، وآخر اسمه الحقيقة، وللشريعة العلماء البدائيون، وللحقيقة المتصوفة المتحققون بالحق وللحق! فأين هي الحقيقة أيها العلماء العبيد الأذلاء للصوفية؟! أبدأها محمد ﷺ أم أخفاها؟

أنتم تقرون معنا أن رسول الله لم يبين لنا شيئاً اسمه الحقيقة حسب اصطلاحكم؛ ولا الفرقان الخالد فيه ما تزعمون، فلم يبق إلا أمر واحد هو أن محمداً ﷺ كنتم تلك الحقيقة! فيكون الرسول على زعمكم قد خان الرسالة!! فكل قائل بالحقيقة - من السادة العلماء وأهتهم الصوفية - إنما يطوي النفس

على فهم خبيث، وهو أن محمداً ﷺ خان ربه فلم يبلغ رسالته!! وإلى مثل هذا الفهم ذهب ابن عربي في كتابه فصوص الحكم، بالفص النوحى وبالفص المحمدي؛ فاقراًهما إن شئت يا من تؤمن بابن عربي وأبالسته وتكفر بالله وملائكته.

يا من تصدق ابن عربي وتكذب محمداً رسول الله؛ محمداً الذي يبغضه بعض زعماء الصوفية لأنه بين الفرق؛ أي فرق بين الخلق والخالق، والعابد والمعبود! بينما الله أمره أن يبين القران، أي أن لا فرق بين خالق ومخلوق ومعبود وعبيد؟! (١) تعاليت يا رب سبحانك، خلقتهم ليعبدوك فذهبوا يطلبون منك أن تكون يا رب أنت العبد والعابد!! فالله عند ابن عربي:

(١) معنى كلمة «قران» عند ابن عربي: الاقتران، ضد الفرق. وهو يستعملها دائماً بمعنى الجمع، أي: اتحاد المخلوق بالخالق.

ويكنى في حالة باله ويكنى في حالة بالعبيد

وما تعودت - وأنت يا رب شهيد - اختلاقاً على فئة؛ ولا افتراء على قوم؛ وإنما عن روية ما أكتب، تاركاً ورائي حتى الذي قد لا يتوهم الوهم أن فيه ظناً من الحق. وما أكتب غير الصريح القاطع الدلالة؛ وما أبالي بعد أأرضيت بالحق الساطع فئة أغواها شيطان الصوفية، فصفدها بأغلاله وراء ركه المغذ السري إلى هاويتي الدنيا والآخرة: الشرك وغائر الأعماق من سقر.

ما أبالي أأرضيت بالصدق فئة تلمست توحيد الله في شرك الصوفية؛ والإيمان في كفرهم.

أم أثرت غضبهم عارماً، وحنقهم متلظى الأحقاد؛ فما نكتب لنرضي فريقاً؛ وإنما ليتبين الحق أبلج، والحقيقة ساطعة، ابتغاء وجه ربك ذي الجلال والإكرام، مستلهمين الهدى، مستمطرين الرضى: ضارعين إليه أن يغفر لنا، إن دفعنا الحماس الديني وحمية الشباب إلى إغلاظ القول، وإن كان ربنا يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وما نغلظ القول طواعية، ولكنه الشعور الثائر الفائر؛ والحمية الملتهبة المستعرة، يدفعان القلب إلى أن ينفس عن ثورته فيصدع بالحق لا يحذر من قوته حياء؛ ولا يغض من سلطانه الباطش خجل، ولا يحول بينه وبين التدمير رعاية للشعور من أحد، فإن الذي تنفس به القلم لدين الله مبتغياً به وجه الله.

فما يثيرك - بل يكاد يسلبك رشذك - أن يتنمر الجاني عليك بقوله لك: أيها المجرم. وأن يقال لك - وأنت الموحد -: أيها الملحد المشرك. ما أقساها على النفس، ويا لله ما أشدها فجيعة ووجيعة: أن تكون الضحية هي الجانية، وأن

يوجبوا على القتل لثم خنجر القاتل!! أفيلام البريء إذا اشتكى ظالمه؟! وهل تلام الضحية إذا دلت على المجرم؟! هل يلام المؤمن الذي يستنصر ربه لدينه؟! أو إذا أذن بين المؤمنين: «ألا أيها النوام ويحكم هبوا» فقد استيقظ الشرك وعربد؟! أيلام الحارس إذا أمسك باللص؟!

بودي أن أهمس في أذن الساخطين الغاضبين للصوفية: أئذا أؤذي الله ورسوله رضيتم؟ وإذا أبرزت حقيقة الصوفية سخطتم؟!

تالله لقد عبد الصوفية الله بزعمهم بدم البغايا^(١) وبالسحت لطخته دماء مسفوحة الأعراض؛ يجمعون المال باسم السيد، وينكصون على أعقابهم إذا طولبوا بزكاة الله! ويظلون طيلة الليل معربدين في حلقاتهم الماجنة، وينامون عن صلاة الله! ويجترحون أدناً الآثام إرضاء - كما يزعمون - لقدرة الله! ويسفح الدرويش عرض الدرويشة، إذا جاءها بذلك الإذن من الله!!^(٢).

ذلك أهون ما يرتكب الصوفية من منكر في الأخلاق، فما بالك بكبائرهم فيها، وبما يجنونه على العقيدة؟!

استباحوا الشرك باسم الله؛ وسفحوا الأعراض باسم الله؛ تلك هي عقيدة الصوفية، وذلك هو بعض ما يعملون.

(١) قص لي صوفي تائب أن شيخه كانت أكبر دراويشه بغي، وكانوا كلما جاعوا أكلوا من كسبها الحلال!!

(٢) قال لي شاب تاب عن الصوفية: إنه راود درويشة عن نفسها فغضبت، ثم رضيت لأن الله أذن لها بزعمها!!

ولنعد إلى ما نحن بصده غير آبهين بقول القائلين، أو عزل العازلين:
أقول: قطع هذا الحديث النبوي الشريف بأن من هذه الأمة من سيتبع سننَ
اليهود والنصارى في أكبر الكبائر وأصغر الصغائر التي اقترفوها باسم الدين، ولطخوا
بقارها وجه الدين.

ولقد أردنا في مقالتنا هذه أن نشير إشارة عارضة - لا شاملة، ولا مستوعبة -
إلى ما جناه الناس على الإسلام مقتدين في ذلك باليهود والنصارى مصداقاً
للحديث الشريف: «لتتبعن سنن من كان قبلكم».



في العقيدة^(١)

قال النصراني: إن روح الله حلت في عيسى^(٢).....

(١) مجلة الهدي النبوي (٩/ ١٣٦٧).

(٢) اختلف المسيحيون قديماً في طبيعة المسيح؛ فكان جماعة - وعلى رأسهم رجل مصري نابغة اسمه أريوس - يؤمنون ببشريته، وأنه رسول، وبهذا الرأي الحق كان يؤمن أسقف نيقودنيه، وأسقف مقدونية، وأسقف فلسطين، وكنييسة أسيوط. وكانت كنيسة الأسكندرية هي التي تحاربه، فلهذا ولبعض أسباب أخرى اجتمع مجمع نيقية سنة ٢٢٦ وتدخل فيه إمبراطور الرومان، فقرر المجمع ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله، وأنه قديم بقدمه، وبعده عقد المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١، ويقول ابن البطريق في قرارته: «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين اجتمعوا في نيقية الإيوان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجّد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص وحدية في تثليث وتثليث في وحدية كيان واحد في ثلاثة أقانيم: إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة».

فتقرر التثليث إذن في هذا المجمع بعد هذا جهر نسطور بأن هناك أقنومًا وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الآب وتنسب إليه طبيعة الإنسان، وقد ولدت من مريم فمريم أم الإنسان وليست أم الإله؛ وينقل ابن البطريق رأيه فيقول عنه: «إن هذا الإنسان الذي يقول: إن المسيح بالمحبة متحد مع الابن ويقال: إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة»، فانعقد لهذا مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١، وقرر ما يذكره لنا ابن البطريق: «أن مريم العذراء والدة الله وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد في الأقنوم»، ثم اجتمع مجمع خليكودنيه سنة ٤٥١، وقرر للقضاء المبرم على نحلة نسطور ما يذكره أيضًا =

..... وقالت اليهود عزيز^(١) ابن الله... رغم أنه ورد في كتبهم - الموجودة بأيدينا اليوم - ما يقرر وحدانية الله؛ ففي الإصحاح العشرين من سفر الخروج يقول الله لموسى: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من بيت العبودية؛ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض؛ لا تسجد لهن ولا تعبدهن»^(٢)،

ابن البطريق: «أن مريم العذراء ولدت إلهًا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية».

هذه أهم المجامع التي أرست أساس العقيدة المسيحية في التثليث؛ ومنها نرى أن ألوهية المسيح لم تكن مقررة قبل هذه المجامع، ولا مجمعة عليها، مما يدل دلالة قاطعة على أن كتبهم حتى الزائفة منها ليس فيها تصريح قاطع بألوهية المسيح.

(١) عزيز هو الذي يسميه أهل الكتاب عزرا، وهو من كهان اليهود، ومن أبرع كتابهم، كان يسكن بابل سنة ٤٥٧، قدم وهو الذي جمع أسفار اليهود، وكان بعض يهود المدينة يطلقون عليه لقب ابن الله؛ روى ابن إسحاق وابن جرير وابن مردويه، عن ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وأبو أنس، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله. ومن المعلوم أن التوراة التي كتبها موسى ووضعت في تابوت العهد لم يجد منها سليمان حين فتح التابوت غير لوحين - كما جاء في سفر الملوك - وأن عزرا هو الذي سطر التوراة بعد النبي بالكلدانية ممتزجة باللغة العبرانية...

(٢) حتى في الإنجيل - الذي فيه تحريف - تحريم التماثيل لأي مخلوق، وتحريم اتخاذ الأوثان والأنداد.

لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي».

وجاء في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد».

ثم بعد ذلك يقول: «فقال له الكاتب: جيداً يا معلم؛ بالحق قلت، لأن الله واحد وليس آخر سواه» وفي سفر أشعيا من العهد القديم إصحاح (٤٥): «أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي، نطقتك وأنت لم تعرفني لكن يعلو من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري، أنا الرب وليس آخر».

وفي إصحاحه (٤٦) يقول: «اذكروا الأوليات منذ القديم، لأنني أنا الله وليس آخر؛ الإله وليس مثله مخبر منذ البدء بالآخر ومنذ القديم بما لم يفعل».

وفي إنجيل متى من إصحاحه التاسع عشر نجد هذه المحادثة بين المسيح وأحد الفريسيين: «قال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله».

وفي إنجيل يوحنا، يعترف برسالة عيسى في الإصحاح (٨): «إني خرجت من قبل الله لأنني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني» والمتحدث عيسى.

وفي إصحاحه (١٧) اعتراف أصرح، يخاطب عيسى ربه بقوله: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

من هذه النصوص نعرف أن الاعتراف بوحدانية الله وأنه لا يصح أن يعبد سواه موجود حتى في الكتب التي بين أيدينا الآن، والتي ثبت التحريف فيها...

وهذا ما يقوله إنجيل برنابا في الفصل الثالث والتسعين يقول يسوع: «إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر، لأنني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام».

وهذا الإنجيل منسوب إلى قديس من النصارى، وكشف بين المسيحيين وفي مكاتب أناس لا يهتمون أبدًا بالكيد للمسيحية رغم كل هذا فالنصارى يؤمنون بالوهمية المسيح، بأن روح الله حلت فيه؛ ويؤمن اليهود - غضب الله عليهم ولعنهم - بأن عزيزًا ابن الله... فهل آمن بمثل هذا بعض المسلمين - أستغفر الله - بعض من يزعمون أنهم مسلمون، بل سادة المسلمين وزعماءهم؟

إن الله عند النصارى تجسد في عيسى، أما عند الشيخ الأكبر زعيم من الحقيقة العمائية - بفيض أسماء النور المبين - حقائق الوجود، وكانت حقيقة الحق عين الشاهد والمشهود. وقد أشار سيدي مصطفى البكري.

لهذا المعنى بقوله: «بعماء كنت به أزلًا بمحمد من جاء بالبلج... وذلك معنى فتح ظهور العالم من نور حقيقته»^(١)، يقول الرجل: إن الله كان وجودًا مطلقًا، ولما كان يحب نفسه؛ أراد - بسبب هذا الحب - أن يرى نفسه في وجود متعين، أي: في وجود محس؛ فظهر لنفسه في صورة هي الحقيقة المحمدية. وهو معنى بيت البكري في قصيدته المنبهجة التي يرتهاها الصوفية قبيل صلاة الفجر دائمًا زاعمين أنهم بها يستمطرون الله فرجه ورحمته!!

(١) ص (٩٠-٩١) من كتاب النفحات الأقدمية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية.

ويقول النابلسي في شرح صلاة ابن مشيش ما يأتي نصه: «ما صلى على محمد إلا محمد لأن صلاة العبيد عليه صدرت منهم بأمره من صورة اسمه، فميم اسم محمد رأس صورة آدم المكرم، وهذا الحكم جار فيها من آدم، فميم اسمه نطقت بالصلاة عليه، وكذلك كل عبادة صدرت من آدم ونبيه؛ فإنها بأمره ﷺ، إذ هو - تعالى - اسمه»^(١).

وما زال حتى اليوم يقال على المآذن: يا أول خلق الله. ويفهم المسيحيون أن الله خلق العالم بالكلمة التي هي عيسى متجسدة، ويفهم الصوفية - لا المسلمون لأن المسلمين يفهمون في محمد ﷺ أنه بشر رسول - في محمد أنه لولاه ما خلق الكون، وأن الموجودات خلقت من نوره؛ وفي مولد المناوي الذي ما يزال يتغنّى به إلى اليوم يقول: «لولاه ما كان ملك الله منتظماً». ويقول أبو الطيب الحسن بن يوسف في شرحه لصلاة ابن مشيش ما يأتي^(٢): «وإذا نظرت بعين الحقيقة؛ فما صلى على محمد غير محمد، فإن الله خلق آدم، وولده أجمعين على صورة حروف اسمه؛ كي لا يرى بالبصر إلا اسمه، فجعل الميم الأولى هي الرأس، والحاء هي البدن، والميم الثانية هي البطن، والدال هي الفخذان والساقان، وإنما خرجت النباتات، والبهائم، والآلات، والمعادن، والجواهر، والإناث، وسائر الأشخاص عن هذه الصورة المحمدية».

وفي كتاب الله هذه الآية القاطعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] لو اكتفى

(١) ص (٥٧١) من مجموع الأحزاب طبع تركيا.

(٢) ص (٥٩٢) من مجموع الأحزاب طبع تركيا.

بلفظ بشر فلربما ظن أنه بشر من نوع ممتاز غيرنا، ولكنه عقب عليها بـ ﴿مَثَلُكُمْ﴾ فكانت فصل الخطاب في أن رسول الله خُلِقَ مما خُلِقْنَا منه، فليس من نور، أو ليس روحًا من الله، أو ليس هو الله... فماذا يقول المسلم؟
أيصدق الله وكتابه أم ابن عربي وأذنبه؟!



عبادة الأولياء^(١)

يقول كارل هينرش بكر^(٢) في مقاله تراث الأوائل في الشرق والغرب؛ ما يأتي: «من الثابت أن الغنوص^(٣) قد أثر في إيجاد هذه الصورة التي صورتها العصور الوسطى المتأخرة لمحمد ﷺ، وكان سبباً - أيضاً - في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة؛ أما أولياء الله في الإسلام ففي مقابل الأرواح القدسية^(٤) في الهلينية، حتى إن محمداً - وهو نموذجهم الأعلى - ينتهي بأن يصبح هو العقل الأول

(١) مجلة الهدي النبوي (١٠، ١١ / ١٣٦٧).

(٢) ص (١٢) من التراث اليوناني ترجمة عبد الرحمن بدوي.

(٣) معناها الاصطلاحي: إدراك كنه الأسرار الربانية بوساطة نوع سام من المعرفة؛ يقابل الكشف عند الصوفية، والذي أعطاها هذا المعنى جماعة عاشوا في القرون الأربعة الأولى من الميلاد، ومنهم مسيحيون، ويهود، ووثنيون، منهم كليمانس ومرقيون، وكونوا من أخلاط الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والفيثاغورية والرواقية، والتفكير الشرقي الفارسي والسرياني واللاهوت اليهودي؛ كونوا من هذا كله نوعاً من الصوفية، وتعرف هذه النحلة بالوسطاء؛ فالذات الإلهية - عندهم - يصدر عنها العقل، ثم النوسه، ثم اللوغوس، ثم الأثرود برسي ويتلوها كائنات روحية، ويستطيع الإنسان عندهم عن طريق الخلاص أن يعود إلى الذات الإلهية.

(٤) هي الكائنات الوسيطة بين الإله والإنسان عند هؤلاء الهلنيين؛ والهلينيون هم الأغريق قبل أن يختلطوا بالرومان كان لهذه الأفكار أثرها أيضاً.

الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المخلص القدير...

وإلى جانب تأثير الأفكار الأفلاطونية المحدثه والفيثاغورية المحدثه في الفرق الصوفية المختلفة والذي يعيننا من هذا النص اعتراف رجل أجنبي بأن مظاهر عبادة الأولياء ليست من الإسلام، ويقول متز: «وأما إكبار الأولياء فهو مذهب نصراني أحدثه المتصوفة في الإسلام، وقسموا به الأولياء الذين هم ولاة العالم، وأصحاب الحل والعقد فيه إلى أقسام، فهناك الأخيار، والأبدال، والأبرار، والأوتاد، والنقباء، وهناك القطب أو الغوث»^(١).

وهذا رجل ثان أجنبي يعترف أيضًا بأن ذلك مذهب نصراني....

ويقول رونلديسن: «بالرغم من التوحيد المصرح به القرآن فإن الأمم الإسلامية لا زالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية، فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع البلاد الإسلامية هو تقديسهم قبور الصالحين، وفي هاتين القضيتين ساير العلماء اندفاع الرأي العام»^(٢).

ألا يخزى بعض ساداتنا العلماء إذ يرون أولئك الأجانب عن الإسلام يصدعون بالحق في هذه المسألة؟!... وبقدر ما يختلف الكاتبون عن الإسلام من فلاسفة الأجانب ومستشرقيهم؛ فإنهم يجمعون جميعًا على أمر واحد، وهو تشدد الإسلام في التوحيد، وأن التوسل بالأولياء وقبورهم ليس من الإسلام، فجولدزير في كتابه: تطور العقيدة والشريعة، وليون جوتييه في كتابه: المدخل إلى

(١) نقلًا عن كتاب الحركة الفكرية في مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة ص (١٠٢).

(٢) صفحة (٢٦٦) من كتاب: عقيدة الشيعة، تعريب ع. م، وتأليف راويت. م رونلديسن.

الفلسفة، وجوستاف لوبون في كتابه: تطور الحضارة، وهؤلاء الذين نقلنا عنهم الآن أجمعوا على أن عقيدة التوحيد جلية تمام الجلاء في القرآن، وعلى أن تقديس الأولياء، والتوسل بهم وبقبورهم مخالف لروح الإسلام، واعتبره ليون جوتييه تغيرًا خطيرًا في عقلية المسلمين. فما رأي السادة العلماء؟

وما رأي فضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا^(١) - المرشد العام للإخوان المسلمين - الذي كتب في مذكراته عن الدعوة والداعية في العام الهجري الماضي أن التوسل بالأولياء مسألة خلافية كقراءة الفاتحة أو عدمها بين الحنفية والشافعية، وأنها لا يجوز أن تفرق بين المسلم وأخيه المسلم؛ وإن كان الشافعي يجيز لنفسه الصلاة وراء الحنفي؛ فلماذا يتعد غير المتوسل عن المتوسل؟

ألا يرى فضيلته أن هذا رأي خطير يبعد بالإخوان عن حقيقة الدين الأولى؟ ألا يرى أن هذا الرأي واعتناق الأستاذ له، ونشره في جريدته السيارة يودي بكثير من عقائد الإخوان الذين يرون أن ما ينطق به الأستاذ لا ينطقه عن هوى؟

إن فضيلة الأستاذ يؤكد لنا أن أتباعه تزيد عن المليون، فما رأي فضيلته لو أن مليونًا اعتنقوا مسألة التوسل، وأباحوها، مؤكدين للدهماء أنهم هم المسلمون؟! وهل التوسل من الإسلام الذي تؤكد أنت أنه دين العزة، والقوة، والكرامة؟! وهل خضوع النفس في تدينها، وذلها لقبر، ولقبور عزة، وقوة، وكرامة؟!!

لعل فضيلة الأستاذ يرجع نفسه، فيصدع بالحق، الذي نرجو أن يؤمن به هو في

(١) هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، ولد بمركز المحمودية بالبحيرة بمصر سنة (١٩٠٦م)،

وهو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وقتل سنة (١٩٤٩م)، له العديد من المؤلفات، لمزيد

تفصيل انظر كتاب: الإخوان المسلمون، للشيخ الفاضل علي الوصيفي. (ض).

طوايا نفسه، ويخشى أن ينشره؛ حرصاً على الجماعة. أما الحرص على دين الله...؟؟؟
والأستاذ المرشد - وفقنا الله وإياه إلى قدس رضاه وروحانية هداة - لا ريب
يحفظ من كتاب الله - ولا تبديل لكلمات الله -: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي
فَاقِنُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوهُ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤١-٤٢]،
ويتلو من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧٤].

أقم وجهك للدين حنيفاً يا فضيلة الأستاذ؛ ولا تنس أن عليك تبعة هؤلاء
النفر، الذي يلهمهم التحمس لك، والذباد عنك؛ قلها مرة مبتغياً بها وجه الله؛ ولا
تغرنك هذه الكثرة الكاثرة، ولو أعجبك كثرة الخبيث؛ ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إنك تجعل الرسول زعيمك، والقرآن إمامك، أفمن رسالة زعيمك التوسل
بالرسم الشوهاء، والجلاميد الصماء؟! (١)

(١) هناك أنواع من التوسل يفعلها الناس - منها ما يبلغ حد البدعة، ومنها ما يبلغ حد
الشرك - ظناً منهم أنهم يتقربون إلى الله سبحانه بها، وما علموا أن التقرب إليه إنما يكون
بما شرع لا بالأهواء والبدع.

فمن أنواع التوسل البدعي: طلب الدعاء من الميت، كمن يأتي إلى ميت مقبور لا يملك لنفسه
ضرراً ولا نفعاً، ويطلب منه أن يدعو الله له بأمر، كشفاء مريضه أو كشف كربته؛ والدليل
على بدعية هذا التوسل انتفاء الدليل على جوازه، والعبادة إنما تكون بالاتباع لا
بالابتداع، ويدل أيضاً على بدعية هذا النوع من التوسل: أن الصحابة - وهم الأكثر

وهل في آية من إمامك القرآن ما يبيح لك إحناء الهامة، وذل الضراعة لمن
ضره أقرب من نفعه...؟!

إنك تريد الآلاف بل الملايين... ولكن أتريدهم مؤمنين، يبنون صرح الإسلام

علمًا، والأشد اقتداءً بسيد الخلق - لم يفعلوا ذلك ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، حتى إن
عمر رضي الله عنه عندما حصل قحط بالمدينة قدّم العباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله ليدعو الله بالسقيا، ولم
يطلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله في قبره، لِمَا يعلم من عدم جواز ذلك.

ومن أنواع التوسل التي ابتدعتها الناس وهي شرك بالله عز وجل: طلب كشف الكربات وقضاء
الحاجات من الأموات، أيّا كان ذلك الميت رجلًا صالحًا أو نبيًا مرسلًا، ذلك أن الدعاء
هو العبادة، والعبادة لا تصرف إلا للخالق الرازق سبحانه، فدعاء غير الله شرك ومذلة،
قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فأمر سبحانه أن يكون الدعاء له، ورتب الإجابة على
ذلك؛ وقال أيضًا: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسُطُ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ومن أنواع التوسل البدعي: التوسل بالجاه والذوات؛ كالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وآله، أو غيره من الخلق.
ومن أنواع التوسل البدعي أيضًا: الإقسام على الله بفلان من الصالحين أو الأولياء.
فهذه أنواع التوسل في الدعاء وأحكامه، فينبغي للمسلم أن يحرص على المشروع منه، وأن
يجتهد في دعاء الله في أحواله كافة، حتى يعلم الله منه صدق افتقاره إليه فيجيبه ويغيثه؛
وعلى المسلم أيضًا أن يجتنب التوسل البدعي، وأن يتعد كل البعد عن التوسل الشركي،
فإنه الأخطر على دين المسلم وعقيدته [لمزيد تفصيل: انظر كتاب: قاعدة جليلة في
التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله].

عالي الذرى؟ أم تريد لهم هكذا، بأيديهم يهدمون ما بقي من أطلال الدين...
علمهم يا شيخ أن الله وحده هو ربهم القوي العزيز، يفزعون إليه ويلجأون
إليه، ويقيمون الوجوه له سبحانه خاشعة خاضعة.

أهناك خلاف في أن المشرك ليس بمشرك؟ أهناك طيف شبهة تجعل من يدعو
غير الله مؤمناً بالله؟!!

اسمعه نصيحة من شاب كأحد بنيك: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

فَاتْلُ كِتَابَ اللَّهِ لِلْهَدَى، وفتش في سنة رسول الله، وحسبك هذه الآية
القاطعة الدلالة: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

هذه دعوة مخلصة خالصة، ولعل فضيلة الشيخ يتقبلها بقبول حسن، فيهتف
بالحق الساطع: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ
شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ونعود إلى ما بدأنا به، فنقول: في شريعة أهل الكتاب، حتى التي حرفوها،
وزيغوا في الكثير من دلالاتها، كان التوسل محرماً؛ كان اتخاذ الأنداد من دون الله
كفراً، كان التوكل على غير الله، انتزاعاً للنفس من حقيقتها الإيمانية المطهرة،
واسمع ما في المزمور السادس والأربعين بعد المائة: «لا تتكلوا على الرؤساء، ولا
على ابن آدم، حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه، فيعود إلى ترابه، في ذلك اليوم
نفسه تهلك أفكاره؛ طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه على الرب إلهه الصانع
السموات والأرض، والبحر، وكل ما فيها».

وفي الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج يقول: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي؛ لا تصنع لله تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، تسجد لهن، ولا تعبدهن».

أوقن أن كل قارئ يحترم عقله، ودينه يؤمن معي بأن هذه النصوص - فضلاً عن آيات القرآن - قاطعة في تحريم التوكل على غير الله، وفي تحريم اتخاذ الأنداد لله. وفي هذا النص: «ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده، تخرج روحه فيعود إلى ترابه، في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره»، في هذا النص توجيه للنفس إلى حقيقة ملموسة، وهي أن ليس بيد إنسان شيء من قدر الله؛ وكل إنسان ينقطع عمله بموته. أسأل الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان: ألا يخزون؟ ألا يخزون إذا

يرون الباطل ينطق بالحق؟ ويسمعون الكذب يعترف للصدق؟

ألا تخزى عقولهم؟ وهذا كتاب محقر لديهم، ينطق بالحق أكثر مما ينطقون؟! ورغم هذا بدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم، فرأوا في قساوستهم، ورهبانهم، وأخبارهم، رأوا فيهم أرباباً يفزعون إليهم إذا حاق بهم الضر؛ رأوا فيهم وسطاء بينهم وبين الله، لا يصلون إليه بغير طريقهم؛ وجعلوا من خصائصهم غفران الذنوب، وقبول الطاعات، ويظل الواحد منهم نجساً، حتى يعمده قس؛ وإذا حضر أحدهم الموت استدعوا له قسيساً ليعترف بين يديه المحتضر بخطاياهم ليغفرها له.

إخال أن القارئ المؤمن تستفزه الآن الحمية لربه، ولكن رويدك، فكفر النصراني إذا قيس بدين من زعموا أن الله شركاء في صورة الأقطاب والأوتاد يتصرفون في ملكه كان إيماناً!! فالنصارى واليهود ما اعتقدوا في قسيس، ولا حبر أن له القدرة المطلقة على كل شيء، ولا زعموا أن له تصرفاً في الكون، ولا منحوه

تلك السلطة العظمى، التي يدين بها الصوفية لشييوخهم.

رويدك مرة أخرى، ولا تتهمني بالغلو فيما أذكر، فما عودتك المغالاة، وتعال اقرأ معي ما يقوله صاحب كتاب: النفحات، مفتخرًا بأربابه: «قل لبعض الصوفية: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير»^(١).

فهذا صوفي يزعم لنفسه القدرة المطلقة الشاملة لكل معاني القوة والقدرة، بيديه يحيي الميت، ويميت الحي و.... و....

وتعال اقرأ معي: «قل لأبي السعود، تلميذ الغوث الجيلاني: هل أعطاك الله التصرف في العالم؟ فقال: نعم، منذ خمسة عشر سنة، وتركته للحق - تعالى - تظرفًا، قال الشيخ الأكبر: «ونحن تركناه أدبًا ومعرفة»^(٢).

وقال ابن عربي: «قال أبو السعود لأصحابه المؤمنين به: إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة، وتركته تظرفًا. هذا لسان إدلال، وأما نحن فما تركناه تظرفًا - وهو تركه إيثارًا - وإنما تركناه لكمال المعرفة»^(٣)!!

- ^(٤) وأظن أن النصارى، واليهود ما بلغوا في كفرهم إلى هذا المدى، التائه في تيه الضلال، ولا هووا إلى هذا الغور السحيق من الشرك، وإلا بربك قل يا من

(١) ص(٦) من كتاب النفحات الأقدسية، طبع سنة ١٣١٤، أعني في القرن الذي نعيش فيه، لا في القرون الوسطى، حتى لا نتهم بنش قبور الصوفية، وطبع هذا الكتاب في مصر نفسها.

(٢) ص(٧) من كتاب النفحات.

(٣) صفحة (١٢٩) من كتاب فصوص الحكم، تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي، طبع سنة ١٩٤٦ م.

(٤) مجلة الهدي النبوي (١١/ ١٣٦٧).

لك إثارة من عقل: بم تحكم على قوم يفهمون في مشايخهم هذا الفهم؟ أسيظل الضلال رائيًا على عقلك؟! وسلطانهم باغيًا عليك؟! فتزعم أن هذه رموز لا ندري معناها!! ويلك ويلك، وأين صراحة البيان إذن إذا كانت هذه النصوص رمزية؟ أعتقد - ولست مخطئًا - أن هذه النصوص أصرح من الصراحة، وأبين من البيان على أن أولئك شر من اليهود، والنصارى في كفرهم.

ويروي الشعراني في كتابه العهود المحمدية^(١) - أو البعرائي كما يلقبه أستاذنا الرئيس - أن الشيخ يوسف العجمي، طلب من النهر أن ينقلب لبنًا؛ فأصبح لبنًا! وزعم الشعراني، أن الأولياء - وهم موتى - قد أوتوا القدرة على تربية المريدين، ومن هؤلاء السيد البدوي، فإن مريديه يسمعون صوته منبعثًا من قبره، وكان الشناوي يستشير في كل أموره^(٢).

ولهذا يوجب الشعراني على المريد أن لا يعصي شيخه، ولو أمره بعصيان رسول الله ﷺ، ولماذا لا يكون كذلك، وأقطاب الصوفية الذين يقدسهم الشعراني، كانوا لا يقيمون الصلاة، كأمثال: الدشطوطي، وإبراهيم المتبولي، والخواص، بل إن الدشطوطي سافر إلى الحج، ولم يدخل الحرم^(٣).

وأوجب الشيوخ على السالكين الخضوع لأوامرهم، ولو كان فيها معصية لله،

(١) ص (٢٠٥) العهود المحمدية.

(٢) لطائف المنن (ج ١ / ص ٢٨٩).

(٣) اليواقيت والجواهر (ج ١ / ص ١٢٥)، درر الغواص ص (٥٥-٥٦)، الطبقات (ج ٢ / ص ١٢٥)،

وخروجاً على قواعد الدين، بالفطر في رمضان، وترك الصلاة^(١)؛ وإذا أشرك المرید بشيخه شيخاً آخر كان كمن يشرك بالله^(٢)؛ وحق ما يقول الدكتور توفيق الطويل: «ومن هذا نرى أن الولي لم يكن في عرفهم إلهًا صغيرًا، بل كان أعظم من ربهم الذي يدعون الفناء في حبه، والحياة من أجله»^(٣).

ومن ذلك الكفر الخبيث المظلم، نقتبس من نور القرآن قبس إيمان، وتوحيد فنذكر بعض آياته، فهي الحق، وهي الفصل، وهي الحكمة. يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ، الذي اهتدت برسالته الإنسانية الحائرة: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، هذا رسول الله ﷺ وهو مَنْ هو معرفة لربه، وقرباً من ربه، وحباً لربه، وعبودية لربه، يقول له الله تعالى: إنه ليس له من الأمر شيء، ويقول أمراً له: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]. ويقول: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

ويقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]. ويقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [الرعد: ١٦]

ويقول: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبا: ٢٢]. ويقول لمن يدعو الأموات من صالحين وغيرهم: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ

(١) السير إلى الله، ص (١٥١٩).

(٢) قواعد الصوفية، للشعراني ص (١٥٤-١٥٥).

(٣) التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص (١٩٨ / ط ١٩٤٦)، تأليف الدكتور توفيق الطويل.

وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يُنِتُّكَ مِثْلُ خَيْرِ ﴿١٤﴾
[فاطر: ١٤]. صدق الله العظيم.

قطعت الآيات أن رسول الله ﷺ وهو أكمل البشر، وأعظم نبي، وأسمى رسول، ليس له من الأمر شيء، فهل يكون لأبي السعود التصرف في الكون؟ هل يكون للبدوي أن يسمع لك في قبره، ثم يحبك على سؤالك؟ بالله حكم عقلك أيها المتوسل المسكين، وقد قطعت أنه ﷺ لا يملك لنفسه، ولا لغيره ضرراً، ولا نفعاً، ولا إضلالاً، ولا إرشاداً، فهل يكون ذلك لمشايخ الطريق؟. وقد تقرر أن التوحيد هو أن تدعوا الله وحده، كما تقرر أن هؤلاء الذين يدعونهم في قبورهم لا يسمعون دعاءهم. وأنهم سيكفرون بشركهم يوم القيامة. تلك نفحة من روح الإسلام الحق، وهذه إشعاع من نوره الإلهي الأعظم، فقارن بينها وبين ما سبق من زندقة الصوفية، أفلام إذا أعلنها حرباً شعواء لا هوادة فيها على الصوفية الذين أحالوا الدين مسحاً مشوهاً، رأسه مجوسية ووسطه يهودية وأذناه نصرانية؟ بالله قل لي ماذا يكون وجه المسلم إن جاءه نصراني وقال له: أنتم تلومونا على أننا جعلنا المسيح إلهًا. وهذا شيخكم ابن عربي الذي تلقبونه بأنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر يجعل عجل السامري إلهًا، ويجعل الكلب والخنزير إلهًا، ويجعل من كل شيء إلهًا؟ ماذا نقول؟ أأست معي في أن من الواجب علينا أن نبرأ كل حين من الصوفية خير من أن نبرأ من الإسلام أو يبرأ منا الإسلام لحظة واحدة. أشهد الله أني مؤمن به وبكتابه ورسوله كافر بالصوفية.



اتخاذ أشباه العلماء والدراويش أرباباً

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. ذلك عن اليهود، والنصارى، والخبر عالم اليهود، والراهب من طبقة العباد من النصارى.

أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم، قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن» وسمعتة يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٣١] فقلت: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «أليس كانوا يحرمون ما أحل الله تعالى فيحرمونه، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه؟» فقلت: بلى. فقال: «ذلك عبادتهم»^(١).

قال في الدر المنثور: أخرج هذا الحديث الترمذي وحسنه، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في سننه^(٢)، وذكر الحافظ ابن كثير أنه أخرجه أيضاً أحمد.

قال في روح المعاني: الآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه لكلام علمائهم ورؤسائهم، والحق أحق بالاتباع، فمتى

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، برقم: (٣٠٩٥)، من حديث عدي بن حاتم

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في غاية المرام (٦).

(٢) صحيح: صحيح سنن الترمذي (٣٠٩٥).

ظهر وجب على المسلم اتباعه وإن أخطأه اجتهاد مقلده. اهـ.

وقال الربيع: «قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: إنهم ربها وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحرار والرهبان، فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى».

والآن وقد توضح لديك فهم الآية الكريمة، فاليهود والنصارى لم يسموا علماءهم ولا رهبانهم أرباباً. ولكن ليس المهم في الاعتقاد ما تسمى به، وإنما المهم ذلك الشعور النفساني الذي تموج به نفسك نحو من تطيعه أو تعظمه.

فأنت إذا عاملت شخصاً بما هو حق خاص للرب فقط كالذل والحب وناديته حتى بيا عبدي، فقد جعلته - رغم ذلك - رباً لك. فكثير من الجهلاء يقولون: إن عباد الأصنام سموها آلهة. أما نحن فنسميهم أولياء!! ليست التسمية بفيصل بين الشرك والتوحيد، ولكن الاعتقاد ونوعه في ذات المسمى هو الفيصل.

واعتماد عباد الأصنام فيها واعتقاد عباد الأولياء فيهم واحد، وإن اختلفت التسمية، الأصنام وسطاء وشفعاء، والأولياء كذلك، فلا فرق بين الشركين. وهؤلاء هم اليهود وأولئك هم النصارى ما سموا علماءهم ولا متصوفيهـم أرباباً، ولكن الله دمعهم بأن جعلهم ممن اتخذوا بعض البشر أرباباً، لا لشيء إلا لأنهم عاملوهم معاملة الأرباب، وهي التقديس والتعظيم والطاعة الكبرى لهم، ولذلك قال لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]

بتقديم فتاويهم في الدين على كتاب الله.

وأنت - رَحْمَنِي اللهُ وإياك - لو أَجَلْتُ النظر في الأمم الإسلامية؛ لرأيتهم في

شر مما وقع فيه اليهود والنصارى، فلا تجد منهم - إلا من عصم الله وقليل ما هم - من حجته كتاب الله أو سنة رسوله، بل تجد من حجته الدردير أو الخرشي أو القدوري أو أبو شجاع... ويا ليت أولئك المقلدين كانوا من العامة، إذن لعذرناهم بجهلهم ولكنهم من سادة العلماء. حتى إذا جبهتهم بأن في كلام شيوخهم ما يخالف القرآن والسنة صاحوا في وجهك: ومن أنت حتى تستنبط من كتاب الله حكماً لك في دينك؟! في حين أن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، ويصف الله القرآن بأنه: ﴿بَيِّنٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨] والناس فيهم لفظ عام لكل إنسان.



تردي الأمة في مهاوي التقليد^(١)

لقد بلغ التقليد بالعلماء حدًا جعلهم يرون أن من خرج من مذهب إلى مذهب يجب تعزيره، واسمع ما يقوله الشيخ العلامة المقبل فيما أحدثته المذاهب من تفريق الكلمة الإسلامية، وما أورثته من بغضاء وشحناء في قلوب المسلمين: استحكمت مفسدة التفرق وأعيت كل طيب إلى أن صار جماعة يصرحون بالتزام مذهب معين، وربما صرح بعضهم بوجوب ذلك، ويسمون ترك ذلك تخبطًا، حتى رأيت لبعض المفتين من أهل مكة في العصر القريب منا، وقد سئل عن رجل انتقل من مذهب إلى مذهب، فقال: المنتقل بحجة وبرهان يجب تعزيره، كيف المنتقل بلا حجة ولا برهان؟ - هكذا ذكره -.

فانظر إلى أين تدرج الباطل، وكل زمان يرحم على ما قبله، نسأل الله العافية^(٢). وفي كتاب المغرب لابن سعيد في سنة ٣٢٦هـ عاد أصحاب مالك والشافعي إلى القتال في المسجد الجامع العتيق، وكان في الجامع للمالكيين خمس عشرة حلقة، وللشافعي مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث فقط، فلما زاد قتالهم؛ أرسل الإخشيد من نزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع، فكان لا يفتح إلا في أوقات الصلاة^(٣).

(١) مجلة الهدى النبوي (١٢ / ١٣٦٧).

(٢) العلم الشامخ لصالح بن مهدي المقبل، علامة اليمن ص (٢٢١) ط (١).

(٣) (ص ٢٤ / ج ٤) فانظر من أي عهد كانت هذه المذاهب سببًا في التقاتل بين المسلمين. من عشرة قرون أو أكثر.

بل لقد بلغ الخلاف حده حتى أصبح الحنفي لا يجيز زواج ابنه من شافعية، ولكن حنفياً آخر رد عليه بقوله: يجوز قياساً على الذمية! واغش المساجد الكبرى؛ وسيروك أن تجد هنا صلاة جماعة، وهناك أخرى، وفي الضريح الثالثة، وتساءل عن السبب، أهم يهود ونصارى؟ أهم كاثوليك وبروتستنت.

فيقال لك: كلا، بل شافعية وأحناف، وكل جماعة تبطل صلاة الأخرى.

ولقد وقع معي وأنا طالب في طنطا أن صليت الصبح وكنت إماماً. فما راعني إلا أن رأيت المؤتمن ينفضون لاعنين ساخطين على «حتة العيل» الذي لا يدري كيف يصلي، وسألت عن السبب.

فقل لي: لأنك لم تقرأ السجدة ولم تسجد!

وفي الأزهر يکید أصحاب كل مذهب لأصحاب المذهب الآخر، وهناك أوقاف وقفت لمن يتبعون مذهباً معيناً.

وفي عقود النكاح تسمع المأذون يقول: «زوجتك إياها على كتاب الله وسنة رسول الله، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان».

يا رحمتاه!! يا رحمتاً للسالفين، لم تنفع عقود نكاحهم؛ لأنها لم تك على ذلك المذهب. أرايت إلى أي حد بلغ التفريق؟ إلى أي مدى بلغ جرم التقليد؟

بل في مصر لا يجوز أن يتولى القضاء إلا حنفي المذهب.

وهكذا فرقت المذاهب بين المسلمين؛ حتى أصبحوا يتعادون، ويتلاحون لا لشيء إلا لأن هذا مالكي وذاك شافعي.

والأئمة رضوان الله عنهم برءاء من ذلك كله، وما طلبوا من إنسان تقليدهم، بل نعوا أشد النعي على مقلديهم.

وإليك ما قال الأئمة في هذا، قال ابن حنبل: «لا تكتبوا عني شيئاً، ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلائناً وفلائناً، وخذوا من حيث أخذوا». ويقول مالك: «إنما أنا بشر أخطيء وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه». وقال الشافعي: «إذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولي، فخذوا السنة ودعوا قولي».

وقال أبو حنيفة: «ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس، وما جاء عن أصحابه اخترنا، وما كان من غير ذلك فنحن رجال وهم رجال»^(١). أرايت إلى هؤلاء العلماء كيف طالبوك بجعل حجتك من كتاب الله، وسنة رسول الله، وبعدم تقليدهم في شيء؟ أرايت إلى كرامة المؤمن الفكرية كيف تتجلى في كلمة أبي حنيفة: «نحن رجال وهم رجال»، ومع ذلك وجد من يقول بأن لا بد من مذهب، ومن لا مذهب له فشيخه الشيطان.

حتى لقد أصدر علماء الحنفية فتوى بإغلاق باب الاجتهاد من سنة (٤٠٠هـ)!! بل قال النووي: الاجتهاد نوعان: مستقل، وقد فقد من رأس المئة الثانية، فلم يمكن وجوده. ومنتسب «يعني المجتهد في مذهب معين، وهو باق إلى أن تأتي أشرط الساعة»^(٢).

(١) رسالة المؤمل في الرد إلى الأصل الأول ص (١٤ - ٢٣) لأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ.

(٢) كتاب الفكر السامي للحجري الربع الرابع ص (٢٦٥).

يعني النووي بهذا أن الاجتهاد محصور في داخل المذاهب فقط، أما أن تجتهد لمذهب جديد، فذلك قد انقضى عهده من رأس المائة الثانية. وهكذا يضيقون رحمة الله، ويحجرون على العقول، ويأبون إلا تصفيد الأبواب بأغلال التقليد، الذي حاربه الإسلام كما حارب الشرك، فالتقليد أس كل بلاء.

وما استمسكت أمة بالتقليد إلا وقفت في مكانها جامدة متحجرة، لا تناسمها حضارة، ولا يرف عليها إشراق من حرية الفكر الصحيحة... أما كلمة العقل الحر، الذي لا يتقيد بغير ما أنزل ربه، ولا يتأسى بغير رسوله العظيم، فهي كلمة عز الدين ابن عبد السلام، إذ يقول عن الأئمة الأربعة: «لم يكونوا رسلاً لا تجوز مخالفتهم»^(١)... تلك كلمة حق، فهل يسمعها من له قلب؟...

(١) الفكر السامي الربع الرابع ص (٢٤٠) ونحب هنا أن نقص قصة صغير للسادة العلماء؛ ليعلموا إلى أي حد كان العلماء من قبل هم القادة، وهم الزعماء، وكانوا بحيث ترتعد فرائص الملوك فرقا منهم:

في يوم قال ابن عبد السلام لأحد سلاطين بني أيوب: ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك مصر، ثم تبيح الخمر؟

فقال السلطان: هل جرى هذا؟ قال: نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمر.

فقال السلطان: يا سيدي، أنا ما عملته، هذا من زمان أبي. فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون:

إنا وجدنا آباءنا على أمة، فرسم السلطان بإبطال الحانة، وسئل الشيخ بعد ذلك: أما خفته؟

فقال: والله يا بني لقد استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط.

طبقات السبكي (ج ٥ / ص ٨٢)، ترى كم في مصر من حانة، وماخور، ومرقص تسفك فيه

الأعراض، وكم في مصر من العلماء؟

تلك حال الناس في الأمم الإسلامية: تقليد حتى لمن ثبت أنهم كانوا زائفي العقيدة، واتباع كل ناعق بلا روية، أما سنة الرسول فقد ضربوا بينهم وبينها ألف حجاب.

اخلع أيها الرجل عصابة التقليد من على عينيك وانظر: إن تحت قدميك هوة سحيقة تؤدي بك إلى جهنم... ثم اسمع قول ربك: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]...

وتعال معي نسمع حديث المسلمين في العقيدة هنا في مصر، وفي الأزهر، وتسمع: نحن أشعريون في العقيدة. أعني: أتباع الأشعري في عقيدته. وهناك في أمة أخرى تسمع غير ذلك...

وتسأل أنت من أبو الحسن الأشعري؟ أرسول يجب الاقتداء به؟ أصحابي قد تعذر باتباعه؟ أرجل جعل حجته الكتاب والسنة؟

أم ما هو الأشعري؟ ومن يكون؟

أجاب عن هذا السؤال العلامة المقبل في كتابه: العلم الشامخ ص (٢٢٣): «أما الأشعري، فأين أثره الصالح في الكتاب والسنة، الذي انتفع به منتفع، واهتدى به متبع؟ إنما جاء منه هذه الأنظار الشائنة لهؤلاء الكهنة؛ لما قدموه على نفوسهم، وآثروه على فطرة الله التي فطر الناس عليها».

هذا بينما يجعل ابن السبكي وتابعه القاضي زكريا في اللب أن من العقائد ما ينفع علمه ولا يضر جهله، وجعل من القسم الأول أن يعلم أن الأشعري إمام مقدم في السنة... فياويل من تقدم الأشعري... ويا ويحك يا عمر. ذهبت إلى ربك ولم تعلم بذلك؟!!

هذه الكتب الأشعرية تدرس الآن في الأزهر، على أنها تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة. على أنها هي التي يجب أن يمتلئ بها القلب لينجو صاحبه من نار الخلود. ولو أنك تصفحت هذه الكتب لهالك ما فيها من وثنية؛ لهالك ما تبثه من مجوسية، لهالك أن ترى فيها كل شيء إلا العقيدة الصحيحة، وهكذا يخرج الأزهر علماء لهداية الأمة.

ونحن لو تأملنا كتب الأشاعرة، وامتحنا على ما فيها عقائد المسلمين الصحيحة؛ لوجدنا أن كتب الأشاعرة تحكم عليها بالزيغ والإلحاد، واسمع ما يأتي من كتاب: المقاصد، وهو أهم كتب الأشاعرة (ج١/ ص٣١٨): «أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هي الجواهر المفردة، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف؛ ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة، وإنما الاختلاف بالعوارض. وهذا أصل ينبنى عليه كثير من قواعد الإسلام؛ كإثبات القادر المختار، وكثير من أحوال النبوة والمعاد». تأمل أيها القارئ الكريم كيف يؤكد الأشاعرة أن لا بد من هذه النظرية: نظرية الجوهر الفرد أو الذرة أو الجزء الذي لا يتجزأ^(١)، وكلها بمعنى واحد.

لا بد من هذه النظرية الفلسفية، لكي يثبت كثير من أهم أصول الإسلام. لولا نظرية الجوهر الفرد ما ثبت وجود الله القادر المختار، ولا ثبت نبوات ولا ثبت يوم القيامة!.

(١) من أراد زيادة اطلاع على هذه النظرية وعلاقتها بالفكر الإسلامي، فليقرأ كتاب: «مذهب

الذرة عند المسلمين، وعلاقته بمذاهب اليونان والهند» تأليف دكتور بينيس، ترجمة الأستاذ

محمد أبو ريدة، وقد تحطمت الذرة وتحولت إلى إشعاع؛ فماذا يقول الأشاعرة؟

يا ترى كم من المسلمين بل حتى من العلماء الأزهريين يفقه حقيقة هذه النظرية، التي بدونها لا يثبت الإسلام؟

أكان يعرفها رسول الله؟ كلا، وإلا لبينها ليثبت لنا بها القادر المختار، وأنه نبي، وأن هناك قيامة، أعرفها عمر؟ أعرفها ابن حنبل؟ أعرفها مالك؟ أعرفها البخاري؟ واكتفي بهذا، وللقارئ الكريم أن يتصور إلى أي مدى، بلغنا في حسن الاعتقاد نحن الأمم الإسلامية؛ هذه النظرية الفلسفية ما ابتدعها الأشاعرة؛ وإنما سرقتها، سرقة ظاهرة من فيلسوف يوناني قبل سقراط اسمه ديمقريطس؛ كان ينكر أن للإله تأثيراً في الخلق؛ فاخترع هذه النظرية؛ ليثبت أن العالم خلق صدفة.

فالعالم من قبل كان ذرات تعصف بها الحركة منذ القدم. هذه الذرات تتحرك بانحراف قليل. فتلاقت ذرات فوجدت الأرض، وتلاقت أخرى فوجدت الشمس، وهكذا نشأ العالم كله دون أن يخلقه إله... هذه هي النظرية، وذلك هو الفيلسوف القائل بها، وتلك هي عقيدته.

ومع ذلك يزعم الأشاعرة أن لا بد منها؛ ليثبت وجود الله والنبوة والقيامة! تقليد في الفقه لإمعات، وتقليد في العقيدة لمن ليست لهم عقيدة، ذلك حال المسلمين اليوم.

أما الصوفية فلسنا في حاجة إلى أن نشير إلى أنهم يقلدون دراويشهم، حتى في معصية الله، فضلاً عن كبار مشايخهم، أما الحكومات الإسلامية فتبيح البغاء والميسر والفسق، وتحكم بغير ما أنزل الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. تحكم بقانون نابليون، وقانون فلان وعلان، ممن عرفوا بالمروق والإحاد؛ فجعلوهم آلهة، فأضحت الأمم الإسلامية شرّاً في

كفرها^(١) من اليهود والنصارى!!!...

ما قلد اليهود، والنصارى في دينهم غير علمائهم، أما الأمم الإسلامية، فأبت إلا أن تقلد الملحدین الزنادقة من غير جنسهم، فإذا دعيت إلى كتاب الله أعرضت؛ أي زان في مصر يجلد اليوم، ويفضح؟

إن الزناة في مصر هم الذين يدوي بأسمائهم هتاف المجد.. أي مراب في مصر يجزى عن خبثه؟ أي سارق تقطع يده؟ أي وأي وأي؟؟ واهًا لمصر!! وواها للشرق الإسلامي كله، يحادون الله ورسوله، ويشاقونها، ثم يسألون الله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠]... ويعجبون لماذا يستغلهم عدوهم، ويستعبدهم الاستعمار؟ يا قوم: في عقائدكم، وسيركم جواب ما تجهلون، أو ما تتجاهلون.

لقد طبق محمد ﷺ القرآن تطبيقًا صحيحًا، فكانت تلك الأمة التي أَلْتَفَتَ لها مهللًا الكون، وطبقه من بعده أصحابه، فانظروا، إنه لم يمض قرن حتى كانت الإمبراطورية الإسلامية أوسع من أية إمبراطورية اليوم، فقد رف لواؤها الخفاق بالبصر إلى ما وراء الهند، وكان ظلّه الرفاف هنالك في أسبانيا. فإذا شئتم أن تكونوا سادة العالم وحكامه، فإليكُم كتاب الله؛ طبقوه كما صنع الصديق، وكما فعل عمر، أما أن تحكموا بقانون وضعي من قوانين الزندقة، والإلحاد، والفجور، ثم تسألون وتتساءلون عن علة انحطاطكم، واستعماركم، فذلك هو الجهل، بل ذلك هو الحمق والغباء.



(١) من باب كفر الصفة، وليس من باب كفر العين. (ض).

تحريف الكلم عن مواضعه^(١)

قرر لنا القرآن الحكيم أن أهل الكتاب كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه... وقد أخبرنا الرسول ﷺ أننا سنتبع سننهم، وقد وقع من زمن بعيد، وما يزال يقع حتى اليوم أن المسلمين بالاسم حرفوا كلام الله ورسوله عن مواضعه في جرأة غير مبالية، وعتو مستكبر جاحد، والذي قام بهذه الحركة الهدامة؛ هم علماء الكلام، وكثير من الفقهاء الذين جعلوا للرأي القيمة الأولى، والصوفية^(٢).

وكان من أشدهم غلوًا في التحريف: هم الصوفية؛ إذ كان تحريفهم لا يشهد به عرف، ولا تقره لغة، ولا يستقر بقلقه نوع من المجاز. حرف علماء الكلام أي الله عن مواضعها، فجردوا الله من صفاته، أو شبهوه بخلقه، فكان المعتزلة، وكان المجسمة، وحرف الفقهاء كلام الله عن مواضعه، فشرعوا لمقلديهم مالم يأذن به الله، حتى لقد قرأت: «تفل رسول الله وهو في الصلاة، فكتب تحتها شارحها: أعني وهو خارج الصلاة»!!.

وحرف الصوفية كلام الله عن مواضعه، فكان تحريفًا هو الجريمة النكراء، والداهية الصماء، التي طوت العقيدة الصحيحة، وأظهرت للناس مجوسية على

(١) مجلة الهدي النبوي (١ / ١٣٦٨).

(٢) لم نضع الفلاسفة، وهم ممن حرفوا، لأن خطرهم غير بالغ، فحسبك أن تذكر لعامي أن فلاّنًا فيلسوف حتى ينفر منه، أما غيرهم فيجعلهم أربابًا له، بخاصة الصوفية، فالصوفية عند العامة، بل العلماء أيضًا، رمز عن الروحية السامية، وتجلي الحقائق العلوية، من عوالم الملكوت، والجبروت، والملك، للصوفي المحترم!!.

وجهها قناع كتب عليه إسلام.

ولنضرب لك مثلاً من تأويلاتهم: قال عبد الكريم الجيلي في كتابه «الإنسان الكامل الباب السادس والثلاثين» ولهذا لما سأل الله عيسى فقال: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۖ﴾.

[المائدة: ١١٦]

يعني كيف أنسب المغايرة بيني، وبينك، فأقول لهم اعبدوني من دون الله، وأنت عين حقيقتي وذاتي، وأنا عين حقيقتك وذاتك، فلا مغايرة بيني وبينك. ويفسر ابن عربي ما يأتي بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦]. لأنك أنت القائل، وأنت اللسان الذي أتكلم به، فجعل هويته عين لسان المتكلم»^(١)، فتأمل إلى أي حد بعيد من الضلال والكفر بلغ الصوفية بتحريفاتهم كلام الله عن مواضعه، ولست بحاجة إلى أن أقول لك: إن تحريفهم هذا إن لم يكن كتحرير اليهود، والنصارى للتوراة والإنجيل، فهو أشد غلوًا، وأبعد حمقًا في المروق والإلحاد.



(١) فصوص الحكم، لابن عربي ص(٢٦٧)، شرح بالي أفندي، طبع تركيا.

جعل القبور مساجد

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «لعنة الله على اليهود، والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما فعلوا^{(١)(٢)}. أي: يحذر المؤمنون أن يفعلوا مثل ما فعل اليهود، والنصارى. وروى أصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة، فوق الحديث المتقدم زيادة: «وصالحهم، أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصورة - أي صورة الميت - أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»^(٣).

وفي موطأ مالك: «ألا لا تتخذوا قبري عيداً، ألا لا تتخذوا قبري مسجداً، ألا لا تتخذوا قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٤).

من هذه الأحاديث الصحيحة البالغة منتهى الصحة؛ نفهم أن اتخاذ القبور

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، برقم: (٤٣٥)، ومسلم، كتاب: المساجد، برقم: (٥٣١/٢٢)، من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، برقم: (٤٢٧)، ومسلم، كتاب: المساجد، برقم: (٥٢٨/١٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٤١٤) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وأخرجه ابن أبي شيبة (٧٥٤٤) عن زيد بن أسلم مرسلاً، وصححه الألباني في المشكاة (٧٥٠).

مساجد أو بناء المساجد عليها بدعة يهودية، ونصرانية، وبالتالي أنها محرمة في الإسلام، وآية نصح الرسول ﷺ لنا بهذه النصيحة السامية الغالية، وهو في مرض موته؛ ليدلنا على مبلغ حرص الرسول ﷺ عليها، وعلى سمو تلك النصيحة العظيمة، وأثرها العميق في النفس، ألا فليفهم أدعياء المحبة لرسول الله ﷺ. أن حبك لإنسان يدفعك إلى إرضائه وطاعته.

هذه البدعة - بدعة جعل القبور مساجد - اليهودية النصرانية، أصبحت اليوم ومن زمن يزعم لها السادة العلماء، والأرباب الصوفيون، أنها ليست ببدعة، وإنما هي روح الإسلام وحقيقته؛ من آمن بها نجا ووجد، ومن كذب بها هوى وتزندق وألحد!!.

وهكذا أصبح الشرك عندهم توحيداً، والكفر إيماناً، والتوحيد شركاً، والإيمان كفرًا، ونسوا قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] فليست للبدوي، ولا للدسوقي، ولا لأم هاشم، ولا للشعراني، ولا لغيرهم.

يقول لك المشرك: أنا أعلم أنها مساجد الله وحده، وقد قال لي أحدهم هذا، فأخذت أستدرجه برفق، حتى صرح لي أنه يعتقد أن الصلاة في مسجد الحسين خير من الصلاة في أي مسجد آخر، فالمصلي في مسجد الحسين؛ تناله بركة الحسين، وهكذا يشرك، وهو يزعم أنه يصلي لله!!

وأعتقد أن من يحترم عقله؛ لا يجوز له أن يماري في أن اتخذ القبور مساجد بدعة يهودية نصرانية، لأن الرسول الصادق نبأنا بهذا، ومع هذا يزعم دعي مغربي - ابتليت به مصر - أن اللعن خاص باليهود والنصارى!!.

رأيت عقلية كهذه أشد قحة وجرأة في الافتراء على رسول الله ﷺ!

وإليك ما يقوله ابن القيم مستنبطاً فوائده فقهية من غزوة تبوك:

(ومنها: تحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها، وهدمها، كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار، وأمر بهدمه. وهو مسجد يصلى فيه، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين، وكل مكان هذا شأنه؛ فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته، وإخراجه عما وضع له، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار، فمشاهد الشرك - التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله - أحق بذلك، وأوجب، وكذلك محال المعاصي والفسوق، ولقد هم رسول الله ﷺ بتحريق بيوت تارك حضور الجماعة والجمعة، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم، كما أخبر هو بذلك.

ومنها: أن الوقف لا يصح على غير بر ولا قرابة، كما لم يصح وقف هذا المسجد، وعلى هذا فيهدم المسجد؛ إذا بني على قبر، كما ينبش الميت من القبر إذا دفن في المسجد، نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق، فلو وضعاً معاً لم يجوز، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز! ولا تصح الصلاة في هذا المسجد، لنهي الرسول ﷺ عن ذلك، ولعنه من اتخذ القبر مسجداً، أو أوقد عليه سراجاً، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه، وغرته بين الناس كما ترى^(١) انتهى.

فهذه فتوى ابن القيم في بعض مخالقات المسلمين لدينهم، وهذا هو الحق

الأبلج، لا لأن قائله ابن القيم، بل لأنه تحدث عن حقيقة جليلة من الإسلام، أخبرنا بها من قبل الرسول الصادق الأمين ﷺ، في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية اسمًا ورسومًا فحسب، تُوقف الأوقاف الكثيرة، ويا ليت وقفها كان على المسجد، بل على عمّة البدوي مثلاً، وعلى خشب ضريح الشيخ الفلاني، وعلى سدنة الشيخ الفلاني، وترك المساجد التي أسست على التقوى؛ للصلاة في المساجد التي أقامها الشيطان ليعبد فيها من دون الله.

بل طالما والله رأينا أكابر العلماء يتسابقون للصلاة بداخل الأضرحة، لعل نفحات من روحانية الشيخ، أو الست ترتفع به وبصلاته إلى الله، بعيني هاتين رأيت ذلك من عالم كبير^(١) وكبير جدًا كما يقول بعض الأدباء!

أيها الدين الذي أضاعه أهله!! إن في السماء ربًّا لا شك ناصرك..

ويرحم الله ابن الخطاب، إنه اجتث الشجرة التي بورك ذكرها في القرآن؛ إذ جاءت في آية من آياته، اجتثها لا شيء إلا لأن بعض القوم كان يذهب للصلاة عندها... ولكن لم نطيل الحديث؟... إنهم يكذبون رسول الله ذاته، فهل يصدقون شابًا يدهم على سنته مثلي؟!



(١) لعل ذكيًا من القراء يسأل: ومتى رأيت، وكيف؟ وجوابي: لما كنت مشرّكًا، وإني لحديث عهد بالإسلام.

الرقص في الأذكار^(١)

في مقالي: «الوثنية هي الصوفية»، ذكرت من حجج القرآن والسنة ما يفيد أن الذكر جماعة بدعة، وأن رفع الصوت به بدعة، وأن الذكر بالاسم المفرد «الله»، أو غيره بدعة وليس ذكرًا.

فما بالك بالرقص؟ ما بالك بتلك الأصوات المنكرة التي يخرجونها من أنوفهم كأنهم الحمر المستنفرة؟ وما بالك بالضرب «باللاوندي أو السرياني؟». ما بالك بشيخ كان يذهب هو ودراويشه إلى بغني؛ ليقيموا ذكر الله عندها، وليأكلوا من فاحشتها، ويزعم أحدهم أن نور النبي شديد عليه الليلة، فيطلب من البغي أن ترقص له حتى يطفئه قليلاً، فترقص وتميل على الدرويش، فيهيج هائجه.

ما بالك بشيخ كان لا يذكر إلا إذا شرب الخمر^(٢).

ما بالك بشيخ كان يقطع على قارئ القرآن تلاوته، ثم يقوم متميلاً يتشنى، ثم يقول لربه: «ليه حكمت علي بعدم الصلاة ليه ليه، يا ترى لم تجد غيري تستلبخه»^(٣).

(١) مجلة الهدى النبوي (١٣٦٨).

(٢) قص لي هذا الشيخ عبد الجواد فايد من قرينتنا: زاوية البقلي مقسمًا بالله الذي لا رب غيره، والرجل صادق من غير قسم لأنه كان منهم، ثم تاب الله علينا وعليه ووحد ربه وعبدته وحده ولكنه لم يأكل من فاحشة البغي!

(٣) هذا ما زال على قيد الحياة في قرية قريبة من قرينتنا، واسمها كفر الجوع.

وإذا كان الذكر هذا ليس من الإسلام فمن أين؟ إنها بدعة يهودية نصرانية أيضًا، وإليك الدليل:

في المزمور الثالث والثلاثين من مزامير داود، من العهد القديم ما يأتي: «اهتفوا أيها الصديقون بالرب، بالمستقيمين يليق التسبيح، احمدا الرب بالعود، بربابة ذات عشرة أوتار، رنموا له، غنوا له أغنية جديدة، أحسنوا العزف بهتاف».

وفي المزمور الخمسين بعد المائة أيضًا ما يأتي: «هللوا يا. سبحوا الله في قدسه، سبحوه في فلك قوته، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف».

وليس القراء في حاجة إلى أن أدلهم على أن ذكر الصوفية هو بعينه هذا الذكر الذي تتحدث عنه مزامير داود، فالرقص، والمزمار، والدف، والربابة، كل هذه اليوم يعبد الصوفية بها ربهم في أذكارهم، زاعمين أنهم «يفرحون» بها الرب.

والكثير منا يرى في كثير من الليالي غلمانًا صغارًا يسرون صفين متوازيين، وفي أيديهما صنوج «الغوازي البغايا»، ويرقصون وبينهم الشيخ متلمظة عينه باحثة عن أي الغلمان أكبر ردفاً، ولقد شهدت والله غلاماً منهم اختطف برتقالة، فذهب إليه الشيخ واختطفها منه لا ليردها إلى صاحبها، بل ليقذف بها في جيبه، فأريته أني رأيته، فابتسم الشيخ وقال: «رزق ساقه الله إلينا فهل نرده؟».

ومسألة الغلمان هذه منتشرة بين الصوفيين انتشاراً خبيثاً سريعاً، ومن شاء فليقرأ: الجبرتي، تلبس إبليس، الذهب الإبريز لرفاعة الطهطاوي، فإنه من كثرة

ما كان اللواط منتشرًا في عهده بين الصوفية عجب لما سافر إلى فرنسا، ولم يجد فيها ذلك الداء، وكان أبو خودة يأمر عبيده - وكان من هواة العبيد - أن يقولوا للناس: إن الشيخ يفعل الفاحشة فيهم حتى إذا ازدادوا سخطًا عليه عطهم، ومن يروي لنا ذلك؟ الشعراني في كتابه: «مناقب العلماء والصوفية» ص (٢٤٣).

ويقول الجبرتي^(١): إن فقراء المطاوعة كانوا يحبون الغلمان، وإذا عقدوا مجالس الذكر جعلوا الصبيان خلفهم ليحتضنهم في حال تحمس الذاكرين، وإذا أنكر عليهم منكر قالوا: لا ضير على من مس دبر غلام.

وكان وجود الغلمان في حلقات الذكر جزء من نظامها، وكان أبو خودة يحب الغلمان، ويعبت بهم بحضرة آبائهم بالغًا ما بلغت مكانتهم^(٢)، وكان كلما رأى امرأة حسس بيده على مقعدها^(٣)، وما أكثر وقائعه معهن^(٤)، ومسألة الغلمان هذه أهون من غيرها، فما يرويه الشعراني عن أربابه، ومنهم الشيخ على وحيش، أنه كان كلما رأى رجلًا يركب حمارة أنزله من فوقها وقال له: امسك برأسها حتى... فإن أبنى الرجل تسمر في مكانه لا يستطيع حراكًا^(٥).

بربك قل لي: أذلك دين؟ وهل مثل هؤلاء الناس نخشى عليهم أو منهم أو

(١) (ج٢/ ص ١٥٩ - ١٦٠).

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (ج٢/ ص ١٨)، ومناقب العلماء والصوفية «مخطوط» ص (٢٤٣).

(٣) ص (٢٤٣) مناقب العلماء والصوفية.

(٤) مناقب العلماء ص (٢٤٤) ب مخطوط.

(٥) الطبقات الكبرى (ج٢/ ص ١٢٩ - ١٣٠).

نهاب لهم مقامًا؟

أمثل هؤلاء يجوز لنا أن نسمع ممن يتزعمون الحركات التي يسمونها إسلامية في مصر وغيرها، أنهم هم الذين هدوا الإنسانية الضالة الحائرة إلى ربها؟! وهل يجوز هؤلاء السادة - وقد ارتضوا الصوفية لهم دينًا - أن يزعموا أنهم مسلمون؟. ألا إن الإسلام بريء منهم براءة محمد ﷺ من الشرك والمشركين.



خاتمة

طوفنا سراعًا بأهم مظاهر اليهودية والنصرانية في عقائد الأمم الإسلامية وقوانينها^(١).

والموضوع طويل عريض فسيح الرحاب لا بد فيه من شمول النظر، وتطويف الفكر بجميع نواحيه غير أنا اقتصرنا على ما ذكرنا كإشارة إلى الموضوع فحسب لأن الوقت لدي لا يتسع لأكثر من هذا.

وكنت أحب أن أتناول تأثير اليهودية والنصرانية في تفكير الأمم الإسلامية من ناحية فهمها للصفات الإلهية، ولكن أرجأت ذلك لبحث قد نكتبه بعون الله ومشيتته، إذا قدر لنا الله الحياة وطول العمر عنوانه: «الصفات الإلهية بين الدين والفلسفة»، لنبين فيه أن الحق في فهم الصفات؛ هو فهم السلف الصالح، وأن ما أدخل بعد ذلك، أو حين ذلك من تجريد مغالى فيه، أو تجسيد بشع ليسا من الإسلام، وإنما هما من بقايا الماسونية، والفلسفة اليونانية، ونوبة أمشاج من اليهودية والنصرانية دخلت هكذا ثم مسخت ثم ظهرت في صور إسلامية زائفة، تحت دعوى التنزيه أو تحت دعوى الإيمان الحق.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى بسط ذلك وبيانه، وأضرع إليه أن يجعل الحق هداي، والصدق مثوأي، وأن يغمرنا برضاه.

(١) فلدينا مثلاً بدعة الموالد والجناثر بصورتها الحاضرة، والأخسة والأربعين، والختم للفقهاء؛ كل هذه بدع يهودية ونصرانية، أليس العشاء الرباني أقرب ما يكون مثلاً لقول السيدة؟!

﴿رَبَّنَا ءَامِنَا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٣)
 [آل عمران: ٥٣]، ﴿رَبَّنَا ءَانِكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
 النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، رب إنهم سيغضبون وسيلعنون، ولكني مبتغ فيما كتبت
 رضاك ورحمتك يا أرحم الراحمين.



الباب العاشر

كتابات الوكيل إلى الأزهري

وشيخ الأزهري

إلى متى أيها الأزهر الشريف؟^(١)

جاءنا خطاب صارخ الألم دامي الشكاة، من الأخ الكريم أحمد أفندي حمزة أبو ريا، ولولا ثقتي المطمئنة إلى الأخ لما صدقت ما في رسالته هذه الباكية الموجعة... إن الأخ الكريم تدفع به الأقدار إلى الصلاة في مسجد ما بالمنصورة، وإذا بالخطيب المفوه اللسن المقوال يهتف بأعلى صوته من على المنبر بما يهدم الدين من أسسه، وبما يملأ النفوس - التي لم تهدأ بعد - حيرة وريبة وشكًا في الإسلام. والخطيب المصقع واعظ من كبار وعاظ الأزهر، بعث به الأزهر الشريف ليهدي الضالين، ويبين السبيل للحائرين، وينير الظلمات للمدجلين!! فإذا به يأتي على الرmq الباقي من الإسلام في نفوس سامعيه، ويعتصر الحشاشة الذابلة من إيمانهم الحيران، ولقد هالني والله، وروع أمني، ما جاء في رسالة الأخ الصادق، فحضرة الواعظ الجليل ينادي بأن محمدًا ﷺ كان رسولًا لكل رسول وكان موجودًا قبل الوجود، وكان نبيًا في كل أمة، وكان وكان... هذه الأساطير التي لا يعذر العامي الجهول إذا راح يفترها، فما بالكم بواعظ كبير القدر، جليل الخطر يحمل في يمينه شهادة كبرى، ويحمل على رأسه عمامة أكبر!!

ولقد أحسن الأخ بنا الظن فأرسل إلينا أساطير الرجل لعننا نحسن الرد عليه؛ أو لعننا نسلط شعاعًا من الحق يهتك ما ران من غيب هذا الباطل المفتري. يقول الأخ الكريم: (هالني من الرجل جهره من فوق صهوة المنبر أن

العبد الصالح في قصة موسى بسورة الكهف هو أحمد نبينا) كان حضرة الواعظ يخطب القوم في قصة موسى بسورة الكهف، فقرر أن العبد الصالح الذي لقيه موسى هو سيدنا محمد ﷺ!! ويظهر أن حضرة الواعظ مغرم بالتجديد! التجديد ولو في معاني الكفر، فنحن - على كثرة الزنادقة المقنعين في الإسلام - لم نسمع منهم تفسيرًا مثل هذا التفسير.

والرجل يعيب علينا أننا لم نفهم القرآن^(١)، فهل هذا هو فهمه في القرآن؟؟ وإني أسأل حضرة الواعظ الخطير الكبير، من أين جاء بهذا التفسير؟ هذه كل كتب أئمة التفسير فما فيها مثل ما ذكرت، والصوفية أنفسهم على ضلالتهم وزندقة الكثير منهم قالوا غير ما قلت، والزنديق منهم يقول إن الذي كان مع موسى هو محمد المتلبس بصورة خضر، فليس هو محمدًا في صورته ولكنه خضر في مظهره محمد في مخبره، فهناك على كل حال فارق بينك وبينهم.

وإذا كانت كل كتب التفسير، ليس فيها رأيك فمن أين أتيت به؟ أمن القرآن؟ ولكنك تحرفه، أم من سنة رسول الله؟ كلا ولا ريب، ذلك لأن في سنة الرسول القول الفصل والحق الصراح القاطع على كذبك وافترائك على دين الله. ففي كتب السنة الصحيحة الصادقة كلها ما يتجلى منه صريحًا أن العبد الصالح مع موسى كان هو خضر، وإليك ما جاء في هذا المعنى من صحيح البخاري وهو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وقد رواه في صحيحه في باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى خضر من كتاب العلم، وقد أثبت البخاري في نفس العنوان

(١) ذلك ما بهت به الواعظ أخانا أحمد حينما أطبقت عليه حججه.

اسم خضر مثنيًا عليه وعلى موسى بقوله: عليهما السلام.

وإليك يا حضرة الواعظ نص الحديث كما رواه البخاري: «عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو خضر. فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما موسى في ملا من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر^(١) فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه. وكان يتبع أثر الحوت في البحر فقال لموسى فتاه: أرأيت إذ أويننا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. قال: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصًا؛ فوجدا خضرًا، فكان من شأنهما الذي قص الله ﷻ في كتابه»^(٢) وقد روى الحديث مرة أخرى في باب الخروج في طلب العلم من نفس كتاب العلم في صحيحه ﷺ،

(١) يثبت من الحديث أنه وجد في زمن موسى من كان يعلم علمًا لم يعلمه موسى وفي هذا الرد المفحم على الواعظ فيما سيثيره بعد بأنه لم يوجد في زمن موسى من كان أعلم منه، وعلى هذا يكون صاحبه هو سيدنا محمد لأنه هو وحده أعلم من موسى، والحديث يكذب الواعظ في افتراءه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، برقم: (٧٤)، ومسلم، كتاب: الفضائل، برقم:

(١٧٤ / ٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحسبك شهادة الله ورسوله على أن صاحب موسى كان هو خضرًا لا محمدًا كما يهدف الواعظ. حيث قال ﷺ: «فوجدا خضرًا».

وأوحى إلى موسى عندما أجاب السائل بما سلف ذكره: بلى عبدنا خضر. فبالله تأمل أيها الشيخ هذا الحديث، وإن كنت أرتاب في أنك ستؤمن به إذ لن تعدم وسيلة تتحلل بها من الحق الصراح في هذا الحديث، فربما تقول إن خضرًا^(١) هنا هو أحمد رغم هذه الشهادة القاطعة شهادة الله ورسوله التي تقرر بما لا يدع للشك إلى قلوب المؤمنين سبيلًا بأن صاحب موسى هو خضر، ولكن حضرة الواعظ الجليل الكبير المقام يريد أن نصدقه هو ونكذب الله ورسوله.

ولقد طالب الأخ الصادق أحمد حمزة الشيخ الكبير عن الدليل الصريح من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، أن العبد الصالح صاحب موسى كان هو سيدنا محمدًا: فقال له الرجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] وفسر الواعظ الخطير هذه الآية الكريمة أن الله تعالى جمع أرواح الأنبياء والمرسلين جميعًا، وواثقهم على أنه إذا جاءهم رسول مصدق لما معهم وهو أحمد ليؤمنن به ولينصرنه، ودلل بذلك على أن رسولنا أحمد ﷺ كان رسول الرسل ونبي الأنبياء، وقد أرسله الله إلى كل أمة من الأمم الماضية، ولست أدري أي دليل للشيخ الكبير في هذه الآية؟ أين الدليل

(١) الأصح ذكر خضر من غير الألف واللام؛ لأنه علم والأعلام لا تعرف لأنها معرفة، وذلك هو نص الحديث، ولكن البخاري في عنوانه ذكر «الخضر» بالألف واللام فلعله جعلها من نفس بنية الكلمة. والله أعلم.

من الآية على أن صاحب موسى كان هو أحمد؟ هب أن تخريجك للآية صحيح فأبي صلة بين تخريجك هذا الجاهل، وبين كون صاحب موسى هو أحمد؟ هذه واحدة. أما الثانية: فمن أين جئت بهذا التخريج للآية؟ أفي كتاب الله الذي تؤكد أنك تفهمه وتؤمن به؟ أم في سنة رسول الله الذي تزعم أنك تحبه وتنصره؟ أم في قول مفسر لرأيه وزن وقيمة؟

الآية تقول: «ميثاق النبيين»، فمن أين جئت بالتفسير «ميثاق أرواح النبيين» فأخذ الميثاق في الآية على النبيين أنفسهم لا على أرواحهم، ومن أين لك بأن الله جمع هذه الأرواح وأخذ ميثاقها؟

الآية أيها الواعظ جليلة واضحة وهي لتقرير نبوة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولتقرير أن دين الله واحد من لدن آدم إلى محمد.

فما وصي به الله نوحًا هو بعينه ما وصي به محمدًا أن يقام الدين لله وحده وأن لا يتفرق فيه أصحابه. فالله يقول إنه أخذ الميثاق على كل نبي وأشهدته على ذلك وشهد الله معه أن ينصر دين الله في كل مكان وزمان، فإذا جاءه في عصره رسول بمثل ما بعث به فليكن معه معضدًا ومؤيدًا لا يستأثر بالأمر من دونه ولا تأخذه في نصرته العزة بالإثم.

وأشهد كل نبي على نفسه بذلك، فأحرى إذن بأمر هؤلاء أن يكونوا السباقيين إلى مؤازرة كل نبي وتعضيد كل رسول يأتيهم بمثل ما أمرهم به نبيهم. لأن أنبياءهم - وهم أئمتهم في الإيمان والفضل - عاهدوا الله على ذلك أن يؤازروا كل دعوة رسول يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن لا يعبد إلا بما شرع فأولى بهم أيضًا أن يكونوا كأنبياهم تصديقًا ومؤازرة.

والآية يا سيدي الشيخ ذكرت فيها كلمة «رسول» منكرة فهي تطلق على نبينا الكريم كإطلاقها على غيره سواء بسواء، وإلا فأني مخصص للكلمة يجعلنا نؤمن بأن المقصود بها هو محمد ﷺ؟؟ فالمقصود بها رسول أي رسول لا الرسول الكريم خاتم النبيين وحده، ولما كان الله قد عاهد كل نبي على ذلك وأقر الجميع بهذا، وكان الميثاق هو هو بعينه المأخوذ على كل نبي أضيف الميثاق مفردًا إلى النبيين، لأنه واحد لا اختلاف فيه.. وإن اختلفت أزمته وأمكته.

ولنضرب لذلك مثلاً - والله المثل الأعلى - بوالد عابد تقي قال لابنه الأول: اعبد الله وحده لا شريك له، ثم قال للثاني لما أنجبه مثل ذلك، ثم قال للثالث لما وعى مثل ذلك، فإنه يجوز له القول: وإذا أخذت ميثاق أبنائي لتعبدن الله وحده لا شريك له. فلا داعي للفهم بأنه جمعهم في مكان واحد وزمان واحد، وأخذ عليهم الميثاق جميعًا في لحظة وأقروا معًا في لحظة، بل حسبه اتفاق الميثاق وأخذه فقط.

ليقول إنه واثق أبناءه جميعًا وأقروا الميثاق.. هذا ما أفهمه أيها الشيخ في الآية، ولها معان أخرى ليس فيها واحد يؤيد رأيك. أما القول بجمع أرواح الأنبياء وأخذ الميثاق عليهم وهم أرواح... و... وفتلك أسطورة أبعد في الخرافة من أسطورة الصوفية فيما يسمونه عهد الذرة، وفهمك أيها الشيخ الكبير على فرض صحته لا يعطيك هذا الفهم الذي رحت تتعالم به على أخينا أحمد، ذلك الذي منعه حيائه وتوقيره لسنك أن يظهر على الملأ باطلك.

فالآية تقول: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١]، وهذا يفيد أنهم كانوا أنبياء قبل الرسول، وأنه كانت معهم رسالة قبل أن يجيء هذا الرسول مصدقًا لما معهم. أليس كذلك؟

فمن أين إذاً جاءت بأسطورة أن الرسول كان مرسلًا إلى كل نبي ورسول وأمة قبل العرب؟ الرسائل كانت مع الرسل، ثم جاء رسول مصدق لهذه الرسائل، هذا منطوق الآية ومفهومها.

فأي رسول جاء للأنبياء بهذه الرسائل؟ أهو محمد كما تزعم؟ لو كان كذلك لقاتل الآية: (ثم جاءكم رسول يبلغكم رسالات ربكم) ولكن منطق الآية يدفع هذه الخرافة، إذ تقول الآية: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١]، وهذا يثبت أنه كانت معهم رسائل من قبل مجيء هذا الرسول، ويفيد أن الرسول جاءه من ربه وحي برسالة هي من جنس تلك الرسائل التي سبقه بها الأنبياء، فكيف يستقيم فهمك للآية أن الرسول كان رسولاً لكي نبي؟!!

أرأيت كيف ينهار باطلك من صدمة الحق في الآية!!

فكر وقدر يا شيخ فإنك مسئول أمام الله عن هذه الطائفة التي وكل إليك أمر إصلاحها... وإن دعوتك هذه أيها الشيخ تهدف إلى غرض خطير يهتف به وثنيو الصوفية وهو وحدة الأديان، إذا كنت تحاول أن تجعل الناس يؤمنون أن محمداً هو رسول الرسل ونبي الأنبياء ورسول كل أمة سابقة.

ألا نفهم من هذا إذاً أنه يجوز التعبد الآن على ملة النصرانية أو على اليهودية؟ لأن الذي جاء بالنصرانية وعلمها على رأيك هو محمد!!

ثم إنني سائلك!! هل أرسل الرسول إليهم ببدنه وروحه؟ أو ببدنه فقط؟ وهل كان حين أرسل إليهم بشرياً؟ أو غير بشري؟ وما هي رسالته إلى كل رسول؟ وأين موضع ذكر ذلك في القرآن؟ أو في السنة؟

وهل كان يبقى محمد حياً بعد ذهاب كل رسول؟ أو كان يموت ثم يحيا؟

وهل يصح إذا قول الله بعد ذلك: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقد أرسل الله محمداً قبل ذلك إلى جميع الأمم كما زعمت أيها الشيخ؟

وهل يصح صدق قول الله بعد ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وهو الذي أرسل قبل ذلك إلى كل أمة وبعث بكل دين كما زعمت أيها الشيخ، ألا إن الحق بين ظاهر واضح حتى عند الجهلاء، فما بال بعض العلماء؟!



إلى متى أيها الأزهري الشريف؟^(١)

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ويقول الشيخ: إن الرسول ﷺ موجود قبل انحداره إلى صلب أبيه، ولعله يشير بذلك إلى قدم النور المحمدي أو إلى الحديث الكذب الباطل: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين)^(٢) وهذا افتراء واضح، ولكن المروي عن العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته»^(٣) رواه الإمام أحمد. وروى معناه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه من وجوه آخر مرسله، وهذا الحديث لا يفيد سوى أن الرسول ﷺ مكتوب عند الله في أم الكتاب أنه خاتم النبيين، وإني لذلك مكتوب عند الله في أم الكتاب أني سأكون فلاناً وسأوجد في الوقت والمكان اللذين وجدت فيهما، وسأكتب كيت وكيت، فقد ورد في صحيح مسلم: «أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٤).

(١) (٨/١٣٦٨هـ).

(٢) قال الألباني في الضعيفة (٣٠٣): موضوع. ونقل عن ابن تيمية أنه قال: معناه باطل فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء.(٣) أخرجه أحمد (٤/١٢٧)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٠٨٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، برقم: (١٦/٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن

وروى أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت أنه قال: «يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(١) الحديث.

فكل شيء عند الله مكتوب؛ فهل كل مكتوب قديم في الوجود، أو كان موجوداً قبل وجوده؟

أَلَا إِنَّكَ مكتوب عند الله يفيد أنك كنت موجوداً قبل ذلك؟ ليس علم الله تابِعاً للمعلوم حتى يستلزم من وجود علمه وجود معلومه قبل علمه، كلا يا شيخ! وهل يستلزم من الكتابة عند الله في أم الكتاب وجود الشيء قبل وجوده؟ إن هذه هي أساطير الصوفية التي تنعق بأسطورة اسمها ثبوت الموجودات قبل الوجود، فاحتاجت إلى إفاضة الوجود المطلق لتتعين، فالموجودات محتاجة إلى الوجود المطلق لإيجادها، لا من عدم بل لإبرازها، والوجود المطلق الذي هو الرب عند الصوفية في حاجة إلى الموجودات ليتعين في صور مادية.

من هذا نفهم إلحاد وضلال من يؤمن بوجود الرسول وجوداً واقعياً لا ذهنياً قبل وجوده، وكل ما في الحديث أو القرآن لا يفيد إلا أن الرسول بشري، لم يوجد

العاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، برقم: (٣٣١٩)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧).

وجودًا حقيقيًا إلا بعد أن أصبح وديعة في رحم أمه ﷺ، فكان علقه، ثم مضغة، ثم طفلًا، ثم صبيًا، ثم شابًا، ثم كهلاً، ثم شيخًا، مرت به كل أطوار البشرية من حياة وموت وخلق ورزق وآلام وأحزان ومتاعب، إلا أنه كان في كل أطواره الطاهر التقى المؤمن الأمين الرسول الصادق العظيم الرحيم بأمته، صلوات الله وسلامه عليه.

ويستشهد أيضًا الشيخ على أن صاحب موسى كان هو أحمد نبينا لا خضر، بأنه لا يمكن أن يعلم رسولًا من أولي العزم كموسى أحد غير محمد، كأنها يريد أن يقول الرجل: إن العلم في أمر يقتضي أفضلية هذا العالم بذلك على كل عالم.

كلا يا شيخ: لقد كان الذي علم موسى ما خفى عليه هو خضر كما ذكر الرسول في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري.

وهذا لا يقتضي أفضلية خضر على موسى، وإلا لكان الهدهد أفضل من سليمان، وكانت النملة أذكى شعورًا، وأدق حساسية من سليمان، ألا ترى العزة في قول الهدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢]؟ إن قول الهدهد لسليمان أشد وأبعد في الخيلاء من قول خضر لموسى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، فأين هذا من نفي الهدهد عن سليمان الإحاطة بما أحاط هو به؟ ومع ذلك لا يقول مجنون أن الهدهد أفضل من سليمان.

والحباب بن المنذر علم الرسول ﷺ في غزوة بدر، والمرأة علمت عمر على منبره، فهل كان الحباب أفضل؟ وهل كانت المرأة أفضل؟

ويقول الشيخ في استشهاده: إن العبد الصالح هو أحمد لا خضر بقوله: لقد كان العبد الصالح رحمة من عند الله، فمن هو رسول الرحمة للعالمين غير محمد؟

وهذا أيضًا من الدجل المكشوف، ذلك لأن القرآن تحدث عن الخضر بقوله: ﴿ءَايَنُّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥]، فلم يصفه بأنه هو نفس الرحمة، وإنما ذكر عنه أنه آتاه رحمة أما الرسول الكريم محمد ﷺ فوصفه الله بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فجعله الله هو الرحمة عينها، وشتان ما بين وصف الرسول بهذا، ووصف خضر بأنه أوتي رحمة.

حرام يا شيخ والله عليك تدليسك على العقول البريئة الطيبة.
ويقول: من هو الذي كان علمه لدنياً لم يدخل فيه تعليم البشر سوى رسولنا ﷺ؟
ما هذا العلم اللدني؟ إلا أن الكلمة خرجت عن معناها عند الصوفية،
وراحوا يهرفون حولها بأساطيرهم التي يدين بها الشيخ.

فمعنى علمناه من لدنا: أي: من عندنا، ولقد ثبت من القرآن أن الكثير قد
أوتوا من الله علماً، وإليك ما يقول نوح لقومه كما عبر القرآن: ﴿وَأَعْلَمُ مِمَّنِ اللَّهُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]، ويقول: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ويقول
عن البشر عامة: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، ويقول: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ويقول عن يوسف: ﴿ءَايَنُّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] وعن لوط في سورة الأنبياء: ﴿وَلَوْطًا ءَايَنُّهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وعن موسى في القصص: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنُّهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، وعن داود وسليمان: ﴿وَكُلًّا ءَايَنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]،
﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥]، وعن طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

يثبت من هذه الآيات القطعية الدلالة أن الله أعطى الكثير العلم من عنده

فلم يختص محمدًا ﷺ بهذا. كما تريد أن تقول يا شيخ، بل إن ثبوت العلم اللدني لموسى أقوى، فالله كلمه من وراء حجاب مباشرة بلا واسطة؛ فهل كل هؤلاء جميعًا يا شيخ كانوا هم أصحاب موسى الذين علموه؟

ثم يريد التدجيل بآية أخرى هي قوله: ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الزخرف: ٤٥]، يريد أن يقول: إن الرسول كان معهم. أعني: أنه كان رسولاً لكل رسول ونبيًا لكل نبي، وإلا ما تسنى له أن يسألهم.

والشيخ الواعظ درس فيما درس من علم المعاني أن الاستفهام والأمر وهما من الإنشاء الطلبي كثيرًا ما يخرجان عن حقيقتهما الأصلية، ألم يسمع الشيخ بالاستفهام الإنكاري والاستبطائي والتعجبي والتكذيبي؟

ألم يسمع الشيخ وهو العالم النحرير بالأمر المقصود به الإباحة أو التعجيز أو التسخير أو التسوية أو التمني أو الدعاء؟

لماذا يتجاهل الشيخ ويحسب الأمر هنا في قوله: ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥]، والاستفهام في قوله: ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] على حقيقتهما الأصلية؟

بالله راقب الله فيما تقول أيها الشيخ، وانظر أية كارثة تهدد الإسلام إذا وجد مثلك واعظ آخر يهرف بمثل ما تحرف به، وحسبنا ما أوردناه هنا. وما كان من حاجة إلى هدم ما ذكر الشيخ؛ لأن ما ذكره باطل بين البطلان.

والآن نرفع إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر^(١)، وهو الرجل

(١) يقصد الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر في ذلك الوقت، وهو محمود شلتوت من

الغيور على دينه، العامل في سبيل بعث مجده وحضارته، نرفع رجاءنا إليه أن يرد جماح هؤلاء، لا بالجزاء المادي، فذلك ما لا نريده، وإنما الجزء الأدبي الذي يهدي إلى الحق، إن هذا الواعظ يجب أن يعلن على ملا من الأشهاد ضلالتة وخطأه؛ يجب أن يؤاخذ بالحق حتى لا يعود إلى مثل مزاعمه الشريكة، إن وظيفة الأزهر يا أستاذنا يا صاحب الفضيلة وأنت شيخه الذي يدرك هذا قبل غيره هي بناء قواعد الإسلام لا نقض عراه، ومثل هذا الواعظ - كما حدثناك عنه - يهدم الإسلام ويطيح بالذكر القديم والذكر البعيد المنسوبين للأزهر، وإن ثقتنا في أستاذنا الأكبر لتجعلنا نطمئن إلى أنه سيصدر لمثل هؤلاء أمره الحازم بأن يتحروا الحق فيما يعظون به الناس، ولا يتوفر لهم ذلك إلا بالتزام الكتاب والسنة، والكف عن هذه الخرافات الصوفية والدسائس الباطنية التي أفسدت عقائد الناس، وذهبت بالعناصر القوية من حياتهم.

وإنما لما يفعله الأستاذ الأكبر في هذا الموضوع الخطير لمنتظرون.



مواليد سنة (١٨٩٣م)، بمنية بني منصور، البحيرة، عين مدرسًا بمعهد الأسكندرية الديني، ثم مدرسًا لمادتي الفقه والأصول في القسم العالي بالأزهر، ثم مفتشًا في المعاهد الأزهرية، ثم وكيلاً لكلية الشريعة والقانون.

اختير عضوًا في جماعة كبار العلماء، وعضوًا في المجمع اللغوي، ووكيلًا للأزهر، ثم شيخًا للأزهر، توفي سنة (١٩٦٣م)، كتب في مجلة الهدى النبوي الكثير من المقالات، من أهمها وأشهرها أسباب البدع. (ض).

خطاب مفتوح إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر^(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

فكل مسلم يعلم تمام العلم مبلغ جهاد فضيلتكم في سبيل دعوة الحق، وإعلاء كلمة الله، وكل مسلم أشرق قلبه بنور القرآن يذكر لفضيلتكم تلك الشجاعة النادرة في الجهر بكلمة الحق، أيام كان هذا الحق غريباً يبحث عمن يؤديه ويلوذ بحماه، وما زالت أصدااء صوتك القوي تتجاوب بها قلوب المسلمين الصادقين وأنتم تذكرون بآيات الله عبر الأثير، وتحكمون بحكم الله - في جرأة المؤمن البطل - على بعض ما يدين به الناس من خرافات وبدع يظنونها معارج عليها يظهرون إلى قدس الأقداس في ظل الخلود، ما زلنا نسمع صوتك حتى الآن، وهو يجلجل بكلمة الحق: (الطواف حول القبور شرك والاستغاثة بالقبور شرك، ومال صناديق النذور سحت)^(٢).

قلتم هذا يا صاحب الفضيلة في الإذاعة، وحمله الأثير يذكي في قلوب المؤمنين حمية الحق، ويذكي في قلوب عبيد البدع جحيم الغضب وثورة الأحقاد، وقلتموه فيما قرأه المسلمون لكم من بيان جليّ واضح لا يخادع ولا يخاتل، ولا يترضى مشاعر الناس، وإنما يسترضي الحق الذي بين الله، وسمعه تلاميذكم في مجالسكم

(١) (١/١٣٧٩هـ).

(٢) فتاوى الشيخ شلتوت ص (٢٠٨: ٢١٢). (ض).

العلمية التي تحفل بكل مشوق إلى معرفة الحق من دينه، وسمعه المصلون في المسجد الرحيب الذي كنتم تذكرون من على منبره بهدى الله، وكنا نحن الذين ندين بدين الحق نرفع أكفنا في ضراعة صادقة إلى الله أن يجزل لكم المثوبة في الدارين، وأن يهب لكم القوة التي تعينكم على تصحيح القيم الدينية في أذهان المسلمين، وعلى حشد القلوب بعون الله حول مُثُلِ الإسلام العليا، وقد تجردت من كل هذه الأساطير التي بثها دعاة الفتنة، وأحلاس البدع، ومكرة الصهيونية؛ ليحولوا بين القلوب وبين الثقة بها والاطمئنان إليها والعمل بما توحى به وتوجهه، على حين كان يستقبل ورثة هؤلاء ما تجهرون به بما يستقبل به الباطل صَوْلَةَ الحق، وبما يعده الشرك من مفتريات يحارب بها صفاء التوحيد في موكبه الأسمي، وأفقه الذي لا تغيب شمس، ولا يغيم ضحاه المشرق.

تلك ذكريات يكنها قلب كل مسلم في أعز مكان فيه تناسمه دائماً بالروحانية، وتراوجه دائماً بالأمل، وتلك حقائق، لا يمكن أن ينسج الباطل عليها عناكبه، ولا أن يدرجها النسيان في أكفانه؛ لأنها الرحم الوثيق بينكم وبين هذه القلوب، ولأنها العهد الذي بينها وبين الله.

تلك ذكريات الماضي، ونرجو أن تكون جياشة بالحياة المشهودة في حاضرننا معك، وأن تكون المنارة التي تضيء بالهدى لأحفادنا من بعد.

تلك ذكريات أيها الشيخ الجليل أقدمها بين يدي هذا الخطاب لتعلم أن من يكتب هذا الكتاب من الذين تتلمذوا عليك، ودعوا لله، ومضوا بما تدعو إليه بذكر الناس، لأن ما تدعو إليه إنما هو الحق الغلاب، وإنما هو الهدى من كتاب الله.

واليوم قرأت في صحيفة «الشعب»^(١) حديثاً تلوته مراراً، وعرفت الهدف النبيل والغاية المثلى، القضاء على العصبية المذهبية وجمع كلمة المسلمين الذين ضرب بهم التعصب في تيه عميق سحيق من التفرق، والقضاء على العصبية هو في حقيقته القضاء على التقليد، القضاء على الحجب التي تحول بين الفكر وبين الفهم الصحيح لما أنزل الله، وجمع الكلمة إنما هو أساس الإسلام الصحيح، لأنه دين التوحيد، توحيد الله في ربوبيته وإلهيته، فتوحيد العقيدة والإيمان والحب والسلوك، وبهذا تتوحد الغايات كلها في غاية واحدة هي العمل دائماً في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا.

بيد أنا نخشى أن يكون السلوك الذي نتبعه في سبيل القضاء على العصبية المذهبية، يؤدي بنا إلى القضاء على العصبية للحق، ونخشى كذلك أن يكون سلوكنا الذي نؤثره في سبيل الوحدة إلا عاملاً جديداً من عوامل الفرقة المشحونة بالأحقاد المسمومة، إذ يؤثر مذهباً قل أن تجد فيه شعاعة من الحق، على مذهب قل أن تجد فيه وهماً من الباطل، ويرفع من معتقد يتعب الفكر فيه البحث عن بارق من الهدى، ويخفض من معتقد يتعب الحاقداً أن يجد فيه ظلاً من الضلال.

إننا نجاهد معك في سبيل القضاء على عوامل العصبية والفرقة، ولكننا لا نرضى مطلقاً أن يسام الحق عدواناً عليه في اجتهادنا هذا.

وإنني لأرجو أن لا يغضبك شيء مما أقول، فقد كنت يا أستاذي الأكبر تعلمنا ما علمك الله من أن الغضب لا يكون إلا في سبيل الله وحده.

(١) صدرت بتاريخ ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ الموافق ٦/٧/١٩٥٩.

تقول يا صاحب الفضيلة في حديثكم هذا الذي احتشدت حوله الأسع والأبصار والأفكار عن الخلاف بين أهل السنة وبين الإثنا عشرية أنه كـالخلاف بين مذاهب أهل السنة^(١)!!

وفي هذا إجمال يحتاج إلى تفصيل، فقد شمل التعبير بكلمة «أهل السنة» طوائف شتى لا تطابق أصول كثير منهم شيئاً من سنة الرسول ﷺ، وهنا، ومع هذا البيان، نحن معك يا صاحب الفضيلة، أما إذا أريد «بأهل السنة» أهل سنة الرسول الكريم ﷺ التي تستمد أصولها وفروعها من القرآن الكريم، فنحن - وسامحنا - على خلاف معك فيما ذكرت من قبل، وإليك الأدلة، نقدمها في صورة أسئلة نترقب عنها الجواب.

هل من السنة الإيمان بأن في القرآن الذي بين أيدينا الآن تحريفاً ونقصاً؟^(٢) وأن المصحف العثماني اشتمل على زيادات، وتغييرات هامة؟ وأن القرآن الكامل كان أطول كثيراً من القرآن المتداولة مصاحفه؟ وأن ذلك القرآن الكامل قد تناقله بعض الأئمة، وأنه الآن مخبوء عند الإمام المنتظر؟

هل من السنة تحريف الكلم عن مواضعه في القرآن، حتى يطابق المحرف هوى عارماً، ورأياً فاسداً، وأسطورة مذهولة؟ فنحن نقرأ القرآن وفيه هذه الآية:

(١) يقصد فتواه الشهيرة في الاعتراف بالمذهب الجعفري كمذهب خامس يدرس في الأزهر. (ض).

(٢) جاء في كتاب «الكافي» وهو من أصح الكتب عند الشيعة، بمنزلة «صحيح البخاري» عند أهل السنة: أن القرآن الذي جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية. وقال القزويني شارح الكتاب والذي نسب هذا الكلام لجعفر الصادق: إن الغرض بيان أنه حذف من أصل القرآن شيء كثير، الذي لا يوجد في نسخ القرآن المشهورة. (ض).

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] فتحرف حتى تصير هكذا: (هذا بكتابنا ينطق عليكم بالحق)، فقليل للمحرّف: إنا لا نقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبريل على محمد، ولكنه مما حرف من كتاب الله!! ونحن نقرأ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فتحرف إلى (أئمة أخرجت للناس)؛ لتوافق الهوى الذي صنع أسطورة الإمام المعصوم؟ ونحن نقرأ قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فيزاد بعد قوله: ظلموا (آل محمد حقهم).

وهل من السنة الاعتقاد بإمام معصوم غير رسول الله^(١)، يجوز له أن ينسخ من أحكام الدين ما شاء، وأن نعتقد في هذا الإمام أن عنده علم الأولين والآخرين، وأنه وحده الذي يعلم ميراث النبوات، وأنه يوحى إليه، وأنه يعلم خزائن السماوات والأرض وما علمه الله لملائكته ورسله، وغير ذلك من الصفات التي تجعل هذا الإمام إلهًا، أو نبيًا هو مصدر وحي الأنبياء جميعًا^(٢)، وقد وردت هذه الصفات وما هو أشنع منها في كتاب: «أصول الكافي» للكليني الذي هو أصح كتب الحديث عند الإثنا عشرية؟!

هل من السنة الاعتقاد بأن جميع الصحابة ارتدوا جميعًا عن الإسلام إلا نفرًا

- (١) يقول المجلسي صاحب كتاب «بحار الأنوار» «اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة - عليهم السلام - من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمداً ولا نسياناً، ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه» [بحار الأنوار (٢٥/ ٢١١)]. (ض).
- (٢) أجمل هذا كله الخميني - قبحه الله - في قوله: «وإن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل». [الحكومة الإسلامية ص (٥٢)]. (ض).

يسيراً لا يزيد عن عشرة؟!

هل من السنة تكفير أبي بكر وعمر وعثمان؟ وليست الخطورة البالغة في نفس التكفير، وإنما هي في لوازمه، فإننا إذا دنا بهذا فلن نقبل حديثاً رواه هؤلاء عن الرسول الكريم، ولن نطمئن إلى القرآن الذي جمعه هؤلاء ثم نشره عثمان؟! وسنتهم أشرف حقبة في تاريخ الإسلام بالظلم والبغي والكفر الحقود^(١).

هل من السنة التعبد بما ورد في رقاع كان يزعم أصحابها أنهم يضعونها في ثقب شجرة، ليأتيهم الجواب عنها من المهدي المنتظر؟

هل من السنة ترك ما صح عن رسول الله، والأخذ بما روته الأهواء والمطامع والشهوات والأضغان التي سطرت في كتب يجعلها المتبعون لها نبراساً لهم وهدياً، ويضربون بها هدي القرآن، ونقرأ فيها ما نقرأ في كتب الجاهلية والمجوسية؟

هل من السنة، أن يأخذ السني دينه عن قوم يحكمون جميعاً بكفره لأنه لا يؤمن بأسطورة الإمام المعصوم^(٢)، ولأنه يحل خلفاء الرسول الراشدين، ولأنه يجب من بايعوا الرسول تحت الشجرة، لأن يد الله كانت فوق أيديهم؟

هل من السنة أن يأخذ المسلم ما يتعبد به عن كتب اعتقد بعض رواتها أن الله سبحانه كان جاهلاً في الأزل كزرارة بن أعين^(٣)، أو كان جل رواتها من الكذبة

(١) وهي حقبة الصحابة رضوان الله عليهم. (ض).

(٢) الإمام المعصوم عندهم يوحى إليه، مطهر من الذنوب، مبرأ من العيوب، مخصوص بالعلم. (ض).

(٣) هو الرافضي زرارة بن أعين بن سنسن، ويكنى أبا الحسن، وأبا علي أيضاً، وكان سنسن عبداً رومياً كما ورد في الفهرست للطوسي ص (١٠٤). (ض).

الوضاعين؟

هل من السنة أن يأخذ المسلم دينه عن جماعة أعانوا التتار وقدموا لها الضحايا والقرايين من أهل السنة؟ ولندع هذا الأخير للماضي، ولكني أُلح يا صاحب الفضيلة في أن تطالب أئمة الإثنا عشرية الآن بأن يحكموا على أهل السنة بمثل ما حكمت أنت به على الإثنا عشرية من أن مذهبهم مذهب مستمد من كتاب الله وسنة رسوله، وأنه يجوز التعبد به شرعاً!!

وهناك يا صاحب الفضيلة يتجلى لنا جيداً، أن الخلاف ليس في الفروع - وإلا لكان يسيراً - وإنما الخلاف في الأصول، بل في أصل الأصول!!

فإنهم يستمدون من غير موردك، ويفيئون إلى غير الظل الذي تفيء إليه، ويردون غير المورد الذي ترده، أو بمعنى أصح: إنهم يرتابون في القرآن الذي به نوقن، ويحاجون السنة التي بها نفتدي، ويكفرون الرواة الذين اعتمدنا على أحاديثهم الصادقة، ذلك لأنهم نصبوا لهم إماماً موهوماً هو الأول والآخر في التشريع.

يا صاحب الفضيلة: لقد قدمت لنا الفروع، ولم تقدم لنا الأصول التي عنها تفرعت هذه الفروع، وما نعلم ديناً يعني بالفرع، ويترك الأصل، وما نعلم أصلاً باطلاً ينتج فرعاً للحق!! وما نعلم ضلالاً يتولد عنه هدى، وما نعلم سنة تصحح

وقد وقع زرارة في إسناد كثير من الروايات تبلغ ألفين وأربعة وتسعين مورداً (٢٠٩٤) كما في معجم رجال الحديث ج ٨ ص ٢٥٤ ولذلك كان يلقب بـ (خزينة أحاديث الأئمة) كما في رجال حول أهل البيت ج ٢ ص ٩٤.

وقد وثق زرارة شيوخ الشيعة كالطوسي والنجاشي وابن المطهر وغيرهم. (ض).

دين الإثنا عشرية.

يا صاحب الفضيلة، إن ربنا يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ويقول ناعياً على أهل الكتاب: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وما هذا إلا لأنهم كانوا يأخذون الدين عنهم لا عن كتاب الله، فما بالك بمن يأخذ دينه عن وهم جسده الخيال فسماه إماماً؟
إننا عينا بما قلت؛ لأنك شيخ الأزهر، وفي حساب الشرق كله الإسلام، فالتصريح بها منكم تحشد حولها أفكار الملايين يستبد بها الغضب أو الرضا، ولهذا ذكرنا بالفصل الحق الذي لا يغنيه رضا أحد، ولا يخاف غضب أحد، وهو فيصل القرآن.

يقول ربنا أيضاً: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ويقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقد اتخذت الإثنا عشرية أئمتها أرباباً، وقد افترى رجالهم رقاعاً، قالوا: إنها من عند الله، وأنت يا أستاذي الجليل بهذا خبير، وأنت منه على بينة، فما ذكرتكم إلا بما تعتقدون، وإلا بما هو مسطور في كتبهم التي يؤمنون بها حتى اليوم.

يا صاحب الفضيلة: هذه صيحة الحق، التي أوجب الله علينا، والتي نريد بها مصلحة المسلمين، فالعشرة من الأقوياء الذين هم على قلب رجل واحد في الدين، خير من الملايين الذين بينهم خائن واحد؛ ولا نحب أن نحشد كثرة

نحسبها جميعاً وقلوبهم شتى، ولنذكر قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، وصابرة هنا مجمع لأكرم معاني الإيمان والتوحيد. وفقنا الله إلى أن نجعل للقرآن وحده الهيمنة على القلوب، وأن نجتمع المسلمين على كلمة سواء.



شيخ الأزهر في زيارة الأضرحة

خطاب مفتوح إلى فضيلته^(١)

فضيلة الأستاذ الأكبر، شيخ الجامع الأزهر!^(٢)

شاء الحكيم الخبير أن يتليكم، فوليتم هذا المنصب الخطر الخطير، الذي يفهم العامة من المسلمين في كل صقع فيمن يتولاه أنه شيخ الإسلام!!
فرايه الحق وقوله الصدق، وعمله القدوة وفتواه - في زعمهم - حجة يشع من آياتها اليقين...

وأرهفت الأسماع في إصغاء اللهيف المشوق لتسمع من شيخ الإسلام قوله يعتز بها الإسلام، واستشرقت الأبصار من ذروة الوكّ له لترى ما يصنع الشيخ الكبير لدين الله المفترى عليه، وإذا بالصحف تنشر - ولم تُكذّب - أن شيخ الأزهر الجليل يستهل عمله استهلاً سجد شكرًا له سدة الأضرحة، وجُنّت تصفيقًا له أكف الصوفية، وقرأ لكم من أجله الأوراد عباد القبور.

نشرت الصحف أن أول ما استهللت به العمل لدين الله، والجهاد في سبيل الإسلام، والسعي الدؤوب لبعث مآثر الإسلام الرائعة وأمجاده الخالدة، والدعوة

(١) (١/ ١٣٧١هـ).

(٢) هو الشيخ عبد المجيد سليم، ولد سنة (١٨٢٢م) بمحافظة البحيرة، تخرج من الأزهر بعد أن حصل على العالمية، عمل بالتدريس، والقضاء، والإفتاء، عين مفتيًا للديار المصرية، ثم شيخًا للأزهر، استقال مرة ثم عاد، ثم استقال، توفي سنة (١٩٥٤م). (ض).

الملحاح إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله: هو هرولة فضيلتكم - وبين عينيك
تنوح الدموع، وعلى شفئك ترتعش التساييح، وعلى جبينك المتغضن شفق الرهبة
وإشفاق الرجاء - إلى الأضرحة!!

نعم: فعلتم ذلك استهلاً لعملكم في سبيل الله الحي القيوم الذي لا تأخذه
سنة ولا نوم، توجهت يا فضيلة الشيخ وآله القلب من الصباية، ملتهب الشعور
بالأشواق؛ لتحيي السنة، وتمحق البدعة، وتذيل من سطوة الوثنية الطاغية،
وتبعث في دياجير الكفر صباح الإيمان، فلم تجد لذلك كله مظهرًا سوى الوقفة
الضارعة الخاشعة المستلهمة أمام الأضرحة!!

كأنما فرغ الشيخ الكبير الجليل من كل عمل ينتظره منه الدين، ويتشوف إليه
المؤمنون، فلم يبق إلا أن يرفع من عماد القبور، ويشيد في قوة وفتوة من عزة الأضرحة،
ويوحي إلى الناس عمله هذا أن يملأوا بالذهب النضار صناديق نذور الموتى.

ألم تشهد عيناك يا فضيلة الشيخ في طريقك منكرًا؟! ألم تسمع أذناك من
الطائفين حول القبور دعاء الشرك؟!

ألم تر أولئك الأبقين من عبيد الله الحي يخرون للأذقان سُجَّدًا للموتى؟؟!

ألم تر الوجوه تُمسَّح بالأستار والشفاه تُلَعَق بالأحجار؟؟

ألم يوجع قلبك - ويا ما أرق رفته - أن ترى الإسلام يُقْضَى عليه على عتبات

الأضرحة التي مثلت أمامها في وَلَه الحب وشغف الخضوع؟؟

تَرَى هل استنكر الشيخ ما حدث بين عينيه وسمعه بأذنيه؟ لم نخبرنا الصحف

بهذا، وليتني كنت قريبًا من الشيخ علني كنت أحس بنبضات قلبه تعبر عن استنكاره

ما دام لم يستطع - وفي مكنته أن يفعل - تغيير المنكر لا بيده ولا بلسانه!

ألم تشهد وأنت في طريقك وموكبك إلى الأضرحة فجور الغي ومآثم الفسق،
وتبذل الرذيلة تسد عليك الطريق؟!

وهل لم يرعك ما ترى فتكره، وترسل الصيحة المدوية في سبيل الله نكراناً لما
ترى؟! وهذا الظلم الاجتماعي الذي يزرع تحت الكادحون، وبطش السادة الطغاة
بالمستعبدين، وانتهاك البغاة الفجرة لحرمة الله، ألا يستحق هذا أو بعضه من
شيخ الإسلام دعوة صارخة أو كلمة ناصحة لتحقيق العدالة الاجتماعية، ورفع
الظلم الفادح عن العبيد، وتحقيق القيم الروحية والمثل العليا للإسلام؟!

لقد كنا نحسب الشيخ يستهل عمله بشيء من هذا ولو دعاية في الصحف،
ولكنه نسي الحياة والأحياء، وولى إلى الأضرحة والموتى يترضاها ويسكب بين
يديها دموع الشاكر الملهوف!!

فيا رحمتي للإسلام هانت عزته على من يفهم ناس أنهم شيوخه!! وتلك
الجماهير الساغبة اللاعبة، وذلك الدم المهدر من الكرامة والفضيلة، وتلك
السطوة الباغية بكل قيم الدين ومقوماته، أليس هذا مما يطلق لسان الشيخ من
عقاله فيدعو دعوة الحق، ويشير لظي الثورة في قلبه الساكن، فيقذف بالحق في وجه
الباطل، ويؤجج الحمية لدين الله في نفسه، فيلوي عنان الأبقين؟!

وَالْهَقَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ يَتَنَكَّرُ لَهُ مَنْ سَادُوا بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ!!

هناك على الجلامد الصماء يتأنق الحرير المسنون، ويتبرج السندس الأخضر،
وبين يدي الأجساد الساكنة في أعماق الموت أكوام من الذهب الأصيل، وعلى
عتبات الأضرحة الصم البكم تهوي جباه الآلاف تستلهم العون والرحمة والمغفرة،
وهنا في زحمة الحياة أحياء يتضورون من الجوع، ويضمرون من العري، يهددون

الثورة المكبوتة بالأمل، وَيُنْهِنُهُونَ الشقاء التعس بالرجاء ويشكون في صمت جريح سطوة الطغاة!! فأيهما كان بجهادك الأجدر، وأي الفريقين بهرولتك الحري؟! كنت على استطاعة أن تدعو للموتى وأنت في قصرك وعلى سريرك الوثير المهاد، ولهم رب كريم سميع يسمع لرحمته من أجلهم دعاءك، ولكن هؤلاء التعساء من الأحياء المساكين في حاجة إلى من يترجم عن دموع تعاستهم، وجراح مآسيهم، ويبين عن حقهم المغتصب، ويدعو إلى الرفق بهم من شيوخ الإسلام؛ لأن ظالمهم في طغيانهم يعمهون. إنك لعلّ يقين من ذلك، ولكنك طويت نفسك على يقينك فلم تجهر به، وأخشى أن يفهم الناس أنك أبيت إلا أن تظاهر عبيد القبور، وتعالى الصوفية، وترضى من يجعلون أعتاب هذه الأضرحة أنداداً لله رب العالمين، وتوالى من يستعبدون الناس وقد خلقهم الله أحراراً!!

وأعيذك يا فضيلة الشيخ الأكبر أن ترضى لنفسك هذا: دين مضاع، وأخلاق منحدر، وعدوان صارخ على حكم الله، وظلم باطش بالعدل، أفرغت من حربك مع من يقتفون كل هذه الآثام، فذهبت تنشد الروح والريحان من عند القبور؟؟ علماء يرون دين الله يفترى عليه فيعينون بصمتهم القلق هذه المفتريات، وصوفيون يتاجرون باسم الدين، ويلوثون بأساطير الوثنية عقائد الدهماء، ويحولون الناس من عبادة الله إلى عبادة القبور، أناضلت هؤلاء لتردهم إلى حمى الدين الحق وانتصرت، فذهب إلى الأضرحة تلقي عندها من عليك عبء النضال؟! عذراً فضيلة الشيخ الأكبر، فالله منك أعلى وأكبر، فاسمع في هدوء، وأصغ في تدبر إلى صوت هذا الشاب الذي رشف العلم يوماً من كأسك، والذي طالما هوى فمه - كما علمتموه، وقبل أن يؤمن - على يدك يلثمهما خوفاً ورهبة، وكان

ينظر إليك فيراك - في خياله الغرير - طودًا شامخًا من أطواد الفقه والمعرفة، فلقد فهمت من كتاب ربي معنى قوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ووعيت معنى قوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقوله الحكيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، ووعيت من سنة الرسول: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإن استُفِرْتُمْ فانفِرُوا»^(١)^(٢)، وقول الرسول ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي أعلى فهو في سبيل الله عز وجل»^(٣)^(٤)، وعن قيس - وهو ابن أبي حازم - قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «يا أيها الناس، إنكم تقرأون الآية، وتضعونها على غير موضعها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]» قال عن خالد - وهو الطحان - وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه: أوشك أن يعمهم الله بعقاب»؛ وقال عمرو - وهو ابن عون - عن هشيم: وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرُوا على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله

(١) أخرجه البخاري، كتاب: جزاء الصيد، برقم: (١٨٣٤)، ومسلم، كتاب: الحج، برقم: (١٣٥٣/٤٤٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، برقم: (١٢٣)، ومسلم، كتاب: الإمارة، برقم: (١٩٠٤/١٤٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

بعقاب» (١)(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة فإن عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» (٣). وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، وكتابه، ورسوله، وأئمة المؤمنين، وعامتهم» (٤)(٥).

أوعيت يا شيخ الأزهري الكبير آيات الله الحق والهدى والنور، وعن سنة الرسول الذي لا ينطق عن الهوى!

هذا تلميذ من تلاميذك علمه القرآن - لا أنت - كيف يزود عن القرآن، وعلمته السنة وجوب الذود عن حماها المقدس، هذا تلميذ من تلاميذك حذره القرآن أن يكون ممن يقولون ووجوههم تغلب في النار يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨]، وفهم من القرآن وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ لا بشيخ

(١) رواه أبو داود، وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، برقم: (٤٣٣٨)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وصححه الألباني في المشكاة (٥١٤٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، برقم: (٥٥/٩٥)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

الأزهر: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ووعى قول الله عن أنبيائه ورسله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [٨٩] أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدَنُهُمُ اقْتَدَاهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾.

[الأنعام: ٨٩-٩٠]

وهأنذا يا فضيلة الشيخ الأكبر أقدم بين يديكم نصحي، مذكراً فضيلتكم بآيات الله البينة، وبسنة الصادق الأمين، مبيناً حكم الله في تلك الزيارة الملهوفة للأضرحة من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، مشفّعاً ذلك برأي الأئمة المهتدين، وسيتجلى من كل ذلك أن هذه الزيارة للأضرحة ليست من دين الله، فلا يقرها كتاب ولا سنة، ولم يفعلها صحابي، ولا واحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وموعدنا إن شاء الله رسالة مستقلة نشتغل بتأليفها الآن، ثم طبعها ونشرها بين جماعات المسلمين^(١) ليعلموا أن دين الله إنما يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا من شيخ الأزهر، أما إذا أعلن شيخ الأزهر الرجوع عنها، فسنكون أول الشاكرين.

إشفاق:

رأتني نفسي أعزها وأنا أسجل لكم هذا الخطاب، ففاضت جوانحها إشفاقاً

(١) بمشيئة الله وتوفيقه تصدر هذه الرسالة قريباً، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل من نصيبها قريناً لنصيب رسالتي التي وجهناها إلى شيخ الصوفية، فقد طبع منها ٣٠٠٠ نسخة لم يبق منها نسخة واحدة، ونأذن لإخواننا البررة في سوريا بطبعها كما طلبوا دون أي قيد أو التزام.

ورف قلبها حنوًا وعطفًا، فقلت: فيم الإشفاق؟

قالت: لم تبق لك حبيبًا، فأمس ناضلت شيخ الصوفية واليوم تُناضل شيخ الأزهر؟
أهكذا تؤلب عليك كل سلطة؟!!

فابتسمت مشفقًا عليها من الإشفاق، وناديتها من أعماق الروح: لأن يكون
الناس في الدنيا جميعًا خصمائي، خير من أن يكون الله خصيمي يوم القيامة،
والرزق بيد الله مكفول، وبيده وحده خزائن السموات والأرض، وثقي أن
قدرة الله فوق القدر، وأنه القوي، ولقد عاهدنا الله صادقين أن نبيعه النفس
والمال والولد، ولن ننكث بمشيئة الله العهد، ولقد وعدنا الله بالنصر، ولن
يخلف الله وعده، فاغرورقت عيناها بالدموع تملأ بها القلب شجاعة وقوة، وهنا
علا صوت تال يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَفُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾ أَدِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [الحج: ٣٩]،
وإذا بصوتها الندي بالدمع يقول: صدق الله العظيم.

فقلت: ولكن: سلي الله لي أن نكون من المؤمنين، حتى يدافع عنا رب العالمين،
وناصر المؤمنين.



مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر^(١)

أخبرني الأخ الحاج عبد اللطيف حسين أن فضيلة الأخ الكريم الشيخ «عبد الحكيم سرور» مدير مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر يرغب في أن ألقاه، فلقيت بأخي الشيخ عبد الحكيم نُبْلَ الشمائل، وصفاء الأخوة الصادقة، ثم تحدثنا عما كتبه في صحيفة «الهدى النبوي» الغراء عن مسألة التقريب بين المذاهب، وعن الموقف الحكيم الذي يقفه فضيلة الشيخ الأكبر منها، وعن السنة الجليلة التي يتبعها فضيلته، وهي أن يكون للقرآن وللحديث الصحيح الهيمنة على كل ما يتخذه الناس من دين، وأن يكونا هما الفيصل في كل ما يشجر من خلاف حول أمر من أمور الدين، فإذا وافق الرأي الكتاب والسنة فهو حق، وإذا خالفهما فهو باطل مرفوض مردود أيًا كان قائله.

وقلت لأخي الشيخ عبد الحكيم: هذا عهد أنصار السنة بأستاذهم الجليل ووالدهم العظيم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت الرجل الذي ناصر السنة وكافح البدعة، وعاش ظهيرًا للقرآن يكشف للمسلمين عن جلال الهدى وسموه في آياته، ويدعوهم إلى أن يجعلوه لهم إمامًا.

ثم سعت لتحية زميل الدراسة الصديق الأخ الأستاذ «أحمد نصار» السكرتير الخاص لفضيلة الأستاذ الأكبر، فحيتني منه تلك البشاشة التي تشرق على وجهه صفاء وطيبة وإخلاصًا ونقاء ضمير، ثم فاجأني بقوله: ما أظن إلا أنك تحب لقاء

فضيلة الأستاذ الأكبر، فقلت: يسعدني أن تحقق لي هذا الأمل.

فسعينا معًا للقاء الشيخ الجليل في مكتبه^(١)، وكان حريًا بي أن أستشعر خجلًا أو خوفًا، ولكني - على الرغم مما كتبت - لم أشعر بشيء من ذلك؛ إذ كنت على بينة من أن صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر لا يثيره أبدًا نقدٌ هادف، ولا كلمة يشفع لها حسنُ النية وتُنبَلُ الغاية، وإن تراءت في ثوب المخالفة والمعارضة، وأنه - أيد الله به دعوة الحق - أريحِي الساحة رحيب آفاق الصدر، لا يعرف قلبه الكريم إلا سمو الحب، وصدق الإيمان وإخلاص الدين كله لله.

وحينما رآني فضيلة الأستاذ الأكبر شاعت على فمه ابتسامة الأبوة الحانية العطوف الودود، ولم أشعر وأنا أجلس بجانبه أني مع صاحب هذا المنصب الكبير الذي له سلطانه الروحي الكبير وجلاله البالغ في أنحاء العالم الإسلامي كله، وإنما كان شعوري الغامر الذي يسيطر على نفسي هو أني بين يدي أبرّ والدٍ كريم، وأكرم أستاذ عظيم.

لقد شهدته أستاذًا كبيرًا في كليات الأزهر يُروِي القلوب الظماء بسلسيل اليقين ورحيق الإيمان، ويكشف عن وضاعة الفكر الإسلامي الصحيح ما ران عليها، ويهدي العقول إلى الطريق القويم لفهم القرآن.

وشهدته وكيلاً للأزهر مناضلاً في سبيل أن تحقق هذه الجامعة الإسلامية الكبرى رجاء المسلمين الأكبر فيها.

وهأنذا أشهده شيخًا للأزهر يعمل في قوة وإخلاص في سبيل أن يكون

(١) تم ذلك في يوم ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٩، الموافق ٧ من نوفمبر سنة ١٩٥٩.

الأزهر منارة يشع نورها في الشرق والغرب، بل في سبيل أن تكون عقيدة التوحيد الخالصة ديناً قيماً لكل مسلم، وأن تكون مُثُلُ الإسلام العاليات وقيمه الخالدات غاية سعي المسلم وجهاده.

شهدته في مناصبه تلك، فما شهدت سوى الرجل المؤمن العظيم الإيمان، والعالم الفذ الذي جدّد الثقة في عظمة العقلية الإسلامية وعبقريتها الملهمّة، ولقد زاد جلال المنصب جلالاً تواضعه إشراقاً وسماحة تؤكد عظمة هذه النفس الطيبة المؤمنة.

ولقد غمرتني من روحه السامية فيوض من صفاء الروحانية نسيت بها قيود الزمانية والمكانية، وشعرت كأني أسبح في لجج من النور، وكأن سعادتي موصولة الأسباب بسعادة الخلود.

وتفضل الشيخ الجليل فأسبغ على أنصار السنة عطفه البالغ داعياً لهم بالتوفيق والسداد، ثم قال: إنه عاش يناصر دعوة التوحيد الخالص، ويدعو بها في كل مكان، وذكرني فضيلته بما صنعه مع الأخ رشاد الشافعي، حيث كان يحاضر في إحدى بواخر الحجاج، فثار بعض سدنة البدعة على المحاضر، فما كان من فضيلة الأستاذ الأكبر إلا أن أخذ يناصر الأخ رشاد.

وقلت للوالد الجليل: إن أنصار السنة يرونك الوالد الروحيّ لهم، وإني أحمل إلى أستاذهم الكبير رجاءهم العظيم في أن يتفضل، فيشرف دار الجماعة، وبخاصة بعد وفاة رائدها الأول المغفور له بإذن الله الشيخ محمد حامد الفقي، لتدفع هذه الزيارة بالدعوة إلى الأمام سنوات وسنوات، وقال فضيلته في برّ وعطف جميل: سأزوركم يا عبد الرحمن، سأزوركم يا عبد الرحمن.

ورأيت - حين وعد بهذا - موكب النصر العظيم لدعوة الحق متألق النصر

تهزج أناشيده ممتزجة بصلصلة سيوفه الظافرة.

أما ما أثنى به فضيلة الأستاذ الأكبر على ما أكتبه، فإني عاجز عن شكره وأضرع إلى الله أن يجعل لي من هذا نصيباً عنده، ونعمة يتمها عليّ.

ثم قال فضيلته: بلغ إخوانك تحياتي، وقل لهم أن يدعوا الله لي.

فقلت للوالد الجليل: هم يا فضيلة الأستاذ الأكبر الداعون لك في محاريبهم

بأن يسبغ الله على فضيلتكم نضرة الصحة والعافية، وأن يحقق على يديكم رجاء المسلمين الذي تمتلئ به صدورهم هو اجتماعهم على كلمة سواء من الله سبحانه.

ثم تفضل الشيخ الجليل، فأهدى إليّ كتابه العظيم: «الإسلام عقيدة وشرعة»، وكتب بخطه الكريم هذه الكلمة التي هي الأريج الفواح من روح الحب الخالص: (شعار الأخوة العلمية الدينية الإسلامية لأخي في الله السيد عبد الرحمن الوكيل نائب أنصار السنة المحمدية مع خالص التحيات).

واعتبرت تسجيل منصبي في الجماعة أعظم تقدير وأجل تحية لأنصار السنة.

ثم خرجت لدن فضيلته، وقلبي فياض الشكر يبتهل بالضراعة إلى الله أن ينعم الله سبحانه على فضيلة الأستاذ الأكبر بالعمر المديد المشرق بنضرة العافية.

ولقد قام أنصار السنة جميعاً عقب صلاة الجمعة^(١) بالدعاء لفضيلة الشيخ

الكبير، ولو أنه - أيده الله - رأى استبشارهم العظيم بما نبأتهم به؛ وابتهاهم بالدعاء إلى الله له، وأكد هذا لفضيلته ما قلته وأنا في مجلسه، وهو أننا نحن أنصار السنة، يرى فتياننا في الشيخ الجليل أباً عظيماً وأستاذاً كريماً، ويرى شيوخنا فيه أخاً

(١) كان هذا بتاريخ ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٩، الموافق ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٥٩.

جليلًا وأعظم رائد لدعوة الحق في جيلنا المعاصر
وأرجو أن يتفضل أستاذنا الكبير، فيأذن لي في أن أسجل على صفحات مجلة
«المهدي النبوي» وعده الكريم، ورجاء أنصار السنة جميعًا في أن يكون ذلك قريبًا
بإذن الله.

ألهمكم الله الحكمة دائمًا وفصل الخطاب، وأعانكم على ما اعتزمت من خير
عظيم هو أن يصبح الأزهر منارة يشرق منه هدى الإسلام الصحيح، وأن يجتمع
المسلمون على كلمة سواء.



النداء الثاني^(١)

وجه رئيسنا العالم النابه المدقق الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل هذا النداء إلى الأزهر، وللأزهر وحده، ولم يشرك معه طائفة أخرى، فقال في كتابه: الصفات الإلهية بين السلف والخلف، ص (١٦٤) « ما يأتي:

إن للأزهر أن يقاوم التيار الجارف من البدع والإلحاد بجيش آخر قوي مسلح بالفهم الدقيق الشامل للقرآن وأدلتة وبراهينه، إنه بهذا الجيش القوي اليقين يستطيع أن يفتك بكل بدعة، وبكل خرافة، ويدل من سطوة كل مذهب يحاول أن يضع نفسه حفية موضع الإسلام، بل يستطيع أن يفتح للإسلام ملايين القلوب، ويقضي على مكائد الصهيونية والاستعمار ولا سيما في عهد الأزهر الجديد.

ثم عقب على ذلك فقال:

إننا موقوفون غداً بين يدي الله سبحانه، وسيسألنا ربنا عما قضينا به لأنفسنا وللناس في أمور الإيمان والعقيدة.

ترى: هل نستطيع يومئذ أن نقول لله: إننا قضينا بما في كتاب العقائد النسفية، أو العضدية، أو المواقف!! وإننا هجرنا القرآن وآمنا بما في الكتب؛ لأن علماء الكلام أكدوا لنا أن أدلة كتاب الله الحكيم لا تفيد اليقين، أما مفترياتهم في كتبهم فهي عين اليقين؟!.



ورئيسنا «الوكيل» يمتاز على غيره من العلماء أو الباحثين بأنه عالم جريء، رائع في تصوير المعاني وتشخيص الداء لتقديم الدواء الشافي المعافي بإذن الله، ولعل الناحية الخلقية فيه من أجمل فضائله الأخرى كالصدق والوفاء والابتعاد عن التزلف والمحاباة ولو من باب المجاملة، فهو على الدوام موضع ثقة عامة وخاصة من «جماعة أنصار السنة المحمدية» على اختلاف طبقاتهم، ولذلك اختاروه «رئيسًا» لهم بإجماع رائع لم يشذ عنه أحد.

وهكذا تعاونت كفاءته واستقامته على بلوغه القمة الآن بكل سهولة، لأنه يقول الحق للحق وحده، ويعتقد أن كلمة الحق دائمًا تعلو ثم تدور في الفضاء دورتها ثم تنزل على القلوب فتزهها هزًا طوعًا أو كرهًا، ثم لا يكون ذلك إلا الحق وحده. وإنا لنقتدي برئيسنا فنوجه هذا النداء «شعراً» للسادة علماء الأزهر، وإنا لنرجو - مخلصين - أن يحققوا ما جاء في النداءين والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.



وركتمو من معشر أمناء	رسل الهدى وأئمة العلماء
وجنوده في شدة ورخاء	أنتم حماة الدين أنتم ذخره
والسائرون بنوره الوضاء	أنتم مصابيح التقى وشموسه
كالبدر يجلو حالك الظلماء	أنتم منار الحق يسطع في الدجى
من روعة ومهابة وسناء	نشرت عليكم حلة قدسية
حلًا تبدت في أتم رواء	وكساكمو العلم الشريف بنوره
عم البرية منه بالأضواء	نور على نور تكامل حسنه

ردوا حماة الدين سطوته التي
فبكم تعز قلاعوه وحصونه
يسمو بفضل جهادكم وجهودكم
الدين والحق اليقين كلاهما
بهما تعز ممالكك وعليهما
كادت تضيع ضحية الجهلاء
كالراسيات على الثرى الشماء
حتى يطاول ذروة الجوزاء
درع الغزاة وقوة الضعفاء
يبنى بناء المجد خير بناء



يا قادة الدين الخفيف ومن بكم
الهدى والتوحيد ملء قلوبكم
وعلى محياكم ضياء ساطع
يتدفق الإعجاز حين عظاتكم
ويفيض بالتبيان والغرر التي
يا رافعي علم الشريعة جردوا
إن الشريعة في الرقاب أمانة
والوا الجهاد فلا يخيب مجاهد
إن تنصروا الرحمن ينصركم فلا
والناس في الدنيا كأطياف الكرى
والعيش في الدنيا سراب كاذب
والمرء يخلد ذكره بفعاله
يسمو ويبلغ قمة العلياء
حتى غدت كخميلة غناء
بهر العيون وفاق كل ضياء
كالسيل يعجز منطق الفصحاء
تعي وتخرس مفوه الخطباء
في نصرها أسياف ذات مضاء
أدوا أمانتها أجل أداء
في الله أو في الشرعة الغراء
تهنوا تنالوا منه خير جزاء
تغشى النواظر ساعة الإغفاء
خدعت مظاهره عيون الرائي
إن تسم أولته طويل بقاء

فإذا طواه الموت أصبح سيرة

تروى وتذكر في فم الأحياء



يا ذائدين عن الشريعة إنها
لا تغمضوا أجفانكم وتيقظوا
صونوا حمى الإسلام من أخصامه
وخذوه بالحسنى ولا تتعسفوا
وترسموا سنن «النبي» ونهجه
أستغفر الله العظيم فإنني
ما كنت أفقه منكم ولكنها
أنتم أساطين المعارف والحجا
إن التيمم جائز لكنما
إن العواطف كالاخلاق تحتفي
صغت الثناء بهاندياً عاطراً
فعسى يصادف من نفوسكم هوئ
عوفيتموا أين استقر ركابكم
للعاملين المسلمين تحية

في حاجة لسواعد النصراء
وتنبهوا لحبائل الدخلاء
فالخصم أفتك من عضال الداء
إن التعسف شيمة البسطاء
نهج السلام وخطة العظماء
بالغت في الإيضاح والإدلاء
غلبت عليّ خواطر الشعراء
وأئمة النصاح والعقلاء
بطل التيمم في وجود الماء
بأولي النهى ونوابغ الزعماء
يزري بطيب الروضة الفيحاء
ويكون شيطاني استجاب ندائي
في الحل والترحال بالأرجاء
من حلبة الشعراء والأدباء

نجاتي عبد الرحمن

«الجيزة»



الباب الحادي عشر

تعليقات على الصحف

أدبوا نسائكم إن كنتم رجالاً^(١)

نشرت الصحف نبأ اعتصام شرذمة من النسوة بدار إحدى النقابات وإضرابهن عن... عماذا؟

أتظنه عن دعوة الأنثى إلى التبرج الآثم، الذي يهتك ستار القدسية عن الأنوثة المشرقة، والعفة الطهور، إلى صَبْغ الشفاه القانية بدم الحياء الذبيح؟ إلى سحق الأثارة الباقية من حطام كان يسمى امرأة؟!

أتظنه إضراباً عن دعوة الأنثى إلى مثل هذا الذي رمى بها مضغعة تحت الناب الظلوم، والضرس المنهوم^(٢)، وهي تضرع إليه أن يمزق وأن يضرس؟ رمى بها رمة شوهاء تطوَّها المناسم^(٣) في استهانة، وتسحقها الأظلاف^(٤) في سخرية قاتلة؟ أتظنه إضراباً عن دعوة الأنثى إلى هذا في جسارة يستبد بها الطيش الأحق، وعرام^(٥) الأهواء تنزو^(٦) بها إلى المجانة.

(١) (١٣٧٣/٨).

(٢) النَّهْمَةُ: بلوغُ الهَمَّةِ في الشيء. (لسان العرب - نهم). (ض).

(٣) المنسم: منسماً خف البعير، وهما كالظفرين في مقدمه بهما يُستبان أثر البعير الضال، ولكل خف منسمان، ولخف الفيل منسم. كما في لسان العرب (١٤ / ١٣٠). (ض).

(٤) الظلف للبقر والغنم كالحافر للفرس والبغل، والخف للبعير، كما في لسان العرب (٨ / ٢٥٨). (ض).

(٥) عُرَامُ الجيش: حَدُّهم وشِدَّتْهم، والعُرَامُ الشَّدَّةُ والقُوَّةُ والشَّرَاسَةُ، والعُرَامُ: الجَهْلُ، والعُرَامُ الأذى. (لسان العرب - عرم). (ض).

(٦) النزو: الوثوب، وهو مختص بالحيوانات عند الجماع. (ض)..

إنها كانت - ويا أسفاه في أمسيها النديّ - إشراق الأمل، وبشير الرجاء الحلو، وأغرودة البشري، ورِيًّا النعمى، ونضرة السعادة، وأفق قداسةٍ تحتسي الأرواح سلافة^(١) نوره، وحمى عفاف كل من يقتل دونه شهيد، وواحة وريفة الظل، باكرها الربيع بحنانه كلما هَجَّرت على الرجل الخطوب^(٢)، وجلوة^(٣) من الصفاء السماوي إذا رنقت^(٤) الليالي صفوه بالهموم.

أظنه - وليتنا نستروح خِدَع الظن - إضرابًا عن استجابة النفس لداعي الهوى، والغرائز لما يدمغها بالشر وسوء الظن؟
كلًّا، وإنما هو إضراب عن الطعام، كما يرجف الإناث، وسدنة أصنامهن من الرجال، ولكن أتدري لماذا؟!!

لأن الله فطرهن إناثًا يحملن، ويلدن، فلم لا يحمل الرجال مثلهن ويلدون، ويُرضعون؟ لم لا يحول النساء رجالًا، والرجال نساء؟ لأن الله فطرهن يمددن الحياة بفيضها الدافق، والوجود بمقوماته ومعانيه.
لأن الله جعل الجنة تحت أقدامهن^(٥) إذا فُضِنَ أمومةً برٍّ ورحمةً وهدايةً، ولأن

(١) السلافة من كل شيء أخلصه وأفضله. (ض).

(٢) هجرت عليه الخطوب: أي جاءت مصائب الأيام بسرعة، وذلك دليل قوتها وشدتها. (ض).

(٣) الجلوة: الصقل والصفاء، وذهاب الهم والغم. (ض).

(٤) رنق الماء: تكدر بالتراب والقذى وغيره. (ض).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في تاريخ أصبهان (٣/٥٦٨)، والثعلبي في تفسيره (٧/٢٧٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن عدي في

رسول الله ﷺ، وصي بهن في خطبة الوداع، فكان ذكره لهن^{(١)(٢)} في ذلك الموقف الذي لا ينساه تاريخ الجهاد والإيمان والحق، كان إيصاؤه بهن في تلك اللحظات القدسية الروعة والجلال تسامياً بقيمة المرأة إلى سماء الحب الطيب، والكرامة الرفيعة، والجاه الروحي العريض.

ولأنه ﷺ وصي بحسن صحبتها، يكرر وصيته الناصحة ثلاث مرات يردفهن بمرة واحدة للأب! (٣).

ولأن من آي القرآن: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ

كامله (٣٤٧/٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعف الألباني الحديث في ضعيف الجامع (٢٦٦٦).

(١) يحتج النسوان على اللغة العربية لأن فيها نونا اسمها نون النسوة، ولأن فيها للتأنيث تاء كجاهلة، وألفا كحبل، وألفا ممدودة كحمقاء!! يردن أن تكون لهن واو الجماعة، وللرجال نون النسوة!!

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٤/٢٠، برقم: ٦٤٨)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٤٤٢) من حديث المقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمُ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمُ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ أُمَّهَاتُكُمُ وَبَنَاتُكُمُ وَخَالَاتُكُمُ». وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٧١).

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، برقم: (٥٩٧١)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، برقم: (٢٥٤٨/١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (ض).

أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْذِرْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴿النور: ٣١﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وقوله: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَبَيِّنَتُكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

أرأيت كيف يحب الله أن يظل العرض مصونًا لا تُريبه شائبة، ويعاقب من يחדشه بهذا العقاب الصارم الأليم، حتى ليجرده من الإيمان ومن أن يكون محل اعتبار في قوله ودينه؟

ثم انظر كيف يدعو إلى الصبر على المكروهات منهن والرفق بهن: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١) [النساء: ١٩].

(١) في الآية صدمة قاتلة لغرور العقل البشري، وما يؤمن به من قيم غير القيم الإيمانية، وتأسيسية رحيمة للعواطف البشرية، وتسام بها إلى قمة الواجب الأقدس، وتوجيهها إلى

ثم تأمل في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة: ٧١]، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١١٤) [النساء: ١٢٤]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [النحل: ٩٧]، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (٤٥) [النجم: ٤٥]، ويقسم بهما، فيقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (٣) [الليل: ٣].

على هذا الحق والهدى والخير والنور ثارت هذه الشرذمة من أولئك النسوة، وأبين إلا أن تحيا الأنثى فيما كانت عليه في ردغة^(١) الجاهلية، دولة بين الريب والظنون والأواثم، والرغائب الفواجر^(٢)، أو انطلاقاً في الفتون لا يمسكها عقل، ولا يرد جماحها دين ولا يردعها عن غيها ضمير، ولا تزجرها عن هواها فطرة. لقد ثارت امرأة الحضارة الغربية على هذا الحق الذي سماه الله حقاً، ثم امتدت شهوتها الباغية إلى اغتصاب ما وهب الله لغيرها، واختصهم به، فكانت ثورتها بغياً على الحق، وجوراً على مقدسات العدل الإلهي، وسفهاً طياشاً على حكمة الحكيم الخبير، وأثرة طاغية لا يهملها في سبيل إشباع نهم رغبها أن تهدم، أو تقتل، أو تسرق.

الأخذ بها عاقبته الخير، وما غايته وجه الله.

(١) الرَّدْغَةُ: الماء والطين والوَحْل الكثير الشديد. (ض).

(٢) يقصد الآثام والرغبات الفاجرة. (ض).

تهدم الرجولة لتبني على أنقاضها أنوثة باغية!! وتقتل كرامة الزوج؛ لتعل بالدم المسفوح منها غليل نزواتها، وتسرق حقوقه لتتراءى إذا اغتصبها الحرمان رجلاً، ولتقسم أنها أنثى والهة إذا انفردت وحدها بالرجل!!

ثارت امرأة الاستعمار^(١)؛ لأن الرجال أبوا عليها أن تمتهن، أو تكون مضغة تلوكها^(٢) الشائعات، أو مهوى لعنات يستنزها عليها من الله الزوج والولد، أو لقى طريقاً تنوشه^(٣) الذئاب، وتغصبه الريب^(٤)، ويطيح به الحرمان بين الضعة والمهانة والخيبة.

إنها تريد أن تكون عضواً في الجمعية التأسيسية!! ما كفاها تحطيم الرجولة في البيت وفي الطريق، فتأبى إلا أن تخنق بذنبها أعناق رجال فروا من الأفعى إلى دار لهم!!.

(١) بل هو احتلال لا استعمار، حيث إن الاستعمار يعني طلب التعمير، فإن «السين والتاء» تأتي للطلب، ولا يختلف العقلاء على أن احتلال العدو الكافر لديار المسلمين هو استخرا ب - أي: طلب الخراب - لا استعمار، وهو استعباد - أي: طلب الخضوع والتذلل من المسلمين للكافرين - لا تعبيدهم لله رب العالمين، ولذا فإن كلمة (الاستعمار) هي كلمة مظلومة، كما بين هذا العلامة محمد بشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ في مقال له بعنوان: «كلمات مظلومة» نشرته جريدة البصائر، عدد (١) لسنة (١٩٤٧م). (ض).

(٢) مضغة: قطعة لحم، تلوكها: تحركها بين أسنانها. (ض).

(٣) لقى طريقاً: شيئاً مهملاً ملقى مطروحاً لا قيمة له، وتنوشه: تأخذه وتنهشه بأسنانها عن قرب. (ض).

(٤) الريب: جمع ريبة؛ وهي الظن والشك والتهمة. (ض).

ويلها من حماقتها!! فهي بما تحطم به نفسها، وبما تستعبد بها شهواتها الهيم^(١) إنما تقيم بنفسها الحجة عليها أنها لم تعد صالحة لتكون أمًّا أو زوجًا أو امرأة، بل مسحًا لا تدري أهو رجل تصفعه امرأة؛ أم امرأة لها شارب ولحية، وتلبس حذاء رجل!!.

فكيف ينتظر من امرأة الاستعمار إصلاح، وهي فاسدة مفسدة، أفسدت عليها فطرتها بما أجرمته غادرة في حق هذه الفطرة؟

كيف يرجى منها الخير، وهي للشر غاية ووسيلة؟ أو مساندة الحق، وهي تتنكر له وتعاديه؟ أو إقام العدل، وهي في يد الظلم معول يدمر صرح العدالة؟

أتريدنا امرأة الاستعمار تصديق الليل أنه نهار، أو الظلمة أنها نور، أو الشر أنه خير، أو الرذيلة أنها فضيلة، أو الباطل أنه حق، أو امرأة الاستعمار أنها امرأة مؤمنة؟

أتريد حملنا على الإيمان بأن في مقدور البشر تبديل كلمات الله، وتغيير فطرته التي فطر الناس عليها، وبأن المرأة في مقدورها أن تكون ذكرًا وأنثى في وقت واحد؟

ما معنى الحياة إذن يا مطية المستعمر، إذا كانت كلها نساءً، أو كلها رجالًا، أو أناسي بين بين؟ أما كان في مقدور الخلاق الخبير العليم، أن يخلق آدميين، أو حواءين بدلًا من آدم وحواء؟ أما كان يقدر - لو شاء - أن يخلق الذكورة وحدها، أو الأنوثة وحدها؟

ولكنه - وهو الحكيم الخبير - خلق الذكر والأنثى، فإذا ما تمردت يا حمقاء على ما فطر الله الناس عليه، فلن يغير هذا التمرد من الحقيقة شيئًا، بل ستظل نون النسوة وتاء التأنيث شاهدي عدل وحق على كذبك وجحودك، وستبقى هذه الحواجب

(١) الهيم: الإبل العطاش، والهيام أشد العطش. (ض).

المرججة، والصدور الناهدة حجة عليك تحملينها صباح مساء، لتعلن بين الناس أنك الآبقة المتمردة على فطرة الله، اللهم إلا إن حُلِّتِ ربًّا يخلق ما يشاء ويختار، يهب لمن يشاء إناثًا، ويهب لمن يشاء الذكور، لا، بل ربًّا لا يخلق إلا إناثًا يجاهدن في سبيل التقتل بالعيون النعس، والشفاه اللعس^(١)، ولكني نسيت، فلمن يكون التقتل وكلكن إناث؟!!

سيحاول ربكن المصنوع من شهواتكن إيهامكن أن منكن فريقًا هو ذكور!!

ماذا في البيت المؤمن، وماذا في الخدر العفيف؟

ألا ترينه يا حمولة الاستعمار وفرشه أندى نسمات، وأزكى روحًا وريحانًا، وأبر نعيمًا ورحمة وأوفى حنواً وسكينة، وأجل سلطانًا مما ترف عليه خيالاتك؟
ألا يرضيكن أن تجاهدن الجهاد الحق الذي خلقتن له، فترين أبناءكن على حب الله، والجهاد في سبيله، والكفاح لتحقيق المثل العليا، والقيم الخالدة، قيم الإيمان والخير والحق والحب والجمال؟

أفهذا خير أم تَرَكُكُنَّ لهم، صباحهم خيبة، ومساؤهم وحشة وحرمان، ودنياهم ضيعة وخسار، تعلمهم الحياة التي فقدت مقوماتها أن الحياة لا معنى لها، وأن الوجود لا خير فيه، وأن القيم الروحية أوهام، وأن الأمومة قسوة وسم قاتل يفتك أول ما يفتك بالبنين.

ألا إن أَلَقَ ابتسامة تشع على شفتي الوليد من السعادة خير من كل شيء عند الأم التي لم تلوث فتون الجسد قلبها، ولم تفسد شهواتها عليها فطرتها.

(١) اللعس: سواد في حمرة يعلو شفاه المرأة البيضاء. (ض).

ألا إن نظرة واحدة ترمق بها الأم فتألق مجده - وقد تألق مجده - لتفيض الشعور في قلبها بأنها رفاة الأجنحة في السماء، وفي الجنة تسامرها الملائكة.

ألا إن الأم التي تحيا لوليدها تأديبًا وتهذيبًا، فيجوب الحياة إيمانًا وعزة وقوة وكرامة، ويبنّيها فضائل وأمجادًا، ويشيع فيها الحماس المشوب، ويشب فيها التضحية والفداء في سبيل الحق، إن الأم التي تصنع ذلك تعش مطاف إجلال، وأفق محبة وجمال، يفيض الشاء عليها من كل قلب، إذا جعلت الكل يؤمن بجلال نعمة الله، وأن المرأة خَلَقَ يجب أن يحترم، ويحمى حماة.

لكن امرأة الاستعمار، ومطيته الذلول تجاهد في سبيل الإتيان على كل بيت، وتزعم - في عَمَه وضلالة - أنها تريد بناء الوطن بكفها الرخص التي تحسن كيف تثير الرغبة المجنونة بلمسة الأنامل، فتنتفض الأخرى انتفاضة الوحش تصدت له أنثاه!! وما درت أن هذه الكف هي المعول الذي هدم البيت، وهو أس المجتمع، والعماد القوي من صرح الوطن، إنها فرغت أمس فقط من نقض آخر لبنة فيه، فكيف تستطيع البناء يد لا هم لها سوى هدم كل مقدس، وكل مشيد!؟ هدم أول ما كان يجب عليها أن تبنيه، وأن تُفني جهدها كله في سبيل تشييده، هدمه في حمق وجهالة وطيش أرعن...!!

وهّا لك يا حمقاء!! هدمت الوطن الأصغر، فكيف يأمنك الرجال على بناء الوطن الأكبر؟!

تريد ببغاء الغرب مشاركة الرجال في الجمعية التأسيسية!! ترى أتصلح لتكون شريكة تقوم الشركة بالأمانة والإخلاص والعمل الجاد؟ وهي التي أثبتت فشلها الذريع كشريكة في بناء البيت، حتى آلت الشركة إلى الخسران المبين.

ألم تتمرد على الزوج؟ ألم تترك صغارها تستبد بهم قسوة الحياة ووحشتها، ويشقيهم الحرمان؟

ألم تشعل في البيت نارًا تتلظى، وحقًا موارًا، وكرامية مقبلة؟ فكان كل ما عملته في الشركة أن تقوض أركانها، وأن تنقض كل عهد، وأن تخلف عامدة كل وعد، وأن تخون من أوجب الله عليها أن تكون أمينة معه، وأن تؤجج الخصومة والبغضاء والحرب، مع أول من كان يجب عليها أن تكون له حبًا وأمنًا وسلامًا وادعًا؟

فإذا كان هذا هو مآل الشركة التي لا تصلح هي إلها، والتي جعل الله من فطرتها، أن تتقن العمل فيها وتحسنه، فتتمو الشركة وتربح، وتتلأ الحياة ربحًا ونماءً، إذا كان ذلك كذلك، فكيف نصدقها في زعمها أنها تستطيع مشاركة الرجل في الجمعية التأسيسية!!

أتريد أن تُعبّد سبيل السعادة للمجتمع وهي تشقي أولادها؟
أتريد إصلاحه وهي التي أفسدت على أعز أفرادها حياتهم، بعد أن أفسدت نفسها؟

أتريد وضع القوانين التي يجب أن يلتزمها المصريون، ويسيروا على هديها، وهي التي تكفر بقانون السماء، وقانون فطرتها؟

أتريد أن تعلم الناس ما الحق، وما الواجب، وهي التي علمت أولادها أن الحق هوى، وأن الواجب شهوة، وأنها أمران اعتباريان يحدد مفهوميهما نزوة، أو خطرة جسدية! وأن الواجب قد يكون في اغتصاب حقوق الأبرياء، وأن الحق لا يكون إلا في التخلي عن الواجب؟!

أتريد أن تعلم الرجال ما الجهاد، وهي التي فرّت خائنة من الجهاد في سبيل

إقامة بيت واحد سعيد؟

ماذا تريد المرأة من الجمعية التأسيسية؟ وثمت مأساة على مدرجة الطريق، وصب
عيون السابلة^(١)، إنها مأساة البيت الذي خلفته أنقاضاً، والزوج الذي انتزعت منه
رجوليته، والأولاد الذين خلفتهم عمي القلوب والفكر والشعور بالحياة؟!
أما كفاهها أن تخضب يديها بدم هؤلاء الأبرياء، فتسعى لتخلق مأساة في كل بيت؟!
ماذا تريد مطية المستعمر من الجمعية التأسيسية؟ تريد أن تقف مهتوكة
العورة، تاركة شعرها ينسدل في جنون الرغبة على كتفيها العاريتين، وظهرها
الممزق الحياء، يعابث عواطف القلوب، وينازع النفوس إيمانها وسكينة هداها؟
تريد أن تقف، وقد نهد^(٢) صدرها في رعونة الفتنة الصَّخَّابة الإثم، وقد خر
الخجل صريعاً من على ساقها الفاجرتين، ثم تمد ذراعيها، وقد علمتها الغواية
حركتها ورعشتها وفورتها، ثم تخرج من بين شفتيها اللتين تلحقان دم العفة
الجريحة، آهات الإغراء وأناته، ثم تسكب من عينيها الدموع الكواذب، كل هذا
تتوسل به - فما لها من وسيلة سواه - لتخضع الرجال لمشية هواها، وربما
استذلت من عواطفهم، إذ تقسم عليهم بالجنين الذي تحمله، أو بالوليد الذي
ترضعه!

تريد أن يتعلم الرجال كيف يزججون الحواجب، ويشدون المآزر على
الخصور، ويدسون السيقان في شقوق الحرير يفضح المستور، ويلطخون الأظافر

(١) السابلة: أبناء السبيل المختلفون على الطُّرُقَات في حوائجهم، والجمع: السوابل. (ض).

(٢) نَهَدَ الثدي إذا ارتفع عن الصدر وصار له حَجْم. (ض).

والشفاه بما سفحته جريمة؟ ويرقصون في سجوة الليل^(١)، حين يموت النور، ويعربدُ الظلام، وتلف الفتنة رجلاً حول امرأة في ليلة (الكريسما) والزوج يلهب كفيه بالتصفيق؛ لأن زوجته تجيد المخاصرة^(٢) والمعاطة^(٣)، وتأود الأعطاف^(٤) في يد الهاصر^(٥) الغريب، وإذابة عفتها في قبلة أو عناق؟

أليس هذا ما تصنعه المرأة الحديثة، وأليس هذا وحده هو دليلها على أنها امرأة مثقفة متحضرة؟

لست أدري أين زوج هذه المتمردة، أين أبوها، أين أخوها، أين عشيرتها، بل أين الرجال من المسلمين؟ أيتكونها هكذا في دار غريبة، بين داخل وخارج نهياً للنظرة الرعناء^(٦)، والرغبة الحمقاء، والليل الساجي على الإباحية والمجانة؟ أليس لهذه المتمردة أطفال؟ يالللصغار الأبرياء، يبحثون في مخدع الأم عن الأم وتظماً عواطفهم إلى الأم، ويطويهم الليل على لظى من الشوق، وجحيم من اللفهة، يبحثون عن الأم فلا يجدون إلا خادمة شغلت شهواتها بشهوة خادم في البيت، أو عند الجيران!!

ها هو الوليد يحبو على الأرض صارخاً في الليل الموحش، والهّا على أمه ليدفن

(١) ليلة ساجية: إذا كانت ساكنة البرد والرياح والسحاب غير مُظلمة. (ض).

(٢) المخاصرة هنا: وضع الإنسان يده على خصر (وسط) غيره. (ض).

(٣) المعاطة هنا: تداول الحب والغرام بين الرجل والمرأة. (ض).

(٤) الأعطاف: الجوانب، والتأود: التثني والتكسر. (ض).

(٥) هصر الشيء: جذبته وأماله، وهرصر العود: أخذ برأسه فأماله إليه. (ض).

(٦) الرعناء: الحمقاء المستهترة. (ض).

بين حُضْنِهَا وحشْتَهُ وأَسَاهُ، وليرْتَشِف من منَاغَاتِهَا الشاعرية الحلوة رحيق الأمل والسعادة، وليبصر في سُبُحات أنغامها العذاب كوكبة من الملائك ترف بالنور حول مهده، وطاقة من الحور الحسان تسوي له مهده، فينام على هذه الرؤى سعيد القلب.

أقول ها هو: ينادي أمه ويستصرخها، فلا يجد إلا صدى صرخته يغمر الليل حوله رعباً وفزعاً ووحشة، وهنالك، وهنالك تهالكت أمه على فراش آخر بين رجال يحدثونها عن حقوقها السياسية!!

وأما حقوق أطفالها، إنها مضيعة بين جحودها وقسوتها وأثرة الرعونة من شهواتها!!

ويذكر الصغير أن له أباً، فيناديه، ولكن أين هو؟ كان أمس يسمع من أمه أن له وهماً يسمى أباً!! يالللصغير!! حتى هذا الوهم لا يسعده!

وإذا تجردت المرأة من أنبل خصائصها، بل من خصيصة الأولى، وهي الأمومة، فماذا بقي لها؟

وإذا كانت تكفر بأنوثتها، وتأبى إلا أن تكون رجلاً!! رجلاً عجباً يحمل ويلد ويُرضع، فماذا بقي من معانيها، بل ماذا بقي لها من قوة؟

ثم ما بالها تستصرخ الرجال، وتلعنهم إذا انصرفوا عن الزواج، وصامت عنه رغائبهم؟ لماذا تقتل الهلوك متبرجة الفتون والوله^(١) لكل عابر؟ لماذا تقضي ليلها المحروم في المخدع الحزين تحلم بالرجل، وتنتهبها ذكريات ورؤى وأطياناً؟ لماذا أذنت له راضية أن يسحقها؟ بل لماذا تركت أنيابه وأضراره تعمل فيما لا يجب الله

(١) الولة: ذهاب العقل لفقدان الحبيب. (ض).

أن تطمته نظرة شائهة، أو تمسه يد حرم الله أن تمسه؟ فيما تفضل العفيفة الحصان أن تقتل دونه، ولا تلمحه نظرة عجل!

إن البشرية حين خلقها الله جعلها آدم وحواء، رجلاً وامرأة، ذكراً وأنثى، ولكل منهما مقدراته ومقدوراته وخصائصه، فأى شيء ترغب فيه المرأة الحديثة المتمردة على فطرتها.

وتأبى - رياء ومكرًا - أن تنصاع لحكمها، وإن كانت تخضع لهم، ولكن بصورة أخرى ليست هي أبدًا الصورة التي يريد لها العفاف والشرف!!
لا يا مطية الاستعمار!! لا يئن قلبك احتجاجًا على الرجال لأنهم حرموك عضوية الجمعية التأسيسية، ولكن ليصّاعد منك زفرات الحسرة والندامة، ولتجأري بالشكاة المريعة النادرة من نفسك، فالمرأة الحديثة أو ببغاء الغرب تقلده فيما يشتم به الفضيلة، وما يهجو به الشرف والعفة، وما يقيمه من نصب وتماثيل - يعبدها - للعار والضععة والمهانة والتهتك والفجور، وما يثيره من حرب شعواء على الدين، وما يتحدى به الأقدار، وما يتمرد به على الله!! وما يلوث به محارب الطهر من دنس الرذيلة، ورجس الغواية.

إن هذه الببغاء هي التي أكرهت الرجل الكريم على احتقارها، وجعلته يصمم على فض كل شركة بينها وبينه، بعد أن رضيت أن تكون نهبًا لكل سارق، وبضاعة لكل من يملك الثمن؛ ومن عجب أنها هي التي تدفع من شرفها ثمنها!! وبعد أن أبقت وراء الليل مع آخر وثالثم الشيطان!! يزين لها الرذعة المنتنة،

والحمأة^(١) الدنسة، محراب صلاة، وقُدَسَ ضراعة، وجَلُوة^(٢) في الجنة!!
 بعد أن أقامت مع الشيطان - تقمص رجلاً - شركة من نوع آخر هي بنت
 ساعة من ليل وخمر، ثم تَنَفُّضٌ، وقد خسرت كل شيء، وتعود ملطخة بالخزي،
 وعلى جبينها وصمة العار الأبدي، أما صاحبها الشيطان!! إنه راح يدب في الليل
 باحثاً عن مخدع آخر يكوّن معه شركة هي الأخرى بنت ساعة من ليل وعريضة!!
 حذارك لا تُنْكِرِي؛ فكم شهد الليل!! وحذارك لا تزعمي أنك إذن ضحية
 الرجل، أو أنك المجني عليك قسراً.

لا يا حمقاء!! لقد أَبَقَتِ^(٣) النعجة عن راعيها، ومضت وَلَهَى إلى الذئب
 ترقص بين عينيه، وتصقل أنيابه وأضراسه، وتكشف له عن ألد ما فيها من لحم
 الجسد!! فهل لها أن تصرخ إذا مزقها، ثم لاك^(٤) منها مضغة، ثم ترك بقاياها لغيره
 من ذئاب الليل الجائعة؟!

أمّا هذه التي آمنت بربها، واتقته في خدرها سرّاً وعلانية، ولاذت براعيها
 تبني معه الحياة، وبقيت لبنيتها رعاية وتأديباً وتقويماً وحباً.

ألا فانظري إلى السماء، ألا ترينها فوق الأفق تتألق أنوارها؟
 ألا ترين القلوب منتشية من ذلك العبير السابح في الجو من طهرها؟

(١) الحَمَاءُ والحَمَأُ: الطين الأسود المُتَن. (ض).

(٢) جلوة: جلا الشيء حسنه وصقله، والجلوة النظر للعروس يوم عرسها. (ض).

(٣) أبق العبد: هرب من غير خوف ولا كدّ عمل. (ض).

(٤) لاك الشيء: أداره في فمه، وهو أهون المصغ. (ض).

ألا تبصرين العيون كيف تغضي إجلالاً وإكباراً حين تشع عليهم لمحة من لآلئها،
ثم ألا تسمعين حتى من ذلك الذي يمزقك بأنياه، أناشيد الشناء الصادق عليها، فلن
تستطيع الحانة إلا الشناء على المحراب، ولن يستطيع الظلام إلا تمجيد النور.

حذارك لا تصدقي يا مخدوعة أولئك الذين يتراءون كأشباه الرجال، لا
تصدقهم حين ينعمون - خادعين - بالدعوة إلى مناصرتك فيما انحدرت إليه!!
ولو أنك أصغيت إلى هدير النزوات يتر في أعماقهم، لراعك أنها تدعو إلى شيء
آخر، وتوحي بحيلة الذئب يوقع بالحمل.

إنهم حداتك^(١) إلى الشر والفساد والسقوط، حداتك إلى المفازات^(٢) الرهيبة
الضيقة، وهنالك يراهم الناس قافلين، وقد خلفوك أشلاءً متناثرة على الصخور،
تنوشها الرخم^(٣) والغربان والأفاعي القاتلة!!

إن لسعة سوط يلهبك بها الحب الغيور من الزوج أبرُّ بك من هذه البسمات
الخلوب^(٤) تمذك في الغي، وتغريك بالمجانة.

وإن قولة نابية تصك أذنيك من الزوج يحذرك من الهاوية، أرأف بك من هذا
التهاتف المنافق باسمك، والذي يملأ صدرك غروراً، ويجعل على عينيك غشاوة،

(١) الحَدُّو: سَوَّقُ الإِبِلِ والغِناء لها كي تسرع السير. (ض).

(٢) المَفَازَةُ أيضًا واحدةُ المفاوز، وسميت بذلك لأنها مهلكة، من فَوَزَ: أي هَلَكَ، وقيل:
سميت تفاؤلاً من الفَوَزِ والنَّجاة. (ض).

(٣) الرخم: نوع من الطير، واحدته رخمة، وهو موصوف بالغدر والقذر، ومنه قولهم: رخم
السقاء، إذا أنتن. (ض).

(٤) الخِلَابَةُ المخادعة، وهي أن تَحْلُبَ المرأةَ قَلْبَ الرجلِ بِاللُّطْفِ القَوْلِ وَأَخْلَبِهِ. (ض).

فتسيرين عمياء وراء الهتاف، لا تميزين معالم الطريق، ثم. ثم ماذا؟
 ما ثمَّ إلا التردّي في غيابة الهوة السحيقة، وعلى حفافها ترين الهاتفين وقد
 ضجت أشداقهم بالضحك، ضحك السمّاة والسخرية من الحطام الذي دفنوه،
 ضحك القاتل الظلوم، ينظر إلى خنجره، ينزف دم الضحية!!
 وإن تعجب، فعجب تناقض المرأة، إنها بلسانها تؤكد أنها رجل!! حتى إذا ما
 نظرت إلى ما ترتديه، وإلى ما تلوث به شفتيها، إذا ما نظرت إليها، وقد هتكت
 الحياء عن ساقها، ووضعت إحداها على الأخرى، تبيح لكل عابر أن تتلمظ
 شفّتها عليها، وأن تقتحم نظراته الهيم عليها قدس عفتها، وأن تغازل أنيابه
 جسدها ابتغاء أن تأكل اللحم، وتغرق العظم!! وإذا ما أصغيت إلى صوتها تفتح
 منه المعصية، وتأمّلت أهدابها تطرف إجماء بالإقدام على الجريمة، وعيناها تنظر، ثم
 تغفي، ثم تنتظر!!

إذا ما نظرت، وأصغيت، وتأمّلت الصور التي تنشر، والرّمم التي تزحم
 طريقك، راعك صرِيخُ أنثاها من جفوة الرجل، وتهاكُّ أنثاها على الرجل،
 وتهاويها تحت قدميه ليؤمن أنها أنثى، وليست بعضو في جمعية تأسيسية!!
 عودي أيتها المرأة إلى خدرك الكنين، وافتحي قلبك لنور السماء، وحلّقي
 بجناحك فوق الذرى، وعطري المخدع العفيف بطيب الطهر، واقتبسي من
 كتاب الله الهدى والنور والحق والإيمان والجمال الذي ضللت عن مشرقه.

عودي إلى الله، مؤمنة صالحة قانتة، حافظة للغيب بما حفظ الله، وابْنِ مع
 الزوج المؤمن مملكة سعيدة، يغمرها الله رضواناً ومحبة، وثمّت ترين الرجال
 المؤمنين، حينئذ يسألونك الرأي والمشورة في كل ما يعرض لهم من مشكلات

الحياة^(١)، والحكمة الصائبة، يبدد نورها ما ران على الفكر من ضلالة السفه.
 جاهدي أيتها المرأة في البيت، وأقيميهِ على هَدْيٍ من الله وبصيرة، وخلق ظهور.
 جاهدي لتعود الآبقات إلى الدين الحق الصحيح، لِيُنْبَنَ إلى الفضيلة علوية
 الإشراف.

جاهدي لإنقاذ الأسرة من التفكك والانحلال، لإنقاذ نفسك من تلك
 المعاول التي تحطمك، معاول أولئك الناعقين بوثنية الغرب وإلحاده وفساده،
 السادرين في حماقة، يَعْدُونَ على الحق بالباطل، المكبلين بأغلال المستعمر، يسرون
 في ذلة وضعة أحلاس^(٢) غِيَّهٍ وزندقته، وحر به الله، ومنهم الناعق بأساطير دارون
 وأمثاله، إذ يؤكدون لك أن أباك كان قردًا، وأن أمه كانت قردة!! وأن الربوبية وَهْمٌ،
 وإن الإلهية أسطورة، وأن المعبود الأعظم هو هذا الطاغوت الذي يسمونه طبيعة!!
 تجنبي هؤلاء فهم عدوك، وتعالى إلى الله نستلهمه هداً وتوفيقه ورضاه، في حماك
 الآمن، وخدرك العفيف المطمئن، وسعادتك المفقودة مع الزوج الوفي، وبنيك البررة.
 وثَمَّتَ كم يسعد المؤمن أن يناديك بقلب خالص، وحياء غامر، وإجلال
 فياض: هأنذا أحرس الحمى يا أماه!!

(١) كما فعل النبي ﷺ مع أم سلمة يوم الحديبية، ولكن للمشاورة قيود منها:

- ١- أن يتأمل الرجل في رأيها ويتدبره: إن وجد فيه الصواب فليعزم أمره وليتوكل على الله.
- ٢- أن تكون المرأة ذات دين وعقل رشيد، وهذا يكون نادرًا في غالب النسوة، وليس معنى
 هذا إطلاق مشاورة المرأة في كل شيء، بل الأصل مشاورة الرجال. (ض).
- (٢) المجلس: كساء رقيق يكون تحت البردعة والجمع أحلاس. (ض).

الصحافة والدين^(١)

البدعة الملعونة التي يحب بعض الصحفيين أن يقترفها في هذه الأيام هي الهجوم على الدين والنيل بغيره من قيمه المقدسة ومثله العليا؛ وإني لأوقن أن هؤلاء الصحفيين الذين يقترفون هذا هم ألد أعداء ثورتنا العظيمة، وإن كانوا يزعمون أو يتراءون بأنهم أبر أنصارها. فإن من يقرأ هؤلاء الذائدين عن الجهالة والجاهلية، قد يظن أن الهجوم على الدين من سمات العهد الحاضر، وديدن أبطاله. ولعل هؤلاء الكائدين لثورتنا العظيمة بهذا الكيد الملعون يحبون أن يفهم المسلمون هذا، فتقطع الأرحام، وتستعصي على الأخوة القلوب، وعلى الوحدة الآمال والغايات. من هؤلاء من يدعوون إلى الإباحية المقنعة، وإلى المجانة التي لا ترى للفضيلة الدينية قدسية، ولا ترعى لها محراباً.

ومنهم من يتهجم على أقدار رجال لهم صيت كريم بين المتدينين، وليس هدفه في الحقيقة سوى التهجم بقحة وتبجح على الدين نفسه.

ومنهم نكرات تحاول اقتراف الشهرة بالكفر الصراح، أو السوء البواح، أو بالسباب المقذع، والهجاء الفاحش لخير أصحاب الرسول ﷺ، فهذا كاتب يكتب في إحدى الصحف عن الخليفة الجليل عثمان بن عفان الشهيد البار وعن كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان، وعن الفاتح العظيم عمرو بن العاص أنهم أبناء الأرستقراطية، والانتهازيون، ويغمزهم غمزاً دينياً تفهم منه أنه يشبههم بأبي جهل لعنه الله^(٢).

(١) (٤/١٣٨١).

(٢) لمزيد فائدة حول هذا الموضوع انظر كتابنا: «لا تسبوا أصحابي» ردود العلامة محمود

وقد ظن الكاتب الإمعة أنه بهذا الفحش والبهتان يدافع عن الاشتراكية، كما ظن أنه بهذا البهتان سيقترح مقام الخلود على الخالدين، ولعله بات يحلم بالدوي العظيم الذي سيحدثه مقاله، وبالأقلام التي ستشرع للرد عليه، أو للدفاع عنه، فيكسب من وراء ذلك شهرة، وإن كانت شهرة الشيطان.

إن هؤلاء الكاتبين ألد أعداء الثورة، ألد أعداء العدالة الاجتماعية، ألد أعداء النصر الكبير الذي نأمل أن تحقق ألوته؛ إنهم يكيدون مستعمرين أو غافلين لثورتنا الظافرة أدناً الكيد، ويوحون إلى الناس في الخارج أننا أمة راحت تتنكر لدينها وتكفر بربها، وتمقت رسولها، وتقذف بقرآنها وراء ظهورها في سخرية عاتية.

ولهذا نؤمن بأنه لا بد من أخذ هؤلاء بشدة وصرامة فيها غضب الحق على الباغين عليه، حتى نؤكد لهذه الأمة أننا الحريصون على دين الله، فما سمعنا من قائد الثورة البطل سخرية بالدين، ولا كلمة تهزأ به، وإنما سمعنا صوته مدوياً ينذر الملاحدة ذات مرة بقوله: (لن ترتفع فوق راية هذا الشرق إلا راية الإسلام). فما لهؤلاء الكتاب يأبون إلا هذه الامة في الكيد لدين الله ولشريعته، ولرسوله، ولكتابه، ولثورتنا الجليلة؟

ولقد كنا نود أن نصرح بأسماء هؤلاء الكاتبين، غير أننا أكرمنا هذه المجلة عن أن ندنسها بذكر أسمائهم، ولعل الإمعة الذي اتهم الخليفة الجليل عثمان رضي الله عنه بأنه كأبي جهل يلطم خديه الآن آسفًا، إذ لم يجد لمقاله ذلك الدوي الذي كان يترقبه، وإنما وجدته أشبه بقطرة صغيرة من القطران في محيط عميق.

صلاح دسوقي:

ولقد هزنا ذلك المقال العظيم الذي كتبه الأستاذ الكبير محافظ القاهرة^(١) صلاح دسوقي ردًّا على الكاتب الذي تهجم على الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة^(٢)، فأكد بهذا المقال أن الثورة البناءة تعرف للدين قدره العظيم، وأن رجالها لا يمكن أن يطرق بخاطر واحد منهم النيل منه، وإليك بعض ما جاء في هذا المقال الذي نشر بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢٦ / ٨ / ١٩٦١:

لا أعدو الحقيقة إذا قلت صادقًا: إني تألمت للهجوم القاسي الذي شنّه الأستاذ (...) على الشيخ «محمد أبو زهرة».

ولا أود أن يظن إنسان أنني أحاول في هذه الكلمات أن أدافع عن الشيخ أبو زهرة، أو أن أنتصف له فإني أعرف أن الشيخ يملك من وسائل الدفاع عن نفسه ما قد يقصر عنده جهدي.

كما لا أود أن أتعرض لتفصيلات الخلاف في الموضوع؛ وإن ما قصدت إليه أن أعبر عن بعض المشاعر المخلصة التي حركتها في نفسي مقالة (...) الأخيرة.

وأن أرد في نفس الوقت على الاستفسارات التي حملها إلي البريد والتي تلقيتها

(١) ورد في المقال العظيم أشياء يختلف رأينا فيها عن رأي الأستاذ الكبير.

(٢) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في ٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـ = ٢٩ من مارس ١٨٩٨ م، درس بمدرسة القضاء الشرعي، ودار العلوم، وعمل مدرسًا بالمدارس الثانوية، ثم بكلية أصول الدين، ثم بكلية الحقوق حتى صار وكيلًا لها، كما عين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، له الكثير من المؤلفات، توفي الشيخ سنة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤ م، وقد كانت عقيدته أشعرية!! (ض).

من أناس أعرف بعضهم عن معنى هذا الهجوم القاسي، وعما إذا كان وراءه أكثر من معناه الظاهر.

بعض الكتاب:

لم تكن مقالة (...) هي الأولى في الآونة الأخيرة التي يتعرض كاتبها للهجوم على رجل من رجال الدين؛ فقد أصبحت سمة التحرر عند بعض الكتاب الشباب هي الهجوم على الدين والسخرية من رجاله، بل لقد وصل الأمر عند بعضهم إلى حد الهجوم على السلف الصالح، وتطور الأمر تطوراً خطيراً عندما أصبحت الملائكة مادة للفكاهات المكتوبة أو المرسومة في بعض المجلات؛ وهذا الاتجاه الخطير يولد في نفوس الناس وخاصة النشء شعوراً عميقاً بالربط بين الدين والرجعية، حتى أصبح الشاب لكي يكون متحرراً يجب عليه أن يتخلص أولاً من نوازع دينه في نفسه، وأصبح الدين وجهاً من وجوه الرجعية التي تعاند التطور وتقف في وجه التقدم.. وإذا لاحظنا ضعف الوازع الديني عند الشباب على وجه العموم ولأسباب أخرى مختلفة لاستطعنا أن نحس بخطورة هذا الاتجاه الذي يعزز هذا الضعف، والذي يشعر الشباب أنهم بالبعد عن الدين إنما يقتربون من التحرر ومن التطور الذي يلحق المجتمع والعالم.

التعميم خطأ:

وإذا سلمنا بأنه من بين رجال الدين أفراد قد يندفعون في التمسك بحرفيته حرصاً عليه؛ فإننا لا ننكر كذلك أن بعض رجال العلم يندفعون في التمسك بقوانين العلم إلى الحد الذي يجعلهم يرفضون الدين وتعاليمه وقيمه.. وإذا كان وجود أفراد من النوع الأول ليس مبرراً لرفض الدين والتهجم عليه فوجود أفراد

من النوع الثاني ليس مبررًا للتهجم على العلم ورفضه، ولكن الخطورة تأتي من التعميم ومن تحميل الكثرة والمجموع أخطاء القلة المعدودة. وإذا حاولنا أن نعود إلى تاريخنا القريب لنرى هل حقيقة كان الدين حجر عثرة في سبيل تقدمنا، وهل حقيقة كان رجاله حربًا علينا وعلى تطور مجتمعاتنا لرأينا أن العكس هو الصحيح...

مجتمعات أخرى:

لقد وُجِدَتْ مجتمعات أخرى لعب رجال الدين فيها الدور الأول في القضاء على الحرية، وفي مخالفة أعداء الشعوب من الإقطاعيين والمستعمرين، حتى كانت ثورات كثيرة تقوم تحت ضغط ما يفعله رجال الدين الذي زاد كثيرًا عما يفعله الإقطاعيون والحكام الطاغون.

ولكن الأمر في بلادنا على خلاف ذلك، فلم يكن رجال الدين في مجتمعاتنا رجال إقطاع، ولم يكن للمساجد سطوتها الدنيوية على الناس، ولم يبيع رجال الدين في مجتمعاتنا صكوك الغفران... بل لقد كان رجال الدين في مجتمعاتنا في مقدمة الصفوف التي خرجت لمحاربة الفرنسيين والإنجليز والعثمانيين.

نحن نؤمن بالله:

إننا شعب يؤمن بالله وبرسله وبكتبه المنزلة، فليكن إيماننا بالله رائدنا في مناقشة قضايانا، وخاصة ما يتصل منها بدين الله وبالرجال الذين قاموا على الحفاظ على هذا الدين، حتى عندما يدفعهم حرصهم على القسوة على من يظنونهم خارجًا عن حدوده.



دعوى بلا بينة

نشرت إحدى الصحف الصباحية رأيًا لأحد شيوخنا الكبار عن تجسد أرواح الموتى، وظننا بالشيخ الكبير أنه عالم جليل يهدف إلى تقويم عقائد المسلمين بالحق، وتطهيرها من لوثة الوثنية، وما زالت نبرات صوته القوية تهز منا أوتار القلوب، وهو يلقي في المذيع حديثًا دينيًا له، فرح به الموحدون، وحمدوا الله أن حمل معهم رسالتهم هذا العالم الكبير الجليل.. بيد أن ما نشرته له هذه الصحيفة كان صدمة عنيفة لأولئك الذين أحسنوا الظن بالشيخ وآثروه بالمحبة والإكبار، إذ راح يجهد علمه لتأييد أسطورة ابتدعها الصوفية، ليصرفوا بها المسلمين عن عبادة الحي القيوم إلى عبادة الرمم البالية.

لقد زعم الشيخ: أن ظهور أرواح الموتى في صور جسدية، وعودتها إلى الحياة في شكول أصحابها، أمر يميزه العقل، ولا يحيله الدين، واستشهد على ذلك بتشكّل أرواح الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج لخاتم الأنبياء والمرسلين، ثم تساءل، ثم أجاب عن تساؤله بما يثبت به أن ما أكرم الله به نبيه الكريم يجوز أن يحدث لغيره!! وبدوري أسأل الشيخ الكريم - وأنا تلميذ وابن يعتب على أستاذه وأبيه الكريم - من أين؟ وأية إثارة من دليل على هذه الدعوى؟

لقد عودنا الشيخ الجليل أن إمام حجته كتاب الله وسنة نبيه، فهل في كتاب الله وسنة نبيه ما يثبت، أو يلّمح إلى أن معجزة الأنبياء عامة للناس جميعًا، وليست خاصة بمن اصطفاهم الله على خلقه؟

لقد جعل الله من معجزات محمد ﷺ الإسراء والمعراج، وأراه من آياته الكبرى

في تلك الليلة العظيمة ما أراه.

فهل نستطيع القول بأن هذه المعجزة يمكن أن تتكرر مع غيره من الناس من بعده؟!

لئن حكمنا بهذا وضعنا الحجة في يد الكذبة ممن ادعوا النبوة، وافتروا على الله الكذب، ولم لا؟ وقد مكنا لهم من القول بأن ظهور المعجزة على يد غير من اصطفاهم الله من رسله أمر لا يحيله العقل ولا الدين!!

ولو علم الشيخ الكبير بما عانيناه من مقاله هذا لغفر لنا هذا العتاب الرقيق، ولأباح لنا أن نسأله تصحيح ما كتب، والعود إلى الروح الحقبة التي يكتب بها الحق، ويستلهم بها الحق وحده.

ثم إن الشيخ الكبير يقول إلى حد أن يجعل من خرافة الشعراني حجة له، فيصفه أولاً بأنه إمام، ثم يستشهد بما سطرته أساطيره أن من الأولياء من يعود بعد موته إلى الدنيا للقيام بخدمة ذويه!!

يا سبحان الله!!! أبعد كتاب الله الحق، يجعل الشيخ الجليل طبقات الشعراني - على رجسها وتن الخبث والرذيلة فيها - حجة له؟

أبعد اتخاذه رسول الله إماماً وقدوة، يجعل من رجل يبيع الجريمة، ويدعوا إلى الفاحشة ويجعلها كرامة لأوليائه، يجعل من رجل هذا بعض مبلغه من الدنس إماماً؟!

لا يا فضيلة الشيخ، لقد جزع أشد الجزع محبوك.. وفرح بما غفلت عنه فسطرته عدوهم وعدوك، وهكذا وضعت الخنجر المسموم في يد الخصم ليحاول به قتل الحق، فساحك الله، ووفقك إلى انتزاعه من يده.

عواء:

قرأ عليّ أخ كريم ما كتبه مجلة تعيش على حساب الدعوة إلى عبادة الموتى وتقديم القرابين والنذور إليها في أعيادها الشركية ليعيش على حسابها سدنتها وأحلاس أحجار أعتاب أضرحتها، وها هو ما قرأه الأخ مما كتبه تلك المجلة: (سألني سائل: لماذا لم ترد على القنابل التي وجهت باسم (صوفيات)، ثم باسم (دعوة الحق)، ثم باسم (مصرع التصوف)، ونقول للأخ: إن هذا الذي أسميته قنابل هو في مسمياتنا خبيج^(١)، هذا الخبيج هو فضيحة الشيطان وعلامته، فدعه يدل على نفسه ويفضحها، ولقد أقام ويقوم لأجله كتاب مجلتنا وحدهم بتنفيذ مزاعم الأصول التي قامت عليها هذه الرسائل، رغم أن هذه الرسائل ليست موجهة إلينا، وإنما هي موجهة صراحة إلى شخوص حية ترزق، ومع هذا فلو وسعنا الإمكانيات ما تخلفنا عن أن نصفع غلاظ الأقفية بغلاظ الرسائل).

ثم تتوجه المجلة إلى هدفها الصحيح فتمد يدها في ذلة القبوريين تستنجد بعباد الأضرحة أن يمدوها بالقرابين، فتقول عقب هذا: (فمدونا من حلال مالكم، ببعض ما يمد به الشيطان أعداء التصوف، وأدعياءه من مال حرام!! وسترون كيف نقذف بالحق على الباطل، فيدمغه، فإذا هو زاهق!!)

هذا نص ما راحت تعوي به تلك القبورية المقبورة!!

وقال الصديق: ما ردك؟ قلت: على ماذا؟

قال: ألا تراه يسمي الحق خبيجاً؟!

(١) فسر الكاتب القبوري في مقاله هذه الكلمة بأنها «الضراط»!!

قلت: هَوْنٌ عليك، فقد وصف المشركون سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه بأنه شاعر مجنون!!

وأين نحن يا صديقي من خاتم الرسل؟ إنما نحاول بما نكتب أن نقوم ببعض ما يفرضه الله علينا من كفاح في سبيله، وإعلاء كلمته ودك هياكل الشرك، ومعابد الأصنام، وقباب الطواغيت على عنادها، وتطهير العالم الإسلامي من دنس الصوفية، نحاول أن نجعل لهدي الكتاب والسنة وحده الهيمنة على القلوب والمشاعر، وأن نرفع تلك الجباه الذليلة لغير الله، فيشعر المسلم أنه إنسان، وأنه لا يشعر بالعزة الحققة إلا في الذل العابد لله وحده، ولن يضيرنا عواء عبدة الرمم، ولا سَبَّ ذليل يحول ما نكتب بينه وبين استمداد رزقه من أعتاب القبور، وأصنام الأضرحة، فخلّ عنك، فقد كان كل ما يرد به المشركون على الحق البين من كتاب الله سبابًا وشتائمًا، ويا للعجب!!

فإنها أيها الصديق سنة الجاهلية، وكرامة أولياء الجاهلية!! أما ترى الشعراني يشيد بذكر وليه العريان وكراماته، فيذكر لنا منها أنه كان يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يتهم بفسائه غيره؟!!

وها هو ذِيَالك الكاتب العرياني يقتدي بسيدة العريان، فيخرج من أعماقه نتنه، ثم يتهم به عبد الرحمن!!

ثورة صالحة:

نشرت جريدة الجمهورية الغراء أن فضيلة الأستاذ الكبير وزير الأوقاف الشاب خالف نص واقف، تنص وقفه على بناء ضريح، فأبى الوزير الجليل إلا أن يبني مسجدًا بدلًا من الضريح!! معللاً مخالفته هذه الشائنة أن في إقامة الأضرحة

عودة إلى الوثنية، وأن الأحياء أولى من الموتى بهذا المال، وهكذا شاء الله أن يكون الأستاذ أول وزير للأوقاف يرفع المعول بيديه الفيتين القويتين ليضرب به الضربة الأولى على رأس الصنم ويعلنها في جرة المؤمن، وشجاعة المجاهد، وعزيمة الثائر للحق في وجه الباطل أنها وثنية، ولو أن هذا القول قيل من قبل لثارت ثوائر الطواغيت، ولكنها صدمة الحق من معول الحق، يحمله الوزير الفتى!! لقد جاءت قوية مدمرة فصعق البعض واندك آخرون، فلم تدع لهم فرصة للعويل أو الصياح، ولم يبق ثمت إلا أولئك الذين يدعون الله للوزير الشاب أن يلهم الله بيانه الحق دائماً، وأن يجعل منه رائداً للحق دائماً، وأن يوفقه إلى كل ما يقيم بناء التوحيد الخالص، والإتيان على بنیان الشرك من قواعده، و يقيني أن الوزير الشاب يحتسب أجره عند الله، ويسره بل يسعده أن تفيض القلوب بالدعاء الخالص له أن يوفقه الله.

صديقات للسائحين!!

نشرت الصحف أن مصلحة السياحة تعمل الآن على اختيار أربعة وثمانين سيدة وآنسة من المثقفات ليكن صديقات للسائحين أثناء تنقلاتهم وزيارتهم لمعالم البلاد!! امرأة مصرية مسلمة أو مسيحية نتركها مع أجنبي وراء الليل الهائم بالنشوة الآثمة!! مع رجل غريب الدين والوطن يمكث في مصر أسبوعاً أو أسبوعين ثم يعود إلى أهله، وقد سلب منا ما سلب!!

غريب يحجيء لينفق بعض ماله القليل في مصر، فننفق عليه من العرض والشرف؟! لا يا مصلحة السياحة، فلن يرضى بما فكرت فيه قادة الثورة الذين يتوقدون غيرة على مصر، وشرف مصر، وكرامة مصر، وقيم دينها الخلقية العليا، ومثلها

الرفيعة الخالدة التي راحت تشع نورًا ساميًا على العالمين، لن يسمحوا لرجل كائنًا من كان أن يجعل أعراض بناتنا وأخواتنا من التفاهة بمكان نأذن فيه لرجل أجنبي أن يمسه أو يخدشه لقاء دراهم معدودة، يقيننا أنهم لن يسمحوا بهذا الهوان الذليل، ولا تلك السبة الملعونة التي نحاول بها أن نكون ذيلًا للغرب فنقلده فيما يهوي بالكرامة، ويقتل الفضيلة، ويدك قيم الأخلاق.



جاهلية غربية^(١)

نشرت صحيفة أسبوعية لأحد رجال القانون في جامعة كبيرة هذه البهّة الرعناء: (إن الرجوع إلى النظم الإسلامية بعد أن أدجنا قوانيننا في مجموعة القوانين التي يسير عليها المجتمع الدولي ينطوي على معنى الرجعية المناهضة لسنن التطور). ذلك نص ما قاله ذلك الأستاذ الذي وكل إليه تربية فريق من شبابنا، وتوجيههم الوجهة الصالحة التي يخدمون بها أمتهم ووطنهم، ويسعون لتحقيق المثل العليا للقيم الدينية والخلقية والاجتماعية، وتقويم ما يُعرّض عليهم من أفضيات الحياة بالحق والعدل، فكان خير ما علمهم إياه أن المجتمع الدولي أحكم وأعدل من الله، وأن شرعة الله لا تستطيع إقامة الحق والعدل ولا إفاضة الخير، وأن الحكم بكتاب الله رجعية تناهض سنن التطور، ولم لا؟ والتطور هو الخلاق عند الأستاذ وقرنائه!!

ولقد شخص بصري طويلاً إلى اسمه الكريم لعلي أستشف منه ما يدل على قومه ودينه؛ بيد أني - ويا أسفاه - رددت الطرف موجه القلب، حيران اللب، إذ كنت أود أن يكون غير مسلم، فيجد من يحاول تلمس عذر لمثله أثارة من عذر له، لكنني وجدت اسمه يدل على أنه ينتسب باسمه في شهادة الميلاد إلى هذا الدين السمح الذي يبهته بالرجعية بعض المنتسبين إليه؛ كنت أود أن يكون إنجليزياً، أو صهيونياً، أو شيعياً، فأقول: شنشنة نعرفها من حقود، ولكنني وجدته ينتسب في

شهادة الميلاد أيضًا بجنسيته إلى مصر!!

وعدت أقول في غفوة الحلم الساجي: لعل المقترف لهذه الفرية رجل أُمي الفكر، لا يميز بين الحق والباطل، أو بين الخير والشر، أو بين الإيمان والكفر، بل بين فلق الصبح الوضئ وعمة الشتاء المدهم؛ وكادت همسات الحلم تروّح عني بعض ما أنا فيه من هم رוחي عاصف، لولا تذكري أنه أستاذ يدرس القانون في جامعة كبيرة!!

وئمتَ صاح الأسى من أعماقي: يا لضيعة الشباب إذا كان مثل هذا الأستاذ يشرف على تثقيفه!

إن ما بهت به الأستاذ شريعة الله المحكمة المطهرة يدل دلالة بينة على أن منا فريقًا لا يزال يستحب العبودية الذليلة الخانعة للبغي الغربي في سطوة جبروته، للمستعمر الغاشم فيما فرضه بقوته الظالمة على الناس من شريعة تحفل وتحتفي بالظلم والشر والبغي والرديلة، وتجرحها حربًا شعواء على مقدسات العدل والخير والقسط والفضيلة والشرف والكرامة.

يريد منا ذلك القانوني أن نظل عبيد هؤلاء الطغاة البغاة الذين وأدوا كرامة الإنسانية، وهووا بها إلى حضيض التسفل والدناءة، وساموها الخسف والهوان والذل المرير، يود لنا هذا الأستاذ المتضلع في قانون المستعمرين أن نظل أسارى القيود والأغلال لإنجلترا وأمريكا وفرنسا وغيرهم من أولئك الذين يعملون منذ كانوا، وحيث كانوا على وأد الإسلام، وإفناء المسلمين، وتدمير العروبة والعرب، وإهلاك كل جنس بشري لا يلوث عرقه الدم الأزرق الخبيث!!

يريد منا هذا المبشر بعدالة البغي الغربي أن نكون فيما نعتقده، وندين به ونؤمن

به ونفكر فيه، ونخبت له، ونجاهد من أجله، ونقيم عليه بناء حياتنا الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية، وننشئ عليه أولادنا، ونُعَبِّد به سبيل المستقبل للأجيال القادمة من المسلمين والعرب؛ يريد بما بَشَّر به، أو بما شرعته له عبوديته لأصنام الغرب وأوثانه وطواغيته أن نعيش حتى 'تفنى' الخليقة أحلاس مادية الغرب وسطاه الحقوق، وعبيد شهواته وأسارى بطشه، وحملة القماقم في مواكب جوره الظلام!!

لا يا أستاذ قانون الاستعمار!!

لقد نهضت مصر نهضتها المشرقة، ووثبت ووثبتها التي أجفل منها طواغيتك، وتألقت بها فوق الذرى أعماد المسلمين والعرب، واثارت ثورتها المباركة المجيدة التي قضت على 'دعاة العبودية والخنوع للمستعمر، صنعت مصر هذا، لا لتكون إمعة في الحياة، ولا متطفلة على الفئات المسموم من مائدة سادتك الغربيين، ولا سائرة وراء الموكب الذليل يسوطها بالعذاب جلاد القافلة الشرود، لا لا، وإنما صنعت مصر هذا المجد بعزيمة قوية لا تنكص، ولا تنكس العلم، لتشيع بين الناس الخير، ولتنشر العدل، ولتبسط الرحمة، ولتجمع الكل على كلمة سواء، ولتسلك بهم سوي السبل، فيؤمنوا بالله وحده، وتخبث له قلوبهم، فيسمو بهم الإخاء الكريم في محبة الله وحده؛ صنعت مصر ذلك لإنهاض المسلمين جميعاً في مصر وغيرها من كبوتهم التي جناها الغرب عليهم بإلحاده وزندقته، ولتعمل معهم صادقة العزم على تثبيت دعائم ما شرعه الله من توحيد خالص، وإيمان صادق، وعدالة كريمة، ومساواة نبيلة، ومحبة شاملة؛ صنعت مصر ذلك لتعيد إلى العرب أمجادهم السوالمف الخوالد على الزمن، ولتعمل معهم على إيجاد حياة

فاضلة تسع الكل في رحابها الفساح مشرقة الود، رفاة بالأخوة الشاملة؛ فأمسك عليك رأيك وهواك أيها السيد!!

لن يصغى إلى وحيك الاستعماري مسلم ولا عربي، فإنما هي جذوة توقدت، ولن تنطفئ، لأن رعاية الله تمدها بالحياة المشتعلة حماساً وقوة واتقاداً وعزيمة صابرة مكافحة، وقد اعتزم الجميع نشدان الحرية الكاملة بالإيمان بالله القوي وحده، لا بإنجلترا وأمريكا وفرنسا!!

اعتزموا أن ينالوها من يد الله وحده بما يبذلون في سبيله من دم ومال، لا من يد من اعتزمت وحدك أن تحرق البخور في هياكل أصنامهم المتداعية.

ثم قل لي أيها الأستاذ القانوني: أدرست ما في الكتاب والسنة من شريعة مطهرة؟ هذه الشريعة التي تحنو ظلالها الوارفة على من لا يدينون بها، وترويه بسلسلها العذب - ما داموا مسالمين - وتحقق لهم حياة تورق بالسكينة والطمأنينة والسلام الكريم.

أوقن أنك، إما أن تكون قرأت، ولكن لم تفقه مما قرأت شيئاً لما غشى على فكرك من عصبية عمياء صماء لقانون الغرب الملحد، فرحمت تتهم شريعة الله بما اتهمتها به، وبما يبرأ منه المسلم الحق، والعاقل الرشيد. وإما أن تكون لم تقرأ شيئاً، فلم تؤمن بشيء، فحكمت بهواك ضناً بفكرك أن تكلفه استهداء الحق واليقين من الكتاب والسنة، فخالفت حتى أول مبادئ العدل الذي ترعمه لقانون آهتك الغربيين، إذ حكمت بالهوى أو بالجهالة في قضية لم تسمع فيها سوى فرية الخصم البلقاء، فأعنت على الحق الكريم، باطل الخصم الظلوم، وحملت المجني عليه وزر الجاني اللئيم!

وأكد المبح أنك تريد بما ذكرته حدود الله من قطع ليد السارق، وجلد أو رجم للزاني، وغيرهما مما حده الحكيم الخبير الخلاق لحماية الجماعة من سطوة الفرد وبغي شهواته، ليس الإسلام هو هذا فحسب، وإنما هو قبل هذا توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصالح للعباد في الدنيا والآخرة، فإذا آمن الناس به، وعملوا بما شرعه الله، فلن تجد من يحتاج إلى السرقة، أو يقترب ما به يقام عليه حد من حدود الله، فالجماعة في الإسلام أُخُوَّةٌ وتعاون وتكافل وتراحم وموالاتة رحيمة في السراء والضراء، ليس فيها سيد ولا مسود، ولا عزيز يطغى على ذليل، ولا جائع يبيت على الطوى وأخوه المسلم يشكو بطنه التخممة كما نرى في كل جماعة لا تدين بدين الحق.

ولقد جهد طاغوتك الغربي بماله وقانونه وقوته مئات السنين، فلم يستطع يوماً إيجاد حكومة صالحة، ولا مجتمع صالح، أما الرسول ﷺ ومن بعده أصحابه، والمهتدون بهديه، فقد سجل التاريخ لهم أن الإنسانية لم تسعد في حياتها بمثل ما سعدت به في حكمهم الصالح وحكومتهم الدينية الرشيدة، حتى لتكاد الجريمة الفردية أو الجماعية تعد على أصابع اليد الواحدة في تلك المجتمعات الصالحة الفاضلة، فأين هذا مما نسمع به من جرائم تخزى لها وبها الإنسانية كل ساعة في مجتمعاتك الغربية؟! ويفزع التاريخ من هولها الرهيب؟

لقد كان ذلك كذلك لأن المسلم حينذاك كان لا يتقي غير ربه، ولا يعمل إلا لوجهه، ولا يخاف إلا منه، فكان له من هذه التقوى حاكم رشيد وريب يقظان يحول بينه وبين أن يزل، ومن هذه اللبنة القوية شيد المجتمع الإسلامي، فلم يجد الحاكم سارقاً يقطع يده، ولا زانياً يرمجه أو يجلده، اللهم إلا قلة قليلة معدودة

على أصابع اليد، ومع هذا فإن تلك القلة حين سقطت استيقظ فيها الضمير الديني، فجاءت تعترف راضية بما جنت، ليقام عليها الحد القاتل، فتلقى الله قدسية العرض والعفة والإيمان، فلم يكن هؤلاء الذين أجرموا إلا ضحايا لحظة طاشت فيها غرائزهم، حتى إذا رد الجماع، أبوا أن يغفروا لأنفسهم ما اجترحوه وأبوا أن يكذبوا على الله، وكانوا بمنجاة من الحد لو طوعت لهم شهوة الحياة الكذب، بل النكول عما اعترفوا به، ولكنهم استحبوا الموت والعذاب جلدًا أو قطعًا أو رجماً على أن يلقوا الله وقد خانوا أمانته مرة واحدة، أو كذبوا على الله كذبة واحدة!!

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

[التوبة: ٧١]، في تلك الأخوة الصادقة، وهذه الموالاة الرحيمة تعيش الجماعة الإسلامية، فلا شرف بالأحساب، ولا بالأنساب، بل الكل في رحاب الله أحبة، وفي عبادته إخوة، وللجهاد في سبيله يعملون، ألم يأتك نبأ قوله ﷺ: «إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم طف الصاع لم تملؤه؛ ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين أو عمل صالح»^(١)، وقوله: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية^(٢) الجاهلية، وفخرها بالآباء. مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون

(١) أحمد والبيهقي.

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٤٥)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في

المشكاة (٤٩١٠).

(٣) الكبير.

على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التَّنُّ»^(١)،^(٢) وقوله: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى هاهنا - مشيراً إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وعرضه، وماله»^(٣)،^(٤).

ثم ألم يأتك نبأ هذا البر الإلهي الأسمى باللقطاء، إذ يقول سبحانه: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]؟ ثم اصنع جيداً إلى الرحمة فياضة الخير والندى تنهل رفقا وإحساناً من قوله ﷺ عن الخدم وغيرهم: «إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه، فليعنه»^(٥)،^(٦) ومن قوله: «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه، ثم جاء به - وقد ولى حره ودخانه - فليقعد معه، فليأكل، فإن كان الطعام مشفوهاً»^(٧)؛ فليضع في يده - أكلة أو أكلتين»^(٨)،^(٩).

ثم تأمل كيف يدعم الله الحياة الاجتماعية للإنسانية بمثل هذا التكافل والتضامن وذلك بين في قوله ﷺ: «من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلاً

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، برقم: (٥١١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧).

(٣) مسلم. (٤) سبق تخريجه.

(٥) أبو داود. (٦) سبق تخريجه.

(٧) أي قليلاً على قدر شفة صاحبه. (٨) البخاري ومسلم.

(٩) أخرجه البخاري، كتاب: الأطعمة، برقم: (٥٤٦٠)، مسلم واللفظ له، كتاب: الأيمان،

برقم: (١٦٦٣/٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإلينا»^{(١)(٢)}، وفي قوله: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من ترك مالا ف لأهله، ومن ترك دينًا وضياعًا، فإليّ وعليّ»^{(٣)(٤)}، هذا هو الضمان الاجتماعي في سموه ورحمته، إنه ليس منحة تتفضل بها الدولة مائة بها، وإنما هو فرض مقدس عليها للمعوزين، وفوق هذا فرض الله الزكاة في المال والحرث والأنعام، وفرض في كثير من الكفارات إطعام المساكين، وندب إلى الصدقات، وجعل الصدقة قرصًا يقرضه العبد لربه.

يا لأستاذ القانون لو أنه لمح إشراق الجلال والجمال والرحمة والحب في قوله جل شأنه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١]، أترى إلى الله العلي الكبير، كيف يجعل ما يقدم إلى الفقير قرصًا له؟!

أفتُخَدَشُ بعد هذا كرامة الفقير، أو يضمن أو يمن عليه أخوه المسلم الغني؟! وهل يقترب هذين مؤمن يوقن أنه يقرض ربه الكريم الغني؟!

هذه يا دكتور قانون الاستعمار بعض لمحات الحياة الاجتماعية في الإسلام، فهل تجد بعد تطبيق هذا تطبيقًا صحيحًا من يحتاج إلى السرقة، أو من نعتذر عنه إذا خانت يده؟!

ألا إن من يسرق هذه الجماعة المتأخية، وقد كفلت له بأمر الله كل شيء

(١) البخاري ومسلم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أبو داود والترمذي.

(٤) سبق تخريجه.

يستحق يا سيدي الحد الذي شرعه الله؟ وهو قطع يده، فما تستحق هذه اليد التي بُذِل لها خير العطاء، وَوُصِفَ البذل لها بأنه قرض يقدم إلى الله، فخانت الباذلين من إخوانه الأحبة، ما تستحق إلا أن تبتري، فقد خان الله ورسوله، وخان الجماعة الإسلامية، ومن البر البالغ الرحمة به وبذلك الجماعة أن تقطع يده، ولكن مع ذلك تبقى له يد أخرى لعله يحميها بتقوى الله من الخيانة الآثمة، فيتجاوب إيماناً وفكراً وشعوراً وجهاداً مع هذه الجماعة التي تبني نفسها بالإيمان الحق بالله، وتبني صرح الإنسانية الأسمى بأخوتها الرائعة، وجهادها المشترك.. هذا حد السرقة.

ولعلك يا دكتور تلمح حكمة الله في حد الزنا، وأنه حق يجب العمل به، فمن الدلالة على موت الضمير، والفجور في الجحود ونكران الجميل، خيانة هذه الجماعة، بهتك عرض يراه كل مسلم عرضه الذي يجب أن يقاتل دونه، وقد تجلت رحمة الله بالغة في هذا الحد، فجعل حد الذي لم يتزوج مائة جلدة، أما المتزوج فأمر برجمه، فلهذا مندوحة إذا استبدت به النزوة العارمة، أما ذاك فخفف الله عنه رعاية لحاله، ثم ما بال المتزوج يأبى - وعنده الطيب - إلا أن ينتهب الخبيث؛ ألا تراه بفعلته النكراء قد صمم على أن يظل معولاً يهدم أعراض هذه الجماعة وأنسابها؟! فعنده حلاله البين يستطيع به أن يتقي هذا الحرام المكحول الإثم والغواية، ولكنه أبى إلا أن يعيش حيواناً شرساً ضارياً ينهش الأعراض ويعرقها طياش البهيمية، مستسفل النزوة، فكان لابد من قتل هذا الوحش إنقاذاً للقطيع الوديع المسلم، يرعى في حمى الإيمان ومراح المروءة والنخوة والرجولة والأخوة العامة.

بهذا الحد حمى الله أنساب الإنسانية، وأعراضها، ودفع الأمانى ظمأى إلى الزواج المبارك، أما قانونك فغمر وجه الأرض باللقطاء، ولطخ جبين الإنسانية

بالجريمة النكراء، ودفع الذئاب ظمأى إلى الدم المسفوح!!

قانونك يا سيدي يبيح لصاحب العرض قتل العادي عليه إذا فجأه، فما بالك تأبى على الله أن يقتل هذا الوحش الساغب إلى الجريمة؟

ثم ألا ترى كيف فرض الله لإثبات هذه الجريمة، أن يراها أربعة شهود يشهدون أنهم رأوا الوحش ينزو على الفريسة المستسلمة؟!

في فرض هذه الشهادة من أربعة يتبين لك على أية ذروة شاذة رفيعة وضع الله عرض المسلم حتى لا يناله أذى، ويظل في إشراق عفته، وألقى قدسيته، بل في فرض هذه الشهادة يبين لك جلياً أن الله لا يحب ولا يرضى أن يوصم عرض بهذه الفاحشة.

حتى إذا استعلن الباغي، وأبى إلا أن تشهده جماعة من أربعة وهو يقيء جريمته وينزو من حيوانيته قبحها المتن، كان لابد وأن يجعل الله للمسلمين عليه سبيلاً، فيقتلوه كما قتلهم، ويفضحوه بشهود عذابه كما فضحهم.

أرأيت إلى المجتمع الإسلامي الأول، يسعى شبابيه وشيبه إلى الزواج، ويقف المسلم دون عرض أخيه المسلم، حتى إذا سمع عنه ما يشوب قدسيته، قال مؤمناً: ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] كما علمهم الله في سورة النور، أما نتيجة العمل بقانونك فكانت هذه الأعراض المسفوكة، وهذه الأنساب المثلومة، وهؤلاء الفواسق اللاتي يترامين على الأنياب والأضراس تمزق لحومهن على قارعة الطريق، وراعي القطيع يغري الذئاب أن تفترس قطعانه، بل يفخر أن وجد لشاته الشرود ذئباً يفترسها بين عينيه الضاحكتين للجريمة! وهؤلاء الفساق يحطمن الخدور، ويتنهبن شرف العذارى الحالمات.

ألا فاسمع أيها الدكتور، وليسمع معك عباد طواغيت الغرب: لقد آمن المسلمون في مصر وغير مصر، أن حياة العزة والمجد والكرامة، وأن العدالة المشرقة والمحبة السامية، والروحانية الصافية، آمنوا أن كل ذلك نبع من شريعة الله، وأن لا قوام للعالم الإسلامي بل للإنساني كله، إلا بهذا الدين الحق، ينعم بهديه وعدالته كل إنسان على وجه الأرض.

ثم إن المسألة ليست مسألة شريعة وقانون فحسب، بل إنما هي قبل ذلك مسألة إيمان وكفر، فليختر كل إنسان لنفسه ما يشاء منهما، والله غالب على أمره.



مطايا الاستعمار^(١)

نشرت الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ - ١٢ - ١٩٥٣ ما يأتي نقلًا عن صحيفة «التيمنز» اللندنية:

«يتقدم الإسلام بخطى سريعة في غرب أفريقيا، حتى أن بعثات التبشير والأوربيين على السواء، ليبدون قلقًا شديدًا مما قد يترتب على انتشار الإسلام في المنطقة كلها، وكان الاعتقاد قديمًا أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء، وقد يتجه نحو الحضر، وما كان أحد ليصدق أنه يستطيع اختراق المناطق الاستوائية، وأن يصل إلى الجنوب، كما حدث في سيراليون، والساحل العاجي، وساحل الذهب، وداهومي.

ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام في هذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة، وبالعالم العربي، ويختلف المفكرون الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في أفريقيا؛ فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير في الخطوط التي رسمها له المستعمر، بينما يرى آخرون ضرورة الحد من تقدم الإسلام عن طريق نشر البدع والخرافات، حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد!!

أرايتم أيها المسلمون؟! تدبروا هذا النذير، لعلكم تعرفون من أين أتيتم، ومن أين تُؤْتَوْنَ؟!

هكذا أفصح الاستعمار الوثني عن الحقد المّوار في صدره، وكشف عما يكيد به لهذا الدين السماوي الحق، دين التوحيد الخالص، والإيمان القوي المجاهد، والعدالة المطلقة، والأخوة البارة، والرحمة الوريقة الودود، والحب الصادق النبيل، والسلام العطوف، والمساواة الحقّة السمحاء.

هكذا هتكت عن وجه الاستعمار قناعه السحري الخلوب، فماذا ترون أيها المسلمون؟

هكذا أيدت تلك الصحيفة البرهان المشرق، والحجة البالغة - وطالما كذبتُم بهما - على أن البدعة سم استعماري زعاف فتاك، ولكن يحسبها عبيده، رحيقًا من خمرة الحب، وشهدًا يرف من كأسه عبير الخلود!! أيدت أن الخرافة نصل استعماري مرهف يصيب به كبد الأمة الإسلامية، على حين يظنها عبّادُه أنامل الرحمة تأسو منه الجراح!!

وَيْ!! وَيْ!! أيها الشاردون في تيه البدع، التائهون في مجاهل الأساطير، الجاعلون من الخرافات أربابًا لكم وآلهة!!

وَيْ!! وَيْ!! أحلاس القبور، ويا عبيد الرمم، وأسارى العبودية الذليلة للأصنام، وسدنة الهوان الوضع للطواغيت!!

وَيْ!! يا حملة القماقم، وحارقي البخور في هياكل النُصب، وحملة المشاعل الرعناء في ركاب المجوسية!! وي أحبار البدع، وكهان التصوف!!

هكذا أبى الله إلا أن تفضحكم هذه التي استعبدتكم من قبل، وتستعبدكم الآن، وتلهب ظهوركم الذليلة بسياطها الملهبة، لترفعوا نعالها فوق هام أربابكم، ولتبثوا من أدناسها قباب آهتكم، وتضمخوا بتنتها الخبيث مجالس الذكر لأصنامكم!!

وَيُ كَيْفَ أَذِنَ سِيدِكُمُ الْمُسْتَعْمَرُ لِهَذِهِ الْبَغْيِ الْهَلُوكِ أَنْ تَفْضَحَ رَوَادَ حَمَاتِهَا، وَمَنْ لَطَخُوا إِنْسَانِيَتَهُمْ بِرِدْغَتِهَا، وَرَاحُوا يَعْبُدُونَ رَبًّا صَنَعَ فِي مَوَاقِيرِهَا؟! لَمْ لَمْ تَجَارَ ضِرَاعَتَكُمْ إِلَى هَذِهِ الْبَغْيِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَتَخْشَعُ عِبُودِيَتَكُمْ عَلَى أَعْتَابِهَا هَامِسَةً فِي ذَلِّ: وَيَلَاهُ مِنْكَ يَا رَبَّتَاهُ!!

أَهْكَذَا هُنَّا عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الرَّبَّةُ الْمُقَدَّسَةُ الْأَسْتَارُ؟!

لَكِنْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ أَنْ يَهْمَسَ بِشَكْوَاهِ لِرَبَّةٍ دَانَ لَهَا بِالذَّلِّ الْمَطْلُوقِ؟! فِي حِينَ عَوَى أَوْلَئِكَ عَوَاءَ آثَمِ الضَّجِيجِ عَلَى مَحْطَةِ الْإِذَاعَةِ!! أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لِأَنَّهَا طَيَّبَتِ الْأُذَانَ بِعَبِيرِ الْوَحْيِ، فَانْبَعَثَ مِنْهَا فِي صَدَقِ الضَّرَاعَةِ: اللَّهُ أَكْبَرُ!!

مَسَاكِينُ هَؤُلَاءِ!! لَا يَنْسَوْنَ لِلْمُسْتَعْمَرِ أَبَدًا الْإِخْلَاصَ الذَّلِيلَ لَهُ، فَهَبُوا سِرَاعًا وَجَلِينَ لِأَنَّ الْحَقَّ مِنَ الْأُذَانِ جَلْجَلَ يَحْيِي سَنَةً وَيَمِيتُ بَدْعَةً!! فَكَيْفَ يَسْكُتُونَ؟! كَيْفَ يَرْضَخُونَ لِلْسَّنَةِ يَحْيِيهَا رَجُلٌ رَشِيدٌ بِصِيرٍ؟!

لَا لَا! فَإِنَّ السَّيِّدَ الْمُسْتَعْمَرَ مَا بَارَكَهُمْ، بَلْ مَا اسْتَذَلَّهُمْ إِلَّا لِيُعْلَنُوهَا حَرْبًا شَعَوَاءَ عَلَى كُلِّ سَنَةِ نَبْوِيَّةٍ مُطَهَّرَةٍ، وَلِيَقِيمُوهَا مَوَاقِبَ لِلرَّقْصِ الْعَرَبِيِّ، وَالْمَجَانَةِ الْغُويَّةِ احْتِفَاءً بِكُلِّ بَدْعَةٍ!!

لَقَدْ خَلَقَ الْمُسْتَعْمَرُ الْقَدِيمُ هَذِهِ التَّقَالِيدَ الْجَاهِلِيَّةَ، ثُمَّ جَلَّاهَا عُرُوسًا مَتَهَالِكَةً الْأَنْوَتِ، مَبْذُولَةً الْإِثْمِ لِكُلِّ رَاغِبٍ، فَهَلَكَ بِهَا مَنْ هَلَكَ، وَقَالَ عِبَادُهَا: هَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِشْرَاقِ الْأَعْلَى مِنَ الرُّوحِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ؟! قَوْمُ ظَنَّهُمْ الْمُسْلِمُونَ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ، وَالشَّيْخَ الْأَكْبَرَ، وَسُلْطَانَ الْعَاشِقِينَ، وَالْهَيْكَلَ الصَّمْدَانِيَّ! وَالْقُطْبَ الرَّبَّانِيَّ!! وَتَلَقَّفَهَا الْمُسْتَعْمَرُ الْجَدِيدُ إِنْجِلِيزِيًّا أَمْرِيكِيًّا، شَيْعُوًّا، صَهْيُونِيًّا، ثُمَّ رَاحَ يَزِيدُهَا فِتْنَةً خُلُوبًا، وَتَقْتَلًا فِي

باحة الغواية فاتناً، فهفا إليها من المسلمين أحبار وكهان وزعماء؛ وبید هؤلاء خنق الاستعمار البغيض العالم الإسلامي كله!!

إن ما يفكر فيه عدو الإسلام حديثاً، عين ما فكر فيه عدو الإسلام قديماً، ما نشرته «التيمة» هو بعينه ما سطر قديماً عن وسائل حرب الإسلام، وإليك ما يقوله ابن حزم في كتابه الفصل: «لما اُمْتُحِنُوا - يقصد الفُرس - بزوال الدولة منهم على أيدي العرب تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام، ورأوا أن كيده بالحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت الرسول، ثم سلكوا بهم مسالك شتى، حتى أخرجوهم عن الإسلام مثل القول بالحلول^(١) له، ونبوة من ادعوا له النبوة^(٢)، والمهدي وسقوط الشرائع».

ويقول المقرئ في الخطط (ج ٢ / ص ٣٦٢): (إن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يقدرسون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم إلى أيدي العرب، وكانت العرب عند الفرس أقل

(١) وهل سار بهذه البدعة سوى الصوفية من زعيمهم الحلاج إلى عصرهم هذا؟

(٢) وقد صنع المستعمر الحديث هذا أيضاً، فحملوا غلام أحمد القادياني على ادعاء النبوة، وكان لهم مطية ذلولاً، وكذلك حملوا ميرزا علي محمد الملقب بالباب، وميرزا حسين علي نوري الملقب بالبهاء، وابن عباس الملقب بعبد البهاء، والذي منح وسام فارس

للإمبراطورية البريطانية!!

الأمم خطرًا تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ثم رأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة بيت الرسول، ثم سلكوا بهم مسالك شتى، حتى أخرجوهم عن طريق الهدى).

ويقول صاحب المواقف عن طائفة «الغياربة»: (هم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع^(١) على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم)، ويعلق شارحه على هذا بقوله: «وذلك أنهم اجتمعوا، فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك، وقالوا لنا: لاسبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، لكننا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم، فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم): اقرأ أيها المسلم الحق هذا، واقرأ ما كتبه «التيمز» الإنجليزية لتدرك معنى قول الله سبحانه: ﴿اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

(١) وهل قام بهذا أحد قيام الصوفية به؟! وهل بلغ به أحد حد الزندقة مبلغهم؟!

حسبك هذا التأويل - على أنه أهون شيء عندهم - لكلمة القرآن!!

أتدري بم فسرهما ابن عربي شيطان الصوفية وربهم الأكبر؟

الجمع بين الحق والخلق في حقيقة واحدة، أي وحدة الوجود!!

فكأنها القرآن الذي فرق بين الحق والباطل، وبين الرب والعبد، ويدعو عند الصوفية إلى

الإيمان بأن الرب عين العبد، وأن الحق عين الباطل!!

فماذا يقول عبيدُ ابن عربي؟ وهل ينكرون؟!

نعم تواصلى عدو الإسلام قديماً، وعدوه حديثاً على هذا النوع من الكيد للإسلام، فكان قناعه بل كانت مطيته إلى هذا، ذلك الكفر الخبيث الذي سموه: إسلاماً، والإسلام منه بريء!! ترى هل يفهم المسلمون؟! ولكن كيف وجّلهم ضحاياها، وفي كل بيت وقلب ودين منهم مأساة دامية!! لكننا لن نياس بفضل الله وقوته، فإما قضى علينا بغى هؤلاء، وإما قضينا عليهم بالحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن الله وحده نستمد المعونة والقوة والرعاية، والله غالب على أمره.



الباب الثاني عشر

أخبار جماعة أنصار السنة المحمدية

«أنصار السنة والمؤتمر الإسلامي الكبير»^(١)

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمود شلتوت إلى مؤتمر إسلامي وقد عقد هذا المؤتمر الكبير في مكتب فضيلته في يوم الأحد «١٤ من صفر سنة ١٣٨٠ الموافق ٧ من أغسطس سنة ١٩٦٠» وقد حضر هذا المؤتمر عمداء كليات الأزهر وعلماءه، ورؤساء الجماعات الإسلامية وأعضاؤها، وشهده كبار رجال الصحف والإذاعة ووكالات الأنباء العالمية. وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً، قام فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور مدير مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر، وأعلن بدء المؤتمر الكبير بكلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، وتكلم فضيلة الشيخ الجليل مبيّناً خطر ما قام به الشاه^(٢) وواجب المسلمين جميعاً نحو هذا الأمر الجلل الذي حزب المسلمين جميعاً.

وأفاض في هذا إفاضة تبين عن روح إسلامية جليلة تفقه واجبها الإسلامي الكبير، وتتقد حماسة وغيرة على هذا الدين أن تداس مقدساته أو تنتهك حرماته، وقد عبر فضيلته تعبيراً كاملاً في كلمته الرائعة عن شعور كل مسلم، وطبق تطبيقاً صحيحاً حكم الله على الشاه المنكر الآثم.

وقد دعيت إلى هذا المؤتمر الكبير جماعة أنصار السنة المحمدية، فتوجه وفد منها مكون من الأساتذة عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة، والأستاذ

(١) (٣/ ١٣٨٥ هـ).

(٢) هو شاه إيران.

عبد اللطيف حسين وكيلها الأول^(١) والأستاذ رشاد الشافعي المراقب العام. وقد استقبل الوفد من لدن فضيلة الأستاذ الأكبر استقبالا يشهد بمقدار ما يكنه فضيلته للجماعة من عطف سابغ وتقدير كريم، كما شهد الوفد من رجال مكتبه الأوفياء أبلغ آيات الأخوة الصادقة والحب الكبير، وبخاصة من الأخ الكريم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور، والأخ الكريم الأستاذ أحمد نصار.

وعقب إلقاء فضيلة الأستاذ الأكبر بيانه الهام، وإلقاء فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي كلمة جماعة الشبان المسلمين، أعلن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم أن الكلمة الخاتمة لفضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، فقام رئيس الجماعة وبين حكم الله في عمل الشاه، ونبه المسلمين إلى خطر ما أقدم عليه، وبين أن هذه المأساة تحثنا نحن المسلمين على أن نتدبر كتاب الله جيّداً، وأن نجوب الأمصار والقرى مبشرين بمثل الإسلام وقِيَمِهِ الرفيعة، ليقف المسلمون على جليلة دينهم، وليكونوا على بصيرة من أحكامه.

وقد هنا مندوبو الجماعات الإسلامية رئيس الجماعة على كلمته، وعقب انتهاء المؤتمر حيا فضيلة الأستاذ الأكبر وفد الجماعة مرة أخرى، وداعب فضيلته الأخ

(١) هو عبد اللطيف حسين عبده جبرة، ولد بمحافظة أسوان سنة (١٩٠١م)، من الرعيّل الأول لأنصار السنة، وكان وكيلاً للجماعة في زمن الشيخ عبد الرحمن الوكيل، وكان من كتاب «مجلة الهدى النبوي»، وكان له جهد كبير في الدعوة إلى التوحيد بمصر، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٩٧١م). (ض).

رشاد الشافعي مداعبة الأبوة الحانية الرحيمة، (ثم قابل الوفد فضيلة الشيخ عبد الله المشد المدير العام للوعظ والإرشاد رغبته في قيام التعاون الصادق بين الجماعة وإدارة الوعظ والإرشاد.

وقد لقيت هذه الرغبة من قلب فضيلة الأستاذ الكبير العطف والتصميم الأكيد على تحقيقها. كما زار الوفد الأستاذ الكبير الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر، فلقي منه ما يلقي الإخوة من أخيهم الكريم النبيل^(١)، وجرى الحديث في شئون المسلمين، ووجوب العمل على توحيدهم جميعاً تحت راية القرآن المجيد، كما أفاض الدكتور في الحديث عن شيخ الإسلام ابن تيمية وجهاده العظيم ونضاله المرير، مؤكداً أنه أعظم مجدد إسلامي سعدت به الأمة الإسلامية، وعن دعوة الشيخ الكبير محمد بن عبد الوهاب مثنياً على جهاده ودعوته، متأسفاً على أن الكثير لا يفهمون حقيقة ما دعا إليه الشيخ الجليل ابن عبد الوهاب، ثم وعد الدكتور البهي بمحاضرة عن شيخ الإسلام ابن تيمية يتفضل بإلقائها في دار الجماعة في شهر ربيع الأول بإذن الله، مؤكداً أنه سعيد بهذا الوعد، مرحب كل الترحيب بالدعوة إلى هذه المحاضرة. وبالله التوفيق.

زار الرئيس العام للجماعة إخوانه في الأسكندرية، وقد لقي هناك منهم ما يلقاه الأخ المسلم من صفوة إخوانه المسلمين، وألقى خطبتين للجمعة في مسجد المعز^(٢)،

(١) مما يذكر: أن رئيس الجماعة كان من قبل تلميذاً للدكتور في قسم الدراسات الفلسفة العالية أصول الدين.

(٢) بمحرم بك بمدينة الأسكندرية. (ض).

كما ألقى محاضرة في دار الجماعة هناك بين صلاة المغرب والعشاء، وكان لما أظهر الإخوان هناك من مشاعر طيبة، أثر عظيم في نفسه، وبخاصة من صاحبي الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق عفيفي الرئيس السابق للجماعة وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن راشد^(١) رئيس الجماعة هناك.

في إيتاي البارود:

أقامت جماعة أنصار السنة المحمدية في إيتاي البارود حفلاً كبيراً شهده جمهور كبير، وقد بدأ الحفل بكلمة قيمة من فضيلة الأخ الشيخ الجوهري الواعظ العام للمركز ورئيس الجماعة هناك، ثم ألقى الأستاذ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام محاضرة طويلة، ثم الأستاذ رشاد الشافعي المراقب العام، ثم الأستاذ محمد ظافر عضو الجماعة بالأسكندرية وأحد وعاظها، وكانت الكلمة الخاتمة لفضيلة الأستاذ محمد خليل السبكي، وكان يوماً من أيام الله في إيتاي البارود.



(١) هو عبد العزيز بن راشد بن زيد آل حسين النجدي، ولد سنة (١٣٢٣هـ) في بلدة المنيجر بالقرب من مدينة الرياض، تولى رئاسة أنصار السنة بالأسكندرية خلفاً للعلامة عبد الرزاق عفيفي، ثم انتقل إلى الحرم المكي ودرس فيه وأشرف على الدروس، وهو مؤسس فرع أنصار السنة بدمنهور، وكان من الرعيل الأول لأنصار السنة، له العديد من المؤلفات؛ أبرزها: أصول السيرة المحمدية، وتيسير الوحيين، وغيرهما، توفي رَحِمَهُ اللهُ عام (١٤٠٣هـ) بمدينة الأسكندرية. (ض).

يوم عظيم في بور سعيد^(١)

ألقى أحد كبار رجال التعليم في بورسعيد محاضرة عنوانها: «التصوف المفترى عليه» بنادي رمسيس، وهو من النوادي العظيمة ذات الأثر القيم الفعال في الناحيتين: الثقافية، والاجتماعية، وثمت رغب إخواننا البررة - من أنصار السنة - إلى السادة القائمين على أمر النادي، رغبوا إليهم في أن يؤذن لي في إلقاء محاضرة ردًا على محاضرة الأستاذ الكبير، وأرسل إلي الإخوان: أن النادي قد أذن لي في ذلك، فتوجهت يوم الخميس ١٥/٣/١٩٥٦ إلى بور سعيد، فسعدنا بقاء إخواننا أيما سعادة، ورأيت على وجوههم فرحة البشر، ونور النصر، وحماسة الإيمان، وثورة التعصب المؤمن للحق تشتعل في نفوسهم.

وبعد صلاة العشاء توجهنا إلى النادي، فرحب بنا السادة أعضاؤه أجمل ترحيب، ترحيبًا فيه أصالة النبل، وأريحية السباحة، وعلى رأسهم الأستاذ الكبير علي الألفي، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم، وإن كانت عواطفهم الكريمة لا تزال تتجاوب لها مشاعري بالشكر وعرفان الجميل.

وغص النادي على سعته بفئات عديدة من رجال الدين والتعليم في المدينة العظيمة، وكان من نعم الله أن التقيت بصاحبي الفضيلة الأستاذين الكريمين الأستاذ الشيخ معوض عوض والأستاذ الشيخ علي عمارة واعظي المدينة، فجدد لقاءهما الكريم ذكريات سعيدة طيبة أيام الزمالة في الدراسة؛ جدد لي ذكريات

(١) (٨-٩-١٠/١٣٧٥هـ).

الخلق المتين، والأدب الوافر، والحرص البالغ على الدرس من الأخوين الكريمين. وبدأت في إلقاء المحاضرة وعنوانها: «الإسلام والتصوف»، وكان منهجنا في المحاضرة عرض أصول الصوفية تاركاً للجمهور الكريم الفاضل المقارنة في عدل وإنصاف بين ما سمعوا عن الإسلام، وبين ما سمعوا عن التصوف.

وكنا ونحن نعرض أساطير الصوفية حول وحدة الوجود، ووحدة الأديان نتلو على السامعين النصوص من كتب الصوفية، وكنت قد حملتها معي، حتى لا أدع لمنكري الحق من عشاق الصوفية فرصة يَهْتَبِلُونَهَا، فيعلنون أمام الناس أننا نفتري على الصوفية ما لم يقولوه.

وكان لقراءة النصوص من كتب الصوفية الأثر البالغ في نفوس الناس، وكان ما تلوته جديداً كل الجدة على سمع كثيرين إذ كانوا يظنون أن الصوفية شيء له مكانته على كل حال!! فإذا بهم يرون الصوفية هي الشيء كله في كل كفر ما!! وظللنا نتلو حتى الساعة التاسعة مساءً!!

ثم قام أحد رجال التعليم من الصوفية يعلق على محاضرتنا، فلم يقل شيئاً سوى ما يقوله الذي ينأذ تحت صدمة الحق، وإن كان قد تفضل علينا مشكوراً بأننا ندس السُّمَّ في الدسم، ولا أدري ما السم الذي يعنيه أو الدسم الذي يقصده، ولو أنصف لقال: إننا نميز الخبيث من الطيب، والباطل من الحق!!

لهذا قام مشكوراً بترك المكان لأستاذه الكبير الذي كان قد ألقى المحاضرة من قبلي بأسبوع دفاعاً عن الصوفية، وقام الأستاذ الكبير يدفع عن دين الصوفية سهام الحق النافذة فراح يعرض الإسلام على أنه هو التصوف، زاعماً أن الصوفية بدأت منذ تحنث الرسول ﷺ في غار حراء وما قبلها: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

﴿الْإِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ثم راح يؤكد أنه لا يستطيع الرد على ما ذكرناه من نصوص لأنه غير مستعد.

وحدثت مقاطعة، فانتهزها الأستاذ الكبير فرصة وغادر المكان غاضباً، فلم يتبعه إلا عدد قليل ممن له عليهم سلطان المنصب.

وقد علق الأستاذان الجليلان الواعظان فضيلة الشيخ معوض، وفضيلة الشيخ علي تعليقاً أرضى الحق كل الرضى في أسلوب رصين قوي مهذب نبيل.

وكان مما قالاه: كان ينبغي على الأستاذ الكبير وهو يدافع عن الصوفية أن يرد رداً شافياً على هذه النصوص القاطعة، دون أن يعتذر بأنه غير مستعد، لأن المؤمن بشيء يجب أن يكون على عدة دائمة للدفاع عما يؤمن به، يجب أن يكون خبيراً بدقائقه وتفاصيله، عليماً بكل ما يوجه إليه من مطاعن، خبيراً بالرد عليها وبدفعها.

ثم قالوا: إننا نريد إسلاماً صحيحاً لا شيئاً اسمه التصوف، وإن قالوا: إن التصوف هو الإسلام، قلنا: ما أحوجنا الآن إلى تثبيت الاسم والمسمى في قلوب الناس؛ بل يجب أن نحفظ لهذا الاسم بقدسيته، ولا نبغي به بديلاً، فإنه وحده العَلَمُ على الحقيقة. وقالوا حقاً عظيماً غير ما ذكرت.

أما الأستاذ العصفوري ففي لباقة وكياسة وبيان جميل، فقد أنحى باللائمة على من قاطعوا الأستاذ لأن الحقيقة ضاعت بهذه المقاطعة، إذ فهم الناس من أسبوع أن الصوفية هي الإسلام، أما اليوم، فمن هذه النصوص التي سمعناها نحكم بأن الصوفية كفر!! فَمَعَ مِنَ الْحَقِّ يَا تَرَى!!

وانفض النادي، وفي ظهيرة الجمعة ألقى خطبة الجمعة بالمسجد العباسي الكبير وتجاوب الناس مع الحق، وجاشت نفوسهم بالضراعة وفاضت عيونهم

بالدموع، مما يشهد لأهل بورسعيد بالفطرة النقية الصافية التي يقودها الحق المبين، وكان من المؤسف أن أحد كبار الصوفية غادر المسجد مسرعاً حين علم أننا سنخطب الجمعة، وغادرت بورسعيد بعد ذلك، وفي نفسي شكر وحمد لله العلي الذي ينصر أوليائه، ثم لإخواننا الذين غمرونا بكل عطف ورعاية ومحبة، وللسادة أعضاء نادي رمسيس، وللأخوين الكريمين صاحبي الفضيلة واعظي المدينة الجليلين.



موقف أنصار السنة المحمدية

من إلغاء المعاهدة

يتساءل كثير من الناس، لماذا لا تشتغل جماعة أنصار السنة المحمدية بالسياسة أو الوطنية؟ وإن على سائلنا أن نسأله، فنقول له: أتريدنا الهتافين في موكب الأحزاب بحياة فلان، وسقوط فلان؟

إن السياسة فساد وشقاق، لا ترقب في الله إلَّا ولا ذمة؛ إنما نعمل ليوحد المسلمون ربهم في العبادة ويؤمنوا به حق الإيمان، نعمل ليطيعوا الله ورسوله على أن تكون التقوى والخشية لله وحده، ندعوهم ليجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم وأبنائهم إذا دعاهم ربهم للدفاع عن دينه.

أما الوطنية فإنها من الإيمان، بيد أننا لا ننظر إلى الوطنية هذه النظرة القصيرة البلهاء التي تحصر معناها في مفهوم ضيق محدود، فما جعل الله سبحانه الإسلام دين مصر فحسب، بل أنزل القرآن ليكون الإسلام دين العالم كله، ونحن نجاهد صادقين ليكون العالم كله وطنًا للإسلام، وننظر إلى «مصر» على أنها جزء من الوطن الإسلامي الأكبر، وننظر إلى «الإنجليز» لا على أنهم أعداء الوطن فحسب، بل على أنهم أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام، وهم لا يكيّدون لمصر لأنها مصر، بل لأنها وطن من أوطان الإسلام، فهم بهذه النسبة يكيّدون لها، وكذلك يفعلون في السودان شقيق مصر، وكذلك في العراق وشرق الأردن، والباكستان، وكل دولة يدين أهلها بالإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله، ألا تراهم يدللون اليهود، ويلثمون أيديهم ونعالهم؟

ألا ترى أنهم تركوا للحبشة التي كانت محتلة بإيطاليا استقلالها، وأبوا ذلك على برقة وطرابلس لأنها ينطقان بالشهادتين.

فليفهم المسلمون هذا وليتدبروه، لا مسلمو مصر فحسب بل مسلمو العالم كله، وبهذا الفهم نجاهد الإنجليز لا باسم مصر، بل بما هو أسمى وأنبل وأجل، نجاهدهم باسم الله، فالله يقول: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، بهذا يأمرنا القرآن أن يكون كل عمل لنا باسم الله وحده ونحن نؤمن بالقرآن، ونعمل بعون الله بما فيه، وندعو المسلمين إلى الأخذ به في دينهم ودنياهم...

أما موقفنا من إلغاء المعاهدة: فإليكم ما سجلته في رسالتي^(١) التي أرد بها على شيخ الأزهر: (لقد ألغت الحكومة مشكورة هذه المعاهدة المشئومة التي عقدتها مصر مع إنجلترا الفاجرة، ونحن أنصار السنة نؤيد هذا الموقف الشجاع الجريء الذي استطاعت به حكومة مصرية أن تقول للإنجليز: لا، أيها الطغاة الغاصبون، لن نستكين بعد اليوم لذلة، ولن نمكن نير ظلمكم من أعناقنا مرة ثانية، ولكن يجب أن تبرم القلوب عهداً مع الله أن لا تحون عهده، وأن تكون النفوس له وحده في العبودية والجهاد، ولقد نبذنا في قوة وعزة محالفة الإنجليز، فلنعاهد الله أن نبذل الحلف مع الشيطان).

فنحن نؤيد الحكومة كل التأييد، ونعتبر من لا يؤيد ذلك ليس خائناً للوطن

(١) تمت بعون الله هذه الرسالة وستقدم إن شاء الله قريباً إلى المطبعة، نسأل الله العون وندعوه أن يوفق في طبعها وإخراجها للناس.

فحسب، بل قبل ذلك خائناً لله ودينه ورسوله.

ثم امض فاقراً ما كتبته في الرسالة المذكورة: «نحن الآن نبصق في وجوه الإنجليز، ونرجم باللعنة شرف الإنجليز المدعى، ونتحدى في شعور مشرق بالكرامة، وعزائم تتوقد حمية وحماسة قوى الشر التي تستحوذ عليها إنجلترا، ولكن لسنا جميعاً نملك القوة التي تدفع إلى الإقدام، وتحول بين الجندي وبين الفرار يوم الزحف، وتلك القوة هي الإيمان، قوة التأييد بنصر الله، قوة اليقين بأن الله معنا، إننا ننشد عون الله في جهادنا لهذا العدو الكفور ونضرع إليه في النصر، فبم ننشد العون؟

أبنفوس أذلها الشرك لغير الله؟ ودنستها الفاحشة ولوئتها المعصية؟ أبقلوب تجثم عليها قبور الوثنية، وأيد أذلتها الضراعة إلى القبور، وشلتها الخمر؟ أم بأرواح لا تصلها بالله من القرآن أشعة النور؟

اسمعوا أيها المسلمون قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، واسمعوا قوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] [الحج: ٤٠-٤١].

نحن ندعو المسلمين إلى الإيمان الصحيح، والاعتصام بالكتاب والسنة، وندعوهم إلى أن يكون جهادهم باسم الله وفي سبيل الله، وسوف يعلمون من الدين: أن الفراد يوم الزحف من السبع الموبقات كما بين الرسول، وسوف يتدبرون بقلوبهم قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْاُدْبَارَ﴾ [وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ

مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

وبالإيمان بهذا تجد الحكومة من كل جندي بطلاً يسابق غيره إلى التضحية والفداء. فلتتسلح بالإيمان الصحيح، ولنكن أوابين إلى الله، ولتعد الحكومة ما استطاعت من قوة ولتمد كل فرد بالسلاح، وسوف تنطلق هذه الآساد إذا أذن للجهاد من عرينها ترهب العدو بالزئير، وتديل من معسكراته بالعرب، سينطلق المصريون شبيهاً وشباباً رجالاً وركباناً وفي قلوبهم قوى الإيمان تنداح أمامها كل قوى الطغيان، سينطلقون إلى الميدان حماساً يزلزل الآطام، وعزائم تدك الحصون وستملأ قلوبهم الميدان هتافاً وترديدًا لما قاله أنس بن النضر يوم أحد: «واها لريح الجنة!! إني أجدها دون أحد».

فلنقاتل الإنجليز على أنهم أعداء الله لا أعداء مصر فحسب، ولنجالدهم - لا باسم الوطن - ولكن باسم الله، لنعلنها حرباً مقدسة وجهاداً لا تلين عريكته، ولا تحبو عزيمته ولا شكيمته، ولا تحول بينه وبين الغايات طائرات تدمر، أو بوارج تحيل البحر ناراً، أو ناسفات تنسف الجبال نسفاً، لأن معنا الله، والله هو القوي العزيز القهار الجبار.

ولتغلق الحكومة دور اللهو، ولتهدم تلك المواخير، ولتعلنها حرباً على المنكرات، ولتضرب على أيدي الخائنين، حتى يخلص الشباب بإيمانه الجديد الحق إلى الجهاد العارم القوة، المصمم على النصر، المعتزم الظفر، الذي يستنشق أبطاله في الميدان ريح الجنة، نريد أن نكون حزباً واحداً يجتمع على كلمة واحدة.

نريد أن تكون الأمة كلها، الرؤساء والمرؤسون، والشعب والزعماء على قول الله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ولا نريد أن نكون من حزب الشيطان الذين قال الله فيهم: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

لهذا يعمل أنصار السنة، ولن يحصرهم هذا النطاق الضيق من السياسة، ولن يهدأوا حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.



بطولة مجيدة^(١)

لم تنس الصليبية الاستعمارية هزيمتها النكراء على يد البطل صلاح الدين، فراحت تكيد للإسلام وأهله بغية القضاء عليه، فكان أن حشدت حثالة الصهيونية من التائهين الشاردين في شعاب الأرض، حشدتهم في أرض فلسطين المقدسة، حشدتهم في مشرق النبوات، ومطالع الهدايات، وقبله الإسلام الأولى، وأغدقت الصليبية الغادرة ممثلة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا على أحلاسها من الصهيونيين السلاح، لا حباً في إسرائيل المزعومة، ولكن لتجعل منها سُلَّاً في رئة الشرق؛ لتجعل منها عدوًّا يتربص الشر بالإسلام وأهله، لتجعل منها وسيلتها إلى القضاء على العروبة ودين الله الحق.

واستطاعت الصهيونية أن تضرب ضربتها الأولى، وأن تجعل في كل بيت مأتماً، وفي كل قلبٍ جرحاً دامياً، وفي كل نفس حسرة بالغة، وصحت مصر بثورتها المجيدة على النذير المدوِّي، وأدرك قادتها عن وعي بالغ ما يُدبَّر للإسلام وأهله، وللعروبة وأمجادها، فأرسلتها صيحة مدوية توقظ الغارقين في سبات الغفلة اللاهية، صاحت بهم أن هَلُمُّوا، فإنها معركة الحياة أو الموت، فإما الحياة الكريمة العزيزة وإما الردى، وعملت جاهدة مستبسلة في جد وعزم وقوة على أن تُعدَّ لعدو الإسلام والعروبة ما استطاعت من قوة، لا تبتغي بها عدواناً على أحد، وإنما لتحمي بها حمى العرب والمسلمين، ولكن الصليبية الاستعمارية لم يرضها أن

تسلح مصر جيشها، ففي ذلك قضاء على السراب الذي يغريها بالقضاء على كل أمجاد الشرق العربي والإسلامي، فزوّعت أمريكا وإنجلترا وأذناهما، كأنها انقضت عليهما صاعقة، وراحتا ترسلان الرسل إلى البطل الظافر لعله ينكص على عقبية ولكنه صمم، وصمم على أن تحيا مصر كريمة قوية عزيزة.

فهب الشعب على بكرة أبيه يؤيد البطل في وقفته الخالدة؛ فانهاالت التبرعات إسهامًا من المتبرعين في شراء الأسلحة، ووراء كل «قرش» شعور نابض بالقوة والعزة والكرامة والتضحية، وراء كل «قرش» قلب يود أن يفتدي أمجاد دينه بكل ما يملك من مال وولد، يود أن يدعو الداعي إلى الموت في سبيل الله.

إنها ليست معركة مصر ولكنها معركة المسلمين جميعًا في أقطار الأرض، فليعمل كل مصري، بل ليعمل كل عربي، بل ليعمل كل مسلم على أن يؤدي واجبه، لكي يؤمن هؤلاء المتربصون بالإسلام أنها يقظة الأبد، وصحوة الأبد، وأنها إرادة قهارة غلبة بعون الله، وأنها قوة لن تهاب، ولن يرعشها وعيد، ولن يغرها وعد، وأنها إيمان قوي بالإسلام وحقه في أن يكون هو الأعلى.

وقد قامت الجماعة بما يفرض عليها الدين، فقرر مجلس إدارتها بالإجماع تأييد قائد الثورة في موقفه الرائع، وعبرت عن هذا التأييد بمبلغ رمزي هو مائة جنيه مصري، وقد توجهت أنا والأخ محمد رشدي خليل سكرتير الجماعة^(١) نيابة عن المركز العام وفروعه في يوم السبت ٢٨ من صفر سنة ١٣٧٥ الموافق ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٥ وقدمت إلى الأستاذ صلاح الشاهد تبرع الجماعة بشيك على

(١) عمل مديرًا لتحرير مجلة الهدى النبوي، توفي منذ عدة أعوام رَحِمَهُ اللهُ. (ض).

مصرف بنك مصر برقم ٣٨٣٤٢ بمبلغ مائة جنيه مصري، مرفقاً بخطاب إلى قائد الثورة ونحن نؤمن أنه مبلغ تافه، ولكنه تعبير عن شعور صادق، ودعاء كريم أن يجعل الله على أيدي قادة الثورة عودة المسلمين والعرب إلى أمجادهم السالفة.



الباب الثالث عشر

رسائل القراء

من رسائل القراء الأفاضل^(١)

يتفضل علي بعض أفاضل القراء برسائلهم التي تفيض بالحب، وتشرق بالإيمان، وتشع بالإخلاص النبيل، وإني على صفحات هذه المجلة الزهراء أبعث إلى حضراتهم بالشكر ساميًا والثناء صافيًا، إلى الأخ الكريم السيد محمد خوجه^(٢)، وإلى الأخ العزيز السيد إسماعيل طاهر، والأخ الكريم السيد محجوب مختار^(٣)، ولقد أخرجني والله يا سيد محجوب ما تفضلت به عني، أما الحق الذي ذكرته فهو عن أستاذنا الجليل رئيس الجماعة والأخ الكبير الأستاذ صادق عرنوس، فهما الجديران بثنائك وشكرك الذي ذكرته في رسالتك الكريمة، ولكنني أعتب عتاب الأخوة على الأخ الفاضل الحاج خليل صالح حيث شرف مصر ولم يشرفنا برؤيته، أسأل الله أن يجمعنا بهم في خير ما يرضي الله تعالى، ورسالة من الأخ المحترم عبد الفتاح محمد رضوان بمصلحة خفر السواحل، وقد أرفق رسالته الكريمة بوريقات سطر أساطيرها وخرافاتها رجل منتسب إلى جماعة تسمى بأسماء كثيرة لا ندري بأيها نأخذ، فتارة هو أبو الحسن إسماعيل الشلبي، وتارة هو محمد إسماعيل، وتارة وتارة، ويلقب نفسه بالأمين العام لجماعة الإرشاد والتقوى

(١) (١٣٦٨/٦).

(٢) الأخ الأديب الكريم من الحجاز الطيب.

(٣) الأخوان من أبناء جنوب الوادي العظيم (السودان) ومن خير الرجال فيه، ومن كبار تجاره الأجلاء.

بالأسكندرية، وهذه الوريقات التي أرفقها الأخ عبد الفتاح برسالته تنادي بالتوسل بالأموات، وتدعو إلى الاستعانة بالرسم الشوواء والجلامد الصماء كلما حزب الأمر أو نابت داهية.

ويرجوننا الأخ الكريم لغيرته الدينية - ورجاء كل أخ أمر - أن نرد عليها، وفي الحق يا صديقي أنها لا تستحق ردًّا؛ لأنها تهدم نفسها بنفسها؛ وحسبك أن تقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) [الجن: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ (٥) [إذ أحضر الناس كانوا أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] (٦) [الأحقاف: ٥-٦].

إن في القرآن الحق الذي يدمغ الباطل ويهدمه، ولكنهم يا صديقي لا بالقرآن يؤمنون ولا بالسنة يصدقون...

ونعتذر للأخ إن لم نشف ظمأه بالرد المطول.

ورسالة من البثانون يطلب مرسلها الفاضل الإجابة عن بعض أسئلة، وقد تفضل أخونا الكريم الكبير صادق عرنوس، فاحتجزها ليتفضل عليها بالرد المحكم المتين، كما سرردنا يراعه وبيانه.

ورسالة من الرجل الطيب الكريم السيد عبد الرحمن الجممجموني عنواها: (نعم تجنيت على الغزالي)، وكنا والله نود يا سيد عبد الرحمن نشرها بتمامها لولا أن المقام ضيق، غير أنا سئلهما ما جاء فيها تلخيصًا دقيقًا^(١) جدًا.

(١) سيري صاحب الرسالة أننا لم نترك منها غير المقدمة التي ليس لها صلة بالموضوع، أما حججه كلها فنشرتها، وأعتقد أنه معي في ذلك.

أولاً: نعي الأستاذ علي القراء أن أحداً منهم لم يدافع عن الغزالي.
ثانياً: نبهه إلى ذلك هذا الثناء الكريم الذي تفضل به مشكوراً، أخي في الله محمد خوجه، ونشرته المجلة والله دون علمي...

ثالثاً: أعد العدة ليرد علي، لعله يؤدي حق الله فلا يكتم العلم.
رابعاً: يقول عن مقارنتي بين الغزالي وبين ابن تيمية، أنني نزهت ابن تيمية عن الخطأ إلا عن القول بتجسد الجن... ويقول إنه يفوض ذلك لحضرات القراء، ولا يجب أن يكون نباشاً عن عورات الناس. ويقول: إنني ثنيت بالغزالي وكُلْتُ له الأخطاء الدينية جزافاً، وأنه كان يجد لكل ما ظننته خطأ مخرجاً ولو بحسن النية.
وبيت القصيد من رسالة السيد عبد الرحمن الجمجموني هو قوله: إنه عجب أشد العجب حين قرأ لعبد الرحمن الوكيل^(١) كلاماً عن الغزالي نقله من الجواهر الغوالي للغزالي، هو أنه كان يقول: لا هو إلا هو توحيد الخواص، ولا إله إلا الله توحيد العوام. وعجب إذ فسرت به بأن معناه أن الغزالي من القائلين بوحدة الشهود...
هذا ملخص حديث الأخ الجمجموني، ثم يعقب علي هذا بما نصه: (وإذا بكرامة القطب الغزالي^(٢) تدفعني إلى كتاب تفسير الفخر الرازي، فتناولت الجزء الأول منه... وإذا بي أنظر في ص (١١٢) ما نصه بين قوسين الفصل التاسع

(١) لقبنا الأخ بلقب كريم.

(٢) ما زال في المسلمين من يعتقد بمثل هذا؛ وأية كرامات للغزالي أيها السيد الكريم؟ ولماذا لا تقول: إن نفسك وتعلقها بالغزالي هي التي قادتك إلى قراءة ما قرأت بدل أن تنسب إلى (القطب الغزالي) ذلك، وستعرف قريباً إن شاء الله من هو القطب يا سيدي.

الأسماء الحاصلة لله تعالى من باب الأسماء المضمرة، اعلم أن الأسماء المضمرة ثلاثة: أنا وأنت وهو إلخ. ثم أثبت أن الله تعالى ذكر بكل اسم منها وأطنب في فضل الذكر باسم هو، إلى أن قال في أواخر ص (١١٧) ما نصه: (ومن لطائف هذا الفصل أن الشيخ الغزالي - رحمة الله عليه - كان يقول: لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا إله إلا هو توحيد الخواص، ولقد استحسنت هذا الكلام وقررت به بالقرآن والبرهان).

ثم يستحلفني الأخ أن أطلع على تفسير الفخر الرازي، لأقتنع بأن الغزالي كان يقول: لا إله إلا هو توحيد الخواص، وأنه لم يقل: لا هو إلا هو كما نقلته أنا عن الجواهر الغوالي قبل ذلك... يريد الكاتب من هذا أن يخلص إلى أن كلام الغزالي حرف، وأن الغزالي تبعًا لهذا لا يمكن أن يوصف بأنه من أرباب وحدة الشهود، ثم ينصحنا الأستاذ الكريم بترك هذه المواضيع، ولأستعمل (ذهني الوقاد، وقلمي النافع، وفكري السيال^(١)) في منع السفور والمنكرات الفاشية).

هأنذا لخصت رسالتك يا سيد عبد الرحمن ونشرتها بنفسني حتى لا تصدق ذوي الظن الآثم من أننا لا ننشر ردودًا على المحررين، كلا يا أخي، إنما نرحب بكل نقد بريء نزيه، نرحب بقول الحق والصدق، نرحب بالنية الطيبة التي تستهدف الخير في الدين والحقيقة في روحيته السماوية.

والآن هل يسمح لي السيد عبد الرحمن بالتعقيب على حديثه؟

(١) نفس أوصاف السيد عبد الرحمن في رسالته، وهي أوصاف ليس لنا منها شيء، ولكني أثبتنا هنا لعلها تنفع يومًا، وشكرًا جزيلاً أيها الأخ الكريم.

أما قولك: أنني حصرت خطأ ابن تيمية حصراً مؤكداً في تجسيد الجن، وأني نزته عن الخطأ فيما سوى ذلك فهذا لم يكن، ولكني أقول: إن آلاف الأخطاء لابن تيمية إذا قيس بخطأ واحد من أخطاء الغزالي في العقيدة، كان خطأ الغزالي أشد وأذهب في الخطيئة من أخطاء ابن تيمية، والمنزه عن الخطأ وحده هو الله العلي الكبير، أما البشر جميعاً فيعتريهم الخطأ، فكيف أنزه ابن تيمية؟

غير أن أخطاء ابن تيمية لا تمس العقيدة ولا الدين في صميمه، وإنما هي في بعض الفروع، أما أخطاء الغزالي فخطايا.

وتفيد رسالتك أنك تعلم لابن تيمية أخطاء كثيرة، فهلا تفضلت مشكوراً، فبينت لنا هذه الأخطاء؟

أما النقل الذي فرحت به والذي جعلك تشرع القلم دفاعاً عن الغزالي، فهو نقل غير كامل، ذلك لأن الرازي إنما نقل شيئاً وترك أشياء وأشياء، وأنا يا أخي حين نقلت عن الجواهر الغوالي، إنما نقلت نقلاً صحيحاً ثابتاً، ولم أرد التطويل فيما نقلت، وإليك كلام الغزالي بتمامه من كتابه الجواهر الغوالي من الفصل المعنون بمشكاة الأنوار ص (١٢٤) ط أولى سنة ١٩٣٤ للكردي يتحدث عن نور الأنوار وهو الله كما ذكره: (الكل من نوره بل هو لا هوية لغيره إلا بالمجاز، فإذا لا نور إلا هو وسائر الأنوار أنوار من الوجه الذي ثليه لا من ذاتها فإذا لا إله إلا هو فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعني: وجوه القلوب فإنها الأنوار والأرواح، بل كما لا إله إلا هو، فلا هو إلا هو، فإن هو عبارة عما إليه الإشارة، وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه، بل كلما أشرت فهو بالحقيقة

الإشارة^(١) إليه، وإن كنت لا تعرفه أنت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التي ذكرناها، ولا إشارة إلى نور الشمس بل إلى الشمس، فكل ما في الوجود فنسبته إليه في ظاهر المثال كنسبة النور إلى الشمس^(٢)، فإذا لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص^(٣)، لأن ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة، ومنتهى معراج الملائكة مملكة الفردانية، فليس وراء ذلك مرقاة إذ الرقي لا يتصور إلا بكثرة، فإن نوع إضافته يستدعي ما منه الارتقاء وما إليه الارتقاء، وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الإضافة وطاحت الإشارة^(٤)، فلم يبق علو ولا سفلى، ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج، فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة

(١) ليلفت قراؤنا الأعزة إلى هذا النص الهام جداً من كلام الغزالي وليتدبروا معناه وهدفه. إن الغزالي يريد قوله الصوفية: ما في الوجود إلا الله، وكل شيء هو الله لا فرق بين الخلق والخالق ولا بين الموجود وواهب الوجود (كلما أشرت فهو بالحقيقة الإشارة إليه) أفصح الغزالي عن هدفه... ولكننا نسأله ألا نشير أحياناً إلى الحجر، إلى الصنم، إلى الكلب، إلى الخنزير؟ فكيف تكون الإشارة يا غزالي؟ وهل يرضيك يا سيد عبد الرحمن؟

إن الغزالي بهذا قد أدلى بدلوه مع ابن عربي وسواه من القائلين بوحدة الوجود.

(٢) هذا المثال يجعل الغزالي من القائلين بنظرية الفيض الأفلاطوني، ويا لها من نظرية!! إنها نوع من وحدة الوجود تجعل العالم صادراً عن الله بالوجود لا بالاختيار، وتنكر الخلق أي: أن الله خلق العالم.

(٣) هذا هو الصحيح من كلام الغزالي ويفسره ما بعده من الأساطير.

(٤) تأملوا هذا جيداً يا كرام القراء.

كثرة) إلخ.

لقد كنت أنا مخطئاً يا سيد عبد الرحمن حين وصفت الغزالي بأنه من القائلين بوحدة الشهود فحسب، ذلك لأن الغزالي في نص هذا من القائلين بوحدة الوجود، أما ما غرك به الرازي فإنه - كما يظهر مما نقلته أنا لك - بعض كلام من الغزالي فصل بعضه عن بعض، ولم ينقل كل كلامه في الموضوع، وهذا الذي نقلته لك من كلام الغزالي يطيح بالغزالي كحجة للإسلام، ويضعه في جانب ابن عربي. وإنني - رغم قلة علمي وضعفي - أتحدى من يثبت لنا أن هذا النص محرف، وأنه لا يهدف إلى إثبات وحدة الوجود... ولست أدري لماذا عدت إلى الغزالي؟ إنك يا سيدي تكشف لنا الكثير عن دخائله؛ لأننا نطالع من أجلكم كتبه التي كنا صرفنا النظر عنها، فإن أبيت إلا نقاشاً فيه، فسأذكر عن الغزالي ما يسوء محبيه جداً أن يقرأوه، وما لا يستطيعون له ردّاً ولا عن صاحبه دفاعاً... فهل تقرأ يا سيدي ما نقلته أنا في نفس كتاب الغزالي ثم تحدثنا عن رأيك؟ وعلى فرض صحة كلام الرازي كله فهل نصدقه ونكذب رسول الله الذي يقول: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»^(١)، فهل الرسول والأنبياء من العوام عند الرازي والغزالي؟ وهل يدخل في الإسلام كافر يقول: (لا إله إلا هو) وقد يعني بضمير هو غير الله عز وجل! وهل يقتضي عدل الله أن يجعل توحيده نوعين: يختص العامة بنوع والخاصة بآخر!

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، برقم: (٣٥٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن

العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

أين الدليل الشرعي أو البرهان العقلي، بل حتى الوهمي على أن لا إله إلا هو أفضل من لا إله إلا الله؟ هانتذا ترى يا سيد عبد الرحمن أن كلام الرازي على فرض صحته هو خطأ بل خطيئة... وستنزل في الأدلة فنفترض صحة ما ذكر الرازي عن الغزالي وأنه حق في ذاته، فما بالك لم ترد على ما ذكرته أنا عن الغزالي من حق وصدق تسمونه تهما جزافاً؟ هل تتفضل مشكوراً فترد عليها، بل على بعضها، بل على واحدة منها؟

دع الغزالي أيها السيد وشطحاته وصوفيته وأفقه ما جاء به ربك من كتاب وثبت عن رسوله من سنة، بين ما لحق الدين من أساطير وخرافات وبدع كافرة، ولعل كرامة القطب الغزالي تهديك مرة أخرى - كما ذكرت - إلى ما تدافع به عنه، ومرحباً مرحباً بكل من يتصدى للدفاع.

والمسألة ليست مسألة الغزالي، وإنما هي مسألة الإسلام الذي سمي هذا الغزالي زوراً حجته، فكان أشد وأنكى حجة عليه... وإني لمبق كثيراً من المفاجآت الطيبة عن الغزالي لأنصاره لعلهم بها يفرحون.

أما دعوته إياي إلى محرابه السفور وسواه من المنكرات فدعوة أشكره الشكر الخالص عليها، ولكن نحن يا سيدي في ميدان قتال لكل جندي فيه سلاح يدافع به وعدو يقاتله، فهل تريد منا جميعاً أن نجند للسفور؟ ثم ما هو السفور وما أساسه؟ من العجب أن ترى أس البيت منهاراً، ثم تحاول إصلاح زجاجة صغيرة في نافذة.. متى يستقيم الظل والعود أعوج؟ الأساس أولاً يا سيدي، إن رسول الله ﷺ وهو قدوتنا وأسوتنا وإمامنا وقبل ذلك رسول الله إلينا دعا أول ما دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له في قوم زناة عتاة مرايين وو... ومع ذلك

دعاهم إلى التوحيد؛ لأنه الأساس الأول، ومتى استقام استقامت به الأخلاق كلها، وقد تم ذلك على خير وجه، وكل امرئ يعلم أن هذه المنكرات منكرات، فالمسألة فيها هينة لينة إذا قيست بالشرك المدمر القاتل، بالزندقة التي بثها دعاة الصوفية الفجرة، فهل اقتنعت يا أخي؟ أرجو أن نصل جميعاً إلى الحق والسلام.



من رسائل القراءة^(١)

يشرفنا كثير من إخواننا الأبرار برسائلهم التي تفيض بالتشجيع، وتغمرنا بفيض كريم من عواطفهم السامية النبيلة، ومن هذه الرسائل الكريمة من يطلب منا أصحابها الإجابة عن أسئلة عنت لهم، أو الكتابة عن مواضيع يرونها أجدر من غيرها بالكتابة، ويعلم إخواننا الأعزة أن للطاقة الإنسانية حدودًا، وأن لي من شغل الحياة ما يرغمني مكرهًا على التقصير في رد رسائلهم وفي إجابة ما يأملون، فهل أستطيع أن أجد لديهم المَعذرة والصفح الجميل؟

أرسل إلينا أخونا الكريم الفاضل الشيخ حسين بن عبد الله البغدادي من علماء الرياض كتابًا كريمًا، نقل فيه لنا نقولًا مهمة جدًّا عن التيجانية، ويشير إلى الأخ أعزه الله أن أكتب عنها، وأعده بعون الله أني سأفعل ذلك قريبًا، فليصبر أخونا الكريم مشكورًا، وليعذرنا إذا نحن أهملنا مقهورين على الإهمال، وإني لأشكر للأخ الجليل حسن ظنه وجميل ثقته ودقة تفكيره.

وأرسل إلينا أخونا الكريم الشاب حافظ محمد عبد الرحمن رسالة كريمة، وبعض أعداد من مجلة شباب محمد، ويطلب منا الرد عليهم فيما كان يدجّل به صاحب أساطير من نور شمس الوجود.

ولقد كفانا أصحاب هذه المجلة مؤنة الرد، فقد سكتوا عن هذه الأساطير، وفيما كتب أخونا الأستاذ الكبير عرنوس ما يكفي جدًّا لهدم ما بنوا، فقد تكفل

بالرد عليهم ردًّا مفحّمًا مقنعًا في رسالة صغيرة نشرتها المجلة، ثم نشرها منفصلة، وكذلك رد عليهم أخونا الشيخ عبد الحميد عرنسة، وأظن فيما كتبتة أنا أيضًا بعنوان: «سيد الخلق بشر» ما يساعد قليلًا في مجهود إخواننا الأعزة.

وأرسل إلينا أخونا الأستاذ الكبير عرنوس خطابًا كريمًا لطيفًا من رسائله مع بعض رسائل من إخواننا الكرماء أبناء الجنوب، وبعض الذين استوطنوا أترريا، وقد جندني الأخ الكريم عرنوس للرد على ما طلب هؤلاء الكرام وهو: «كتيب حقير» كصاحبه كله افتراء وبهتان عن الوهابية، وسنرد على هذا الغر المفتون فريته، وسيعلم أنه حين سب الوهابية إنما كشف القناع عن حقيقة نفسه التي لوثها الشرك والجهل.. وإلى الأعداد القادمة بمشيئة الله.

ثم تردنا رسائل أخرى من صنف آخر فيها ما فيها، وسنذكر طائفة منها للتندر بها، وسيعلم أصحابها أنهم يمثلون قصة الكلب الذي ينبح ليزعج سكان السماء.



نعم يا أبا العباس^(١)

كتب الأخ الكريم الأستاذ «أبو العباس العيزي» كلمة في العدد الماضي عن أخ عظيم، بل والد كريم كان مثال الأخوة الصافية برًّا وإشفاقًا، والأبوة الحانية حبًّا ورعاية هو الوالد الكريم «أحمد شهاب» غمره الله بروحه وريحانه وفضله وإحسانه، ولقد استشهد بي الأخ أبو العباس على مواقف مشهودة لهذا الوالد البر، وإني أذكر لهذا الرجل العظيم الذي فقدناه ذكريات غالية عزيزة، حينما كان ضابطًا لنقطة البوليس في بلدنا زاوية البقلي، وكنت لما أزل على أول درج العهد الصغير من الصبا، وكنت أراه كثيرًا إذ كان والدي ﷺ يحبه الحب كله لتقواه وعدالته وعلمه..

نعم كان عالمًا وكان من خصائصه يرحمه الله أنه يجمع في منزله من يأنس منهم الميل إلى البحث الحر والتفكير الصادق النزيه من علماء القرية، كان يجمع منهم من يحب العلم ويجب أن يتعلم، وكانت تمتد هذه المجالس إلى ما بعد منتصف الليل بكثير جدًّا، كان يخرج ليلاً للطواف على بلاد النقطة لصون الأمن فيها، فيرهبه العابثون بالأمن إذ كان - وتلك لله شهادة - شديد البطش بالمجرمين مراعيًا وجه الله في معاملاته، مقيمًا للعدل بالقسطاس المستقيم بين الناس، لا يخاف ولا يهاب ولا يتردد ولا يتهاون؛ لأنه كان قويًّا بالله مؤمنًا بالله، وكان يكلف خفير منزله ليلاً بالبحث عن أولئك العلماء، فيحضرون إلى منزله ويظلون في انتظاره

حتى يعود من تطوافه، فيعقد معهم المجالس العلمية الطريفة، وكان كثيرًا ما يهدي إليهم كتبه، وهكذا كان رَحِمَهُ اللهُ في كل أيامه؛ وقد سمعت من عالم أو متعالم عن هذا الرجل العظيم يقول: إنه وهابي. فقلت لوالدي: «إنه رجل وهابي» فقال رَحِمَهُ اللهُ: «إنها قولة ذلك العالم المسكين الذي هزمه حضرة الضابط بعلمه»، ثم قال لي: (يا ريت يا ابني كل علماء الأزهر زي حضرة الضابط شهاب افندي).

و شاء الله أن نلتقي فيفرح الشيخ شهاب بالطفل الذي كبر وأصبح من جنود أنصار السنة، ويفرح الطفل الذي كبر بضابطه الهمام الباسل إذ يذكره ويزوره، ثم شاء الله أن نفترق!! فلا حول ولا قوة إلا بالله، غفر الله له، وألهم آله الصبر وأجزل له ولهم المثوبة.



رسالة من العراق^(١)

وصلتني رسالة من العراق بإمضاء: «مسلم عراقي» وفيها تعليق على ما أكتبه عن الصوفية، وهذا تعليقي على رسالة الأخ الكريم:

شرفت برسالتك الكريمة أيها الأخ، ولشد ما كان يسعدني نشرها في «مجلة الهدى الزهراء»، لكن رسالتك فيها غموض وإبهام، كشاعة الليل، لا يدري أهى نور يهدي ساري الليل، أم حريق يعصف ويدمر؟

فما تبينت - رغم أني تلوتها مراراً^(٢) - أي هدف ترميه بنبلك وتقصده بسهمك؟ أترك تكشف بمسبك عن دخائل الصوفية؟ أم تراك تعظني؟

فلئن كنت تعظني فمرحى بك والله أيها الأخ الكريم، إن كانت عظتك إشعاعاً من مصدر الهداية الأول: كتاب الله، ورشقات من النبع النبوي الفياض: سنة رسوله ﷺ، ولكم كنت أود أيها الأخ الكريم أن تصرح بوضح الحق، وجلاء الصدق عن حقيقة ما تهدف إليه.

وماذا لو كنت شرفتني باسمك الكريم وعنوانك؟

إن من يدافع بقلبه عن عقيدة يجب عليه - وأنت عليم - أن يشرع سيفه بجلاء، وأن يرمي بسهمه في غير موارد أو مداراة.

(١) (٥-٦/١٣٦٨).

(٢) قرأها أخونا الأستاذ الكبير صادق عرنوس، فكان من طريف ما قاله: أن سألني ترجمتها... وما علم الأخ الكبير أن الذي ظنه مترجماً في أشد الحاجة أيضاً إلى مترجم!!

ولقد أردت - وليعني الله بفضل - أن أجيب الأخ الفاضل على بعض ما أثاره في رسالته الكريمة... سألتني أيها الفاضل الأديب عن الوساطة التي بسببها حصلت لي إشراقات الهداية القرآنية، وأجيبك بما يجب أن يفعله كل مرتاد سبيل الهدى:

إن ذلك كان بسبب تدبري القرآن الكريم، وسنة نبيه العظيم، منصرفاً بالقلب والفكر عما كنت عليه من أساطير كنت إخالها عقيدة النبي في ربه، فما عن الصوفية ولا عن الكتب الكلامية، ولا عن التأملات الفلسفية أخذت عقيدتي، بل عن كتاب ربي وسنة نبي ربي، اقتداءً بأمر ربي: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ولست أدري أيها الفاضل كيف فهمت - وأخشى أن تكون حقاً فهمت - أنني آمنت - وما زلت بزعمك - بأساطير الصوفية حول الوجود المطلق وتعيناته، وبما يهرفون به من معاني الوحدة الوجودية والفناء، وبما يدينون به من خرافة سموها الحقيقة المحمدية، وجعلوها أول تعينات الذات بعد العماء المبهم...

أفي كلامي أيها الأخ ما يجعلك تفهم هذا؟ إنني منذ كتبت - وقرائني شهود - وأنا أحمل معولي لهدم هذه الطواغيت الصوفية بعون الله، فكيف يؤمن شخص بما يهدم؟ وكيف يؤمن قلب بما يكفر؟ أيجتمع الإيمان والكفر من جهة واحدة على جهة واحدة؟...

ثم العجب الذي لا ينقضي، زعمك يا أخي في قولك لي: (ولم يبق عندك على هذا التقدير قرآن بمعان صحيحة أو كتب صحيحة أو أحاديث كذلك، إذ أن جميع هذه الكتب وفي ضمنها الشهادتين، صارت كلها مصروفة وضعاً وتعييناً إلى الوجود الواحد الجامع).

لم فهمت هذا مني؟ ومتى صرحت أو رمزت أو ألغزت عن هذا؟
 إني في كل ما أكتب، أهدم بعون الله كل هذه الأساطير الصوفية، فكيف
 ترميني بما أسأل إخواني الكفر به؟... إني أكاد أتهم فهمي وإدراكي، ولولا أن قراء
 هذه المجلة من الأذكياء العقلاء المؤمنين لظننت نفسي قائلًا بما زعمته أنت، ولكن
 قراء المجلة الكرام إما مشجع لي مواس بعطفه وقلمه، وإما ناقد مني قسوتي على
 الصوفية بزعمه، فليس فيهم على كل حال من يفهم أنني صوفي، أو مؤمن
 بأساطير الصوفية كما تلمح أو تصرح أحيانًا!!

فمن أين جئت بهذا الاتهام القاتل لشخص كان في صباه ضحية من ضحايا
 الصوفية، ثم برئ منهم ومن وثياتهم؟ أكاد أظن أنك إنما أردت برسالتك نشر
 عقيدة الصوفية، ولكن بلباقة ودهاء وحيلة هي الحيلة.. ولعل ظني يكون. إنما أيها
 الأخ الكريم، واسمعوا أيها القراء بم يتهمني الرجل الفاضل إذ يقول: (بل أنت
 الآن باقياً^(١) على دينهم، وإن غرك المفترون)... آه آه!! لو أنك اهتممتني بالكبيرة
 لكان أهون شرًا من اتهامك لي بأني على دين الصوفية!! وما أجد - حسب ما
 أعتقد - قارئًا واحدًا يزعم أنني صوفي على دين الصوفية، وتقول عن نفسك:
 إنك عرفت طريق الخلاص فما هو؟ يأجرك الله بالخير لو دلتنا عليه، أفي غير
 كتاب الله وسنة نبيه طريق للخلاص؟ وتقول إنني أحتاج إلى عشرين سنة في
 معرفة طريق الخلاص إن لم أكن طالعت الفصوص. ولكنني أستطيع أن أقول:

(١) هكذا كتبها الأخ الفاضل، وهو خطأ نحوي ظاهر جدًا، وصحتها «باق» بالتنوين لأنها
 خبر المبتدأ؛ وليعذرنا الأخ الكريم في استدراكنا هذا الخطأ عليه.

إنني عرفته والحمد لله، لا في عشرين ولا في سنة ولا في يوم، بل في لمحة فكرية واحدة هي أن القرآن وحده، تبين السنة بعض مقاصده، هو طريق الخلاص. فلا طريق للخلاص، أيها الفاضل أبدًا إلا في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

أيها الأخ: هل لك - وأنت الأديب الكريم - أن تتفضل بإجابتي عن رأيك في بعض ما أثرته في رسالتك من وثنيات الصوفية، وفي انتظار تفضلك بالإجابة سأحتفظ برسالتك الكريمة؛ لأنشرها بمشيئة الله في الهدى بعد أن يكون قصدك قد وضح لي.

ما رأيك في تفسير الصوفية للشهادتين بالوحدة، وبأن معناها لا هو إلا هو^(١)، وما رأيك في نظريتهم: «الحقيقة المحمدية»، وأساطيرهم حولها؟ ما قولك فيما يهرفون به في مسألة الوجود المطلق وتعيناته الذاتية وأن لا وجود لله إلا في مادة؟ ثم هل لك أن تبين لي متفضلًا رأيك في وحدة الأديان، تلك الأسطورة التي

(١) في مقالتي: «الوثنية في الصوفية» ذكرت أن مراتب التوحيد عند الصوفية تبدأ من قول لا إله إلا الله، وهي درجة العوام، ثم قول لا هو إلا هو لاستمداد كل هوية من هويته الغيبية، ثم بعد ذلك لا أنت إلا أنت وهي أرقى مما قبلها، ولكن الخطاب يشعر بالإثنية.

ولهذا كانت الدرجة الرابعة لا أنا إلا أنا هي حال الصوفي في نهايته لا يرى في الوجود غيره، ولكن كل هذا لا يراه الصوفي كافيًا في التوحيد، بل يجب أن يشعر بحال يفهم فيها أن إنيته هي كل إنية، فيقفز هذه الهوة الفاصلة، ثم يهتف بقوله: (أنا أنا) كما هتف البسطامي بكفره: (سبحاني سبحاني)، (وقوله: لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة)، (وقوله: كنت لي مرآة فصرت أنا المرآة) لطائف المنن والأخلاق.

يتمشّدق الصوفية بأنّها هي معبر النجاة ووسيلة الخلود، فالمجوسي واليهودي والمسلم أمام الحق سواء عند الصوفية كما هتف ابن عربي وصرح به الجيلي؟ وكما سبق أن رمز إليه بلمحة ماكرة طيفور البسطامي، إذ مر على مقبرة يهودي فقال: (معذورون)، وعلى مقبرة مسلمين فقال: (مغرورون) هل للأخ وفقنا الله وإياه أن يبين لنا رأيه في هذه النظرية؟

ثم ما رأيك في جعلهم البحوث الميتافيزيكية وصورها الذهنية أساسًا لبحوثهم في الوجود، مع أن الذهن قد يتصور العدم والمستحيل. يتصور وجود الوجود المطلق غير المتعين، ولو أن هذا الوجود المطلق ذهني لا حقيقة له في الخارج. ما رأيك في جعلهم الكشف الصوفي أساس المعرفة؟ فهم في الحق لا يستندون إلى العقل إلا حين يستطيع العقل سندهم ببعض صورته الذهنية التي لا تتحقق في الوجود الواقعي، أما أساس بحثهم في المعرفة فهو أساس ذوقي، فالمعرفة عندهم فردية ومقياسها فردي، وعلى هذا يتعدد الحق عندهم بتعدد الأفراد وتعدد الأزمنة والأمكنة فهم في هذا أشبه «بالفسطائيين»... ما رأيك في هذا كله؟ أو البعض من هذا كله؟ أتؤمن به أم تكفر؟ أترأى الحق أم تقذف به في هوة الباطل؟

وأنا لا أسألك رأيك إلا فيما يمس الدين الذي نفتديه من هذه الأساطير، لا أسألك فيها من الناحية الفلسفية، وإنما من الناحية الدينية، فنحن لا نثير مثل هذه البحوث إلا دفاعًا عن الدين لا للفكر في ذاته فهنا ليس مكانه، فإن شئت فلسفية فليكن في رسائل خاصة حتى (لا نوجع أدمغة القراء).

ولو أن الأخ تفضل بعنوانه واسمه الكريم لكتبت إليه على عجل مستوضحًا

إياه ما غمض علي من اتجاه رسالته وهدفها، وإني في انتظار رأيك الفصل فيما سألتك عنه، ويسعدني أن تتفضل بالإجابة حتى تتضح لدي حقيقة قصدك، ويتجلى ظاهراً بيننا هدفك، وثمت أتشرف بنشر رسالتك الأولى والثانية في المجلة إن تفضلت وأردت.



تقدير كريم^(١) لمجلة الهدى النبوي

١ - بعث إلينا الأستاذ الفاضل الشيخ محمد خوجة بالمدرسة النموذجية بالطائف (الحجاز) خطاباً جاء فيه:

وبعد: فيسرنى وإخواني جداً حسن قيامكم بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، كما أنى أحمد للسادة الأفاضل محرري المجلة ما يكتبونه من المواضيع القيمة، التي لها الأثر الفعال في نفوس إخوانكم أنصار السنة بالحجاز؛ تلك المواضيع المقتبسة من هدى الوحيين - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - فلقد أوضحت مجلتنا (الهدى النبوي) السبيل، وخلصت الحق من الباطل، فكأنها قذائف صاروخية تنصب على أدمغة أعداء الله المشركين.

وأكرر حمدي للأستاذ المجاهد عبد الرحمن الوكيل، حيث أبان للناس ضلال الغزالي، ونزغات الصوفية التي كانت السبب في إفساد عقائد الناس، وتفريق كلمة المسلمين، والقضاء على عقيدتهم الفطرية، ولقد كان لهذه المجلة أكبر الأثر، إذ اهتدى كثير من أهل الحجاز بها، وأصبحوا في صفوف إخوانكم المجاهدين الداعين إلى الله الناصرين لسنة رسوله ﷺ؛ زادنا الله وإياكم ثباتاً على الحق.

٢ - وكذلك بعث إلينا الأستاذ الجليل الشيخ محمد نسيب الرفاعي^(٢) أمين

(١) (٢-٣/١٣٦٨).

(٢) محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي أبو غزوان، تعلم في مدينة حلب، وقد تتلمذ على علمائها وعلماء دمشق من أمثال:

الشيخ الطباخ، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ ناصر الدين الألباني - رحمهم الله -، عَمِلَ مراقبًا ومدرسًا في الكلية الإسلامية، ودار الأيتام الإسلامية بحلب، تعرف الشيخ الرفاعي على الدعوة السلفية من الشيخ مصطفى السباعي ومن الأديب عمر بن النصر الذي كان لديه بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ترك الطريقة الرفاعية وأصبح سلفيًا، وأسس جمعية الدعوة السلفية للصراط المستقيم في حلب، ثم ترك سوريا إلى لبنان، وقام بالدعوة إلى الله ونشر الكتب مع الشيخ زهير الشاويش، والأستاذ سعيد المعيار.

كانت له صلة بأنصار السنة المحمدية في مصر زمن رئاسة الشيخ عبد الرحمن الوكيل، كما كان معاصرًا للشيخ عبد الرزاق عفيفي ومن أئمة الدعوة في السعودية الشيخ ابن باز، والشيخ ابن حميد، والشيخ عبد الله الخياط، وكثير من سلفيي الدعوة في البلاد الإسلامية، له الكثير من المؤلفات منها:

- التفسير الواضح.
- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير.
- التوصل إلى حقيقة التوسل.
- نقد قصيدة البردة للبوصيري.
- بلوغ المعنى في إثبات عصمة نساء النبي ﷺ من الزنا - مخطوط -.
- المختارات الوطنية شعر.
- الباقيات الصالحات في شرح الأسماء الحسنى.
- بدعة تحديد النسل.
- مجموعة رسائل.
- ديوان الرفاعي.
- توفي رَحِمَهُ اللهُ عام ١٤١٣ هـ.

سر جمعية البر والأخلاق الإسلامية بحلب (سوريا) خطابًا جاء في سياقه في معرض الاستفسار عن سبب انقطاع المجلة عنهم في حلب ما يأتي:

ومما زاد استغرابنا أن أعداد المجلة قد انقطعت عنا منذ آخر السنة مما جعلنا نظن أن هناك عائقًا - ولا قدر الله - حال دون متابعة إرسال المجلة التي روت غليلنا، وشفّت أفئدتنا، وكبتت تلك الفئة الضالة التي لا تزال تعيث في الأرض فسادًا، وفقنا الله وإياكم إلى الجهاد الصادق، في سبيل دينه الحق، وإخلاص العبادة له وحده، وإنقاذ الأمة من الصوفية الوثنيين بإبادتهم، وإبادة فكرتهم الإلحادية المشركة.

نعم إن سيرنا لا يزال في بطاء ولكنه اتزان، والسفينة ستصل إلى الشاطئ بإذن الله، وسيؤب (بنو الصوفي) بالخذلان والفشل، مهما كانت الأعاصير والأنواء، وإن سفينة الحق سيجنبها الله العثرات، فتصل بهدايته وتوفيقه إلى شاطئ السلامة ولو كره المشركون اهـ.

وقد سبق للأستاذ الرفاعي أن أرسل إلينا باسم جمعيته كتابًا يدعوا فيه إلى تكتل سائر الجماعات السلفية في البلاد الإسلامية؛ لتكون أقوى على مواجهة هذه الموجة العارمة من الشرك والإلحاد، وذلك لا يأتي إلا باتصال بعضها ببعض.

فبعث يستفسر عما قامت به جماعة أنصار السنة تنفيذًا لهذا الاقتراح، وإنا نظمئن الأستاذ بأن هذا الاقتراح هو موضع عناية جماعة أنصار السنة، وأنها ستدرس الموضوع دراسة وافية، ثم تشرع في تنفيذه تنفيذًا عمليًا يعود عليها وعلى المسلمين بالخير بعون الله وحسن توفيقه، إن شاء الله.



خطاب^(١)

أخي الأستاذ الكبير مدير المجلة:

هذه التحف الروحية التي يسجلها يراعك الملهم تحت عنوان: «صور من الحياة المصرية»^(٢) هذه التحف فيها عبر تثير الشجوة، وتفيض الدموع، وفيها شواظ تلهب به أولئك الذين تجردوا من إنسانيتهم العاقلة، وذهبوا يخبطون مع العجماوات في تيه سحيق؛ وإني لأضع بين يديك هذه الصورة لتستخرج لنا منها بعقليتك الناضجة وفكرك الدقيق عظة لنا وعبرة.

في هذه الأيام أخرجت إحدى دور النشر^(٣) والطبع والكتب الكبرى كتاباً يتحدث عن ماهية الروح، لرجل أعطى نفسه لقب «السيد...» وما كنا - شهد الله - لنهتم بالكتاب ومؤلفه لولا أن هذه الدار التي أشرفت على طبعه ونشره دار كبيرة ستوزعه في الشرق كله، وسأنقل لك بعض فقرات من هذا الكتاب الذي يباع بثمن أكثر من ثمن كتاب الله:

قال المؤلف في ص (٣١) من كتابه: (لست مغروراً بأني شريف ومن أحفاد

(١) (١٣٦٧/٤).

(٢) هذه سلسلة مقالات كتبها الشيخ الفاضل محمد صادق عرنوس رَحِمَهُ اللهُ مدير مجلة الهدى النبوي، يسر الله لنا نشرها وإخراجها قريباً. (ض).

(٣) في نهاية سنة ١٩٤٧، وفي نفس السنة الهجرية التي نحن فيها ١٣٦٧، ونذكر التاريخ ليعلم أخ كريم لنا فيما بعد أسوان أننا لا ننشئ قبور الصوفية في الماضي وإنما نتحدث عنهم فيما كتبوا وخلفوا من تراث وثني كافر.

الشيخ البيومي نسبًا وطريقة؛ لأن المقصود العمل لا النسبة ولا الانتساب، قال عليه الصلاة والسلام: «يا فاطمة بنت محمد، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١) فكثيرًا ما رأيت الصالحين السابحين بأجسامهم النورانية في كل مكان - أي: بعد موتهم - وأخذت منهم إشارات وعبارات عن مسائل علمية وخلافها، وليس لهم ميعاد خاص، والغالب أني أراهم بمجرد الإرادة والتفرغ من مشاغل العالم، وقد يحضر جنني بعد ذهاب الروح؛ لكي يفسد علينا كشفنا غيرة منه وحسدًا وهو مكشوف جدًا لأهل الكشف).

فالأستاذ يتجسد له الصالحون بعد موتهم، ويتعلم منهم ويرى الجن. وفي ص (٤٢) يقول: (جاء في الطبقات الكبرى للشعراني عن الشناوي أنه كان يخاطب البدوي في قبره، ويستشير في أموره أمام جمهور السامعين، وطلب مرة من السيد البدوي أخذ العهد على الشعراني فخرجت يده من الضريح أمام الحاضرين!!).

وفي ص (٧٢): (كان كثير من محققي الصوفية يخاطب الحيوانات والنبات كسيدي عبد الرحيم القنائي^(٢) فإن شجر غيطه كان يخاطبه بما يطلبه). وفي ص (٧٣): (إني وأنا بدشنا^(٣) لفت وجهي أحد أولياء الله بيده، وقال:

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو عبد الرحيم بن أحمد القناوي، معظم عند الصوفية، له ضريح شهير بصعيد مصر بقنا، توفي سنة (٥٦٢هـ)، وكان يدعي مخاطبة جبريل عليه السلام. انظر الطبقات الكبرى (١/١٥٦). (ض).

(٣) مدينة بصعيد مصر، محافظة قنا. (ض).

هذه مصر، وهنا منزلك، فرأيت باب الخلق وبعض أقاربي ونادتهم فسمعوا صوتي).
 في ص (٢٠٠) يتكلم عن الذين رأوا الملائكة جهارًا: (الشيخ عبد الرحيم
 القنائي ذكر عنه الشعراني أنه كان في مجلس درسه بمدينة قنا، فهبط وسط الحلقة
 شبح أبيض كلون القطن والثلج وجلس منكسًا رأسه كهيئة شخص ذليل،
 فأطرق القنائي برأسه إلى الأرض، وسكت مدة طويلة، ثم رفع رأسه إلى السماء،
 ثم دعا فسئل عن ذلك، فقال: هذا ملك من السماء الرابعة هفا هفوة فسقط إلينا
 واستشفع بنا إلى الله فشفعني فيه) تصور يا أخي القنائي يتشفع في ملك مذب.
 وفي ص (٢٠١): يزعم المؤلف أنه بنفسه جاءه ملك كريم جهارًا في الليل.
 وبعد: أليست مصر في خير وعافية في دينها؟ وأليست هذه معجزات دونها
 معجزات النبوة؟ وإلا فماذا؟ رأيك، وقلمك، يا أخي.

عبد الرحمن الوكيل

تعليق الشيخ محمد صادق عرفوس:

أذكر أنه وقع في يدي من بضع سنين كتيب في كرامات القنائي أو معجزاته،
 بل في ألوهيته، مثل هذه الأوبة التي ينشرها مجرمو الصوفية وسدنة الأصنام،
 إبقاءً على مراكزهم في نفوس العامة، وعلى السحت الذي يتقاضونه منهم باسم
 النذور لهذه النصب المعبودة، فعلمت عليه في مجلة الهدى النبوي في باب الصور بما
 هو منشور فيه.



وثائق

تقدير كريم

من بطل الحرية السيد رئيس الجمهورية
لكتاب « هذه هي الصوفية »

تفضل السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فأرسل كتابه هذا الكريم
إلى الأخ عبد الرحمن الوكيل :
السيد الشيخ عبد الرحمن الوكيل :
تحية طيبة

« وبعد » فأشكر لك أجزل الشكر إهداءك إليّ مؤلفك « هذه هي
الصوفية » قد كنت فيه وفيك لفكرتك ، مؤيداً لها بشتى الحجج والأسانيد .
على أن الذى أثلج صدرى حملتك التى حملتها على البدع السائدة ، والأوهام
الضالة التى تدور فى مخيلة الكثيرين من السذج والبسطاء ، والله أسأل أن يوفقنا
جميعاً لما فيه رفعة الوطن .

والله أكبر والعزة لمصر .

القاهرة فى ١٩٥٦/٥/٥

وجاعة أنصار السنة المحمدية ترفع شكرها الخالص إلى السيد رئيس
الجمهورية على هذا التقدير الكريم الذى تفخر وتعتز به ولا سيما وهو من بطل
عظيم ورجل لم يعرف عنه إلا الاتزان والإصابة والحكمة فيما يقول أو يفعل ،
وإلا أنه رجل لا يحامل أبداً على حساب الحق ، أطال الله عمره ، وأعز به دينه ،

ووقفه دائماً فى سعيه الكريم
١٣٧٥
١٣٧٥

— ٤١٠ —

تقدير من السيد رئيس الجمهورية لكتاب « البهائية »

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

مكتب الرئيس

السيد عبد الرحمن الوكيل

تحية طيبة وبعد :

فقد تلقى السيد الرئيس مافاضت به رسالتك الواعية من تأييد ومودة ووفاء وأمرني سيادته أن أبعث إليك بشكره البالغ على هذه المشاعر الصادقة التي حملتك على موافاته بكتابك « البهائية » - تاريخها وعقيدتها .

وأن السيد الرئيس ليقدر لك هذه الروح العالية التي تصفو بيقينها بالله وتسو بالعمل بكتابه والتمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - حييا فيك هذه الفيرة القوية التي تدفعك إلى الرد على ما يفتري به على الدين القويم من شبه وأباطيل .

مع تمنيات سيادته لكم بالتوفيق والسداد في ظل مجتمع فاضل متراحم وأمة عربية خالدة .

مع وافر الاحترام

إمضاء

محمود الجيار

مدير مكتب الرئيس للشئون الدينية

١٣٨٥
١١

الفهارس

أولاً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثانياً: فهرس الأعلام والتراجم.

ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثاني.

أولاً: فهرس الأحاديث والآثار

الجزء والصفحة

طرف الحديث

- «أتى النبي ﷺ رجلٌ فكلّمه فجعل ترعد فرائصه» ٢٣٠ / ١
- «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه، ثم جاء به» ٩٤٤ / ٢
- «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» ٤٦٥ / ١
- «اسمعوا، وأطيعوا، وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» ٧٧٧ / ٢
- «اعملْ فإنني لن أغني عنك من الله شيئاً» ٦٥٤ / ٢
- «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» (١ / ٣٦٩، ٥١٠ - ٢ / ٩٨١)
- «ألا لا تتخذوا قبوري عيداً، ألا لا تتخذوا قبوري مسجداً» ٨٥٥ / ٢
- «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١ / ٧٤ - ٢ / ٧٨٣)
- «الإيمان قيد الفتك» ٧١٣ / ٢
- «السيد الله تبارك وتعالى» ٢٣٠ / ١
- «الشرك فيكم أخفى من ديب النمل» ١٤٦ / ١
- «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً» ١١٦ / ١
- «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني» ... ١١٦ / ١
- «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك» ١٤٧ / ١، ٤٢٠
- «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد» .. ٢٠٠ / ١
- «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره» ٩٤٤ / ٢

طرف الحديث

الجزء والصفحة

- «إلهي أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني» ٥٦٢ / ٢
- «اليد العليا خير من اليد السفلى» ٧٧ / ١
- «أليس كانوا يجرمون ما أحل الله تعالى فيحرمونه» ٨٤٢ / ٢
- «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ» ٧٤٩ / ٢
- «إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة» ٨٩٥ / ٢
- «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» ٢٣٢ / ١
- «إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار» ٢٤٠ / ١
- «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً» ٢٤٢ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمُ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» ٩١١ / ٢
- «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه» ٨٩٤ / ٢
- «إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد» ٩٤٣ / ٢
- «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب» (١ / ٢١٤، ٢٤٢ - ٢ / ٨٧٦)
- «إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي» ٥٦٣ / ٢
- «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا» ١٩٢ / ١
- «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية» ٩٤٣ / ٢
- «أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض» ٨٧٥ / ٢
- «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من ترك ما لا فلاهله» ٧٧٥ / ٢
- «أنا محمد عبد الله ورسوله» ٢٣٠ / ١
- «إنك امرؤا فيك جاهلية» ٧٣١ / ٢

طرف الحديث

الجزء والصفحة

- «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ١١٤ / ١
- «إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» ٥٣٣ / ٢
- «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً» ٢٣٢ / ١
- «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته» ٨٧٥ / ٢
- «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم» ٧٥٧ / ٢
- «أَوْهَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُهَيِّلُوا التُّرَابَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ؟» ٦٥٤ / ٢
- «بينما موسى في ملا من بني إسرائيل جاءه رجل» ٨٦٩ / ٢
- «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما» ٧٤٩ / ٢
- «حب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» ٣٩٧ / ١
- «حب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» ٤٢٣ / ١
- «حب إلي من دنياكم ثلاث» ٣٩٧ / ١
- «خذ مالك، لا حاجة لنا به» ٧٧ / ١
- «خرجنا معه في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر» ٧٥٣ / ٢
- «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها» ٥٠٨، ٥٠٥ / ١
- «ستكون فتن» ٩٨ / ١
- «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت» ٢٠٠ / ١
- «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ١٤ / ١
- «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض» ٢٤٢ / ١
- «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء» ٢٤١ / ١

طرف الحديث

الجزء والصفحة

- «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» ٧٥٦ / ٢
- «لا تدع قبراً مشرفاً إلا سَوَّيته» ٦٥٤ / ٢
- «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم» ٣٠ / ١
- «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم» ٦ / ١
- «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» ٧٥٣ / ٢
- «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم» ٢٣٠ / ١
- «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم» ٧٢٤ / ٢
- «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» ٣٥٦ / ١
- «لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإن استُفِرَّتْ فأنفِرُوا» ٨٩٤ / ٢
- «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (١ / ٢١٣، ٢٢٩ - ٢ / ٧٢٨)
- «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً» ١٤٦ / ١
- «لأن أحلف بالله كاذباً خير من أحلف بغيره صادقاً» ١١٥ / ١
- «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة» ٨١٩ / ٢
- «لعنة الله على اليهود، والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ٨٥٥ / ٢
- «لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان» ٧١٣ / ٢
- «لو كان سالم مولى حذيفة حيّاً ما جعلتها شورى» ٧٧٧ / ٢
- «لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» ٧٥٢ / ٢
- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ» ١٠ / ١
- «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» ... ٩٨ / ١

طرف الحديث

الجزء والصفحة

- «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرُوا على أن يغيروا» ٨٩٤ / ٢
- «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» ٧٤٩ / ٢
- «من ترك ما لا فلورثته، ومن ترك كلاً فإلينا» ٧٧٥ / ٢
- «من حلف بغير الله فقد أشرك» ١١٥ / ١
- «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه» ٨٩٥ / ٢
- «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» ٩٧ / ١
- «من قاتل لتكون كلمة الله هي أعلى فهو في سبيل الله عز وجل» ٨٩٤ / ٢
- «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده» ٢٠٠ / ١
- «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات» ٧٢٨ / ٢
- «من كتم علماً مما ينفع الله تعالى به الناس في أمر الدين ألجمه الله» ٩٧ / ١
- «من لم يشكر الناس لا يشكر الله» ١٥ / ١
- «من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي» ٧٥٨ / ٢
- «والله إنكم لتعملون العمل ترونه في أعينكم أدق من الشعرة» ٣٣٦ / ١
- «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» ٧٤٩ / ٢
- «ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» ٢٣٢ / ١
- «يا أيها الناس، إنكم تقرأون الآية، وتضعونها على غير موضعها» ٨٩٤ / ٢
- «يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن» ٨٤٢ / ٢
- «يا فاطمة بنت محمد، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» ٩٩٨ / ٢
- «يا فاطمة بنت محمد، اعملي؛ فلن أغني عنك من الله شيئاً» ٧٢٥ / ٢

الجزء والصفحة

طرف الحديث

- «يأتي أحدكم بما يملك، فيقول: هذه صدقة. ثم يقعد يتكفف الناس» ٧٧ / ١
- «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوَّهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ» ٧ / ١
- «اتق الله وأمسك عليك زوجك» ٩٨ / ١
- «إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم» ٩٤٤ / ٢



ثانياً: فهرس الأعلام والتراجم

الجزء والصفحة

الاسم

- أبا مسلم الخراساني ٥٣ / ١
- إبراهيم ابن أبي المجد الدسوقي ١٧٨ / ١
- ابن الفارض ١٦٧ / ١
- ابن تيمية المصري محمد خليل هراس ٨٠٥ / ٢
- ابن تيمية ٦١٦ / ٢
- ابن خلكان ٤٠ / ١
- أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الضير ١٠٥ / ١
- أبو السعود بن أبي العشائر الباذيني ١٧٧ / ١
- أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني ١٨٨ / ١
- أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف البكري الصوفي ١٢٤ / ١
- أبو بكر محمد بن موسى الواسطي ١٣٠ / ١
- ابن عربي ١٧٦ / ١
- أبو جعفر المنصور ٦٣٠ / ٢
- أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي ١٠٣ / ١
- أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ٤٩٢ / ١
- أبو معن ٧٦٠ / ٢
- أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي ٧٠ / ١

الجزء والصفحة

الاسم

- أحمد أمين ٣٨ / ١
- أحمد بن أحمد بن حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي ١٣١ / ١
- أحمد بن علي الحسيني البدوي ١٢٥ / ١
- أحمد بن قسي الأندلسي أبو القاسم ٤١١ / ١
- البوصيري ٨٨ / ١
- الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ٢٢٥ / ١
- الحارث بن أسد البغدادى المحاسبي ١٠٩ / ١
- الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي ٤٩٦ / ١
- السيد أحمد بن زيني دحلان ٣٨٤ / ١
- الشعراني ١٧٧ / ١
- الصدر القونوي ٤٧٠ / ١
- القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٤٩٨ / ١
- أمين محمد رضا ٥٩٠ / ٢
- بابك ٥٣ / ١
- بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي ٤٢٧ / ١
- ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري ٢٢٤ / ١
- جمال الدين عبد الرزاق بن أحمد القاشاني ١٧٤ / ١
- جولدزير ١٢٨ / ١
- حسين محمد مخلوف ٧٤٧ / ٢

الاسم

الجزء والصفحة

- دلف بن جحدر ١٧٦ / ١
- رابعة بنت إسماعيل العدوية ٣٧٨ / ١
- زرادشت ٥٦ / ١
- زرارة بن أعين ٨٨٦ / ٢
- زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٧٠ / ١
- زكي عبد السلام مبارك ٨١ / ١
- سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني ٢٠٤ / ١
- سليمان رشاد محمد ٢٧١ / ١
- سهل بن عبد الله بن يونس التستري ١٧٨ / ١
- شمس الدين الحنفي المصري ٢١٩ / ١
- طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي ١٩٤ / ١
- عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي ٤٦٩ / ١
- عبد الحلیم محمود ٢٧٣ / ١
- عبد الرحيم بن أحمد القناوي ٩٩٨ / ٢
- عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال ٤١١ / ١
- عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر ١٥٠ / ١
- عبد العزيز بن راشد بن زيد آل حسين النجدي ٩٦٠ / ٢
- عبد العزيز بن مسعود الدباغ ٢٠٥ / ١
- عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني ٣٩٤ / ١

الجزء والصفحة

الاسم

- عبد القادر بن محمد أبي الفيض ٧٤٢ / ٢
- عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي القادري ١٨٠ / ١
- عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي الصوفي ٧٠ / ١
- عبد اللطيف حسين عبده جبرة ٩٥٨ / ٢
- عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري ١٣٢ / ١
- عبد المجيد سليم ٨٩٠ / ٢
- عبد الحلیم حمودة ٨٦ / ١
- عبد الرزاق عفيفي ٨٠٤ / ٢
- عبد الرؤوف المناوي ٢٢٢ / ١
- عطاء الله السكندري ١٢٦ / ١
- علام نصار ٧٤٨ / ٢
- علي الخواص البرسلي ٢٢٥ / ١
- قرمط ٥٤٢ / ٢
- كابة ٤٩ / ١
- كعب بن ماته الحميري ٣٣ / ١
- ماني بن ماني ٣٨ / ١
- محمد أبو الوفا التفتازاني ٣٢١ / ١
- محمد الشناوي ٢١٩ / ١
- محمد الصادق عرنوس ٩١ / ١

الجزء والصفحة

الاسم

- محمد الغزالي السقا..... ٧٧٩ / ٢
- محمد الغمري ٢١٨ / ١
- محمد بن أحمد بن شيخ المالكية ٥٠٠ / ١
- محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ٦٢٦ / ٢
- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد ٩٢٩ / ٢
- محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي ٤٦٩ / ١
- محمد بن علي بن الحسن بن بشير ١٩٠ / ١
- محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي فخر الدين ١٥٤ / ١
- محمد رشاد غانم ٨٦ / ١
- محمد رضا بهلوي ٥٦٦ / ٢
- محمد زكي إبراهيم ٤٦٨ / ١
- محمد سرور ٧٩٧ / ٢
- محمد عبد المجيد الشافعي ٤٧٠ / ١
- محمد محمد البهي ٩٥ / ١
- محمد مصطفى حلمي ٢٤٨ / ١
- محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي ٩٩٤ / ٢
- محمود أمين العالم ٢٦٩ / ١
- محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الكيلاني أو الجيلاني ١٧٩ / ١
- معروف بن فيروز أبو محفوظ الكرخي ٤٢٦ / ١

الجزء والصفحة

الاسم

١٣٥ / ١	منصور الحلاج
٢٢ / ١	ياسر الوكيل
١٠٩ / ١	ياقوت العرش
١٣٠ / ١	يوسف العجمي الكوراني
٣٨٤ / ١	يوسف بن إسماعيل النبھاني



ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثاني

الباب السادس: البهائية	٥٢٥
البهائية وليدة التصوف وربية الاستعمار (١)	٥٢٧
البهائية وليدة التصوف وربية الاستعمار (٢)	٥٣٦
البهائية وليدة التصوف وربية الاستعمار (٣)	٥٥٨
عقيدة البهائية، وأهدافها الصهيونية	٥٦٦
مجلة الأزهر وكتاب «البهائية»	٥٧٥
رأي نقاد الصحف في كتاب البهائية	٥٨٤
الباب السابع: القاديانية	٥٨٧
حول القاديانية	٥٨٩
من كفر القاديانية	٥٩٣
ومرة أخرى: من كفر القاديانية	٦٠١
الباب الثامن: الدفاع عن الإسلام والتوحيد والسنة وأهلها	٦٠٩
كفاح في إفريقية ضد الاستعمار	٦١١
ابن بطوطة يفترى الكذب على ابن تيمية	٦١٦
من شرفات التاريخ: من صراع الإسلام ضد المجوسية	٦٣٠
عقيدة المعز ونسبه	٦٣٩
مُفترّيات	٦٤٣

- ٦٦١..... بيني وبين صديق
- ٦٧١..... هيمنة القرآن
- ٦٧٧..... خواطر: بين الصليبية وبين الإسلام
- ٦٨٤..... هذا ما يراد بكم أيها المسلمون فاحذروا...!! شرعة اليهود في الحرب
- ٦٩٠..... دين الدولة هو الإسلام
- ٦٩٢..... من شرفات التاريخ: بطولة عربية تنقذ الإنسانية
- ٧٠١..... خيانة ملعونة
- ٧٠٦..... هذا هو اليقين بك يا شبل الجزيرة
- ٧٠٨..... أفسحوا الطريق للإسلام يشرع ويحكم
- ٧١٢..... بيان للناس
- ٧١٥..... إلى جمال عبد الناصر
- ٧١٧..... يا قومنا أجيئوا داعي الله
- ٧٢١..... بدعة المولد ومظاهرها الوثنية
- ٧٤٢..... مولد العطاب
- ٧٤٧..... موقعة الجمل: بدعة الحمل مظهر من مظاهر الوثنية
- ٧٥٩..... من سيرة الفرق: فرق المعتزلة
- ٧٦٣..... خواطر: التلميذ بين المدرسة والمنزل
- ٧٦٩..... الميثاق
- ٧٨٠..... اللهم لن يموت عهدنا معك

- باسم الله: عهد وميثاق ٨٠٢
- ثورة على الحق ٨٠٦
- المعهد العلمي بالرياض ٨٠٨
- بعد تأميم القناة: ثورة الوثنية الصليبية ٨١٣
- الباب التاسع: تحذير المسلمين من اتباع سنن السابقين** ٨١٧
- «لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم» (١) ٨١٩
- في العقيدة ٨٢٥
- عبادة الأولياء ٨٣١
- اتخاذ أشباه العلماء والدرأويش أربابا ٨٤٢
- تردي الأمة في مهاوي التقليد ٨٤٥
- تحريف الكلم عن مواضعه ٨٥٣
- جعل القبور مساجد ٨٥٥
- الرقص في الأذكار ٨٥٩
- خاتمة ٨٦٣
- الباب العاشر: كتابات الوكيل إلى الأزهر وشيخ الأزهر** ٨٦٥
- إلى متى أيها الأزهر الشريف؟ ٨٦٧
- إلى متى أيها الأزهر الشريف؟! (بقية ما نشر في العدد الماضي) ٨٧٥
- خطاب مفتوح إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ٨٨١
- شيخ الأزهر في زيارة الأضرحة: خطاب مفتوح إلى فضيلته ٨٩٠

مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر	٨٩٨
النداء الثاني	٩٠٣
الباب الحادي عشر: تعليقات على الصحف	٩٠٧
أدبوا نساءكم إن كنتم رجالاً	٩٠٩
الصحافة والدين	٩٢٧
دعوى بلا بينة	٩٣٢
جاهلية غربية	٩٣٨
مطايا الاستعمار	٩٤٩
الباب الثاني عشر: أخبار جماعة أنصار السنة المحمدية	٩٥٥
«أنصار السنة والمؤتمر الإسلامي الكبير»	٩٥٧
يوم عظيم في بور سعيد	٩٦١
موقف أنصار السنة المحمدية من إلغاء المعاهدة	٩٦٥
بطولة مجيدة	٩٧٠
الباب الثالث عشر: رسائل القراء	٩٧٣
من رسائل القراء الأفاضل	٩٧٥
من رسائل القراء	٩٨٤
نعم يا أبا العباس	٩٨٦
رسالة من العراق	٩٨٨
تقدير كريم لمجلة الهدي النبوي	٩٩٤

٩٩٧.....	خطاب
١٠٠٠.....	وثائق
١٠٠٣.....	الفهارس
١٠٠٥.....	أولاً: فهرس الأعلام والتراجم
١٠١١.....	ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار
١٠١٦.....	ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثاني



لكتابة الرسائل العلمية وصف وتحقيق مكتب التراث وغيرها
القاهرة - هاتف: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM
EBADALRHMAN_SFEF@GMAIL.COM



من إصداراتنا

وسائل التوحيد أو دلائله

تأليف

الشيخ العلامة السلفي

عبد الرحمن بن الوكيل

رَحِمَهُ اللهُ

أستاذ العقيدة بشعبة الدراسات العليا بكلية الشريعة
بمكة المكرمة

اعتنى بنشره وخرج أحاديثه

محمد بن عوض بن عبد الغني المصري

إِسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

تحت الطبع

البهائية

تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية

تأليف العلامة

عبد الرحمن الوكيل

رَحِمَهُ اللهُ

اعتنى بنشره وأشرف على إخراجه

محمد عوض عبد الغني المصري

دار سينما المؤمنين

للنشر والتوزيع

من إصداراتنا

كشف اللثام

عن الغش الذي أحدثه الدساسون في عقائد الإسلام

ويليه

عاقبة اتباع الهوى

للعامة

محمد جامع الفقي

رحمته الله

اعتنى بنشره وخرج أحاديثه

محمد بن عوض بن عبد الغني المصري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

ثناء العلماء على المؤلف

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه دروس في شرح نوافل الإسلام: «وغلالة الصوفية - وما أكثرهم اليوم - في كتبهم من الخرافات والأكاذيب التي الكثر. وقد رد عليهم أهل العلم وأطلقوا ترهاتهم وشبهاتهم، ومن أقوى ممن رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ورد عليهم جماعة من العلماء المعاصرين تعبد الرحمن الوكيل بتأليفه، فله كتاب اسمه: «مصرع التصوف».

قال العلامة أحمد بن يحيى النجدي مفتي جنوب المملكة العربية السعودية سابقاً بتأليفه في كتابه: المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال. «وللشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقاً كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، اقتبته قبل سنوات، ولما قرأته كتبت عليه هذه العارضة، وإن لأعدها من صالح عملي، وهذه هي العارضة: «رحم الله يا عبد الرحمن، لقد سجلت حقاً في هذا الكتاب، وكشفت السر المفعول على تلك الأصنام الخوفاء، التي كانت وما زالت بقاياها تقذف أخبث الكفر وأقذره وتزعم أنه عين التوحيد، وتضفي هالة من القداسة على قائله الضلال، معتدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد، حتى بين الله أمرهم على يدك». اهـ.

وإن لأحدث جميع طلاب العلم على اقتناء هذا الكتاب وقراءته واسم هذا الكتاب: (هذه هي الصوفية).

قال العلامة محمد حامد القصي بتأليفه في مقدمة تحفيظه لكتاب نقض المنطق: ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق عبد الرحمن الوكيل - وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية - عمل مقدمة له، لأنه متخصص في الفلسفة، وله بصيرة نافذة فيها، وهو من خالصاء شيخ الإسلام ابن تيمية بتأليفه.

قال الشيخ محمد علي عبد الرحيم بتأليفه الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية في مقدمة دستتَاب دعوة الحق: كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحفظ من اللغة، وجمال البلاغة، ووضوح المعنى، وسعة الأفلاخ، وشرف الغاية، كما جمع علماً مصقفاً من شوائب البدع والخرافات، وكان حسن اللغة، قليل اللحن. فصيح العبارة، له اجتهاداته الواعية، وكان في ذلك نمطاً فريداً.

قال الشيخ محمد صادق عرنوس بتأليفه: إن أئمانا الأستاذ النابعة عبد الرحمن الوكيل، المعروف بين قراء الهدى النبوي بهادرم الفلواغيت قد أصبح أخصائياً في شريح التصوف، والإحاطة بوظائف أعضائه. والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ للمرفق، ويكون سبباً في الشفاء.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دار أسبيل المؤمنين
عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠١٠٧٦١٠٠٩٩
www.darsabilmominien.com
E-mail: Dar_Sabilmominien@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilmominien@hotmail.com